

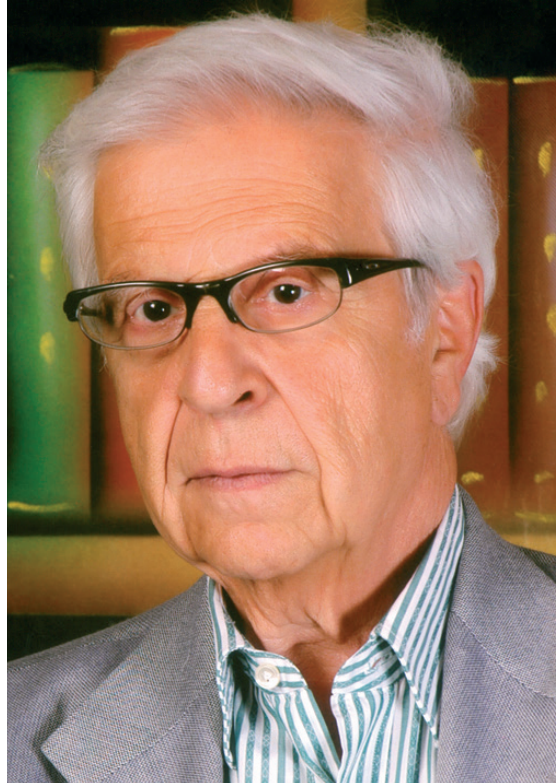
لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر

في الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
صحيفة العرب الدولية - الأولى

المجلد الخامس: (2020-2023)



محتويات المجلد الخامس

- 31 التمثيل المذهبي بكيانات مذهبة.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 9 يناير (كانون الثاني) 2020
 حول هل من الجائز من تركيا وإيران التحرش والتدخل وفق قاعدة مذهبية بالكيانات المذهبة ومنها لبنان
- 32 غير المستحب قولاً... والمبغوض فعلاً.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 14 يناير (كانون الثاني) 2020
 قراءة في عبارة غير مستحب قولها من الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله وفي عمل مبغوض يتمثل بإحراق علم أميركا
- 34 هموم إقتصادية... وإهتمامات نسلية.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 20 يناير (كانون الثاني) 2020
 حول سخاء من جانب إيران الدولة التي تعيش إهتمامات نسلية وحالة إقتصادية صعبة بعض الشيء على "دويلاتها" في العالم العربي
- 36 الأباطرة يبعثون.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 28 يناير (كانون الثاني) 2020
 ما الذي يرمي إليه المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي من الدعوة إلى إكثار المواليد بحيث يصل عدد سكان إيران إلى 150 مليوناً كحد أدنى
- 37 لو يدري عبدالله المحيسن.....
 كُتبت لـ «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 30 يناير (كانون الثاني) 2020
 إستحضار معالجة سينمائية لافتة للمخرج السعودي عبدالله المحيسن حول ظروف تعيشها بيروت التي عاش فيها دارساً
- 39 كما المرشد كذلك أردوغان وبوتين.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 فبراير (شباط) 2020
 ... ولماذا يحزن الرئيس فلاديمير بوتين بالنسبة إلى رفع عدد السكان في روسيا على نحو ما يريده خامنئي لإيران وأردوغان لتركيا
- 40 الحالة العسيرة الحل.. من عبد الناصر إلى السيسي.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 18 فبراير (شباط) 2020
 كيف أن كثرة المواليد في مصر تتحول مع كل عهد رئاسي إلى أزمة عسيرة الحل لدواع دينية وتقاليد إجتماعية
- 42 للمساندة أصول.. قولاً وفعلاً.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 23 فبراير (شباط) 2020
 تأملات في خطوات تستهدف المساندة عند الضرورة للبنان وتتسم هذه الخطوات لدى البعض بالأصول ولدى آخرين بالعكس
- 43 ضيف عربي جديد في سجل التاريخيين.....
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 27 فبراير (شباط) 2020
 ... وأما الضيف فإنه الرئيس محمد حسني مبارك الذي توفي عن 91 عاماً وكانت نهاية حكمه مأساوية على صعيد الوضع الصحي بعد الإنتفاضة الشعبية ضده

- 45 حوار مع رئيس بترتيب من رئيس
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 16 مارس (آذار) 2020
... وحكاية حوار مع الرئيس مبارك أجراها (الكاتب فؤاد مطر) في القاهرة في ضوء حوار في الخرطوم مع الرئيس جعفر نميري
- 47 في مسألة العتاب والعقاب رئيسياً
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 18 مارس (آذار) 2020
تأملات في مسألة العتاب يتلوه العقاب من جانب رئيس الدولة العربية الكبرى (أنور السادات) في حق الصحفي والكاتب فؤاد مطر
- 49 إستعادة الوطن بعودة الوعي
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 26 مارس (آذار) 2020
...وتأملات في الأحوال السورية في ظل وطأتين قاسيتين هما الوطأة الإيرانية ومثيلتها الوطأة الروسي وكيف هو تعامل بشأن الأسد مع الوطنيين
- 51 فرصة ذهبية لتبيض الصفحة
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 31 مارس (آذار) 2020
كيف أن الهلع الذي أحدثته "كورونا" نبه بعض أهل الحكم إلى سلبات شراة السلطة وكأنما دامت لغيرهم حتى تدوم لهم بعض الظن الذي ليس إثمًا
- 52 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 31 مارس (آذار) 2020
- قراءة في عبارات صدرت عن حكان ذوي شأن أحدهم الرئيس الإيراني حسن روحاني وتندرج عند التوصيف بين الظن الذي ليس إثمًا
- 53 عن الحجر الرئاسي قبل الحجر الجرمي
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 9 أبريل (نيسان) 2020
إستحضار سنوات الحجر على رئيسين تاريخيين هما اللواء محمد نجيب وأحمد بن بيللا، كما الحجر على الألوفاً تفادياً للإصابة بـ "كورونا"
- 55 الصحوة العراقية.. وما بعدها
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 22 أبريل (نيسان) 2020
قراءة في صحوة عراقية لم تكن في الحسبان، وجاءت تؤكد أهمية حكومة تُترجم مضامين هذه الصحوة إلى أفعال
- 57 العراق نطقها.. ولبنان الإيراني يغص بها
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 28 أبريل (نيسان) 2020
كيف أنه في فترة زمنية متقاربة يتعرض رئيس المخابرات في الجزائر للعزل ويُسجن فيما رئيس المخابرات العراقية يصبح رئيساً للحكومة
- 58 هل تجرف جرمومة العصر.. صفقة العصر
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 5 مايو (أيار) 2020
تساؤل حول مضاعفات محتملة تتسبب بها للإنسان جائحة "كورونا" وهل ثمة علاجات لتدارك إصابات دون تمييز بين ناس وناس
- 60 الشاة اللببية والذنب التركي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 12 مايو (أيار) 2020
إستحضار واقعة الشاة التي تاهت عن القطيع فإفترسها الذنب، عند التأمل في الذي يفعله أردوغان في ليبيا الشاردة عن محيطها العربي

- 62 كي لا تنتهي ليبيا إسكندرونة المغربي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 14 مايو (أيار) 2020
- ... ومجرد تساؤل يكمل من حيث التشابه واقعة الشاة التي تاهت عن القطيع فاستغل الذئب التركي الأمر وإقترح فاعراً فمه وأنياه
- 64 تنكير عن الأمير الحفيد ينفع اللبنانيين والإيرانيين
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 15 مايو (أيار) 2020
- ... والأمير هو سعود الفيصل الذي أدار السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية والذي يذكره الذين تابعوا مسيرته حتى رحيله بالخير والتقدير
- 66 ترمب "البنياميني" .. وبايدن "الفلسطيني _ الإسرائيلي"
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 18 مايو (أيار) 2020
- كيف هو أسلوب الرئيس الأميركي دونالد ترمب مع رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو مقارنة بأسلوب منافسه على الرئاسة بايدن
- 67 البورصة الكورونية _ الكونية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 24 مايو (أيار) 2020
- ... وهكذا باتت "كورونا" بعد فيض البيانات حولها صعوداً وهبوطاً وكما لو أنها سلعة برسم المزايدين عليها بالسعر المناسب
- 69 جحود دون وجه حق
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 29 مايو (أيار) 2020
- عندما إكتملت دواعي مقارنة حال لبنان بحال مَن تصيبه جرثومة كورونا إما هو منهك وإما هو متهالك لا قدرة لديه على أداء الواجب
- 70 عميد الانقلاب المستحيل وعميد التغيير الممكن
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 8 يونيو (حزيران) 2020
- مقارنة بين صفات صهرين للرئيس اللبناني الجنرال ميشال عون وقدرة كل منهما على إستحداث تغيير والصهران هما جبران باسيل المدني وشامل روكز العسكري
- 72 الحق والباطل في مسألة مائية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 يونيو (حزيران) 2020
- قراءة في أزمة "سد النهضة" وكيف أن أثيوبيا لا تمارس المرونة بما يحفظ لكل من مصر والسودان حصتهما من مياه النيل كاملة
- 73 كيف جبر لبنان المكسور الحال
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 30 يونيو (حزيران) 2020
- لماذا لا يستوقف بعض أهل السلطة في لبنان ما يقوله عنهم البعض في الأوساط الشعبية ويشمل أحياناً الشتم والتجريح
- 75 مثلث الأذى بتواطؤ الحكومات
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 6 يوليو (تموز) 2020
- نظرة على مثلث الأذى في المنطقة الذي يسعى رموزه لمزيد من الهيمنة والتشاؤف والنيل من الحقوق التي تحفظ الأوطان
- 77 يتيسر الحياد بتيسير أمر المبادرة العربية
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 13 يوليو (تموز) 2020
- تأملات في فكرة الحياد للبنان على نحو ما عبّر عنها البطيريك الماروني بطرس الراعي في عظة يوم الأحد 5 يوليو / تموز 2020

- 79 الحياذ لدرء الخطر... والحياذ لصون الزعامة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 28 يوليو (تموز) 2020
- ... وكيف أن مزايا الحياذ أنه يُبقي الأوطان في دائرة السلامة من التداعيات الناشئة عن صراع الكبار في الدولة
- 80 محنة أوطان.. ولهفة قبائل
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 3 أغسطس (آب) 2020
- قراءة في أوضاع بالغة القساوة على الوطن والمواطن على حد سواء تعيشها ليبيا والعراق وسوريا حيث القبائل بدأت تنتفض هي الأخرى
- 82 الأهم الأعظم بعد المهم العظيم
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 9 أغسطس (آب) 2020
- تأملات في أيام عاشورائية تزامنت مع أجواء حزينة نشأت من تداعيات فاجعة الانفجار الرهيب والمدمر في مرفأ بيروت
- 83 عاشوراء عموم اللبنانيين
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 12 أغسطس (آب) 2020
- ... بقية تأملات في فاجعة مرفأ بيروت الذي كان تفجير به مثل تفجير نووي أعاد إلى الأذهان سلسلة من التفجيرات كتلك التي حدثت في هيروشيما
- 84 أقدار وحقوق لا مجال ضميرياً للتخلي عنها
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 23 أغسطس (آب) 2020
- حول فرصة تاريخية أمام الرئيس الأميركي دونالد ترمب لينته غتتمها في مناسبة إنعقاد الدورة العادية السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة
- 86 المفتاح البريطاني للباب الموصد
- كُتبت لـ «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 26 أغسطس (آب) 2020
- ... والمقصود بالمفتاح هو أن تصحح بريطانيا ما أحدثه وعد بلفورها الملكي من فواجع في المنطقة العربية ناشئة عن إهداء اليهود فلسطين العربية وطناً لهم
- 88 فلسطين القضية وفلسطين الحالة
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 3 سبتمبر (أيلول) 2020
- أهمية الأخذ في الاعتبار من جانب جيل الحاضر من أصحاب القرار في العالم العربي رؤى الجيل السابق بالنسبة إلى القضية الفلسطينية
- 89 الله أعطى والبعض أساء وكفر
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 10 سبتمبر (أيلول) 2020
- أمثلة على حالات تعكس واقعاً مريباً يعيشه العالم العربي حيث أن الله سبحانه وتعالى أعطى وأجزل العطاء فيما البعض من أصحاب القرار أساء إلى درجة الكفر بنعمة المولى
- 91 عطاء كثير.. ودفع ثمن أكثر
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 17 سبتمبر (أيلول) 2020
- تأملات في أسلوب تعامل لاقت للإنتباه ويتمثل في إستضافة "حزب الله" وفي شخص أمينه العام السيد حسن نصرالله لمؤتمر فلسطيني عقده في لبنان إسماعيل هنية الرمز القوي لـ "حركة حماس"

- 92 يوم مشرق وسط عتمة عربية _ إسلامية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 22 سبتمبر (أيلول) 2020
- ... وأما اليوم المشرق فهو ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية يحتفل به شعب المملكة والشعوب الحافظة ودها، فيما هنالك عتمة عربية _ إسلامية
- 93 من بيت بنيه يُضرب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 28 سبتمبر (أيلول) 2020
- كيف أن لبنان دون سائر شقيقاته العربيات يقاسي في موضوع تشكيل حكومة تدير شؤون الناس كما واجب أي حكومة تجاه الوطن والشعب
- 95 بيروت ذات الجناحين المهيضين
- كُتبت ل صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 1 أكتوبر (ت1) 2020
- هذا واقع تعيشه العاصمة اللبنانية حيث الشرعية شبه مفقودة في جناح منها وحيث العشوائية مزدهرة في جناح آخر وفي الجناحين خسارة للوطن الجميل
- 96 إخضاع بذريعة الإقناع
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 11 أكتوبر (تشرين الأول) 2020
- لماذا وحده السودان يمارس فيه الطيف العسكري مرونة في الخيارات المطروحة بالنسبة إلى الصراع العربي _ الإسرائيلي فيما الطيف المدني هو الذي يتشدد
- 97 الله الهادي... يا أبو هادي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2020
- نظرة على الأحوال المتهورة في معظم نواحي الأعمال والإدارات والسياحة وهذا يعود إلى أن المقاومة (حزب الله) في شخص نصر الله (أبو هادي) لا يستثمر الانتصار بالإتجاه الإيجابي على نحو ما فعلت مصر
- 99 السلام قضية... وليس "أوت لت"
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2020
- كيف أن الحالة الصحية الدقيقة للمسؤول الفلسطيني المتميز وصاحب المنصب الحساس في السلطة الوطنية أوجبت علاجه في مستشفى إسرائيلي
- 101 جموح أردوغان بين الوجد الفرنسي والتبصر الألماني
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020
- ... وكيف أن الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان أدخل إلى أدبيات التخاطب عبارات خشنة سبقه في ذلك الرئيس الأميركي دونالد ترمب
- 103 من حال إلى حال
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020
- لماذا إنشغال البال العربي بمصير إنتخابات رئاسية تجري في بعض دول العالم وأبرزها إنتخابات الرئاسة الأميركية ومن سيكون الرئيس بعد ترمب
- 104 ما فعله الكاظمي ولا يفعله بشار
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020
- خطوات نوعية أقدم عليها رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي ومأمول من الرئيس بشار الأسد اعتماد هذا الأسلوب وبذلك يحمي السيادة السورية

- 106 ذكرى طيبة ودعوات مستدامة...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020
كيف أن ثبات النهج والعقيدة والالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات والمواثيق الدولية هي جوهر الخطاب الأول
للملك سلمان بن عبدالعزيز بعد البيعة
- 107 النيل الأخضر.. وصداقة 55 سنة.....
كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 26 نوفمبر (ت2) 2020
مشاعر حزينة من جانب (الكاتب فؤاد مطر) لمناسبة رحيل الزعيم السوداني الإمام الصادق المهدي الذي ربطتني به صداقة
استمرت أمام الأعاصير السياسية والإجتهادات الحزبية
- 108 مساءلة النفس علاجاً للمعاندة.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 9 ديسمبر (كانون الأول) 2020
كيف أنه لا بد من وقفة يتخذها الرئيس الأثيوبي أبي أحمد يسائل فيها نفسه عن جدوى عدم تفهم الموقف المصري _ السوداني
من تداعيات محتملة تنشأ للدولتين عن "سد النهضة"
- 110 هل يستعيد خير الجليس زمان يسره.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 14 ديسمبر (كانون الأول) 2020
... وأما خير الجليس فإنه الكتاب الذي يشقى في تأليفه كُتَّاب أو باحثون أو شعراء ويستحق من ذوي الإقتدار في الحكومات
العربية دعمه بأكثر من وسيلة
- 111 "روح الله" شقناً بإرادة المرشد... يا للهول!.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 20 ديسمبر (كانون الأول) 2020
عن شاب إيراني إسمه "روح الله زم" جرى إعدامه شقناً دون الأخذ في الاعتبار من جانب المرشد الأعلى علي خامنئي أنه من
غير الجائز إهدار حياة مواطن شقناً يحمل إسم "روح الله"!
- 113 التصحيح المأمول من "رجل العام الكوروني".....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 30 ديسمبر (كانون الأول) 2020
تأملات في ما هو مأمول من الرئيس الأميركي جو بايدن بعد فوزه في الانتخابات أمام دونالد ترمب الذي حاول إقتراس بايدن
قضائياً وإنتظر الرابح الفرصة المناسبة للرد الأسوأ.. أو الأسر
- 114 المشهد المرعب لا قدر الله.....
كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 11 يناير (كانون الثاني) 2021
إفتراض حدوث مواجهة مصرية _ أثيوبية على ضفاف نهر النيل. هذا في حال لم يقرر رئيس أثيوبيا التنبه إلى محاذير التصلب
في المواقف
- 115 خواطر المواطن العربي الحزين.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 17 يناير (كانون الثاني) 2021
حيرة في تدخلات في شؤون الآخرين يقوم بها أصحاب المشاريع الناشئة عن أحلام طاووسية غير مبالين بأحوال شعوبهم
- 117 هل من فرصة لعودة الوعي.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 19 يناير (كانون الثاني) 2021
توق من جانب الأطياف اللبنانية إلى إصطلاح الأمور التي أتعبت البلاد والعباد إلى حالة من عودة الوعي.. وبالذات إلى فاقديه

- 118 أعان الله جو بايدن ومصطفى الكاظمي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 24 يناير (كانون الثاني) 2021
- كيف أن كلاً من الرئيس الأميركي جو بايدن ورئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي يبذل الجهد من أجل تصحيح مسارات سابقة في عهود مختلفة
- 119 أوطان في مهب القضم
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 10 فبراير (شباط) 2021
- ... وأما هذه الأوطان التي تستهدفها محاولات القضم من جانب النظام الإيراني فإنها سوريا والعراق ولبنان واليمن في المقام الأول
- 121 من الرياض والقاهرة وبغداد إلى بيروت.. عساكم طيِّين
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 17 فبراير (شباط) 2021
- كلام وجداني تعيق به نفوس اللبنانيين في الأيام الكورونية التي طالت مفاعيلها المؤذية فتعطلت مناسبات التلاقي مع إخوانهم في أكثر من دول خليجية وأجنبية
- 123 نكهة حريرية في علاج أمر ليبيا
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 فبراير (شباط) 2021
- كيف بدا إختيار محمد دبببة رجل الأعمال والمهندس وهو في بداية العقد السادس من العمر رئيساً للحكومة الليبية، بمثل إختيار رجل الأعمال المقتدر رفيق الحريري ليكون رئيس الحكومة بعد إتفاق الطائف
- 124 لبنان الداء... والدواء والمداوي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 2 مارس (آذار) 2021
- عندما توافرت للبنان أكثر من فرصة سياسية ودبلوماسية لمداواة أحواله الصعبة... ودور لافيت للسفير السعودي وليد البخاري في هذه المداواة
- 126 لاءات ساعة الشدة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 14 مارس (آذار) 2021
- كيف كان البطريرك الماروني مار بطرس الراعي عند حُسن الآمال المعقودة عليه من جانب اللبنانيين المصدومين من نهج المارونية السياسية
- 128 إستفتاء.. ولو كما فعل كُرْد العراق
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 25 مارس (آذار) 2021
- ... ولماذا لا يؤخذ بصيغة الإستفتاء الشعبي في لبنان على نحو ما فعل الشعب الكردي الذي يروم إستبدال الحكم الذاتي بدولة مستقلة
- 129 الجنرالية.. وجوه وأعتاب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 13 أبريل (نيسان) 2021
- كيف أن الجنرال _ الرئيس ميشال عون وهو يتلقى الإهانات أقوالاً وكتابات من اللبنانيين المحبطين لا يقتدي بالذي فعله الجنرال _ الرئيس شارل ديغول
- 131 ما أشبه الليلة الأحمدية بالبارحة الصدامية
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 24 أبريل (نيسان) 2021
- مقارنة بالنسبة إلى الخطوات غير المحسوبة بالكثير من الدقة من جانب إثنين على سبيل المثال: الرئيس العراقي صدام حسين ورئيس الحكومة الأنثوية أبي أحمد

133 نوبل للسلام.. تليق بهما

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 26 أبريل (نيسان) 2021

... وأما من الذي تليق جائزة نوبل للسلام به فإنه البابا فرنسيس الذي زار العراق والتقى بمن تليق أيضاً "جائزة نوبل" به المرجع الشيعي آية الله السيستاني

134 خير الفرص لتصحيح المسار

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 12 مايو (أيار) 2021

عندما تتوافر فجأة فرصة لرئيس يواجه النظام الذي يترأسه متاعب وتعقيدات ومن شأن الفرصة تصحيح ما في الإمكان تصحيحه

136 مبادرتا العلاج الشافي.. بأي ذنب وأدهما

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 16 مايو (أيار) 2021

حول مبادرتين: الأولى تلك التي طرحها الملك فهد بن عبدالعزيز. والثانية مبادرة البطريك الماروني مار بطرس الراعي. ولقد أصاب الثانية مع الأسف ما أصاب الأولى

138 علاقة تحتاج إلى من يصون لا من يبعثر

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 25 مايو (أيار) 2021

تأملات في العلاقة السعودية _ اللبنانية منذ البدء مع الملك عبدالعزيز والرئيس الشيخ بشاره الخوري والتي تحتاج في استمرار إلى من يصونها

141 بداية العلاج الأحمد بالالتزام إتفاق مكة

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 يونيو (حزيران) 2021

إستحضار المحاولة التوفيقية التي أخذها على عاتقه الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسُميت "إتفاق مكة" لإنهاء التنافر بين حركتي النضال الفلسطيني "فتح" و "حماس"

143 من أجل الدولتين بدل الثلاث

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 9 يونيو (حزيران) 2021

عن برقية دون سائر البرقيات من الملك عبدالله بن عبدالعزيز تلقاها المؤتمر السادس لحركة "فتح" ومنه إلى رموز الصراع الفلسطيني _ الفلسطيني

144 تلك إيران التي تريح وترتاح

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 15 يونيو (حزيران) 2021

... وعن حالة إنفراج في العلاقة الإيرانية حدثت في عهد الرئيس محمد خاتمي وعكست إنطباعاً بأن تلك هي إيران التي يرتاح الجار العربي لها

145 في التأجيل السلامة

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 21 يونيو (حزيران) 2021

تساؤل يستهدف تعطيل أزمة قد تنتهي صراعاً مريعاً بين أثيوبيا وكل من مصر والسودان وذلك بتأجيل تشغيل "سد النهضة" إلى حين التوافق

147 تجارب رائدة برسم ذكرى الأمير الغائب الحاضر

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأحد 20 يونيو (حزيران) 2021

خواطر من جانب الصحافي والكاتب (فؤاد مطر) عن محاربين قدامى في رحاب السلطة الرابعة، وأما المناسبة فإنها الذكرى الثامنة عشرة لرحيل الأمير أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز وتسلم دفعة قيادة "الشرق الأوسط" شقيقه الأمير الدكتور فيصل

- 149 فلسطين الشاردة بين عباسيها
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 27 يونيو (حزيران) 2021
عندما بات ومن باب المصادفة، لفلسطين عباسيين اثنين. محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية والدكتور منصور عباس الشريك في الحكومة الإسرائيلية
- 151 من "العلا" إلى بغداد.. الطمأنينة تتسع
كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 30 يونيو (حزيران) 2021
عند إنتقاء الجمع الثلاثي في بغداد (مصر. العراق. الأردن) ساد الشعور بأن اللقاء يشكل خطوة مهمة على طريق إستعادة الدولة العراقية توازنها السياسي والإقليمي
- 152 الكرملين شاغل بال السودان بعد مصر
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 19 يوليو (تموز) 2021
كيف أن روسيا البوتينية شكّلت حالة إنشغال بال لبعض الوقت لدى أهل الحُكم السوداني تشبه في بعض موجهاتها حال إنشغال البال الساداتي مع كرملين بريجنيف ورفاقه
- 153 فؤاد مطر في قراءة غير تقليدية لمذكرات الراحلة جيهان السادات
كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 19 يوليو (تموز) 2021
قراءة غير مسبوقة للمذكرات التي حرصت السيدة جيهان السادات وبعد إنقضاء حزنها على زوجها الرئيس، على إصدارها، كاشفة عن بعض الأسرار والخطوات
- 170 بوتين.. ومازقه السوداني
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 21 يوليو (تموز) 2021
تأملات في مازق سوداني لم يتوقع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن يواجهه وهو الذي اعتاد على عدم تحمّل الخذلان العراق الأميركي.. وأميركا العراقية
- 171 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 1 أغسطس (آب) 2021
حول ما يرمي إليه رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي من الزيارة التي قام بها (يوم الثلاثاء 27 يوليو/ تموز 2021) إلى "أميركا بايدن"
- 173 زمن السودان ذو البوابتين
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 10 أغسطس (آب) 2021
عندما بات السودان المغيّب بعدما كان غائباً، يتصدر في عهدة رئيس الحكومة عبدالله حمدوك المشهد الدولي خطوة خطوة بأمل زوال حالة الحظ العاثر
- 174 قليل من التونسية.. فينتعش القلب اللبناني
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 18 أغسطس (آب) 2021
تساؤل عما إذا كانت إطلاقات الرئيس التونسي قيس بن سعيد ومثابرته في التصدي للفساد والمفسدين تشكّل أمثلة يُقتدى بها في لبنان
- 175 أضعاه... وأي وطن أضعاه
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 22 أغسطس (آب) 2021
الضائع هو لبنان الذي وضعه الحادب السعودي _ العربي _ الدولي من خلال إتفاق الطائف في دائرة السلامة، ليتولى سيئو التصرف من بني قومه اللبنانيين تضيقه

- 177 فرصة تلو فرصتين.. ولا من يبادر ..
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 23 أغسطس (آب) 2021
 تساؤل عن ثلاث فرص يمكن لو أخذ بها الثنائي الشيعي (حسن نصرالله، نبيه بري) أن تصبح أحوال لبنان أفضل إقتصادياً وتنموياً
- 179 الإنسحاب بأقل العواقب.. وأكثر المكاسب
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 31 أغسطس (آب) 2021
 عندما يكون الإنسحاب من ورطة حرب عملاً لمصلحة الدولة والشعب، فيما عدم الإنسحاب يُنتج المزيد من المتاعب والتعقيدات
- 180 سبتمبر الحزين.. من لبنان إلى نيويورك
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 4 سبتمبر (أيلول) 2021
 نظرة على بدء موسم الدراسة الحزين في لبنان والأجواء الكئيبة التي يعيشها طلاب جزاء الأحوال الكثيرة السوء في وطنهم مقارنة بالأجواء المستقرة للطلاب في دول الخليج
- 182 بالعربي الأفصح من "الحكيم" إلى "العنيد".
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 8 سبتمبر (أيلول) 2021
 حول إرتضاء الرئيس اللبناني الجنرال ميشال عون التخاطب الذي يتسم بعبارات من التهكم يقذفه بها أطراف من الشعب وقامات حزبية
- 183 لغز إستيعاب الإستهانة بالجنرال
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 15 سبتمبر (أيلول) 2021
 ... ولماذا لا يأخذ الجنرال _ الرئيس ميشال عون في الإعتبار هذه الإستهانات به وبالذات من حليفه عاطفياً الدكتور سمير جعجع
- 185 ضوء الشرفة الأخضر.. وضباب الباب الأعلى
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 سبتمبر (أيلول) 2021
 ما الذي جعل رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي لا يتوجه إلى الرياض للتهنئة بالذكرى الواحدة والتسعين لليوم الوطني السعودي ومنها يتوجه إلى باريس
- 186 تدوير الرئاسة اللبنانية... يا لتلك التخريجة
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 29 سبتمبر (أيلول) 2021
 حول صيغة تم الأخذ بها في سنوات سبقت إعلان دولة لبنان دولة مستقلة، وتتمثل في أن رئاسة الدولة لا تقتصر على الطائفة المارونية دون سائر الطوائف المسيحية
- 187 مكافأة للأرثوذكسي أم رسالة إلى الماروني
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 7 أكتوبر (تشرين الأول) 2021
 ... وهل كان تعيين الـأرثوذكسي المحامي بترو طراد من قبَل سُلطة الإنتداب الفرنسي مكافأة له أو خطوة على طريق تدوير الرئاسة ورسالة برسم الطائفة المارونية؟
- 189 مكائدات على مستوى القمة
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2021
 تأملات في مكائدات أبطالها بعض الذين في قمة السُلطة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان والرئيس الأميركي جو بايدن فضلاً عن الرئيس التونسي قيس بن سعيد

- 190 حدث سعودي للإستهزاء العراقي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2021
- كيف أن وزير الثقافة السعودي الأمير بدر بن فرحان بإستضافة وزير الثقافة في العراق حسن ناظم ضيف الدورة 2021 لمعرض الكتاب في الرياض شغل حالة للإستهزاء العراقي
- 191 خير الأمور إستدامة الشراكة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 20 أكتوبر (تشرين الأول) 2021
- في ظل الصراع المرير بين الطيف المدني والطيف العسكري في السودان فإن خير الأمور يكون بشراكة مستديمة
- 193 تأملات في ثلاث حالات مستعصية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2021
- قراءة في ثلاث من الحالات المستعصية في العالم العربي باتت تحتاج إلى حلول واقعية: حالة لبنان. حالة السودان.. حالة العراق
- 194 موعد مع الإعجاز السعودي الثاني
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 4 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- حول فصل جديد في المشهد الدولي يتمثل في تخضير المملكة العربية السعودية بحيث ستكتسي أرضها بكل أنواع الشجر والزهر
- 196 مصطفى الكاظمي بعد رفيق الحريري
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- مقارنة بين الذي أصاب رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري وإنتهى بإغتياله وبين ما مُني به مصطفى الكاظمي عندما حاولوا تصفيته
- 197 الطريق سالكة إلى مغفرة الذنوب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- كيف أن من شأن كلام يقوله رئيس الجمهورية اللبنانية ميشال عون في حق المواقف الخليجية وبالذات السعودية يجعل هامش الأزيمة معها تتقلص بالتدرج
- 199 أولويات تجاه السودان فتأخرت تجاه "الدولتين"
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- مزيد من التأمل في الأحوال التي تزداد تعقيداً في السودان بين الطيف المدني والطيف العسكري وما هي الأولويات تجاه السودان بعد إهتزاز صيغة التشارك المدني _ العسكري وإستمرار جولات المنتفضين
- 200 لاءات سودانية محسومة.. وتحذيرات أممية ودودة.
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- حول وضع مرتبك يعيشه السودان تحت سماع مسؤولين في دول كبرى وبصرها وبالذات في الإدارة الأميركية وكرمين الرئيس بوتين
- 202 القمة العربية.. إن هي عُقدت
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021
- تساؤلات في شأن القمة العربية التي من المقرر عقدها يوم 28 مارس/ آذار 2022 وما هي إستعدادات الجزائر لإستضافتها فيما التوتر مع المغرب على حاله
- 203 كي لا تكون "داعش شيعية"
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 2 ديسمبر (كانون الأول) 2021
- تقديراً للخشية من أن تنشأ عن الشحن المذهبي ولادة "داعش شيعية" ويكون ذلك بمثابة ذريعة لإعتبار الطائفة الشيعية حالة إرهابية

- 205 المبادرة مقابل التطبيع.. وعلى الأرض السلام.....
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 4 ديسمبر (كانون الأول) 2021
 تساؤل على هامش حالات التطبيع غير المكتملة مع إسرائيل وهو: أليس كان حلاً أفضل أن يكون القبول من جانب إسرائيل
 بمبادرة السلام العربية شرطاً للتطبيع؟
- 206 تأملات في قمة حُرَّاس جيل التأسيس
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 23 ديسمبر (كانون الأول) 2021
 وأما حُرَّاس جيل التأسيس فإنهم ملك البحرين، وليّ عهد السعودية، رئيس دولة الإمارات، أمير قطر، أمير الكويت، سلطان
 عُمان. وهؤلاء أمناء على تراث الذين أسسوا ووضعوا الصيغة التي تُحقق الثبات
- 208 في إنتظار الأمناء الثلاثة.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 29 ديسمبر (كانون الأول) 2021
 تمنيات لو أن الأمناء العامين (الجامعة العربية. المؤتمر الإسلامي. مجلس التعاون الخليجي) يحذون حذو الأمين العام للأمم
 المتحدة غوتيريش ويزور كل منهم لبنان بأمل مداواة أحواله الصعبة
- 213 لبنان المريض.. والمرضى.. والممرضون
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 5 يناير (كانون الثاني) 2022
 عن لبنان المبتلى بأعراض المرض الذي أحدثه في صيغته المتوازنة سياسيون وحزبيون مرضى لا يبسرون الأمور أمام من
 في إستطاعته أن يداوي
- 214 "بشير" لبنان... و"قاسمه" الإيراني
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 13 يناير (كانون الثاني) 2022
 مجرد مقارنة بين النهج الذي إختطه وسار عليه في لبنان بشير الجميل وذلك النهج المماثل في بعض ملامحه وعملياته للجنرال
 قاسم سليمان في إيران وبعض دول المنطقة
- 215 لبنان عبد الحليم خدام.. ولبنان محمد صبرا
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 14 يناير (كانون الثاني) 2022
 إستحضار ذكريات وتأملات حول واقعة سياسية حدثت على هامش حراك سياسي عربي بين وزير خارجية سوريا عبدالحليم
 خدام وسفير لبنان في القاهرة محمد صبرا
- 217 لغة الكلام الحاد و"الفتيو المقاوم"
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 26 يناير (كانون الثاني) 2022
 إستهجان عبارات تصدر أحياناً عن مسؤولين سياسيين عمداً أو دون قصد وتشكّل أزمات عصية على الحل أو خصومة مستديمة
- 218 التعسكر والتمددين في المسألة السودانية.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 31 يناير (كانون الثاني) 2022
 مضامين خمس ملاحظات حول ظاهرة التعسكر والتمدين التي تزداد إزدهاراً في السودان وتنتهي إمعاناً في تصدعه
 وفقدان دوره وثروته
- 220 المملكة من محمد تأسيساً.. إلى محمد إستكمالاً.....
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 5 فبراير (شباط) 2022
 تأملات في أحوال المملكة العربية السعودية من بداية التأسيس الأول (الإمام محمد بن سعود) إلى ملامح بداية التأسيس الثاني
 في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز ووليّ العهد الأمير محمد بن سلمان

- 222 أمانة الإرث.. وكابوس الترويس
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 15 فبراير (شباط) 2022
- حول ما يعانيه الرئيس سعد الدين الحريري من مصاعب يضعها بعض أهل السياسة والأحزاب في طريق إنطلاقته وعلى نحو ما كان يواجهه الوالد الرئيس رفيق الحريري
- 224 كي لا يشبه اليوم البوتيني البارحة الصدامية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 20 فبراير (شباط) 2022
- تساؤلات عما قد تنتهي إليه حرب الرئيس فلاديمير بوتين على أوكرانيا بمثل ما إنتهت إليه الغزوة الصدامية للكويت
- 225 ثلاث مباغآت متلاحقة... والله المعين
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 1 مارس (آذار) 2022
- عن محاولات من جانب مرجعيات دولية وأفريقية وإقليمية من أجل إقناع رئيس الحكومة الأثيوبية أبي أحمد بتقهم حساسية "سد النهضة" لكل من مصر والسودان
- 227 مبادرة خليجية لدى بوتين وبايدن.. ولم لا
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 4 مارس (آذار) 2022
- ... ومبادرة من جانب دول الخليج تستهدف إقناع الرئيسين فلاديمير بوتين وجو بايدن بوضع تسوية للحرب الروسية _ الأطلسية التي قد تحدث في أي لحظة
- 228 المشهد العربي المأمول من القمة الخريفية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 16 مارس (آذار) 2022
- تأملات إستباقاً للقمة العربية التي ستعقد في أيام من فصل الخريف وهي التي كان إنعقادها يتم في أيام من فصل الربيع
- 230 جيران السعادة والتعاسة لروسيا المتحرشة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 21 مارس (آذار) 2022
- في إنتظار ما ستنتهي إليه حرب روسيا على أوكرانيا، كيف هي أحوال الناس في فنلندا المحايدة التي قررت التخلي عن حيادها
- 231 الهداية المأمولة في الشهر الفضيل
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 27 مارس (آذار) 2022
- تمنيات بأن يكون شهر الصوم فرصة أمام اليمنيين وبالذات اليمن الحوثي للتأمل في ما جرى للوطن الذي ينتظر منهم الهداية
- 232 إشكالات الجوء الأوكراني بعد الفلسطيني
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 6 أبريل (نيسان) 2022
- كيف بات لجوء مئات الألوف من الأوكرانيين إلى دول الجوار يمثل لجوء آلاف الفلسطينيين بعد إحتلال الحركة الصهيونية فلسطين العربية بتشريع دولي ودعم غربي
- 234 ربيع رمضاني واعد
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 13 أبريل (نيسان) 2022
- كيف أن التوافق الذي حدث من جانب ثلاثة أرباع أهل اليمن بدا خلال إبريل/ نيسان 2022 عبارة عن ربيع واعد
- 235 اللهم إنقها فاترة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 21 أبريل (نيسان) 2022
- تلك هي دعوة الناس من القطب إلى القطب بأن لا تتجاوز الحرب الروسية _ الأطلسية حالة الفتور إلى حالة الغليان.. فالإنفجار

- 237 على طريق إسكات المدافع
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 28 أبريل (نيسان) 2022
كيف أن من شأن زيارة يقوم الأمين العام للجامعة العربية والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والأمين العام لمجلس التعاون الخليجي إلى موسكو ترويض الرئيس بوتين قليلاً فيوقف حربه على أوكرانيا
- 239 قمتا التيسير لمعالجة التعسير
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 4 مايو (أيار) 2022
وأما قمة التيسير فإنها "قمة العشرين" التي إنعقادها في جزيرة بالي الأندونيسية وأما التعسير فإنه موقف بوتين الذي لا يوقف الحرب اللبناني وأشقائه الصابرين على الضيم
- 240 صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 14 مايو (أيار) 2022
- كيف أن اللبناني وبعض الأصدقاء العرب أمضوا ست سنوات عجاف ويحدهم الأمل بأن ما بعد الصبر الطيب طمأنينة وراحة بال الهلترية داء... والتواضع دواء
- 242 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 16 مايو (أيار) 2022
- حول فرصة أضعاف رموز الحرب والمواجهة كثيرة الشبه بتلك الفرصة التي حدثت في الستينات وتمثلت بـ "حركة عدم الإنحياز" وطن على مشارف التعافي
- 243 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 19 مايو (أيار) 2022
- تقاؤل بأن الساعة ستدق لتبشر الشعب اللبناني بأن الوطن المبتلى بعلّة التحزب والتعصب لا بد في طريقه نحو التعافي ما تمنيته لـ "السيد المقاوم" و لـ "الأستاذ الآمل"
- 244 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 25 مايو (أيار) 2022
- تأملات بصيغة التمني من جانب (الكاتب فؤاد مطر) حول ما أراه نهاية كريمة للسيد حسن نصرالله وللرئيس نبيه بري حكام يأكلون الحصرم ومحكومون يضرسون
- 246 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 1 يونيو (حزيران) 2022
- تأملات في خطوة إتخذها الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي تعوض مصر ما تسببت به سياسات روسية _ أطلسية عن فلسطين الدولة الرباعية الأبعاد الدينية
- 248 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 5 يونيو (حزيران) 2022
- قراءة في الأحوال الفلسطينية في ضوء واقعة إغتيال الإعلامية شيرين أبو عاقلة. وتسؤال عما إذا كان الرئيس الأميركي جو بايدن يصحح رد فعله الباهت على الواقعة
- 250 خواطر على هامش "أوتوبيسات الأم الحنون" .. و"سلاح العم المعاقب"
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 14 يونيو (حزيران) 2022
- حول هدية أوتوبيسات، تلقّاها لبنان من فرنسا بأمل حل إحدى مشاكله الكثيرة، لكن التناسي طوى الهدية نجدة سياحية سعودية خليجية.. فتطمئن النفوس
- 251 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 19 يونيو (حزيران) 2022
- كيف أن نفوس اللبنانيين لا بد تطمئن في حال حدثت نجدة سياحية سعودية _ خليجية للبنان الذي باتت الحال فيه تحتاج إلى المزيد من نجدات الأصدقاء المستقرين والمقتدرين

- 253 أفعال صغيرة من حكام كبار
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 22 يونيو (حزيران) 2022
- حول ممارسات من بينها تحدي المشاعر تقوم بها جهات محلية بتحفيز من مرجعيات خارجية مما يتسبب في المزيد من الإحتقان
- 256 تأملات وخواطر حول الجولة والقمة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 2 يوليو (تموز) 2022
- كيف كان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في مقدمة مستقبلي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في مطار القاهرة يوم الإثنين 20 يونيو/ حزيران 2022
- 257 فرصة ضاعت على لبنان المجلّ بالشدائد
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 9 يوليو (تموز) 2022
- إضاءة على فرصة جديدة أضاعها أهل الحُكم في لبنان وكان من شأن الإستفادة منها تصحيح أمور كثيرة
- 259 بوليصه نصرالله.. ووصفه سريلانكا
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 18 يوليو (تموز) 2022
- يوم إقترح الغاضبون في سريلانكا جلسات طعام وشراب لمسؤولين في مطاعم، وتساؤل عما إذا كانت هذه ليست أمثلة برسم السيد حسن نصرالله
- 260 جنرال رابع على الدرب.. ربما يصل
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 27 يوليو (تموز) 2022
- القصد من ذلك أن من سيخلف الجنرال ميشال عون في رئاسة الجمهورية ربما يكون الجنرال الرابع الذي سيتأخر البلاد بعد الثلاثة السابقين في حقبة "لبنان السوري _ الإيراني": إميل لحود. ميشال سليمان. ميشال عون
- 262 هيهات من الصدرية الذلة المالكية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 4 أغسطس (آب) 2022
- تأملات في مفاجآت السيد مقتدى الصدر ومدى تأثير هذه المفاجآت عراقياً وأميركياً وإيرانياً
- 263 وداعيتان وإستقبالان في زمن لبنان الدولتين
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 9 أغسطس (آب) 2022
- حول وداعية من سفير بريطانيا لمناسبة مغادرته تضمنت مشاعر وجدانية. وداعية من سفير إيران خلت كلماتها من النصح والتمنيات
- 265 "أم الدورات الأممية".. والتي بعدها
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 16 أغسطس (آب) 2022
- خواطر حول الدورة العادية السنوية للجمعية العامة للأمم المتحدة (الدورة السابعة والسبعون) التي يأمل المتضررون في العالم من سلوك بعض الحكومات أن تكون دورة تصحيح حالات كثيرة
- 268 اليد المغربية.. للمصافحة الجزائرية
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 24 أغسطس (آب) 2022
- قراءة في مبادرة من جانب الملك محمد السادس تجاه إسرائيل بأمل أن يلتقطها الجار فيرد عليها بأحسن منها أو بمثلها من حُسن النية وليس الشكل والموضوع

- 270 حزن بكل صديق.. وانتظار إنصراف بفارغ الصبر.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 سبتمبر (أيلول) 2022
حول حالتين لافتتين في المشهد الدولي العربي: مشهد الحزن الشعبي الصادق على رحيل الملكة اليزابيث الثانية. وانتظار
بفارغ الصبر لإنصراف عهد الرئيس اللبناني ميشال عون
- 272 الوعد الصادق في ذكرى اليوم الوطني.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 25 سبتمبر (أيلول) 2022
كثير من التمني لو تستعيد أطياف سياسية لبنانية مسيحية _ مسلمة جوهر ما تبادلته في رسائل الملك عبدالعزيز والرئيس
اللبناني الأول في عهد الإستقلال بشاره الخوري
- 274 جنرال للمرة الأخيرة بعد القمة العربية.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أكتوبر (تشرين الأول) 2022
بعدما ظهر الجنرال عبدالفتاح البرهان على المشاركين في القمة العربية في الجزائر بالبدلة المدنية ساد الإنطباع بأنه يتطلع إلى
الرئاسة وبذلك يكون جنرالاً للمرة الأخيرة
- 276 فرصة تعوض فرصة ضاعت.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 13 أكتوبر (تشرين الأول) 2022
حول الفرصة التي ضاعت ونعني بذلك دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة. أما الفرصة التي يمكن أن تعوض ما لم تعوضه
الدورة الأممية، فإنها قمة العشرين
- 277 شاطئ جديد للسفينة الفلسطينية الحائرة.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2022
... وأما المرفأ الذي رست السفينة على شاطئه فإنه الجزائر وبالذات من رئيسها عبدالمجيد تبون الأكثر حماسة لتحقيق الوفاق الفلسطيني
- 279 الكلام الروحي الأصدق من السياسي.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 أكتوبر (تشرين الأول) 2022
ما نقصده بالكلام الروحي الأصدق من السياسي هو ما درج البطريرك الماروني بطرس الراعي على قوله تشخيصاً وتحذيراً
في عظات قداس يوم الأحد من الأسبوع
- 281 رئيس ولى.. فمن سيتولى.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 2022
تساؤلات في ضوء ما إنتهى إليه أمر رئاسة الجنرال ميشال عون للجمهورية وما سيحدث لاحقاً في شأن عدم تزك كرسى الرئاسة
لا عثور على من يكون له
- 283 المأمول من الجزائر على طريق "لم الشمل".....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 2022
عن كثير من الآمال المعقودة على الجزائر في الشمل الثابت خلال إستضافة إنعقاد القمة العربية فيها وكانت بشهادة كثيرين
إستضافة مشهودة من حيث التوق إلى العروبة
- 284 تأملات في قمم المنتجعات.....
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2022
... وأما قمم المنتجعات من قمة شرم الشيخ إلى قمة العشرين في جزيرة بالي الأندونيسية فإن الآمال المعقود عليها كبيرة

- 286 الأعمال بالنيات بعد المصافحة الفاترة...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 3 ديسمبر (كانون الأول) 2022
قراءة في طبيعة المصافحة (التي كانت مقدمة للمصالحة) بين الرئيس التركي رجب طيّب أردوغان والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي برعاية من أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني
- 287 الرئاسة بهدوء المطران مكاريوس.. وغضب المرشد خامنئي
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 5 ديسمبر (كانون الأول) 2022
حول كم يتمنى اللبناني لو أن الرئاسة في لبنان تكون بالهدوء الذي إرتبط برئاسة المطران مكاريوس لجزيرة قبرص
- 289 البشائر السياسية بعد البشرى الكروية...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 ديسمبر (كانون الأول) 2022
كيف أن العام 2022 كان بشرى كروية مثلثة سعودية _تونسية _ مغربية إلى جانب بشائر العلاقة الصينية _العربية
- 291 أجنحة حان وقت رفرقتها
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 24 ديسمبر (كانون الأول) 2022
إفتراض أنه لو كانت هنالك أجنحة داخل كيانات حزبية لبنانية لكانت الأحوال في الوطن تختلف عما هي في غياب الممارسة الديمقراطية داخل الحزب الواحد
- 293 مبادرة التمني على أمل التبني...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 31 ديسمبر (كانون الأول) 2022
عن حالة لبنان بالمقارنة مع حالة يوسف الذي رماه إخوانه في الجب، لكن مشيئة الله أنقذته
- 294 المأمول للبنان من المرشد... وبما يُرضي الله...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 7 يناير (كانون الثاني) 2023
... وأما المأمول فهو أن يتم فك لبنان قليلاً من القبضة الإيرانية، فهل يفعل ذلك المرشد خامنئي؟
- 296 حسين وحسيني وأبو علي... الراحل مظلوماً...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 13 يناير (كانون الثاني) 2023
عن السيد حسين الحسيني بكل ما تحمله شخصيته من معاني أسماء والذي شكّل رحيله خسارة للبنان
- 298 الدولار.. ذلك السيد الآخر في لبنان...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 21 يناير (كانون الثاني) 2023
عندما بات دولار العم سام في ضوء إنهيار قيمة الليرة اللبنانية سيد الساحة لدى اللبناني في التعامل
- 299 التغييرون يعتصمون ... وورثة أمتولة الإمام ساهون...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2023
قراءة في حالة إعتصام قام بها أربعة من النواب اللبنانيين بأمل أن تؤدي مبادراتهم هذه إلى تحريك الوضع السياسي
- 302 كأنما سيناريو الرئيس سيعيد نفسه...
صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 28 يناير (كانون الثاني) 2023
حول إستحضار ظروف حالة ترئيس شخص بعينه للجمهورية في لبنان وإحتمال أن تتكرر الحالة

- 305 السلام قضية .. والسلامة مكيدة
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 1 فبراير (شباط) 2023
 حول بدعة السلامة لإسرائيل تنتشط إدارة الرئيس جو بايدن في السعي من أجلها عن طريق ترؤس نتنياهو الحكومة
- 307 الفساد المتنقل بين المحيط والخليج
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 4 فبراير (شباط) 2023
 عن ظاهرة تقشّي الفساد في العديد من المجتمعات السياسية العربية يتصدرها لبنان والعراق والسودان واليمن وسوريا
- 308 حربهم لا تتوقف.. وحربنا قد تبدأ
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 18 فبراير (شباط) 2023
 قراءة في مصير حالات من الحروب حدثت ودفعت الشعوب الأثمان الغالية، وفي نُذر حرب أو ربما أكثر على طريق الحدوث
- 310 ثلاثية بدل ثلاثية.. ويسلم الجميع.....
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 26 فبراير (شباط) 2023
 كيف أن اعتماد "المقاومة الإجتماعية" صيغة بديلة لـ "المقاومة المسلحة" تحقق إزدهاراً للبنان الدولة والشعب... وللطائفة الشيعية بالذات
- 312 فضاء العرب.. من سلطان إلى سلطان
 كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 27 فبراير (شباط) 2023
 تأملات في ريادة من جانب الإماراتي سلطان للفضاء مع إستحضار البداية العربية لريادة الفضاء قام بها الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز
- 313 من سيفوز بالجوهرة السوداء
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 1 مارس (آذار) 2023
 نظرة على التطورات التي تحدث في دول أفريقيا، وكيف أن صراع الدول الكبرى على هذه "الجوهرة السوداء" يتزايد
- 315 إستحقاقات رئاسية... ومسعى سعودي مأمول ومقبول
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 مارس (آذار) 2023
 قراءة في مسعى سعودي مأمول ومقبول من شأن الأخذ به وتطويره المباشرة بإطفاء لهيب الحرب الروسية _ الأوكرانية
- 317 النصح بمفردات البلاغ رقم واحد الروحي
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 16 مارس (آذار) 2023
 عندما يأتي النصح التحذيري من جانب المرجع الروحي البطريرك الراعي يرسم أن يأخذ به أهل السياسة في لبنان وبمفردات "البلاغ رقم واحد"
- 318 سواء السبيل في إعادة النظر
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 23 مارس (آذار) 2023
 كيف أن إعادة النظر في سلوك حكام تعيش دولهم حالات من الحرب والصراعات، من شأنها تحقيق طمأنينة للأوطان وللمواطنين
- 320 لو يحدو بوتين حدو عبدالناصر
 صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 26 مارس (آذار) 2023
 تساؤلات على خلفية الحرب الروسية . الأوكرانية من بينها حول الرئيس بوتين ولماذا لا يقلد جمال عبدالناصر في خطوة تاريخية إتخذها

- 322 للإحتجاج وجهان.. الحضاري والمتوحش
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 29 مارس (آذار) 2023
- تأملات في ظاهرة الإحتجاج التي تقوم بها شعوب ومنها على سبيل المثال تظاهرات حدثت في كل من لبنان وإسرائيل
- 323 خطوة مهمة في إنتظار الأهم
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 4 أبريل (نيسان) 2023
- كيف أن خطوة يخطوها أهل العمل الحزبي والسياسي في لبنان من شأنها إفساح المجال أمام الخطوة الأهم .. أي إنتخاب رئيس للجمهورية
- 324 الوفاق الذي لن يبقى مستعصياً
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2023
- عن لقاء في بكين بين وزير خارجية السعودية ونظيره الإيراني حسين أمير عبداللهيان أفرز إنطباعات بأن الوفاق لا يبقى على ما كان عليه من الإستقصاء
- 325 بتوافر حُسن النية تطمئن النفوس
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2023
- كيف أن غياب توافر حُسن النية من جانب أثيوبيا في موضوع "سد النهضة" يُعقّد الأمور مع مصر والسودان
- 327 جيش واحد.. لا جيشين كما لا "جيوش"
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 16 أبريل (نيسان) 2023
- كيف أن ظاهرة "الجيش الثاني" إلى جانب "الجيش الرسمي" كما الحال على سبيل المثال في لبنان كلاهما ليسا لمصلحة الأمن الوطني
- 328 مسلسل رمضاني حربي غير مستحب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 21 أبريل (نيسان) 2023
- حول "حرب الجنرالين" في السودان وكيف لم يأخذ الجنرالان المسلمان في الإعتبار أنها بدأت في الأيام العشرة الأواخر من الشهر الفضيل (رمضان)
- 330 قراءة في فئجان حُرْبَة الجنرالين
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 أبريل (نيسان) 2023
- .. وقراءة في كلام صدر عن الجنرالين عبدالفتاح البرهان وعن رفيق سلاحه اللدود محمد حمدان دقلو (حميدتي)
- 332 موسم النزوح من السودان
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 2 مايو (أيار) 2023
- كيف أن "حرب الجنرالين" بدأت تدفع بأطراف من السودانيين إلى النزوح إما إلى مناطق آمنة أو إلى خارج السودان
- 333 موعد مع قمة التيسير
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 مايو (أيار) 2023
- بعض الآمال المرجوة للمنطقة بعد اللقائين الدبلوماسي ثم الأمني في بكين بين الجانبين السعودي والإيراني برعاية صينية
- 334 الإبن ياسر سر أبيه هاشم
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 14 مايو (أيار) 2023
- حول كلام نقله الصحافي عيدروس عبدالعزيز عن الفريق ياسر العطا وبدا فيه كما والده (الراحل) الضابط هاشم أحد مجموعة إنقلابية لنظام نميري أن الإبن ياسر سر أبيه هاشم

- 336 بداية عهد جديد لصيغة القمة العربية
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 20 مايو (أيار) 2023
- قراءة في القمة العربية التي كان قصّ شريط إفتتاحها يوم الجمعة 19 مايو/ أيار 2023 كما إستضافتها في رحاب الملك سلمان بن عبدالعزيز بداية عهد جديد لصيغة القمة
- 338 خارج النص.. والأصول.. وبُعد النظر
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 مايو (أيار) 2023
- عن حالتين خارج الأصول وبُعد النظر حدثتا بعدما سادت أجواء الطمأنينة في المنطقة بفعل نسائم القمة العربية في جدة
- 339 كيسينجر.. وبيا لتلك الثغرة (1)
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 31 مايو (أيار) 2023
- عن الدكتور هنري كيسينجر ودوره المريب في لغز "ثغرة الدفوسوار" لتفادي خروج إسرائيل بهزيمة من جيش مصر
- 340 مشاركة لبنانية مصرية لإستكشاف كيسينجر(2)
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 13 يونيو (حزيران) 2023
- إضاءة على رؤى كيسينجر الذي إرتبط العمل الدبلوماسي الأميركي في شخصه حتى بعد تقاعده
- 341 ملامح إستراحات من ضجيج الصراعات
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 20 يونيو (حزيران) 2023
- قراءة في حالات من الحراك السياسي أبرزها أن العَلم السعودي عاد يرفرف في سماء طهران ونظيره الإيراني في سماء الرياض وجدة
- 343 تأملات في الليل الحزبي.. وشمس الطمأنينة.....
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 27 يونيو (حزيران) 2023
- بداية إطلاقات ومقاربات حول الليل الحزبي في العالم العربي قد تنمر إشراقة شمس الطمأنينة تغمر نفوس التواقين إليها
- 344 ولماذا لا تكون إعادة مقايضة.....
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 30 يونيو (حزيران) 2023
- كيف أن الأخذ بصيغة مقايضة في لبنان بين من يتولى رئاسة الجمهورية ومن يتولى رئاسة الحكومة ربما ييسر الأمور العالقة
- 346 العرب والهند.. سر العلاقة المتوازنة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 6 يوليو (تموز) 2023
- حول أهمية العلاقة بين العرب والهند، إنما عندما تكون متوازنة وتكون العوائد منها ليست لمصلحة طرف مقابل آخر
- 347 لا إغضاب... فلا غضب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 14 يوليو (تموز) 2023
- في ضوء صيغة الوفاق بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية في إيران من الموجب تقادي الإغضاب بعد إنحسار متدرج للغضب
- 348 المنطقة ذات المسلسلين.....
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 17 يوليو (تموز) 2023
- نظرة على موقف أميركي - أوروبي في شأن صيغة الدولتين كحل للصراع العربي _ الفلسطيني يقابله صمود في النضال الفلسطيني

- 350 التقرير الفرنسي لـ اللبناني المبثلي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 20 يوليو (تموز) 2023
- عندما تصل الحالة الدبلوماسية الفرنسية في موضوع أزمة الرئاسة في لبنان إلى درجة إستعمال كلمات تتسم بالتقرير
- 351 حكمة العقلاء.. ونزوات الحروب
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 يوليو (تموز) 2023
- نظرة على حقبة جديدة من الإستراحة السياسية ربما تحمل إيران على إعتداد نهج تصفير الأزمات وتلتقي بذلك مع النهج الذي بدأ أردوغان يسعى إليه
- 353 الضارة التي نفعت
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 27 يوليو (تموز) 2023
- المقصود بـ الضارة حرب الجنرالين في السودان (البرهان وحميدتي) وأما النفع فيتمثل بلقاء بين الرئيس السيسي ورئيس الحكومة الأثيوبية
- 354 نعيم الاستقرار من نعمة التجدد
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 أغسطس (آب) 2023
- مسعى الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون لتعزيز الاستقرار تفادياً للمحاذير
- 355 أرصف الغليان وسماء المسيرت
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 4 أغسطس (آب) 2023
- نظرة على ما حدث في جمهورية مالي ضد فرنسا وعلى إستهداف الكرملين وموسكو مراراً بالمسيرات الأوكرانية
- 356 من باندونغ إلى جدة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 10 أغسطس (آب) 2023
- حول إعادات نظر في الرؤى وفي المواقف تثير الدهشة وترسم في الأفق ملامح خرائط وعلاقات جديدة بعضها بين أصدقاء
- 357 لبنان التدثير.. والتدثرون
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 14 أغسطس (آب) 2023
- عندما يستقوي الصهر جبران باسيل بوالد زوجته الرئيس ميشال عون وبذلك يمارس الدور الذي لا قدرة له على ممارسته لولا تدثير والد الزوجة الرئيس له
- 358 نوم على أزمة وإستيقاظ على محنة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 17 أغسطس (آب) 2023
- كيف أن اللبناني ينام على أزمة طرفاها دولته الرسمية و"دولة حزب الله" ويصحو على محنة طرفاها دولته مع "دولة حاكم البنك المركزي"
- 359 أزمة أينعت.. وحان أمر حسمها
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 22 أغسطس (آب) 2023
- نظرة على محاولة لمعالجة أزمة "سد النهضة" بين مصر وأثيوبيا، قد تثمر حلاً لو قام بها زائر أديس أبابا الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد العيسى
- 360 الفرصة منجاة لمن يلتقطها
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 24 أغسطس (آب) 2023
- كيف أن جنرالِي الحرب العنثية في السودان البرهان وحميدتي أضاعا فرصة من شأن الأخذ بها إختصار ويلات السودان

- 361 قراءة في مخاطرة نجلاء بنغازي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 30 أغسطس (آب) 2023
- تساؤلات مقرونة بالتحليل الموضوعي لما أقدمت عليه وزيرة الخارجية اللبنانية نجلاء المنقوش بلقائها مع وزير الخارجية الإسرائيلية في روما
- 363 رهان البرهان.. وما بعده
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 1 سبتمبر (أيلول) 2023
- تساؤلات في شأن ما يدور في خاطر الجنرال عبدالفتاح البرهان وإلى أين سيقود بموجه السودان
- 364 ولادة رئاسية... ولو جاءت قيصريّة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 6 سبتمبر (أيلول) 2023
- حول عقدة الرئاسة اللبنانية المستعصية الحل والتي إستيلادها بات أمراً ضرورياً من جانب المسعى الفرنسي
- 366 تفعيل الوعظ بعدم إغفال الأسماء
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 12 سبتمبر (أيلول) 2023
- كيف أن المرجعيات الروحية لا تتوقف في قداديس الأحد وفي حُطْب صلاة الجمعة عن وعظ رموز الأزمة اللبنانية.. إنما من دون تسمية المؤرّمين بالإسم
- 367 يوم وطني جديد... وأكثر تجدداً
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 23 سبتمبر (أيلول) 2023
- تأملات في مناسبة الذكرى الثالثة والتسعين لليوم الوطني السعودي وكيف أن التجدد المتواصل يلزم هذه الذكرى
- 369 المحروسة... وموعد مع حارسها
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
- قراءة مسبقة لإنتخابات الرئاسة المصرية بإعتبار أن الرئيس الحالي هو مَنْ سيفوز بولاية جديدة كونه حارس الجمهورية
- 370 رئاسة وطن.. الحلم والكابوس
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
- إستحضار تجربة رئاسية في لبنان برسم الذين يمارسون العمل السياسي الذي لم يثمر إنتخاب رئيس للبلاد
- 372 حوار روحاسي لا يشفي عبْر المحيط
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 6 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
- ... وكيف أن أزمة الرئاسة في لبنان ستبقى على ما هي عليه إلا إذا حدث حوار سياسي _ روعي يعالج الأزمة ويعطل مقومات الحل
- 373 التصدي المهم.. والتوظيف الأهم
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 11 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
- إستحضار رؤى من جانب وزير الحرية المصرية الفريق أحمد إسماعيل حول الحرب و"ثغرة الدفوسوار"
- 374 هوامش حول نعمة التبصر وجنون العظمة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
- تأملات في عوائد نعمة التبصر عند علاج الأزمات أو ما ينتج عن الحروب، وكيف أن جنون العظمة مآله الخسران أو الصدمات

- 376 مواقف ووقفات... لعلها تهدىء الرُوع
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 27 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
قراءة في مواقف أممية حول حرب "إسرائيل نتتياهو" على غزة وكيف أن الشعب اليهودي لا يتخذ وقفة رادعة من حكومته
- 378 خير فرصة ضيعوها
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2023
مرة جديدة لا يتنبه الشعب الإسرائيلي إلى ما إختاره نتتياهو للتعامل مع غزة، وبذلك يكون الشعب هو الخاسر أولاً
- 380 الدبلوماسية العلاج للمواقف المتعجلة
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023
إستحضار أسلوب وزير الخارجية الأميركية الأسبق (الراحل) وليم روجرز في معالجة الأزمات الصعبة قياساً بالأسلوب المعتمد في رئاسة بايدن
- 382 المعادلة التعجيزية في الجحيم الغزأوي
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023
كيف أن الفعل التدميري من جانب "إسرائيل نتتياهو" في غزة بات كأنه "عاشوراء غزأوية" أو "هولوكست" أكثر تطوراً من سلفه الهتلري
- 383 إيران أمتان وقمتان للأقصى وفلسطينه (1)
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023
قراءة مع مقارنات في القمة العربية _ الإسلامية في الرياض (12 نوفمبر / تشرين الثاني 2023) التي ترأسها ولي العهد السعودي رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان، وتلك القمة الإسلامية الأولى في الرباط (22- 23 سبتمبر / أيلول 1969)
- 386 ذات الهويتين.. من الرباط إلى الرياض (2)
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023
عندما شارك الرئيس الإيراني في قمة الأمير محمد بن سلمان عادت بنا الذاكرة إلى مشاركة الشاه محمد رضا بهلوي في القمة الإسلامية الأولى في الرباط وما حدث فيها
- 387 بعض ثمار أينعت وبدأ قطافها (3)
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 5 ديسمبر (كانون الأول) 2023
نظرة على ما حققته من عوائد طيبة القمة العربية _ الإسلامية في الرياض
- 389 كيسينجر الخادع.. والعربي المخدوع
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 19 ديسمبر (كانون الأول) 2023
نظرة على أسلوب كيسينجر في التعاطي مع الصراع العربي _ الإسرائيلي من خلال لقاء مع محمود رياض وآخر مع أحمد الشقيري
- 390 أم الوقائع اللافتة على أرض المحروسة (4)
- كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 27 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023
إستحضار واقعة خصومة بين أنور السادات وشاه إيران في الرباط تطورت إلى وقفة تاريخية من جانب الرئيس السادات نحو الشاه الفاقد عرشه. ثم صحته
- 391 التجني عام 2023.. والتجني في العام 2024
- صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 26 ديسمبر (كانون الأول) 2023
تأملات في الذي حفل به العام 2023 من تجنيات أكثرها بشاعة حرب "إسرائيل نتتياهو" على غزة

المقالات من يناير 2020 إلى ديسمبر 2021



التمثيل المذهبي بكيانات مذهبة

هذا الذي أصاب العراق ثم سوريا وعلى أهبة أن تشمل الإصابة لبنان وفي الطريق إلى إلحاق ليبيا بالمصابين، هو في واقع الحال نوع من التمثيل المذهبي بكيانات أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون مذهباً بمعنى الثروات الطبيعية أو النفطية والمعادن الثمينة على أنواعها. والتمثيل المذهبي هنا هو توأم التعامل مع جثث من لا يكفي القتل بإزهاق أرواح أصحابها وإنما أيضاً التمثيل بالجثث لإزالة بريق معالمها وربما إبتسامة على شفاه المقتول كانت اللحظة ما قبل الأخيرة للإماتة من قاتل.

من الكيانات المذهبة هنالك على سبيل المثال لبنان الذي حياه الله على مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع موقعاً إستراتيجياً وتاريخياً تراثياً وطبيعة جئاتية فيها معظم أنواع الشجر إلى جانب السهول الخضراء والجبال التي تكفلها الثلوج وبضعة أنهار ومناخ من الحرية والديمقراطية يتماها مع المناخ الطبيعي. كما أن التنوع الطوائفي وبشتى مذاهبه ومدارسه وطقوسه كان بمثابة حالة تميز له على صعيد العيش المشترك. وفي ظل هذه المذهبة أبدع اللبناني وأدى قسطه للقضايا العربية والوطنية. ولا نغالي إذا نحن قلنا إن هذا الوطن الصغير ساهم بالحراك الوطني في مواجهة العدوان الثلاثي على مصر وضحي من خلال إستضافة المقاومة الفلسطينية على أرضه وعلى صفحات صحفه وفي شوارع مدنه. وأيضاً لا نغالي إذا نحن قلنا إن هذا الوطن الصغير ساهم بتحرير الجزائر من الإطباق الفرنسي على أنفاس نضالها للإستقلال وذلك من خلال الكتابات والمؤتمرات والحناجر الهاتفة خلال المسيرات والتظاهرات، بل إن الجنرال ديغول الذي تنشق وهو يعيش في منزله في قلب العاصمة بيروت نسائم الجهادات اللبنانية من جانب جيرانه المسيحيين والمسلمين المحيطة منازلهم بالمبنى الذي سكن في إحدى شققه، إرتأى عندما بات في موقع إتخاذ القرار أن يرى ضرورة رفع اليد الفرنسية عن الجزائر.

هذا الواجب الوطني الذي أداه لبنان منذ الأربعينات وحتى السبعينات كان بمثابة جوهرة في تاج المذهبة التي تكلم سمعته. بل إنه في الزمن الذي كان لبنان يؤدي هذا الواجب الوطني وبالذات الواجب تجاه فلسطين قضية لا

تغادر الوجدان وشعباً وجد الملاذ الأخوي، كانت كل من إيران الشاهانية وتركيا الأتاتورية غارقتين في عميق العلاقة مع الكيان الإسرائيلي الحديث الإستيلاد الذي إغتصب وطناً وشرّد شعباً. ولم يحدث أن إيران ولا تركيا أدّيتا كدولتين الأولى كمسلمة شيعية والثانية كمسلمة سنية الواجب إزاء ما حدث للوطن الذي إغُتصب وللشعب الذي إنتهى لاجئين وجدوا الملاذ والحنو لدى العرب في لبنان وسوريا والأردن والعراق ودول الخليج. وليس في إيران ولا في تركيا. فالعرب هم الأهل وليس الفرس والعثمانيون.

وهذا النأي بالنفس وعدم أداء الواجب من جانب كل من إيران وتركيا وظّفته إسرائيل لمصلحتها بمعنى أنها أكدت أمام المجتمع الدولي أن كثرة من المسلمين غير العرب وتحديدًا الدولتان الأهم إيران الشيعية وتركيا السنية تقيمان أفضل العلاقات مع الكيان الإسرائيلي. ومن الطبيعي أن تكون لهذه الثغرة مفاعيل على صعيد وحدة الصف تجاه القضية الفلسطينية.

ما هو لافت للإنتباه أن إيران منذ أن غدت جمهورية إسلامية أوحّت بتحويل مقر السفارة الإسرائيلية في طهران إلى "سفارة" لفلسطين أنها من خلال الإمساك بجزئية من الورقة الفلسطينية تهدف إلى إزالة السمعة السيئة للموقف الإيراني ماضياً من الموضوع الفلسطيني.. إنما بمعزل عن الدور المباشر وتستعمل لهذا الغرض لبنان وبذلك لا تتأذى ولا يتحقق في الوقت نفسه ما من شأنه وضع القضية في المسار الذي ينتج حلاً موضوعياً. وبسبب هذه الصيغة التي إعتدتها وهي أن تكون أرض وطن طالما أدى الواجب نحو القضية من دون تمنين ساحة لها، فإنها أغرقت لبنان بكل أنواع السلاح. وأما على صعيد القوات فإنها لا تحتاج ما دام هنالك الألوف من أبناء الطائفة الشيعية باتوا جيشاً صغيراً من حيث العدد بالمقارنة مع جيش الدولة، قوياً من حيث الإقتدار وإستيعاب التدريب وإستعمال السلاح الخفيف والثقيل على أنواعه.

حتى الآن، وربما حتى إشعار آخر ليس في الأفق ما يؤكد مصير هذا السلاح بمعنى هل سيستعمله "حزب الله" ضد إسرائيل أم هل إن إسرائيل قد تنجح في تدميره أو هل إن إيران ستستعيد في ضوء الضربة الأميركية القاصمة للظهر الثوري القاسمي السليمانى وبموجب صفقة تسوية مع الإدارة الأميركية تشمل إسرائيل، هذه الترسانة الضخمة من السلاح وتعتبر واقعة تصفية اللواء قاسم سليمانى قرّة عين المرشد خامنئي فرصة لإعادة قراءة

الوضع بنسبة عالية من التأمل والهدوء وبما يجعل إيران الثورة تبدل بالتدرج عباءتها الثورية والشرع في بناء دولة أهدأ ثورية وتدخلات تصون البلاد وتلقى الإمتنان والرضى من العباد.

ما يقال حول إيران وما يصيب لبنان هذا الكيان المذهب من مشروعاتها المذهبي وأمامنا كارثة المشهد اللبناني سياسياً ومجتمعياً، هو قيد القول عن المشروع الأردوغاني القريب الشبه بالمشروع الإيراني والذي يقضي بتطويل اليد والتدخل في الشؤون الداخلية لأوطان آخرين. وهنا الغرض واحد وهو إحياء الإرث الإمبراطوري: إمبراطورية شيعية يعمل من أجل تحقيقها النظام الثوري الإيراني مستعملاً القدس ومن دون أن تعنيه فلسطين في الدرجة الأولى، ورقة يغطي بها أغراض مشروعه، وإمبراطورية عثمانية يعمل من أجل تحقيقها المرجع السياسي الأعلى لـ "الإخوان المسلمين" بتنوع مسميات جمعياتهم رجب طيّب أردوغان. وكما فعلت إيران المرشد خامنئي بلبنان وإستقرت ثم حقق لها التذبذب الأميركي وجوداً فاعلاً في القرار بالنسبة إلى العراق ذلك الكيان المذهب أرضاً وسهلاً ورافدين وذهباً أسود وقتل ذلك في القرار السوري الكيان المذهب ثروات وتراثيات، فإن الرئيس أردوغان بدأ السير بخطى مماثلة وبحيث تكون ليبيا المنطلق لإستهداف مصر كما إستهداف إيران للسعودية ودول الخليج من خلال ما إستطاعت تحقيقه بصيغ مباشرة حدودية أو كلاماً عبر الأثير من جبهات لبنان وسوريا والعراق واليمن. وكما الذريعة الأردوغانية الواهية بالنسبة إلى التدخل في ليبيا وهي أن هنالك بضعة ألوف من أصول تركية وهذا يوجب عليه التدخل وإقامة قاعدة عسكرية، فإن الذريعة متوفرة إزاء لبنان في حال قرر أن يهيء لعلاقة تقوم على التدخل حتى إذا تطلب الأمر إقامة قاعدة عسكرية مستقبلاً، ذلك أن في لبنان الألوف من أصول تركية لجهة الأم في الوسط البورجوازي كون البعض إستطاب المليحات التركيات للزواج منهن على بنات الوطن، كما هنالك ألوف السياسيين ورجال الأعمال لجأوا ماضياً إلى إسطنبول وطلاب علم درسوا في مدارس تركية أو تخرجوا من جامعاتها. كما هنالك أيضاً عسكر أترك سبق أن عملوا في زمن السلطنة وخلال فترة سبي الذكر السفاح جمال باشا وتزوجوا غصباً أو إغتصاباً من لبنانيات، فضلاً عن القول إن لـ "الإخوان" حضوراً فاعلاً في لبنان وبأكثر من تسمية ينشط

هذا التنظيم حاله في ذلك حال الجماعة في ليبيا وتونس التي يحاول أردوغان جعلها منصته. خلاصة القول: للتحرش والتدخل سواء من الجارين البعيدين جداً إيران وتركيا ذرائع ونوايا غير طيبة. وما يفعله الطرفان هو التمثيل وفق قاعدة مذهبية بالكيانات المذهبة التي من سوء طالع شعوبها أنها مغلوبة على أمرها وتحت سمع المجتمع الدولي وبصره... أو بالتواطؤ ضمناً وغض النظر علناً. والله أعلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 9 يناير (كانون الثاني) 2020

غير المستحب قولاً... والمبغوض فعلاً

ما زال الناس بأكثرية عربية _ إقليمية _ دولية غير مُسقطين إحتمال وقوع إحدى الضربتين المرجأتين: ضربة يأمر بها الرئيس ترمب وتكون في مستوى تهديداته... إلا إذا كان مسلسل العقوبات حقق الغرض، وضربة من جانب النظام الإيراني قد يتردد في توجيهها من أحد أذرعتيه التي يبتكر صيغ المذهبية وليس الوطنية أو المجتمعية كتسمية لها أحياناً بالأسماء وأحياناً برموز رايات هذه الأذرع المستنفرة حيث هي في لبنان وسوريا والعراق وغزة واليمن ومعها "الفاطميون" في أفغانستان و"الزينيون" في باكستان. وهذه تنتظر تبلغ كلمة السر لتتشط بغية تنفيذ ثأر لم يبلغ مداه رداً على إغتيال اللواء قاسم سليمان الذي أبكى رحيله المرشد علي خامنئي وتضمنت بعض مرثي روافد حرسه الثوري عبارات تجاوزت ما هو غير المستحب قولاً، وغير المسؤول... بل والمبغوض فعلاً.

ما نقصده بغير المستحب كانت تلك العبارة التي أوردها الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله في مرثاته التهديدية في سياق خطاب ماثوث عبر بعض الفضائيات يوم الأحد 5 يناير/ كانون الثاني 2020 وهي "لا يوجد أي شخص في موازاة قاسم سليمان وأبو مهدي المهندس وإن حذاء قاسم سليمان يساوي رأس ترمب وكل القيادة الأميركية...". ليته إكتفى بالنصف المتأني من العبارة ولم يضرم مشاعره هذا التصغير لمقامات ذات شأن على المستوى الدولي الذي لم يسبقه

أحد غيره في هذا التخاطب بمن في ذلك زعيم كوريا الشمالية الذي بقي التعامل العرضياتي (بمعنى عرض العضلات) بينه وبين الإدارة الأميركية ضمن الحدود والتهديدات الواخزة ثم وصّف ترمب للزعيم الحفيد إنه "بدين". وحتى هذا التوصيف لم يكن من المستحبات في قاموس التخاطب بين الزعامات عموماً.

ومع أن حدة العبارة النصرالية رداً على طرف ليست جديدة على الأسلوب الذي يتميز به عموماً كلام السيد حسن في مناسبات عاشورائية أو تأبينية، إلا أن العبارة التي يقرن بها حذاء سليمان برأس ترمب وسائر رؤوس القيادة الأميركية كانت من النوع البالغ الخشونة والفجاجة وغير المستحب وخصوصاً أنه أتى من رمز مثلث الصفات دينية وسياسية وحربية. ولو أن الأمر يقتصر على إثنتين منها بحيث لا يشمل صفته الدينية عباءة وعمامة وثقافة، لكان ربما يبدو كلامه، وتحديداً العبارة غير المستحبة التي صدرت عنه بكثير من الحماسة، من نوع التوصيفات والعبارات الشتائم التي يتبادلها أهل السياسة ويبرع فيها هؤلاء على "تويتراتهم" أو في مناسبة يحمل الإكتظاظ الجماهيري المعبأ صاحب الخطاب على خروج غير متأن على الأصول. وكثيراً ما حدث ذلك خصوصاً عندما لا تكون الخطب مكتوبة وفي هذه الحال تغلب المشاعر والتهليل الجماهيري على التأني. وتخزن الذاكرة الكثير لزعامات وقيادات بعضها بثورية السيد حسن وأصحاب قامات ذات شأن كبير، فبنتيجة العثرات حدث نزوع نحو الرد بما هو أشد قساوة من الكلام وكان من الممكن تقاديه لو أن العقل غلب المنطق وبقي التخاطب دون خط الإهانة كالتّي أوردتها نصرالله في تأبينيته لمرجعيته الثورية جاعلاً حذاء قاسم سليمان أكثر أهمية من رأس ترمب وسائر كبار القوم في إدارته بجناحيها السياسي وروافده والعسكري وتنوعاته.

قد يفترض مفترضون أن هذه النبذة الإهانية ستمر وأن ترمب سينظر إليها بروح رياضية ويعتبرها مثل بعض تغريداته التي أحدثت جراحاً معنوية لدى البعض من بني العم سام بجناحهم الديمقراطي، وهي تغريدات لو صدرت قولاً في خطاب جماهيري أو من على منبر في منتدى أو مناسبة وطنية لكانت بدت أكثر "سلطة" من كونها وردت في كلمات عبر "تويتر"، ولما كان لها سوى رد الفعل الذي يصدر عن هازئين.

لكن الأمر مختلف هنا. فما يحدث بين سياسيي البلد الواحد لا يستوقف المساء إليهم مثل الذي يأتي من طرف خارجي وخصوصاً في صيغة توصيفات كتلك التي صدرت عن نصرالله وتندرج كما إحراق العلم الأميركي في مناسبات إحتجاجية خارجية ضمن غير المستحب قولاً والمبغوض فعلاً. بل إن الإهانة الكلامية وكذلك إحراق العلم يندرجان عموماً تحت بند الإهانة الوطنية المتمثلة برئيس البلاد وعلم الوطن، ويتسبب كل منهما بنوع من الإنفعال القابل للإنفجار وإتخاذ خطوة ولو بعد حين تصل إلى الدرجة الأعلى في سلم الإنتقام.

وهنا نستحضر من باب التأكيد على ذلك تلك الإهانة المماثلة من حيث المضمون وليس من حيث الشكل، التي صدرت عن الرئيس صدام حسين في حق الرئيس الأسبق جورج بوش الأب، ذلك أن الرئيس الراحل إعداماً شنعاً بفعل عراقي _ أميركي مشترك، رأى في لحظة معاناة من الحصار المفروض عليه توجيه لكمة فنية إلى الرئيس الأميركي كون أي لكمة عدا ذلك ليست متيسرة أو إنه لا يريدتها مكتفياً بالرمزية التي جاءت عبارة عن إعداد رسم سيراميكي _ موزايكي لوجه الرئيس بوش ووضع هذا العمل الفني الذي طالما يبرع فنانون عراقيون تشكيليون وخزافون ومثالون في إنجاز مثل هذا العمل بأتقن نتيجة، على عتبة باب الدخول إلى بهو "فندق الرشيد" الأكثر شهرة بين فنادق العاصمة العراقية والذي يحل فيه المسؤولون العرب والأجانب عند زيارتهم العراق.

هذه الفكرة غير المستحبة من حيث المبدأ وخارج فضاء أصول التخاطب والخصومة بين الحكام، كان الغرض منها أن يدوس كل من يدخل "فندق الرشيد" مسؤولاً كان أو مواطناً عادياً أو صحافياً أجنبياً على الرسم السيراميكي الموزايكي، ولا مفر من ذلك لأن المدخل رئيسي وأن المدخل الآخر الخالي من هذا الرسم جانبي وهو لمن يريد الذهاب إلى حمام السباحة أو مزولة رياضة "لعبة التنس" والتمشي في حديقة الفندق.

إنقضى عهد بوش الأب وبقي الرسم السيراميكي الإستقزازي على حاله وفي مكانه "الإستراتيجي". لا الرئيس صدام يزيله ولا رئيساً أميركياً بعد بوش الأب يطلبان الإزالة كي لا يبقى الدوس عليه.. وأحياناً أكثر

فعله صدام حسين مع السيراميكية البوشية قبل أربعة عقود وما هو غير مستحَب قولاً وعلى نحو عبارة نصرالله. وفي الحالتين يكون "المستهدف" جمهورياً ويكون الحذاء إحدى مفردات عبارة التخاطب. معاذ الله من هكذا سلوك في أدبيات السياسة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 14 يناير (كانون الثاني) 2020

هموم إقتصادية... وإهتمامات نسلية

ليس مستغرباً تفاقم الحالة الاقتصادية في دولة مثل إيران تتفق بسوء على "دويلاتها" في أكثر من أقطار عربية وإسلامية لكي تبقى هذه "الدويلات" المدعمة أسلحة متقدمة وتدريبات نوعية غب الطلب لتنفيذ مهمات عند الحاجة إلى ذلك سواء كانت عبارة عن جولات سلاحية أو مواقف سياسية تربك الدولة الرسمية عند تشكيل حكومة أو إستيلاء تحالف يحقق الكفة الراجحة عند إحتماب الأصوات وشكل بالتالي الرافعة عند إنتخاب رئيس لعهد جديد، وبصرف النظر عما إذا كان التحالف ضدياً من حيث المبادئ والنظرة إلى المسألة الوطنية، وقدسية الكيان المستقل والمحايد. فكما الغاية تبرر الوسيلة فإن المآرب الموحى بها تبرر غرابة التحالفات على أساس أن هذا الكرم الثوري يتم على حساب إحتياجات ومطالب الناس في الداخل. وما نغنيه بذلك ليس تأمين لقمة العيش وإنما العيش الكريم والعمل المتيسر والتنفس بحرية والإستفادة من التطور الذي تنعم به شعوب أخرى. وحيث أن الأولوية هي لموجبات مشروع "تصدير الثورة" وإبقاء "الدويلات" على تماسكها وولائها ورفع مستوى جهوزيتها فإن الذي يطلبه المواطن الإيراني كان في إستمرار مقتطعاً. ونستحضر من الذاكرة وبما يثبت ما نقوله عبارة وردت قبل ستة أعوام (الخميس 1 مايو/ أيار 2014) في التصريح الشهير للجنرال صفوي أحد مستشاري المرشد خامنئي الذي قال فيه على الملأ "إن حدودنا الغربية لا تقف عند الحدود العراقية بل تصل إلى جنوب لبنان. وهذه المرة الثالثة التي يبلغ نفوذنا سواحل البحر الأبيض المتوسط". ومع أنه لم يفصح عما في النفس الأمارة بالإنشطار خارج الحدود دون وجه حق مكتفياً بما قل ودل،

من مرة في اليوم الواحد. ففي عهد الرئيس بيل كلينتون لم تتم إزالة هذا "العمل الفني المقيت". كما بقي بعدما إنتهت الولاية الرئاسية وحل بوش الإبن محل كلينتون ومن دون الإزالة تلك. وخلال العهود الرئاسية الثلاثة تكاثر زوار العراق وعشرات المراسلين الأميركيين والأجانب الذين إزدادت رحلاتهم إلى بغداد بسبب أجواء الأزمة المرشحة إلى حرب، وهذه حدثت لاحقاً بعد الغزوة الصدامية للكويت ومفاعيل هذا العمل المكروه. ورغم المشاعر الناشئة في نفس كل من هؤلاء فإنه كان يدخل الفندق دائساً الرسم ويخرج دائساً. ومن هؤلاء أحمد بن بيللا وهانزليكس رئيس فريق المفتشين الدوليين وعمرو موسى كأمين عام للجامعة العربية وعصمت عبد المجيد الأمين العام السابق للجامعة وعلي عثمان طه النائب الأول للرئيس (المعزول) عمر البشير ورمزي كلارك وزير العدل الأمريكي السابق ومحمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

شخصياً كنت واحداً من زوار بغداد والإقامة في الفندق إياه. وحيث أن علاقة على درجة من التميز ربطتني بالرئيس صدام بفعل حوارات على مراحل معه ولم يتبرم من أسئلة طرحتها عليه، فإنني في أحد اللقاءات لاحظت في رده على سؤالي في شأن هذا الرسم المهين رغبة منه لإزالة هذه "النذبة" لكنه على ما إستنتجت من رده على سؤال من جانبي في هذا الشأن كان يتوقع طلباً بالإزالة من إدارة الرئيس كلينتون ثم من إدارة الرئيس بوش الإبن. لكن الأول "الديمقراطي" كان على ما يبدو شامتماً بسلفه جورج بوش الأب "الجمهوري" وغير معترض ضمناً على ما فعله سيراميكيًا به صدام حسين، وأن "الجمهوري" جورج بوش الإبن لم يقوم بواجب إزالة النذبة لأنه في صدد إنجاز النصف المتبقي من الضربة الماحقة للنظام الصدامي بعدما أنجز والده النصف الأول... إنما ليس واضحاً عما إذا كان فعل ذلك ثأراً لكرامة الوالد أو لأنه متطلع إلى أن يقال عنه إنه الإبن "الشبل" من ذاك الأب "الأسد".

وما حدث وما زال للعراق وفي طول بلاد الرافدين وعرضها وكذلك في ديار الأمتين يعكس حقيقة أن إنعدام الرأي والتشاور يتسبب في عدم ترك اللسان يطلق للمخيلة من أساليب الكيد ما هو مبغوض فعلاً مثل "إستعذاب" إحراق العلم الأميركي أو على نحو ما

فإنه كان يشير إلى حدود الأباطوريتين الأخمينية والساسانية الفارسييتين قبل الإسلام.

وبطبيعة الحال وحتى من قبل أن تبلغ العقوبات المفروضة على إيران المدى المقلق ولا تعود مردودات الثورة النفطية على أرقامها المليارية، كان التعثر الاقتصادي نتيجة إقتسام "دويلات" الخارج عوائد الدولة من الخيرات النفطية، يتزايد سنة بعد سنة.

هذا النهج أوصل إيران الغنية بثروتها النفطية في حال إستثمارها بما يعزز التنمية ويرفع مستوى الحياة لدى الناس إلى ما باتت عليه. وللمتابع للتطورات الإيرانية حق التساؤل: إذا كانت الأحوال على ما هي عليه فما الذي يحمل المرشد خامنئي على أن لا يعيد النظر في مشروع "تصدير الثورة" وإستبداله بمشروع "إستيراد الطمأنينة" كما لدى دول مجاورة وأخرى بعيدة. وإستيراد الطمأنينة بمعنى أن الحُكم يهتم بالداخل خصوصاً أن الشعب في أشد الحاجة إلى حياة أفضل. وبذل أن تتواصل متطلبات التصدير ويهتم المرشد بما سبق أن طالب الناس به وهو حثهم على يتناسلوا بوتيرة أكثر حيوية، لماذا لا يكون هنالك إستحضار لما سبق أن أوضحه حول واقع الحال الشيخ حسن روحاني والذي على أساسه هلال له الإيرانيون وإنتخبوه رئيساً. يوماً قبل ست سنوات نطق روحاني بلسان أكثرية الناس قائلاً: "ليس فخراً لهذا البلد أن يحتاج إلى إستيراد أغذية وأن يكون جزء من السكان في عوز، أو بعبارة أخرى تحت خط الفقر...". وقال أيضاً وبلسان الأكثرية الفقيرة والمتوسطة الحال والنخبة المثقفة.. بل وكل إيراني من غير المؤمنين بضرورة وجدوى مشروع التصدير كما غير مقتنعين بطروحات معظم مؤسساته وجنرالاته ومستشاريه "علينا بناء البلاد وهذا لا يتحقق قط من خلال إثارة ضجيج والتبجح...". وقال أيضاً وأيضاً "لا تُبنى كرامة البلد وهيبته بهذه الطريقة. والشعارات الزائفة والسجلات لن تحقق الإستقلال والمجد للبلاد وثمة في البلاد أفراد ينهبون ممتلكات عامة ويفرغون جيوب الناس بذريعة مقاومة القوى العظمى. من الواجب وقف الذين يعتزمون من خلال شعارات زائفة حُزف الأمة عن المسار الصحيح لجهة الإهتمام بالأهداف قبل كُبح التضخم وإيجاد فرص عمل للشباب...".

ما دعا إليه روحاني إنتهى مثل حبات سكر ذابت في بحيرة مشروع التصدير. وبذل أن يأخذ المرشد بهذه التحذيرلت من الشيخ الذي بات رئيساً للبلاد فإنه إستمر

يرعى مشروع "تصدير الثورة" وأدخل إلى خيمة هذا المشروع إجتياحاً للشرعية في اليمن وإستحواداً على القرار في سوريا وتمكيناً للتأثير الفاعل في العمق الأكثر قوة سياسياً وعسكرياً (أي "حزب الله" في لبنان) وتثبيت حالة عدم التوحد الفلسطيني وذلك من خلال مشاكسة حركة "حماس" وبعض الفصائل الثاوية المتمركزة في غزة لـ "السلطة الوطنية". وإذا كان مقياس الإنجاز لما فعلت هو أن تنقسم اليمن وتتبعثر سوريا ولا تستقر الحال الحكومية في كل من العراق ولبنان ولا يلتئم الشمل الفلسطيني، فإن المشروع الإيراني حقق مبتغاه. ولكن مقابل ذلك إنتهت الأحوال في إيران إلى ما هي عليه الآن. ويبدو جلياً أنه في ضوء العقوبات المتتالية والصدمات النفسية والإرتباك الذي تنسم به المواقف ستسوء الأحوال أكثر ولا يبقى من المشروع الإيراني الطموح سوى النووي الذي فاق في إستنزافه التصور وسوى موضوع تنشيط التنازل الذي يعتقد المرشد أن قلة عدد السكان تشكّل أحد المعوقات في إكمال تكوين إحياء أباطورية الزمن الغابر ومن أجل ذلك لا بد من أن يكون عدد السكان وفيراً... إلا إذا كان الغرض من الفكرة هو أن إيران في الزمن الخميني فقدت من البشر في حربها ضد العراق بضعة ملايين بين قتلى ومعوقين ويجب تصحيح الكفة السكانية من الميزان، أو أن إيران في الزمن الخامنئي كانت في صدد التحضير لحرب من نوع الحرب مع العراق الصدامي تستهدف هذه المرة ووفق ما كان يخطط له الجنرال قاسم سليماني، بعض دول الخليج ثم يتسلم الدفة "أباطوراً ثورياً" متوجاً يكمل ما تبقي من عمر المرشد وبعد رحيله ما حفلت به سنوات الحقبة الخامنئية من حالات ليست في مصلحة إيران الوطن وإيران المواطن شهد على بعضها كما ذكرنا في سطور سابقة شاهد من أهل النظام عينا به الرئيس خاتمي الذي يستغرب المرء كيف لا يعيد التذكير وهو رئيس للجمهورية وبات أقل تقييداً للتعبير بعد رحيل راسم بعض الخطوط الحمر لمعظم المسؤولين الجنرال سليماني، بما سبق أن تناوله قبل ست سنوات، إذ أنه بإعلاء الصوت وترجمة الأقوال إلى تنفيذ يمكنه المساعدة في تطبيع العلاقة غير السوية للنظام مع الجيران العرب أولاً ثم مع دول العالم. كما أنه بإعلاء الصوت يمكنه إقناع المرشد بأن دعوته إلى تنشيط التنازل بحيث يصل عدد السكان إلى 150 مليون نسمة كحد أدنى، فكرة جيدة في حال أن إيران مستقرة ويعمل النظام الحاكم فيها على

نحو ما تقوم به الأنظمة في دول يعينها شعبها وثقة الجميع بها وعدم إنشغالها بأحلام ثورية وأمبراطورية على نحو ما هي هواجس الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الروسي فلاديمير بوتين. واللافت أن الأوضاع الاقتصادية في الدول الثلاث إيران وتركيا وروسيا سيئة. كما أن القادة الثلاثة منشغلو البال بالتنازل وشاغلو دول بعيدة عنهم بتحركات ذات جذور إحتلالية. وللحديث بقية عن هذه التطلعات في زمن تحتاج الأوطان إلى قيادات واقعية وتقديم إصلاح الأوضاع الاقتصادية وعدم التحرش بالآخرين على هواجس إهتمامات التنازل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 20 يناير (كانون الثاني) 2020

الأباطرة يبعثون

من المفارقات اللافتة هذا التوجه الذي يرتبط بثلاثة من الحكام في العالم خص الله دولهم إيران وتركيا وروسيا بالثروات الطبيعية من أجل توظيفها للخير ولإدخال السرور والطمأنينة إلى نفوس الشعب في كل هذه الدول، وللعلاقة الطيبة الخالية من الطمع وإلحاق الأذى بالآخرين وبالذات الجار القريب والصديق البعيد والحليف الأبعد. ولو أنهم انتهجوا الصراط المستقيم لما كان هذا التردى الحاصل في الوضع الاقتصادي في كل من الدول الثلاث.

التوجه الذي نشير إليه يتلخص في سعي كل منهم إلى تنشيط النسل في الدولة المحكومة منه. ويتزامن مع هذا التوجه ما يتناقض مع واقع الحال. فالحالة الاقتصادية في كل من إيران وتركيا وروسيا ليست مشجعة بل إن ما يُنشر من دراسات ويداع من أرقام حول الوضع الاقتصادي يؤكد ما يقوله الخبراء في هذا الشأن، وما يحللونه من ميزانيات. مثل هكذا أوضاع لا تشجع على تنشيط الإنجاب، ذلك أنه إذا كان عدد السكان حالياً في إيران نحو ثلاثة وثمانين مليون نسمة وفي تركيا أقل بنسبة بسيطة من هذا الرقم وفي روسيا يقترب من مائة وخمسين مليوناً، ومع ذلك فإن الأحوال الاقتصادية ليست مطمئنة بما فيه الكفاية، فكيف إذا ستكون عليه الحال إذا تم الأخذ بدعوة كل من القادة الثلاثة الناس إلى الإكثار من الإنجاب. ربما هناك موجبات طي الكتمان لم يكشف عنها القادة الثلاثة: خامنئي،

وأردوغان، وبوتين، لكن ما يفعلونه من تدخلات في دول الآخرين وبذرائع لا تستند إلى موضوعية، وكذلك ما يذلون به من تصريحات، فضلاً عما في خاطر كل منهم من رؤى تستند إلى تعظيم الذات، تجعل المتابعين لهذا السلوك العملي واللفظي مثل حالنا كصحافيين ومحللين للأحداث يقرأون ما بين السطور.

بدايةً نضيء على ما قاله أولهم المرشد علي خامنئي الذي فاجأ الشعب الإيراني المتطلع إلى القليل من البهجة وانحسار كثير من قسوة الحرمان في حياة أفضل، وبأن يتساوى الإنفاق على التنمية وتطوير الأحوال بما يحقق رغد العيش مع الإنفاق الهائل على السلاح وتصدير الثورة وتمويل الميليشيات في أكثر من بلد عربي، ببيان من أربع عشرة مادة أصدره يوم الأربعاء 14 مايو (أيار) 2014 واتسم بصيغة الأوامر إلى السلطات التشريعية _ التنفيذية. أبرز هذه الأوامر صيغت كالآتي: «1 _ إن هدفنا هو بلوغ رقم 150 مليون نسمة كحد أدنى. 2 _ يجب توفير خدمات تأمين لتغطية تكاليف الإنجاب وعلاج العقم لدى الرجال والنساء. 3 _ تقديم تسهيلات للحوامل وتوفير خدمات التأمين لتغطية تكاليف الإنجاب. 4 _ حث الإيرانيين المقيمين خارج البلد على العودة والقيام باستثمارات في إيران، أي الإنجاب على أرض إيران».

لم يوضح المرشد بما فيه الكفاية الغرض البعيد المدى من هذا الاهتمام بموضوع النسل، وأوجب بث بيان على الملأ في شأنه وليس الاكتفاء بتوجيهات من جانب الإدارات المختصة بالشؤون المجتمعية. وربما لم يوضح خشية عدم تجاوب الأزواج مع الإكثار من النسل وعدم حماسة الشبان والشابات لتأسيس عائلة وإنجاب أطفال، والتعويض عن ذلك بزواج المتعة.

وأما الغرض البعيد المدى الذي لم يوضحه المرشد مكتفياً بالإشارة إلى «أهمية الزيادة السكانية في تحقيق الاقتدار الوطني والحيلولة دون انخفاض نسبة الشباب في البلاد»، فإنه إذا جاز لنا الافتراض، يتصل بمرحلة ما بعد تحقيق الإنجاز النووي، بمعنى أن ذلك قد يعرض إيران لحرب عليها أو أن امتلاكها النووي سيجعلها تخاطر بحروب توسعية تلي روحية المشروع الثوري. وفي الاحتمالين هنالك ألوف من الناس سواء كانوا من العاملين في الحياة العامة أو أفراداً متنوعين الرتب في المؤسسات العسكرية والأمنية سيموتون، كما سيصاب مئات الألوف من الناس بإعاقات/ وليس ممحياً من الذاكرة ما أصاب

لو يدري عبدالله المحيسن

لو يدري عبدالله المحيسن في سبعينياته من العمر أي حال هي عليه راهناً مدينته الأحب إلى نفسه بعد الرياض وأخواتها مكة والمدينة وجدة، لكان سعى إلى تجسيد هذا الذبول المتدرج الذي تعيشه، وعلى نحو تجسيده لمحاولة الإغتيال التي إستهدفت هذه المدينة قبل خمس وأربعين سنة وكادت لولا العناية الإلهية أن تنطفئ كما أي قناديل شح زيتها.

وهذه المدينة هي بيروت التي أحدث الشريط الوثائقي، الذي بادر قبل أي لبناني أو عربي كما أي أجنبي إلى إنتاجه وإخراجه عبدالله المحيسن، صدمة في وجدان كل من تسنى له مشاهدة هذا الشريط كيف أن المحب لهذه المدينة ليس من أبنائها لكن الذي أصابها أبكاه أفكاراً صاغها وجسد فيها مأساتها، وكأنما هو في الوقت نفسه أراد من هذه المبادرة العفوية والنخوية تنبيه أولياء الأمور في سائر المدن العربية إلى ما قد يصيب أيّاً منها ما أصاب بيروت وينتهي الأمر قولاً خلاصته إغتيلت هذه يوم إغتيلت بيروت، وكما مقولة "أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض".

جاءت الخشية السعودية على لبنان العشرة آلاف وأربعمئة وخمسين كيلومتراً مربعاً عموماً وبعوض التميز على نجمته التي طالما أضاءت حيوية وثقافة العاصمة بيروت تضع الوطن الصغير الناجي من الإنهيار التام في رحاب العناية السعودية الفائقة ويلتئم الجمع اللبناني في مدينة الطائف ولا يهدأ بال الملك فهد بن عبد العزيز وحوله إخوانه الحادبون بإمتياز على لبنان عبدالله وسلطان ونايف وسلمان ودبلوماسية سعود الفيصل، إلّا بعد أن يخرج المجتمعون متوافقين متحابين متآزرين شاكرين من سعى وأضناه إستنباط الصيغة التي تنتقذ الوطن الصغير من الوهدة الخطيرة، وتستعاد عاصمته منارة بدل أن تبقى كما هي حالها منذ سنة سلسلة من الساعات حافلة بصولات وجولات قد تنتهي على نحو ما كانت عليه أحوالها التي جسدها عبدالله المحيسن مدينة عرضة للإغتيال الكامل الذي يقضي على رونقها.

أفرز إتفاق الطائف بداية رؤية جديدة وأفرز أيضاً حادبين على الوطن بدءاً بالعاصمة الناجية من الإغتيال المميت وهذا مثبت ولا يمكن نقضه في شريط "إغتيال

عشرات الألوف من اليابانيين جزاء الثأر النووي الأمريكي لمغامرة جوية يابانية على قاعدة عسكرية أميركية. وفي حال حدوث الاحتمال الأسوأ الذي نشير إليه، فإن ما يعوّض ذلك هو خزان المواليد، وهذا لن يتم إذا كان النظام ومن قبله الجالس في القمة وبصفته الحاكم ورجل الدين في الوقت نفسه لم يستبق ما هو محتمل الحدوث بتأمين الفائض البشري، وهذا يكون بما حواه بيان المرشد خامنئي. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن تعويض إيران الخامنئية عن ضحايا إيران الخمينية خلال الحرب مع العراق لم يكتمل بما فيه الكفاية، ومن هنا كان التركيز على أن تكون «جيوش الثورة الإيرانية» في العراق ولبنان واليمن وغزة بمثابة «جيوش بالتبني» للمشروع الإيراني وإلى حين اكتمال العدد المأمول من السكان كما يحدده المرشد خامنئي وهو «150 مليوناً كحد أدنى».

إلى هذا الافتراض هنالك ثغرة قلة العدد سكانياً التي بدأ يشعر بها النظام، وهو يسعى حثيثاً نحو صفته النووية. وفي هذا الشأن لا بد أنه يرى أن الدولة الإسلامية النووية الوحيدة، باكستان، قوية أيضاً بالمائتي مليون عدد سكانها وأنه إذا ما انتهى المشروع النووي الإيراني إلى إنجاز فإن الكثافة السكانية للدولة الإسلامية الثانية ضرورة وطنية وبذلك لا تعود «السنية النووية» متميزة بنسبة هائلة سكانياً عن «الشيوعية النووية».

خلاصة القول: إن المرشد خامنئي يفكر ويتدخل في شؤون القريبين والبعيدين ويخطط إمبراطورياً وعلى نحو ما يفعل مثيل له هو الرئيس رجب طيب إردوغان، تتقدم نزعتهما الإمبراطورية على واجبات الاهتمام باحتياجات الناس طعاماً وشراباً ونفطاً وحرية وراحة بال. كما يشاركهما هذه النزعة فلاديمير بوتين الممتلئ نووياً المنشغل البال لتأمين فائض سكاني ربما من أجل استيطان روسي خارج الحدود وعلى نحو ما هو حاصل في سوريا.

وللحديث عن النزعة الأتاتورية ومثيلاتها القيصرية وهاجس تشجيع التناسل كما الحال في إيران بقية إطلالة على هذه الظاهرة التي يمكن تلخيصها بالقول: إن الله أعطى لكن أباطرة الزمن الحالي يبعثون... ولا يشكرون نعمة الله على الأوطان والشعوب.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 28 يناير (كانون الثاني) 2020

مدينة" الذي هو ضمناً كتسمية عشقية شريط إغتيال "مدينة عبدالله المحيسن". وكان محزناً أشد الحزن أن رفيق الحريري الذي أعاد تصدعاتها وترميمها ساحات وشوارع ومبان ومطار وطرق وجسور، إغتيل من الذين يريدون إستكمال عملية إغتيال المدينة بحيث تنطفئ شعلتها ولا تعود منارة وإنما ساحة للصولات والجولات، وتتراجع من السوء الحاصل الآن إلى الأسوأ المحتمل حدوثه إذا كانت لن تلقى إنقاذاً للمصير هذه المرة من الملك سلمان بن عبد العزيز ومن نوعية الإنقاذ الأول في رحاب فهد بن عبد العزيز والجمع السعودي المنشغل البال دائماً على لبنان في ضرائه.

وهنا يجد المرء مثل حالي أنا الذي أصابتنى كما بضعة ألوف شظايا معنوية من الذي منيت به بيروت في سنوات السبعينات، وجسدها خير تجسيد عبدالله المحيسن في شريط "إغتيال مدينة" أتساءل: أي شريط يا ترى سيكون عليه إذا رأى ما هي حال "مدينته" في الحاضر من الزمن.

كيف سيجسد منظر مباني وزارات مسؤرة خشية إنقضا المحتجين عليها ومنظر المصرف المركزي للدولة المسؤر هو الآخر والمقفلة أبوابه وعلى جدرانه كما على جدران كل الأبنية الكاملة الأوصاف في منطقة الأسواق التجارية عبارات يخجل المرء من التلفظ بها، ومنظر عشرات المصارف التي أقفلت أبوابها وتكسرت صناديق صرف العملات على مداخلها. وكيف سيجسد منظر عشرات المحلات والمخازن التي كانت تضاهي مثيلاتها في شوارع تجارية ذائعة الصيت في عواصم أوروبية، ومنظر مدارس بدأت تخلو من طلاب لا قدرة لأهاليهم على دفع الأقساط، ومنظر فنادق بلا من يزور أو يسوح، أو منظر قوافل من الشبان الواقفين أمام القنصليات الأجنبية بأمل الحصول على تأشيرة الهجرة، ومنظر مطاعم كانت دائمة الحيوية ثم لم تعد كذلك خصوصاً بعدما بات مسؤولون ومحاسيب لهم غير مرغوب وجودهم من مشاركين في الإحتجاجات يجبرونهم على مغادرة المطعم أو حتى مغادرة قاعة إحتفالية في الجامعة، ومنظر أعمدة الدخان الأسود من إطارات السيارات التي أشعلوها، ومنظر حاويات القمامات في معظم أحياء العاصمة تفرز كل أنواع الحشرات ويلتف حولها الكلاب والقطط الشاردة، ومنظر المتسولين في كل ملتقى طرق، ومنظر الجالسات بالعشرات أمام مداخل المساجد طلباً للمساعدة، ومنظر الواقفين أمام بعض المصارف التي تعمل

يريدون بالحسنى الحصول على اليسير أو المتيسر من ودائعهم، ومنظر الشكاة من ارتفاع الأسعار بشكل جنوني ومن ندرة في الأدوية وندرات في الكهرباء تخفف من عتمة الظلام والعتمة النفسية عدا الضيق المتزايد من ندرة المياه في وطن الأنهار السبعة الكبرى وعشرات الينابيع التي تلوثت، ومنظر نواب البرلمان الذين طالما أثروا عدم التحاور مع المحتجين ثم نزع بعض منهم رقم سيارته كي لا يمتنى بمتعرضين له، ومنظر برلمان الشعب مسؤر خشية إقتحامه من المحتجين، ومنظر مساكن مسؤولين وكأنها تحولت إلى مراكز إقامة إجبارية يخشى ساكنوها من المحتجين ومتحاشين عبارات الشتم لهم كذلك العبارات التي إمتلأت بها أبواب ومداخل وجدران المباني الرسمية والعامة على أنواعها في العاصمة.

هذا قليل من كثير عن حال مدينة سبق أن عاشت محاولة إغتيال ووجدت المحب السعودي عبدالله المحيسن يذود عنها وفق قدراته كمرج ومنتج آت حديثاً في السبعينات من دراسة أكاديمية للعمل السينمائي في بريطانيا ثم في الولايات المتحدة، وكأنما كان يقرأ مبكراً وحالماً في الوقت نفسه أن المملكة على موعد مع طفرة ثقافية وسينمائية وترفيهية وهذا قليل من الكثير الذي حققه خلال سنتين ولي العهد الأمير محمد بن سلمان وضمن رؤية تغيير واحدة وبايقاع متقن وخطوات محسوبة.

وعندما جسّد عبدالله المحيسن مأساة بيروت التي لها في وجدانه حيز رخب في الشريط الذي سماه "إغتيال مدينة" فإنه لم يكن مثل سائر المخرجين والمنتجين مسكوناً بهاجس الشريط السينمائي الذي يسجل رقماً ألوياً من المشاهدة، وإنما بالشريط الذي جوهره الخشية ولتنبه أولي الأمر بأن يترفعوا بالوطن والمواطن كي لا تتكرر فاجعة الإغتيال المتدرج.

والخشية واردة من أن تتكرر محاولة الإغتيال في ضوء هذه الأحوال التي يعيشها لبنان. ولو أن عبدالله المحيسن يدري ميدانياً كيف أن بيروت تذبل كما ذبول وردة طالما كانت فواحة لما كان تردد في إلحاق شريط "ذبول مدينة" بشريط "إغتيال مدينة". ولا نرى كما كثيرون أنه قد فات الأوان.

كُتبت لـ «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 30 يناير (ك) 2020

كما المرشد كذلك أردوغان وبوتين

فلاديمير بوتين ورجب طيّب أردوغان كلاهما من النسيج الذي هو عليه المرشد علي خامنئي وإن تنوعت العقيدة السياسية لكل من الثلاثة، وكلاهما كما المرشد وريث المشروع الثوري من غواة التحرش بآخرين والتسبب بجعل هذه الدولة المتحرّش بها أو تلك مهتمة بتقديم معالجة الهموم الناشئة عن التحرش على أولويات في مجال التنمية والتطوير وأحياناً على حساب مشاريع في هذا الإطار. وكل من الثلاثة يتطلع في زمن إنحسار متدرج لظاهرة الدولة العظمى وللهموس الأمبراطوري والجنوح نحو الحرب التي تبدأ باردة وتتطور سخونة، إلى إحياء مجد أمبراطوري إستناداً إلى رؤى قديمة جرفتها تطورات ومفاهيم أزمت لاحقة وعلى نحو ما زرعه بنيامين نتنياهو الملاحق قضائياً في الوطن الذي إستلّبه جيل الأربعينيات من الصهاينة في عقل دونالد ترامب الذي هو الأخير مرصود من المساءلة في الولايات المتحدة التي كانت ذات حقبة من العصور الماضية أرضاً للهنود الحمر شأنهم شأن الأجداد من أجداد وعشائر أبو عمار وأبو مازن وجورج حبش وإسماعيل هنية ونايف حواتمة وأحمد جبريل أصحاب فلسطين الأرض الموثقة بخرائط بعثها البريطاني بلفور وها هو الأميركي المنتشي بكل أنواع الهوس الصهيوني محاطاً بمستشارين تلمودي وليكودي الهوى لا يكتفي بإضافة المزيد من البعثة وإنما يقلب الطاولة التي خلت كراسيها من عقلاء.. والأهم من الطرف صاحب الحق ومن الحليف الذي ينصح بما يهدي إلى سواء السبيل، شر قلب على القضية برمتها وكأنما هي إحدى مقتنياته أو محظياته الانتخابية.

الهاجس الأمبراطوري لدى مثل التحرش بآخرين جعل كل منهم يتجاوز الأحوال الراهنة في مجتمعاتهم وكيف أن لا تنمية على نحو ما هو مطلوب ولا طمأنينة للناس التي هي حق المحكوم على الحاكم. بل وأكثر من ذلك هنالك حرمان وفقير ورغم ذلك فإن كلاً منهم لا يخطط لما يقلص هموم الناس وإنما كيف يملأ ثغرات في هاجسه الأمبراطوري وإحداها موضوع زيادة السكان، إذ كيف تكون هنالك الطبعة الخمينية _ الخامنئية _ السليمانية للأمبراطورية الفارسية إذا كان لن يصل عدد السكان إلى 150 مليوناً ومن أجل ذلك صدرت الأوامر تحرض

الإيرانيين على التناسل. هذا في إيران كما الأمر نفسه بالنسبة إلى أردوغان المتطلع إلى إرواء شجرة الأمبراطورية العثمانية إنما بطبعة دينية هو الآخر وهذا يكون بالتحرش بمصر الأزهر وجوارها ليبيا الثروة النفطية وتغطية هذا الفعل بالغيرة على القدس التي ذاقت مر الإهانة في سنوات العلاقة المتقدمة والعميقة في معظم السنوات الأتاتوركية مع إسرائيل كما الأكثر مرارة في سنوات العلاقة الإيرانية الشاهانية المماثلة مع مغتصبي فلسطين ثم واضعي اليد على المقدسات فيها. والتطلعات الأردوغانية لإنجاز الطبعة المحلومة بنكهة إخوانية للأمبراطورية العثمانية تتطلب أن تكون تركيا سكاناً أكثر من رقمها الحالي الذي هو ثلاثة وثمانون مليوناً فيما مصر تجاوزت المئة مليون وفيما باكستان وأندونيسيا (الحصنان السنين) مجتمعين تجاوزتا النصف مليار نسمة. ومن أجل هذا التطلع في وقت يعاني من كبوات داخلية ونكسات إنتخابية وإرتباكات في العلاقات الدولية، ما زال يرى ما سبق أن أفاض من الكلام حوله لجهة عدد السكان قبل ست سنوات يوم كان في عز زعامته تركيا وذلك عندما إغتتم يوم الأحد 21 ديسمبر/ كانون الأول 2014 مناسبة زفاف نجل أحد رجال الأعمال مقرب إليه فقال مخاطباً العريس والعروس وبصوت عال لكي يسمع الحاضرون من المتزوجين وكذلك الذين - اللواتي على أهبة الزواج "إن إستخدام وسائل منع الحمل هو خيانة لطموح تركيا بأن تصبح دولة مزدهرة يشكّل الشباب جزءاً كبيراً من سكانها. طفل واحد أو إثنتان ليس كافياً. كي نجعل أمتنا أقوى، نحتاج إلى جيل شباب أكثر ديناميكية وشباباً. نحتاج الى هذا لنرفع تركيا فوق مستوى الحضارات المعاصرة. في هذا البلد، إنهم (المعارضون) ضالعون في الخيانة المتمثلة في ترويج إستخدام وسائل منع الحمل لسنوات من أجل القضاء على أجيالنا. الزواج هو رحلة طويلة. بعض الأيام جيدة وبعضها سيء. والأيام الجيدة تصير أكثر تكراراً بالمشاركة، والأيام السيئة تجلب السعادة في النهاية إذا تحلينا بالصبر. إنجاب طفل واحد يعني الوحدة، وإنجاب طفلين يعني التنافس، أما ثلاثة فيعني التوازن وأربعة يعني الرخاء. والله يهتم بالباقي..."

ويبقى الثالث الحالم بإحياء الأمبراطورية بنكهة قيصرية أرثوذكسية فلاديمير بوتين المسكون حديثاً بالمسألة السكانية وأفصح حولها يوم الأربعاء 15 يناير/ كانون الثاني 2020 تزامناً مع إجراء ترتيبات في السلطة ثمكّنه من أن يبقى في الكرملين سيداً له دون تحديد فترة زمنية.

الحالة العسيرة الحل..

من عبد الناصر إلى السيسي

منذ أن بدأت مطلع الستينات كصحافي متابعة القضايا المصرية ميدانياً أحياناً في القاهرة وصولاً إلى جبهة السويس، ورصدت دائماً دقيقاً من بيروت لما يجري في المحروسة سياسياً وإجتماعياً وفكرياً، وهنالك قضية جوهرية أراها تشغل بال أهل الحُكم وإلى درجة أن رئيس الدولة شخصياً يتحدث حولها على الملأ خلال إلقاء خطاب في الجماهير، وأحياناً تمتزج عبارات الرئيس النُصحية بالمرارة. فهو من جهة أمامه كرئيس للدولة مسؤولية تأمين الدواء والغذاء والتعليم والنقل والعلاج وخلاف ذلك، وهو من جهة أخرى يرى هذا الفيض النسلي يربك الخطط الحكومية ويحبط حماسة رئيس الدولة المتطلع إلى تنمية تشمل الإنسان وأرضه. وعلى مدى الثماني والستين سنة من عمر مصر الجمهورية بتنوع حُقبها الرئاسية الأربع كانت مشكلة زيادة النسل بنداً مقلقاً في أجندة أهل الحُكم. وعند إستحضار ما في الذاكرة وفي الأضابير من مواقف وأقوال لأربعة جنرالات تعاقبوا على رئاسة مصر نلاحظ كيف أن زيادة النسل تصل إلى مرتبة متقدمة في قائمة هموم رئيس الدولة وإهتماماته خصوصاً أنها عصية على الحل حتى إشعار آخر. ثم تميز الرئيس الخامس كونه مدنياً وإخوانياً عن الرؤساء الجنرالات طارحاً رؤية تشجع ضمناً على حيوية زيادة التناسل لزيادة عدد السكان، معتبراً هذه الزيادة "قيمة مضافة تستوجب حُسن التوجيه على نحو ما يحدث في دول العالم المتقدم".

لم يضع أول الرؤساء جمال عبد الناصر الإصبع على جُرح هذه المشكلة إلا بعدما وجد على مكتبه، وقد مضى على قيام ثورة يوليو 1952 أقل من سنتين، تقريراً أولياً في هذا الشأن، فأطلق في خطاب ألقاه يوم 31 مايو/ أيار 1954 أمام الجماهير المبهجة بثورة 23 يوليو إشارة أولى إلى المعضلة النسلية التي تنتظر مشروعه، وتتمثل في عبارة "ما بين الـ 22 مليوناً هناك 18 مليوناً فلاحون يعيشون عيشة الكفاف". ولأنه يقدر حساسية مجتمع الفلاحين من كثرة الولادات كونهم يعتبرون المواليد أناثاً أو ذكوراً نواة مساعدين لهم في الأعمال الزراعية حراً وبذراً وجنباً، فإنه أرجأ إلى مناسبة أخرى إطلاق جرس تحذير خفيف الوطأة في هذا الشأن، وكان ذلك بعد

فقد فاجأ بوتين الشعب الروسي والغير بالمسألة السكانية كقضية إستراتيجية على وقع الإجتياحات الروسية من طهران إلى سوريا مروراً لم يكتمل بالسودان وعيوناً شاحصة على ليبيا وإرفاق الحراك السياسي بإرسال إما المستشارين وإما الخدمات الحربية عدا إقامة قواعد جرى إنشاؤها على أنها لأمد طويل وليست على نحو ما كانت عليه في مصر عبد الناصر الذي طلبها والسادات الذي ورثها ثم أنهاها. ومما قاله في هذا الشأن وبنوع من التناغم مع حيثيات اللذين سبقاه المرشد خامنئي والرئيس أردوغان، في كلمة ألقاها أمام البرلمان الروسي "عدنا اليوم 147 مليون نسمة (ثالث عدد سكان الولايات المتحدة وعشرة في المئة من عدد سكان كل من الصين والهند) لكننا دخلنا في فترة سيئة ديمغرافياً. إن التقديرات السيئة الحالية لا يمكن إلا أن تثير قلقنا، فمصير روسيا وتطلعاتها التاريخية يعتمد على ما سيصبح عليه عدنا في المستقبل، لذا أدعو إلى الخروج من الفخ الديمغرافي وعلينا أن ندعم الشباب كي يبدؤوا حياتهم العائلية ويحملوا بإنجاب الأولاد...". ولهذا الغرض الإستراتيجي لمن ينشُد مجدداً أمبراطورياً ويتطلب الأمر وطناً كثيفاً سكانياً، تقدّم بإقتراح وليس كأوامر على نحو ما فعل المرشد خامنئي ومقدمة أوامر على نحو ما أشار إليه أردوغان، يضفي المزيد من الدعم لبرنامج "رأس المال الأمومة" وبما يشجع الزوجين على عدم الإكتفاء بمولود واحد أملاً أن يصل عدد المواليد في العام 2024 إلى حوالي مليونين. لم يُخفِ بوتين الغرض الحقيقي من دعوته إلى التشجيع على الإنجاب حيث إختصرها بعبارة "مصير روسيا وتطلعاتها التاريخية". وإذا كان المرشد لم يقلها صراحة بأنه يرى ضرورة لكثافة شيعية في إيران وسائر المجتمعات الشيعية في العالم العربي وحيث هنالك شيعية في بعض دول العالم، فهذا لا يعني أنه لا يرى أيضاً كما أردوغان "التطلعات التاريخية" لبلديهما. وقد تكون هذه التطلعات عبارة عن تمدد غير مرغوب به وإقامة قواعد وإرسال قوات. ومثل هذا الغرض غير النبيل يتطلب إستيلاء مواليد جدد إلى جانب المرتزقة من كل صوب أو ربما بديلاً عنهم، فضلاً عن أنه بالكثافة السكانية يبدأ حل عقدة الجنوح الأمبراطوري.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 فبراير (شباط) 2020

وصل عدد السكان إلى 64 مليوناً ليزيد في عهد حسني مبارك كما الحال مع عبد الناصر والسادات طفلاً أو طفلة كل 15 ثانية. ثم يتسلم الرئاسة عبد الفتاح السيسي بعد محمد مرسي، ويسجل العداد يوم الثلاثاء 11 فبراير/ شباط المئة مليون الذي كان عندما يخطر ثلثه في بال عبد الناصر ونصفه من بعده في بال السادات ومبارك ينتاب كل منهم القلق، إذ أن معنى ذلك تأمين مستلزمات العيش الكريم. ومثل هذا الأمر يحتاج إلى المال الوفير والأرض الزراعية وإلى الدواء والمستشفيات ثم التعليم وفرص العمل لاحقاً. والقلق المشار إليه موصول إلى عهد السيسي الذي بدأت في ظل رئاسته المئة مليون الثانية تكتمل كإفترض مستند إلى المواليد كل عام على مدى سبعين سنة.

لم تُجد الخشية الرئاسية من بقاء كفة الرقم المتصاعد للسكان لا تتعادل مع كفة مشاريع التنمية، بل إن الحيوية النسبية تقضم الكثير سنوياً من المشاريع التي تتم تحت وطأة العدد المتزايد للسكان. وبسبب ذلك انحسرت نسبة ملحوظة من الأرض الزراعية من أجل بناء مشاريع سكنية بغرض تأمين مساكن للملايين الذين لا مساكن لهم وتحول رؤية الرئيس السيسي في شأن الحياة الكريمة لكل مواطن إلى تنفيذ.

وإزاء ذلك تبقى التوعية الدينية مقرونة بتنشيط التوعية الاجتماعية والتركيز على مخاطر إستنزاف الكثافة السكانية للجهود التنموية، والتسليم برؤى أهل الخبرة والإقتصاد ومنها على سبيل المثال لا الحصر رؤية سبق أن بلورها الدكتور بطرس غالي بعبارة يوم كان إلى جانب السادات "إن المشكلة الإقتصادية التي تعيشها مصر هي نتيجة للإكتظاظ السكاني وفقر الموارد الاقتصادية".

وأما بالنسبة إلى التوعية الدينية فإن التأمل في رؤى عدد من الأزهريين ومن المفكرين المستشرقين من شأنه أن يفيد. وثمة رؤية سبق أن أوجزها المفكر الإسلامي خالد محمد خالد بعبارة "لا أمل لنا مطلقاً في تحسين مستوى المعيشة بينما ما دامت نسبة المواليد تتزايد تزايداً فاحشاً". ومن شأن هذه الرؤى جعل الحالة العسيرة على الحل منذ زمن مصر عبد الناصر ذات العشرين مليوناً وحتى مصر زمن السيسي ذات المئة مليون، لا تبقى بالعسر التي هي عليه والتي لم تنفع فيها الاقتراحات والوصفات الرئاسية.

وهكذا فإن زيادة النسل جزء من إهتمامات مثلث

بضعة أشهر في خطاب ألقاه يوم 5 يوليو/ تموز 1956 وأورد فيه العبارات الآتية: "إن تعدادنا يزيد كل عام نصف مليون من المواطنين. بعد عشر سنين سنكون 30 مليوناً بدلاً من 22 مليوناً. كل هؤلاء لا يريدون عملاً وأكلاً ودخلاً. فإذا لم نعمل فإن الدخل الموجود سيُقسَّم علينا جميعاً، على الموجودين وعلى الذين سيزيدون عليهم. مستوانا سيهبط. إذاً لا بد من عمل مضاعف لنواجه رفع مستوى معيشتنا والقضاء على الحالة السيئة التي كنا نشكو منها منذ سنين...».

على رغم محبتهم لرئيسهم إلا أن المصريين وبالذات الشرائح النشطة في الموضوع النسلي لم يأخذوا بالذي قاله، ثم كان الإنشغال بقضايا سياسية على درجة من التعقيد من بينها الوحدة مع سوريا ثم صدمة الانفصال والمساندة الحربية للإنقلاب في اليمن على الإمام البدر وإعلان الجمهورية. لكن التقارير في الحالة السكانية المقلقة كانت في إستمرار على مكتبه، ليفاجئ المصريين عام 1965 بتضمن خطاب ألقاه رقماً صاعقاً وهو أن مصر التي كان تعدادها السكاني عشرين مليون نسمة مطلع الخمسينات باتت ثاني أكبر نسبة في العالم من حيث زيادة عدد السكان تتقدم عليها باكستان، وإزاء ذلك إفترض أنه من خلال "إنشاء مجلس أعلى لتنظيم الأسرة" يمكن الحد من القلق المتزايد.

إستوعبت دول الخليج وليبيا القذافي وعراق صدام حسين بضعة ملايين من المصريين. وبطبيعة الحال فإن نسبة التناسل انحسرت قليلاً. وبعد إضطراب أحوال العراق وليبيا وعودة النسبة الأكبر من هؤلاء الملايين إلى مصر فإن زيادة ملحوظة في التناسل حدثت مع المتزوجين، كما أن غير المتزوجين باتوا وقد حققوا في سنوات غربتهم الخليجية والليبية والعراقية رصيماً مالياً يجعلهم يتزوجون في بلادهم ويصبحون بذلك من ذوي منتجي النسل. وهكذا نشط عداد التناسل وإلى درجة جعلت الرئيس أنور السادات الذي ورث من عهد عبد الناصر تكديساً سكانياً إلى جانب تداعيات حرب 5 يونيو 1967، يفضل سياسة محاصرة التكدس البشري بإنشاء مدن سكنية بادئاً بواحدة لم تكتمل. وكان في صدد المضي في إنجاز رؤيته هذه بعدما حقق النصر النوعي على إسرائيل ومن أجل ذلك لم يكثر في الخطب التي كان يلقيها التركيز على ظاهرة حيوية التناسل الأمر الذي لقي من عموم أهل الريف المصري الرضى. ثم يقضي الرئيس السادات مغتالاً وقد

التحرش بأوطان الآخرين ومعطيله إستقرارهم (إيران وتركيا وروسيا) وأحد هموم المحروسة مصر التي تسعى إلى أن يسود السلام على أرضها وفي أوطان الدول الشقيقة. صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 18 فبراير (شباط) 2020

للمساندة أصول.. قولاً وفعلًا

عندما أخذ الوعي اللبناني إغفاءة طويلة في النصف الثاني من السبعينات ولم يُجدّ تجاوباً للنصح السعودي بأن يشق الذين يمعنون جولات من أبشع أنواع الإحتراب الميليشياوي المذهبي، الطريق نحو التهدئة وإفساح المجال أمام التلاقي والتفاهم بالتّي هي أحسن، فإن المملكة العربية السعودية لم تترك لبنان العرب على حاله المفجعة فنشط رمز دبلوماسيتها الأمير سعود الفيصل سعيًا عربيًا ودوليًا في سبيل تنفيذ توجيهات القيادة المعززة بمحبة شعب المملكة، بأن يتم تدارك ما هو أعظم، بمعنى أن لا تتهاوى الصيغة اللبنانية بتهاوي الشرعية ثم لا يبقى من هذا الوطن الصغير سوء الإندثار بالتدرج. وإنتهت جولات السعي إلى "إنفاق الطائف" الذي بات الحاضن للدستور اللبناني يرد عنه محاولات التنقيح والتعديل.

كانت المملكة في إنطلاق سعيها المحمود معنية بلبنان الكيان المستقل والشعب بكل أطيافه إنطلاقاً من أنها تتشد الخير لهذه الأطياف، وليس لها حزبها الذي يبغى هيمنة ويسعى لإختصار الدولة في مشروعه وتريد مساعدته وتوسيع هامش مشروعه العسكري والسياسي والمذهبي على نحو ما إيران تفعل. وفي السعي المحمود ذاك خاطبت القيادة السعودية اللبنانيين المتشاكين بلغة الضاد، فهم أبناء الأمة العربية التي المملكة عمودها الفقري الصلب، ولم يتم التخاطب على نحو ما حدث في مناسبة "الانتخاوة اللاريجانية" حيث أن الزائر الإيراني الرفيع الشأن المنتهية ولايته رئيساً للبرلمان في إنتظار نتائج انتخابات إعتبرها المرشد خامنئي واجباً دينياً لتفاذي مفاجآت غير سارة، خاطب اللبنانيين المسؤولين والرأي العام وحتى الطيف الثنائي المستقوي سياسياً وسلاحياً به باللغة الفارسية. وهكذا الحال في كل زيارة

للمسؤولين الإيرانيين حيث المترجم من الفارسية إلى العربية دائم الحضور برفقة كل مسؤول زائر. لن نتوقف كثيراً عند هذه الظاهرة رغم غرابيتها كون الطيف اللبناني المحلق في فضاء الجمهورية الإسلامية الإيرانية يتبادل التخاطب مع الطيف الإيراني عن طريق مترجم، وإذا غاب المترجم لسبب ما فإن لغة التخاطب تتعطل. وما ينطبق على الشرائح العادية من الناس بمن فيهم الزوار العرب لمراقد دينية في إيران ينطبق على الإيرانيين الذين يزورون بين الحين والآخر لبنان وهم قلة في أي حال قياساً بالزوار اللبنانيين. هنا يجوز تسجيل نقطة نظام خلاصتها أن على أهل النظام الإيراني إذا كانوا يرومون حضوراً عربياً أن يتعلموا لغة الضاد والتخاطب بها مع أطيافهم العرب وخلال لقاءاتهم الرسمية مع مسؤولين في الدول العربية. وأما إذا كان بعض هؤلاء يتقن اللغة التي نزل الوحي بها على النبي العربي، لكنهم يتعمدون فقط التخاطب بالفارسية وترك الترجمان يترجم، فتلك من جملة الأوزار التي تتسم بالتحرش في أحوال الآخرين، بالصواريخ الباليستية أحياناً وبغليظ الكلام دائماً، فضلاً عن أنها تعتمد لغة الأمبراطورية المندثرة الساعية إلى إنعاشها على لغة كتاب الله.

الذي يستوقفنا هي إطلالة لاريجاني الذي يغلب فيها الغرض الكيدي والمصلحي على الجانب النخوي، فضلاً عن تعييب موجبات إعتداد الأصول والقراءة الموضوعية لمزاج الرأي العام في الدولة المضارة. وهنا يجوز القول إنه إذا كان الطيف الإيراني الهوى في لبنان وإمساكه بالكفة الراجحة من الميزان السياسي حكومة وسياسة خارجية هو السبب الرئيسي في التردد الدولي والخليجي للمساعدة فإن الزيارة اللاريجانية تكتسب في هذه الحال شكل من يريد زيادة تعقيد الأمور وإبعاد إمكانية المساندة الخليجية والدولية للبنان وليس إصلاح ذات البين. والبين هنا هو ترك الحديقة اللبنانية دائمة الإخضرار هادئة تنعم بالإستقرار. ومثل هذا الشعور قائم لدى اللبنانيين الذين طالما تساءلوا: أليست الحال التي يعيشها لبنان خير مناسبة لمن يتحمل وزر تعقيد الأمور وإلى درجة التعطيل، لكي يصحح فغله المؤذي. بل زيادة في التوضيح أليس حرياً بأهل الحُكم الإيراني إذا هم في صدد تصحيح جانب من المسار إبلاغ الطرف اللبناني الذي يترجم تكليفاً مضامين الإرادة الإيرانية بأن عليه أن

يقلب الصفحة المستقزة في كتاب السياسة اللبنانية وبذلك يلقى هذا الموقف القبول من أطراف الشعب اللبناني وكذلك من أطراف عربية ودولية تريد مداواة للجرح اللبناني الذي ينزف. لكن الذي حدث هو أن أهل الحُكم الثوري في إيران أرسلوا من يقول بصيغة تتسم بالحقاقة ما من شأنه ليس فقط يلقى الإستغراب وإنما يؤكد أن إيران المرشد والحرس هي ضمناً مع سياسة المزيد من التعقيد ما دامت تعطي عقدة تعطيل المسار الذي يتيح المجال أمام الاستقرار المتدرج بالإعلان عن رغبتها بمساعدة لبنان في محنته المالية والإقتصادية من جهة ومحنة التفرد بالسياسة العامة للدولة داخلياً وخارجياً. وحيث أن اللبناني يتابع ما هو حاصل في إيران منذ ثلاث سنوات وكيف أنها مثقلة بمتاعب مالية نتيجة العقوبات الدولية، الأميركية بشكل خاص، من جهة ونتيجة إنفاقها السخي على أذرعها الخارجية التي تنفذ لها بعض روافد مشروعاتها، فإنه لا بد تساءل: بماذا ستساعد إيران وهذه حالها. وحتى إذا ساعدت فأين ستمطر غيمتها. والأهم من ذلك هو أن من يريد أن يساعد أخاً في محنة لا "يؤذن" لهذه المساعدة وإنما يعتمد الأصول. ولنا كحُسن تصرف وللحكم الإيراني ما تقعله المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج في مثل حدوث أزمات تواجه بعض الأشقاء العرب. إنها لا تنتظر المناشدة للمساعدة. تبادل بوضع وديعة ثم إرسال مبالغ تقي بعلاج أولي في الحالة الطارئة المستجدة. هذا حدث مراراً مع لبنان إلى أن نشأ فيه من يعطل هذه النخوة في ساعة الشدة. وهذا حصل مع أكثر من دولة عربية أحدثها السودان حيث كانت المساندة عفوية ومكنت الظروف التي إستجدت من أن لا تنتكس. وفي كل هذه المساندات لا وجود للسلاح ولا للصواريخ ولا المدربين على العمل المؤذي... ناهيك بالكلام الجارح. وحتى إذا إرتبكت أحوال شعب من تأثير حجب مساعدات مقررة أممياً كما حدث مراراً بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني وإنعكس الحجب على المدارس والمستشفيات فإن معالجة فورية تتم من جانب المملكة وبعض دول الخليج وبحيث يبدو الأمر وكأنما لم يحدث الحجب. وكل ذلك دون إعلاء الصوت والإكثار من التصريحات في هذا الشأن.

تلك هي أصول المساندة المنزهة عن الشروط والتباهي بها. من يهمه المساندة يفعلها في منأى عن

الإعلان الإستعراضي. لكن المسؤول الإيراني الرفيع الشأن جاء زائراً ونفسه أمارة بما ليس يخدم الاستقرار الذي ينشده اللبنانيون أملاً بإصلاح الحال وتجاوز محنة هناك يد إيرانية في مسبباتها وليس مجرد ثلاثة أصابع رئاسية. وعند التأمل في أجواء رافقت الزيارة اللاريجانية ومنها على سبيل المثال لا الحصر رفع تمثال قاسم سليمانى ماداً يمينه في اتجاه فلسطين وبتصميم شبيه من حيث الإرتفاع والتصويب والذراع الممدودة بتمثال للصهيوني هيرتزل، وملاحظة كثيرين كيف أن كلا التمثالين رُفعا على أرض الآخرين، تمثال سليمانى على أرض لبنانية وتمثال هيرتزل على أرض فلسطينية.. إننا عند التأمل في عدم إستحسان رفع هذه التماثيل التي ينطبق على تمثال سليمانى تحريماً فتوى خمينية في شأن التماثيل، ثم الإكثار من "البوسترات" في شوارع من العاصمة بيروت وعلى طريق مطارها وكذلك بعض البلدات اللبنانية وتمثل صورة قاسم سليمانى وعبارة "دام ربكم" والترويج تحت شعار "أنت تدعم.. أنت تقاوم" في مدارس بعضها تضم أطفالاً دون العاشرة من العمر لتدعيم "حزب الله" مالياً في مواجهة الأزمة التي يعيشها لبنان كما إيران وذلك بالطلب من ذوي التلامذة صغاراً وكباراً الكتابة على أوراق رقم هاتف الأهل إلى جانب إسم الداعم وقيمة المبلغ، فإننا نرى أن لاريجاني إفتقد في زيارته الأصول قولاً وفعلأً، وأنه لم يأت ليطفئ.. وإنما ليصرح بما يُبقي اللهب على حاله.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 23 فبراير (شباط) 2020

ضيف عربي جديد في سجل التاريخيين

هنالك ملامح سيرة حُكم ميّزت الرئيس محمد حسني مبارك الذي توفي قبل ظهر يوم الثلاثاء الماضي (2020.2.25) عن 91 عاماً وبعدما لم تثمر العملية الجراحية الأخيرة في الجسم الذي خضع لعدة عمليات بعضها في ألمانيا وكان ما زال رئيساً. وقساوة المرض تهون أمام قساوة قفص المحكمة ومثول من كان صاحب الضربة الجوية الأولى في حرب العبور أمام قضائها، فضلاً عن التصويب عليه من أطراف إخوانية بإتهامات

تجريبية بصرف النظر عن كونها صحيحة أو إفتراضية. من هذه الملامح تسجيله الرقم القياسي رئيساً لمصر وهو ثلاثة عقود أي ضعف سنوات عبد الناصر رئيساً كما أيضاً ضعف سنوات آخر ملوك المحروسة فاروق الذي وُلِّي في الشهر نفسه (29 يوليو/ تموز 1937) الذي حدثت فيه "ثورة الضباط الأحرار" بقيادة جمال عبد الناصر (23 يوليو 1952). كما أن سنوات ترؤسه تزيد تسع عشرة سنة عن مدة ترؤس السادات. وكان للذان سبقاه في التروؤس عبد الناصر ثم السادات يحملان برئاسة طويلة لولا أن عبد الناصر الذي كان نجا من محاولة إغتيال إخوانية" قضى وهو في الثانية والخمسين وهو الرقم نفسه الذي قامت فيه الثورة التي قادها. أما السادات الذي بنى أحلامه على أنه ما دام في صحة جيدة ويدرئها أفضل إدارة وما دام حقق للمصريين نصر أكتوبر 1973، فإنه سيحكم طويلاً. لكن ما تمناه لم يدركه وقضى مغتالاً بعملية لا سابقة لجسارتها أخفق "الإخوان" في تحقيقها يوم إستهداف عبد الناصر، وعلى نحو إخفاق "ترايبي الإخوان" في إغتيال مبارك على طريق مطار أديس أبابا.

هذا التروؤس الطويل لم تأت أواخره براحة البال والطمأنينة المعنوية للرئيس مبارك وإنعكست بعض حالات إختلاط الحابل العائلي بنابل الذين في نفوسهم إما العتب لعدم نيلهم حظوة كما سائر المحظيين وإما لأن الإرتباكات التي بدأت تحدث إقتصادياً ثم أمنياً هي الفرصة لرمي عهد رئيسهم بما هو مسنون وأحياناً شبه مسموم من سهام الكلام. ولو أن الرئيس مبارك نفذ مع أواخر رئاسته الثالثة مقولته بأنه ليس فقط لن يورث على نحو ما كثر الكلام في شأنه، وإنما أيضاً لن يجدد ولاية أخرى، وأنه تأكيداً لذلك سيختار على نحو ما سبق أن فعل الرئيسان السلفان عبدالناصر ثم السادات، نائباً لرئيس الجمهورية لكان للرأي العام المصري أن يستكين ويغفر للرئيس تمديده حالة الطوارئ عدة مرات. لكن مبارك لم يفعل ونُسبت إليه عبارة لم يرتح لها المصريون وهي أنه لم يجد أو لا يجد أو إنه لم يعثر على من يراه جديراً بالمنصب الخالي، وربما حالت كفة لهفة التوريث على كفة إختيار نائب أو أكثر لرئيس الجمهورية. وهنا غابت الحصافة عن رجل دولة أتقن سياسة تعادل الكفتين في ميزان الحُكم، ربما لأن له بعض الفضل في إعتقاد السياسة التي إنتهجها وحقق بها إستعادة مصر عضويتها

في الجامعة العربية كما إستعادة مقر الأمانة العامة للجامعة في تونس إلى مكانها الأصلي في القاهرة. كما ربما له الفضل في رحابة الصدر للتعبير والعمل الحزبي وللاستثمار. والأهم من ذلك لترميم نوعي للعلاقات مع الأشقاء العرب عدا الشقيق القطري المغرد أصلاً خارج السرب، ولرتق تشققات في ثوب العلاقة المصرية _ الأميركية وقوله عنها ذات حالة تأزم وخيبة أمل "المتغطي بالأمريكان عريان" ثم عندما إصطلحت الأمور بعض الشيء كان يقول للعائنين على تعميق العلاقة مع ثلاثة رؤساء أميركان تعامل معهم من المصلحة بمكان كثير الرحابة إبقاء العلاقة مع أميركا في منأى عن التوترات. وأما عن العلاقة مع الكرملين الذي كان ما زال غضبه البركاني على حاله بعد الجرح المعنوي الذي أحدثه في المهابة السوفياتية العسكرية والحزبية الرئيس السلف أنور السادات، فإن مبارك بدأ فك التعقيدات متحملاً الكثير من الوخر الأميركي لكنه مع ذلك لم يترك فرصة مسح للندوب المعنوية ندبة بعد ندبة إلا وقام بها.

لكن أكثر ما يستوقف المتابع مثل حالنا نحن معشر الصحافيين للتطورات المصرية من ملامح سيرة مبارك هو الخيار الذي أراده أسلوب تعامل إزاء ما أصابه منذ أن بدأ التلمل الشعبي ضده وكيف أن ميدان العاصمة وحيث هنالك ميادين في مناطق من المدن المصرية حسمت أمر وجوب تحديه. فهو أولاً نأى بنفسه عن التحديات والإستهانة بالحراك الميداني كما لم يستعمل العصا التي كثيراً ما لَوَّح بها صديقه الرئيس عمر البشير، ولا أطلق من الكلام غير المستحب كتلك العبارات الإستهانية من جانب صديقه الرئيس القذافي في وجه الأطياف المحتجة عن كامل حق ونزلت إلى الميدان والشوارع في طرابلس وبنغازي ومدن وبلدات ليبية أخرى تعبر بالصوت العالي عن المطالب كما أنه لم يتحمل نهاية رئاسية عليلة كتلك التي إرتبطت بصديقه عبد العزيز بوتفليقة أو نهاية كتلك التي تنقذ إلى المهابة وأرادها لنفسه صديقه زين العابدين بن علي مغادرة آمنة تحت جناح سواد ليل تونس الخضراء. الذي فعله مبارك تحاشياً منه للتحدي والعناد إلى جانب الإقرار بأن كرسي السلطان عندما تهتز فعلى جالسه أن يتبصر بالأمور ويختار السبيل الأكثر حكمة، هو التحي شبه الطوعي يوم 2011.11.2، ووضع الأمر بين أيدي مجلس عسكري يترأسه المشير حسين طنطاوي الذي شاءت

ورحمة الله على رئيس أخذ مكانه في سجل التاريخيين من
حكام الأمة... وهم قلة في أي حال.

كُتِبَتْ لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 27 فبراير (شباط) 2020

حوار مع رئيس بترتيب من رئيس

صيف العام 1983 كنتُ في زيارة إلى الخرطوم جئتُ إليها من القاهرة التي كانت الغيوم الثقيلة الناشئة عن عدم حُسن موضوع تعليق عضوية مصر في الجامعة العربية ونُقل مقر الأمانة العامة للجامعة إلى تونس تزداد ثقلًا على الرئيس حسني مبارك وارث هذا العمل الثقيل من العهد الساداتي. وكان الغرض من الزيارة الوقوف من الرئيس جعفر نميري على طبيعة مهمة "لجنة التضامن العربي" التي إرتأتى ضرورة تشكيلها إجتماع لمجلس الجامعة على مستوى وزراء الخارجية عُقد يوم الثلاثاء 28 مارس/ آذار 1978 وقاطعته دول "جبهة الصمود والتصدي" سوريا والعراق وليبيا والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولقد تم إسناد رئاسة اللجنة إلى نميري كونه وقف إلى جانب السادات في موضوع "كامب ديفيد" وأبقى على علاقات طيبة للسودان من جميع الدول العربية. وبدأ نميري جولة شاقة شملت الدول العربية كافة بأمل تكوين سحابة وفاق عربي تُمطر إعادة للدولة العربية الأكبر مصر إلى أمتها التي تقتقد غيابها وإلى جامعتها التي إنترعت مؤقتاً وبكثير من الألم منها.

والى جانب الغرض من الزيارة المشار إليه ثمة قضايا سودانية إستجدت ولا بد من التوقف عندها بحكم إهتمامي بأحوال السودان. ومن هذه القضايا غوص النظام في بحر إسلاميته وتشريع قوانين فضلاً عن إدراج الخمر والتدخين والحجاب في المحظورات والمحرّمات.

بعدما إنتهى تسجيل اللقاء الذي أفاض الرئيس نميري في الرد على عشرات الأسئلة التي وجّهتها إليه، فاجاني بملاحظة رأى إحاطتي بها وقال إنه في آخر إجتماع بينه وبين الرئيس حسني مبارك سمع منه ما يفيد بإنزعاجه وغضبه من كتابات لي في مرحلة ما بعد ترؤسه خلفاً للرئيس السادات، وأنه أيضاً طالما تفهّم أيضاً الغضب

الأقدار أن تكون الصلاة على مبارك المتوفي في المسجد الذي يحمل إسم المشير، وأن يكون طنطاوي من بين الذين تقدمهم الرئيس عبد الفتاح السيسي في جنازة فاق فيها الجانب الرسمي العسكري على الجانب المدني والشعبي عموماً.

ولقد أبى مبارك على نفسه أن يُنفى هرباً تحت جنح الظلام وعلى جناح المؤسسة العسكرية وإبتعد عوض ذلك عن العاصمة إلى ساحل شرم الشيخ كي لا يبقى وجوده وشرعيته عبئاً ثقيلاً على الجنرالات الذين أمسكوا بزمام الأمور ومزيداً من التحدي للميادين التي لم تعد تتسع للمحتجين الذين كثرت كل أنواع الإختراقات لهم وبالذات الإختراق الإخواني الأكثر إستعداداً للإنقضاض وهذا ما حدث بعدما بات الرئيس، الذي بصمته في صفحة نصر أكتوبر 1973 واضحة قيد الإدانات على أنواعها، بين أيدي الطبيب المعالج والقضاء المحاسب. ولقد كانت هنالك رئاسات ومقامات عربية ودولية على إستعداد للترحيب بإقامة رئيس إرتبطت به بعلاقات قائمة على التقهّم وعدم التسبب في منغصات، في حماها ويلقى إهتماماً ورعاية أكثر بكثير من تلك التي لقيها الأمبراطور محمد رضا بهلوي من الرئيس السادات. كما قد تكون هنالك جهات طلبت أو سجلت بعض التمني بالإستضافة، لكن الرئيس مبارك لم يطلب مرتضياً الإحتكام إلى قضاء مصر وأحكام قضائه على ثلاثين سنة من التروؤس من دون أن ينتقص مثوله في قفص المحكمة وكثرة نقله من حيث الإحتجاز إلى حيث منصّة المحكمة براً وجواً من مواقف تُحسب له في سنوات رئاسته بلحوا ومرها.

وكصحافي متابع بدأب لقضايا مصر بكل عهودها الجمهورية مع غوص في بحر أواخر سنواتها الفاروقية، كانت لي في سياق الإهتمامات جلسة حوار دامت ساعتين كاملتين مع الرئيس مبارك يوم الأربعاء 25 أكتوبر/ تشرين الأول 1983. ومع أن صدره عموماً كثير الرحابة إلا أنه أسمعني الكثير من إعتراضه على بعض ما أكتبه عن مصر. وحيث أن الرئيس بات في ذمة الله وبانت بالتالي واجباً صحافياً الإضاءة عن تلك المرحلة وكيف إستعادت مصر عضويتها المعلقة في الجامعة العربية، وكذلك طبيعة تلك الجلسة الحوارية وظروفها ودور طرف رئاسي عربي فيها، فضلاً عن الإلزامي بما طُلب مني الإلتزام بما بات عرفاً من جانب أهل الحُكم نحو الصحافة، فإنني أترك لمقالة لاحقة تلك الإضاءة.

الساداتي في شأن جوانب من تغطيتي الأحوال السياسية المصرية. وبدا الرئيس مبارك في إحاطة صديقه الرئيس نميري بالذات بعتبه الغاضب كمن يريد منه إيصال العتب، وذلك كونه يلاحظ عمق علاقتي بالسودان وبالرئيس نميري الذي أضاف إنه إقترح على الرئيس مبارك أن يستقبلني كصحافي يجري حواراً معه للنشر وفي الوقت نفسه يتاح لي التوضيح والإعتذار إذا تطلب الأمر ذلك، علماً أنني في ما أكتبه عن العهد الجديد والإرث الساداتي قد أكون إقتربت أحياناً من المحظورات السياسية، إنما من دون قصد ومن دون إساءة مع الإلتزام بما لا ينال من الكرامات بكلام خارج التأدب.

بعد ثلاثة أيام توجهتُ إلى مطار الخرطوم للعودة إلى القاهرة بانتظار إتصال بي من الدائرة الإعلامية في الرئاسة لتحديد موعد مقابلة الرئيس التي رتب لها الرئيس نميري. وحدث وأنا في المطار أن جاءني أحدهم لتسليمي رسالة لم يحدث أن كان لها نظير من قبل. الرسالة شخصية ومن الرئيس نميري بخط يده وتوقيعه وبالنص الآتي: الأخ فؤاد. لك السلامة ورحلة ميمونة. أرجو أن تفارقنا والأمل في لقاء سريع مع أسرتكم الكريمة. أتوقع أن يكون لقاءكم مع الأخ حسني لقاءً مفيداً ودافئاً لنا جميعاً لنعمل لتدعيم التضامن العربي والتضامن المجلة التي صارت رمزاً لي وهدفاً أتوق لتحقيقه في بقية حياتي القصيرة. أرجو أن يكون صبرك وبالك طويلاً مع حسني ولو تعمّد لومك وعتابك فيما حصل في الماضي. الأخ حسني له حسنات حميدة وعالية جداً مقارنة مع أي رجل دولة عربي. كسبه مكسب عظيم. وبه تكسب مصر الرائدة والقائدة. بلغ تحياتي لأُم أولادكم وأولادكم وتمنياتي لك بالنجاح.

أنجزتُ الحوار مع الرئيس مبارك الذي كانت وفادته موضع إمتناني ولقي الحوار من وسائل الإعلام المصري نشرًا وتعليقاً إهتماماً ملحوظاً.

عاد العتب مرة أخرى من جانب الرئيس مبارك مطلع صيف العام 1987، وإنحصر في لفتات إنتباه حادة بعض الشيء تبلّغتها من الزميل الصديق الأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير صحيفة "الأهرام". ولهذا العتب دواعيه. فقد كنت بحكم متابعتي للقضايا المصرية وقفتُ على ملف محضر لقاء خاص للرئيس مبارك مع نخبة من الصحافيين المصريين بحيث أن الكلام الذي سيقال هو لأخذ العِلْم وليس النشر. وسبب العتب _ الغضب أننا

نشرنا في "التضامن" (السبت 13 يونيو/ حزيران 1987) كلاماً للرئيس قاله في الجلسة المغلقة مع بعض الإعلاميين المصريين بغرض التنوير والتوضيح وتحديد مسار المواقف من بعض القضايا والأنظمة والحكومات العربية.

لم يكن الغرض من جانبي التسبب في أزمة علاقات كان النظام في غنى عنها، ذلك أن بعض الأطراف كانت إعتبرت صفحة الماضي طُويت بما حفلت به من إرتباكات ومعاتبات ثم جاء النشر يوجب الكثير من التوضيح.

وبعد أن قال "إن مصر ستظل واحة الديمقراطية وسأفعل بالقانون وأحكام القضاء نافذة ويجب أن تُنفذ" إنتقل إلى الكلام الذي بسببه وقعت واقعه على شخصي وعلى المجلة التي نشرت ونُصدها من لندن، وذلك لأن أزمة علاقات حدثت بين مصر وبعض القادة العرب وبنوع من الحدة مع النظام السوري ومع النظام الجزائري ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن. ومما قاله الرئيس مبارك بالذات عن سوريا والرئيس حافظ الأسد كان الأكثر أهمية في الكشف عن المواقف. وهذا واضح من خلال ما رواه حولها على النحو الآتي: "غير صحيح أنه توجد وساطات عربية بين مصر وسوريا. مصر لم تطلب أي وساطة مع هذا النظام. والملك حسين لم يتوسط، وأنا لا أقبل أي حديث مع حكام سوريا لأن أياديهم ملوثة بدماء الفلسطينيين وهم سبب التخريب الحادث الآن في الموقف العربي...".

وحول الدور السوري في لبنان، قال: «أنا أحكي معلومات، وأقرر إن حافظ الأسد هو الذي عطّل إنسحاب إسرائيل من جنوب لبنان. أنا سألت بيريز مباشرة: لماذا لا تنسحب إسرائيل من جنوب لبنان؟ حكى لي أن سوريا هي السبب".

وعن العلاقة بين مصر والجزائر، قال الرئيس مبارك: "الجزائر حاولت التدخل في الشؤون الداخلية لمصر، ومصر رفضت. أحكي لكم القصة الآتية: أحمد بن بيللا طلب أن يأتي إلى مصر والإقامة في مصر، وأنا رفضت لأنني لا أريد أن أسبب أي إحراج للأخوة الجزائريين، عليهم أن يعلموا ذلك وأنا لن أسمح بأي تدخل في شؤون مصر...".

وحول المطالبة بإلغاء كامب ديفيد، قال مبارك: "أنا لن ألغي كامب ديفيد، لأن إلغائها يعني إعلان الحرب

على إسرائيل. المعاهدة تنص على قبول إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل، وعندما ألغى هذا النص، فمعناه أنني أعلن الحرب فوراً على إسرائيل، وهذا أمر لن يحدث الآن. وعندما تتخلص مصر من مشاكلها لنا كلام آخر، أما قبل ذلك، فأنا غير مستعد للانتحار، وإذا أراد أحدكم إلغاء كامب ديفيد فليبحث له عن رئيس آخر غيري..".

وأثار الرئيس مبارك نقطة حول باكستان وإسرائيل والقنبلة الذرية، فقال: "هل تعلمون أن الرئيس الباكستاني ضياء الحق جاءني وطلب مساعدتي للوساطة مع إسرائيل؟ قال لي: أنا أثق بمصر وبوطنيتها، ونحن نريد أن نستغل علاقة مصر وإسرائيل لصالح العرب والإسلام. قلت له: كيف؟ أنا جاهز؟ قال لي ضياء الحق: معلوماتنا أن إسرائيل تخطط لضرب المفاعل النووي الباكستاني، هم لديهم الخرائط والخطط وجهازون للعملية، تماماً مثلما فعلوها مع العراق، وأنا أريد منك يا سيادة الرئيس أن تتصل بإسرائيل وتطمئنهم، إنني لا أملك قنبلة نووية ولا نهديد إسرائيل. تصوروا، باكستان التي تبعد آلاف الكيلومترات عن إسرائيل تخشى من هجوم إسرائيلي عليها، ويأتي الآن بعض المزايدين العرب ويطالبونني بإلغاء كامب ديفيد".

ما أوردته وعلى لسان الرئيس مبارك هو القليل من الكثير جداً الذي قاله وبدأ في ذلك أنه يريد إزاحة أفعال ضاغطة على صدره ويرى ضرورة البوح منها، إنما كما سبق وأشرت ليس للنشر. لكن عندما يجد الصحفي مثل حالي هنا نفسه أمام عشرات أوراق تحمل سطورها من كلام لرئيس الدولة العربية الأكبر ما يجعله يضعف أمام عبارة "لأخذ العلم وليس للنشر"، ويرى أن من واجبه إبقاء القارئ حقه في أن يعرف ما لا فرصة أتاحت لكي يعرف، فإنه يبادر إلى النشر.

ورغم أن رد الفعل على النشر كان شديد الوطأة على نفسي، إلا أن الرئيس مبارك لم يؤدّب كما حدث لي في العهدين السالفين وربما رأى في الوقت نفسه أن في تعميم كلامه ما هو كفيل بإزالة غشاوة على العيون العربية عموماً، أو قد يكون تذكر تلك المقابلة المطولة التي أجريتها معه يوم الأربعاء 26 أكتوبر/ تشرين الأول 1983 وقال فيها من الكلام التحذيري ما هو حاصل في الأمة حاضراً وما تحتاج إليه كثير الحاجة وبالذات عبارة "إن الخلافات العربية هي التي تهوي الظروف التوسيعية لإسرائيل، وإذا استمرت هذه الخلافات ستضيع القضية

وتموت ويكون تهويد الضفة الغربية وقطاع غزة".

وأما الخلافات فإنها مستمرة وتتشعب. وأما التهويد فقد بدأ بدفع محموم من جانب إدارة الرئيس ترمب. في إنتظار القمة العربية في الجزائر التي تأجلت إلى حين إنقشاع غيمة كورولا ونضوج مسعى إستعادة سوريا وعلى نحو إستعادة مصر من قبل علّها تضع خارطة طريق عربية تعطل في الحد الأقصى وتربك في الحد الأدنى خارطة طريق ترمب _ نتتياهو وخارطة طريق إيران _ تركيا _ روسيا والله المعين.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 16 مارس (آذار) 2020

في مسألة العتاب والعقاب رئاسياً

جاء رحيل حسني مبارك خامس رؤساء مصر الجمهورية الذين باتوا في ذمة الله تاركاً كل منهم بصمة تتميز عن بصمات الآخرين في التاريخ الحديث، في زمن نعيش كورونته التي أخفقت كل القوى العظمى حاملة سيف "الفتوة" على أصحاب القضايا المحقة ومعها دولة الحرس الثوري المسكونة بالحلم النووي الذي إنتهى كابوساً ثقيل الوطأة على شعوبها، في الإنتصار على جرثومة هزت دول العالم من القطب إلى القطب كما لم تهتز على هذا النحو من قبل مالياً وصحياً وتعليمياً وتنقلاً برّاً وجواً وبحراً وهواجس في النفوس من الهجمة الفيروسية التي لا ترحم، وكأنما هذه الجرثومة إنذار للمتجبرين على الأرض التي كانت خير هدية من رب العالمين، قوبلت بالجحود من جانب بعض البشر الذين يتجبرون بدل الحمد والشكر ويحولون بالصواريخ والنووي والحروب ومفردات التخاطب بيئة الخير والطبيعة الجميلة إلى كل أنواع التدمير الممنهج.

هذا الرحيل لرئيس عايش كصحافي ميدانياً كما معايشتي للرئيسين اللذين رحلا من قبل، جمال عبدالناصر ثم أنور السادات، وثلاثتهم من النسيج الواحد، تجعلني أستحضر من الذاكرة ومن الإضبارات التي تحوي من الأوراق ما كانت لأسباب موضوعية تخصني كصحافي ويختص بعضها بمصالح الصحيفة ("النهار" اللبنانية)

التي أعمل فيها، توجب إبقاء أوراق ومعلومات وظروف وقائع طبي الإضرابات إلى حين. وها هي مناسبة رحيل خامس الرؤساء تحيز لي الحديث عن ظروف صعبة يواجهها الصحافي ولا يدري بها القارئ الذي يكتفي بالتصفح وهو يطالع في صحيفته تفاصيل حدث إستثنائي مثل ظروف ودوافع إنتحار المشير عبد الحكيم عامر الأكثر قرباً ومحبة لعبدالناصر بعد هزيمة 5 يونيو/ حزيران 1967، ومثل الإنتفاضة الساداتية التي أنهت نفوذ رموز الحقبة الناصرية، وما هي حقيقة رواية الضباب الذي بسببه أجل السادات حربه التي حدد موعدها، وكيف أنهى بقرار إخراج الخبراء السوفييات العاملين في الجيش المصري كمربين ومستشارين، مهابة الدولة العظمى وقيادتها المثلة، مساهماً في إنقلابها على تاريخها وعقيدتها. كما كيف جرى سيناريو إستعادة مصر عضويتها في الجامعة العربية وبالتالي إستعادة مقر أمانة الجامعة من تونس إلى مكانها الأصلي القاهرة. وأما ما يتعلق بسنوات علاقة ليبيا القذافية بالعهود الرئاسية الثلاثة (عبدالناصر. السادات. مبارك) فإن ما في الإضرابات تأجلاً يفوق بكثير ما على صفحات الصحيفة نشرًا.

وحيث أن قارئ الصحيفة لا يدري أي معاناة وأحياناً أي شقاء يعيشهما الصحافي من أجل أن يقدّم للقارئ ما يتوق إلى معرفته، فإنني سأوجز في ما يأتي من السطور نماذج من هذا الشقاء وتلك المعاناة عشتها كصحافي مهتم كثير الاهتمام بالشؤون المصرية في عهد عبدالناصر والسادات ومبارك.

كانت التغطية التي أبعث بها إلى صحيفة "النهار" اللبنانية كموفد ثم مراسل لها من القاهرة، في إستمرار تحت المجهر. وحدث لدى وصولي ذات يوم إلى القاهرة أن أخذني مسؤول أمني تم إبلاغه بوصولي من موظف الجوازات إلى مكتبه ثم طلب إيداعي في قاووش صغير المساحة في المطار إلى حين. لا إستتطاق ولا أي توضيح عدا الطلب بتسفييري على أول رحلة إلى بيروت. دام هذا العقاب شهرين ومن دون إبداء الدواعي عدا التلميح بأن ما ورد في إحدى رسائلي من معلومات دقيقة تتصل بالصدمة الناشئة عن إنتحار المشير عبد الحكيم عامر وبصراع الأجنحة داخل الإتحاد الإشتراكي العربي على خلفية تداعيات هزيمة 5 يونيو 1967 هي السبب في العقاب الذي تقرر إنزاله بشخصي لمجرد مجيئي، كما مرة أو إثنتين كل شهر. ثم بعد التقصي قيل لي إن الرجل

القوي زمناك إعتبر ما نُشر في شأن الصراع داخل الإتحاد الإشتراكي، بأنه تسريب لي من جانب رئيس تحرير "الأهرام" محمد حسنين هيكل الذي كان أحاطني بإهتمام وأجاز لي أن أتردد على "الأهرام" ومن دون تحفظات إزاء التحادث مع زملاء فيها وكذلك الإستفسار منه إذا رأى ذلك مناسباً عن أمور تتصل بالسياسة العامة للدولة. ونتيجة إنزعاج الأستاذ هيكل من الذي حدث أمكن رفع الحظر على ترددي إلى القاهرة ومواصلة تغطية التطورات المصرية.

العقاب الساداتي كان مختلفاً وهذا طبعي لمن يعرف أسلوب الرئيس السادات عندما يريد الإهانة أو الإستهانة بإعلامي يتصور أنه أساء إليه بنشر معلومات، لكن النظام لا يريد نشرها لإعتبارات سياسية، وبصرف النظر عما إذا كان رأى ذلك إستناداً إلى تحليل أحد المستشارين. ولقد حدث في ضوء إنزعاج _ هذا ما قيل لنا _ من تغطيتي للتطورات المصرية وبالذات تلك المتصلة بـ "الإنتفاضة الشعبية والطلابية" أن تم إدراج إسمي مرة ثانية على قائمة "غير المسموح لهم بدخول الأراضي المصرية". ثم بعدما رفعتُ الأمر في صيغة رسالة عتب وتوضيح إلى وزير الإعلام زمناك محمد فائق تم طي صفحة العقاب وأبلغني الوزير ذلك ببرقية وصلت منه إلى "النهار" تحمل العبارة الآتية: "السيد فؤاد مطر. جريدة "النهار" بيروت. أرحب بكم في القاهرة في أي وقت. مع تحياتي وتمنياتي الطيبة. محمد فائق".

بعد هذه اللقطة الطيبة من الوزير محمد فائق وافقني ناشر "النهار" ورئيس تحريرها غسان تويني على أن نطلب عن طريق سفير مصر لدى لبنان أحمد لطفي متولي مقابلة الرئيس السادات لتهدئة خواطره. وكان الترحيب سريعاً في ضوء برقية الوزير محمد فائق، وتمت الزيارة. ذهبنا للقاء السادات في الإسكندرية حيث كان يرتاح بدلاً من لقائه في إستراحة القناطر الخيرية التي تطيب له التأملات فيها والسير على ضفاف نيلها الأكثر هدوءاً. وكنت متصوراً أن الرئيس سيرها أرقى تحية وتطمين له من أن "النهار" لا تريد سوى الخير لمصر شعباً ورئاساً. جلسنا في صالون مكتب الرئيس ثم دخل علينا بعد دقائق مدير مكتبه إيذاناً بالدخول. ولدى وقوفنا قال "إن الرئيس سيستقبل السيد تويني". معنى ذلك أن لا أدخل معه. بعد عشرين دقيقة خرج الرئيس السادات مصطحباً غسان تويني إلى باب المكتب ثم قال له: الواد

ده عامل حلف مع هيك. الأفضل يلزم حدوده.

تحملتُ بصبر ابن المهنة الذي يؤدي واجبه بكل تجرد. وأقيتُ إلى حين طي الإضرابات عشرات الأوراق والوثائق التي من أجل عدم إحداث إرباك في السياسة العامة المصرية لم أنشرها. ثم بعدما بات الرئيس السادات في ذمة الله إخرتُ للنشر بعضها ليس على صفحات صحف وإنما في كتاب إخرتُ له تسمية "أنياب الخليفة.. وأنامل الجنرال". وفي طيات فصول من الكتاب إضاءة على أسلوب ثاني الرؤساء في العتاب والعقاب.

وحده كان الرئيس مبارك عاتباً بقساوة إنما ليس معاقباً. وحول ذلك إضاءة لاحقة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 18 مارس (آذار) 2020

إستعادة الوطن بعودة الوعي

جِلَّ من لا يخطيء. وجلَّ بين الجالسين في قمة السُلطة من لا يرتكب حالة ظلم في حق العباد وفي حق العلاقة مع الجيران القريبين ومع الأصدقاء البعيدين. وهؤلاء الخطأئين والأثميين بالنهج الذي يعتمدونه أسلوب حُكم وإلحاقهم الأذى بالغير، لا ينقذهم من سوء أفعالهم سوى إعادة النظر من دون التوقف من جانب هذا أو ذاك أو أولئك عند أن هذه الإعادة هي حالة ضعف وهم لا يريدون الظهور بضعفاء أمام شعوبهم، علماً بأن إعادة النظر هي نوع من الاعتذار كما أنها وسيلة لما هو آت من فترات البقاء في قمة السُلطة.

ولكي لا يبدو كلامنا هذا نوعاً من التجريد الذي تتسم به لوحات الفنانين التشكيليين، فإنه عند بعض التسميات لحالات من السُلطة وأصحابها يأتي الرئيس بشار الأسد في رأس قائمة من تحمل أسماء أولئك الأكثر حاجة إلى إعادة النظر لكثرة ما إقترفوا في أسلوب قيادتهم من قساوة وفي نوعية تعاملهم مع الشعوب ومع دول قريبة أو بعيدة من آثام كان من شأن تقاديبها صون البلاد وعدم الإضرار بالعباد.

أما لماذا الرئيس بشار يتقدم على سائر الذين هم مطالبون وفي الحاجة الأشد لإعادة النظر أمثال المرشد خامنئي وحرسه والرئيس أردوغان وإجتياحاته السورية

والليبية فلأنه بعد عشر سنين من الصراع الحرسى والميليشياوي على أرض سوريا وتجبير دور سيادي إلى النظام الإيراني ثم إلى روسيا البوتينية يتأكد لنا أن تصرف الطرفين مع النظام البشاري كان على نحو ما أوجزه الشاعر بالقول: "يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتُنا.. نحن الضيوف وأنت رب المنزل". هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الطرفين الروسي والإيراني لم يتصرفا كضيفين يراعيان حقيقة أن دار المضيف ليست لهما وأن مائدته ليست واجباً عليه تأديته، وإنما المضافة نوع من التعبير عن حُسن التصرف مع الضيف وإكرامه.

ولقد رأينا كيف أنه لم تمض بضعة أسابيع على إستضافة كل من حرس الثورة الإيرانية وعساكر روسيا البوتينية وذلك من أجل تقليص العمليات التي تقوم بها فصائل مسلحة معارضة، حتى بدأ الإيراني ومعه الروسي يؤسسان لبقاء طويل وهما من أجل ذلك وضع كل منهما إستراتيجية مستلزمات هذا البقاء من قواعد يتم إنشاؤها ومن مطار لا سُلطة سيادية لصاحب الأرض على ما يحيط فيه ويُقلع منه. ثم رأينا أن الإستضافة الطويلة تتطلب لغة تخاطب مع الناس المسؤولين فتم لهذا الغرض إعتداد الروسية بعد الفارسية لغتين تُدرَّسان. ثم تواصل يوماً بعد يوم تغييب الشأن السيادي في رسم الإستراتيجيات وكل ذلك على وقع معارك عبثية تسيء إلى النظام ومن دون إحترام سيادة الدولة التي كانت رقماً صعباً ثم وصلت الحال بها تحت وطأة الهيمنة الثنائية الإيرانية _ الروسية إلى مشارف التصفير بمعنى أنها موجودة كأرض لكنها ليست كما من قبل لها سلطتها الوطنية وأنها خالية من ثلث شعبها الذي هاجر إختياراً بعد إضطراب. واللافت أن تلك الملايين النازحة من الشعب السوري لم تجد الملاذ في إيران وفي روسيا وإنما في الدول العربية وبشكل مكثف في لبنان والأردن ومصر ودول الخليج. فهذا شعب عربي ومن الطبيعي أن يرى في الخيمة العربية الملاذ الكريم.

وعندما إشتدت ذراع رجب طيّب أردوغان صديق بداية التوريث من الأب الذي رحل حافظ الأسد إلى الابن الثاني بشار بتسلّم دفة قيادة الدولة التي كان مخطّطاً أن يتسلمها شقيقه بادل الذي قضى في عملية ما زالت دوافعها وظروف حدوثها لغزاً مُرجحاً الكشف عنه، فإن الجار التركي إصطف إلى جانب الضيفين الإيراني والروسي إنما ليس لنجدة الصديق وإنما لكي ينال نصيبه من

الرغيف السوري الذي يقضمه بإستمتاع كل من الإيراني والروسي. وهو أخذ كرسيه إلى مائدة الوطن السوري المغلوب على أمره بعدما كان إنتشى عندما تحققت زيارة الرئيس بشار يوم 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2007 له وكانت زيارة دولة وليست عادية، ومن دواعي الإنشاء أن الرئيس بشار سلم بـ "تركية" إسكندرون فلم يعد هذا اللواء حقاً مسلوباً. ثم وصلت الحال بالضيف الثالث المعتر بعثمانيته إلى أنه ومن دون الحاجة إلى عقد إتفاقيات كما التي عقدها الرئيس بشار مع كل من إيران وروسيا، وبذلك أسبغ الشرعية على بسط القوة والنفوذ على الأرض السورية، أرسل قوات وبنى قواعد متحركة وتعامل مع النظام السوري تعامل من إنتزع منه حقاً أو أرضاً مع أن العكس هو الصحيح. ثم تصل الحال بالرئيس أردوغان إلى حد أن يعرض على الرئيس بوتين تقاسم إدارة حقول نفطية في دير الزور، وأنه سيتشاور في الأمر مع الرئيس ترمب ربما بأمل مقايضته بموقف، وهكذا تصبح المسألة تقاسم وضع اليد على الوطن السوري الذي لن يستعاد إلا إذا قرر الأشقاء العرب إنتشاله من البئر الذي رُمي فيها مثل رمية يوسف. والراميان في الحالتين هما شقيقا يوسف ماضياً وشقيقات سوريا العربيات راهناً.

ولطالما إستبشر أبناء الأمة خيراً بإقترب موعد القمة الدورية التي من أجل أن تكون إستثنائية القرارات كذلك القمة التي إستضافتها الخرطوم يوم 29 أغسطس/ آب 1967 جاء مستضيف إنعقادها الرئيس الجزائري إلى الرياض يوم 26 فبراير/ شباط 2020 للتشاور مع الملك سلمان بن عبدالعزيز في ما يجعل القمة خير مناسبة لتحقيق وفاق عربي، والنقاهم على ما يجعل الحالات العربية العالقة وبالأخص منها الحالة السورية تتخلص من المثلث غير العربي المتحكم بها والذي يضفي بأسلوب التعامل مع سيادتها الوطنية سلطة وأرضاً وبحراً وأجواء وكأنما هي مجيرة لتعزير نوازح الأطراف الثلاثة إيران وروسيا وتركيا المتمثلة بمرشد الأولى وحرسه وعنفوان كل من بوتين وأردوغان الحالمين بأدوار قيصرية _سلطانية.. وهذا قبل أن تقاجىء "كورونا" العالم وتترك في ساحات الطامعين تنبيهاً لا سابقة له وهو أن هذه الجرثومة أقوى تأثيراً من أحلامهم.. بل إن في مقدورها تحويل نعيم الأحلام إلى جحيم من الكوابيس.

أهمية القمة العربية التي تحلم الجزائر بأن تكون المنصة للتذكير بالقول الكريم "وإعتصموا بحبل الله جميعاً

ولا تفرّقوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" أنها الدواء الوحيد الشافي للمريض السوري المحاط بأوبئة سبقت خطر "كورونا" وفتكت بسيادته حاكماً وأرضاً وسماً وبحراً، ونعني بذلك وباء التدخل بالرضى أو بفعل غياب الوعي، وفي أحسن الأحوال بفعل سكتة وعي كالتي تصيب الدماغ. ومثل هذا الدواء ينجع في حال شعر الرئيس بشار الأسد بأن قمة الجزائر المأمول ألا يطول إرجاء إنعقادها جادة في إستعادة سوريا إلى بيتها العربي. والمهم ألا يصيبها تأجيلاً ما أصاب دورة الألعاب الأولمبية التي نامت اليابان وهي تحلم بإستضافتها ثم إستفاقت على كابوس التأجيل سنة كاملة بسبب التهويل الكوروني ولكي لا تنتهي الألعاب في حال إنطلاق فعاليات الدورة أحداثاً درامية.

وليست المرة الأولى التي يتأجل فيها إنعقاد قمة عربية مقررة، لكن التأجيل هذه المرة وتحت وطأة تداعيات "كورونا" قد يكون خير مناسبة لكي تصدر من جانب الرئيس بشار نداءات إستغاثة الخاسر الرهان من وطأة التدخل الإيراني والروسي والتركي في أوطان الآخرين. مع ملاحظة أن أكثر من طرف عربي، كل ببادرة مختلفة فتح ثغرة له في حالة الإستعصاء عليه التخلص من عبء الإحتواء المترج له من جانب الإيراني والروسي والتركي. وهؤلاء الثلاثة يتمنون أن يستمر العقاب العربي على بشار الأسد ذلك أنهم في ظل هذا النأي من جانب الأشقاء العرب عليه إنسلّ الأول فالثاني يليهما الثالث وأمعنوا شروراً في إلغائهم السيادة الوطنية للنظام وللأرض في سوريا.

وهكذا فكما كان العقاب للنظام البشاري عربياً تكون الإستعادة عروبية أخوية من البرائن الإيرانية والروسية والتركية، كما لا يعود الرئيس ترمب يمارس اللعبة أو الملعوب غير المنزه عن الشر على نحو بدعة "قانون قيصر" وخلاف ذلك من إجراءات تصب في مصلحة إبقاء العزلة السورية بقرار عربي على ما هي عليه.

عسى ولعل بعد أن تنقش قليلاً غيمة الأبابل وتخف غمة إنتشار حجارة الجرثومة من دون زيادة العصف المأمول في ديار الأمة، يأخذ الوعي البشاري فرصته مقروناً بإستحضار تجربة إستعادة مصر التي لم يحقق إسقاط عضويتها في الجامعة العربية أي جدوى. وفي ضوء ذلك تشق سوريا طريق العودة إلى محيطها العربي وغسل ما علق في عشر سنين عجاج من أوزار وإهانات

أقرب إلى الإذلال. والله الهادي الجميع إلى سواء القرار الموضوعي.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 26 مارس (آذار) 2020

فرصة ذهبية لتبييض الصفحة

هذا الهلع الذي أحدثته "كورونا" الصغيرة والتي زلزلت الكبار وبالذات أولئك الذين لا يشبعون حُكماً ومالاً وشغفاً بالتحرش في أحوال الآخرين، لها إلى جانب أذاها بعض النفع.. إنما لمن لم تلسع بعد حلوهم وتتسبب حُمها في جعل من تصيبه في دائرة الخطر.

ما نعينه بالفرصة الذهبية هو أن يقتنع الذين لا يشبعون إمساكاً بالسلطة دائمي الإستحواذ بها بأنها ما دامت لسابقيهم حتى تدوم لهم، وكأنما مصادفة الماحقة الكورونية مع سلوكيات حربية وسياسية ومالية تسود العالم المثخن بالفساد والإفساد هي تأكيد لهذه الحكمة. وهنا يتصدر المشهد الرئيس فلاديمير بوتين الذي إختار النهج الذي سلكه من قبل عمر البشير ويتمثل في إنجاز خارطة طريق دستورية لكي يبقى رئيساً ما دام على قيد الحياة لا يرتضي إفساح المجال أمام آخر أو آخرين لتأدية مهمة رئاسة الدولة.

وزيادة في توضيح المقارنة نشير إلى أنه ومن قبل أن تبدأ الزلزلة الكورونية ببضعة أسابيع، فيما الحراك الشعبي السوداني يتسع في معظم المناطق إحتجاجاً على أزمة تشمل الخبز والوقود وإرتباك العملية المصرفية وشيوع ظاهرة الطوابير أمام الأفران ومحطات الوقود وآلات الصرف الآلي المثبتة على مداخل بنوك السودان، ينبري عشرات النواب إلى إستيلاء تعديل دستوري يستبق موعد نهاية ولاية البشير ويرفقون نصها بمفردات ولأنية لم يخطر في بالهم أنها أضافت زخماً إلى التملل الشعبي الذي إنتهى حراكاً فإصراراً على إسقاط النظام. وهذا ما حدث. وفي مضمون التعديلات وبالذات المادة 57 التي تحدد الحق في دورتين رئاسيتين كل منهما خمس سنوات، ما كان واضحاً أن البشيريين يخططون لـ "مملكة جمهورية" يكون السودان بموجبها المنصة العربية للمشروع

الإخواني، أي بما معناه البديل التعويضي لفقدانهم أن تكون مصر هي المنصة قبل أن يحسم الفريق عبدالفتاح السيسي الأمر محبطاً المشروع الإخواني أحسم إحباط. وبضربة قاضية تحولت أحلام "الجماعة" بموجبها إلى كوابيس وقبوع في السجن وحراك ميثوس العوائد في الحاضنة الأردوغانية. ولقد جاء التعديل يتضمن عبارة "يحق للرئيس الترشح لدورة رئاسية وأكثر" بدل تحديد "الحق في دورتين رئاسيتين كل منهما خمس سنوات". وحيث أنه لا بد من أسباب موجبة في نظر المعدلين وحدهم كان هناك من يقول "إن التعديل ضمانة الإستقرار في البلد" مع أن الإستقرار كان يتأرجح تحت وطأة بداية زلزلة شعبية. كما كان هنالك من ذهب في إتجاه الزمن الغابر قائلاً "إذا نحن إستلهمنا التاريخ الإسلامي فلن نجد هناك تحديد لفترة حُكم الرئيس وسنقاتل على تثبيت هذا النص في الدستور". وكان هنالك تنظير لبرلماني إنفاذي أوجزه بعبارة "إن إستمرار الرئيس البشير قضية ملحة لذلك ثمة حاجة لإستمرار رئيس الجمهورية (تحديداً البشير) بالنظر إلى خبراته المتراكمة". وبطبيعة الحال فإن رئيس البرلمان "الإنفاذي" هلل لمقدمي مذكرة في شأن التعديل قائلاً لهم ومنهم لعموم أعضاء البرلمان "إنكم إتخذتم الطريق الصحيح، ولتعديل المادتين تأثير واضح في السودان...".

لم يختلف سيناريو الشرعنة للبشير رئيساً أبدياً بحكم فذلقة "دورة رئاسية وأكثر" عن جوهر سيناريو الشرعنة من أجل أبدية رئاسة بوتين. البشير لم يقتنع بالثلاثين من الأعوام أمضاها رئيساً أعدم من أعدم وسجن من سجن وأبعد من أبعد وأشبح من أشبح (إشارة إلى بيبوت الأشباح التي قاسى من ويلاتها ناس طييون مغضوب عليهم من إخوان "الإنقاذ")، وما هو أهم من ذلك إرتكاب وزر إنشطار الكيان إثنين بتقديم الجنوب لدعاة الإنفصال على طبق من المبررات، وكل ذلك بإعتقاد أنه من دون الجنوب المسبب للصداع والإستنزاف يمكنه البقاء رئيساً مدى الحياة تشبهاً بالأفريقي الآخر موغابي ومن قبل مانغستو هيلامريام الجار الأثيوبي الماركسي. كما أنه بالتخلص من العبء الجنوبي ينصرف مطمئناً إلى العبء الدارفوري على أساس أن لا سند دغم فاعل من دول الغرب للدارفوريين كالذي ناله الجنوبيون بالتقسيط من الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا، ناهيك بدعم الفاتيكان الذي كان لتعزيز المسيحية في الخاصرة

بعض الظن الذي ليس إثماً

تبدو "كورونا" وكما لو أنها توأم "داعش" مع إختلاف وسائل الإيذاء وإزهاق الأرواح. ومثلما إستولدت "داعش" من جانب مرجعية شريرة وأمعنت إنتشاراً في أكثر من دولة، وحتى إشعار آخر ما زال أمر إنهاء دورها غير محسوم، قد تكون "كورونا" الإستيلاء الثاني. ولنا بالنسبة إلى "داعش" تصريحات كبير كُبراء العالم الرئيس دونالد ترمب الدليل على ذلك حيث هو دائم إستعمال الوجود الداعشي المتنقل كذريعة لأغراض في النفس القلقة إزاء التجديد للولاية الرئاسية.

وإذا كانت "كورونا" توأم "داعش" أو "أختاً" من الوالد الشرير صانع الحاليتين، ليست هي الرد على ما أصاب "أختها" وكيف إنتهى النسل الداعشي أفواجاً من أطفال جاءوا إلى الحياة في زمن إحراق بعض الآباء لأبرياء وإغتصابات من كل نوع لفتيات وتدمير لتراث تاريخي أثاري، وهي بما لديها من عقول تقنية يروم أصحابها إنتقاماً بالآخرين قادرة على إستيلاء جرثومة يتولى الدواعش المتواجدون في معظم دول العالم إما إبتكارها وإما تسويقها.. إنه إذا كانت ليست هي الفاعلة، فإن صانعيها القابعين في مختبرات متقدمة في دولهم "أنجزوا" في لحظة ضرورة توسيع رقعة الأذى والشر المستطير، ثم أوكلوا إلى هؤلاء الدواعش المستترين أمر السفر إلى عشرات الدول مزودين بالجرثومة لنشرها، ومن دون أن يعني الضئاع أولئك أمر هل يسلم ناقل الجرثومة من الإصابة أم يناله ما يحصل للمتساقطين من جرأ حالات الحمى وتوابعها تستقر في أبدان أناس يتبضعون أو يتنزهون أو يتبارون بكرة القدم في ملاعب أو يعملون في مكاتب أو يتلقون العلم في مدارس وجامعات أو ينقلون طعماً إلى جياع.

هنا لا تعود مثل هذه الظنون والإفتراضات إثماً. أي لا يعود الإفتراض بأن العقل الصهيوني يرى أن صفقة القرن لن تتم إلا إذا إنتهى العالم بما هو أخطر من ذلك. كما يتجاوز الأمر بعض الشيء الظن عندما صدرت يوم الأربعاء 18 مارس/ آذار 2020 عبارة للرئيس الإيراني حسن روحاني تحمل الكثير من تفسير، وفيما ضحايا الجرثومة يتساقطون في ثلاثة أرباع دول العالم برسم العلاج، أو ضحايا بعدما لم ينفع العلاج الذي كشف

الإسلامية.. أي سودان البشير وجماعة "الإنقاذ".

جاء السيناريو الروسي يستبق فيه بوتين ولايته الرئاسية الثانية التي تنتهي العام 2024 وحينها يكون على مشارف سبعينيته. وما دام نواب البرلمان هم في أكثريتهم نوابه كما حال نواب البرلمان السودان فإن الأمر لا يعود بالتعقيد الذي كان يمكن حدوثه لو أن هنالك رحابة في العمل السياسي.

واللافت أنه كما ردد البشير من قبل أنه لن يجدد الرئاسة، فإن بوتين فعل الشيء نفسه. ثم يتبين لاحقاً أنهما وبعض رؤساء باتوا في ذمة الله ومنهم علي عبدالله صالح الذي ضيّع نفسه وكاد يضيّع اليمن الذي يحاول حوثيو إيران إتهامه، تكثر الإفتراضات بالنسبة إلى هذا الجنوح من جانب الرئيس بوتين لتمديد التروؤس وهو الذي إرتوى ترؤساً للحكومة ثم لرئاسة الدولة. فهل إنه يروم خلاصاً إختيارياً من ورقة التمدد في سوريا كي لا يصيب سلطانه ما أصاب السلف الترويكى الشيوعي من الرئيس السادات طارد الخبراء ولاغي من طرف واحد المعاهدة، خصوصاً أنه لا شعبية من جانب السوريين للدور الروسي الذي فرضه النظام البشّاري عليهم. والخلاص بصيغة التخلص لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت سلطة القرار بقبضة يده؟ أم هل إنه في صدد تعزيز الدور الذي بدأه في سوريا وتأمين بديل لتركيبية الحكم الحالية ببقاء رأس السلطة أو بإستبداله، ومثل هذا التطلع لا يمكن أن يتم إلا إذا كان بوتين هو الرئيس الأمر الناهي ممسكاً بكل السلطات؟

هذا إفتراض، لكن ثمة ما يجوز إفتراضه وهو أن الرئيس بوتين قيصري التطلع بالفعل وأنه عندما يتم التعديل الدستوري بحيث يبقى رئيساً حتى العام 2036 فهذا يعني أنه يريد تسجيل رقم قياسي في البقاء على رأس السلطة لم يسجله من قبل سوى جوزف ستالين. كما هذا يعني أنه سيكون راسماً لنفسه أنه الرقم الأول بين الخمسة الكبار، فضلاً عن أنه سيحكم بقبضة حديدية أين منها القبضة الستالينية. وهو في ما يتطلع إليه ليس الوحيد ذلك أن الرئيس رجب طيّب أردوغان يسير مستعجلاً الخطى على الطريق نفسه. وليس بالضرورة أن يكون كل من سار على درب وصل، ذلك أن من يحفر الحفرات لغيره قد يقع في إحداها. هدى الله الذين لا يقتنعون ولا يتعظون.

كُتِبَ لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 31 مارس (آذار) 2020

هشاشة القوى الكبرى المنشغلة بتطوير السلاح وجولات من التلاعب بقضايا الشعوب وأحلام العيش على كوكب غير أرض الخير والعطاء، فيما هي غافلة عن تعزيز الأبحاث العلمية ثم تأتي الجرثومة التي ربما تكون من وطواط حيواني كما ربما هي بفعل وطواط بشري يبغى فتكاً بأهداف لا تقتصر على أفراد وإنما على بشر بعضهم يقضي وفاة وأبعاض كثر يعيشون كمداً داخل بيوتهم وبذلك تتحول المدن بشوارعها ومحلاتها التجارية ومقاهيها ومطاعمها إلى مجرد هياكل من الحجر يعيش الذين في داخلها حالة من الهلع الجديد على عالم البشر، وهو الشعور بأنه قد يصاب بالجرثومة حتى من أقرب الناس إليه وأن الإصابة قد تتطور وأنه فجأة سيجد نفسه منقولاً إلى مركز للعلاج أو متوفياً جاءت غلبة الجرثومة تتفوق على براعة الطبيب المداوي.

وأما العبارة التي صدرت عن الرئيس روحاني فهي "إن إيران ردت وسترد على إغتيال الولايات المتحدة للقائد قاسم سليمان".

قد تبدو العبارة عادية لولا أن قائلها يعني ما يريد منها، ولولا أنها جاءت بعدما أخذت "كورونا" الحيز اللافت من مداها. ثم عندما لا يكتفي بكلمة "ردت" ويضيف إليها كلمة "وسترد" فيما "كورونا" تواصل الإجتياح بلداً تلو آخر، فهل معنى ذلك أن ثمة فرضية بأن للنظام الثوري الإيراني دوراً في المسألة الكورونية خصوصاً أنه ما زال محزوناً على فقدان رمزه الذي يجسد الرعب والإرهاب في أقصى درجاته وعلى نحو ما هو مرفق من عبارات بصورته التي وزعها "حزب الله" في شوارع أحياء كثيرة من بيروت وبعض البلدات ذات الولاء له. ومن هذه العبارات "دام رعبه. دام رعبك يا مالك الأشر. إشتد رعبك. الرعب الأعظم".

مرة أخرى يجوز الظن، أو فلنقل ليس إثماً إن العقل الصهيوني والمشروع الإيراني يتنازعان المصلحة في نشر الإيذاء الكوروني ومن دون الإعلان عن ذلك. وبالنسبة إلى أصحاب المشروع فإن تركيز الثورة الإيرانية على التصنيع النووي وكل أنواع أسلحة الإرهاب، وإجتلابها لهذا "الطموح غير الإنساني" بغرض تحقيق مشروع ليس محسوماً أمره، مئات الخبراء من الجمهوريات التي كان يتشكل منها الإتحاد السوفيياتي قبل إنفراط عقده ومن كوريا الشمالية يجعل الإقتراض وارداً. ثم إن التركيز يترافق مع إصرار أهل الحكم على تحقيق المشروع الذي حدد هدفه الإمام الخميني وعطله لبضع سنوات الرئيس الظالم والمظلوم

صدام حسين. ومن هنا ربما تكون "كورونا" كسلاح جرثومي شأنه شأن النووي لجهة الإيذاء الماحق تمكّن الخبراء المستوردون إلى إيران وبشراكة مع روسيا البوتينية أو من خلال مؤازرتها كخبرة متقدمة في أسلحة الدمار الشامل، هي الورقة الجديدة الكثيرة الشبه من حيث الغرض والفعل والإنتشار مع "الداعشية" التي هي الأخرى ما زالت عدواً حتى في نظر من صَنَعها ثم عندما قرر إنهاء دورها وجد أن لها الأخت الأكثر ضراوة في شرها.

لقد كثر في السنوات العشرين الماضية الحديث حول توقعات لحروب آتية حول السیادات والمياه والثروات المدفونة تحت الأرض وفي قاع البحر وكل منها تشكّل في حد ذاتها شرارة للحرب الكونية الرابعة.

وفي ضوء هذا الذي يعيشه العالم نرى أن الحرب تلك بدأت ومن دون السلاح التقليدي، وإنما من خلال الجرثومة الغامضة التي تتحدى في فاعليتها أسلحة الدمار الشامل المتعارف عليها من النووي إلى الجرثومي، ثم إنها في حالة إجتياح من بلد إلى آخر وفي كل القارات الخمس. وليس هنالك من يتصدى لها حتى إشعار آخر.. هذا إذا كان زُراع "كورونا" أُنقنوا عملية رميها في دول العالم.

ويبقى ونحن نفترض بالظن الذي ليس بالضرورة أن يكون إثماً ندبو أكثر إقتناعاً بأن الجرثومة ليست حتماً وسبباً محسوماً بفعل وجبة وطواطية وإنما هي تدبير من بشر ضد البشرية. ربما العقل الصهيوني وربما أصحاب المشروع الإيراني. وكلاهما من المشاريع التي يحرم الله والأنبياء الأخذ بها.

إلا أننا قبل ذلك مطالبون بأن نعتبر هذه المحنة الجرثومية تنبيهاً لكل إنسان حاكماً أو محكوماً بأن يرى في المحنة الكورونية مناسبة للتأمل في ما فعل وفي ما قصر في تأديته كواجب نحو الوطن. وفي ضوء التأمل تأتي إعادة النظر من أهل القمة نزولاً إلى أهل السفح. والله المنجي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 31 مارس (آذار) 2020

عن الحجر الرئاسي قبل الحجر الجرثومي

هذا الحجر الذي نعيشه من أجل إبقاء شر جرثومة

الكورونا التي جعلت الإنسان حيث هو على أرض دول العالم من القطب إلى القطب، يحمل كل منا على أن يستعيد من الذاكرة أحداثاً جساماً جرت لزعامات في أوطان، وأياماً من مرارة العيش واجهها في سنوات مضت من حياته وكيف أن المولى عز وجلت قدرته هو المعين. كما أن هذا الحجر الذي يعيشه اللبنانيون على سبيل المثال في زمن الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي هو حالة ترف بالمقارنة مع حالات حجر في المنزل عاشها الأسلاف منهم في أزمان مضت وعشنا نحن في حياتهم وفي رحيلهم كأبناء وأحفاد أياماً من الحجر لإتقاء عمليات تفجير تحدث وهم سائرون في شوارع أو بفعل الفدائف الصاروخية التي كان يتبادل أولو الإحتراب الأهلي في السبعينات على سبيل المثال توجيهها ومن دون تحديد أهداف، فالمهم في "إستراتيجيتهم" الشريرة هو إيقاع الأذى جراحاً أو موتاً في الناس. وهذا الحجر تزايد بعدما بات السائرون في الشوارع طريدة لهذه الميليشيا أو تلك ووفق ما هي عليه الطائفة وأحياناً المذهب. ومن أجل تفادي هذا المصير فإن الحجر الإختياري للوقاية كان السبيل إلى النجاة من مصائر محتومة.

وها هم الناس في الزمن الكوروني الراهن قابعون بين الجدران ينتقل الحاجر نفسه بين غرفة وغرفة ومن شرفة إلى شرفة وعندما تبدأ نشرة الأخبار في هذه الفضائية أو تلك يرتفع منسوب الخشية من أن يقرع المكروه جرسه ويتسلل بطيئاً أو مسرعاً إلى البدن والحجرة.. فإلى سيارة الإسعاف منقولاً إلى مشافي الحجر الصحي آملاً إيجاد سرير له مسلماً الأمر إلى رب العالمين على نحو ما في الآية 78 من "سورة الشعراء": {الذي خلقني فهو يهيني والذي هو يُطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}.

وما يعيشه الإنسان على الأرض حيث هو كأنما هي ملامح يوم الدين لأن الإنسان الذي أراده الله سبحانه وتعالى مخلوقاً على الأرض لم يكن عند حُسن إرادة خالقه فيه. فقد إمتحن الحروب بدل السلام، والغرور بدل التواضع، والعداوة بدل المودة والجشع بدل القناعة، والفساد بدل الصلاح، والشر بدل الخير، والظلم بدل العدل. وهذا على سبيل المثال إنشغال بال رئيس الدولة العظمى دونالد ترمب ورئيس الثانية في العظمة فلاديمير بوتين بموضوع التعدين التجاري في الفضاء وأيهما يسبق

الآخر في إنتاج الصاروخ الأسرع من الصوت وكأن ما يرميانه من صواريخ في مناطق كثيرة من دول في الكرة الأرضية لم يرو غليل كل منهما وغليل أمثال كثر لهما من حيث شغف الإيذاء.. هذا إلى جانب النأي عن الإيمان وإستبدال ما أُوحي به إلى الرسل بتنظيرات تصب في بحر التشكيك وإلى درجة تصوير الذين صنعوا الروبوتات أنهم كما الاله الخالق السماوات السبع، ونسيان الآخرة مع إعتبار الدنيا هي الأبد.

وبالعودة إلى ما يتعلق بالذكريات عن أوطان وزعامات عاشت وواجهت أجسم الأحداث والظروف كما هذا الحجر الذي يعيشه صحفي وكاتب مثل حالي كوني أحد الذين واكبوا مجريات أمور الأمة وصراعات المتكالبين على السُّطة فيها في سنوات من خمسينات وستينات وسبعينات الزمن الماضي، فإنني لا أضيع الوقت بكثرة التنقل من فضائية إلى أخرى في إنتظار سماع نبأ عن إكتشاف علاج يقضي على الجائحة التي تزداد إنتشاراً، أو في وُضْل مسلسل تلفزيوني بآخر، فضلاً عن أنني لسْتُ من الذين تستهويهم وسائل التواصل الاجتماعي وتضيع الوقت بإستعمال إبتكارات هذا التيسير للتواصل عدا الإطمئنان على الأبناء والأحفاد في قارة أخرى تتبادل من خلال شاشة المبتكر من أنواع المحمول رؤية الوجوه مقرونة بعبارات الشوق والحنين والدعاء إلى رب العالمين بأن يُكتب لنا لقاء وكأنما هذه التمنيات رسائل وداع من جانب الأجداد للأبناء والأحفاد الذين رمت بهم المقادير وسوء الحال في البلاد أن يتحولوا إلى مهاجرين.

وحيث أنني لا أضيع الوقت وأقاوم كما البعض الحجر بما أشرت إليه، وعلى نحو ما كنا ونحن فتية نقاوم الضجر من خلال إحصاء نجوم السماء في أزمان صعبة مرت على الوطن وذلك لأنه ليس في ذلك الزمن كل هذه الإبتكارات والإختراعات التي يحفل بها زمن الثورة الإلكترونية، فإنني أعود إلى إضبارات تحوي من الأوراق والملاحظات والوقائع التي من شأن صياغتها على نحو ما حَبَّرته في السطور الآتية الإضاءة على نوع آخر من الحجر هو "الحجر الرئاسي" الذي لا يقل في قساوته عن الحجر الذي نعيشه.

وأعني به حالة الحجر التي أطبقها الجناح الناصري من ثورة 23 يوليو 1952 على اللواء محمد نجيب أول رئيس جمهورية في مصر وكيف أن المشير عبد الحكيم عامر الذي قضى منتحراً أو مسيراً إلى الإنتحار بعد أسابيع من هزيمة 5 يونيو 1967 هو نفسه الذي سَيَّر في نوفمبر/ تشرين الثاني

عاشا في مصر خلال حجر والدهما وواجهها من المعاناة الكثير.

وتشاء الأقدار أن الرئيس الشاذلي بن جديد تصرف مع بن بيللا على نحو تعامل الرئيس السادات مع محمد نجيب من حيث إنهاء حجر كل منهما، وهذا كان سعى إليه عبد الناصر لدى بومدين من أجل بن بيللا ولم يثمر سعي إرساله المشير عامر والأستاذ محمد حسنين هيكل إلى الجزائر مزودين بتمنيات إخراج بن بيللا من الحجر وإرساله ضيفاً على مصر. ثم لا يهنأ طويلاً بومدين بالترؤس ويقضي بتأثير مرض غامض فيما بن بيللا حاول أن ينطلق مرة أخرى فكانت له زيارته وجولاته وإتصالاته التي عوضته بعض أُنقال سنوات الحجر... وهذا ما كان يتمناه الرئيس محمد نجيب ولم يدركه.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 9 أبريل (نيسان) 2020

الصحة العراقية.. وما بعدها

على رغم إنشغال البال العربي بالتداعيات الناشئة صحياً وإقتصادياً عن "كورونا" التي لا تخلو دولة من أذاها صغر الأذى أو كبر، فإن خطوات يتم الإعلان عنها ثم الأخذ بمضامينها تبعث على الطمأنينة بأن ما أصاب الكيان العربي من جراح وكدمات إلى علاج.. أو في الحد الأدنى إلى تضييد. فعندما تم الإعلان من الرياض يوم الأربعاء 8 أبريل/ نيسان 2020 من جانب المتحدث بإسم "تحالف دعم الشرعية في اليمن" عن وقف شامل لإطلاق النار لمدة أسبوعين بدءاً من اليوم التالي (الخميس 9 أبريل) كثرت التمنيات بأن يقرأ الحوثيون البادرة بتبصر للأمور وبالتالي يكون الرد عليها بالتجاوب وعندما يؤخذ بها تتجدد المهلة مرة وإثنتين وأكثر إلى أن تتكرر صيغة القبول بوقف إطلاق النار التي كان أعلنها الخميني قبل 32 سنة بعد ثماني سنوات من الحرب ضد العراق. ويومها (18 يوليو/ تموز 1988) أفتى القبول بعبارة "كمن يتجرع السم".

وحيث أن الحوثيين هم من تلامذة المدرسة الخمينية فمن تحصيل الحاصل أن يأخذوا ولو بعد مكابرة بما أخذ

1954 دورية أحاطت بقصر عابدين المقر الرسمي لرئيس الجمهورية ثم جاء لإبلاغه قرار مجلس قيادة الثورة بإعفائه من منصبه، ثم يجري نقله إلى الحجر في فيلا كانت قبل "إستضافة" الرئيس محمد نجيب فيها مسكن زينب الوكيل أرملة الزعيم الوفدي المرموق في العهد الملكي مصطفى النحاس. وفي سنوات الحجر التي دامت سبع عشرة سنة لم يُسمح للرئيس محمد نجيب مغادرة "الفيللا" كما لأحد بزيارته. وحيث ليس هنالك وسائل إتصال كما في أيامنا هذه فإن الرئيس الأول للجمهورية المصرية الذي كان محروماً ليس فقط من مغادرة محجّره وإنما ممنوعة زيارة الأهل والأقارب والأصدقاء له، أمضى سنوات الحجر يربي القطط والكلاب سلواه الوحيدة. وبعدما ترأس أنور السادات وجّه بإخراج محمد نجيب من الحجر وكان بات في الثانية والثمانين من العمر ومعتل الصحة، أما التكريم فجاء من الرئيس حسني مبارك بإعادة الإعتبار إليه معنوياً وتشجيعاً ودفعاً في القاهرة، وليس كما أمنيته ووصيته أن يدفن في الخرطوم التي وُلد فيها عام 1901. وتشاء الأقدار أن يكون تشييع محمد نجيب شعبياً وعسكرياً تشييع رئيس جمهورية، وكما تشييع مبارك.

ما مُني به الرئيس الأول للجمهورية المصرية عزلاً وحجراً مُني به الرئيس أحمد بن بيللا. وكما أن عبدالناصر رأى في شعبية تحققت للواء محمد نجيب خلال سنتي ترؤسه أنها ستقوض مشروعه في أن يحكم فكان قرار الحجر، فإن العقيد هوارى بومدين تجاوز وقفة تحالفية من جانب أحمد بن بيللا في حقبة صراعات مريّة بين صقور الثورة الجزائرية جاءت نتيجتها لمصلحة بومدين، ونراه وقد بات الحليف القديم رئيساً للجمهورية بعدما كان رئيساً للحكومة، وعلى نحو ما حدث مع فلاديمير بوتين في الزمن الراهن، وأمكنه لم الشمل الشعبي حول سياسته وإصلاحاته، يقرر طي صفحة بن بيللا على نحو ما فعل عبد الناصر مع محمد نجيب. والدواعي إلى ذلك كثيرة أبرزها أن بن بيللا بوقوف مصر عبد الناصر إلى جانبه سيقطع الطريق على بومدين للرؤس. وهكذا جاء الحجر وتمضية بن بيللا خمس عشرة سنة محجوراً عليه حاله من حال محمد نجيب، مع فارق أن بن بيللا الذي سُمح لوالدته بعد أشهر من الرجاء بزيارته لمرة واحدة من أجل إقناعه بالزواج وهو في الحجر وقد حدث ذلك ودخلت حالتها كحدث في تاريخ الحجر والسجن للسياسيين، لم يُسمح له بتشيع الوالدة عندما توفيت، وكما الحال مع محمد نجيب الذي لم يُسمح له مغادرة الحجر لتشيع جثمان ابن له قضى عام 1968 بإعتداء عليه حيث كان في ألمانيا وإبنين آخرين

به الخميني وبذلك وضعت الحرب أوزارها.

لكن الذي كان لافتاً هو أن النفس الحوثية التي إقتضت شرعية وطنية وتجبير مفاعيلها للغريب وإمتنعت لهذا الغرض إيذاء الجار الأولى بالحرص عليه من جانبها، خشيت بخروقات قامت بها أن يتحول وقف إطلاق النار إن هي إرتضت الأخذ به إلزاماً مسؤولاً إلى خلو اليد من أي ورقة تلعبها، بل ربما خشيت أن تؤسس بادرة الوقف الشامل لإطلاق النار لمدة أسبوعين من جانب "تحالف دعم الشرعية في اليمن" إلى نزوع النظام الإيراني إلى المرونة التي تحقّق له حالة من إعادة النظر في إجتياحاته الخارجية بأمل الخروج من شرناق الحصار والعقوبات والإنصراف إلى معالجة الكم الهائل من القضايا العالقة داخلياً وخارجياً، فضلاً عن تأزيم من جانبه للعلاقات مع بعض جيرانه الخليجيين وكذلك مع الكثير من دول العالم. وفي حال حدث ذلك فإن الورقة الحوثية تُطوى كما سائر الأوراق الخارجية وبالذات الورقة اللبنانية التي حالها من حال الورقة الحوثية وتوأمها الحالة الغزاوية بشقيها "الحمساوي" و"الجهادي".

والذي يجعل الخشية تقترب من نفوس الأذرع الثلاث التي طالما مارست إيران الخامنئية بها مواجهات غير محسوبة بدقة مع المجتمع الدولي وتحركات بالغة الأذى بكل من السعودية ولبنان، أن هنالك في العراق حالة صحوة نوعية على رغم أنها بطيئة الخطوات وتتمثل في أن التشكيل المتعثر للحكومة وما نشأ عن التعثر من خسائر وإرتباكات، بدأ يسلك طريقاً غير تلك التي كانت الحكومات السابقة تسير عليها وجاءت المحصلة في النهاية لا تبشر بأي مستقبل لنهوض العراق من كبوته بفعل إنتزاع إرادة القرار الوطني منه من جانب الجار الإيراني.

بداية هذه الصحوة تعود إلى سنتين خلتا. وحيث أن ما بين السعودية والعراق ليس مثل الذي بينها وبين الجيب الحوثي المقتنص الشرعية اليمنية والمستعمل كأداة تحرش وإلحاق الأذى بشرياً وإقتصادياً بها، فإن المملكة راعها الذبول العروبي في العراق والتمدد الفارسي فيه، فكان الرد على زيارات نوعية لها من جانب قامات سياسية ودينية عراقية تسريعاً متدرجاً للتطبيع الأخوي بدءاً بفتح معبر عرعر بين الدولتين وإنشاء "المجلس التنسيقي السعودي - العراقي". وتلك خطوة تركت الأثر الطيب في نفوس عموم العراقيين ورأى فيها رئيس الحكومة عادل عبد المهدي

خلال إستقباله مساء يوم الخميس 4 أبريل/ نيسان 2019 أعضاء الوفد السعودي في المجلس "ما يؤكد تصميم الحكومة العراقية على إقامة أفضل العلاقات مع المملكة العربية السعودية...". وزيادة في التوضيح قال بما يثلج صدور الحاضرين من الجانبين ويهيج قلوب العراقيين الذين ضاقوا ذرعاً بالأثقال الإيرانية عليهم "إن العراق حريص على توسيع علاقاته مع محيطه العربي والإقليمي وإنتهاج سياسة تركز على المشتركات الكثيرة وفرص التعاون الواسعة في جميع المجالات ويتطلّع إلى تحقيقها في المحادثات الجارية في بغداد وخلال زيارته المقبلة إلى السعودية".

تزامن مع هذا الكلام الودي ترحيب القطاع الشبابي والرياضي بهدية المملكة إلى الأجيال العراقية والمتمثلة ببناء مدينة رياضية متكاملة قال حولها وكيل وزير الشباب عصام الديوان إنه سيكون لها أثر كبير في إحداث نقلة كبيرة ليس لكرة القدم العراقية فحسب بل على مستوى الشباب والرياضة بشكل عام. كما أن المدينة ستشمل مواقع تُظهر الإرث العراقي والسعودي المشترك على مدى العقود الماضية.

هذا الحرص الطيب من جانب المملكة زاد من حنين العراقيين إلى طبيعتهم وجذورهم عربيين حريصين على سيادة وطنهم يميزون بين الطامع بهم والقابض على إرادتهم. كما أن إضفاء ملمح ثقافي للإطالة على العراق شكل نوعاً من توق السعودية إلى العراق الشعر والرواية والبحوث والفنون مسرحاً ورسماً. وهذا ما عكسته لفئة الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان وزير الثقافة أحد أعضاء الوفد والذي إستحضر من مخزون الذاكرة أهمية شارع المتنبي في الحياة الثقافية العراقية - والعربية عموماً فقام بجولة في الشارع العابق.

وكان حدث تعزيز نوعي لهذا التوجه من جانب المرجع الشيعي الأعلى في العراق علي السيستاني عندما إرتأى في ضوء زيارة قام بها إلى بغداد الرئيس الإيراني حسن روحاني دامت ثلاثة أيام وإنتهت الأربعاء 13 مارس/ آذار 2018، القول في بيان صدر عن مكتبه إنه يرحب "بأي خطوة في سبيل تعزيز علاقات العراق بجيرانه وفقاً لمصالح الطرفين وعلى أساس إحترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها...". وزيادة في التوضيح بحيث لا يكون كلام السيستاني من العموميات أضاف "إن أهم التحديات التي يواجهها العراق في هذه المرحلة هي

مكافحة الفساد وتحسين الخدمات العامة وحضر السلاح بين الدولة وأجهزتها الأمنية، وضرورة أن تتسم السياسات الإقليمية والدولية في هذه المنطقة الحساسة بالتوازن والإعتدال لتجنب شعوبها مزيداً من المآسي والأضرار...". وأن يقول السيستاني ما قاله فإنه يكتسب أهمية مضافة كونه إرتبط بزيارة الرئيس روحاني التي إتسمت بالأصول ومراعاة الخصوصية العراقية خلاف زيارات الجنرال قاسم سليمان الذي كان يزور عراقه فيما السيستاني يريد أن تكون الزيارة التي تحترم السيادة والخصوصية. كما يكتسب كلام السيستاني أهمية كون عملية تصفير صادرات النفط الإيراني كانت وصلت إلى الخط الأحمر بسبب حرمان الخزينة منذ العام 2017 من عشرة مليارات دولار.

هذه الأجواء عموماً ومعها الإنتفاضة ثم تداعيات كورونا معيشياً وصحياً وإقتصادياً جعلت لا بد من حكومة تترجم معاني الصحة التي بدأت وما بعد هذه الصحة. ومن هنا إستقر التوافق بعد طول خيارات مرفوضة على مصطفى الكاظمي لتشكيل حكومة عراقية قلباً وعروبية قالباً. وللحديث حول هذه الصحة بقية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 22 أبريل (نيسان) 2020

العراق نطقها.. ولبنان الإيراني يغص بها

مصادفة مدعاة للتأمل، ذلك أنه في الوقت الذي كان الرئيس الجزائري يعزل رئيس جهاز المخابرات ويتم إيداعه السجن تمهيداً لمحاكمته بعدما كان، بطبيعة الحال لمن يتسلم هذا المنصب أحد أبرز مراكز القوى، يواصل مصطفى الكاظمي (رئيس جهاز المخابرات في العراق حتى يوم تسميته من جانب رئيس الجمهورية برهم صالح مرشح التوافق عليه لتشكيل الحكومة) سعيه لإنجاز المهمة وبالتالي إستيلاء الحكومة التي تعسر أمر إختيار الشخص الذي في إستطاعته أن يكون رئيس حكومة للعراق وليس رئيس حكومة في العراق تتقاذفها رياح الولاءات للنظام الإيراني وبالذات للحرس الثوري في هذا النظام والذي كانت دائماً قبضة جنراله الأقوى قاسم سليمان ضاغطة عند التشاور حول من يت رأس حكومة

العراق ثم أكثر ضغطاً بعد التروؤس.

أن ينتهي أمر رئيس جهاز مخابرات معزولاً ثم مسجوناً وقيد المحاكمة ليس حالة جديدة في العالم العربي. ولنا على سبيل المثال لا الحصر ما جرى لرئيس المخابرات المصرية أحمد كامل في عهد الرئيس أنور السادات. لكن الحالة المستحدثة هي أن يقع الإختيار على رئيس جهاز المخابرات بعد التوافق لكي ينهي النظام به أزمة تشكيل حكومة على نحو ما حدث في العراق. والتوافق الذي حدث كان توافُق الإضطراب بعد طول إستنزاف للصبر والمماحكات التي لا جدوى منها والتي كان مشهدها أشبه بحرائق مشتعلة فيما مياه النهر تتدفق بجوارها ولا من يطفىء النار. فهناك إنتفاضة. وهناك "جيوش" صغيرة تتناسل وتأخذ من وهج الجيش الوطني ذي التاريخ العريق. وهناك إرادة قرار مصادرة وتكريس متدرج للسياسة العامة. وما هو أهم من ذلك إن صيحات الثأر لا تهدأ وينادي مطلقوها ضد أميركا بخروجها وتناسي أن الأميركيان في شخص بوش الأب ثم في شخص ابنه كانوا بسياستهم وحربهم هم الذين صادروا القدرة الوطنية العراقية على تغيير نظام البعث إسقاطاً وإحلال من إرتأوا إحلالهم مكانه.

وعند الحديث عن الصبر فإن سعة صدر الرئيس برهم صالح وإدارته لأزمة التكليف مثلت دفعا للإقتناع ولو بعد طول أخذ وكثرة إشتراطات عصية على القبول بأن لا حل للعراق كوطن، وليس فقط لا حل لأزمة تشكيل حكومة جديدة، إلا في طي صفحة الإملاءات الخارجية. وعندما تُطوى هذه الصفحة تصبح مبادئ التشكيل هي مفتاح باب العراق المرصود أمام علاقة عربية متوازنة وعلاقة دولية متزنة. وعندما إرتأى الرئيس برهم صالح بمغادرته بغداد إلى السليمانية آخر ديسمبر/ كانون الأول من العام الفائت فلكي يسجل نقطة نظام ورفض قاطع لإصرار المشتريين على حكومة شبيهة بشجرة مغروسة في أرض العراق فيما أغصانها وثمارها عبر الشط يجنيها الجار الإيراني ويوظفها بكل أنواع التوظيف العقائدي والمالي والتجاري، إلى جانب أن تكون مثل رصاصة في مدس يهدد بها الآخر وهو هنا المجتمع الدولي الداعي إلى تغيير النهج الإيراني، بحيث تكون إيران دولة وليست بؤرة ثورية تُوزع الإقلاق في أكثر من مكان وبشكل مكثف على دول الخليج والأشقاء العرب الذين يريدون جواراً إيرانياً خالياً من الأذى والتدخل.

رُفُض الرئيس برهم للإملاءات الخارجية من خلال إعتكافه

في السليمانية وبداية ذبول متدرج في القدرة المالية الإيرانية وإنعكاس مفاعيل هذا الذبول على الأثرع الإيرانية في الخارج وبالذات في العراق ولبنان واليمن ثم المفاجأة الكورونية التي أريكت نوي العناد والمكابرة، أوجبت بالنسبة إلى اللوبي الإيراني في العراق أن يقرأ كتاب الوضع كما تستوجب القراءة الصحيحة وليس كما الهوى. وعلى هذا الأساس إستقر رأي أولي التعطيل التقليديين على أن يؤخذ برؤية رئيس الجمهورية برهم صالح وإختياره مصطفى الكاظمي مدير المخابرات لتشكيل حكومة تسترضي كل الأطراف وتلقى الرضى من هذه الأطراف سياداً كانوا أم قادة ميليشيا ومستملكي إرادة شعبية في ظروف إضطرابية عاشها الناس في العراق طوال عشر سنين عجاف. وبدا إختيار التوافق على مصطفى الكاظمي للرؤس، رغم أن عدنان الزرقي كان هو الآخر من أصحاب الرؤية الواقعية لوضع الوطن على أولى محطات إنطلاق قطار تصحيح مواقف أعاققت العراق سمعة وطمأنينة، أشبه بإختيار الرئيس دونالد ترمب يوم 13 مارس/ آذار 2018 مايك بومبيو مدير وكالة المخابرات المركزية وزيراً للمنصب الثاني الأهم في الدولة الأميركية. كما أنه أشبه بإختيار الرئيس رونالد ريغان، رئيس المخابرات المركزية زمناك جورج بوش الأب لمنصب نائب الرئيس.

المتوقّع للعراق لمجرد إنحسار المخاطر الكورونية والخطر الداعشي المتجدد حراكه، هو أن يكون العراق المأمول دوراً ونهوضاً ما دام من سيشكل الحكومة حدّد ومن دون التحسب لهذا أو ذاك أو أولئك يسجلون الإعتراض على تكليفه، خارطة طريقه التي لخص معالمها بما قل ودل من التعهدات على النحو الآتي: "السيادة خط أحمر ولا يمكن التنازل عن كرامة العراق. العراق للعراقيين وقرار العراق بيد أبنائه. سنعمل على حصر السلاح بيد الدولة فالسلاح ليس من إختصاص الأفراد ولا المجموعات. سيادتنا الوطنية أولاً ويجب أن تقوم علاقاتنا الخارجية على الإحترام والتوازن. العراق ليس تابعاً لأحد. الدولة ليست حزباً ولا طائفة ولا ديناً بعينه وعلينا أن نتق بها. لن نسمح بإهانة أي عراقي من أي جهة داخلية أو خارجية عبر إتهامه للخارج. إعادة النازحين إلى ديارهم هدف لن أتخلي عنه".

معنى هذه التعهدات أن من مصلحة النظام الإيراني التعامل مع العراق بعد الآن وفق هذه الخطوط _ المبادئ والتي من شأن الأخذ بها إستعادة العراق رقماً يُحسب له حساب يرتاح له الجار العربي ويخفف الجار الإيراني من

أثقاله عليه. وشيئاً فشيئاً يستعيد العراق شأنه كثنائي دولة نفطية، لا يتعثر في تأمين متطلبات الشعب ويحقق مطالب المنتفضين ويسدد ما تبقي عليه من ديون.. وينتقل بالتالي من دولة مهمومة إلى دولة تستعيد مكانتها في خارطة المنطقة. وهذا وارد الإنجاز ما دام تنفيذ خارطة الطريق سيبدأ.

ما فعله الثنائي برهم صالح _ مصطفى الكاظمي أمثلة لمن يريدون صدقاً صون وطنهم وكرامته وإستقراره وإبقائه في منأى عن الغلو الثوري وإبراء الكيان الذي أمعنوا فيه بعثرة ووضعه من جديد في المكانة التي يستحقها.

والأمثلة برسم الثنائي اللبناني رئيس الجمهورية ميشال عون الذي نتمنى أن يكون مثل برهم صالح والسيد حسن نصرالله الذي نتمنى أن لا يغص في ما نطقه مصطفى الكاظمي... مع الأخذ في الإعتبار أن لبنان أكثر حاجة إلى إستتساخ الأمثلة الكاظمية من العراق نفسه. كما هي برسم ما تبقي من مهابة الرئيس بشّار الأسد الذي إذا نطق بما نطقه الكاظمي فإن سوريا تعود سوريا العربية وقد تجردت من ثوبها الإيراني _ الروسي الذي أرخى أقمم الظلال على تاريخها الوطني. والله الهادي إلى سواء السبيل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 28 أبريل (نيسان) 2020

هل تجرف جراثومة العصر.. "صفقة العصر"

وسط الكم الهائل من التطورات الناشئة عن الهجمة الفيروسية الكورونية على البشر بمن فيهم من جيوش وحكام دول ومصارف مركزية والتي حتى إنتاج اللقاح الذي يصد ويشفي، ستبقى هذه الجراثومة مصدر خوف لكل إنسان يعكر عليه حياته ويحوّل حقه في النوم إلى حالة أرق، هنالك إستحقاق لا ندري ما إذا كانت الهجمة الكورونية جرفته في إجتياحها المتواصل شاملاً معظم دول العالم من القطب إلى القطب، أم أنه برسم تحريكه بعد إنتهاء شهر الصوم الذي لم تهناً الأمتان به، على نحو ما كانت شعوب هاتين الأمتين تهناً به روحياً وإجتماعياً في زمن ما قبل الغزوة الكورونية. الإستحقاق الذي نعينه هو ما إصطلح على تسميته

"صفقة القرن" كـ "وصفة حل" لـ "عقدة القرن تلو القرن" والمجيئة من العام 2019 إلى العام 2020 والتي لم تحسم أمرها تلك الورشة التي إستضافتها العاصمة البحرينية (المنامة) قبل عشرة أشهر (الثلاثاء 25 يونيو/ حزيران 2019) وبذل مسوّقها جاريد كوشنير جهداً ملحوظاً مستقوياً بدعم غير محدود من جانب الرئيس دونالد ترامب كونه جامع الأهميتين حيث هو المستشار الأقرب للرئيس كما أنه زوج إبنته حاليه في ذلك مثل حال جبران باسيل في مؤسسة الحُكم في لبنان.

في تلك الورشة تقدّم حديث المال والإقتصاد على الأمان القومي والعلاقة السياسية وذلك تفادياً لإنتكاس المحاولة. وقال الصهر المستشار أمام الحاضرين من وزراء مال عرب ورجال أعمال وشخصيات سياسية دولية كلاماً يندرج مرماه مع نوعية ذلك الذي قاله الرئيس أنور السادات من على منبر الكنيست يوم 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 1977، بل إنه ما كان ليقوله وبإندفاع لولا الذي قاله السادات ثم أتبعه باتفاقية "كامب ديفيد" مع مناحيم بيغن وبرعاية الرئيس جيمي كارتر يوم 17 سبتمبر/ أيلول 1978 (أي بعد عشرة أشهر من زيارة السادات لإسرائيل). يومها جاء في خطاب السادات قوله مخاطباً الإسرائيليين ليسمع معهم أرباب المشكلة وبالذات أميركا وبريطانيا "أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم، وأنا أقول لكم بكل الإخلاص إننا نرحب بكم بيننا بكل الأمن والأمان. لماذا لا نمد أيادينا بصدق وإيمان وإخلاص لكي نحطم الحاجز النفسي الذي يشكّل سبعين في المئة من المشكلة. لماذا لا نتصدى معاً بشجاعة الرجال وخسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى، لكي نقيم صرحاً شامخاً للسلام يحمي ولا يهدد يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان...". وحول القدس جاء في خطاب السادات "ليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس في إطار الضم أو التوسع وإنما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين...".

كان حامل "صفقة القرن" يرى أن بضعة مليارات وجرعة تظمين أميركية غير مضمونة الإلتزام في أي حال وتحليم الفلسطينيين بـ "جنة التسوية الإزدهارية" كفيلة بتذليل ما لم تذللّه عملية السلام المصري _ الإسرائيلي فالأردني - الإسرائيلي تليهما الخطوة العرفانية التي عرفت بـ "اتفاقية أوسلو". ومن هنا كان قوله أمام أهل المال

المشاركين في تلك الورشة "إن الإتفاق على مسار إقتصادي لخطة السلام الفلسطيني _ الإسرائيلي شرط ضروري للسلام وأن الإزدهار لن يتحقق للشعب الفلسطيني دون حل سياسي عادل. وأقول للفلسطينيين إن رسالة الرئيس ترمب لكم إنه رغم المعاناة فإن الولايات المتحدة تحاول مساعدتكم من أجل مستقبل أفضل يُبنى على الكرامة وخلق الفرص...". وزيادة في المغريات قال إن الخطة التي يتولى تسويقها تسعى لضخ حزمة إستثمارات بقيمة خمسين مليار دولار على مدى عشر سنين وتسعى لإقامة بنية تحتية في الأراضي الفلسطينية وربط الضفة الغربية وقطاع غزة مع تحسين الوضع الأمني في المنطقة. كما قال لصحيفتنا "الشرق الأوسط" إن "صفقة العصر" خطة إقتصادية "هدفها تحسين أحوال الناس وليست رشوة...". وعندما زاد التوضيح بالقول "إن الفلسطينيين يفوتون فرصة بعدم إخراجهم في الحزمة الإقتصادية التي تطرحها الولايات المتحدة" جاء الرد من جانب الرئيس محمود عباس وأركان السلطة الوطنية الفلسطينية عالي النبرة ومرتفع السرعة جازماً بأن خطة كوشنير شبيهة بوعده بلفور، كما أن المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية محمد حسين أفتى "بتحريم التعاطي بأي شكل من الأشكال" مع "صفقة القرن" مستنداً في التحريم إلى أن الرئيس محمود عباس كان في يوم إصدار هذه الفتوى يحذر أمام جلسة لمجلس الأمن في نيويورك (الثلاثاء 11 فبراير/ شباط 2020) للتصويت على مشروع قرار أعدته تونس وأندونيسيا ويندد بالخطة التي يتولى كوشنير تسويقها. وفي السياق نفسه هناك التمسك العربي بمعادلة عبّر عنها وسط الحراك الكوشنيري لتسويق الصفقة وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية عادل الجبير بعبارة "إن الفلسطينيين هم أصحاب القرار الأخير في هذا الأمر لأنها قضيتهم، وكذلك فإن أي شيء يقبل به الفلسطينيون سيقبله أي أحد آخر" مع التذكير الذي ينفع الذكرى وأصحاب مشروع الصفقة إذا هم إهتدوا إلى سواء الصيغة التي تنفع الذين عن التسوية العادلة متحيزون ويغدقون على الجانب الإسرائيلي عطايا دبلوماسية وجغرافية وكأنما هي من موجودات في صناديقهم الحديدية. والتذكير الذي نشير إليه يتصل بمبادرة السلام العربية التي سبق أن رفضتها إسرائيل ولم تُعمرها الإدارات الأميركية المتعاقبة الإهتمام العملي تمهيداً للتبني إنسياقاً من جانب ثلاثة رؤساء وراء تحجر إسرائيلي

أصاب السمعة الأميركية بخدوش وصلت إلى حد أن الرئيس محمود عباس قال بأعلى نبرة وأمام مجلس الأمن "لقد جئت إلى مجلس الأمن بإسم ثلاثة عشر مليون فلسطيني للتعبير عن الرفض القاطع والواسع للصفقة الأميركية، كما من غير المقبول أن تبقى أميركا وسيطاً وحيداً للتفاوض بين طرفي النزاع...". وشجعه على رفع درجة الرفض أن دول الاتحاد الأوروبي كما دول حركة عدم الانحياز مزجت في رد فعلها على الصفقة بين "تقدير الجهود الأميركية" والتأكيد على حل الدولتين عن طريق التفاوض على أساس خطوط عام 1967.

الإصرار الأميركي على الصفقة أمر مألوف وشبه مفهوم خصوصاً أن مسوّقها هو صهر الرئيس وموضع ثقته. لكن ما هو مستهجن أن على من يقوم بتسويق سلعة أو مبادرة أو صفقة تزيين محاسن عوائدها ما يقوم بتسويقه. لكن ما حدث أن الإدارة الأميركية واكبت خطوات تسويق الصفقة بربط مساعدات أمنية من جانبها للسلطة الفلسطينية بتجاوب هذه الأخيرة مع مسعى الصهر كوشنير، مع أن عدم الربط كان ربما سيؤسس لمرونة في الموقف الفلسطيني.

بيننا وبين الموعد الذي سبق أن حدده كوشنير قبل سنة (أبريل/ نيسان 2019) بضعة أسابيع. فهو إستناداً إلى وعود أو معطيات أو لغرض في النفس الانتخابية المتعلقة بتجديد الولاية الرئاسية لوالد زوجته الرئيس ترمب، ذكر أنه بعد عيد الفطر سيعرض خطة "صفقة القرن" قائلاً في حينه "إن الخطة ستتطلب تنازلات من كل الجانبين وأنه يجب أن يكون هنالك تفهم للخطة".

قبل هذا التحديد بأقل من شهر (الثلاثاء 26 مارس/ آذار 2019) أغدقت أميركا ترمب على إسرائيل ننتياها ما لم تفعله بهذا السخاء إدارة أميركية من قبل، بإستثناء رئاسة هاري ترومان. وحدث أن الرئيس ترمب إستقبل ننتياها يوم الإثنين 25 مارس/ آذار 2019 وبحفاوة بالغة وكرم ترمبي يفوق التعجب والإستغراب وأهداه بحضور أركان الإدارة حق إسرائيل في السيادة على الجولان واضعاً أمام الملأ الذي يتابع الفضائيات، توقيع على هذه الهدية التي لا يملكها الذي أهدى وكذلك المهدي إليه. وكان منظر الحليفين ترمب وننتياها في الصورة المبهوثة يمسكان بالوثيقة التي تحمل توقيع ترمب في حد ذاته إضراراً بالسلعة التي يسوّقها صهره. وهذه الهدية مع وعد بإهدائه مزارع شبعاً ثم هدية إعتبار القدس موحدة بعد إعترافه من قبل (ديسمبر/ كانون الأول 2017) أنها عاصمة لإسرائيل ونقل مقر السفارة الأميركية

إلى هذه "القدس" زادت مهمة الصهر تعقيداً عربياً ودولياً. كل هذه التطورات كانت مثل مشروع بناء برج شاهق على أرض رملية. وفيما الطمأنينة تسود نفس كل من ترمب الآمل بجولة رئاسية ثانية وننتياهاو المطمئن إلى أن ما جناه من إدارة حليفه الرئيس ترمب سينقذه من المحاكمة بتهمة فسادية، بدأت "جرثومة العصر" كورونا التي إنطلقت من الصين تشق إجتياحها براً وبحراً وجواً ولا تترك لأي دولة مجال النجاة من أذاها. وفي ضوء هذا الإجتياح الجرثومي تراجعت معظم الإهتمامات السياسية وبات التركيز على إستيلاء لقاح وليس على أي مسائل أخرى ومنها "صفقة القرن" التي كان كوشنير على موعد مع نفسه لطرحها بعد عيد الفطر وجاءت "كورونا" تجرف إمكانية تجدد السعي لتسويقها، فضلاً عن أن "جرثومة القرن" تشكّل حالة خوف على الحياة وعلى مقومات الكيانات لا فرق بين الخمسة الكبار والآخرين في سائر دول العالم. وهذا وضع لا يزول إلا بعد حدوث معجزة اللقاح الذي تتسابق على إنتاجه الدول التي كانت تتسابق على القضاء ونهب ثروات الآخرين بعد الحرب عليهم كالذي جرى للعراق ثم كما الذي يجري في سوريا. وإذا نحن إفترضنا أن "كورونا" التي هي "جرثومة القرن" جرفت في جملة حالات جرف حياتي وسياسي وإقتصادي ومالي "صفقة القرن" فإننا بهذا الإفتراض لا نغالي. وسيؤدي الفلسطينيون والأشقاء العرب والمسلمون صلاة العيد ويتبادلون التمنيات.

وأما "صفقة القرن" التي كان جنرال إسرائيلي أورد في مقالة له على موقع مجلة "فورين بوليسي" الأميركية أن هذه الخطة طُرحت قبل أربعين سنة، فإن النسخة الناسخة كما المنسوخة مجرد صرف نظر عن حقيقة أن أي إحتلال إلى زوال وأي دول وكيانات تقام بموجب وعد مثل الذي فعله بلفور وتصمد بموجب المساندة الأميركية التي بلغت مداها من جانب إدارة الرئيس ترمب للمتهم من قضاء دولته ننتياهاو الذي يتقاسم ترؤس حكومتها مع خصمه الجنرال غانتس مآلها التحلل ... ولو بعد حين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 5 مايو (أيار) 2020

الشاة الليبية والذئب التركي

قد يبدو عنوان هذه المقالة وكما لو أنه عنوان رواية

وأن العنوان هذا مجرد صياغة إبداعية من جانب الروائي أو أنها للتشويق على نحو ما هي مضامين الأعمال الروائية. لكن إذا نحن خلدنا في خلوتنا المفروضة علينا من "كورونا" ومعها الأجواء الرمضانية التي يبلغ التأمل فيها مداه وإستحضرنا بالتالي ما يجري في ليبيا لخلصنا إلى إستنتاج بأن حالة هذه البلاد التي يخالط شرائح عريضة من بني قومها أهل المدن والديار القبائلية على حد سواء الحنين إلى الزمن السنوسي وفي الوقت نفسه الترحم على الزمن القذافي، تُماثل حكاية الشاة الشاردة عن قطيعها والذئب الذي يريد إفتراسها. ففي هذين الزمنين المتناقضين كانت ليبيا رقماً مهماً في لوح الأرقام ذات التميز. وكانت تشكّل مصدر مساندة في القضايا التي تعني الأمة. وفي الذاكرة مشاركة الملك إدريس السنوسي بثلاثين مليون جنيه إسترليني إلى جانب السعودية بخمسين مليوناً والكويت بخمسة وخمسين مليوناً في خطة الدعم المالي الذي أقرته القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم (سبتمبر/ أيلول 1967) ضمن برنامج إزالة آثار عدوان حرب 5 يونيو 1967. كما في الذاكرة وقفة القذافي إلى جانب أشقائه القادة العرب إلى جانب مصر ورئيسها أنور السادات في حرب رمضان 1973.

في زمن ليبيا الجماهيرية واجه القذافي الحراك الإخواني الذي كان ينشط في شكل خلايا بأطروحات إسلامية ذات نكهة ثورية أشرك في التنظير لها عدداً من المثقفين ذوي التعمق في المسائل الدينية وفي المضامين القرآنية والأحاديث النبوية. وإفترض أنه بهذه "الإسلامورية" يمكنه وضّع نهاية للتمدد الإخواني يغنيه عن إعتداد التعامل الأمني مع الجماعات مطاردة وسجناً وتهمة. ثم دارت الأيام على الحالة القذافية وقُضي أمر نظامه إسقاطاً وأمره نهاية مأساوية. وفي أعقاب ذلك خرجت الخلايا الإخوانية من مقامها ووضع كبرائها وشيوخها الأيادي على مخازن السلاح والمخبوء من ثروات البلاد ثم حولوا أنفسهم إلى ميليشيات لكل واحدة أسلوبها. لكن كما الروافد مآلها النهر الذي هو "الغاتيكان الإخواني" أو رأس الهرم لهذه الحالة الضاربة جذورها منذ الأربعينيات في الدول الإسلامية. ثم فرضت التطورات وأهمها سقوط حلم إخوان مصر في الإمساك بالحُكم والمفاجآت والمحاولات الانقلابية التي تصدعت وأحدثها الإنتفاضة التي أودت بالإنقلاب الإخواني الذي حكم السودان ثلاثة عقود، أن ينتهي أمر الإخوان العرب إلى أنهم باتوا رعايا

مرجعية تركية تتمثل في شخص الرئيس رجب طيب أردوغان المسكون بظاهرة المرشد خامنئي الذي أمسك بعقول الأطياف الشيعية في العالمين العربي والإسلامي وبنى على الولاء المذهبي لهذه الأطياف عقيدة مذهبية مثل العقيدة الماركسية التي حُكم بها الإتحاد السوفياتي ثلاثة أرباع قرن وبذل جهداً خارقاً في زرع هذه العقيدة في دول الجوار الأوروبي لكن نموها كان تحت وطأة الإرعاب وليس الإقتناع ثم تساقطت لمجرد سقوط التجربة السوفياتية.

كان أردوغان يحلم بوضع اليد على سائر دول الأمة من خلال إبرام حلف إيماني متعصب مع مصر الإخوانية لكن إسقاط حُكم الاخوان عطل سعيه، ثم حاول مع السودان ولم يثمر السعي على النحو المأمول. وأقحم نفسه في المحنة السورية معتمداً على وجود إخواني ذي جذور ثابتة في سوريا فزادها تخبطاً. وسعى إلى إقتناص دولة قطر مستفيداً من التأثير القرضاوي على قيادتها. وبعدها تمكّن من ذلك بدأ عملية الإنتقاض على الأوضاع المرتبكة والرخوة في الأمة بادئاً بليبيا المتخاصرة مع مصر التي خذلت تطلعاته.

ما يجعل أردوغان مسكوناً بإقتباس ظاهرة "المرشد السني" رديفاً لـ "المرشد الشيعي" أنه يترأس دولة مكتملة المقومات لكي يقود بها مشروعاً إسلامياً طموحاً. فهي من حيث المساحة حوالى ثلاثة أرباع المليون متر مربع. ومن حيث السكان فإنها حالياً في حدود التسعين مليوناً ويخطط أردوغان لجعلها تتجاوز مصر ومعها من حيث التعداد سائر الدول العربية بجناحيها المشارقي والمغاربي. وهي بمقياس الغنى الطبيعي تملك ثروة من المياه والأرض الزراعية فضلاً عن الغاز غير متوفرة لدول أخرى. بل إن الأهم من ذلك إن ثروة المياه فيها فائضة عن الحاجة وتكفيها مياه دجلة والفرات والتي تتشابه في ذلك مع حالة مصر مع أثيوبيا في موضوع مياه نهر النيل. وهي بالنعمة المائية أمكنها إنشاء سدود كثيرة ومحطات توليد كهرباء أكثر، ثم هنالك ثروة الموقع الإستراتيجي الفريد حيث هي بوابة آسيا إلى أوروبا وخاصرة أوروبا إلى العالم العربي وإحدى بوابات أوروبا إلى النائيات من الدول الإسلامية الآسيوية. وتبقى من هذه الهبات الرحمانية الثروة المعدنية بدءاً بالحديد والفوسفات وصولاً إلى الذهب.

لكن رغم كل هذه النعم نجد أردوغان لا يقنع كما لا

تكفيه ثروة العائد السياحي. وهذا في مجموعه يجعل من تركيا دولة قوية ينعم شعبها بالرخاء حتى إذا بات الثلاثة أرباع مليون حالياً ثلاثة ملايين. ولكن جنوح الزعامة جعله يقفز على هذه الحالة الفريدة ويسعى بقوة العناد وأسلوب التحرش من أجل أن يكون أول أمبراطور إخواني وبمواصفات وصلاحيات المرشد خامنئي الذي بسبب الجنوح المماثل ومحاولات التسلق النووي يدفع بإيران نحو أن تكون التوأم الإسلامي لأخيه الكوري الشمالي.

رأى أردوغان المتلطف إلى دور أمبراطوري في المحنة الليبية أنها خير شاة ينقض عليها كون البلد شبه متناثر وهنالك خزان إخواني يحتاج إلى من ينجده بالمال والسلاح لكي يحقق ما كان يرومه في الحقبة القذافية ودفع ثمن محاولاته الثمن الباهظ. أما السلاح فإن مخازن الجيش التركي ملأى بكل أنواعه. لكن أين المال الفائض لدى أردوغان لكي يمول. ثم كان الحل من خلال حكومة ليبية وفيها رئيس الحكومة المتمسك بالمتبقي في خزائن الدولة الليبية. وحيث أن بقاء الحكومة على ساحة الصراع مسألة حياة أو إفناء إذاً فليغرف الحليف التركي من تلك الخزائن ما يستحقه من الغرف جزء إنخراطه طرفاً في الصراع وعلى إستعداد لإفناء الطيف الآخر الذي يتصدى عسكرياً وقبائلياً للممسكين بالعاصمة طرابلس ورقة تشبه في فعاليتها إمساك الحوثيين بالعاصمة صنعاء.

على مفاعيل معادلة المال من ليبيا والسلاح من تركيا بدأت صولات أردوغان آملاً من حسم الصراع لمصلحة الطيف الذي يعتبره بمثل إعتبار الحوثيين لإيران المرشد والحرس الثوري، أنه بعد الحسم سيقاسم الليبيين ثروتهم النفطية. ووصل التحدي من جانبه إلى مداه وإلى درجة مخاطبة مقامات ليبية عسكرية ومدنية بعبارات تتجاوز الأصول واللباقات بكثير. بل إنه في بعض الأحيان هدد بأنه سيؤدب هذا الطيف المعترض على تدخله العسكري والتعبوي والإعلامي ومن دون تكليف أممي في دولة لا تربطها بتركيا حدود وعلى نحو الدور الذي قامت به مصر الناصرية في الستينات في اليمن.

هذا الذي يفعله أردوغان والذي يشبه فعل الذئب المتربص مع شاة تائهة ما كان ليحدث لو أن الاتحاد المغربي إستكمل نموه ولم يعد إذا جاز التشبيه مولوداً منقوص التطور. ففي هذه الحال أي إفتراض أن حال الإتحاد المغربي بات مثل مجلس التعاون الخليجي، لن يجرؤ أردوغان أو غيره على ممارسة دور يتجاوز التحرش

إلى السعي للسيطرة غير المباشرة. لكنه عندما يرى دول الجناح المغربي من الأمة على الأحوال التي هي عليها وفيما أربع دول (المغرب. تونس. الجزائر. موريتانيا) عالجت أمورها وإستقرت بنسب متفاوتة فيما الدولة الخامسة ليبيا في حالة من التيه، فلماذا لا يجرب حظه إنقضاضاً على هذه الشاة التي باتت الحلقة الأضعف داخل بني القوم المغربي.

ليس مؤكداً أن الذي يفعله أردوغان في ليبيا سيثمر دعماً له داخل تركيا خصوصاً أن التشققات داخل قلاعه الحزبية تتواصل. وإستناداً إلى حالات كثيرة من المغامرات الشبيهة بمغامرة الطمع التي يواصل إقتحام صعابها، فإن أردوغان على موعد مع صدمة كتلك التي واجهها عبد الناصر بسبب دور مارسه على حساب إهتمامات تحتاجها مصر. ولكنها نزعة تغليب وهج الزعامة الإقليمية التي تنعكس متطلباتها على الإهتمامات المحلية تخرج بصاحبها عن الصواب.

من المعوقات التي واجهها الإتحاد المغربي منذ إنشائه قبل ثلاثة عقود (17 فبراير/ شباط 1989) أن التعالي تقدم على التواضع فلم تنطلق مسيرة هذا الإتحاد. أما في ظل الظروف الراهنة فالجميع في أشد الحاجة إلى مؤازرة البعض للبعض وهذا يكون بإحياء هذا الإتحاد وإلا ستبقى الأبواب مشرعة أمام كثر من ذوي النزعة الأردوغانية وكل منهم يروم وصلاً بليبيا هذه الشاة المستضعفة التي أنياب الذئب المتربص بها فاعرة لإلتهامها. وحول هذه المعضلة بقية كلام.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 12 مايو (أيار) 2020

كي لا تنتهي ليبيا إسكندرونه المغربي

في زمن الحجر مع أفراد العائلة بداعي الحذر من لسةة كورونية تُلحق الأذى به أو بمن حوله من كبار وصغار يُكثر المرء من تنويع المحطات الفضائية بغرض التسلية والترؤيح عن النفس، فضلاً عن تناسي التشوق إلى الشراب والطعام في إنتظار أن يؤذن المؤذن لحلول المغرب من اليوم الصومي.

وبالنسبة إلى المواطن في دول الجناح المغربي من

الأمة فإنه كما شقيقه الليبي الذي يكابد ويلات العبث بأمنه من جانب إقحام تركيا الأودوغانية نفسها في تقرير مصيره، فإنه في لحظة تأمل في ما يراه وما يسمعه عما يجري لليبيا وعلى أرضها يسأل نفسه: هل كانت حال ليبيا كما الآن لو كُتب لـ "إتحاد المغرب العربي" أن ينتقل من مجرد الحبر على صفحات تحمل توافيق قادة الدول الخمس (المملكة المغربية، الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا) إلى التثبيت والتفعيل حاله من حال "مجلس التعاون الخليجي" كإستتساخ للصيغة ومن حال "الإتحاد الأوروبي" كون أرض دول الجناح المغربي ومنها على سبيل المثال الساحل الليبي الذي يبعد ثلاثة أرباع الساعة طيران عن ساحل إيطاليا إحدى نجمات الإتحاد الأوروبي الذي يحافظ على حيويته في ظل شيخوخته التي تجلت وقد مضت سبعة عقود على تأسيسه. ومن كان هذا جواره لا بد يتأثر ويقتبس ويأخذ في الإعتبار عوائد الإتحاد بين الدول غير المتجانسة أصلاً، ذلك أن كلاً من دول الإتحاد الأوروبي لها لغتها القومية ولها أيضاً ديانتها وثقافتها وخصوصيتها، لكن هذا ليس مدعاة تحفظ على أن يكون لهذه الدول بيت يجمع شملهم مع إحتفاظ كل دولة بخصوصيتها وعلمها ولغتها وديانتها. وأما العملة الوطنية فهذه من الطبيعي صهرها في الـ "يورو" عملة موحدة لدول الإتحاد تتسي الفرنسي فرنكه والإيطالي ليره والألماني ماركة... وهكذا لا مجال للتحسس. هنا تصبح بريطانيا حالة إستثنائية كونها تمسكت بـ باوندها المتوج وإستمرت على تمسكها هذا إلى أن كان الانسحاب بفعل إرادة أكثرية شعبية وحزبية تجاوزت الخمسين في المئة بقليل. لكن حتى غير الموافقين على الانسحاب متمسكون بعملتهم كما بعلم مملكتهم.

ما نريد قوله إن دول الجناح المغربي من الأمة إرتضت مبدأ الإتحاد إلا أن البعض منها كان مسكوناً بمسألة المكانة والزعامة، فضلاً عن أن التشكيلة بمجملها كانت لا تشجع على الثبات، حيث هنالك دولة ملكية فيها حكومة خاضعة للمحاسبين: من هرم السلطة الذي هو الملك ومن البرلمان الذي يتوزع على مقاعده نواب يمثلون أحزاباً. وإلى ذلك إن تجربة إسناد رئاسة الحكومة إلى من هو في المعارضة كانت خطوة متقدمة على طريق الممارسة الديمقراطية. وفي المقابل هنالك أربع دول محكومة من عسكريين بثياب مدنية. ولكل من هؤلاء الجنرالات رؤية لتسيير أمور الدولة لا تحبذ مسألة الممارسة الديمقراطية وفق الأصول، وهذا ليس كل أوجه

التباين حيث هنالك دولتان نفطيتان هما الجزائر وليبيا يرى جنرال كل منهما أن الذهب الأسود يجعل كفته في ميزان صياغة السياسات هي الراجحة نسبياً سواء لجهة عاصمة الإتحاد أو لجهة رسم السياسات.

ومع أن الجنرالات الأربعة ظهروا عند إعلان قيام الإتحاد يوم الجمعة 17 فبراير/ شباط 1989 على العالم العربي بجناحيه المغربي والمشارقي بكامل قياقتهم المدنية إلى جانب الملك الحسن الثاني ببدلته البيضاء ممسكاً باليد اليمنى زين العابدين بن علي جنرال تونس وبالبسرى الشاذلي بن جديد جنرال الجزائر يليه معاوية ولد سيدي الطابع جنرال موريتانيا ثم معمر القذافي جنرال ليبيا الذي إرتدى الثوب التقليدي الليبي الأبيض، إلا أن كلاً منهم كان في داخله عسكرياً وبإمّيتاز. وهكذا كان الإتحاد منذ اللحظة الأولى خبطة مدنية _ عسكرية إلى جانب أنها وفق تنوع التسميات كانت: ملكية، جمهورية ديمقراطية شعبية، وجمهورية فقط، وجمهورية إسلامية. وحدها كانت ليبيا "الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى". ومثل هذه التسمية السداسية في حد ذاتها تشكل حساسية وقد لا يتم التعبير عنها إلا أنها باقية في النفوس.

عند التأمل في الصورة التذكارية التي إنتظمت للقادة الخمسة مبتسمين وفي مضمون إعلان قيام إتحادهم كان هنالك إستبشار مغربي _ مشارقي _ إسلامي _ دولي بما تم التوصل إليه. إتحاد إقليمي يرتاح لقيامه الإتحاد الأوروبي الذي مضى على فكرة التأسيس سبعة عقود (9 مايو/ أيار 1950) وعلى بدء إنطلاقه ربع قرن (18 أبريل 1965) ثم إكتمل الإنضمام عليه دولة إثر دولة. ولقد صمد هذا الإتحاد لأن نسبة الحساسيات كانت قليلة جداً وإنحصرت في بريطانيا وفرنسا وألمانيا حيث كل من الدول الثلاث تملك مواصفات القيادة بين معنوية ومالية وتميز دولي. كما أن قيام إتحاد مغربي يخفف كما "مجلس التعاون الخليجي" العبء وبالذات في تميز السياسات، عن الجامعة العربية. لكن مع كثير الأسف لم يخلق هذا الإتحاد وبقي مثل طائر جميل مكسور الجناح. ودخلت الصراعات والمحاولات الانقلابية والتناقض في إتخاذ المواقف بمنأى عن التشاور تجعل من الصعب اعتماد دورية الإنعقاد وترجمة بعض مضامين إعلان قيام الإتحاد إلى فعل ومنها على سبيل المثال لا الحصر "إن ما تتوفر عليه بلدان المغرب العربي من إمكانات بشرية وطبيعية وإستراتيجية تؤهلها لمواكبة التطورات المرتقبة في العقود المقبلة..." و "إن مغرباً عربياً موحداً يشكل مرحلة أساسية في طريق الوحدة العربية".

الآن وقد ووريت الحساسيات مع القادة الأربعة الذين رحلوا (الحسن الثاني. بن جديد. القذافي. بن علي)، وبات الجناح المغربي في مرمى التدخلات الأجنبية وبالذات التدخل التركي الأردوغاني على نحو ما يحدث داخل ليبيا والتعامل معها بذنبية كونها مثل شاة مستضعفة، بات من مصلحة الجميع مع تنوع ظروف كل دولة وحاجتها إليه، وضُع إعلان الإتحاد المغربي برسم إعادة التمعن في مضامينه وتحويلها إلى فعل جاد.

وفي ضوء تلك الإستعادة ينكفي الذنب الذي يرى في خلايا اخوانية في دول الجوار الليبي ما يشجعه على مواصلة إعتبار ليبيا أنها اسكندرونه المغربي، إذ يكفي الأمة ضياع لواء اسكندرون أحد فلذات كبد الوطن السوري. وعندما يتحول الإتحاد المغربي على أيدي الجيل الوارث من حكام الدول الخمس من مجرد إعلان إلى تفعيل ما إتفق عليه الأسلاف ووضع المضامين موضع التنفيذ ينكفي الذنب وتسلم الشاة التي تاهت عن ربعا... بل حتى لن يجرؤ الذنب على الإنقضاء بالتدرج عليها من المنصة التونسية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 14 مايو (أيار) 2020

تذكير عن الأمير الحفيد

ينفع اللبنانيين والإيرانيين

ما زال إتفاق الطائف الذي لولاه لكانت الأحوال السيئة التي يعيشها لبنان في هذه الأيام أشد سوءاً، بل وربما كان تبعثر دويلات هذا الوطن المستقوى عليه من عدو لا يحترم الإتفاقيات وواصل إنتهاك أجوائه، وشقيق محاد غير محايد لا يكف عن إستعمال ضعف بعض أهل الشأن السياسي والحزبي من اللبنانيين ورقة يرمم بها إخفاقاته، وأخ مسلم بعيد يستغل حالة من الشجن المذهبي الراسخة في نفوس الشيعة من بني قومه، يتم إستعمالهم كمداميك في بناء صرح أمبراطوري يقام بالأسلوب الذي يعتمده تسليحاً وحرساً وإصراراً على نووية إيران التي إذا كانت لا ترد على عمليات متكررة من جانب إسرائيل ضد مراكز عسكرية لها في غير الأرض الإيرانية فلماذا قول الرئيس حسن روحاني يوم الأربعاء 6 مايو/ أيار 2020

إن إيران تتسلح للدفاع عن نفسها، وهو قول يستوجب الإستغراب كون لا أحد يتحرق بإيران أو يعتدي عليها وإنما هي ذات تحرق بالغير من خلال المال وال سلاح والتدريب والشحن المذهبي.

الحديث عن إتفاق الطائف بات مثل أسطوانة موسمية التشغيل بغرض الإساءة إليه والتمثيل برؤيته الحكيمة وصيغته التي تؤسس لإبقاء الوطن في دائرة الأمان والإزدهار المتدرج. وحتى الآن فإن كل الذين يطعنون قولاً بإتفاق الطائف إنما عن ثأر من تهميش لهم عند إستيلاده أو ورقة لمصلحة من يروم للبنان وصاية أو بغرض وضع اليد عليه وإستبدال صيغته المتوازنة بصيغة مرتعنة.

وفي كل مرة يأتي الصحفي والكاظم مثل حالنا على ذكر الطائف يجد طيف الأمير سعود الفيصل رحمة الله عليه ماثلاً أمامه كونه النجم الدبلوماسي العربي - الدولي لتلك الأيام الخوالي التي شهدت إستيلاد إتفاق الطائف. كما تنشط الذاكرة في إستحضار ما كان في كثير من اللقاءات به على هامش قمم عربية وإسلامية يقوله لنا توضيحاً أو تحليلاً لموقف. ولكم أضاءت تلك التوضيحات والتحليلات ملامح عتمة في المستعصي تفسيره من مواقف صدرت في أزمان من الصراعات قبل حرب الخليج الأولى فالثانية وبعد هاتين الحربين الصاعقتين.

ومن الطبيعي عند كل حلول شهر رمضان أن ندعو بالرحمة للأمير سعود الذي رحل في مثل هذا الشهر الفضيل قبل خمس سنوات (1436 هـ و2015 م) من دون أن يترك للأجيال تدوين تجربته العريقة. وربما لولا وطأة العمليات الجراحية التي أرهقت كاهله من دون أن ترهق مخزون ذاكرته، لكان الأمير سعود سيكتب مذكراته وبحيث تكون مثل الكراسة المدرسية لجيل بعد آخر من العاملين في الحقل الدبلوماسي. أما وأن الأقدار شاءت عكس المأمول حدوثه فإن نزار مدني بما إستحضره عن الأمير سعود يعوّض القليل من الكثير في إنتظار أن يضيف إلى هذا القليل وزير الخارجية اللبنانية السابق جان عبيد كونه أحد نجوم الدبلوماسية العربية في حال صرّف النظر أو صرّفه عن أن يتأسس الجمهورية بعد الرئيس ميشال عون فلا يصيبه ما أصاب الحالم الماروني الآخر ريمون إدة. وفي هذه الحال سيحبر مذكراته كما الرئيس الأول للبنان المستقل الشيخ بشارة الخوري الذي قدّم في مذكراته بصفحاتها الألف التي كتبها بعدما بات

من السابقين، وبمعاونة المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك، خدمة جلية للتاريخ السياسي اللبناني. ولدى الوزير جان عبيد من كثير المعرفة والوقائع والأحاديث والتراسل مع صديقه الأمير سعود ما من شأنه أن يشكل إضافة مرجعية إلى الحقبة الأهم في التاريخ السياسي العربي.

وبالعودة إلى ما إستحضره نزار مدني ابن المدينة المنورة الذي حظي العام الماضي بتكريم يعتز به كثير الإعتراز جاءه من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وكان منحه وشاح الملك عبد العزيز من الطبقة الثانية يوم الأربعاء 24 أبريل/ نيسان 2019 مع الإشادة بجهوده في سنوات عمله الدبلوماسية في الدولة، فإننا نقرأ في سيرته الذاتية التي أصدرها في كتاب بتسمية "ديبلوماسية من طيبة. محطات في رحلة العمر" أنه في جانب من عمله في وزارة الخارجية ونتيجة ظروف إستثنائية أسند إليه الأمير سعود أمر إلقاء خطاب شامل خلال إنعقاد الدورة الرابعة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة (سبتمبر/ أيلول 1979) ويقول "إن التكليف أشبه بحالة طالب مقبل على خوض إمتحان نهائي إما أن يكرّم فيه أو يهان". وحيث أن الخطاب الذي ألقاه لقي الإستحسان والإشادة "فإن المسؤولين في الوزارة وعلى رأسهم سمو الوزير رأوا تكليفي بكتابة مشاريع الخطابات المماثلة...".

لم يطل الوقت كثيراً بعد ذلك حتى أصبح نزار مدني المسؤول الرئيسي عن إعداد جميع الخطب التي يلقيها الأمير سعود في المحافل الدولية والمناسبات العلمية والأكاديمية التي يُدعى إلى المشاركة فيها "وكانت هذه المهمة تستنفد جزءاً كبيراً من وقتي وتستهلك قسطاً وافراً من طاقتي وجهدي لأنني كنت أتعامل معها بكثير من المهنية والأمانة والتفاني والحرص على أدائها في أكمل وجه. وكانت فرحتي لا تعادلها فرحة وغبطتي لا تماثلها غبطة، عندما أرى علامات البشر والراحة والإبتهاج بادية على محيا الوزير". ثم يوضح دور الأمير سعود في إعداد كل خطاب ويقول في هذا الشأن "ولعلي أسارع إلى القول إن الأمير سعود كان دائماً هو القوة المحركة والدافعة وراء كل خطاب وهو المهندس والمصمم والمشرف على مشروع بناء الخطاب. كان يتابع وبدقة متناهية كل صغيرة وكبيرة جميع مراحل إعداد الخطاب منذ مسودته الأولى وحتى لحظة إلقائه. وكان يضيف ويحذف ويستبدل في فقرات الخطاب ومواده ما شاء الله له أن يضيف ويحذف ويستبدل. وإستمر هذا التكليف طوال ثلاثين عاماً

من الجلوس إلى سمو الأمير الوزير والسفر معه والعمل بمعيته والقرب منه". وهذا القرب منه، يضيف نزار مدني، جعله يقف على ملامح شخصية الأمير سعود مثل "روح الدعاية وسرعة البديهة والتعليقات الساخرة أو اللاذعة التي لا يملك المتلقي لها سوى الإعجاب والإستئناس بها. فإذا أضيفت إلى كل هذه الصفات والخصال والسمات ما يتميز به الأمير من أخلاق عالية وأدب جم وتهذيب كبير وأسلوب راق في التعامل لوجدت أن محصلة ذلك كله يمكن إختصاره في كلمتين: سعود الفصيل". إلى أن عُيّن (نزار مدني) عضواً مع 89 آخرين في مجلس الشورى عام 1414 هـ 1994 م.

وحيث أنه كان مع الأمير سعود في صولات وجولات أبرزها اللجنة الثلاثية حول لبنان المتقاتل والتي كان مؤتمر الطائف (24. 10. 1989) محطتها الختامية، فإنه بطبيعة الحال أكثر قرباً من المشاورات الصعبة التي خاض الأمير غمارها. وحول ذلك يقول نزار مدني "أعتقد جازماً أنه لولا اللجنة الثلاثية وما قامت به من جهود وقّدت من إنجازات وما تم في الطائف من نجاح لكان لبنان في طريقه إلى الهاوية السحيقة ولكان مصيره ومآله إلى الإنهيار التام والتفتيت والتقسيم الكامل".

وإستكمالاً يسجل في معرض حالة الفرح التي غمرت نفس الأمير سعود نتيجة الإنجاز الذي تحقّق، الواقعة المفرحة الآتية: "لا يمكن أن أنسى أيضاً كيف كان ذلك اليوم من الأيام النادرة التي بدا فيها الأمير سعود منتشياً بفرحة الإنتصار، ركبثُ معه في السيارة التي أقلّتنا من الطائف إلى جدة لحضور الجلسة الختامية للجنة الثلاثية والتي رعاها الملك فهد، كان يقود السيارة كعادته في تلك الأيام، وكنتُ جالساً في المقعد الخلفي، كان الحديث منصّباً طوال الطريق والتعليقات مرتكزة حول المؤتمر والمؤتمريين، ومن فرط نشوته وسعادته كان يضغط بين الفينة والأخرى على زر "المسجل" فارضاً علينا الإستماع إلى شريط من الموسيقى الكلاسيكية السيمفونية التي لم أكن - في يوم من الأيام - من عشاقها أو محبي الإستماع إليها. وكنت في تلك الأثناء أقول ببني وبين نفسي: يا حيداً لو وضع شريطاً لأغاني فيروز لكان ذلك أقرب إلى المناسبة وأدعى إلى السماع والإستماع".

وما دمنّا نعيش حالة متقدمة من الضوضاء الإيراني المقرون بإنذارات وتحديات متبادلة وبقلق للنظام غير مسبوقه حدثه نتيجة وطأة حملة التأديب العقوباتية من

جانب الرئيس دونالد ترامب، فإن نزار مدني يوجز النهج الذي إتسمت به دبلوماسية الأمير سعود تجاه إيران بالنقاط الآتية: ضرورة مواجهة الحقائق كما هي فعلاً حتى لو كانت صادمة ومؤسفة. إن الأحداث تثبت أن ما يهدد أمن المنطقة ينبع في الأساس من دول المنطقة ذاتها. إذا أردنا لمنطقتنا أن تنعم بما نتطلع إليه من أمن وإستقرار ورفاهية للجميع فإن هذه التطلعات يجب أن تواكبها توجهات مماثلة من أشقائها على الضفة المقابلة من الخليج في شكل أفعال ملموسة وخطوات محسومة تبدد الشكوك وتزيل المخاوف وتطمئن النفوس. إن تحقيق كل هذه التطلعات والآمال مرهون بمنظور سياسة إيران وموافقتها في هذا الشأن فهي إما أن تؤمن بمبدأ أن أهل مكة أدرى بشعابها، ومن ثم يكون مدخلها لمعالجة قضايا المنطقة قائماً على أساس التفاهم بينها وبين جيرانها وعلى قواعد صلبة من الإحترام المتبادل وتنمية المصالح المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية... وإما أن تستمر في تدخلاتها في الشؤون الداخلية للدول العربية وفي إثارة الإضطرابات وخلخلة الأمن وزعزعة الإستقرار وإشعال نار الفتنة الطائفية والإستمرار في التفاوض حول قضايا المنطقة وأوضاعها ومصيرها مع قوى خارجية متجاهلة جيرانها وضاربة عرض الحائط بعوامل التاريخ والجغرافيا والمصير المشترك. في هذه الحال لن تكون أعمال إيران متطابقة مع أقوالها ولن تُحقق أي مصلحة لإيران وشعبها، كما لن تُحقق أي مصلحة لجميع شعوب المنطقة ودولها.

رحمة الله على الذي كان أميرين في وقت واحد. أمير حفيد لجده المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وأمير للدبلوماسية التي طالما تألفت عربياً وإسلامياً ودولياً طوال أربعة عقود بدايتها 13 أكتوبر/ تشرين الأول 1973 ومسك ختامها 29 أبريل/ نيسان 2015..

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 15 مايو (أيار) 2020

ترمب البنياميني..

وبايدن "الفلسطيني _ الإسرائيلي"

كان أمراً مدعاة إستغراب أن الرئيس دونالد ترامب

ورغم حدة الضائقة السياسية والإقتصادية والإنسانية التي تعيشها الولايات المتحدة كما سائر دول العالم من الجائحة التي تزداد شراها، أوفد وزير خارجيته مايك بومبيو إلى إسرائيل يوم الثلاثاء 12 مايو/ أيار 2020 في مهمة كان يمكن إتمامها عبر التشاور الإفتراضي على نحو ما بات هذا الإفتراض صيغة لقاءات قمم ومشاورات بدأها الملك سلمان بن عبد العزيز للتشاور مع رؤساء الدول العشرين في أمر الوقع الراهن الناشئ عن إختراق "كورونا" الحدود والسموات وبحيث باتت الكرة الأرضية سجوناً يتقي البشر في رحابها أذى جرثومة بالغة الشراسة.

من الطبيعي عندما تكون تلك هي أحوال الولايات المتحدة التي تجهد إدارة الرئيس ترمب في مواجهة الآثار المؤلمة للجائحة الشرسة على صعيد البشر يتساقطون بالعشرات يومياً، والأكثر شراسة على الصعيد الإقتصادي أن تلوح مئات الشركات والمصانع وألوف المخازن الكبرى بالإقفال وبتزايد يومياً عدد الفاقدين وظائفهم، فيحصر رئيس البلاد إهتمامه بالأمور الداخلية، لا أن يخترق بوزير خارجيته جدار الحجر أرضاً وجواً ويبعث بوزيره إلى إسرائيل، إلا إذا كانت هنالك موجبات في غاية الأهمية، عملاً بقاعدة "للضرورة أحكام".

وإذا جاز للمرء أن يفترض واحداً من هذه الموجبات لأمكن القول إنها معركة الولاية الرئاسية الثانية. فقد إرتفعت حمى معركة تجديد الرئاسة وبات أميركيو الولاية الرئاسية الأولى الذين إنبهروا بشعبوية رجل الأعمال دونالد ترامب الذي أمطرهم بإجراءات تلقي ظلالاً على الولايات المتحدة دولة لكل البشر، فيعزلها عن المكسيك ويلوح بإلغاء البطاقة الخضراء ويحمل باليدين عدة سيوف تؤدي إلى إرباكات في شرايين المجتمع الأميركي الذي يتعايش فيه الأبيض مع الأسود مع الأسمر مع الأصفر، كما لا تضيق صدور أطياف هذا المجتمع بديانات وافدة تأخذ مكانها إلى جوار بروتستانت أميركا وكاثوليكها.

هذه الشعبوية الترمبية أصابتها نقوب كوروناية خصوصاً أن الإنفتاح على الكوري الشمالي لم يثمر، وإستمرار التلويح بالعصا كما كثرة العقوبات على الإيراني لا تجدي في ثني جمهورية المرشد خامنئي عن المضي في مشروعه وإغتنام الفرص لإلحاق الأذى عن طريق أدركتها اللبنانية والعراقية واليمنية بالمصالح الأميركية مقدمة لإلحاق الإهانة برموز ذات شأن.

في ضوء ذلك وخشية نضوب مفاجئ في المد الشعبي

ومبادرة عاقلة وحكيمة مثيلة لمبادرة السلام العربية كفيلة بوضع علاقة أميركا مع العرب عموماً خالية من العثرات وإنصراف الجميع متكافلين متضامنين مع سائر دول العالم لإستكمال مواجهة "كورونا" ... ومن قبل أن تتناسل هذه مزيداً من الـ "كورونا".

ويبقى أننا في زمن كثرة المسلسلات الرمضانية سنبقى حتى أواخر الصيف اللهاب من حيث الحرارة ومن حيث الخشية المستدامة من الجائحة الجانية، نعيش فصولاً متجددة من مسرحية "ترمب البنياميني" .. و"بايدن الفلسطيني _ الإسرائيلي". وأما سبوعية النكبة فبالكاد حاضرة في البال.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 18 مايو (أيار) 2020

البورصة الكورونية _ الكونية

باتت "كورونا" مثل بند في لوائح البورصات التي تعرض الفضائيات نشرات إخبارية حولها، وبتنوع سهل وممتنع ومانع في الوقت نفسه تتميز به قناة "العربية" التي باتت "قضائية العرب في العالم" كما حال "الشرق الأوسط" صحيفة العرب في عالمهم وجريدتهم في دول كثيرة من العالم. فعلى مدار الأربع والعشرين ساعة هنالك بضع دقائق في كل نشرة أخبار أرقام حول الربح الضئيل بمعنى النجاة من الفيروس وأرقام حول الوفاة وهي كثيرة. وأما أرقام الإصابة فإنها الأكثر. وما تتميز به "بورصة كورونا" أنها أممية من القطب إلى القطب كون هذا "الفيروس" البالغ الشراسة يتحرك وكما لو أنه في رحلة حول العالم غير محددة النهاية.. إلا إذا تحققت إحدى الخطوتين كأن يتم إستيلاء اللقاح وبذلك تبدأ "بورصة كورونا" بالإنكفاء بالتدرج لتحل محلها بورصة الكوارث الإقتصادية المتعددة الأنواع وأيضاً على مستوى العالم كله. فالذي أحدثته "كورونا" لم يسلم منه قطاع إقتصادي وتجاري ومالي وسياحي وتربوي وجامعي ناهيك بقطاع السفر الذي يشق طريقه إلى الإنكفاء وبحيث لن تعود هذه العشرات الألوف من الطائرات المدنية التجارية تتقاسم أجواء القارات الخمس على مدار الساعة ليل نهار كما حالها من قبل الغزوة الكورونية.

وخصوصاً بعد تقدّم متدرج للخصم المنافس لمرشح "الحزب الديمقراطي" جو بايدن، لا بد أن يخشى ترمب طعنة تصيب تطلعاته تأتيه من الصديق والحليف بنيامين نتنياهو الذي نال من ترمب حصداً لم يحظ به رئيس حكومة إسرائيلية من قبل بإستثناء مناحيم بيغن الذي لولا إدارة الرئيس (الديمقراطي) جيمي كارتر ما كان لإسرائيل أن تحظى بمعاهدة سلام مع مصر أبرمها الرئيس الراحل أنور السادات مع بيغن برعاية كارتر يوم 26 مارس/ آذار 1979 وعُرفت بـ "معاهدة كامب ديفيد". والخشية المحتملة واردة ذلك أن نتنياهو نجا حتى إشعار آخر من المحاكمة وأمكنه التفاهم مع من يمثل الجنرالات المتقاعدين وأولئك الذين هم على طريق التقاعد على تقاسم الحكومة رئاسة الوزراء. وهذا التقاسم لترؤس الحكومة بحيث يبدأ بنيامين نتنياهو دورة ثم يتراأس بني غانتس دورة، جديد وغير مرحب به من جانب المجتمع السياسي الإسرائيلي. وبعدما تحقق له الفوز بات في وضع أكثر إستقراراً وقادراً على أن يفرض على رئيس الدولة العظمى الولايات المتحدة التنفيذ الفوري لما تم التفاهم عليه مع رئيسها الحالي. ولا بد أن ترمب في حيرة من الأمر أقرب إلى مأزق، فإذا هو تجاوب سيلقى من أصدقائه العرب رد فعل يخدم خصمه بايدن. وإذا هو ترك أمر التنفيذ وبالذات ما يتعلق بضم أجزاء من الضفة الغربية فإن نتنياهو سيلعب للتو ورقة بايدن ليس لأنه لا يحب متلاعب ولا تعنيه كما ترمب المبدئية والصداقة وإنما المصالح الشخصية قبل العامة، وإنما لأنها فرصته وعليه أن يغتتمها خصوصاً أن بايدن ليس في الأمر إياه نقيض ترمب في مثل بيع قضايا الشعب الفلسطيني والمتاجرة بها وتلك من إرث ثابت لـ "الحزب الديمقراطي" .. إلا إذا كان في نية بايدن كسب ود العرب وبالذات السعودية ودول الخليج والأردن والإثبات أمامهم أنه عند وعده، الذي طالما أسر به إلى بعض من يصطفاهم من النواب والشيوخ (الديمقراطيين) بأنه مع صيغة الدولتين وضد ضم إسرائيل لمستوطنات في الضفة الغربية. ولكن المسألة الأكثر أهمية التي يريد الأصدقاء العرب من رئيس أميركا الآتي في الخريف المقبل هي إعادة النظر في الإثم الذي إقترفته إدارة الرئيس ترمب في ما يخص القدس. وهو إذا تعامل مع ما إتخذ ترمب في شأن القدس على نحو تعامل ترمب مع الاتفاق النووي أي إلغاء ما أقره سلفه باراك أوباما فإن سماء العلاقة العربية _ الأميركية ستصفو، ثم خطوة خطوة وقراراً تلو قرار

إلى جانب خطوة إستيلاء اللقاح الذي يمكن أن يُنجي من لم تصبهم "كورونا" حتى الآن، وهنالك الخطوة المهمة الأخرى بل لعلها الأهم وهي الوقوف على سر هذه الجرثومة وهذا لن يكون بالردح السياسي والتهامات عبر الأثير من جانب الرئيس ترمب في مؤتمراته الصحفية التي إنفرد بها وفي تقديره أنها تشكّل نقاطاً لمصلحة حملته من أجل جولة رئاسية ثانية، وإنما بإستصدار قرار أممي من مجلس الأمن يجيز لفريق يمثل الدول الخمس الدائمة العضوية ومعه من يمثل منظمة الصحة العالمية تفتيش المختبرات المتقدمة في كل دول العالم دون إستثناء، تماماً كما حال التفتيش المتعلق بالسلاح النووي. ومثل هذا التفتيش سيوصل ولا بد إلى نتائج ربما مؤكدة أو على الأقل إلى إستنتاجات في شأن أمور خافية حتى الآن. ثم إن أي دولة لا توافق على دخول فريق التفتيش الأممي على مختبراتها تصبح موضع شبهة وهذا يتيح المجال أمام وضع اليد على سر هذه الجرثومة وهل هي بفعل وطاويط الصين التي خرج الرئيس ترمب على رصانة التخاطب عند إعلانه على الملأ بأنه لن يتحدث مع رئيس الصين لأنه خيب أمله فيه. وترمب المصدوم بما بلغه أن نيويورك قد تشهد إفلاسات متدرجة هو نفسه الذي سبق أن خاواه ليدراً به قيصرية فلاديمير بوتين الذي طالما كانت له إصبع في لعبة الانتخابات الرئاسية الأميركية.

وحتى الآن يُكثر ترامب من الظهور الإستعراضية المقرون بآمال يعقدها على إستيلاء أميركي للقاح يتباهى به أمام العالم بأنه أنقذ البشرية من إفناء محتمل. ومثل هذا السعي أمر يُحمد عليه، لكن يبقى التشاور مع أقرانه الصيني والروسي والبريطاني والفرنسي وآخرين من أجل تفتيش المختبرات مسألة ضرورية كونها لا بد توصل إلى نتيجة، أو ربما إلى الحاضنة التي نما وترعرع فيها "الفيروس" ثم بدأ بعد ذلك تسويقه الشرير على أيدي أشرار. ومن يرفض التفتيش على نحو ما يفعله النظام الإيراني في الموضوع النووي يصبح متهماً ثم مداناً دولياً.

ولأننا وكما سائر بني البشر في دول العالم المهمومين بـ "كورونا" التي لا ترحم، المتابعين للسعي من أجل معرفة مصدر هذه الجرثومة وهل هنالك أمل في إيجاد تصنيع دواء يشفي من أصيب أو لقاح يمنع الإصابة كما سائر اللقاحات التي أبرزها اللقاح ضد الأنفلونزا يوصي الأطباء أخذه مع بداية الخريف.. لأننا في هذه الحال المهمومة نستحضر من الذاكرة مواقف وتحذيرات ونرفق ما يمكن إستحضاره بالتساؤلات. ومن بين ما في الذاكرة تحذير أقرب إلى الإتهام

صدر قبل أربع عشرة سنة وتحديداً يوم الإثنين 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2006 ومن رئيس الوفد الأميركي جون رود إلى مؤتمر التسليح في جنيف.

في ذلك المؤتمر ألقى المسؤول الأميركي كلمة جاء فيها أنه من المحتمل أن تكون لدى إيران أسلحة قتالية جرثومية وأن تكون كوريا الشمالية قد طوّرت مثل هذه الأسلحة المحظورة وأن تكون سوريا أجرت أبحاثاً عليها. وزاد اعتقاده بالقول "إن لدى كوريا الشمالية قدرات تسليحية بيولوجية وربما طورت وأنتجت جراثيم لإستخدامها كأسلحة. وفي النهاية إننا نظل نشعر بقلق بالغ من أن تكون سوريا أجرت أبحاثاً وتطويراً لبرنامج أسلحة بيولوجية هجومي..."

في حينه نفت الجمهورية الإسلامية بشدة الإتهام وهو نفي يندرج ضمن تأكيدها أن إهتمامها النووي هو من أجل التنمية والأغراض السلمية عموماً، ويسبق النفي أو يليه تصريح من هذا الجنرال في الحرس الثوري أو ذاك بأن لدى إيران قدرات دول عظمى وأنها قادرة على إلحاق الهزيمة بمن يتعرض لها بمن في ذلك الدولة الأهم في مجتمع الدول النخبة عسكرياً، الولايات المتحدة. لكن اللافت أن سوريا وكوريا الشمالية إلتزمتا صمتاً حول الإتهام.

الذي قاله المسؤول الأميركي كان بطبيعة الحال إستناداً إلى معلومات. وما قاله كان مدعاة لحالة من الذعر هي تلك التي يعيشها العالم بكل دول قاراته الخمس منذ سنة. ومن الواضح أن الذعر ممتد إلى سنة جديدة وربما أكثر إلا في حال حدثت المعجزة وأمكن إستيلاء اللقاح.

وما يمكن قوله هنا في ضوء الكلام الذي صدر عن مسؤول أميركي قبل أربع عشرة سنة هو أن تفتيش المختبرات الجرثومية يقطع الطريق كما تفتيش مواقع التصنيع النووي كفيل بكشف الألغاز والحقائق وبالتالي طي صفحة الشكوك. وعند ذلك لا تعود البورصة الكورونية _ الكونية على هذه الحيوية التي عليها ذلك أن الأرقام ستبدأ بالتراجع وإلى نقطة الصفر وتبدأ بالتالي حقبة ترميم الإفلاسات الناشئة عن "كورونا" والتي تنتوع بين إفلاسات معلنة في دول كبرى وأخرى مستترة في إنتظار الإعلان عنها في أي لحظة. وأما الإفلاسات الخجولة التي يقتصر الإعلان في شأنها على إغلاق فروع فإنها تتواصل.

والله المعين أولاً وآخراً ودائماً.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 24 مايو (أيار) 2020

جحدون وجه حق

كانت حال لبنان إلى ما قبل إلتئام ممثلي الشرعية اللبنانية الدستورية (نواب البرلمان المتناثر) في المؤتمر الذي سعت إليه المملكة العربية السعودية حرصاً منها على لبنان وقبول السعي وكذلك فكرة إنعقاد مؤتمر في مدينة الطائف بترحيب عربي ودولي، مثل حال من تصيبه جرثومة كورونا في الزمن الحاضر. جسد منهك وأحياناً متهاك بمساحة عشرة آلاف وأربعمئة وخمسة وعشرين كيلومتراً مربعاً. تشقق في مؤسست الدولة وصلت إلى حد إنشقاقات في الجيش. ميليشيات تمارس من أنواع التدمير والقتل ما لم يشهده الوطن اللبناني من قبل. تدفقات من السلاح والمال تصل جواً وبراً وبحراً لأحزاب ورموز جماعات سياسية رهنت نفسها للشر بدلاً من الخير ولإستعمال الوطن أرض الأجداد ساحة لتنفيذ مآرب الغريب. قناصة ينشطون في كل أحياء العاصمة بيروت التي بدأت تتحول إلى مدينة أشباح. مؤسسات فندقية تحولت إلى مقرات للميليشيات. ابتكارات لأساليب الهمجية على قاعدة المذهبية وصلت إلى حد الخطف والسحل والقتل على الهوية أو المتاجرة بالمخطوفين لإبتزاز ذويهم. إنهيار مؤسسات إقتصادية وحالات من الشلل في قطاع التعليم عموماً وفي الجامعات والمدارس الخاصة إنتهت بالإقفال على نحو ما هو حاصل للبعض منها في الزمن الكوروني وتحت تأثير الحالة الاقتصادية. تزايد حالات الهجرة هرباً عن طريق البحر أو عن طريق سوريا. هكذا كان المشهد بكل محطات الرعب والهلع والضياع.

وإذا جاز القول فإن الذي كان يحدث وأوردنا على سبيل المثال لا الحصر نماذج منه، بدأ يتلاشى بالترج بفعل ما حققته سفينة الطائف التي كانت معنوياً مثل سفينة نوح وأمكنها بحكمة من سعي لتفادي سقوط لبنان نتيجة الحرب الأهلية العنيفة التي حدثت بإفتعال وفي لحظة تنويم للروح الوطنية في النفس الأمارة بالشر وبالتطلع إلى الإستئثار بالسلطة كما الحال حاضراً، وضع الوطن في ما يشبه العناية الفائقة محروساً بكل مقومات العمل على إعادته كما الخارج هذه الأيام من فترة الحجر والعلاج من كورونا، يتنفس بطلاقة ويبدأ الوطن الجريح إستعادة الوهج والدور وفق وثيقة دستورية تم وضع بنودها

في ضوء مطالب ممثلي الشرعية اللبنانية والإستئناس بإقتراحات كثيرين منهم، من جانب "أطباء" الدبلوماسية السعودية ومعهم دعماً وتطويراً بعض أولي الشأن والحنكة عربياً ودولياً.

يحضرنا ونحن نعيش منذ بضعة أشهر حالات كلامية تستهدف النيل من صيغة توافقية واقعية ما كانت لتتحقق إلا من خلال السعودية قيادة وشعباً وأرضاً في الوقت نفسه، موقف يتسم بالحكمة والحنكة. فالقيادة التي كان كبيرها زمناك الطيب الذكر الملك فهد بن عبدالعزيز أوجز التمنيات والمشاعر أمام النواب اللبنانيين في جلستهم الأولى لإجتماعات مؤتمر الطائف يوم السبت 1 أكتوبر/ تشرين الأول 1989 بكلام الأخ الذي يريد الخير لأخيه والمنبثق أصلاً من روحية المملكة، ماضياً من زمن الملك المؤسس عبدالعزيز رحمة الله عليه وحاضراً في زمن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان سدد الله خطاه وأزمان إخوانه الذين باتوا في ذمة الله. ولتذكير الذين طالما سجلوا ماضياً ومعهم الذين يسجلون حاضراً مواقف إعتراضية وصلت إلى حد الدعوة إلى إعتبار إتفاق الطائف وكأنه غير مدرج في بند الإنجازات الإنقاذية والإصلاحية العربية، يلفتنا في بعض أوراق وأدبيات تاريخ العلاقات السعودية _ اللبنانية مدى رقي التعامل والتخاطب بين الملك عبدالعزيز وأول رؤساء لبنان المستقل الشيخ بشارة الخوري، كما نستحضر من كلام راعي مؤتمر الطائف الملك فهد ثلاث عبارات وردت في سياق كلمة إفتتاحه المؤتمر. فهو قال "لقد حان وقت الإنتقال من التراشق بالمدافع إلى التسابق على صناعة السلام بالحكمة والتبصر وبالفكر المستنير والرأي الرشيد" و"إن لبنان لم يعد يتحمل المزيد من النزاعات العقيمة" و"إن الشعب اللبناني الذي ضحى كثيراً وقاسى كثيراً قادر بإذن الله وعونه على جعل وطنه مرة أخرى نموذجاً للحياة الحرة الكريمة الأصيلة. لقد إختلفت الظروف وتبدلت أحوال وتغيرت مواقع لكن الجوهر والأساس ظل هو قضية الإنسان وقضية الحياة وقضية الدور الذي يجب أن يعود إليه لبنان في شتى المحافل العربية والدولية..."

إذا كان الغرض من المطالبات بإعتبار مؤتمر الطائف وكأنما لم يحدث ولم يتوصل إلى الصيغة التي توصل إليها هو للنيل من الإستضافة الكريمة للشرعية اللبنانية قبل إحدى وثلاثين سنة، فهذا نوع من الجحد، ذلك أنه بفضل الذي رعى وإستضاف وحث وتمنى وساعد وشارك

الكورونية الشريفة يسجل المزيد من أرقام الضحايا إصابة أو وفاة. ولذا فإن من واجب كل لبناني وبالذات الذين في نفوسهم جحود التمسك بتلك الوثيقة العلاج حتى لا يعود الشر يعصف بالجميع.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 29 مايو (أيار) 2020

عميد الانقلاب المستحيل وعميد التغيير الممكن

على مدى سنتين سجل جنرالات وضباط لبنانيون مواقف إسم بعضها بعلو نبذة التعبير عنها، كما كانت هنالك مواقف خجولة من حيث التعبير لكنها من حيث المضمون تلفت الإنتباه.

بموازاة ذلك علا بعض الشيء صوت بعض الناس الذين أضناهم التكاذب من جانب الكثرة من أهل السياسة، فبدأوا يرون أن الأحوال البالغة السوء التي يعيشها اللبنانيون تحتاج إلى وقفة من جانب المؤسسة العسكرية لا تكون على شاكلة الانقلابات السورية، إنما كتلك التي حدثت في السودان عندما إصطف بعض الجنرالات إلى جانب قوى تطالب بالتغيير وكانت الإنتقاضة التي أسقطت نظاماً إستبد ليحل محله نظام يؤمل منه إعتدال النزاهة والعدالة والولاء الوطني وإعتدال سياسة خارجية لا تورط السودان في ما ليس لمصلحته فتتخذ بذلك البلاد وتضع طمأنينة العباد في صدارة الإهتمام.

مثل هكذا حراك للجنرالات حدث حتى في إسرائيل مع إختلاف المنطلقات، وأثمر "حزب الجنرالات" إهتزازاً في مكانة بنيامين نتنياهو، وقد يتطور الإهتزاز إلى إزاحة الرجل من كرسيه في حال أخذت العدالة مجراها إلى آخر محطاتها ومقاضاة رئيس الحكومة المسكون بأحلام يهودية فلسطين العربية _ الإسلامية _ المسيحية. وحتى إذا أمكن نتنياهو النجاة فإن عيون الجنرالات الذين باتوا نواباً في الكنيست أو وزراء يمثلون حزبهم في الحكومة، ستبقى شاخصة عليه فلا يواصل التصرف على هواه مستبياً كل الأصول والإتفاقيات المعقودة وغيرها من خطوات تراوح بين الضم والتهويد مطمئناً إلى أن رئيس

في ترميم بعض مفاهيم لدى لبنان الإنسان وكثير تصدعات في لبنان الكيان والبنان، كان الإنقاذ لما أمكن إنقاذه ولما كان عرضة للتهوي.

وإذا كان الغرض هو رفُض روحية الوثيقة الدستورية، فإن النيل من هذه الصيغة هو كذلك جحود دون وجه حق ومعناه رغم توضيحات وتنظيرات غير موضوعية، إشعال فتيل بغرض زج لبنان في أتون إقتتال يتخذ هذه المرة الشكل الذي عليه في سوريا وفي ليبيا.

ويبقى القول إن الذين يتعاملون بعبارات تفتقر إلى الكياسة في موضوع الصيغة الوطنية الكبرى (ميثاق 1943) والصيغة العلاجية الإنقاذية الأخرى (إتفاق الطائف) ينطلقون في ما يتخذونه من مواقف مبثوثة إما على الهواء وإما من خلال كلمات تُلقى عبر الشاشة التلفزيونية خلال مناسبة دينية أو تكريمية، من هوى يتجاوز خارج فضاء الوطن الذي أمعنت النصال الخارجية نزفاً في كبريائه. ولو أن مواقفهم ليست إيرانية الهوى لأمكن إعتبارها أحد روافد الرؤى في نهر الديمقراطية اللبنانية. لكن الهوى غير اللبناني وغير العربي بإستثناء التعبير بلغة الضاد، يُفقد تلك المواقف موضوعيتها، فضلاً عن أن الرمز الأكثر حضوراً في الطيف اللبناني الشيعي الإيراني الهوى (الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله) كان عند بدء الحرب اللبنانية التي أطفأت السعودية لهيبها لم يبلغ العشرين من العمر. أما الرمز الفتاوي الآخر الشيخ أحمد عبد الأمير قبلان فكان ربما لم يولد بعد. وبهذا المعيار يصبح إستثناسهما واجباً برؤى متعقلين عاشوا ويلات ذلك الزمن الذي حفل باللاعبيين المتلاعبين بالوطن المغلوب على أمره، والأشد قسوة من ويلات الزمن الكوروني الذي نعيشه منذ أشهر ولا نرى في الأفق ملامح نهاية له. والإستثناس بالرؤى ضروري علّ وعسى يقتنع عندئذ دعاة طي صفحة إتفاق الطائف بكلام قاله الملك فهد في جلسة إفتتاح مؤتمر الطائف "إن الفجر اللبناني آت لا ريب فيه طال الزمان أم قصر".

والله الهادي لمن ينير ذلك الفجر السبيل أمامهم ويضع بالتالي حداً لجحودين في وقت واحد. والجحود بالنعمة أمر لا يرضاه رب العالمين، خصوصاً أن مؤتمر الطائف الذي كان من حيث التشبيه بمثل سفينة نوح أنتج الوثيقة الدستورية التي هي من حيث المقارنة بأهمية اللقاح الأعجوبة الذي تسعى دول العالم المتقدم لإستيلاده ولم يحالفها التوفيق حتى الآن فيما عدّاد الجائحة

الدولة الأهم دونالد ترامب بقي خير سند له إلى أن أخذت كورونا من رئيس الدولة الكبرى الحيز الأكبر من الإهتمام بشؤون الداخل، ثم إزداد البال إنشغالاً مع واقعة المواطن الأسود المخنوق بركبة الشرطي الأبيض، ونتيجة ذلك باتت المصائر في علم الغيب.

ما يلفت الإنتباه أن بعض جنرالات سابقين في الجيش اللبناني إرتأوا وقد بلغ الخطر مداه على لبنان الصيغة فضلاً عن الحالة الإقتصادية والأمن المخطوف، إنشاء حزب يبدأ بعساكر ثم يفتح الباب أمام الطيف المدني. الخطوة ليست جديدة، لكن اللافت للإنتباه أن البادئ بها من أهل البيت الرئاسي وهو العميد المتقاعد شامل روكز المتزوج من ابنة الرئيس ميشال عون وعديل الصهر جبران باسيل. الصهر العميد مسكون بواجب تصحيح مسار أمور كثيرة بات عهد والد زوجته يتحمل وزرها. والصهر العنيد يخوض بشراسة غير مسبوقة "معركة" أن يكون هو وليس مارونياً آخر بمن في ذلك سليمان فرنجية الحفيد، الرئيس الذي سيرث رئاسة ميشال عون للجمهورية.

من حيث إرتياح الناس وكذلك مشاعر الود يتقدم الصهر العميد على الصهر العنيد. أما من حيث حسابات المصالح والمكاسب فإن العنيد يتقدم بأشواط على العميد. حتى الآن لم يفصح العميد شامل روكز عن مبتغاه وإن كان في صدد إنجاز صيغة تلقى القبول فلا يصيب المبتغى ما سبق أن أصاب تلك المحاولة المتعجلة التي قام بها قبل أربع وأربعين سنة عميد آخر هو عبدالعزيز الأحذب الذي فاجأ اللبنانيين الغارقين في متابعة أزمة حُكم بالغة الخطورة يعيشها رئيس الجمهورية سليمان فرنجية (جد سليمان النائب السابق) بإطالة تلفزيونية مساء يوم الخميس 11 مارس/ آذار 1976 تلا خلالها شخصياً "البلاغ رقم واحد" الذي يذكر بالبلاغات التي إشتهرت بها إذاعة دمشق في الأربعينات والخمسينات والستينات. وفي البلاغ هذا الطلبات التقليدية للحركات الإنقلابية: إستقالة الحكومة خلال 24 ساعة. أن يقدّم رئيس الجمهورية إستقالته مع التعهد بإلتزام الجيش حمايته مدى الحياة. إعلان حالة طوارئ. دعوة مجلس النواب إلى إنتخاب رئيس جديد للبلاد. الطلب من المديرين العاميين تأمين الأعمال في وزاراتهم. الطلب إلى جميع القوات المسلحة أن تطلق النار فوراً على كل من تحدّثه نفسه القيام بأعمال الشغب أو السلب.

زمنداك كانت الإنقسامات في المؤسسة العسكرية تتزايد وتأخذ المنحى المذهبي، والحرب الأهلية تتواصل بشاعة والإرتباك سيد الموقف. ومن هنا كان الترحيب بـ "المحاولة الإنقلابية" التي قام بها "قائد منطقة بيروت والحاكم العسكري المؤقت". هذه كانت الصفة العسكرية للعميد أول الركن عبدالعزيز الأحذب. وتمثلت ذروة الترحيب بتصريح للشاعر (الراحل) سعيد عقل قال فيه "إن العميد الأحذب يمثل الرجولة وأنا أؤيد وجوده قائداً للجيش. ولبنان منذ فخر الدين حتى اليوم ينتظر رجل عنفوان...". تقييم في منتهى الأهمية يأتيه العميد السني من أحد أقطاب الحراك الماروني السياسي الفاعل زمنداك والذي يضم بين أعضائه رئيس الجمهورية الأسبق كميل شمعون ورئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل والد بشير الذي لم يهنأ بتسلّم الرئاسة وقضى تفجيراً وأمين الذي قيضت له الظروف والضرورات أن يكون رئيساً للجمهورية.

رغم أن حركة الأحذب ضمت عسكريين من كل الطوائف اللبنانية في مجلس قيادة، إلا أن ترؤسها من جانب ضابط سني من مدينة طرابلس المحاذية لبلدة زغرتا عرين رئيس الجمهورية يأمر بإستقالة الرئيس الماروني ثم حل مجلس النواب الذي يتراسه شيعي، كان في حد ذاته أمراً يخالف صيغة المحاصصة على مستوى الرئاسة الثلاث، فضلاً عن أنها حدثت في وقت كان الجيش جيوشاً والسيادة متهاكة و "دولة أبو عمار" يمثل "دولة حزب الله" في الزمن الحالي. لذا كان من الطبيعي أن تنتهي على عجل بعدما بدأت متعجلة.

ومن الجائز القول إن ترؤس الضابط الماروني العميد المتقاعد شامل روكز يجعل حزبه الذي يضم عسكريين من كل الطوائف، على نحو ما يقال في هذا الشأن، في منأى عن تلك الحساسيات التي رافقت المحاولة الإنقلابية للعميد عبدالعزيز الأحذب والتي بقيت تترنح شهراً قبل أن تُطوى صفحاتها ويستمر التلاعب الحزبي والسياسي بلبنان على ما يوجب حسم الأمر. وحتى لا يلفظ الوطن الأنفاس، على نحو ما جرى لجورج فلويد في أميركا ترمب، فإن المحاولة الروكزية التي ما زالت في فضاء الإفتراضات والتكهنات قد تثمر عملاً جدياً يحول دون ذلك.

ويبقى التذكير بأن التوافق على من يشغل منصب رئاسة الجمهورية في لبنان كان حتى إستكمال مراحل تأسيس "حزب الله الدولة" تنظيماً وسلاحاً وإنتشاراً، في

عهدة المثلث الفاعل (الصرح البطريكي. القطاع المصرفي. السفارة الأميركية). هذه المعادلة إهتزت مع دخول نظام الرئيس حافظ الأسد برغبة أميركية وبارتضاء متعجل من المرجعية المارونية لاعباً جديداً في الحلبة الرئاسية اللبنانية. ثم تزايد الإهتزاز مع إنتزاع النظام الإيراني الشأن مع الآخرين. وها هي المعادلة تقتصر على حلف مقدس بين "حزب الله" والطيف الماروني السوري _ الإيراني الهوى، فيما المثلث التقليدي بعضه شبه غائب لأن هموم الداخل الأميركي تتقدم على الاهتمام بقضايا آخرين من بينها لبنان المتعثر، وبعضه مغيب التأثير ويقتصر على النصيح من خلال القدايس، وأما بعضه الثالث الذي كانت المصارف بمثابة بيوت أموال اللبنانيين فإنه في أسوأ حال. وقد ينتهي الأمر بهذه المصارف إلى إغلاق أبواب في الحد الأقصى أو إلى إندماجات في الحد الإنقادي. وفي ظل هذه الأحوال عموماً وما قد يستجد تصبح الفرصة أكثر يسراً أمام العميد الذي لم يعد في علم الغيب. ولا تعود مستحيلة كما الذي جرى قبل 44 سنة. والله أعلم.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 8 يونيو (حزيران) 2020

الحق والباطل في مسألة مائية

كانت موضع إستغراب عندما إرتفع منسوب غضب الشعب في السودان نتيجة مفاعيل الحُكم الذي إستبد، مسارعة الجار الأثيوبي في شخص رئيس الحكومة أبيي أحمد للقيام بدور الوسيط بين الطيف الشعبي المعارض المتعدد المشارب والمفاهيم السياسية والطيف العسكري المتمثل بمجموعة من كبار الضباط من رتبة فريق. ولقد بذل الوسيط الأثيوبي جهداً إستثنائياً من أجل التوفيق بين ركني الإنتفاضة العسكرية (جمعاً للعسكرية والشعبية). وعزز سعيه أنه مسلم. ووجدناه يزداد حراكاً وسعياً من خلال الإتصال المباشر أو عبر مبعوثه، كلما كان التفاوض يتعثر من أجل التوصل إلى صيغة ترضي الطيفين اللذين يتفقان على إسقاط "نظام الإنقاذ" لكنهما غير ذلك بالنسبة إلى مرحلة جني ثمار الإنتفاضة وكيف

ستكون المحاصصة وكذلك معالجة الكثير من القضايا العالقة بمعنى هل يتم الأخذ بأسلوب الإجتثاث وقوننته على نحو التجربة المتعجلة في العراق، وهل يصار إلى تسليم الرئيس عمر البشير إلى المحكمة الجنائية الدولية بعدما إنتهى نزياً في سجن "كوبر" الذي طالما أودع فيه عدداً من قادة الطيف المعارض بمن في ذلك الإسلاميان العريقان الدكتور حسن الترابي والسيد الصادق المهدي.

وثمة حيثية موضوعية توجب الإستغراب من هذا الدور المتميز لرئيس الحكومة الأثيوبية والذي إضافة إلى إنجاز الاتفاق فالتعايش بين أثيوبيا واريتريا، كانا (الدور والإنجاز) الدافع لدى لجنة مؤسسة جائزة نوبل لمنحه "نوبل للسلام" الأمر الذي زاده ثقة بالنفس ما دام بات الثاني بعد النيلي الآخر الرئيس أنور السادات الذي يحمل هذه الجائزة السلامية.

من دواعي الإستغراب أن الجامعة العربية لم تكن هي المقترحة للتعثر الذي هي عليه جولات الأخذ والرد بين الطيف العسكري و"قوى التغيير". ومن الجائز الافتراض أن مبادرة سياسية _عسكرية عربية تتولاها لجنة تضم من يمثل الدبلوماسية العربية ومن يمثل "الدفاع العربي المشترك" كانت ستلقى من رموز الأزمة السودانية الاهتمام وإبداء حُسن النوايا وتخفيض سقف الشروط. والأهم من ذلك إختصار الوقت والشروع في إعادة ترميم السودان سياسياً وإقتصادياً ترجمة لمقاصد الشاعر العربي القائل "إذا احتربت يوماً فسالت دماؤها.. تذكرت القربى ففاضت دموعها" مع تعديل الصياغة بحيث تصبح "إذا إختلفت يوماً فزادت شروطها.. تذكرت القربى فلانت قلوبها". لكن الجامعة لم تبادر وتركت للوسيط الأثيوبي يبذل مساعاه من منطلقات أن السودان أفريقي وجار إستراتيجي. ثم في نهاية الأمر يحقق مبتغاه غير المعلن وهو توظيف ثمار سعيه بحيث يقف النظام الجديد في السودان إلى جانب أثيوبيا في موضوع الأزمة العالقة مع مصر والناشئة عن "سد النهضة" الذي أنجزت أثيوبيا إنشائه وحددت مواعيد لملائه متجاوزة الآثار السلبية الإستراتيجية التي طالما أوضحتها الحكومة المصرية ولقيت التهم من جانب الإدارة الأميركية التي أخذت على عاتقها أمر التعاطي مع الأزمة وإستضافت لهذا الغرض يوم الأربعاء 6 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019 وزير خارجية مصر ووزيرة خارجية السودان ووزير خارجية أثيوبيا. وكانت صورة لقاء الرئيس ترمب بالوزراء الثلاثة

لافتة كونها غير مألوفة. جالس إلى مكتبه والوزراء الثلاثة ومن يمثل الجانب الأميركي وراءه وقوفاً.

كان واضحاً أن الوزير الأثيوبي لم يأت لكي ينهي أزمة في حين أن الوزير المصري والوزيرة السودانية أخذتا في الاعتبار حرص إدارة الرئيس ترمب على مراعاة النظام الأثيوبي وقطع الطريق على جنوح محتمل نحو روسيا وفي الوقت نفسه حرصه على تمتين العلاقة مع مصر ونظرة إدارته إلى مستقبل العلاقة الإستراتيجية مع السودان الذي طوى صفحة "الإنقاذ" وبدأ التدوين في كتاب السياسة المتفهمة التي تروم تصحيحاً لثلاثين سنة عاصفة في حياة الشعب السوداني. وفي ضوء هذه الإعتبارات يحدوهم الأمل بأن يكون الدور الأميركي حاسماً في الموضوع النيلي البالغ الحساسية. ولكن اللقاء إنتهى إلى الاتفاق على لقاءات ومزيد من المشاورات. وبذلك ربحت أثيوبيا المزيد من الوقت وهي أصلاً تخطط لذلك بحيث تكون مقومات ملء السد إكتملت.

في حال بقي الموقف الأثيوبي على حاله وهو الإصرار على بداية ملء السد في يوليو/ تموز المقبل، فهذا مؤشر إلى أن العلاقة العربية _ الأفريقية على موعد مع حال إنقسام بالغة الخطورة. ونقول ذلك على أساس أن رئيس الحكومة الأثيوبية أبيي أحمد يرى أن "سد النهضة" بالنسبة إليه هو ورقة رابحة لتجديد رئاسته كما أنه مجد سياسي يتطلع إليه كذلك المجد الذي إرتبط بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر الذي أصر رغم كل المحاذير والخيبات من الموقف الأميركي على إنشاء سد اسوان أو التسمية الشائعة له "السد العالي". ويرى الرئيس الأثيوبي أنه في حال عدل موقفه وإرتضى الصيغة المتوازنة التي تراها مصر ويرحب السودان بها، فإنه لن يحصل على المجد الذي يتطلع إليه وأن سعيه الحثيث من أجل إنجاز تسوية للأزمة السودانية لم يحقق له مبتغاه، وهو أن يكون موقف السودان معه وليس مع مصر مستنداً إلى المحادثة الإستراتيجية بين السودان وأثيوبيا فضلاً عن أن في إستطاعة أثيوبيا الحد من إضطرابات حدودية طالما كانت مصدر قلق للسودان ومن دون أن يكون هنالك إقلاق من الجانب السوداني. وهو بعدما بدأ يلمس نمواً سريعاً للتعاطف السوداني المتجدد مع مصر بدأ يوطد العلاقة مع روسيا وكأنما يريد من الرئيس بوتين وقفة في موضوع "سد النهضة" تماثل وقفة "ترويك" الكرملين وبوجه خاص موقف خروشوف من موضوع "السد العالي"، ثم يطلق

تصريحات غير مستحبة رداً على تصعيد كلامي مصري أكثرها لفتاً للإنتباه قوله وكانت مضت عشرة أيام على منحه جائزة "نوبل للسلام" وتلقّيه التهاني من مسؤولين دوليين وأفارقة ومن الرئيس عبدالفتاح السيسي أيضاً "البعض يقول أشياء في شأن إستخدام القوة من جانب مصر. يجب التأكيد على أنه لا توجد قوة يمكن أن تمنع أثيوبيا من بناء السد، وإذا كان هنالك حاجة إلى الذهاب إلى الحرب فيمكننا حشد الملايين وإذا تمكّن البعض من إطلاق صاروخ فيمكن للآخرين إستخدام القنابل...".

عندما تصبح المشاريع بين الدول خارج التوافق وتنعكس على حياة الناس على نحو قول الرئيس السيسي أمام ندوة عسكرية "إن حصة مصر من المياه حالياً مع بلوغ عدد سكانها مئة مليون نسمة هي الحصة نفسها التي كانت تحصل عليها عندما كان عدد سكانها 15 مليوناً" يصبح لا بد من نظرة عميقة وحكيمة للأمر. ولقد أوجزها وزير الري السوداني ياسر عباس بعبارة "إن السودان يؤمن بحق الدول في التنمية لكن دون أن يكون سبباً في إحداث أضرار جسيمة للآخرين...".

خلاصة القول إن كفة الحق متساوية مع كفة الباطل في الميزان العربي _ الأفريقي. الحق لأثيوبيا أن تستفيد تنموياً وكهربائياً من الثروة المائية والباطل أن يكون ذلك على حساب ما هو بالغ الخطورة على مصر والسودان. وأي تنمية ستتم إذا كان عدم التفاهم على صيغة يرتضيها المثلث النيلي، سيؤدي إلى مواجهة تبدأ باردة بأمل تقادي الأسوأ أي المواجهة الساخنة. وهذه في حال حدوثها لا سمح الله فإنها ستنتهي عداوة تتوارثها الأجيال النيلية الثلاثة مع كل رشفة ماء من النهر الخالد بدءاً بمنبعه الأثيوبي وصولاً إلى مصبه المصري مروراً بإنسيابه السوداني. والله المنجي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 يونيو (حزيران) 2020

كيف جبر لبنان المكسور الحال

لو كان الذين باتوا من أهل السُلطة في لبنان يفعل فاعلين مجهولين معلومين يعنيهم ما يقال في الأوساط الشعبية عنهم من سيء الكلام وأرذل الأوصاف ولا

يقتصر القوّالون والقوّالات على نماذج من طائفة واحدة، لكانوا إتخذوا وقفة مع النفس يتأملون خلالها في دوافع الذين أمعنوا تجريحاً سياسياً وشخصياً، فيتخذ هذا المرجع أو ذاك المسؤول من الخطوات ما من شأنه إطفاء المشاعر السيئة المضمون المسيئة إليه. ومثل هذه الخطوات إتخذها في تاريخ الحكم والحكام كثيرون ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر جنرال لبناني هو اللواء فؤاد شهاب وجنرال سوداني هو المشير عبدالرحمن سوار الذهب والجنرال الفرنسي شارل ديغول، وإستيق جنرال لبناني آخر هو اللواء الرئيس ميشال سليمان ما قد يلقي ظلالاً على سنواته الرئاسية المثقلة بالهواجس الضميرية فبدأ ومن قبل أن يحين أجل الولاية الأولى السداسية السنوات يهيء النفس للمغادرة كريماً غير مثخن بأقوال كتلك التي باتت حديث الناس عن أهل السُلطة الثنائية الزاهنة ويعالجها صاحب المنصب بأوامر الملاحقة التي ليست علاجاً لواقع الحال المعيشي والصحي والنفسي الذي تجاوز بكثير الشكل المزري.

وتصيب المرء الدهشة من هذا المرجع أو ذاك، أو تحديداً من المرجعين معاً عندما لا يسائل كل منهما نفسه: أي إساءة ألحقناها بلبنان ووطناً وشعباً! والإساءات أكثر من أن تحصى وهي ظاهرة للعيان إنما لمن لا يُغمض العينين ويسد الأذنين.

المألوف في عالم الحُكم والذين يتربعون على درجات سلالمه وبالذات من تضعهم الأقدار أو الترتيبات الإقليمية والدولية في القمة أن يأنسوا بالمستشار الذي يسدي النصح وخصوصاً في الأمور الشائكة أو عند إستباق إتخاذ القرار أو في مناسبة إضطراب مفاجئ ناشئ عن أثقال من التدخل في شؤون الوطن يأتي من جار حاسد أو مدعي صداقة طامع. فإذا كان الذي أسدى النصح مخلصاً وأخذ صاحب القرار بما نُصح به فإن النجاة مأمونة من السقوط في جب لا يعود الخروج منه بالأمر اليسير. أما إذا المستشار من طينة المدهنين لصاحب القرار الذي تلذه الإطراءات وتؤكد على أن خطاه صواب، فهذا سيقود إلى تكريس ما يعيشه لبنان هذا الكيان الذي ينغص الجار العدو المعتدي حدوده الجنوبية على مدى ساعات الليل والنهار ويخترق سماءه الطيران المعتدي بين طلعة وأخرى. كما أن وطأة الجار العربي الشقيق بالتكاتف والتضامن مع حليفه الفارسي البعيد حولت المعابر بإتجاهاتها الثلاثة ومعها المعبر الجوي الملتبس

والمعبر البحري المتشابكة المشاعر والمصالح في تسييره، إلى حالة نزف مالي وسيادي. وبدل أن يقال للمواطن من الكلام الذي يهدىء من روعه وهو يعيش في ظل إستباحات يحللها أهل الحُكم عوض أن يضعوا حداً لها ربما إلزاماً بوعد أو خشية من إضرار بالعهد، فإنهم يمعنون شروداً عن لب المشكلة التي تؤدي يوماً بعد آخر بلبنان إلى أن يصبح دولة تستعطي ووطناً يضيق بأبنائه، وبحيث تتكرر هجرات العشرينات وما تلاها من حُقب وصلت إلى الذروة بعدما عصفت حرب الآخرين على لبنان الساحة ثم إستتار الدولة الجارة الشقيقة بلبنان تصادر قراره وتختصر مفهوم سيادته بأن سوريا ولبنان بلد واحد بشعبين وتصهر بالتالي في رجل المصالح شخصيات باتت ذات شأن بفعل تغليب السورنة على هواهم السياسي والحزبي والتماري لاحقاً، ثم طغت الفرسنة على الحالتين معاً: اللبنانية المكسورة الجناح والسورنة المستحكمة في النفوس المتحكمة بإرادة إتخاذ القرار.

من الجائر الإفتراض أن أهل الحُكم بكبارهم وصغارهم وصغائريهم يراهنون على أن الدول التي طالما وقفت في أيام من الشدة ماضياً مع لبنان وبالذات تلك التي رمت الأحوال من خلال وديعة مليارية، وكذلك الدول الكبرى التي يطيب لها لبنان ساحة رصد وترتيب أوراق وإذا إحتاج الأمر تقويض مخططات، لا بد ستستترك هذا الوطن قبل أن يستحكم به الذبول، وبذلك تعود الحيوية إلى المرافق والطمأنينة إلى النفوس وشيئاً فشيئاً يتوارى منظر المصارف التي فولدت أبوابها بعدما أطفأت مصابيح مكاتبها ونضبت صناديقها من الدولارات الأميركية وسائر العملات الصعبة. كما لا تعود الجامعات المدارس والكلديات ذات السمعة الطيبة مهددة بالتوقف حالها من حال عشرات المصالح.

مثل هذا الأمر يصبح على درجة من اليسر إذا قرر النظام الثوري الإيراني أن لبنان الوطن المستقر رئاسات ثلاثاً وجيشاً ومؤسسات، وكذلك حركات وأحزاباً وتيارات منزوعة التعصب لهذا النظام، هو ما يفيد الثلث الشيعي من لبنان الخمسة ملايين ويضمن الثلث السنّي المستهدف دون وجه حق ويصح مسار الطريق للثلث المسيحي بعد أن يعيد ضلعه الإيراني_السوري الهوى النظر في رؤيته وبذلك يتخلص هذا الضلع من رهان حقق مآرب أشخاص لكنه أحدث ندوباً في الخصوصية التي يتسم بها لبنان

والتي تبقى في إنتظار إجماع أممي على إستنباط الدولة المحايدة المنزوعة السلاح علاجاً للحالتين الفريدين اللبناني والفلسطينية، تعزز الإستنتاج بأن الطيف الماروني الذي إفترض أنه بتحالف مع الطيف السلاحي وليس الرأي العام من الشيعة يحقق للبنان توازناً وإستقراراً، كما أنه بهذا التحالف يحقق بالتدرج حصر السلاح الشيعي اللبناني التملك الإيراني التوريد وبذلك يسلك لبنان طريق الاستقرار وتصبح بالتالي العلاقة اللبنانية _ السورية علاقة شقيقتين متحابتين متعاونتين. لكن الذي آلت إليه الأمور أن الطيف المسيحي الماروني إياه إنتهى في الحضرن الشيعي عوض أن تأخذ العلاقة السبيل الذي أشرنا إليه. وبذلك بات لبنان الحُكم على الحال التي جعلت لبنان يتواصل ذبولاً. وأما الرهان الذي أشرنا إليه فإنه يبقى مثل أمل إبليس بالجنة.. إلّا إذا إرتضى الثنائي الشيعي الأسر والمسيحي الماروني المأسور الطريق الذي ينجي مما قد يكون الأعظم للبنان ولكليهما معاً.

يا ليت يتأمل الطيفان بلبنان الحُلم على نحو أوصاف كبار شعراء الأمة له، فيجعلهما يريان أن ما يمكن أن يقال أخيراً عنهما بعد الرحيل يبقى أكرم من قول العكس ومنه ما يأسف المرء لإنتشاره عبر وسائل التواصل ويجعل المستهدفين ومن يحيط بهما ينظران في وسيلة ردع أو تأديب للفاعلين بدل النظر في إعادة تقييم للموقف تقود إلى رؤية مبهجة ومنقذة للبنان الوطن والشعب ومطمئنة لأصدقاء هذا الوطن الذين يريدون الخير له ودعاه سياسياً ووديعياً. وبالعودة إلى ظروف في سنوات مضت نتبين حقيقة من الحريص على لبنان يريد خيراً له ومن الطامع به ملعباً ينتهي شراً به.

وأما الذي يستوقفنا من أبيات شعراء الأمة فقول أمير الشعراء أحمد شوقي "لبنان مجدك في المشارق أول.. والأرض رابية وأنت سنأم" وقول الشاعر العراقي معروف الرصافي "أرى الحُسن في لبنان أينع غرسه.. وقارب حتى أمكن الكف لمسه".

كما يا ليت لا تشد المكاره الراهنة بلبنان بدءاً ببירות التي نحزن، كما الذين زاروها وعرفوها في زمن مضى وبالذات إخواننا في السعودية ودول الخليج، على حالها ونتذكر قول محمود درويش عنها "ببירות قصتنا.. ببירות غصتنا"، وكما إستباقاً قول الشاعر الياس أبو شبكة عن الوطن المستباح راهناً "أعيش في لبنان حر.. ومعيشة الأحرار قهر. اليوم قد عبثت به.. نوب وجار عليه دهر".

وطوى الزمان كتابه.. هل بعد ذاك الطي نشرٌ".

ولن تصل المكاره إلى منتهاها في حال إستعيد الوعي وقال الطيفان الممسكان بخريطة الوطن الذي يزداد ذبولاً: يا الذين إذا أسديتم النصح، تقدموا وقولوا ما يمكن أن يُصلح الحال ويجبر لبنان المكسور.. الذي كسرناه. فنحن نتطلع إلى آخرة كريمة توجزها المفردات الروحانية: من يعمل لأخرته خيراً يره ومن يعمل لدينه شراً يره.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 30 يونيو (حزيران) 2020

مثلاً الأذى بتواطؤ الحكومات

على دوي الإجتياحات الحربية والتحرشات السياسية والغزوات الجوية والبحرية ومعها التجارة بالبشر المتمثلة بالمرتزقة، يقرر بعض من الرؤساء تطويع الدساتير التي بموجبها تدار شؤون الأوطان وحقوق الشعوب. وبعد الرئيس رجب طيّب أردوغان هذا الرئيس فلاديمير بوتين أحدث الذين يفصلون الدستور على مقاسهم ووفق ما يتناسب مع شراحتهم الرئاسية غير آخذين في الإعتبار أن التروؤس ما دام طويلاً أو أبداً لأحد لكي يدوم لهم. ففي لحظة غضب شعبي نتيجة مساوئ التصرف والإستهانة بقضايا الناس وتطلعاتهم وهمومهم وإهتماماتهم، يتهاوى الهيكل الرئاسي وينتهي من كان في القمة وراء القضبان. وأما إذا كانت الإستهانة عبارة عن تحرش وإلحاق الأذى بالآخرين وتتمثل في أفعال كتلك التي إقترفت من روسيا البوتينية في حق سوريا الشعب والوطن والحُكم، وتلك التي ما زالت تقترفها تركيا الأردوغانية في حق بعض سوريا وبعض ليبيا كما تسعى للإقتراف في حق بعض تونس وتخطط ضمناً لبداية إقتراف في حق بعض لبنان.. إن الإستهانة على النحو الذي نشير إليه مآلها يتجاوز تهاولي من هم في القمة، ذلك أن ضريبة الدم الذي أريق بفعل الغزو الجوي والتحرش الإرتزاعي والتسلح البحري، ستكون قاسية عملاً بمقولة إن الدم لا يغسل بالماء.

ما يلفت الإنتباه في مشهد مثلت التحرش العدواني بدرجات شكلاً وموضوعاً وبما تحويه خرائط طريق كل من إيران في سوريا والعراق ولبنان واليمن، وبوتين في سوريا وحيث له موطىء قدم، وأردوغان في ليبيا بعد

سوريا وعلى خلفية إخفاقات متتالية لمشروعه في السودان وبداية محاولة لتقويض الإخفاق من خلال لبنان... ما يلفت الانتباه أن الرئيس بوتين لم يأخذ بما جرى للأسلاف الحمر الذين إستوطنوا الكرملين بضعة عقود مع أنه في ضوء خلفيته المخابراتية يستطيع التنبه مما قد يأتي ويكون أعظم. ونراه لغرض في النفس القيصريّة الهوى كما سلطانية أردوغان والولاية المرشدية الخامنئية يهندس مواد في الدستور وبصيغة تعديلات تحقق له فقط شراهة غير مسبقة للبقاء رئيساً. وبموجب إستفتاء كسائر الإستفتاءات التي تُجرى في دول العالم الثالث وتأتي عالية النسبة ما دام الإجراء يتم في ظل رئيس الدولة الذي يطلب التمديد ويرومه طويلاً على نحو ما فعل الرئيس بوتين، نالت التعديلات الدستورية وعلى أهون سبيل النتيجة التي يرتضيها صاحبها والتي بموجبها بات له الحق في أن يترشح مرتين آخرين ليبقى بعد إنتهاء ولايته الحالية عام 2024، أي ست عشرة سنة.

كيف أجرى بوتين هذه الحسبة؟ إن الأعمار بيد الله وهو الآن في الثامنة والستين. وبعد سنتين يكمل سبعينته. وإذا كُتِبَ له البقاء رئيساً على نحو ما هندس التعديلات الدستورية فإنه سيكون في العام 2036 في الرابعة والثمانين من العمر أي أقل بسنة من ستالين عندما توفي وأقل بثماني سنوات من بريجنيف عندما إنتكست مهابة الإتحاد السوفياتي وأكبر سناً من أندروبوف نظيره من حيث الإتيان به إلى رئاسة الكرملين من عالم المخابرات.

إذا أجزى الافتراض في ضوء واقع الحال وسنوات بوتين رئيساً بتعيين سريع ولا رأي للشعب فيه من جانب بوريس يلتسين الذي كان عندما رحل في السادسة والسبعين، فإن بوتين بهذه التعديلات الدستورية ينطلق من الخشية في أن يصيبه ما أصاب الأسلاف الحمر ونعني بذلك ترويكاً بريجنيف _كوسيجين_ بودغورني الذين هوى بهم وضع إقتصادي ومعيشي قريب الشبه من الذي تعيشه روسيا اليوم، فضلاً عن ضيق صدور شعوب الجمهوريات الأوروبية الشرقية من الوطأة السوفياتية عليهم وإستهانة الرابضين في الكرملين بالرؤساء المعيّنين في هذه الدولة الأوروبية الشرقية أو تلك، وبالذات من هم حلفاء وأصدقاء شكلاً إلا أنهم منزوعو إتخاذ القرار الوطني السيادي كما الحال في سوريا بعدما إستوطنت روسيا بوتين حربياً مواقع إستراتيجية فيها.

وما يخشاه الرئيس بوتين هو أن يرى نفسه فجأة أمام واقع لا بد من حدوثه وإن هو يتأخر وتلخصه عبارة ما أشبه اليوم بالبارحة. ذلك أن الإرتياح السوري من الدور الروسي مقتصر بنسبة المرغم لا البطل على الرئيس بشار الأسد، فليس لروسيا وبالذات حاضراً شعبياً تصون هذه الإتفاقيات التي أبرمتها مع النظام البشاري. ورغم إدراج الروسية لغة في برامج الدراسة السورية ورغم حالات خجولة من التوطين العائلي في مناطق جُيرت سلطة القرار فيها إلى عساكر روس، فإن عدم الإرتياح الشعبي للدور الحربي الروسي يتفوق بكثير على مفردات البيانات والتصريحات الرسمية حول العلاقات الثنائية. ويتزامن هذا الحذر الشعبي مع ضيق متزايد من الدور الإيراني وكذلك الدور التركي، ومن أجل ذلك فإن النظرة الضمنية عموماً للوجود الروسي شبه الإستيطاني كما الوجود الإيراني والوجود التركي هي أن روسيا دولة كبرى يمكنها تحقيق بعض التحجيم للتطلعات الإيرانية والأردوغانية، وذلك بالحسنى أو بالتصافق المتبادل كما كثير صفقات تمت في السنوات الثلاث الماضية في السر وفي العلن أدت إلى أن رؤساء كل من روسيا وإيران وتركيا تحاوروا قبل أيام في قمة إفتراضية من المؤلم أن رئيس سوريا لم يُشْرَك فيها وهي التي تبحث من جملة ما تبحثه مصير هذا الرئيس وما هي حصة طائفته في حال تمت إعادة إنتشار للنظام عموماً بحيث تستعيد الطائفة السنية الأكثر عدداً والأعرق أدواراً تاريخية منذ الإستقلال مكانها ومكانتها، كما ما هي الضمانات للرئيس بشار شخصياً وأسريراً وهل ينطبق عليه ما دُشِرَ بوتين الذي إستحضر على ما يبدو مشهد الرئيس عمر البشير وما إنتهى إليه أمره، فأدخل مادة عدم محاكمة الرؤساء السابقين. وهو في هذا كان يريد حماية شخصه في حال إنتهى أمر روسيا في سوريا كما إنتهاء ترويكاً الكرملين الأحمر من جانب مصر الساداتية حيث هزت تلك المخاطرة المحسوبة على ما بدا واضحاً بعد ذلك، كيان الدولة الثانية الأعظم بفعل فشل الدور الحربي في أفغانستان والحالة الإقتصادية والمعيشية وضجر شعوب دول أوروبا الشرقية وخيبات الأمل المتراكمة كما أشرنا في سطور سابقة، وبفعل الفاعل العربي المتمثل بإلغاء الرئيس أنور السادات المعاهدة التي وقّعها مضطراً مع ثالث الترويكاً (بودغورني) وألغاها موعوداً من أميركا بمكاسب التسوية السلمية التي أودت به، ثم أتبع الإلغاء بإنهاء الوجود العسكري السوفياتي في

مصر. وفي حال تكررت الحالة مع روسيا بوتين في سوريا فإن الحلم القيصري المنبعث سينتهي كابوساً كما الحلم السلطاني العثماني عندما ستنتشر سفينة الصحو النوحية الليبية أشرعتها على ليبيا المقهورة إلى حين.

وفي هذا المنحى نرى أن الرئيس بوتين بتطويل البقاء يقطع الطريق على مفاجآت قد تحدث وتنتهي كما حدث للأسلاف الحمر. وفي سنوات البقاء يمكنه أن يعيد الحسابات ويرسم خريطة طريق جديدة تتجيه من مفاعيل الدور الذي أراده في سوريا مجدداً له لكنه قد يرمي به إلى أن يصبح مجرد لاعب يهوى الرهان وحب المغامرة حاله من حال صديقيه اللدودين رجب طيب أردوغان ونظام المرشد خامنئي. وهؤلاء الثلاثة بسبب ما فعلوه ويواصلون الإفتعال والتحرش بالآخرين بتواطؤ مع حكوماتهم إلى جانب بغضاء متأصلة في نفوسهم للعرب من المحيط إلى الخليج مآلهم ما أصاب أصحاب الفيل الذي جعل الرب كيدهم في تضليل. وبالنسبة إلى أهل الحكم في إيران وما يفعلونه في مُربّعهم السوري _ العراقي _ اللبناني _ اليمني، وأهل الحكم الأردوغاني الذي يمعن إساءة إلى العرب لأنهم يريدون جأراً منقهماً وليس سلطاناً عثمانياً، نسجل القول الرسولي "أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه". كما نذكّر الرئيس أردوغان بالمثل التركي "إذا فسدت السياسة ذهب السلطان". وأما العرب الذين يحكمون بفضل الوصاية الروسية _ التركية _ الإيرانية فنذكّرهم بقول الرسول "أيها الناس هلموا إلى ريكم فإن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى" ... هذا إن نعتت الذكرى الجميع وبالذات مثلث الأذى. والله التّواب.

كتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 6 يوليو (تموز) 2020

يتيسر الحياد بتيسير أمر المبادرة العربية

مع أن عظمات قداديس الأحد الراعية أمثولات تأخذ، كما مفردات السلف الصالح نصرالله صفير، بالنصح في جوهرها وأحياناً التحذير من الآتي في حال بقي سلوك أهل القرار في لبنان على النحو الذي يزيد في تهالك الوطن المثخن بالإقتراء والأطماع تأتي من خارج

الحدود المستباحة أصلاً، إلا أن عظة البطريك بشارة الراعي في قداس الأحد 5 يوليو/ تموز 2020 وإعادة التأكيد عليها في عظة الأحد التالي الذي يستيق سفره إلى الفاتيكان آملاً الدعم الفاتيكاني والدولي لفكرة حياد لبنان، تستوجب وقفة تأمل عميق من سامعيها للتو من خلال الفضائيات أو الإذاعات أو قارئها على صفحات المتبقي من الصحف اللبنانية التي حالها من حال الوطن. فقد جاءت العظة الراعية إلى جانب إبهار سامعيها تؤكد كم أن الرزء بلغ أشده من الذين يديرون أمور البلاد وهم لا خشية من رب العالمين ولا مخاوف على إندثار وطن نتيجة إدارتهم الشراكية والشركية في آن له. ما أن يتجاوز مخاطر شرك حتى يُلحقونه بما هو أشرك.

كانت بداية عظة البطريك الراعي عبارة عن تشخيص لطبيعة الذين يتعاطون الشأن السياسي بأنهم "لا يعنيههم إلا مكاسبهم الرخيصة ومصالحهم وحساباتهم وأن يكون الولاء لأشخاصهم ولأحزابهم لا للبنان"، تلي ذلك إفاضة في تشخيص "الأحوال المزرية للناس وبالذات أولئك الذين يتسولون وكذلك الذين إنتحروا والذين يكون من العوز...". وأما ختام العظة فإنها المسك بفوحه، وهذا جلي من خلال الدعوة الأشبه بنفير والمتمثلة بمناشدته رئيس الجمهورية "العمل على فك الحصار عن الشرعية والقرار الوطني الحر. ونطلب من الدول الصديقة الإسراع إلى نجدة لبنان كما كانت تفعل كلما تعرّض لخطر. ونتوجه إلى الأمم المتحدة على إعادة تثبيت إستقلال لبنان ووحدته وتطبيق القرارات وإعلان حياده. فحياد لبنان هو ضمان وحدته وتموضعه التاريخي في هذه المرحلة المليئة بالتغيرات الجغرافية والدستورية...". أما لماذا الحياد وما يحققه ففي رأي البطريك الراعي من خلال العظمتين "إن حياد لبنان هو قوّته وضمانه دوره في إستقرار المنطقة والدفاع عن حقوق الدول العربية وقضية السلام، وفي العلاقة السليمة بين بلدان الشرق الأوسط وأوروبا بحكم موقعه على شاطئ المتوسط...". وإلتفافاً على أي تفسيرات ونوايا ليست في بال غبطته قال في عظته الثانية إنه يدعو إلى حياد لبنان "من أجل تجنب الإنخراط في سياسة المحاور والصراعات الإقليمية والدولية والتزاماً بالقضية الفلسطينية وإنسحاب الجيش الإسرائيلي من أرض لبنانية. ثم إن اللبنانيين لا يريدون أن يتفرد أي طرف بتقرير مصير لبنان بشعبه وأرضه وحدوده وهويته وصيغته ونظامه وإقتصاده وثقافته وحضارته".

ليست المناداة بالحياد حالة ثابتة للبنان، فبين حقبة صعبة وأخرى أصعب ينادي بعض الحاديين أو المكتوبين أو الهلعين على المصير بالحياد خيمة إنقاذ للبنان الوطن والصيغة. ولعل التشبيه أو التوصيف بأنه "سويسرا الشرق"، ومن دون معرفة من الموصِّف، كان بمثابة البذرة التي نمت حقبة بعد حقبة وبانت أحلام اليقظة بأن لبنان "سويسرا الشرق" صفة توجب إستحقاقاً يأخذ بالحالة التي هي عليها سويسرا الغرب وأنه كما "الألب" بقممه وشموخه وثلوجه على مدى ثلاثة أرباع العام أحياناً يحمي سويسرا هذه التي إتحدوها قبل مئتين وخمس عشرة سنة في مؤتمر إستضافته العاصمة النمساوية وعُرف بـ "مؤتمر فيينا"، فإن سلسلة جبال لبنان بتيجانها الثلجية الناصعة البياض على مدى أربعة أشهر من السنة تشكل درعاً طبيعياً يحمي ويصد.

ليس مبالغته القول إن الحياد صيغة يتمناها كل لبناني متجرد.. بل حتى يتمناها ضمناً الطيف الذي هو إما أسير إرتباط مذهبي بمشروع يحاول النظام الإيراني تسويقه، لكنه لا يفصح عن إرضائه الحياد مصيراً للوطن، وإما تتقدم العوائد الشخصية من جرّاء تحالفات خارج الحدود على إرضاء الحياد مصيراً للوطن لبنان. بل من الجائز القول إفتراضاً إنه لو أُجري إستفتاء بوجود مراقبين أممين محايدين وتحديداً من الدول التي أخذت بالحياد صيغة نظام للدولة ومصير للأجيال، وكان هذا الإستفتاء حول: هل توافق على الحياد صيغة للوطن، لحظي بنسبة عالية من الموافقة. وبصرف النظر عما إذا كان هذا الحياد بالصيغة المعتمدة في دول مثل النمسا وفنلندا.

لكن الأمر ليس بهذه البساطة للبنان حيث أنه عضو في الجامعة العربية وملتزم بميثاقها وقرارات القمم العربية بدءاً من قمة التأسيس في إنشاص (28 يوليو/ تموز 1946). ثم إنه مضيف إحدى أهم هذه القمم والتي يمكن إعتبارها مفتاح الحل للذي يُستصعب حله ونعني بذلك إكتمال سائر الحلقات الكثيرة التعقيد في الصراع العربي - الإسرائيلي، ذلك أن المبادرة العربية للسلام التي باتت موقفاً عربياً جامعاً في القمة التي أُستضيفت في بيروت (28 مارس/ آذار 2000) والمرتبطة بالملك عبدالله بن عبدالعزيز المستندة أيضاً إلى مشروع الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أقرت مبادئه القمة العربية في فاس (9 سبتمبر/ أيلول 1982) لم تأخذ حقها الكافي من الدول

الدائمة العضوية في مجلس الأمن وهذا شجع إسرائيل على رفضها، مع أن موافقة الدول الأعضاء في الجامعة على المبادرة تلك خلت من التحفظات وبأمل أن تلقى الإقرار بها والمباشرة بتنفيذ مبادئها التي تنص على قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس. وبطبيعة الحال فإن الأخذ الدولي بالمبادرة ينهي خيار الحل الحربي للموضوع الفلسطيني - الإسرائيلي ذلك أن الإقرار بإسرائيل واحدة من دول المنطقة يطوي مسألة بقايا الإحتلالات الإسرائيلية ويحل بالنسبة إلى لبنان موضوع السلاح الخارج عن سلطة الدولة وموضوع القدس ذريعة لإملاك السلاح. وإلى ذلك إن تيسير أمر المبادرة العربية للسلام ينهي حالة شبه الإستيطان العالق للفلسطينيين في لبنان. فما دام لهم بموجب المبادرة العربية للسلام دولة وإن ليس الوطن الحلم من البحر إلى النهر فإنهم بطبيعة الحال سيغادرون لبنان الذي إستضافهم منذ سبعة عقود. وبشكل خلو لبنان من الفلسطينيين وبالذات من الذين كما بعض اللبنانيين يوالون حكومات خارجية تستعملهم كوقود في مراحل الصراعات والتدخلات والأطماع التي لا ينحسر إشتعال نارها، حيثية مهمة هي الأخرى في أن يصار إلى إعلان لبنان دولة تعتمد الحياد وبصرف النظر عما إذا كان حيادها هذا شبيهاً بحياد سويسرا أو النمسا أو فنلندا أو لوكسمبورغ.

من مصلحة لبنان المقيم كي لا يعود بنوه يرون الحل لواقعهم المرير في هجره ومصلحة الأبناء والبنات الذين هاجروا قبل ثلاثة عقود وأولئك الحاليين الذين يعتبرون الهجرة حلاً ولو على متون مراكب صغيرة غير مأمونة السلامة، أن يتمتعوا في الذي دعا إليه البطريك الراعي. كما أن رعيته بالذات أي الطيف الماروني من واجبها ومن مصلحة أجيالها، بل ومن الإطمئنان إلى بقائها جزءاً من المجتمع اللبناني بتنوعه ومذاهب بنيه، أن تتصرف بما يبقى المضمون المتعلق بالحياد في حالة تفاعل لا أن يندثر تحت وطأة الإجتهاادات السياسية التحزبية. وأما سائر الأطياف اللبنانية، عدا إلى حين الطيف الشيعي الملتزم، فإن معيار إيمانها بلبنان يكون بالإلتفاف المتدرج حول ما دعا إليه البطريك الراعي، وهذا يعني طي صفحة الولاءات الإقليمية على أنواعها والإستعداد للزمن الحيادي الذي وإن طال زمنه أت. ولن يكون الزمن طويلاً لو أن رموز القرار الدولي إهتدوا إلى إعتماد المبادرة العربية للسلام التي تحفظ لهم ديمومة دولة بات من الواجب غسل جريمة إغتصابها تحت سمع القوى الكبرى

الحياة لدرء الخطر...

والحياد لصون الزعامة

في ساعة الشدة والخشية من التداعيات الناشئة عن صراع الكبار من الذين يحتكرون القرار ويملكون القدرات بالتحكم في مصائر الآخرين، تولد عادة أفكار من شأنها صون إستقرار الرعية وإبقاء أوطان أو حكومات في دائرة السلامة. مثل هذه الشدة وتلك الخشية ترجمها المرجع الديني للطائفة المارونية في لبنان بطرح الحياد فكرة برسم التسويق السياسي والشعبي ومن دون إستباق الطرح بمشاورات في شأن موجبات الفكرة، ولا حتى الإستئناس بآراء المرجعيات التي تمثّل سائر الطوائف اللبنانية. وعندما لم يحصل هذا التشاور فليس من باب الإستهانة بوجهات نظر الآخرين، ذلك أن الفكرة لن تبصر النور إذا هم إستبقوها رفضاً في الحد الأقصى وعدم ترحيب كاف في الحد الأدنى لمجرد التحدث معهم في شأنها، وإنما لأن فكرة الحياد هي من نوع الأفكار التي تأخذ طريقها إلى التفاعل في حال جاء الإعلان عنها مفاجئاً وبما يتسبب في صدمة تفرز الكثير من التفاعلات. وقد يجوز الإفتراض إذاً أن صاحب الفكرة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي أخذ بالخيار الصادم على أن تُفتح كل نوافذ المناقشة وإبداء وجهات النظر وتسجيل المواقف.

ومن الطبيعي أن يكون هنالك بعض الحذر والكثير من التحفظات من جانب مرجعيات في الطوائف اللبنانية قد تصل إلى درجة "الفيتو" من نوع "الفيتو" الأميركي على أي مشروع قرار أممي ينصف الشعب الفلسطيني ومن نوع "الفيتو" البوتيوني على أي مشروع قرار يحقق حلاً متوازناً للأزمة السورية، وكل مرجع من وجهة نظر لا تشبه أخرى. وهذا الحذر وتلك التحفظات منطلقة من شعور ظالم لصاحب الفكرة البطريرك الراعي، بأنه يطرح صيغة الحياد لدواع متصلة بخشية متشعبة المشاعر في الطيف اللبناني المسيحي. ولكن صاحب الفكرة إفترض وهو المستوعب تمام الإستيعاب للخصوصية اللبنانية ولشغف اللبنانيين من النخبة السياسية والفكرية وكذلك أهل المال والتجارة وبينهم بسطاء الناس الأكثر تعبداً في كل الطوائف، أن البدء بالتشاور مع هذا أو ذاك أو أولئك سيحوّل الفكرة إلى وقود في مرجل من المزايدات تقلل من وهج الفكرة وإيجابيتها.. هذا إذا لم تندها في رحاب بكركي

وغيرها وبصرها أرضاً لا تملكها وتشريد شعب هذه الأرض غير عابئة بقدسيّتها سواء لجهة الحرم الثالث الذي إليه كان الإسراء من المسجد الحرام وأيضاً لجهة مهد السيد المسيح عليه السلام.

وتكراراً لن يكون هنالك سلام على الأرض العربية ولا محبة تسود نفوس الناس إذا كانت الحال ستبقى على ما هي عليه في المنطقة عموماً وفي لبنان المستضعف من بعض بني قومه من شيعة وموارنة... وآخرين حائرين ومحيّرين وعندما جدد البطريرك الراعي حديث رموز سبقوه وباتوا في ذمة الله حول خيار الحياد فإنه كان يستغيث إلى رب العالمين كي يلهم العابثين بأقدار لبنان إتقاء الله في ما يفعلون، كما كان يلفت إنتباه الدول الخمس الكبرى إلى أن حياد لبنان يبدأ بولادة دولة فلسطين وعاصمتها القدس وليس على الإطلاق ببدع الرئيس ترمب وإبتكارات صهره في ما يخص الجولان وضم أراض وإختراق أجواء. والأهم من ذلك موضوع القدس التي إختار الملك سلمان بن عبدالعزيز كتسمية للقمة العربية الدورية التاسعة والعشرين التي إستضافها (الأحد 15 أبريل/ نيسان 2018) في الظهران "قمة القدس" وكجوه رلروحية هذه القمة قوله "ليعلم القاصي والداني أن فلسطين وشعبها في وجدان العرب والمسلمين". وأما الرد الإيراني على هذه المبدئية فكان لاحقاً إرسال صواريخ إستهدفت ارامكو. والحل العادل على الطاولة: مبادرة السلام العربية التي إذا إندثرت تتساقط الهياكل على الجميع بدءاً بالهيكل الذي يحلم به نتنياهو وشركاؤه وحلفاؤه عبر الأطلسي.

ويبقى القول إن أهل الحُكم في لبنان أفادوا بالإدارة البالغة السوء لأحوال البلاد والعباد من حيث لا يقصدون. إذ لولا الذين أوصلوا لبنان الوطن والشعب إلى ما وصل إليه لما كان للعظة الرأسيّة أن تعيد إحياء فكرة الأخذ بالحياد صيغة نظام للبنان، إنما كضرورة وإنقاذ وليست مجرد ترف فكري ورؤية إستتسابية تطويراً للمئوية الأولى لإعلان الدولة والخشية من أن لا تعقبها عقود لاحقة. وهكذا رب ضارة من جانب العهد الذي حارت البرية في أمره نافعة للأجيال اللبنانية في المئوية الثانية. والله العاطي والمعين.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 13 يوليو (تموز) 2020

أو في المهد الديماني. وهو من أجل ذلك أطلق الفكرة التي كان رد الفعل عليها متفاوتاً إنما عموماً الترحيب بها والتمني بأن تأخذ طريقها إلى التنفيذ.

ساعة الشدة التي قاربت على تهديد الصيغة اللبنانية وبما من شأنه حدوث تقسيم عشوائي للبنان تكون فيه الغلبة للطرف الأقوى من حيث إمتلاك السلاح والتي جعلت رأس الكنيسة المارونية يطرح صيغة الحياد على الملأ ومن خلال عظة صلاة، جعلتني أستحضر من الذاكرة ومن أوراق مرجأ نشرها إلى حين أطراف ذكريات وأحاديث حول فكرة الحياد الإيجابي المرتبطة قريباً بالرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر. ففي أكثر من لقاء في السبعينات مع كل من محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة "الأهرام" في القاهرة ورجل الدولة السوداني المتميز الرئيس محمد أحمد محبوب في الخرطوم، إستفسرتُ منهما بصفة كون كل منهما قريباً من عبدالناصر ومناقشاً معه عن بعض المستعصي عليّ كصحافي إستيعابه من خطوات وقرارات ذات بعد دولي إتخذها عبدالناصر. ومن هذه الخطوات ما يتعلق بسياسة الحياد الإيجابي التي طرحها كأحد عناوين سياسة مصر آملاً وساعياً إلى أن تكون بنداً في الجانب السياسي من البيانات والقرارات التي تصدر عن الاجتماعات العربية وبالذات مؤتمرات القمة التي كانت بدأت تنشط بعد إحياء الفكرة التي كانت طويت لبضع سنوات ثم حدثت العودة إليها بوتيرة أكثر حيوية.

من جملة ما سمعته من الأستاذ هيكل أن اللقاء الذي تم منتصف فبراير/ شباط 1955 بين عبدالناصر ورئيس الحكومة الهندية البانديت نهرو جرى على متن باخرة نيلية بالقرب من القناطر الخيرية ودام بضع ساعات أسس ملامح "الحياد الإيجابي" ذلك أن رؤى الإثنين كانت متقاربة، ومن أجل ذلك شقّت الحركة طريقها إلى سياسة حكومات كثيرة في دول العالم الثالث، وبات رموز هذه الحركة (عبدالناصر، نهرو، تيتو) حاضرين في "أجندة" قطبي الحرب الباردة سادة البيت الأبيض في واشنطن و "ترويك" الكرملين في موسكو.

يطول الحديث حول ما قدّمه الحياد الإيجابي وما إستعصى عليه إنجازاه قبل أن يرجل أقطابه بالتدرج ومن دون توريث ممنهج للفكرة التي ما أحوج العالم إليها في الزمن الحالي حيث هنالك ملامح حرب باردة قطباها هذه المرة أميركا ترامب والصين ودواعيها كورونية بإصرار لمأرب إنتخابية خلافاً لدواعي جولات سابقة من الحرب

الباردة الأميركية _السوفياتية.

كذلك تطول إنطباعات الرئيس محمد محبوب عن محطة الحياد الإيجابي في المشروع الناصري. وما سمعته يقوله خلال لقاء به إنه إذا كان مؤتمر دول عدم الإنحياز في باندونغ ربيع عام 1955 حقق الشهرة التي كان يتطلع إليها عبدالناصر بحيث لا تتحصر زعامته بمصر والإطالة على العالم كزعيم عربي محايد بين الشرق السوفياتي والغرب الأميركي، فإن صفقة السلاح التشيكي التي أبرمها مباشرة بعد ذلك المؤتمر أفقدته حياديته، حيث أنه بات في حيز لا يتحمله الغرب في المشروع السوفياتي. وعدم التحمل هذا أورث حساسيات لم يلبث خليفته الرئيس أنور السادات أن حاول إزالتها بمواقف إتخذها من الكرملين لجهة إلغاء معاهدة أبرمها مع الإتحاد السوفياتي ثم إخراج الخبراء العاملين في الجيش المصري. في الحالتين إنتكست فكرة الحياد مصرياً.

ما يجوز قوله إن البديل للحياد، ومن تحصيل الحاصل أن يكون إيجابياً، هو التوازن في العلاقات وعدم الإرتهان لطيف خارج على حساب الوطن. مثل هذا الحياد يميل إلى إنتهاجه الحكم الجديد في السودان ويبدل النجم السياسي الأحدث في العراق رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي كثير السعي من أجل الأخذ به. كما أن مثل هذا الحياد يطمح أيضاً إليه الليبيون بعد أن تزول الغمة الأردوغانية عنهم ويشمل الزوال محاولة التلاعب بتونس.

وأما الغمة الإيرانية التي تمعن كريباً ببلبنان وباليمن فإن خير فرصة للنظام الثوري الإيراني لطّي الصفحة متيسرة الآن، وبحيث يختبر كما أردوغان محاسن الحياد وعدم التدخل في أحوال آخرين... وبذلك يتقادم كل منهما غضب الله على صاحب السلطان المسلم عندما يؤذي الغير ولا يسوس الرعية على نحو ما في الكتاب. والله العليم والسميع والبصير .

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 28 يوليو (تموز) 2020

محنة أوطان.. ولهفة قبائل

هذا المشهد لشيوخ قبائل ليبيا الذي رأيناه في رحاب الرئيس عبدالفتاح السيسي يوم الخميس 16 يوليو/ تموز

2020 وحديثه المتقن المفردات بحيث يحقق المنطلق القومي والأخوي والأمني بما يقطع الطريق على أي حساسيات، وفي الوقت نفسه تتساوى المنطلقات بين قدرة الواجب المصري وسلاسة التجاوب وسيادة القرار القبائلي الليبي مع تلك القدرة، رأيناه قبل سبع عشرة سنة في رحاب "قصر الشعب" في دمشق عندما إستقبل الرئيس بشار الأسد وفداً من عشائر العراق يضم أكثر من 60 ممثلاً للمجتمع العشائري الراسخ الجذور كما القبائلي في ليبيا وبعض أقطار الأمة وحيث البوادي كثيرة وشاسعة. لكن ما أبعد جوهر مشهد الحاضر المصري _ الليبي عن مشهد الأمس البشاري _ العراقي.

زمنذاك كانت المعاناة العشائرية العراقية قريبة المنطلقات من المعاناة القبائلية الليبية في أيامنا هذه. ضيق من الذي أصاب الوطن المنزوع السيادة بنسبة مقلقة، حيث إصطفت أطراف عراقية كثيرة إلى جانب الوجود الأميركي، ولم تعد هنالك حكومة في العراق تمثل كل شرائح المجتمع. ويكفي تدليلاً على عمق الجرح في النفس الوطنية العربية قول حاكم العراق بول بريمر في اليوم نفسه في تصريحات بثتها فضائيات عربية ودولية "إن الولايات المتحدة ستساعد في صوغ دستور عراقي مؤقت يعكس القيم الأميركية ويؤدي إلى قيام حكومة جديدة" مؤكداً أن قوات التحالف لن تغادر الأراضي العراقية حتى بعد نقل السلطات إلى حكومة عراقية مؤقتة في يونيو/ حزيران 2004، "بل سستبقى بعض الوقت للمساعدة في ترسيخ الاستقرار، على أن تتحدد ترتيبات تمركزها في هذا البلد بموجب إتفاق ينبغي التوصل إليه قبل مارس/ آذار مع مجلس الحكم الإنتقالي..."

في ذلك اللقاء العشائري في دمشق أكد الرئيس بشار حرص سوريا على "بذل كل جهد لتخفيف المعاناة عن الشعب العراقي الشقيق ولمساعدته على تعزيز اللحمة الوطنية من أجل التوصل إلى إقامة حكومة وطنية تمثل مختلف شرائح الشعب، كما تريد مساعدة الشعب الشقيق من أجل تحقيق الاستقرار والأمن في العراق وإستعادة البلد الشقيق سيادته كاملة بحيث يكون هو الذي يقرر شؤونه بنفسه..."

وما لم يقله الرئيس بشار عن الوجود الأميركي في العراق الذي إستحوذ بشرعية المعارضة العراقية التي أسقطت بالذراع الأميركية واللسان الإيراني الهوى النظام البعثي، قاله وزير الدفاع زمنذاك العماد أول مصطفى

طلّاس الذي وصف القوات الأميركية في العراق بأنها قوة إحتلال "وإننا نشعر بقلق من وجود هذه القوات على حدودنا ومن نتائج الحرب على شعوب المنطقة..."

الوجود الأميركي موضوع شكوى العشائر العراقية في حضرة الرئيس بشار، هو قريب الشبه بالوجود التركي الذي بسببه يمم شيوخ القبائل الليبية شطر الجارة مصر عملاً بقاعدة الجار للجار، علماً بأن هذه القاعدة غير موضع إحترام من جانب تركيا مع العراق ومع سوريا قبل ليبيا.

بصرف النظر عما إنتهى إليه أمر إنتخاء شيوخ العشائر العراقية للرئيس بشار والإنتخاء الراهن بعد سبع عشرة سنة من جانب شيوخ القبائل الليبية للرئيس السيسي بأمل وضّع حد لهذا الهلع الأردوغانى الذي يباري الهلع الإيراني أو يبارزه بمعنى إستتهام دوره المؤذي للجار العربي، فإن أهمية الخطوتين الليبية بعد العراقية تكمن في تأكيد حقيقة بدهية وأساسية وهي أن الأخ لأخيه جاراً كان في محنة أو جاراً يحتاج إلى نصح يضعه على طريق الهداية في الإتجاه المستقيم. كما أن الخطوتين هما إذا جاز القول مجرد لفت إنتباه من جانب شريحة في المجتمع العربي يرسم أهل القرار بأن يواجهوا الأجنبي الغريب المتدخل في شؤون الأخ القريب بإقناع هذا الأخ بأهمية تنقية الثوب من شوائب تتدرج إما وفق رهانات، والرهان عادة مخاطرة، وإما نتيجة خطأ في التقدير ودائماً هنالك تصحيح طالما هنالك خطأ.

وتبقى ملاحظة أساسية وهي أن للإنتخاء مواصفات في من يُنتخى به. وهنا وفي الظروف البالغة التعقيد التي يعيشها النظام البشاري نرى أن الذي قاله أمام شيوخ العشائر العراقية في ما يخص أحوال بلدهم يعيشه الشعب السوري منذ أحد عشر عاماً. ففي ظل عهد رئاسته إستُبيحت السيادة السورية وحدث من جانب النظام والحليفين الروسي بعد الإيراني أن بات ثلث الشعب السوري في حالة لجوء أو نزوح كما بات الوطن السوري ساحات وصول عليها التركي ويجول الإيراني كما يحلو له التصرف، ويحتكر الحليف أجواء الساحة العربية العريقة وشاطئها. ولذا هنالك حاجة من جانب الرئيس بشار نفسه لكي يطلب من الجمع العربي ما طلبه شيوخ عشائر العراق منه قبل سبع عشرة سنة أتوا يشكون السيادة المنقوصة والقرار المصادر والنشأت الذي طال أمده والسمعة التي تتآكل. وحتى إذا كانت القيود ثقيلة

والإرتهان في أعلى درجات عدم القدرة على التصرف، فإن فك هذه القيود لا يعود صعباً خصوصاً إذا جاء العلاج على النحو الذي عبّر عنه الرئيس السيسي أمام شيوخ القبائل الليبية من خلال إحياءات عسكرية ومفردات أخوية وروح قومية وأحاسيس وطنية ووضّع مضامين كل هذا التعبير ضمن إطار سيادة الوطن وحضر القرار في أهل الدار.

محنة بعض الأوطان منتقلة ولهفة القبائل تذكير لتتفع الذكرى. وفي إنتظار الإنتفاضة العربية الأهم.. إنتفاضة قبائل اليمن لكي يعود سعيداً ومستعيداً شرعيته متخلصاً بإذن الله من القبضة الإيرانية كما خلاص آتٍ بإذن الله لليبيين من القبضة الأردوغانية.

وكل أضحى والأمتان نحو الأفضل والأهدأ.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 3 أغسطس (آب) 2020

الأهم الأعظم بعد المهم العظيم

تكون جالساً كما في نهاية نهار من الكتابة والبحث وترتيب الأوراق على كنبه دون سائر الكنبات كونها تساعد في تخفيف آلام منقطعة في العمود الفقري وفي العنق، وتستكمل مع رشقات من القهوة قراءة صحيفتك الخضراء التي تعوّض بصفحاتها الأربع والعشرين الذبول المتدرج لصحافة البلد الذي كان منارة وأوصلته الأحزاب والحركات والتيارات السياسية إلى أنه نزيل العناية الفائقة يرنو إلى من يعيد إليه حيويته ويستأنف دوره.

فجأة ينسكب فنجان القهوة على قميصك وعلى "الشرق الأوسط" التي تستكمل الإطلاع عليها، بفعل هزة خفيفة، ثم فجأة تجد نفسك مع دوي إنفجار هائل هز العمارة التي فيها شقة سكنك، وقد بت تقع أرضاً على مسافة ثلاثة أمتار من الكنبه التي تجلس عليها. ثم ينتابك الذهول من الذي حدث وأصابك وتبدأ السعي لمعرفة أين حدث هذا الإنفجار الهائل. وحيث أنك عشت تماماً لحظة تفجير الرئيس رفيق الحريري قبل خمس عشرة سنة وأنت إلى مكتبك تحبّر إحدى مقالاتك، فقد ذهب الخاطر إلى أن الفاجعة الحريرية ربما تكررت وأن المستهدف هذه المرة هو الحريري الإبن رئيس الحكومة السابق وأن التفجير

بغرض أن تطوي المحكمة الدولية إعلان قرارها الظني حول جريمة الحريري الأب وتنشغل بالحدث الثاني الذي ضحيته (إفترضاً) الإبن سعد الدين رفيق الحريري.

مثل هذه الخواطر الإفتراضية (تشير فيها إلى ما حدث معك) طبيعية ولم تقتصر عليك وإنما وردت في خاطر كل لبناني بدأ عملية العد العكسي ليوم الجمعة 7 أغسطس/ آب 2020 يوم إصدار القرار القضائي الدولي.

كل لبناني أو مقيم في لبنان روى الذي أصابه لحظة الدوي الأهل وغير المسبوق في حياة لبنان المتقاتل أو المستهدف. وكل من هؤلاء بدأ مذهولاً في اليوم التالي وهو يرى ما لا سابق لرؤيته في أزمان حربية مضت. يسير في الشارع على أكوام من الزجاج المكسور ويتحاشى وهو يسير سقوط بقية نافذة أو شرفة على رأسه ويبدأ الإستفسار عن أهل أو أحبة أو أصدقاء. ويحاول من خلال الفضائيات الوقوف على حقائق ومعلومات في هذا الذي حدث. وكانت تعليقات المسؤولين تستفز كونها منزوعة المصادقية. وكلما كانت هذه الفضائيات تعيد بث صور الإنفجار الهائل وما أحدثه في مبان ومستشفيات تصدعت فإن مشاعر الهلع كانت ترافق لحظات المشاهدة. وعلى وقع الأسى على عائلات تشردت ومفقودين غير واضح مصيرهم هل هم تحت الأنقاض وهل إبتلعهم البحر على نحو إبتلاع بحر بيروت في الستينات للزعيم السياسي الاقتصادي المسيحي الماروني المستقيم الرأي إميل البستاني الذي كم هو لبنان في حاجة إلى سياسته ووطنيته ورؤيته التعميرية يأخذ بها اليوم وبعده من يتبوء منصب الرئاسة ويكمل ما بدأه رفيق الحريري. فهكذا تبنى الأوطان وتسان العلاقات مع الدول وهكذا لا تعود تصل الحال باللبناني إلى درجة اليأس ويرى أن هذا الوطن بحاجة إلى إدارة أممية له تضع حداً لكل ما يعطل حياة بنيه. ومثل هذا الشعور يصيب النفس اللبنانية الحزينة تجده حاضراً عند الذين ضاقوا ذرعاً بحقبة من السنوات حل فيها الباطل من جانب أكثرية أهل السياسة والتحزب محل الحق.

وهذا الحضور هو الذي حقق قبولاً عفويّاً لدى الناس من الدعوة التي أطلقها البطريرك الراعي وزادت ويلات الإنفجار في مرفأ بيروت من الإقتناع بالحياد حلاً لهذا الوطن الذي يتعامل بعض أولي التحزب المذهبي المضمون معه على أنه ساحة وليس وطناً. ويا ليت متفقد الفاجعة الرئيس الفرنسي ماكرون يعزز للبنانيين المقدرين

إطلالته التقديرية عليهم، التي تذكّرنا بالإطالة الشيركية
التقديرية في بيروت مع الرئيس رفيق الحريري، يتبنى هذا
التوجه.. بل ويساعد في تسويقه.

ما بعد الحدث المهم عصر يوم الثلاثاء 4 أغسطس/
آب 2020 قد يكون ما ربما يحدث في لحظة غفلة هو
الأهم الأعظم والذي يستوجب التنبيه والتدارك. ونقول ذلك
على أساس أن واقعة المرفأ ربما تليها واقعة مماثلة في
المطار وفي المنطقة المحيطة به حيث هنالك كما تحت
عمارات كثيرة تجاوره وعمارات في مناطق بيروت
مستودعات هي شكلاً لتخزين تجاري لكنها في واقع الحال
لتخزينات إستراتيجية من نوعية تخزينات في أماكن كثيرة
من المرفأ.

وأصحاب هذه التخزينات لديهم مشروع معلن عنه
وتصريحات يدلون بها بغرض التهويل أو رفع المعنويات.
وعندما يدار الوطن أممياً لفترة زمنية محددة فإن مثل هذه
التخزينات تصبح تحت السيطرة إلى أن يقضي الله أمراً
يدعو اللبناني على مدار الساعة رب العالمين إلى حسمه
وفي الوقت نفسه يعزز مزية الصبر لديه. ويحضرنا قول
الشاعر العربي الذي كأنما كان يلخص حال اللبناني
عندما فاضت قريحته بالأبيات الآتية: سأصبر حتى
يعجز الصبر عن صبري.. وأصبر حتى يأذن الله في
أمري. وأصبر حتى يعلم الصبر أنني.. صبرت على
شيء أمر من الصبر.

والى جانب الصبر على ما حدث هنالك تكراراً وجوب
الحذر الشديد لما يمكن أن يصيب المطار. وبالفكر نفسه
التنبيه لمفاعيل ما هو مختزن في مستودعات في أبنية من
حق ساكنها أن يناموا مطمئنين ومن دون الخشية أن
يصابوا بما أصاب الألوف من فاجعة المرفأ. ويا ليت
يصار إلى تفريغ كل المختزنات في هذه المستودعات قبل
فوات الألوان.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 9 أغسطس (آب) 2020

عاشوراء عموم اللبنانيين

بدءاً من (الخميس/ أول محرّم 1442 هـ. 20
أغسطس/ آب 2020 م) يعيش لبنان الأيام العاشورية

التقليدية التي يعيشها في أيام من محرّم من كل سنة.
وحيث أن معاني دروس المحرّة العاشورية كثيرة وبالذات
لجهة الظلم والإستقامة، فإن اللبنانيين عموماً من غير
الشيعة كانوا يشاركون في المجالس العاشورية حضوراً
وتأثراً. وكانت هذه المشاركة موضع إرتياح نفسي عميق
لدى الطائفة الشيعية التي تحيي الأيام العاشورية بقرأة
السيرة الحسينية التي طالما جسّد معانيها (السني
المصري) بحثاً وفكراً طه حسين الذي يبصر بقلبه وبولس
سلامة (الماروني اللبناني من زمن خال من "حزب الله"
وحليفه "التيار الوطني الحر") الذي إستوعب معاني
الشهادة وكتب بما يمليه عليه ضميره وإستحضاره لمهابة
الذي صُلب وعُلّق على خشبة فكانت "ملحمة الغدير" التي
كلمات سطورها مثل دموع تترفع المآقي على كوكبة من
شهداء الحق والمبدئية يجسد الإمام الحسين قضيتهم
ويرفع راية جهادهم.

بقيت الذكرى العاشورية جزءاً من النسيج الطوائفي
يتجسد في المشاركة التلقائية من اللبناني المسلم سنياً
وموحدياً ومسيحياً مارونياً وأرثوذكسياً وكاثوليكياً في
الليالي العاشورية وفي يوم أيام الذكرى المبررة (العشر
من محرّم) يتم إحيائها في المعقل التعليمي للطائفة في
الخمسينات وما تلاها في سنوات، ونعني بذلك الكلية
العالمية التي أنشأها الطيّب الذكر رشيد ببيضون وصمدت
في منأى عن الهوى الإيراني الذي بدأ يشق طريقه في
لبنان. كما كانت تتم مشاركات في رحاب مؤسسة العلامة
السيد محمد حسين فضل الله يخرج المشاركون فيها من
المجلس وهم على درجة من التأثر.

بعد إختلاط السياسة بالمقاومة وغلبة مفردات
التحديات على المفردات التي إعتاد اللبنانيون عليها ما
قبل زمن المقاومة وظهورها العسكري، باتت المجالس
العاشورية هي المناسبة السنوية للتعبئة النفسية المذهبية
وتزامنت مع أيام التحضير للأيام العاشورية لوحات
ويافطات وأعلام وأقوال أنتجت مشاعر لدى اللبنانيين غير
الشيعة بأن الذكرى العاشورية لم تعد لهم كما هي للشيعة
على النحو كانت عليه الحال من قبل. ثم لم تعد المشاركة
كما كانت في زمن ما قبل إعتبار المجالس العاشورية
مناسبة لجمع الشمل الطوائفي وإنما لتعبئة النفوس
وتقتصر المشاركة فيها على أصحاب الرؤية السياسية
المتجانسة.

شكّلت فاجعة مرفأ بيروت التي أصابت ألوف

بيروت ليحول العاصمة الصابرة على الضيم إلى ضحية عاشورائية.

ثمة حنين لدى اللبنانيين إلى الزمن العاشورائي الذي كانت مناسبة إحياء الذكرى تبعث في النفس أمثولات في المبدئية وتحض على تألف القلوب بما يجعل صيغة الوطن ومقوماته أكثر ثباتاً. وكانت هذه الأمثولات مثل عملية ترويض للنفوس كي تبقى المبدئية هي الأهم، والحرص على ما يقوله الناس عن ولاة الأمور في حدود الإحترام. وعندما كانت هنالك ضرورة إلى تأكيد ذلك رأينا كيف أن القيادات السياسية، المسيحي منها إلى جانب السني، التي تحترم نفسها سارعت في لحظة خطر على لبنان إلى الالتفاف حول الإمام موسى الصدر الذي اعتكف في مسجد الكلية العاملة. ولو أن السيد موسى بين شعبه وأهله في لبنان راهناً لكان تقدّم شخصياً صفوف المئات من شبان وشابات حركة "أمل" يجوبون شوارع بيروت للمساعدة في إعادة إعمار ما تكسر وتحطم أو إنهار أو تصدّع، وينقل أفراد المصابين إلى مستشفى كما يرافقون السيد موسى في تقفّد الذين أوجبت شدة الإصابات علاجهم في المستشفيات، وكذلك في زيارة عائلات من دون تميز حي عن آخر لمواساة الناس في فقدان أو إصابة أو عزاء. لقد بات المحرومون هم الأكثرية بعدما كانوا جزءاً من كل. بل إن السيد موسى لو كان في لبنان راهناً لأقام على تراب ضفاف المرفأ مجلساً عاشورياً. ألم يقف في زمن محنة عصفت بلبنان خطيباً من على منبر كنيسة في قلب العاصمة التي كادت فاجعة المرفأ تحرقها بالكامل لكن الله سَلَّم.

سلام على الإمام الحسين وآل بيته في ذكر عاشورائيتهم. والسلامة للوطن الصابر على الضيم لمناسبة عاشوراء عموم اللبنانيين. والحمد لله أولاً وآخراً.

كتبت لـ «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 12 أغسطس (آب) 2020

أقدار وحقوق لا مجال ضميرياً للتخلي عنها

عندما يقف الرئيس أنور السادات خطيباً من على

الأشخاص منهم من قضى نحباً ومنهم من أصيب بجراح ومنهم من إنتهى غير معثور عليه تحت الانقراض وفي لجج مياه مناسبة، بل خير مناسبة، للسيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» كي يبادر إلى الإتصال بمرجعياته الخامنئية ويستأذنها موقفاً جديداً إنساني الملامح من الأحوال التي يعيشها لبنان في ضوء الفاجعة التي حدثت. أما كيف هذا الموقف فكلام غير الذي درج على قوله وإقتراب من واقع الحال. كما أن الفاجعة خير مناسبة لكي يكلف هذه الفيالق التي يسيرها في عروض عسكرية طالما أضافت إلى إستغراب الناس لها المزيد من التساؤلات، ينزل أفرادها أو فتية "كشافة المهدي" إلى شوارع بيروت بدءاً بشوارع الأحياء المسيحية يساعدون في إزالة ما نتج عن الانفجار الزلزالي، وفي الوقت نفسه يتعامل إعلامه مع الفاجعة بإنسانية لم يلاحظها اللبنانيون في هذا التعامل. وكذلك تكليف جمعيات تقديم المعونة والمواساة.

وحيث أن السيد حسن عاشورائي التكوين فمن المأمول منه النظر إلى الذي جرى يوم الثلاثاء 4 أغسطس/ آب 2020 لبيروت إنطلاقاً من الانفجار المريب في المرفأ، على أنها عاشوراء عموم اللبنانيين والتأمل في فواجعها التي لحقت بالإنسان والبنيان بما يجعل محنة أمهات وزوجات وآباء أو أشقاء قضوا إحتراقاً أو إختناقاً أو غرقاً تؤام محنة الزمن الشيعي الغابر. فالذي أصيب به اللبنانيون ليس أقل هولاً من الذي أصاب الإمام الحسين وبعض من حوله وفي صفوف تحمل رايته. ثم إن عاشوراء عموم اللبنانيين ليست حكرًا بطائفة معيَّنة، ذلك أنه كان لكل الطوائف اللبنانيين ممثلين لها شهداء فاضت أرواحهم وألوف نزت جراحهم ومثلهم ألوف تكسرت أضلاعهم وسيقانهم. ومن لم يقض شهيداً أو جريحاً على ضفاف المرفأ المرصود المغموم، أصيب بسكنه أو بسيارته. والجميع سنة وشيعة، موارنة وأرثوذكس، كاثوليك ولاتين، موجدين وعلويين. لم يسلم أحد.

عسى ولعل تكون المجالس العاشورائية عبارة عن ربط العاشوراء الحسينية بعاشوراء عموم اللبنانيين. ونقول ذلك على أساس أن واقع الحال يحتاج إلى رؤية جديدة وإلى تضميد أحاسيس أصابتها بخدوش ممارسات وعبارات ومواقف تركت إنطباعاً بأن لبنان الساحة للصولات والجولات والصراعات يتقدم لدى البعض على لبنان الوطن، وأنه بسبب هذه التناقضات يفقد الوطن بريقه، وفي ظل هذا فقدان حدث الانفجار أو ربما التفجير المريب في مرفأ

منبر البرلمان المصري مساء 9 نوفمبر/ تشرين الثاني 1977 وأمامه مستمعين أهل النظام وكذلك الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ويقول في خطابه العبارة الجديدة على الثوابت العربية من الصراع العربي _ الإسرائيلي "إنني على استعداد للذهاب إلى جنيف بل إلى آخر العالم وإن إسرائيل ستدهش عندما أقول إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته، ومناقشتهم"... إن الرئيس السادات بما قاله فتح ثغرة في الحصن العربي المتمثل بالإجماع الذي حدث في القمة الاستثنائية في الخرطوم (من 29 أغسطس إلى 1 سبتمبر 1967) حول ثلاث لاءات هي "لا صلح مع إسرائيل ولا تفاوض معها ولا إقرار بها". ومع الرفض نفسه "التمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه".

كانت تلك اللاءات إذا جاز القول جرعة دواء للإحباط العربي وفي الوقت نفسه الإعلان أن ثقل الإحباط الناشئ عن هزيمة 5 يونيو 1967 وما سبق الهزيمة وتبعها، لن يلغي المثابرة بما يخص الموضوع الفلسطيني.

يوماً بعد آخر نُصبت بالتدرج كمية الدواء ثم جاء العبور التاريخي للقوات المصرية يوم 6 أكتوبر 1973 وتحقيق إنتصارات رفعت منسوب المعنويات العربية إلى جانب البدء بتحرير كامل الأرض المصرية المحتلة وعودة سيناء إلى محروستها وحراسها.

في ضوء التعقيدات الدولية والضغط الثقيل المتزايد إقتصادياً وتنموياً زائداً أفكاراً كسينجارية لقيت حيزاً لها في رؤية الرئيس السادات للصراع العربي _ الإسرائيلي وإقراراً بواقع الحال العربي، إرتأى الرئيس الخارج بإنتصار غير مسبوق من جانب دولة عربية على إسرائيل، المسارعة إلى توظيف هذا الإنتصار قبل أن يتلاشى بريقه في الهوى الدولي _ الإسرائيلي وتلاعب وسائل الإعلام وتأثير اللوبيات اليهودية عليه في موضوع النصر المصري.

من هنا وبينما هنالك أخذ وكثرة ردود في مسألة مؤتمر جنيف الدولي للسلام وشعور لدى الرئيس السادات بأن هذا المؤتمر قد ينتهي إلى تمييع المطالب العربية، فاجأ الأمتين والمجتمع الدولي بكباره الخمسة وسائر الدول وإسرائيل نفسها بإعلانه ومن على منبر الشرعية الدستورية المصرية (البرلمان) وأمامه من يُمثل رمزياً كل الدول العربية (الأمين العام للجامعة محمود رياض) ورمز القضية الفلسطينية (ياسر عرفات) ما أعلنه في أهم أكثر 25 كلمة في تاريخ الصراع العربي _ الإسرائيلي.

كان الرئيس عند كلامه. ذهب إلى بيتهم بعد 11 يوماً. ومن على منبر الكنيست ألقى الخطاب الذي نقل بمضمونه الصراع العربي _ الإسرائيلي من ضفة عاصفة إلى ضفة أكثر عصفاً. بل إن الذي حدث هو أنه أفتى سياسياً بما كان من المحرّمات وطوى عملياً صفحة ما توافقت عليه الأمة في قمة اللاءات الثلاث. وبإفتائه هذا المتوّج باتفاقية "كامب ديفيد" وضع العالم العربي أمام رؤية معدلة للصراع العربي _ الإسرائيلي بمعنى أن يصبح الموقف إختيارياً وفردياً تختار كل دولة ما تراه مناسباً لها. وفي هذا الإطار إعتبر بشير الجميل الفعل الساداتي بأنه يغطي جنوحه نحو التصافح مع ارييل شارون وعلى أرض بيروت التي كانت حالها يوم حدث ذلك (5 يوليو/ تموز 1982) بمثل حالها بعد الانفجار خطأ وربما التفجير عمداً (عصر الثلاثاء 3 أغسطس/ آب 2020) الذي أحدث جراحاً في البلاد والعباد لا تندمل بغير تحقيق دولي، تتجاوز نتائجه ما إنتهت إليه المحكمة الدولية في جريمة إغتيال الرئيس رفيق الحريري التي أمضت سنوات تروم دليلاً مباشراً للجريمة عوض الدليل التجريدي الذي فوجئ به اللبنانيون يوم الثلاثاء 18 أغسطس/ آب 2020. كما في الإطار نفسه بدأت المواقف الأحادية المعلن منها والمستتر، وشجع على ذلك أن أهل القضية الفلسطينية سلكوا في أوسلو أسلوباً مستسخاً في بعض مراميه من الذي إرتأه الرئيس السادات.

يوماً بعد آخر همدت الحماسة العربية ببعدها القومي إزاء الصراع وبدأت تحل محلها مشاعر إتساع البعد القطري في ضوء رقعة الإنقسام الفلسطيني من جهة وكثرة المتاعب الناشئة عن المشروع الإيراني الملتحف بالقدس غطاء لتحرشات مؤذية في أكثر من بلد عربي، وضجر بعض الأنظمة من عدم إلتزام فصائل الخلاف في الصف الفلسطيني من محاولات مخلصنة لتحقيق مصالحه تجعل من هذه الفصائل ورقة ضغط فاعل على المجتمع الدولي ويحمله على تنبّي مبادرة السلام العربية.

هنا تتحمل الدول الخمس الكبرى جزءاً كبيراً من المسؤولية، لأنها لم تتبنّ هذه المبادرة. وبسبب عدم التبني تزايد الصلف الإسرائيلي الذي في الأصل لم يتعامل بنزاهة مع مبادرة من شأن إعتمادها تحقيق الأمان والإستقرار المفقودين للجميع. ولو أن الدول الخمس الكبرى تبنت تلك المبادرة التي تحقق كسباً لجميع الأطراف ومن دون أي خسران يصيب هذا الطرف أو ذاك، لما كان للخطوات الإستيلائية التي إتخذتها إسرائيل حدثت وبسخاء من الإدارة

المفتاح البريطاني للباب الموصد

هذا الإستجداد ببريطانيا الحليف الأوروبي الوفي دون سائر بقية دول القارة العجوز للذين يحكمون أميركا منذ إستقلالها وإنحسار التأثير البريطاني فيها إلى ما بعد ضفاف الأطلسي، من أجل الدفع بالتسوية التي تصمد للصراع العربي - الإسرائيلي، قد يكون حتى حدوث نوع من التبرئة للذمة البريطانية، مثل المستغيث من الرضاء بالنار على حد قول الشاعر العربي. فالمألوف أن الدبلوماسية الأميركية في إدارة ترمب تنقصها الحصافة وحُسن إختيار عبارات صياغة المبادرات التي يبرع فيها أولو الدبلوماسية البريطانية، فضلاً عن أن معظم المتعاقبين على رئاسة الإدارة الأميركية برعوا في القطف وفي ذر رماد غير مؤذ في العيون الإسرائيلية نقيض الرماد الكثير الأذى في عيون أصحاب القضية الفلسطينية الذين طالما وقفوا على أبواب تلك الإدارات وقوف الأيتام في مأدبة اللثام.

التراث البريطاني في فلسطين عريق كما حاله في المنطقة العربية عموماً وبالذات في الديار الخليجية. ولأن تراث "الإنكليز" في فلسطين عريق وأضفى تعاضماً للمملكة المتحدة فإنهم أدركوا بالأمور وبواطنها وهذا لم يألفه الأميركيان، وبالتالي يرمي على الكاهل البريطاني مسؤوليات تبرئة الذمة، إذ مثلاً تنعمت بريطانيا بجزئية من مجدها كدولة عظمى، بحقبة إستعمارية في فلسطين، فإن من واجبها الأخلاقي فضلاً عن تحصين السمعة مساعدة الشعب الذي إستعمرته وتسديد فواتير الإطباق على قراره بل ومساعدته على نحو ما فعلت إزاء الآخرين في منطقة الخليج. والأهم من ذلك إزالة شائبة وعد بلفور التي تبدو من حيث الإيذاء توأم جائحة كورونا، وبانتت تتطلب تلك الشائبة لقاحاً يشفي كما اللقاح المرتجى للجائحة. والذي يشفي الشائبة البريطانية التي لا يشرف إستمرارها السمعة العريقة للمملكة المستعيدة من أوروبا الإتحادية رونق تاريخها، هي إعتبار ذلك الوعد صدر في زمن إستعماري مضى وفي هذه الحال يتم التعامل مع قراراته الشائنة كمثل تعامل أميركا المستقلة مع الإرث الذي إرتبط بفترة إستعمار بريطانيا في أميركا وبمثل الإرث الذي إرتبط بفترة الإستعمار الفرنسي للجزائر. وعندما يُطوى وعد بلفور غير المشرف لبريطانيا تأخذ

الأميركية وغض طُرف أوروبي ولكان التطبيع في هذه الحال أخذ طريقه البعيد عن أي ألغام. وبذلك لا يعود التطبيع الخجول من جانب السودان الذي بدأ مزيجاً من السرية والعلنية حدث ضمن رؤية غلبت فيها أفريقية الرئيس عبد الفتاح البرهان المتناغمة مع إسرائيل دولة إثر دولة من القارة السمراء، على عروبتة خياراً وتحت سقف للضرورة الناشئة عن العقوبات الأميركية أحكام وليس نوعاً من الوزر الوطني أو الإنعزالية الوطنية كما في لبنان منتصف السبعينات وعلى خلفية أسباب موجبة هي تحويل لبنان من دولة مضيفة للاجئين الفلسطينيين إلى دولة مقاومة يمارسون دوراً كالذي يمارسه النظام الإيراني منذ سنوات من خلال "حزب الله". كما لا تعود خطوة التطبيع الإماراتية وما قد يليها من خطوات آخرين نوعاً من إستبدال الرؤية القومية بالرؤية الطُرية التي تخص دولة دون سائر الشقيقتان في حال تم إعتداد مبادرة السلام خياراً لا يحق لطرف نقضه ولا حتى ممانعته.

فالمبادرة العربية للسلام قائمة وممهورة من الجميع ولن تلغى ما دامت متوازنة وتروم السلام الذي يستقر وتُبعد المتطلعين إلى أدوار عجائبية وأحلام تلمودية، ولذا فإن خير ما يمكن أن يطفئ فيه المجتمع الدولي حالات غضب وصدمات من هنا ومشاعر إحباط من هناك، هو إغتنام الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة بعد أسابيع وطُرح المبادرة العربية للسلام صيغة حل يتقبلها الجميع وبذلك لا يعود هنالك مجال لمن يوظف الموضوع الفلسطيني بما يحقق له تجارة لن تغنيه عن عذاب نار حارقة إسرائيلياً كان هذا أم إيرانياً، ويأخذ التطبيع مساره الموضوعي ما دام السقف، أي المبادرة العربية، عادلاً. ولا نغالي إذا نحن إعتبرنا الدورة التي نشير إليها بأنها فرصة تاريخية للرئيس ترمب الذي يطر إسرائيل بحقوق آخرين لأنه يتطلع إلى ولاية رئاسية ثانية. ومبادرة السلام العربية التي تتمسك بها المملكة العربية السعودية وعلى نحو ما قاله وزير خارجيتها الأمير فيصل بن فرحان من برلين يوم الأربعاء 19 أغسطس/ آب 2020، هي من نوع الأقدار التي لا مجال لنفض اليد من جواهرها ولا للتخلي عنها بحثاً عن بدائل.. وإن طال الزمن.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأحد 23 أغسطس (آب) 2020

الأمر صراطها المستقيم مع ملاحظة أن صاحبة الوعد لا دقت في تنفيذ مضمونه ولا العصابات الصهيونية وبالذات شتيرن وهاغاناه إلتمت إن بالمضمون أو بالروحية وإكتفت بإلتهام اللب من هذه الثمرة المحرمة وتركت الفلسطينيين يمضغون على مدى سبعة عقود قابلة للتمديد قشوراً يصعب هضمها. وللتذكير فإن الوعد مصاغ بعبارات قابلة للتعديل ومواقف تستوجب التصويب لمن يريد أو عليه التصويب مثل "إن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بالعطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين" والتعاطف ليس بالضرورة أن يكون قراراً محسوماً، كما أن "في فلسطين" تختلف عن القول بما معناه إعتبار فلسطين وطناً لشعب لا وطن له مكان وطن شعب. وتحضرنا عبارة للملك المؤسس عبدالعزيز رحمة الله عليه وردت في مقابلة أجرتها معه مجلة "لايف" الأميركية (14 مارس/ آذار 1943) وهي: "إنني لا أعلم أن لليهود أمراً يبرر مطالبتهم بفلسطين لأن فلسطين كانت من قبل البعثة المحمدية بقرون لبني إسرائيل وقد تسلط عليهم الرومان في ذلك الوقت وقتلهم وشتتوا شملهم ولم يبق أثر لحكمهم فيها. والعرب إستولت عليها منذ ألف وثلاثمئة سنة وكسور، وهي من ذلك الوقت بيد المسلمين. ومن هنا يظهر أن ليس لليهود حق في دعواهم هذه لأن جميع بلدان العالم تقلبت عليها شعوب تملكتها وصارت الآن وطناً لهم لا منازع فيه. فلو أردنا تعقيب نظرية اليهود لوجب على كثير من شعوب العالم المستقر أن يرحل من بلاده، وفلسطين من ضمن هذه البلاد....".

كما يحضرنا مخاطبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز (عندما كان ولياً للعهد) رئيسة الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر خلال زيارته إلى بريطانيا عام 1988 قائلاً "إن وعد بلفور عار يجب على الجيل الحالي في بريطانيا أن يصححه....".

كان وعد بلفور هدية سخية قبل 113 سنة من نوعية الهدية الأكثر سخاء، أي هدية ترمب المقدسية والجولانية حتى الآن لحليفه السيء السمعة نتتياهو. هديتان يحتاج اللذان تكارما على من لا يستحق على حساب من يستحق، إلى أن يصحح كل منهما الخطأ الخطيئة. وكلاهما أعطي من النصح والتحذير وبالذات من جانب حراس الحصن العربي والإسلامي المملكة العربية السعودية بدءاً بتبتيهات الملك عبدالعزيز الموثقة وصولاً إلى وقفات نوعية من الملك سلمان بن عبدالعزيز ومن

ولي العهد الأمير محمد بن سلمان فضلاً عن حراك الدبلوماسية السعودية في محطات كثيرة وما حوته التصريحات على الملأ وفي طيات قرارات القمم العربية والإسلامية. ولنا في القمة العربية _ الإسلامية _ الأميركية غير المسبوق إنعقادها (الرياض 22 مايو/ أيار 2017) التي أرادت المملكة من أجل أن يفعل الرئيس ترمب ما يثبت مقولة الملك سلمان يوم الجمعة 4 سبتمبر 2015 "إن علاقة الرياض بواشنطن مفيدة للعالم" وقصده من ذلك الإنعقاد إن علاقة العرب والمسلمين عموماً تستقر وتزدهر مع أميركا تلك التي تحسم صيغة الدولتين والقدس عاصمة لدولة فلسطين لا أن يجني الرئيس ترمب مجدداً من تلك القمة المثلثة ويرد على الجنّي المعنوي والمادي بالإغداق على إسرائيل هديتيه المقدسية ثم الجولانية. ومن الخشية بكان أن يكمل ترمب الإغداق إن هو حصل على الولاية الرئاسية الثانية ويوظف الذين من حوله من مستشارين ودبلوماسيين الفوز لمصلحة إسرائيل بحيث لا يعود تعليق الضم قائماً علماً بأن إعتقاد هذه المفردة سواء جاءت من كوشنر الترامبي أو بفعل إصرار من نتتياهو، كانت كثيرة الرخاوة على أساس أن التعليق هو نقطة الفصل بين التطبيق والإلغاء، بل إنها لدى الجنوح الليكودي بنسبة الربع للتطبيق وثلاثة أرباع للإلغاء. وأما الصراع العربي _ الإسرائيلي وبالذات في ضوء أحدث محطتين في هذا الموضوع فإن الحاجة ماسة إلى حصافة الدبلوماسية البريطانية لتشذيبه قدر المستطاع. والمحطتان هما: الخيار الإماراتي شبه المحسوم على ما يبدو إنما في ضوء حراك لا يخدمه التعجل، والخيار السوداني الذي كان يمكن أن يشق طريقه لو أن رفع العقوبات على السودان سبق الإطالة الخرطومية لوزير الخارجية الأميركية بومبيو على أهل الحكم المرتبك أصلاً وبذلك يرتضي السودانيون مرارة التطبيق علاجاً قد ينفع بقدر ما يضر ما هو الأشد مرارة الوضع الاقتصادي والمعيشي ومعه الخبث الدبلوماسي الأثيوبي الذي يروم إستقطاب السودان في موضوع سد النهضة بهدف إضعاف صلابة الموقف المصري الذي يتطلع إلى تحالف سبق أن رآه الرئيس صدام حسين بصيغة "مجلس تعاون عربي" ضم مصر والعراق والأردن واليمن والسودان رافعة له، ثم تهاوت الرافعة بفعل غزوة الكويت.

لعل السعي الذي بدأه وزير الخارجية البريطانية

دومينيك راب يثمر ما من شأنه بداية لهداية يحتاجها الموقف الأميركي من الصراع العربي _ الإسرائيلي، وبداية تيرئة ذمة بريطانيا التي كان وعدا البلفوري إساءة لها وظلماً للشعب الفلسطيني. وحيث أن الدبلوماسية البريطانية وبالذات الأطفاف التي تعلمت العربية في شملان في لبنان وكذلك في الأردن والقاهرة، شغوفة بالتراثيات العربية والإسلامية، فإن تذكيرهم بقول الرسول (ص) "إتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" قد ينفع الذكرى. والله يهدي من تنقصه الهداية أو يتطلع إليها تصحيحاً لظلم تاريخي.

كُتبت لـ «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 26 أغسطس (آب) 2020

فلسطين القضية وفلسطين الحالة

من المهم بمكان ونحن نتابع في المشهد العربي المتعدد المفاجآت والصدمات والفواجع، الأخذ في الاعتبار أن الرؤى إزاء القضايا العالقة تختلف من جيل إلى آخر، كما أن الأولويات لا تعود ثابتة إزاء قضية عالقة بعينها. فمن الطبيعي أن تتأثر مشاعر جيل الخمسينات والستينات من أبناء الأمة مثل حالنا وهم يسمعون أن دولة عربية إستتسبت إجراء تعديل شبه إختباري جذري في النظرة إلى الصراع العربي _ الإسرائيلي وأن طائفة إسرائيلية ركابها يهود بجنسية إسرائيلية ويهود بجنسية أميركية حطت في مطار دولة عربية جاء من فيها ربما لإبداء الرغبة في حُسن النية بعد الآن وبعد تدشين حالة إتصال وإبرام إتفاقيات ذات طبيعة إقتصادية وعلمية، وبأمل أن يتطور هذا الإتصال ويكتسب صفته الدبلوماسية السياسية كما حال هذه الصفة شبه المستقرة في مصر رائدة صيغة إستتساب التعامل الحذر مع إسرائيل، كما حال الأردن أيضاً، في إنتظار أن يتبدل سلوك حكوماتها والتي أكثرها من حيث عدم إدراك للحلول الموضوعية والعادلة حكومة بنيامين نتنياهو التي طال أمدها بزيادة الدعم الأميركي لها فإتسع بذلك هامش عدم الإدراك عندها.

هذا الجيل الذي نشير إليه واكب المرحلة الأولى من

تقديم المجتمع الدولي في البدء وعلى صينية ذهبية بريطانية ملكية حكومية دبلوماسية فلسطين العربية إلى عصابات صهيونية نفذت على مراحل جولات من الإطباق الإرهابي على فلسطين العربية _ الإسلامية _ المسيحية وبدء الخطط لإستبدالها بإسرائيل دولة يهودية. ولأن الفعل الدولي كان جائراً ومهيناً بدأ جيل الخمسينات والستينات في معظم أقطار الأمة يتعاطف مع قوافل الفلسطينيين يأتون لاجئين فيتفاعل مع حالتهم إنسانياً في البداية ثم يعبر عما في إستطاعته تقديمه من خلال تظاهرات وهتافات. وكان هذا الجيل ينتظر حلول الذكرى السنوية للنكبة وذكرى وعد بلفور لكي ينزل الجميع مواطنين عاديين ورموز نخبة سياسية وفكرية إلى الشوارع في مظاهرات ترفع من الياقات ما هو الأشد حماسة من مفردات النضال. كما أن الحكومات دون إستثناء كانت تتفاعل مع هذه المظاهرات ويطلق المسؤولون من التصريحات حول القضية الفلسطينية ما يعزز ظاهرة التمسك الشعبي بهذه القضية. وأما الصحافة والكتابات فيها فإنها في عمق معالجاتها كانت حول القضية الفلسطينية. ولم يخل مؤتمر عربي بدءاً بالقمة العربية الأولى التي إستضافها الملك فاروق (أنشاص 1946.5.28) وصولاً إلى "قمة القدس" التي إستضافها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز (15 أبريل/ نيسان 2018) من قرارات حول القضية الفلسطينية تستقبلها الشعوب العربية بالترحيب ويتقبلها الشعب الفلسطيني بالإمتنان على أمل أن تتحول مع تبدل في لعبة الأمم حول منطقة الشرق الأوسط إلى ما من شأنه إستعادة وطنهم.

هذه الأجواء بدأت تنحسر مع الذي إرتآه الرئيس أنور السادات خياراً لأكثر من سبب، والبعض الآخر لتهيؤات تتصل بميزان القوى في المنطقة وكيف تعود الكفة المصرية أعلى بعد إنخفاضها نتيجة هزيمة 5 يونيو 1967.

لم يعد الحديث حول القضية بمفردات الماضي. وخلت شوارع العواصم العربية من المسيرات والهتافات والياقات على نحو ما كانت عليه الحال ماضياً. ثم طويت بالتدرج صفحة جيل الخمسينات والستينات وبدأ ينمو ويتكاثر جيل "الفايسبوك" والمستحدثات الإلكترونية التي تنسي المتعاطي ليس فقط قضايا أمته وإنما الواجب تجاه أهله..جيل همومه متعددة ليس بينها الموضوع الفلسطيني.

لجيل ما بعده. كما لا بد وهو يتأمل في الحالة المستجدة من العبور العربي _ الإسرائيلي _ الأميركي نحو إمكانية لتسوية تتطور وتصمد وتحترم مشاعر شعوب وقرارات أممية يقتصر الإحترام لها من جانب الطرف العربي فقط، يترك إلى جانب الإستغراب للإستتساب المبالغت من جانب دولة الإمارات بالذات هامشاً رحباً لحقيقة أساسية وهي أن جيل الحاضر الذي يتعاطى مع الصراع العربي _ الإسرائيلي برؤية واقعية وإستتسابية هو ابن جيل الماضي غير البعيد الذي أعطى القضية الكثير وترك العطاء الأكثر للأبناء والأحفاد الذين لا بد بررة وإن تنوعت رؤاهم. فالمهم هو عدم المراهنة، والأهم التنبيه من شراك نظرية عدم التجمد. وفي التأني السلامة على أي حال.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 3 سبتمبر (أيلول) 2020

* * *

الله أعطى والبعض أساء وكفر

في لحظات من الإستغراق في متابعة الأحوال في بعض دول الأمة، ينتهي التأمل إلى واقع مرير يتلخص في أن الله سبحانه وتعالى أعطى، وأن البعض من شعوب الأمة أساء وأحياناً إلى درجة الكفر بالنعمة وإستبدال لذة العيش الهني والإستقرار المستديم بالهوس العقيدي أو المذهبي المغلف بغطاء حزبي.

الأمثلة على الحالات التي نشير إليها كثيرة لكن هنالك أربعاً ينطبق عليها الكفر بالنعمة أولاً وأكثرها إيلاًماً للنفس الحالة اللبنانية. فلقد منَّ المولى عزَّ وجلَّ على لبنان الصغير مساحة بكل ما يشكِّل عوائد له تجعل مواطنيه لا يحتاجون إلى طلب النجدة والمساعدة. فالطبيعة ثروة والموقع أخاذ والأنهر منسابة في كل أصقاعه من حدوده مع فلسطين الصابرة على الضيم إلى أقصى حدوده مع سوريا المضامة من حُكم أذاق الرعية مُرَّ الصبر. ما بين البحر والوديان عشرات الينابيع والشلالات. والجبال متوجه على مدى ستة أشهر من السنة بأكاليل من الثلج الأبيض. والبساتين غناء ما أن ينتهي موسم الموز والبطيخ ثم موسم البرتقال حتى يبدأ

وبحساب الأعمار فإن جيل ما بعد الإستتساب الساداتي في موضوع الصراع العربي _ الإسرائيلي إلى الجيل الذي أعمار بنيه تتوزع بين العقد الثالث والعقد الخامس لا يرى عموماً ما رآه جيل الماضي جيل الآباء الذين طالما كابدوا ونشطوا وعلت أصواتهم هتافات وطنية من أجل القضية الفلسطينية. بل قد يجوز القول إن الجيل الذي نعينه ينظر في ضوء تطورات الأحداث في العالم من القطب إلى القطب على أن الموضوع الفلسطيني هو حالة وليس قضية. وعندما تكون هذه نظرته فإن الحالة تتطلب تنوعاً في الأفكار وأسلوب المعالجات وليس إما القبول أو الرفض. أي أنه يرى كما الحاصل مع أميركا والصين ومع النظام السوداني وإجتهد رئيسه في فتح صفحة حوار مع إسرائيل التي فتحتها آخرون من قبل وإستتسبت دولة الإمارات فتحتها حديثاً ومن باب إختبار النوايا تتقدم على المضي إلى آخر الطريق.

من الجائز القول إنه لو كان جيل الحاضر من نسيج جيل الخمسينات والستينات لما كان إستتسب وبالتالي لما كنا سنرى أن ما كان محرماً بات على الطريق نحو أن يصبح محللاً. وهنا يصبح الحذر ضرورياً والتميز بين المكر والدهاء أكثر ضرورة. فالرئيس السادات عندما إستتسب أراد إيقاع إسرائيل في مصيدة السلام للجميع في المنطقة لكن المكر الإسرائيلي كان أشد ضراوة ولذا دخلت عملية السلام التي ركب الرئيس المصري كل موجات بحرهما العاتي، في تعقيد تلاه تعقيد ليس لأن الجانب العربي لا يريد التسوية بدليل أنه طوّر التوجه إلى أن باتت هنالك مبادرة سلام مقبولة من كل مالكي قرار الموافقة في العالم العربي كونها تدرج في أن الرسول(ص) عندما سئل يوماً عن أفضل الأعمال قال "بذل السلام للعالم"، وإنما لأن إسرائيل على ما يجوز الإفتراض صاحبة مشروع ليس بعيداً من حيث مبتغاه البعيد المدى عن المشروع الإيراني وتوأمه المشروع الأردوغاني وهو تفكيك العالم العربي لوضع اليد عليه. كلاهما إلى إخفاق وإلى خيبة آمال لمجرد حدوث اليقظة التي لا ريب في حدوثها.

ويبقى أن جيل الخمسينات والستينات الذي لا بد أدى قسطه للعلى ولل قضية الفلسطينية في حدود قدرات الحناجر الهائفة والذاكرة المتقدة التي بقيت القضية حاضرة فيها، ومن هنا كان له دوره في أن لا يتوارى الموضوع الفلسطيني من دائرة الاهتمام، ترك إراثاً وطنياً وضميرياً

موسم العنب وتبهاى الكروم بالعناقيد على أنواعها وألوانها، كما تباهى أشجار التفاح والكرز وما ينتسب إليهما من ثمار بألوانها وطعمها ورائحة زهورها. وأما الأرض فمغطاء ونتاجها من الحبوب والحشائش والبقولات من أجود نوع. وحتى لا يقال عن صاحب الأرض اللبناني أنه لا يجدد ولا يطور ولا يتابع ما يجري في عالم الزراعة لدى دول عبّر بحره الأبيض المتوسط فإنه أدخل الفاكهة الأسبوعية إلى هذه الأرض وهكذا بدت أشجار المانغا والجوافة وتفتح الورد تجاور أشجار العنّاب واللوز والتين والزيتون والصنوبر المتجاورة بدورها مع أصناف من شجيرات الياسمين والورد على أنواعه تضيفي إلى جانب الحدائق المزروعة شتولاً من الفل والقرنفل والغاردينيا المزيد من بهاء الطبيعة. وخصّ المولى لبنان بميزة الوطن الذي يعيش فيه الجميع على اختلاف دياناتهم جنباً إلى جنب، والتباهى أمام الغير بأن مثل هذا التعايش هو رمز السلام الذي بشّر به الأنبياء ليسود على الأرض وتسود معه المحبة بين الناس.

كانت نعم المولى كثيرة. وما خص به لبنان تتمناه شعوب كثيرة كما هنالك دول تغبط هذا الوطن الصغير على نعمة الله بكل معالمها وخيراتها عليه.

عوض أن يحمد اللبناني ويشكر بدأ ومن خلال وباء التعصب والتحزب والإستزلام للغريب والإستقواء على القريب، يمعن كفراً بهذه النعمة وبدأ بعض رموز قيادات حزبية يقتادون الوطن مكبلاً إلى المجهول. وسنة تلو سنة أثمر الكفر بالنعمة الإلهية. بات الوطن ملعباً، مقادراً من متلاعبين فيما قطاعات عريضة من الشعب في حالة تعييب. فقد لبنان التميز. بعدما كان يعطي صار يستعطي. وعندما كان أمثلة في خواص كثيرة بات مقعداً مكانه واحدة من كراسي الشعوب المقعدة في الأمة، وصار الكلام على الزوال يتردد على ألسنة كثر بين الذين هم من الأدرى بواقع الحال.

ما يقال عن لبنان يقال عن الوطن الجار سوريا التي إنقلب سحرها المصطنع وسوء تقدير أولي الأمر فيها للعواقب على كبير السحرة الذي يروم من زعامات مسحورة في لبنان المساعدة في تثبيت سلطانه فيما أتى الغريب الإيراني والتركي والروسي والأميركي والإسرائيلي يجرف خاصية العنفوان لدى الممسك ببقايا شرعية وطنية. ويصعب على المرء إيجاد تفسير للحاكم الذي أتاح المجال أمام الدببة لكي تأتي إلى كرمه ثم إنتهى به

الأمر يقرر الآخرون إعتماده رئيساً أو إستبداله وتنتهي معه سوريا التي كانت مثل لبنان تحظى بنعمة المولى عز وجل لا ينقصها سوء الحاكم الذي يصغي ويقود بالتعاون مع الشعب ورضاه والنأي عن الإستبداد، ثم ها هي في ملعب متنوع اللاعبين المتلاعبين يتقاذفونها وكما لو أنها كرة، وأن كلاً منهم يروم وضع القبضة عليها وتثبيت القدم فيها بعدما كان في زمن سالف يحلم بهواها. وأما هذا التباهى بالمانعة والصمود والمواجهة فلا ترجمة له على الواقع الذي يتلخص في أن الدكتور بشّار الأسد أعطي رئاسة لم يكن عند حُسن ظنها به، كما أنه في هذا يتشارك مع الشعب السوري، المصادر من قوى خارجية، في الجحود وإلى درجة الكفر بنعمة من رب العالمين يجني ثمارها خامئى الإيراني وبوتين الروسي وأردوغان العثماني وترمب الأميركي وتنتياهو الإسرائيلي. وأما العشرة ملايين من السوريين المهجرين والمهجورين فهؤلاء حالهم من حال الألوف من اللبنانيين السائرين على دروب متفرعة من الطريق الأساس المعبد إيرانياً وروسياً.

ويصطف الشعب الليبي وجاره الشعب التونسي، إلى جانب الشعب اللبناني والشعب السوري وسلطانة البشاري، في إستعذاب الكفر بنعمة الله خص بها الليبيين و التوانسة. الليبيون لأنهم في بعض منهم إختاروا التتريك بديلاً للعروبة وبدأوا يهتفون كما تركياهما السراج وباشاغا بلغة الضاد للعثماني المعاصر، الذي يبحث في سجلات الأحوال الشخصية عن هم من أمهات تركيات ليؤكد الأحقية في أوطان، ويُرّد بذلك على كيد الأوروبيين وبالذات فرنسا التي إقتحم رئيسها ماكرون السيرك اللبناني يريد علاجاً للبنان الفرنكوفوني فيما أسلاف هذا الرئيس أوصدوا الباب أمام أردوغان لكي يكون فرنكوفونياً عضواً في الإتحاد الأوروبي فكان أن إستل سيف العثمانية يرد به حيث هنالك أثر أقدام تركية في حقبة العشرينات من قرن مضى.

لقد منّ الله على الشعب الليبي بثروة النفط التي إذا هم لم ينقسموا ويشرعوا أبواب ليبيا العربية أمام متطلعين إلى الإستئثار بالمتيسر من تلك الثروة، لكانت ليبيا في أحسن حال وصاحبة دور وقرار وليست في إنتظار مبادرة من هنا ومحاولة وساطة من هناك لجمع أهل الوطن الذي قد ينتهي متأثراً، فيما الثروة التي خص الله بها شعب ليبيا غدت في عهدة آخرين ويصبح الليبيون في وضع الباحث عن نجدة مالية تقيه شر العوز.

خليجياً _ إسرائيلياً، فيناقش الأربعة عشر فصيلاً الوضع ومن ثم تكون هنالك رؤية تتسجم مع الحراك في الحد الأقصى وتواكب بالتالي، تفاعلاً أو تحفظاً، نتائجه في الحد الأدنى.

وحيث أن "حماس" في شخص رجلها القوي تريد إثبات الشأن الشعبي لها فلا يقتصر على ساحات من غزة، فإن إسماعيل هنية إرتأى أن تكون المشاركة في "الفيديوكونفرس" الجديد كأسلوب على التشاور الفلسطيني من خلال مقر سفارة دولة فلسطين في بيروت، فيما الرئيس عباس ومن معه وحوله يتواجدون في مقر الرئاسة الفلسطينية في رام الله.

لم يكن إختيار بيروت عفواً وإنما عن سابق تصميم. ففيها يلتقي إسماعيل هنية بقيادات وجماهير "حماس" في المخيمات وفيها يلتقي بالحليف اللبناني "حزب الله" ويأخذ ويعطي مع أمينه العام حسن نصرالله. وفي بيروت يقوم بزيارات لمن يريدون هداية وتهذئة لحركة "حماس" أمثال مفتي الجمهورية الشيخ عبداللطيف دريان. وفي بيروت يقوم بزيارات لأهل الحكم وبذلك يحقق إختراقاً في التصنيف الأميركي له على أن "حماس" كما "حزب الله" جزء من منظومة الإرهاب. وفي بيروت يدلي بتصريحات غير متيسر له الإدلاء بها إلا بعد التدقيق فيها كلمة كلمة، عندما يزور إيران وتوظف هذه لقاءه المصور بالمرشد خامنئي داخلياً وخليجياً ودولياً، وكذلك عندما يزور تركيا ويحرص رئيسها أردوغان أن يكون كما إسماعيل هنية في غاية الإنشراح تدليلاً على أنهما متوافقان في السراء والضراء. وفي الصورة الأحدث لهما المبتسمة لكليهما ما يخفي نوايا تصب في مصلحة زعامة أردوغان أكثر مما الهدف تدعيم الموقف الفلسطيني.

اللافت أن الحليف اللبناني وظف زيارة هنية أكثر بكثير من توظيف الأخ إسماعيل لها. وعند التأمل في لقاءاته لكل من الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله وللرئيس نبيه بري كرئيس لـ "حركة أمل" وليس كرئيس لمجلس النواب ولرئيس الحكومة المستقيل حسان دياب كحليف لـ "حزب الله" وليس بصفته صاحب الرئاسة الثالثة المغلوب على أمرها.. إننا عند التأمل في هذه اللقاءات فإن ما يستنتجه المرء منها أنها كانت رسائل من الثلاثة للإدارة الأميركية. وعندما لم يحدد رئيس الجمهورية موعداً لإستقبال هنية الذي طلب ذلك فإن الرئيس عون كان بذلك يحتاط لمحاذير العقوبات خصوصاً أن اللائحة

وعند التأمل في الذي يحدث في تونس وكيف أن هذا الوطن، الذي يملك من نعمة الله عليه المواصفات التي عليها توأمه الفينيقي لبنان، غارق في مناكفات حزبية وصراعات سياسية تعطل مكانته كبلد طالما كانت السياحة الأوروبية إليه بسبب موقعه الجغرافي مصدر ثراء له حيث ساهمت عوائد السياحة تلك في تطوير إقتصاده وتنمية عمرانه، إلى أن دخل الوسواس الخناس في الرأس وتغلغل كما الحال في لبنان في النفوس وبات الكيان على نحو ما أسلفنا عرضة للإهتزاز فالضياح. وبدل أن تقاد تونس بكل سلاسة من حكومة تكون النعمة التي خصها الله بها ومن خلالها يعتاش الناس ولا يضطرون إلى أن يصبحوا كما الملايين من السوريين لاجئين، فإن تونس تغرق لبضعة أشهر في خضم معوقات حزبية كما تكرر حال لبنان فتتعطل الأحوال.

ويا الذين خصهم الله بنعمة رفقاء منه بالخلق سواء في لبنان أو تونس أو سوريا أو ليبيا وكذلك السودان والعراق، وكلها دول يكاد الكفر بنعمة الله عليها أن يزلزلها، ليتكم تحمدون وتشكرون وبالتالي تهتدون. ففي الحمد والشكر والهداية تدوم النعم، وفي المماحكات الحزبية والصراعات السياسية قد ينام المرء في هذه الأقطار وغيرها على طمأنينة ويصحو على لا وطن ولا خير ولا نعمة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 10 سبتمبر (أيلول) 2020

عطاء كثير.. ودفع ثمن أكثر

في زمن التطبيع المتزايد الحلقات جاءت المحاولة الإضطرابية من جانب الرئيس الفلسطيني محمود عباس والمتمثلة بدعوة رفيقه اللدود إسماعيل هنية للمشاركة في لقاء تشاوري بالصيغة المستجدة التي فرضتها الجائحة الشريفة، إلى جانب الأربعة عشر فصيلاً فلسطينياً بين "حركة" و "حزب" و "منظمة" .. هكذا تسميات الفصائل التي ما زال يغلب فيها التنافر على التوافق منذ أن تأسست حركة "فتح" منتصف الستينات بدل الإلتفاف حول كيان واحد يقوي من الساعد الفلسطيني.

كانت تلبية الأخ إسماعيل للدعوة خطوة إيجابية على طريق توحيد الرؤية الفلسطينية التي تواكب حراكاً دولياً _

الأميركية التي عليها أسماء برسم إلحاقهم بمن يمثل رئيس مجلس النواب الحريص على ديمومة رئاسته، وبمن يمثل من يتطلع إلى أن يكون رئيس الجمهورية بعد الحالي وكلاهما يخلقان في فضاء "حزب الله"، ما زالت عليها أسماء أخرى غُب إشهارها. ولو أن زيارة إسماعيل هنية شملت رئيس الجمهورية، لكان من الواجب عليه أن يزور سائر المقامات الطوائفية ويصغي عندما يقابل البطريك الراعي إلى ما قاله في شأن الحياد الذي أوجبت إطلاق الحديث في شأنه تراكمات منشأها فلسطيني وجوداً مسلحاً، وأقولاً يا ليتها لم تصدر عن قائلها، ماضياً عن ثاني قادة "فتح" صلاح خلف "أبو إياد" رحمة الله عليه الذي قال "إن تحرير فلسطين يمر عبر جونية" وحاضراً قول إسماعيل هنية المبتهج بالحفاوة اللبنانية الفتوية بزيارته وهو مرفوع على أكتاف فلسطينيين في مخيم عين الحلوة فيما البعض رافعي رشاشاتهم من دون إطلاق رصاص "إن حماس طورت منظومة سلاحها وبانت تملك الصواريخ وقد دكت بها تل أبيب وما بعد تل أبيب" وإرفاق هذا التهديد بـ لئآت ولاءات تلخص العهد الجديد تلتزم به "حماس" وهي "لن نعترف بإسرائيل ولن نتنازل عن ثوابتنا وحقوقنا. لا تنازل ولا تقريط ولا تراجع تحت أي ظرف من الظروف..."

لقد حققت إستضافة "حزب الله" لقائد حركة "حماس" إسماعيل هنية أمراً يجمع بين مشاعر الحنين إلى زمن مضى، وإختبار الشأن الذي لحيفه اللبناني "حزب الله"، وهذا لمسّه عند إستقباله في المطار كما لو أنه الرئيس لدولة فلسطين بمفهوم النظام الثوري الإيراني وبالتالي مفهوم "حزب الله". كما لمسّه في المخيم الذي باتت القضية الفلسطينية واحدة من عدة إنشغالات الذين يتزعمون مرابعه، ورأى في رفعة من جانب أنصار لحركة "حماس" متجاوزاً الظروف والحساسيات على أنواعها لدى اللبنانيين الذين باتوا في وطن على مشارف أن يصبح مخيماً ما يعزز الثقة بالنفس. وفي كلامه الذي قيل إنترع من اللبنانيين بقية مشاعر تعاطف مع إخوانهم شعب فلسطين ورأى اللبناني أن الزائر الفلسطيني الرفيع الشأن في أيلول اللبناني الذي يذكر بأيلول الأردني، جاء مستقراً وليس لمجرد المشاركة في حلقة تشاور فيديو، وأنه في لحظة غابت فيها الصحافة عنه نسي أي عطاء لبناني نالته القضية الفلسطينية فكان بالذي قاله سواء عن قصد أو بفعل ضباب حماسوي حجب رؤية الواقع الراهن في

لبنان، كمن يرمي حجراً في بئر شرب منها إلى حد الإرتواء. ولعله شخصياً عايش أي تعاطف وأي عطاء من جانب اللبناني يوم كان واحداً من الذين خيموا في مرج الزهور وهذا ما قصدها بمشاعر الحنين عنده لدى زيارة التحدي إلى لبنان، الذي غاب عن بال الأخ إسماعيل أنه لم يعد تماماً لبنان الذي مضى وأن القضية الأساسية لشعبه، حتى لدى الطيف الذي لا يفصح عما في قرارة نفسه، هي ما ينادي به البطريك الراعي الذي رغم الوضع المأساوي اللبناني لم يغفل في بنود رؤيته إستحضار القضية الفلسطينية ولو تذكيراً ينفع الساهين عن إيجاد حل عادل لهذه القضية.

ويا أخ إسماعيل، قليلاً من الفرق بلبنان الذي أعطى القضية كثيراً.. ودفع مقابل العطاء أكثر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 17 سبتمبر (أيلول) 2020

يوم مشرق وسط عتمة عربية _ إسلامية

تشرق شمس يوم غد الأربعاء فيما العتمة العربية تتزايد وفيما شعوب الأمة الإسلامية الحافظة الود غير المتناسية النجدات في الملمات ومن دون أن تطلب، تشارك الشعب السعودي إستقباله تسعينية يومه الوطني ومشاعر إعتزازه بثبات جيل الأبناء والأحفاد على عهد المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، الذي وهو يصمد أمام وطأة صحبة دقيقة أصابته وهو لم يكمل الثالثة والسبعين من العمر حرص أشد الحرص على أن تكون وصيته للإبن سعود الذي سيبدأ مواصلة مسيرة الأبناء من بعده، متضمنة عبارة "ينبغي ألا تأخذك في الله لومة لائم عليك أن تتظر في أمر المسلمين عامة أقل عثرتهم وإنصح لهم وإقضى لوازمهم بقدر إمكانك..."

لم يكن غني مال زمنذاك فالنقط في طور إستخراجه، لكنه كان غني العقل وكريم النفس ويعرف معنى ضيق العيش لأنه ذاق مر طعم ذلك الضيق، بدليل أنه كان يتسقط الذين يمدونه بالعطايا لكي يعطي المحتاجين ويعيل من حوله في مجلسه العابق بالنصح والتتوير والمثابرة على مواجهة واقع الحال..

تلك الوصية لم تصدر عن هم أحسن أحوال مالية

وإقتصادية من الملك عبدالعزيز. لم نقرأ في وثائق الزمن المعاصر أنها صدرت عن الزعيم الإيراني ولا عن الزعيم التركي حيث أن كلاً من سلطنة هذا وأميراطورية ذاك أكثر إقتداراً مالياً من مملكة عبدالعزيز في إستنهاضها الثالث الثابت. لم يصدر عن الطرفين ما يشير إلى لهفة نحو أخ مسلم أملت به ضائقة. قرأنا عن سطوات من هذا وحالات إستعمار من ذاك ودائماً كان العربي المسلم هو المستهدف. أما عن المبادرات التي بروحية ما حرص الملك عبدالعزيز على أن تكون جزءاً من وصية أشبه بخارطة طريق أو عناوين دستور أو ميثاق، فإننا قرأناها في مدونات عن أخيار الأسلاف الصالحين في الزمن الغابر أمثال العُمرين (بن عبدالعزيز وبن الخطاب) وفي سفر من النصيح والترشيد لعلي بن أبي طالب. وكل ما قاله هؤلاء الأخيار كان من هدي ما نثره الرسول (ص) كحبات من المطر على شتول ورود ظامئة، مثل قوله "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

منذ عشرة أعوام وأحوال بعض ديار أمة المليار مسلم من ويل إلى ويل وإلى ويلات.. وإلى كوارث الطبيعة ومثيلاتها كوارث ناشئة بفعل التخريب _ التفجير المستتر، هنالك الصراعات التي يستغرب المرء عدم وضع حد لواغري الصدور العربية من جانب الجارين المسلمين وأيديهما الطويلة المتطاولة على أشقاء عرب في أكثر من دولة في الجناح المغربي وعلى ضفاف الخليج وضفاف البحرين الأبيض المتوسط والأحمر تنغص عيش العباد وتهز بنسب متفاوتة إستقرار البلاد.

كل هذه التحرشات العدائية جعلت من أمر إغاثة السعودي لأخيه العربي، ومن دون التمييز في هويته المذهبية وهواه السياسي، واجباً يتجاوز وقفة المساعدة إلى واجب الإغاثة وصولاً في بعض الظروف الإحراقية أو الكورونية أو الكوارثية إلى الوقفة الانقاذية للأرواح والمحاصيل والمواسم الزراعية. ولنا في الذي أداه مركز سلمان للإغاثة تجاه لبنان الذي كادت عاصمته تندثر تحت تأثير عمل تخريبي بفعل فاعل معلوم _ مجهول وكيف كانت النجدة الطبية والإعاشية تصل تباعاً ومن دون أن تكون هنالك نداءات إستغاثة. فالقائد السعودي وخصوصاً الملك سلمان الذي بينه وبين لبنان وخصوصاً بيروت العاصمة حالة من التناجي القديم يتساوى في محتواه مع ذلك التناجي مع القاهرة، لا ينتظر طلب غوث ولا إرفاق طلب بتعهدات كما لا ترتبط النجدة بمطالب وشروط. هذا فِعل

خير وهذه أيضاً ترجمة الإبن البار لوصية الأب الذي غادر الدنيا من دون أن يفارقه إنشغال البال على بني قوم الأمة. ومن هنا كان قوله للأبناء من بعده ومن بعد الأبناء للأحفاد الذين سيقودون دفة إدارة الدولة التي أعطاها الله الثراء والقدرة على التحمل مقرونة بطول البال والصبر الجميل، ومع الثراء الأخذ تطبيقاً للوصية المنزهة عن المطالب والمواقف شرطاً وسلفاً.

كما لنا في أحدث حالات الإغاثة، هذه الوثبة الإغاثية وبالأطنان أدوية ويطانيات ومواد معيشية وحتى نواميس تقلل من آثار إصابة الألوف من السودانيين بعاديات الفيضان النيل خراب بيوت وأراض وثروات حيوانية وأنواع من أوبئة محتملة الحدوث. فالفيضان الجديد غير مسبوق أهواله خلال قرن من الفيضانات السنوية. لقد كانت تلك الوثبة المثال الحي على هذا الذي أداه مركز الملك سلمان للإغاثة ومن دون أن يأتي الغوث للسودان يأخذ من الغوث شبه اليومي لليمن. وكما لا تميز في شأن الغوث سابقاً وعند الحاجة للشعب الفلسطيني بين من هو من السلطة المعترف بها عربياً ودولياً ومن هم من "حماس" ورفيقاتها ذوات الرفرقة في الفضاءات الإيرانية والتركية، فإنه لم يكن هنالك تمييز في الغوث للبنان بين طيف حامد شاكر وقفة السعودية ماضياً وحاضراً ودائماً مع لبنان وبين الذين إستبدلوا هداية الكلام بسوء التخاطب. وبالنسبة إلى السودان فإن المعيار كان هو. المهم أن يتجاوز السودانيون المصابون بغضب فيضان النيل المحنة ويخرج الذين تأثروا من هذا الفيضان وقد أفادتهم الإغاثة السلمانية كما أفادت سابقين ما زالوا في لحظات من التأمل يدعون للملك سلمان بطول العمر ودوام مركزه الإغاثي ويترحمون على الملك عبدالعزيز الذي ليس فقط أوصى من بعده بأبناء الأمة وإنما وضع الأساس الثابت للمملكة التي على إستقرارها وثبات دورها هنالك بقية آمال عربية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 22 سبتمبر (أيلول) 2020

من بيت بنيه يُضْرَب

وحده لبنان دون سائر شقيقاته الدول العربية، وباستثناء تونس، بعدما إرتدت ثوب الحراك الحزبي الذي

أفرزه "الربيع العربي"، يقاسي في موضوع من المستهجن هذه المقاساة منه، وهو موضوع تشكيل حكومة تدير شؤون الناس وبما يفرضه الواجب على المسؤول تجاه المواطن.

في الدول العربية المستقرة والتي تتوزع فيها الرئاسات وفق الدستور، يتم على قاعدة الإستتساب وبما من شأن من يتم إسناد رئاسة الحكومة إليه إختيار الشخص المناسب لكي يمارس الواجب من المكان المناسب الذي هو رئاسة الحكومة. ولم يحدث أن كان هذا المتربع على كرسي رئاسة الحكومة موضع خلاف حوله، ذلك أن إختياره لم يتم على قاعدة شأنه السياسي أو الحزبي وإنما لأنه كفوء ولأن ماضيه خال من الشوائب الشخصية والعامة إلى جانب أن هذا الماضي مكلل بكفاءة عالية وخبرة في حقل أو حقول تحتاج شؤون الوطن والمواطنين إلى توظيفها من أجل إيجاد علاج لمعوقات أو من أجل ما تسمى بالخطبة خمسية أو خلاف ذلك.

يضع رئيس الدولة أمامه، ونأخذ هنا كمثال الدولة الجمهورية المستقرة مصر، ملفات بالوقائع والأرقام والمشاكل المستعصية والخطط المتعثرة التنفيذ ويستخلص منها ما يفرض عليه إختيار من يراه مؤهلاً لمعالجة ما إنتهى إليه إطلاع على تلك الملفات. ومن بين بضعة أسماء لذوي كفاءات يختار متأنياً من هو هو جدير بتحقيق الإصلاح المنشود وإنقاذ المتعثر والعسير من الخطط. يتشاور معه. يستمع إليه أكثر مما يحدّثه. وفي حال رأى في ما قاله أنه هو المؤهل لتسلّم رئاسة الحكومة يخلو إلى المزيد من التأمل، ثم بعد ذلك تأتي التسمية تسبقها إشارات في الوسائل الإعلامية إلى أن هنالك حكومة جديدة على الطريق.

تتشكل الحكومة. كيف؟ يختار المكلف الوزراء الذين هم من الكفاءة والسمعة الشخصية المنزهة عن كل ما هو مسيء. وبطبيعة الحال فإن الولاء للوطن أمر محسوم في من سيُسند إليه منصب وزاري.

لقد تُرك أمر الإختيار لمن يترأس وهذا حق طبيعي. ويبقى الحق الطبيعي الآخر لرئيس الدولة بمعنى هل لديه رأي في هذا الوزير أو تحفّظ على ذاك.. وهكذا.

على بركة الله تبدأ الحكومة الجديدة وقد نالت ثقة رئيس الدولة، تأدية الواجب بأمل نيل ثقة المواطن. لا يد فوق الحكومة ما دامت تسلك الصراط المستقيم. في حال حدث تقصير من وزير يتم لفت إنتباهه. وفي حال

حدثت كارثة صحية أو سقطة تعليمية أو حتى حادثة قطار تسبب سائقه المتعاطي في سقوط قتلى وجرحى، يصار إلى تعيين وزير مكان الوزير الذي إرتبطت مسؤوليته الوزارية بتلك الكارثة أو السقطة أو الحادثة القطارية. هذا نوع من الإقرار تجاه الرأي العام بالخطأ، وإستبدال الوزير بأخر هو نوع من إعتذار الحكومة من المواطنين. فما دامت الحكومة في نهاية الأمر هي من أُلْهِمَ لها من حقهم إما إطلاق صرخة احتجاج وإما أن يتم إستباق الصرخة تلك بتغيير الوزير المختص.

ليس أمام الحكومة سنوات لكي تؤكد أحقيتها في البقاء. في حال أوجب العمل تعديلاً وزارياً يتم ذلك. في حال لم يحقق التعديل الغرض يصبح من حق مشروع للمواطن على رئيس الدولة الذي إختار أن يتيح الفرصة أمام تجربة جديدة تستفيد من إنجازات في تجربة الحكومة المنصرفة بحيث تزيد إنجازاً، وتتفادى إخفاقات كتلك التي حدثت مع سابقتها.

هنا المواطن في غاية الطمأنينة. ليس هنالك فراغ في الدولة. كما ليس هنالك بدعة حكومة تصريف أعمال كتلك التي يعيشها لبنان المبتلى بجائحة عُسْر التأليف الحكومي، والتباهي في الوقت نفسه أن اللعبة الديمقراطية تفرض ذلك، مع أن هذه ليست لعبة وليست ديمقراطية وإنما هو ملعوب تمارسه ديكتاتورية تركيبة سياسية حدثت في غفلة عربية ودولية عما يجري في لبنان وبذلك نشأت ظاهرة حلف شيعي بنسبة عالية _ماروني بنسبة متوسطة حلف غير لبناني التركيبية والجوهر والغرض والنوايا المبيتة، يمعن إذلالاً للشعب، وفي الوقت نفسه مصادرة حقه الذي هو حكومة تدير شؤون وتعالج باليسر ذلك العسر الذي بلغ مداه. وهذا خلاف ما أشرنا إليه في طريقة تشكيل الحكومة والواجب الملقى على رئيس الدولة في هذا الشأن.

في ظل المجادلات التي تأخذ طابع التعطيل والتسويق والتلفظ بمفردات مدعاة للإستغراب مثل الميثاقية، يتراجع لبنان خطوات سريعة في إتجاه إنتقاله من الدولة الحضرية الماكرة للعصر إلى مجتمع الدولة المتخلفة المحكومة ببذعة المذهبية المسلحة شريكة للمذهبية التي تباع وتشتري تعلي صوت الإحتجاج وتضمت ما يقرب من البكم.

وبدل أن تكون هنالك صحوّة وبعض التأمل في أحوال الشقيقات العربيات وكيف أن تأليف الحكومات حق مشروع للمواطن يبُلُور رئيس الدولة وبذلك يأخذ الاستقرار طريقه،

فإن التعطيل في الشأن الحكومي بات سلاحاً فوق الأرض مثل أكوام السلاح المودعة في دهاليز تحت الأرض وربما يتم إخراجها عندما تتساقط التجربة الحكومية. وبتساقطها هذه المرة تطوى صفحة لبنان الوطن.. الذي من بيت بعض أبنائه غير البررة يُضرب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 28 سبتمبر (أيلول) 2020

بيروت ذات الجناحين المهيزين

في الوقت الذي إمتلأ بنيامين نتنياهو زهواً بالإختراقات التي حققها له الرئيس دونالد ترامب علناً وطونى بلير خفية، عل وعسى يبقى رئيساً للحكومة ويخذل المتطلعين إلى نهاية أولمرتية له والشروع في قيام حكومة جديدة في إسرائيل.. حكومة تؤمن بالسلام مصيراً وليس إستعماله طريده... في هذا الوقت وفيما لبنان المغلوب على أمره من ولاية رئاساته وزعامات أحزابه ومن برلمان وقضائه، يخرج على اللبنانيين الحائرين في أمر ولاتهم المستغرقين في إغفاء لا يرون واقع الحال ولا يحسمون أموراً عالقة كما لا يلتزمون بعهود ووعد، شاهراً ذريعة التحضير لضربة موجعة ربما قيد الإعداد للتنفيذ كتلك الضربة الزلزالية في مرفأ العاصمة التي ما زال التعقيم الرسمي قابضاً على خفاياها من ألفها إلى يائها. وهو هذه المرة أطلق الذريعة في صيغة تحذير ومن خلال الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها السنوية التي فرضت الجائحة الكورونية أن تكون الكلمات عبّر الأثير عملاً بموجبات التباعد. ويتذكر المرء هنا كيف كان القادة العرب المشاركون ومنهم الرئيس ياسر عرفات يدعون من على هذا المنبر الأممي إلى السلام والتهدة والحلول العادلة ولا يصدر عن أي منهم كلام عدواني. مع ذلك لم تقرأ إسرائيل النوايا على النحو الذي يبشر سلاماً وإستقراراً في المنطقة. ولا الإغداق الأميركي على إسرائيل تباخل. ما يستوقفنا في "الهدية" التمجيرية المحتمل حدوثها في بيروت على نحو ما أوردته نتنياهو في تحذيره، أن "رجل السلام" بالإكراه الترامبي أرفق كلامه بخريطة تذكرنا بتلك التي عرضها الجنرال كولن باول وهو في مقعده الأممي لتأكيد إمتلاك العراق للسلام المحرم عليه إمتلاكه.

وبصرف النظر عما إذا كانت خريطة نتنياهو تؤكد مضمون كلامه أو هي مثل خريطة كولن باول التي وصمت تاريخه الجنزالي، فإن التحذير الخرائطي هنا مؤشر إلى إحتمال إحداث (أو حدوث بفعل مُحْدِث) عملية تجبيرية لمنطقة محشوة بشراً مثلما كان التحذير الخرائطي من جانب كولن باول غطاء لحرب زلزلت وطناً وأعادته نصف قرن إلى الوراء.

للذين سمعوا بتحذير نتنياهو وخريطته حول تفجير وليس حول إنفجار، في "منطقة الجناح" في بيروت، داخل مخازن أسلحة لـ "حزب الله"، هذا الموجز عن المنطقة تلك: قبل حرب 1975 كانت "منطقة الجناح" قريبة الشبه بمنطقة "الريفييرا" في جنوب فرنسا. شاطئ رملي في غاية النظافة. مسابح وشاليهات يستثمرها مستأجرو الأملاك من الدولة وعلى أفضل ما تكون عليه الإدارة. الأجنبي لا تكتمل زيارته إلى لبنان من دون تمضية أوقات في هذه المسابح، كذلك الخليجي لأن النهوض العمراني والسياحي لم يكن بدأ في دبي. وعلى كتف هذا الجناح شيدت مباني سفارات عربية وفنادق ذات خمس نجوم. وباتت "منطقة الجناح" وإمتدادها منطقة الأوزاعي من المناطق السياحية التي تدر على الخزينة اللبنانية أموالاً تزداد أرقامها سنة بعد سنة وتبعث البهجة في نفوس الناس صغارهم قبل كبارهم.

شكّلت الحرب اللبنانية عام 1975 فوضى سكانية مريعة وحدثت عمليات تهجير لا سامح الله فاعليه. وفي ظل الحرب الدائرة والميليشيات على أنواعها المتحكمة في إدارة الحرب الأهلية جرى تهجير شريحة عريضة من المواطنين معظمهم لا يحملون الجنسية اللبنانية ويستوطنون بحكم الأمر الواقع والمؤجل حسمه، كما حال عشرات الألوف من الفلسطينيين المستوطنين منذ العام 1950 بشكل مكثف مخيمات تتوزع على كافة مناطق لبنان بما فيها سفوح جبله الكسرواني.

بضعة ألوف من منطقة فيها المسلخ الذي كان يمد سكان العاصمة بالذبائح إنتهى بهم التهجير والخشية من أن يكونوا هم كما السائد زمنذاك في محطات من الحرب اللبنانية من الذبائح، في "منطقة الجناح". توزعوا على الشاليهات السياحية والمباني التي تدار منها المطاعم والمقاهي ونوادي السباحة وهجرها أصحابها ومستملكوها. وحيث أن الكثافة البشرية تحتاج إلى مزيد من الأمكنة فإن هؤلاء ما دامت الدولة سائبة بدأوا يشيدون ما إستطاعوا

من الأبنية. بيت من غرفة أو غرفتين مع مطبخ. وطاب للجميع العيش على ضفاف بحر مسابح تحمل تسميات "سان سيمون" و"سان ميشال" و"ريفييرا". وفي هذه المرافق السياحية وجدوا ما يستلزمهم من الصابون ومواد التنظيف على أنواعها والمعلبات والمواد الغذائية. فالمحطة الجديدة كانت للسياحة. ومن كانت هكذا فإنها ملأت بالإحتياجات التي تبقى حركة السياحة مزدهرة.

طال أمد الحرب وإمتدت مساحة الأرض للألوف من المهجرين ثم باتت لعشرات الألوف من المهجرين. وبات كل الشاطئ عبارة عن مبان وتطورت المسألة إلى تجارة ثم دخلت الحزبية والسياسة على خط الحالة الجديدة وبحيث أنه ما أن تحققت أعجوبة وقف الحرب بفعل "إتفاق الطائف" حتى يتبين أنه بات في "منطقة الجناح" ما لا يخطر في البال. مدينة طويلة، مطار الدولة أمامها مباشرة والبحر شاطئها. وأما ساكنو هذه المدينة العشوائية بكل المقاييس فإنهم من الطائفة الشيعية هجروا قراهم في الجنوب ومنطقة بعلبك _ الهرمل وجوارها. وباتوا يحملون "الهوية الأوزاعية" إذا جازت التسمية. البعض جاء بفعل النجاة والبعض جاء من صعوبة كسب لقمة العيش في المناطق البعلبكية.

مع مرور الأشهر والتوترات بات الأوزاعي الجناح الضاحية البحرية للضاحية المتعارف على تسميتها وموقعها مسكونة بكل أنواع حياة الأمر الواقع. لا شرعية لكل مبنى هناك ولكل محل تجاري. شرعيتها مستندة إلى حماية طبيقتين دون غيرهما لها: "حزب الله" و "حركة أمل". الأعلام المرتفعة في إستمرار والصور التي لا تزال ولا تُستبدل تدل على ذلك.

عندما حاول الرئيس رفيق الحريري إدخال المنطقة ضمن مشروعه التطويري قيل له: الجناح والأوزاعي خط أحمر. لماذا لا يجاز التطوير وتستعيد المنطقة مكانتها السياحية؟ لأن التطوير في بعض عوائده يأتي على حساب العمق الشيعي والتأثير لهذا الطيف الحزبي أو ذلك؟

بصرف النظر عن المخاطر التي يسببها إكتظاظ البناء العشوائي على حوافي المطار، فإن إبقاء المنطقة على الحال التي هي عليه شكلاً وموضوعاً ومضموناً إهانة إلى ولاية أمور الرعية الأوزاعية.

وأما الخشية الأعظم فهي أنه في حال إنتهى التحذير البنياميني تفجيراً زلزالياً كالذي أصاب مرفأ بيروت، فإن

العاصمة اللبنانية العريقة ستنتهي "عاصمة الجناحين المهيضين المكسورين المحروقين": جناح المرفأ الذي من دونه يفقد لبنان أهم مركز تجاري له.. ومنطقة الجناح بعمقها الأوزاعي الذي في حال نالها مكروه التفجير أو الانفجار كما يروج ننتيا هو لذلك، فإن العام 2020 سيشهد تهجير الألوف المؤلفة من ساكني "منطقة الجناح" بما في ذلك "دويلة الأوزاعي" إلى سكن من الرفاهية بمكان. لن يعودوا أو بالأحرى لن يعادوا إلى جنوبياتهم وبعلبكياتهم من بلدات وقرى، وإنما سيهاجرون ومن دون إستئذان إلى "داون تاون" الحريري بما على أرض هذا الحي من أبنية ومكاتب وفنادق تلالأت نجومها إلى أن قضى الحريري شهيداً. وسيملاون الشوارع هناك بالصور والشعارات والأعلام كتلك التي يتميز بها أوزاعهم وطريق المطار. وحتى "بوسترات" قاسم سليمان ستكون حاضرة ومضاءة اللمبات حولها من كهرياء الدولة.

ولن يبقى من الجناح الأوزاعي المهيض سوى ثلاثة أضرحة ضريح الإمام الأوزاعي وضريح الرئيس الشهيد رياض الصلح يجاوره ضريح كبيرات البنات الحزنيات علياء الصلح التي نكزنا رحيل زميلنا رياض نجيب الريس الحامل إسم والدها يوم السبت 26 سبتمبر/ أيلول 2020، بالعذاب المزدوج عذاب المرض وعذاب الرحيل في الغربة باريسية كانت أم بريطانية أم لبنانية. رحمة الله على الذين يرحلون من رموز العقل المنفتح ولا وداعية لهم. والبقاء لبيروت بأمل أن يصطلح أمر شأنها وتبدأ النهوض من جديد. ورحمة الله على الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح الذي بقيت بيروت كما لبنان في قلبه ووجدانه حتى آخر خفقة قلب وإغماضة عين.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 1 أكتوبر (ت) 2020

إخضاع بذريعة الإقناع

في موضوع الصراع العربي _ الإسرائيلي من المفترض أن يكون الطيف المدني في أي دولة من دول الأمة أكثر مرونة من الطيف العسكري إزاء الخيارات المطروحة بين الحين والآخر في مسألة الإتصالات مع

إسرائيل بغرض عقد إتفاقيات سلام أو حُسن جوار أو تعاملات إقتصادية وتجارية وموانئ ومطارية. ونقول ذلك على أساس أن الثقافة الدبلوماسية والسياسية أكثر مرونة ورحابة من الثقافة العسكرية حيث لا مجال فيها، عكس دبلوماسية المدنيين، للمناقشة والإكثار من الإقتراحات يؤخذ بنتيجة النقاش حولها بما هو الأفضل أو الأصوب أو في الحد الأقصى وبالذات في موضوع التفاوض العربي _ الإسرائيلي بتقليل نسبة التنازل أو التساهل.

وحده السودان تبدو فيه المعادلة معكوسة، حيث نجد الطيف العسكري أكثر مرونة من شريكه المدني في الموضوع المشار إليه. وهنا تتحمل الإدارة الأميركية مسؤولية التعثر الذي أصاب الخطوة التي خطاها رئيس مجلس السيادة الفريق عبدالفتاح البرهان، الذي من أجل فتح ثغرة في جدار العقوبات المفروضة على السودان وعدم حذف إسمه من قائمة الدول الراعية للإرهاب إلتقى رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو (3 فبراير/ شباط 2020) ضمن ترتيب تولاه وإستضافه رئيس أوغندا بغرض جمع الرأسين السوداني والإسرائيلي بالتطبيع، كما جمع الرأسين بالحلال للذين يرومون حياة مشتركة.

والقول إن الإدارة الأميركية تتحمل مسؤولية التعثر مرده أن طابخي تلك الوجبة السودانية _ الإسرائيلية كان يهمهم إنجازها من دون دون أن يعينهم أنها منقوصة الإستواء وقليلة المطيبات، وإستندوا في ذلك إلى أن في تاريخ الطيف العسكري _ السوداني خطوة تمت وكانت عملياً اللبنة الأولى على طريق التطبيع مستقبلاً، وتتمثل في أن نظام الرئيس العقيد جعفر نميري (الراحل) الذي يشغل مدنيون مراكز فيه لهم دور في صنع القرار السياسي والسيادي بوجه خاص، يسّرت أمر ترحيل الفالاشة إلى إسرائيل (يناير/ كانون الثاني 1985) وأن النظام صمد سنوات بعد ذلك ولم يسقط بفعل ذلك الفعل الفالاشي، وإنما بفعل الضغط الشعبي والحزبي لدوافع متصلة بالوضع المعيشي والتفرد في السلطة.

لم تقر الإدارة الأميركية الوضع السوداني على ما تنبغي أن تكون عليه القراءة. إعتبرت أن الوضع المعيشي الذي من أجله حدث الحراك الذي أسقط نظام الرئيس عمر البشير هو مفتاح بوابة إضافة السودان إلى التطبيع مع إسرائيل، وأن ما لا يؤخذ بالرضى المبالغ يتحقق بالإقناع ثم بتعليق سقف الشروط. وما دامت الكلمة الحاسمة نسبياً في السودان هي للطيف العسكري وأن

رمز هذا الطيف بالخطوة الأوغندية إرتضى التطبيع من حيث المبدأ، فإن تعليه الشروط بحيث يسبق التطبيع رفع العقوبات أو يتلازمان معاً يمكن أن تثمر ويخطو النظام السوداني الخطوة التالية مكرهاً بسبب الوضع المعيشي المتدهور والذي زاده تدهوراً كارثة السيول من فيضان نهر النيل غير مسبوق غضبه بهذه الحدة منذ أكثر من نصف قرن، وليس بدافع ثقة بالنفس جزاء نصر عسكري مبهر كالذي إرتبط بالرئيس أنور السادات يوم 6 أكتوبر 1973 وإعتبره حيثية موضوعية لخوض تجربة السلام مع إسرائيل على خلفية الإنتصار الذي تحقق وتمثل بتحرير قناة السويس وبإسترجاع سيناء. ويمكن القول هنا إنه لولا إنتصار أكتوبر 1973 ما كان للفعل الساداتي أن يحدث، وكان طعم الاحتلال سيبقى على مرارته في الحلق المصري إلى أن يسترجع الساعد العسكري أرضاً إحلت وكرامة إستُبيحت وقناة هي أهم الشرايين الاقتصادية لمصر أقفلت.

ما يحدث في السودان صراع بين قسوة الوضع ومرارة العيش من جهة وكرامة النفس في المقابل. وفي إستطاعة الإدارة الأميركية بإستباق رفع العقوبات تمهيد طريق أكثر سلامة في إتجاه التطبيع من جانب النظام العسكري _ المدني. أما إشتراط التطبيع وبعد ذلك رفع العقوبات فإنه محاولة إقناع أقرب إلى الإخضاع. وفي هذه الحال فإن التطبيع حتى إذا حدث سيبقى ندبة ولا فرصة أمامه للتطوير نحو أفاق السلام الدائم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 11 أكتوبر (تشرين الأول) 2020

الله الهادي... يا أبو هادي

يتأمل المرء بحسرة في هذا الذبول الذي يعيشه لبنان حيث يحل الموسم الدراسي ولا مدارس كما هو المؤلف، ويشمل إقفال أبواب الصيدليات التي إعتاد اللبنانيون على عبارة "تفتح ليلاً ونهاراً" شعاراً تجارياً لها وتزايد أعداد الأطباء الذين حزموا الحقائب وبدأوا التخطيط لبدائل عمل في عيادات ومستشفيات في أوطان تديرها حكومات صالحة وبالذات في بريطانيا وفرنسا وكندا ودول الخليج. وأما الذين ضاقت بهم سُبل العيش في لبنان فسعي من

يستطيع إلى الهجرة سبيلاً يتواصل بعدما لم ينفع مع من يديرون الأمور العلاج باللغات والإعتصامات، ولا حتى التفاعل مع عظمات تقال في مناسبة قدايس تقام أو صلاة يوم جمعة باتت هي الأخرى صعبة التأدية جماعة. وللمرة الأولى يصطحب المتوجه إلى تأدية الفريضة سجادته معه. كما أن التباعد خلال حضور القدايس بات شأنه شأن إبقاء الكمادات على بعض الوجه. وهذه المفروضات التي هي من أجل إبقاء شرور الجائحة التي حولت معظم حياة اللبنانيين إلى إحباطات من كل نوع لا تتفع فيها المهدئات التي إختفت بعض أصنافها من الصيدليات التي بدورها باتت بين إقبال أو إضراب.

ويتأمل المرء بمزيد من الحسرة كيف أن المصارف أقلت أبوابها خشية نوعين من الإستهداف لها، إستهداف مودعين وضعوا أموالهم على أساس أنها الخزنة الآمنة أو بغرض إستثمار مبالغ يعيشون من فوائدها وذلك لأن ضمان الشيخوخة والعجز عن العمل فعل ناقص في إدارة الدولة لرعاياها، وعندما إحتاجوا إلى سحب ما يفي بمتطلبات وتحويلات إلى أبناء وبنات يتابعون الدراسة في جامعات أميركية أو أوروبية، جوبهوا بإعتذارات واهية لعدم الدفع. وعندما زلزلت الأرض اللبنانية سياسياً وحكومياً ومقاومة وإعتداءات إسرائيلية زلزالها وتوجه اللبناني إلى فرع المصرف الذي يتعامل معه طالباً ما يحتاجه من مال أودعه لكي يزجج ما تحطم من نوافذ ويرمم ما تهاوى من سقوف منزل ويجبر ما تكسر من أذرع أو أرجل، جوبه بالصد لأن تعليمات مصرف الدولة وجّهت بذلك. لا يهم أن يحتج قاصد المصرف ولا يهم أنه في شديد الحاجة إلى بعض ماله أو مدخراته. تلك بدعة، إنتهت ردود الفعل عليها إلى إنعدام ثقة اللبناني بواحد من رموز إزدهاره والنمو المتدرج فيه، التي هي المصارف اللبنانية. وما يروى عن لبنانيين إنتهوا فقراء في بيوتهم أثرياء في المصارف التي يتعاملون معها تصلح كأعمال درامية تبثها الفضائيات.

إلى جانب الحسرة التي باتت حاضرة في نفوس أكثرية اللبنانيين وهم يعيشون حالة ذبول الوطن القريبة الشبه بالساعات الأخيرة التي يعيشها مبتلون بمرض لا أمل في الشفاء منه، تراهم يتابعون عبر الفضائيات أي حال هي عليها مصر وكيف أنها بعدما إرتاحت من هموم المواجهة مع إسرائيل وإبرام سلام معها، من دون أن يلغي ذلك إستمرار الصراع السياسي مع الدولة التي تتباهى بالضم

والإحتلالات على أنواعها، ها هي المحروسة مصر تعيد بناء نفسها: مدن جديدة. عاصمة إدارية جديدة. مئات المولات والمخازن التجارية الكبرى. ألوف المطاعم والمقاهي على أفضل تأسيس. خطة هندسية لإنهاء ظاهرة العشوائيات وبهدف لخصه الرئيس عبدالفتاح السيسي بعبارة فحواها لن يكون هنالك مصري من دون شقة له في مشاريع عمرانية طموحة. جيش في كامل التأهب إذا كان الرئيس أردوغان يبغى أذى بمصر من الخاصرة الغربية وإذا كان الصديق الأفريقي الأثيوبي لن يتقي الله في عناده فيبقى النيل تستفيد منه أثيوبيا رياً وكهربة ضمن واقع الحال البلدان اللذان يجمع النهر الأواصر بينهما ومعهما السودان الذي كلما أبدى حُسن نية مع أميركا ترامب ردت على التحية بما يقوي شأن ننتياهو قضائياً ويضعف شأن البرهان داخلياً. وعندما يتوارى العناد، لا تعود الأوراق الأميركية على موقفها من فرض عقوبات على أثيوبيا التي تعاملت بإستهانة مع صيغة حل إستضاف الرئيس ترمب من أجلها جلسة تشاور إستثنائية في بيته الأبيض ضم وزراء خارجية مصر وأثيوبيا والسودان.. ووزيره بومبيو صاحب الإقتراح الترويض.

وعندما يقارن اللبناني بين ما هي عليه حال مصر وحال لبنان المتختم بالسجالات الوطنية لفظاً المغامية ضمناً بين أهل الحُكم والسياسة والأحزاب بمختلف موزاييك التسميات في شأن مفاوضات ترسيم حدود بحرية مع إسرائيل إستهوت مكاسبها المتوقعة نفطاً وغازاً بعد عمر ربما طويل، فإنه يُكثر من التساؤلات في هذا الشأن. يتساءل مثلاً: لماذا لا ينصهر الطرف اللبناني المتحفظ شكلاً على نوعية التفاوض وسيناريو التحدث مع الطرف المبتهج ببدء التفاوض آخذاً في الإعتبار أهمية التنفيذ العملي بأمل بدء الإنتاج قبل أن ينقضي ما تبقى من زمن الولاية الرئاسية وبحيث يصبح التنفيذ رقماً كاسباً في لوتو التوريث؟

ولماذا لا يتم الإستئناس بالحالة المصرية التي طوت خيار الصراع حرباً مع إسرائيل، مع إبقاء صفحة العمل على إنجاز التسوية الموضوعية والمستندة إلى قرارات دولية قد تتعثر لكن لن تلغيها غواية إدارة أميركية إتخذت من الخطوات والقرارات ما ليس من حقها إتخاذها ووهبتها إلى حكومة إسرائيلية تتعارض أقوال رئيسها كما أفعاله مع ما من شأنه تحقيق تسويات ينشر السلام بموجبها ربوعه على الأرض العربية من مغاربها إلى مشارقها وبينها دول

متواصل للبنان المصارف، وتتزايد أرقام الذين يرممون وجوههم بلاداً تقيهم العوز الذي بدأ يدق أبواب الناس ومخاطر الخوف على جيل الأبناء وجيل الأحفاد... في الزمن إياه وظّف المصريون الدولة والشعب صيغة السلام الذي يصون البلاد والعباد أعقل توظيف. وهذا ما كان ضميرياً مأمولاً حدوثه في لبنان بحيث يتم توظيف الانتصار على إسرائيل بما يخدم لبنان الشعب والوطن وليس تجبيره للمشروع الإيراني الذي أودى بلبنان إلى الأحوال التي هو عليها فيما الدولة المصرية في الوضع المستقر نظاماً وشعباً لأنها وظفت الانتصار من أجل السلام الذي تكراراً لا ينهي صراعاً بالحرب ولكنه ينتج التعويض المجزي لمصلحة أصحاب الحق. والله الهادي.. يا أبو هادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2020

السلام قضية... وليس "أوت لت"

هذا الذي أصاب المسؤول الفلسطيني صائب عريقات الذي بحوزته أهم الإضبارات البالغة الحساسية والسرية للحقبة العرفانية _ العباسية، وكيف أن دقة وضعه الصحي ومن دون أن يتوقف رئيسه عند هذا الجمود في التواصل مع الحكومة الإسرائيلية، أوجبت نقله إلى مستشفى "هداسا" في القدس المحتلة على أمل معالجة أطباء إسرائيليين لوضعه الصحي الدقيق، دُكرتني بما كنتُ أقرأه في صحف مصرية ولبنانية قديمة تركها الجد ثم الأب بعد الرحيل في أرفف البيت، عن التواصل بين مصر وفلسطين وكيف أن حركة السفر بالسيارات و"القطار الفلسطيني" كانت نشيطة لا تقتصر على التجار والفنانين والذين يرومون زيارات إلى لبنان وسوريا ومثلها زيارات لبنانيين وسوريين إلى فلسطين ومنها إلى مصر، وإنما تشمل مرضى في حالة صحية دقيقة يمكن لأطباء في فلسطين علاجهم وبصرف النظر عما إذا كان هؤلاء الأطباء من اليهود أو البريطانيين أحفاد أجداد الذين إحتلوا فلسطين، أو من الفلسطينيين الذين تعلموا في ظل الإنتداب البريطاني.

هذا الإستعلاج ل صائب عريقات كان يُفترض أن يتم

الخليج التي بدأ بعضها يرى في الصيغة المصرية للصراع مع إسرائيل أسلوب تعامل يأخذ في الإعتبار ما يُرسم من خرائط وتسويات على مستوى العالم. ومن شأن إلقاء نظرة على ما جرى بين مصر وإسرائيل نرى أنه على رغم مرور ثلاثة وأربعين عاماً على السلام المصري _ الإسرائيلي ما زال يفقد إلى ما يجعل هذا السلام حالة شعبية بمعنى القبول عن إقتناع به وليس مجرد تفاهم بين دولتين قضى بوقف الصراع حرباً بينهما. لا علاقات على الصعيد الشعبي ملحوظة بل تكاد مفقودة. وأما على المستوى الرسمي فإنها قائمة على قاعدة ثابتة من التحفظ. لا لقاءات على مستوى القمة. وإذا حدثت زيارات فلمناسبات يفرضها واجب العزاء، على سبيل المثال تلك التعزية من جانب الرئيس مبارك بإسحق رابين في تل أبيب الذي من بني قومه إغتيل. وفي المقابل هنالك حيوية ملحوظة في العلاقة على المستوى الرسمي بين الدولة المصرية والسلطة الفلسطينية وإهتمام نوعي في إحتواء خلافات بين القوى الفلسطينية. كما لا خروج بل ولا تساهل كما سائر الدول العربية بمن في ذلك الدول الخليجية التي أخذت بصيغة التطبيع المصرية إقتباساً، في موضوع الحق الفلسطيني دولة مستقلة عاصمتها القدس. وتكاد لا تمر مناسبة كلامية إلا ونسمع مثل هذا العهد يأتي من كل صوب عربي مع تتأقل في قوله من جانب أهل الحُكم في لبنان الذين يتناسون أن صيغة "مبادرة السلام العربية" ولدت في لبنان، ولن يذويها الهوى الإيراني.

وهنا نرى أن لبنان كما مصر مبرأ إذا هو طُور مسألة "التفاوض البحري". فكما مصر إستندت في صيغة السلام إلى أنها حققت إنتصاراً على إسرائيل في حرب أكتوبر 1973، فإن لبنان حقق ومن خلال مقاومة "حزب الله" وعدة حركات مقاومة نصراً نوعياً تمثل بإجبار القوات الإسرائيلية على الانسحاب من لبنان.

ما يراد قوله إن مصر وظّفت إنتصارها بحيث بدأت تعيد البناء تزامناً في الوقت نفسه مع تنشيط حركة التجارة والمشاريع السياحية والإنتتاح على العالم الخارجي وتعزيز علاقات لمصلحة مصر الوطن والشعب، مع عدم التساهل في الثوابت الوطنية والعربية التي كادت موجة إخوانية عابرة تعصف بها ثم أمكن بثبات تداركها.

وفي الزمن الذي يتسع في لبنان هامش الكساد تجارة وسياحة وطبابة وأدوية وصحافة وعمراً ومعهما ذبول

الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي عاش قبل ست عشرة سنة كما صائب عريقات وفي الشهر نفسه (27 أكتوبر/ تشرين الأول 2004) حالة صحية دقيقة، إلا إذا كان مؤكداً ما تردد من جانب أكثر من جهة أن تسميماً بطيناً أصابه مصدره جهة إسرائيلية وبغرض إنهاء زعامته للشعب الفلسطيني كان وراء تلك الأزمة الصحية الحرجة التي لم ينج منها خلال أسابيع علاجه في فرنسا ورحل وهو في المستشفى الباريسي صبيحة يوم الخميس 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2002. ندعو له بالرحمة ولا صائب عريقات بالتعافي.

ما نريد قوله من هذه المقاربة أن حالة من التفهم الإسرائيلي من شأنها جعل التعايش راسخ الأسس في إطار دولتين على أرض فلسطين مع إعلانهما من دول الحيادة، أو في الحد الأسرع تنفيذاً إعلان الكيان الفلسطيني دولة محايدة وذات مسحة مزارية دينية بمعنى أنها للدليان الثلاثة تلقى الحماية والرعاية والضمانة والتدعيم من الدول العربية ودول الغرب المسيحي ومن الكيان الإسرائيلي واليهود في دول العالم قاطبة. وفي هذه الحال لا يعود إستعلاج صائب عريقات على أيدي أطباء إسرائيليين أمراً مستهجناً. كما كان لن يعود عدم نقل ياسر عرفات من سرير المرض في رام الله إلى سرير العلاج في "هداسا" أو غيرها أمراً هو الآخر من المستهجنات.

مثل هذه الصيغة لفلسطين أرضاً من دولتين لشعبين لم تجترحها العبرية البريطانية في الزمن الغابر.. زمن جورج الخامس وإنتداب المملكة التي لا تغيب عنها الشمس، لفلسطين التي يالقداحة ظلمهم أهدها بموجب وعد لليهود (وعد بلفور 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917) بدل أن يكونوا عادلين فيستبقوا بعد ذلك في الأربعينات وهم المجلون في التخرجات السياسية، المبادرة المتوازنة التي وضعت المملكة العربية السعودية ملامحها في القمة العربية في مدينة فاس (9 سبتمبر/ أيلول 1981) وبما عُرف بـ "مشروع الملك فهد" ثم صيغت الملامح بعد ذلك بعشرين سنة بمبادرة تبقى من حيث النظرة الموضوعية لواقع الحال أفضل الممكن علاجاً للصراع العربي _ الإسرائيلي، فضلاً عن أن تلك المبادرة التي طرحها بإسم المملكة إجتهداً شخصياً غير ملزم وبإسم العالم العربي تعبيراً بهدف التنبئ الملك عبدالله بن عبدالعزيز (كان ما زال ولياً للعهد) كانت من أجل الإنتقال من الصراع حروباً إلى السلام واقعاً يجيز الصراع السياسي بكل أنواعه. وهم

لو في الزمن الذي مضى إعتدوا جوهر هذه المبادرة لكان الشرق الأوسط يعيش في منأى عن هذا الصراع الذي لن تحسم أمره مجرد حالات من التطبيع الخاضعة للإختبار في ضوء ما يراه نتتياهو في هذه الخطوة الإماراتية _ البحرينية الناشئة المحاطة بالكفيل الأميركي الشاهد على كل التفاصيل كي لا يتملص الإسرائيلي من جوهر الخطوة ويعتبرها فتحاً، على نحو ما قاله نتتياهو مبتهجاً، وهو يزور يوم الإثنين 19 أكتوبر/ تشرين الأول الرصيف الذي ترسو فيه سفينة شحن وصلت من الإمارات في إطار إتفاق الرحلات المتبادلة جواً وبحراً، بأن إسرائيل "كانت سابقاً بمثابة طريق مسدودة كان يمكن الوصول إليها من جهة الغرب فقط والآن تتحول إسرائيل إلى مفترق طرق رئيسي بحري وجوي ويمكن السفر الآن جواً إلى جميع الإتجاهات فإسرائيل تشكّل مفترق طرق جويّاً وريّاً وبحريّاً وتكنولوجياً وتجاريّاً وإنسانيّاً. هذا حقاً يوم تاريخي فهذه هي ثاني زيارة لسفينة من دبي ترسو في ميناء حيفا...".

الإكتفاء بهذه النظرة ليس لمصلحة تطوير الخطوة، بل ليس لمصلحة صمودها تصوير نتتياهو عند زيارته الإبتهاجية رصيف الميناء الحيفاوي الذي رست فيه السفينة التي أبحرت من دبي عاصمة التجارة والأعمال والسياحة في دولة الإمارات، الأمر وكأنه "أوت لت" بمعنى السوق المتوفرة فيها البضاعة والسلع الجيدة بأسعار مخفضة. وتقييمه واضح في هذا الشأن وبالذات قوله "نقف على متن السفينة التي وصلت من الإمارات وعليها الكثير من الحاويات. سألت ماذا يوجد داخل هذه الحاويات؟ فقالوا لي إنها تحتوي على الكثير من الحلويات العربية وعلى غسالات. وهذا يخفف أسعار الغسالات الآن. كما فيها أدوات كهربائية ومواد غذائية، وكل ما سيصل إلى هنا سيخفف غلاء المعيشة، وكل مواطن إسرائيلي سيشعر بذلك في جيبه. هذه هي ثمار السلام التي تستمتعون بها الآن، أيها المواطنون. ليس في المستقبل، بل الآن. لأن هذا هو السلام الدافئ، السلام مقابل السلام والإقتصاد مقابل الإقتصاد. نربط دولة إسرائيل بشريان بحري يجلب لها بضائع ومنتجات أرخص بجودة عالية. هذا جيد لكل مواطن".

وما نريد قوله أيضاً إن السلام قضية وصدق في النوايا. وما هو منتظر من إسرائيل إبداء حُسن النية، وهذا حتى إشعار آخر لن تتضح معالمه بالتدرج إلا بعد أن

تنتهي المعركة الانتخابية الأكثر شراسة وغرابة في الحياة الرئاسية الأميركية. ونقول ذلك على أساس أن ما جرى حتى الآن هو خطوات متأنية ومدروسة من الجانب الإماراتي والجانب البحريني. بل يمكن القول إن هذه الخطوات ما زالت في الإطار الدبلوماسي والإقتصادي والخبرات على أنواعها في مجالات السفر البحري والجوي وكذلك في خطط وأفكار ومشاريع إقتصادية وعلمية وزراعية، ولم تبلغ بعد مستوى القرار السيادي الأعلى. ومن الجائز القول إن ذلك البلوغ يكون بعد أن يُحسن رئيس وزراء إسرائيل قراءة التمسك العربي بالحق الفلسطيني من جانب الدول العربية كافة دون إستثناء سواء من أبرم إتفاق سلام ماضياً ومن طُبّع حديثاً ومن لم يطبّع بعد أو قد لا يطبّع إلا بعد أن يكون السلام قضية ذات ثوابت وليست كما يراها الطرف الإسرائيلي مجرد "أوت لت"، وهذا عندما يرى أن حسم القضايا الخلافية ليست ببذعة التعليق بدلاً من الإلغاء لخطوات خاطئة وغير قانونية جملة وتفصيلاً أرضاً كانت أو بناء المزيد من الوحدات السكنية. وإذا كان ننتياهاو لن يتعظ ويقرأ الموقف بغير قراءته حتى الآن فإن على "سلام إبراهيم" شالوم. والخاسر في هذه الحال من لم يقرأ الرسالة بتعل ومن لم يرد على التحية الخليجية بمثلها.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2020

جموح أردوغان بين الوجد الفرنسي والتبصر الألماني

أدخل الرئيس رجب طيّب أردوغان إلى أدبيات التخاطب بين أولي المقامات الرئاسية عبارات وأوصافاً وتصنيفات مفقودة الود والتزام الحدود، سبقه في هذا الابتكار الرئيس دونالد ترامب. فكما نال المنافس الأكثر رقياً في انتخابات الرئاسة الأميركية جو بايدن من نعوت رماه بها منافسه دونالد ترامب، فإن بايدن مسوّق المخطط المريب لتقسيم العراق في زمن كان يتولى فيه منصب نائب الرئيس أوباما، وحمداً لله أن العراقيين تنبهوا ولم يأخذوا بالمبتغى التقسيمي ذاك، لم يقصّر في حق ترمب.

ولطالما أُلّفنا في العالم العربي سماع كثير من النعوت غير اللائقة من بعض حكام زمن الستينات يبيثونها من دون أن يرف لأحدهم رمش، عبر الميكروفونات في مناسبات إحتفالية أو مهرجانات شعبية من نوع مهرجانات باتت من نوعية التراث الكوبي حيث كان الزعيم التاريخي للدولة التي كادت تشعل الحرب العالمية الثالثة، يستمر خطيباً لمدة ساعتين أحياناً من دون سيكاره رفيقه الدائم.

قد تكون توصيفات الرئيس ترمب لمنافسه بايدين أدخلت بعض مشاعر السرور في نفوس قطاعات من الجمهوريين في أكثرية الولايات فارتفعت بذلك درجة حرارة الميزان الشعبي الترامبوي. وقد تكون توصيفات الرئيس أردوغان للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أشعلت حماسة لدى نواب حزب أردوغان فوقوا بصفقون طويلاً وبحرارة له. لكن هذه التوصيفات في مجملها أضرت بمن أطلقها، ذلك أن بايدين الذي ينافس نيابة عن أميركا الحزب الديمقراطي دونالد ترمب الجمهوري المتطلع إلى أربع سنوات أخرى تقيه من إجراءات كثرة ملفات قد يتم فتحها في حال بات مواطناً كسائر المواطنين لا تخفف من وطأتها ترتيبات المنصب القضائي الأعلى في الولايات المتحدة محاولات الخصوم الثأر منه، ليس نعتاً وإنما هو مستيقظ وفي الوقت نفسه لا يفارق المنبه الانتخابي صولاته وجولاته. وفي المقابل إن ماكرون خصه الخالق بعقل نير وغير مسكون بعقدة صدمة زعامية كتلك التي مُني بها أردوغان في إسطنبول زائداً الإحباط الناشئ عن إخفاق مشروعه الإستيطاني في سوريا. وإذا فإن الذي يحتاج إلى صدمة تنبيه له هو أردوغان وليس ماكرون.

وقد تكون خسارة أردوغان لبلدية إسطنبول، وبالذات بعد جولة الإعادة، ما زالت حاضرة أيضاً في حراكه الذي يتسم بالعشوائية. وهو عندما حاول معالجة جرح الخسارة بتحويل متحف آيا صوفيا يوم 24 يوليو/تموز 2020 إلى مسجد غير آخذ في الإعتبار بأن تحويله من مسجد في زمن فتح القسطنطينية إلى متحف في زمن الإستقلال الأتاتوركلي كان من ملامح التوجه العلماني، وغير عابئ بمشاعر وجدانية أرثوذكسية ثم كاثوليكية بردود الفعل اللائمة على هذه الخطوة التي كانت تحتاج إلى بعض التأمل، فإنه يمم الوجه غازياً ليبيا وبالأسلوب نفسه ل غزوة صدام حسين لدولة الكويت التي كانت إحدى رافعات النقل المادي والإعلامي عنه طوال سنوات الحرب مع إيران غارساً في الأرض الخليجية بذور حالة من الحذر

وفي العلاقات العربية تشققات أسست بالتالي لنمو الشعور الإقليمي متقدماً على الشعور القومي... فالجنوح السلمي الطبيعي خطوة.. خطوات.

في ضوء الفعل الصدامي وكيف أن حُلْم صدام حسين بـ "دولة العراق العظمى" بإعتبار وصول غزوته للكويت إلى ما تصور حدوثه، كان حرياً بالرئيس أردوغان قراءة واقع الحال بالكثير من التنبه، فلا يتصور أنه بإخراج الأواصر العثمانية العابرة في بعض الدول العربية من إضبارة طواها الزمن يستملك مستندات لحقوق يستردها بضخ السلاح والكلام والمستشارين. وأما عنصر التدخل الميداني فمن خلال مرتزقة وذلك لأن ليس له كما حال إيران، الحزب أو الميليشيا. ومن ليبيا تطل اليد الأردوغانية تونس. ومن خلال الإستحواذ على ليبيا يتناول على اليونان وعلى مصر ويهز إستقرار قبرص ويواصل وجوداً غير شرعي في سوريا ثم يضرب الضربة الكبرى التي هي التأهب لغزوات أوروبية. من هنا جاء الموقف الذي إتخذه الرئيس ماكرون وذلك لأن فرنسا ذات خصوصية غير موجودة لدى دول أخرى من القارة العجوز، حيث أن النسبة العظمى من الخمسة ملايين مسلم الذين هم الجناح المسلم من فرنسا الكاثوليكية ذات الستين مليوناً هم من السنة، وهذا يبسر له أمر توظيفهم مع الوقت كـ "لوبي" يحقق من خلاله مشروعه العثماني.

لم تؤذ فرنسا الماكرونية بشيء تركيا الأردوغانية. لفرنسا موقف إنساني من الإبادة التركية للأرمن، لا يقتصر عليها وحدها. وبدل عبارات إساءة للذات الماكرونية كان يمكن للأمور أن تحل ببعض المسابيرات، مثلما كان من الأفضل عدم إستعمال الصور المسيئة جملة وتفصيلاً بحق الذات الرسولية ذريعة يوظفها أردوغان بما يتبين أنها لا تقيد في تدعيم مخططة العثماني كما أنها تضر المسلمين الذين يعيشون في الكثير من العواصم والمدن والبلدات في دول أوروبا. ثم إن من حق ماكرون أن يتخذ من الوسائل والقرارات التنظيمية التي تجعل المسلم الذي يعيش في فرنسا عربياً كان أو أفريقياً أو أسبانياً تحت خط القانون وإعتبار التقاليد والثقافة والحجاب كما الأمن والسلامة خطوطاً حمراء. من هنا لماذا هذه الهجمة التهجمية عليه. وهل يترك فرنسا ويترك كذلك بقية قادة دول أوروبا الأبواب مشرعة أمام حملة السكاكين المستعدين بسبب تثيرهم الخاطيء إلى إعتدال النحر وسيلة إنتقام بديلاً لأسلوب الحوار.

لكن في السياق نفسه هنالك مسؤولية يتحملها الرئيس ماكرون وكل من سليله، كما كان يتحملها من سبقوه ولم

يتنبهوا لها، وهي توعية أصحاب الأقلام والريشة والحنجرة الصادرة من أنه عندما تكون الجمهورية الفرنسية ذات دياننتين رئيسيتين المسيحية والإسلام ويكون هنالك خمسة ملايين فرنسي مسلم باتوا جزءاً من النسيج الاجتماعي، فعندها لا تعود حرية الرأي تتقدم على الحساسيات الدينية. وبالتالي لا يعود من المناسب من أجل سلامة المجتمع وإستقرار كيان الدولة، أن تكون ريشة رسام كاريكاتور تعلو على سلامة وطن كما لا يعود من حق أستاذ مدرسة أن يتفكهن أمام طلابه. وهذا أمر تحدده إستراتيجية مكتملة بمعنى أنها لا تقتصر على تنظير لـ "الإنفصالية الإسلامية" أو "الإسلام السياسي" و "الإسلام الراديكالي"، وإنما أيضاً مواءمة متعقطة بين حرية إبداء الرأي والخشية من أن يكون الرأي الحر هذا قولاً أو رسماً فتياً قابلاً للإشتعال ناراً في كنيسة أو للنحر رقاباً في مدارس.

ومن باب التذكير الذي قد ينفع فإن المستشار أنغيلا مركل وافقت يوم الجمعة 15 نيسان/ أبريل من العام 2016 على طلب الحكومة التركية مقاضاة الفنان الكوميدي الألماني يان بومرمان الذي كان ألقى خلال برنامج بثته شبكة تلفزيونية عامة قصيدة بذينة في شأن أردوغان.

فعلت ميركل ذلك لأنها كريمة الأخلاق وتترك مصائر الغول في مسألة حرية الرأي وإلى درجة مس كرامات الناس رؤساء مثل أردوغان كانوا أو مواطنين أسيء إليهم.

هكذا تصرفت ميركل مع أن طرف القضية المستهزأ به رئيس دولة. كيف لا يحذو الرئيس ماكرون حذو المستشار البعيدة النظر، مع أن الإساءة التي ألحقها مجلة تحتمي ببقاليد حرية التعبير وإبداء الرأي، كانت بخير الأنام الذي من سوء حظ الرئيس ماكرون أن تنظيراته المعطوفة على ما أصاب المدرس الفرنسي المبتهج بإحدى الرسوم الرسولية، تزامنت مع ذكرى المولد النبوي. وهذا جعل أردوغان يزداد أردوغانية وجعل كثيرين من المسلمين يتأثرون. والفرصة مناسبة أمام الرئيس ماكرون لتعزيز إستراتيجيته الإسلامية في معالجة الحالة الإسلامية التي أصلاً هي موضع إنشغال بال في الدول العربية والإسلامية عموماً. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020

من حال إلى حال

لم يحدث أن إنشغل البال العربي بمصير إنتخابات رئاسية تجري في بعض دول تتداخل مصالحها مع مصائر سياسات وكيانات في العالم الثالث ومنها العالم العربي في شكل خاص، كإنشغال البال بالإننتخابات الرئاسية الأميركية يخوضها بعزيمة غير مألوفة جو بايدن (الديمقراطي) ودونالد ترامب (الجمهوري) الذي يتطلع إلى ولاية ثانية كذلك التي نالها الجمهوري الآخر جورج بوش الابن الذي جاء فوزه يثأر لإخفاق مُني به والده الذي خطف منه الديمقراطي بيل كلينتون التمتع كرئيس بما إعتبره أمجاد حرب حررت الكويت من غازيها الصّدّامي وأدخلت عراق ذلك الغازي في أتون إحترايات أهلية من كل نوع ما زالت غير مكتومة الأنفاس إلى أن يحقق سعي الرئيس مصطفى الكاظمي الآمال بالإمساك بكافة مفاتيح الاستقرار وحُسن العلاقة مع الجيران ودول العالم عموماً نازعاً الأقفال الألغام واحداً تلو الآخر.. وإلى أن يهدي الله "شعوب" بلاد الرافدين إلى نعمة تستحق شعوب لبنان المستقوى عليه الحصول عليها، ناهيك بـ "شعوب سوريا" و "شعوب ليبيا" و "شعوب اليمن".

على مدى سنوات الولاية الرئاسية الأولى كانت للرئيس ترمب فتوحات وإجتهادات تجاه قضايا عالقة. وكانت له إختراقات جريئة لجدران علاقات غير محسومة سواء مع كوريا الشمالية أو حتى مع الصين، فضلاً عن تسجيل مواقف متعالية تقبلها بعض رفاق الدرب الأطالسة بنسبة من المرارة، لكن هذه كلها هي الجزء البسيط من الشأن السياسي الذي يشكل عنصر ثقة مفرطة في أن يتم التجديد لرئاسته بل وربما التأسيس لحقبة طويلة من بقاء الولايات المتحدة برئاسات جمهوريين. وهذا الشعور عكسه بنفسه حيث أنه خاض السباق الرئاسي ومن قبل الإنطلاق بأسابيع ليس بأسلوب الواثق بنفسه من أن الفوز يمكن أن يحالفه، وإنما الإصرار على أنه يجب أن يفوز وأن من واجب الشعب الأميركي الناخب أن يختاره رئيساً لدورة ثانية.. وإلاً يترك أميركا بدافع الإحتجاج أو لدواعي احتسب مفاعيلها. كما أعطى من خلال عبارات في مناظرات أو من خلال تويتراته الشهيرة إنطباعاً خلاصته أن الولاية الرئاسية الثانية ساعية إليه وسيتقبلها برحابة. وهو في ذلك كان على درجة من التعالي وعلى ثقة في الوقت

نفسه أنه لن يكتسب فقط أصوات الجمهوريين وإنما أصوات قطاعات عريضة من (الديمقراطيين).

هذا الفيض من الثقة بالنفس وإلى حد التعالي لم يتكون نتيجة إنجازات داخلية حققها وإنما بفعل الورقة العربية التكوين التي توفرت له يوم تعزز شأنه في ضوء تلك القمة العربية _الإسلامية غير المسبوقه التي إستضافتها الرياض يومي 20 و 21 مايو/ أيار 2017 وكانت مشاركته فيها أول زيارته الخارجية، بل إن مردود تلك الزيارة شجعه على المزيد من الزيارات الصعبة أسويماً كانت أو أوروبية، ولم تتعقد تلك القمة من أجل رد جمائل مواقف إتخذها وإنما لتدعيم شأنه وتقبل الأمتين برحابة لوجه غير سياسي ومن مجتمع رجال الأعمال المجلين رئيساً للدولة العظمى ذات الكلمة ثلاثة أرباع الفصل في المصائر الكونية حروباً أو سلاماً أو مشاريع تسوية. كما كانت بمثابة رسالة لم تتحقق لرئيس أميركي من قبل وخصوصاً أنه في سنته الرئاسية الأولى، أراد الملك سلمان بن عبدالعزيز منها القول للرئيس ترمب وبإسم قادة الأربع والخمسين دولة عربية وإسلامية: ها أنت في حضرة من يمثل شرعية الأمتين العربية والإسلامية، وتلك هي الأحوال الشائكة والعالقة التي في إستطاعة الولايات المتحدة معالجتها من خلال سياسة تميز بين الحق والباطل وبين المعتدي والمعتدى عليه وبين المتطلعين إلى السلام وأولئك الذين يمتنون العدوان على الآخرين.

طوال ثلاث سنوات تزايدت الأحوال الشائكة أشواكاً وبقيت كفة الباطل أعلى، كذلك كفة المعتدين. وفي الوقت الذي تزايد الإلتفاف الشعبي في الولايات المتحدة حول ترمب نتيجة عوائد تركيز منه على العلاقة مع الإقتدار العربي الذي له الدور النوعي في تقادي نكسات نوعية في المجال الصناعي، الإستراتيجي منه بنوع خاص، فإن المأمول من الإدارة الترمبية الإقدام عليه لم يأت وإنما الإكتفاء بجولات لوزير الخارجية بومبيو لا تثمر أفعالاً، وإجراءات عقابية مالية لا تحسم مواقف، وإبتداع صيغة للسلام في المنطقة لم تكتمل فصولاً كون الطرف المعطل للسلام بقي على تعطيله. تلك هي "الإنجازات".. إلا إذا كانت تصفية قاسم سليمانى بإستهداف وأسلوب يختلف عن إستهداف أسامة بن لادن في زمن أوباما، هما ما يعتبره الرئيس ترمب بعد أوباما "إنجازات" العصر.

من هنا فإن إنشغال البال العربي بالإننتخابات الرئاسية الأميركية ليس لأن جو بايدن أفضل من دونالد ترمب

الرئيس ترمب. وإلا فسيبقى إنشغال البال العربي على حاله. فما بين غمضة عين والنقائتها.. يغير الله من حال إلى حال.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020

ما فعله الكاظمي ولا يفعله بشار

من الخطوات التي تبعث الطمأنينة في النفس العربية أنه في الوقت الذي ما زالت أحوال سوريا على السوء التي هي عليه وأحوال لبنان تسير من السيئ إلى الأسوأ ولا يبدو في الأفق ما يحسم أمر صراع في ليبيا وصراع عليها، يسجل العراق خطوة متقدمة نوعية مع المملكة العربية السعودية هي ليست لخير البلدين فقط وإنما لخير الأمة طمأنينة وتعاوناً وسلاماً وإستقراراً وتنمية، وعلى قاعدة الثقة المتبادلة والنأي عن الأطماع والإحتواء والمحاور.

ومع أن الخطوة العراقية هي الأحدث في خطوات بطيئة التفعيل سبقتها، إلا أن أهميتها في خليجيتها بمعنى أنها تبدو وكما لو أن العراق بات مثل الذي ينطبق عليه القول "رب أخ لك لم تلده أمك"، أي بما معناه أن العراق هو سابع الأشقاء في مجلس التعاون الخليجي بصفة فخرية ربما تؤسس مع الوقت إلى ما هو المفترض حدوثه بعد أن يحسم أمر دوره وعلاقاته. وقد لا يبدو مستبعداً أن يأتي يوم نرى فيه تطويراً نوعياً لـ "مجلس التعاون الخليجي" بحيث يتجاوز واقعه الراهن وينطلق التعاون بتسمية جديدة وبإمكانية إنضمامات لاحقة إليه. ونحن هنا لا نتحدث عن إستحالات. ألم يجزِ الحديث في الكواليس عن صيغة تتيح المجال أمام إنضمام مصر إلى المجلس إنما بطريق الذين يعملون أساتذة زائرين في الجامعات لكنهم ليسوا من صُلب هذه الجامعات والإلتزام بقوانينها.

هذا أمر سابق لأوانه، بمعنى أن يكون المحتمل إنشاؤه حلف على نحو الصيغة الأطلسية التي تضم دولاً بأنواع من اللغات والديانات يفصلها عن الدولة الأعظم الولايات المتحدة المحيط الأطلسي. وفي هذه الحال لا تعود هنالك إستحالات أمام دول مشارقية أو مغربية من الإنتساب وتصبح الجامعة العربية في هذه الحال مجلس شورى

بالنسبة إلى القضايا العربية والإسلامية، كما تبين في ضوء السنوات الأربع الماضية أن ترمب ليس أفضل من جو بايدن، وإنما لأن التميز هو بين من لم يثمر العطاء له وبين من ليس من المصلحة القومية والوطنية الرهان بالمثل عليه. وما دامت باتت الولايات المتحدة منقسمة وربما تزداد إنقساماً فإن التعامل المطمئن الذي لا ينتج صدمات هو أن يأخذ مساره الواقعي في ضوء ما أوجزه الملك سلمان بن عبدالعزيز للرئيس باراك أوباما خلال زيارة الرئيس الأميركي إلى الرياض يوم الأربعاء 2 سبتمبر/أيلول 2015 ومحادثاته في اليوم التالي مع الملك سلمان وولي العهد الأمير محمد وكذلك مشاركته في قمة عقدها قادة مجلس التعاون الخليجي وتشاور قبل مجيئه إلى الرياض من أبو ظبي مع ولي عهد دولة الإمارات الشيخ محمد بن زايد في شأنها كما في شؤون كثيرة مستقبلية. وأما الإيجاز من جانب الملك فكان قوله "إن علاقة الرياض بواشنطن مفيدة للعالم". وعلى اللبيب أن يفهم الكلام يأتي بصيغة ما قل ودل من كبير أمتيه، سلمان بن عبدالعزيز.

وبالعودة إلى مسألة إنشغال البال نشير إلى أن المتابعة وعلى مستوى العالم العربي للأيام الانتخابية الأميركية كانت غير مسبوقة، وكانت في بعض مراحلها مثل متابعة مباراة كرة قدم بين فريقين لكل منهما بطله المتفوق ماسي أو محمد صلاح لجهة تحقيق أهداف في شباك الفريق الآخر. بل حتى وصل الأمر إلى من يراهن كما من يتحزب للرئيس المرشح ترمب أو للنجم (الديمقراطي) جو بايدن الحالم وغير النعسان بمنصب الرئيس وهو الذي ذاق سابقاً طعم نيابة الرئيس وعایش أي حلاوات لمذاق ذلك المنصب.

هذا على صعيد الناس العاديين. أما بالنسبة إلى الذين في رحاب السلطة والحكومات فهؤلاء كانوا يتابعون المشهد الانتخابي المثير بدرجة من التنبه وفي الوقت نفسه يفترضون نتائج تستوجب إعادة قراءة متأنية في ضوء تقلبات في المواقف وحالات من عدم رد الجمائل حدثت. وبطبيعة الحال لن تكون الأحوال العربية _الأميركية بدءاً من 2021 كما كانت عليه بدءاً من العام 2017 في ظل رئيس إحترنّا في أمر إغراقه إسرائيل نتياهاو بحقوق شعوب وأوطان وعندما حانت لحظة الرد على الجمائل فإن ما أصاب ترمب من أكثرية يهود أميركا ومن بنيامين المتخم بهدايا صديقه حتى نهاية الولاية الرئاسية الأولى هو ما أصاب سنمار. وأما القصر فللساكن الجديد الذي نتمنى أن يكون بأفعاله نقيض

عربي يضم أصحاب التجربة السياسية والفكرية والأمنية والإقتصادية والعلمية يمد الحلف بالرأي والرؤى.

أهمية الخطوة العراقية الجديدة أنها مفعمة بالحماسة والإقتناع لتعويض ما فات والتأسيس لعهد جديد متين الأسس. ومع أن الخطوات التي سبقت ومنها ما يتم بالتطمين وإبداء حُسن النوايا وعدم ترك ممتهني توتير العلاقات يمارسون اللعبة المذهبية وإيغار الصدور وتتنوع المخاوف، إلا أن تلك الخطوات كانت تحتاج إلى من يعززها إيماناً بضرورتها قبل الإنشغال بمكاسبها وحسم مسألة إستقلالية الخطوات وتحييدها. وحيث أن ظروف العراق كانت على درجة من الارتباك فإن تفعيل تلك الخطوات جرى بطيئاً نسبياً وكانت الجيوب السياسية والحزبية الإيرانية الهوى ترأقب بالكثير من الحذر هذه الخطوات وتحاول عدم تطويرها. وبقيت هذه الحال قائمة إلى أن حدثت صحوه نوعية في العراق بعدما أوجبت الإضطرابات الداخلية من جهة وعدم إستقامة المعادلة في العلاقات العربية والإقليمية ثم في الوقت نفسه حنين قوي من جانب الناس إلى فضائهم العروبي، التوافق على أن يترأس الحكومة العراقية من في إستطاعته عدم تحدي الولايات المتحدة وطمأنة النظام الإيراني إلى أن العلاقة الجيدة للعراق مع الأشقاء العرب والعلاقة المتوازنة مع الولايات المتحدة وسائر الدول الكبرى من شأنها أن تشكّل جسر حوار للنظام الإيراني غير قادر من خلال تصلبه وخطاب حرسه الثوري على تحقيق هذا الحوار.

في الوقت الذي كان الرئيس مصطفى الكاظمي يواصل عملية الترميم البالغة الأهمية للعلاقة بين العراق والسعودية ويلقى من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وولي العهد الأمير محمد رداً على التحية يمثلها على نحو التعبير التراثي، كان الرئيس بشار الأسد يخطو خطوة غير مكتملة المقومات من أجل إستعادة نصف سكان سوريا التي يترأسها والذين إنتهوا لاجئين ونازحين وفي درجات متفاوتة. ومن الطبيعي أن لا يحقق المؤتمر الذي عُقد لهذا الغرض ما دام شاهراً إنصهاره في خط منحاز تتقاسمه إيران من جهة وروسيا من جهة أخرى.

من هنا القول بصيغة التساؤل: لماذا لا يعتمد الرئيس بشار أسلوب تعامل كالذي إعتمده الرئيس العراقي الذي إذا كان لم يربح كثيراً في حراكه الدولي وبالذات في إتجاه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، فإنه بتسجيل حُسن النية والتصميم على إستقلالية القرار يتخذ وفق معادلة متوازنة

وضع الحجر الأساس للعلاقة التي تبقي العراق دولة تملك القرار الذي يحمي مصالح الشعب ويصون سيادة الوطن. ونقول ذلك من منطلق أن أي جدوى سيجنيها الرئيس بشار من مؤتمر اللاجئين هذا إذا كانت المشاركة فيه مقتصرة على دول يحتاج البعض منها إلى من يعينه في معالجة بلاواه، في حين أن الدول التي تستطيع رفع هذا الضيم عن سوريا وبالذات الولايات المتحدة ودول الإتحاد الأوروبي ودول الخليج ليست مشاركة لأن المضيف الذي هو الرئيس بشار ما زال الشريك الملتزم للنظام الإيراني وينظر إلى الدول الكبرى الولايات المتحدة على نحو نظرة الحليف اللبناني وبالذات "حزب الله" الذي أمطر في خطاب جديد له مساء يوم الأربعاء 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020 من اللعنات على أميركا ورئيسها ما ليس مستحباً قوله فيما لبنان بشعبه وكيانه يرزح تحت ويلات معيشية ونفسية وصحية ومالية غير مسبوقة.

وبالعودة إلى الخطوة النوعية التي حققها رئيس الحكومة العراقية بزيارته الرياض مترئساً يوم الثلاثاء 15 نوفمبر الدورة الرابعة لـ "المجلس التنسيقي السعودي _ العراقي" وما تم توقيعه من إتفاقيات تشمل كل مقومات العلاقة الراسخة الجذور، يتغافل الإنسان العربي بخير الوفاق عله يحل في ربوع أقطار عربية كثيرة من بينها لبنان الذي في الوقت الذي كان رئيس وزراء العراق يثري في الرياض صفحة التعاون بالمزيد من التصميم على إقامة خير علاقة لتثبيت حقبة جديدة من الاستقرار، كان لبنان الذي غاب ذكره عن الخطاب السنوي للملك سلمان في إفتتاح أعمال الدورة الثامنة لمجلس الشورى، ما زال سياسيوه لا يهتدون ولا يشجعون من في إقتدارهم وضعه على الصراط المستقيم هدياً بمضامين إتفاق الطائف الذي من محاسن التذكير لمن يتناسون، أن ذكره الواحدة والثلاثين حلت في اليوم الذي كان يقول الأمير محمد بن سلمان مخاطباً الرئيس الكاظمي "إن السعودية والعراق بلدان متجاوران وكلنا عرب ونتبع نفس الدين ولدينا نفس المصالح ونفس التحديات...". وهذا الكلام قيل بمفردات بالروحانية نفسها للبنانيين قبل ثلاثة عقود. لكن المهم هو من يصغي ويعمل بضمون الكلام وروحيته. والله الهادي إلى سواء السبيل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020

ذكرى طيبة ودعوات مستدامة

المفسدين".

والمحزن في الأمر أن الذين يحاولون إشعال البيوت العربية والإسلامية المستقرة ناراً، هو الجار الإيراني دائماً والجار التركي بين حقبة وأخرى. ومع أن الجارين مسلمان وأن الرسول صلى عليه وسلم خص الجيرة والجار وحسن الجوار بخير الوصية "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ" و"خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره" فإن الجارين نشطا وما زالوا مع خلائهم وميليشياتهم على أفعالهم الميغوضة.

على مدى سنوات لم تهن عزيمة الملك سلمان وبقي على سعة الصدر التي تجعل دوره بمثابة قاطرة لأحوال الأمتين أكثر ثباتاً. وكنا نراه في الوقت الذي يوغل أصحاب المشاريع المعطلة للإستقرار تحرشاً وتعطيل محاولات للتوافق في معظم دول الأمتين، يزداد ثباتاً على المبدئية التي هي إحدى سمائله. كما كنا في الوقت الذي كان أصحاب المشاريع مهتمين بتدريب العابثين ومدهم بالسلاح، كانت قوافل إغاثة الملهوفين نتيجة أفعال الحالمين بخرائط من صنع أهوائهم لديار الأمتين، لا تتوقف في إتجاه الملايين من العرب اللاجئين الصابرين على الضيم الذين باتوا يشكلون ظاهرة اللجوء الجديد بعدما كانت هذه مقتصرة على إخواننا الفلسطينيين، مع الأخذ في الإعتبار أن العدو هنا يختلف. فاللاجيء الفلسطيني هو ضحية العدو الصهيوني الذي يساندته الغرب الظالم من أميركا إلى أوروبا في حين أن اللاجئ السوري هو ضحية حاكمه كذلك اللاجئ العراقي فاللاجئ الليبي. وهنا نشير إلى ظاهرة اللجوء العربي. أما ظاهرة اللجوء الإسلامي فمن النوعية نفسها.

وإذا جاز الإفتراض فإن هؤلاء الملايين العرب اللاجئين المشردين من ديارهم صامدون في وجه الظلم الذي أصابهم، لأن هنالك مَنْ يستعين بالله، ويساعد على مدار أشهر السنة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وهذا هو الدور الذي أنيط بالملك سلمان القيام به وعلى نحو ما كان يفعل إخوته الراحلون وبعض الأحفاد الذي يحفظون عن ظاهر قلب وصايا الجد الذي عرف معنى شظف العيش وعندما لاحت في الأفق بوادر ثراء فإنه أوصى الأبناء بأن تكون عوائد الخير لهم وعدم نسيان من هم في ضائقة... ثم في محنة تحت وطأة جائحة.

وحتى إذا كانت الدعوات لا تصل إلى مسامع الملك سلمان فإن عشرات الألوف من غزة إلى لبنان إلى سوريا إلى

في خطابه الأول له مساء يوم الثلاثاء 10 مارس/ آذار 2015 بعدما كانت تمت البيعة في ظل أجواء من الطمأنينة إلى أن المملكة في ظل سنواته المديدة ستكون على ثبات النهج والعقيدة داخلياً، أكد الملك سلمان بن عبد العزيز على نحو ما ورد في الخطاب لجهة التمسك بالمبدئية إسلامياً وعربياً ودولياً. والثبات بمعنى الإلتزام بالمعاهدات والإتفاقيات والمواثيق الدولية بما في ذلك إحترام مبدأ السيادة ورفض أي محاولة للتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة، والدفاع المتواصل عن القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية بشتى الوسائل وفي مقدمة ذلك تحقيق ما سعت وتسعى إليه المملكة دائماً من أن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، والسير إلى تحقيق التضامن العربي والإسلامي بتتقية الأجواء وتوحيد الصفوف لمواجهة المخاطر والتحديات المحدقة بها.

مثل هذا النهج كان في نظر الذين في نفوسهم نوايا غير طيبة تجاه الأمتين ويخططون لمشاريع إحتواء وبسط نفوذ من خلال المذهبيات، بمثابة أحجار عثرات في طريق مشاريعهم. وعلى هذا جاء إشعال بؤر في الجوار السعودي إعتقاداً على حوثية اليمن مقابل يمنية اليمن، وفي بعض ديار الأمتين وذلك من خلال إيقاظ فتنة نائمة وفتنة على أهبة التنبيه فالندم هناك. ثم أضيف السلاح والتفجير والتهمج الكلامي وكل هذا من أجل أن يحل التدخل وضرب الاستقرار وإيقاظ الفتن وعدم إفساح المجال أمام ما حدده الملك سلمان منذ أن بويع سائراً على الصراط المستقيم الذي سار عليه الأب الذي أسس والأخوة الخمسة الملوك سعود وفيصل وخالد وعبدالله وكذلك الشقيق الملك فهد، رحمة الله على الجميع الذين تولوا القيادة.

حقق أصحاب إلحاق الأذى بالعهد السلماني بعض ما خططه ولاتهم لهم بحيث حدثت ضربات ذهب ضحيتها أصحاب نفوس حرم الله إلحاق الأذى بها، ومراكز تمد العوائد الاقتصادية منها الناس بالعيش الكريم من دون أن يستوقف هؤلاء غواة تعبئة بسطاء النفوس والعقول لإقتراف الإعتداء على الغير قوله تعالى "كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب

مدن فلسطين إلى العراق إلى ليبيا وأيضاً إلى الألوف الذين تأذوا من زلزال في تركيا أو إيران أو حيث هنالك مسلمون أو عرب مقهورون أو مهمشون، دائمو الدعاء للمولى عز وجل بأن يحفظ لهم الملك سلمان الذي لم يغفل حتى عن مستلزمات الدراسة لأبنائهم في غزة بعدما منع أحدث أباطرة العصر دونالد ترامب المساعدة الأممية عن وكالة الغوث (اونرو)، ولم ينس فيما الطائرات الإيرانية الإهداء للحوثي الثائه في اليمن يواصل إرسالها لتقتل جاره السعودي وأحياناً يستبدل هذه الطائرات بصواريخ سام، إرسال شحنات الإغاثة على وجه السرعة وبالطائرات حاملة ما ينقذ القلوب ويشفي الكلى ويعالج مضاعفات عاهات ويخفف من عواقب حالات سرطانية. كما لا يغفل عن مد سوريي النزوح واللجوء السوري بما يقيهم البرد وعاديات العيش المذل. وأما قليلو الأصل من اللبنانيين الذين إمتهنوا نكران الجمائل فهؤلاء حسابهم عند رب العالمين.

حفظ الله سلمان بن عبدالعزيز لأمتيه وأعانه على تحمّل أثقال الضالين من بعض أولي الأمر عرباً ومسلمين وأميركان.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2020

النيل الأخضر.. وصداقة 55 سنة

ربطتني بالسيد الصادق المهدي علاقة قل نظيرها في علاقة بين رجل دولة وزعيم حزب وإمام طائفة في الوقت نفسه وبين صحافي لم ينقطع إهتمامه بالسودان على مدى أزمانه المر منها والحو.. ثم أحياناً الأشد مرارة.

أهمية هذه العلاقة في إستقرارها وإستمرارها وسط الأعاصير السياسية التي عاشها وما زال السودان، منذ أن بدأت لمناسبة رحلة إستطلاعية للصادق المهدي في مديريات جنوب السودان الأربع، شاركت فيها مع زملاء، قام بها لمجرد ترؤسه أول حكومة بعد إسقاط حُكم العسكر برئاسة الفريق إبراهيم عبود في إنتفاضة شعبية حققت ما حققته لاحقاً الإنتفاضة الشعبية ضد حُكم العسكر بطبعته الثالثة يترأسه عمر حسن البشير القابع مهاناً في إحدى زنانات سجن كوبر وما زالت لم تحققه الإنتفاضة الشعبية اللبنانية. وأما الطبعة الثانية للإنتفاضة الشعبية السودانية

فإن الصادق أدى واجب التعبئة من أجلها وهو في غربته الإضطرابية في لندن التي إتخذ منها مقراً لقيادته الحزبية إلى أن تم إسقاط نظام نميري بطبعته العسكرية وإستعادة السودان بالتدرج هدوءاً أعقبته عاصفة الحُكم الإخواني.

في سنوات غربته اللندنية تعمقت الصداقة مع الصادق وإلى درجة أننا بتنا لتشابه ظروف الإقامة نقاسي مرارة الغربية، تاركين كل في بلده الأهل والأصدقاء تتملك كل منا الخشية على مصير الوطن. الصادق يخشى ذوبان الديمقراطية التي إرتبطت صفة بالسودان وجاء أهل التكنات يستقرون عنوة في السرايات. وأما خشيتي فأني ينتهي أمر لبنان الصيغة المحسودة في قبضة الميليشيات وعندها تطول الغربية وتصبح العودة إلى الوطن غير مستحبة وربما مستحيلة.

لم يقتصر إهتمامي كصحافي ثم كناشر بالصادق في لندن على الجانب الإعلامي وإنما شأئت ظروفه وأوضاعه كزعيم سياسي أن يناقش معي بعض الحالات الإستثنائية ويكلفني بنقل رسائل كتبها بخط اليد إلى بعض المرجعيات الرئاسية العربية. وإلى جانب هذه المهمة التي حققت بعض المبتغى منها، كانت سنوات الصادق اللندنية مناسبة لكتابتي ذكرياته بدءاً من كلية فكتوريا في الإسكندرية وصولاً إلى الدارة المهديّة في أم درمان مروراً بالسنوات الثرية في جامعة أكسفورد. وبهذه الذكريات التي رواها بالكثير من العفوية ونشأها بالكثير من الاهتمام وقف جيل جديد من السودانيين على نموذج للزعيم الشعبي الحريص على مبدئياته والتمسك بطقوس العمل الديمقراطي، وليس فقط مجرد حفيد الإمام عبدالرحمن المهدي والزعيم الواعد لطائفة «الأنصار» في السودان. كما من شدة حرصه على تراثه كان دائماً يوصيني خيراً وحفظاً بمئات الأوراق المحبرة بخط يده والتي لا بد سأنشرها ذات يوم تكريماً لذكرى صديق من قِبل صديق.

بقيت العلاقة على زهوها وأصولها مع الصادق المهدي وعائلته. يشعر عندما يستضاف في منزلي اللندني للقاء مع أصدقاء وسياسيين عرب وزملاء أنه في منزله. وتغمرني أريحية بيت المهدي عندما أكون في الخرطوم في مهمة لا تكتمل من دون التباس مع الصادق في قضايا كثيرة تعيشها دول الأمة وكثيراً ما كان دائم الإيمان بأن فجراً منيراً لا بد آت.

عندما كان ما زال في لندن إقترحني عليه إطلالة فكرية على العالم العربي وتوضيحاً من جانبه لثنائية

مستلبة لتخطف المصير الوطني وتحوم رؤى غالباً وافدة لثورة مضادة أشبه بتلك التي أجهضت كثيراً من ثورات الربيع العربي. التركيبة العسكرية السودانية بعيدة من هذا الدور ودون خوض في التفاصيل فهي غير مستعدة لمثل هذا الدور.

المعمعة السياسية السودانية في تقديري سوف تسفر عن تغلب نهج سياسي يكفل الحريات وحقوق الإنسان والمشاركة في الحكم والعدل الاجتماعي ويلبي مطالب السلام العادل الشامل والتوازن في العلاقات الخارجية بلا محورية.

هذا النهج ليس هلامياً بل مسلح بفكر واضح وليس فوقياً بل مجدر بسند شعبي عتيق ومسنود بقوى شبابية ونسائية جديدة.

هذا النهج يطرح ديمقراطية توافقية وفكر يوفق بين التأصيل والتحديث وينازل ويغلب التحديات الإسلامية والعلمانية والإنقلابية ويمثل في قراءة التاريخ المضاد للثورة المضادة.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 26 نوفمبر (تـ2) 2020

مسألة النفس علاجاً للمعاناة

الآن بات لا بد من وقفة مساءلة للنفس من جانب رئيس الحكومة الأثيوبية أبيي أحمد وذلك بعدما قطع ثلاثة أرباع المسافة من المواجهة التي خاضها ضد الخارجين على سلطانه في منطقة "تيغراي" الذي هو منها، باسطاً شرعية لم تكتمل على المنطقة التي تتطلع "الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي" إلى صيغة لهذه المنطقة قريبة الشبه من الذي إنتهى إليه شمال العراق حكماً ذاتياً للأكراد كاد يصل بفعل الإستفتاء الذي غامر بإجرائه مسعود بارزاني إلى إعلان قيام دولة مستقلة تجمع في أضلعها أكراد سوريا وتركيا وإيران وأولئك المنتشرون في عدد من بلاد العالم، إقتباساً لما إنتهى إليه السعي الصهيوني بعد الإستيلاء بالتواطؤ الدولي على فلسطين من أجل قيام دولة إسرائيل. لا سامح الله هؤلاء المتواطئين على فعلهم.

الشخصية فيه بمعنى رجل السياسة وإمام الطائفة وهل هنالك تناقض بينهما وهل "الأنصار" طائفة كما حركة "الإخوان المسلمين". وإستحسن فكرة كتاب يحمل تسمية "يسألونك عن المهدي". ولم يلبث أن حمد إقتراحي ودوري كصديق في إصدار الكتاب الذي أتبعه بد ذلك بمؤلفات ومحاضرات وكتابات لا بد سيأخذها الخلف الصالح الإبنة مريم والإبنان الباران عبدالرحمن والصديق على عاتقهم.

أحزني غياب الصادق كما أحزن أفراد عائلتي الذين سعدوا بمعرفة شمائل الراحلة الطيبة الذكر زوجته سارة، إذ ما أصعب على النفس فقدان صديق بقيت الصداقة على رونقها وصفائها خمساً وخمسين سنة. وكأنما الصادق وهو يبعث إلى أفراد عائلتي الشخصية كل بإسمه التحية في سياق «رؤية إستشرافية» قدّمث بها أحدث مؤلفاتي التي شاءت الأقدار أن يكون عن السودان وبعنوان "الحاكم إذا إستبد والشعب إذا إنتفض"، أراد الإحياء بأننا في زمن الكورونا لن يكون بيننا بعد الآن لقاء. ولقد حرمثنا الجائحة الشريرة، وفي وقت بات العالم يستبشر خيراً بلقاح يرد كيدها، الصادق المهدي الذي كان النيل الأخضر رمزياً إلى جانب النيلين الأبيض والأزرق اللذين يلتقيان في المقرن. والإخضرار بمعنى تفاؤله بالخير والإستقرار الدائمين الثابتين يجدهما السودانيون ونحن أبناء الأمة معهم.

وقد تبدو هذه المقالة ذات طابع شخصي، لكنها في الحقيقة مرثية وجدت حيزاً لها في الوجدان منذ أن قضى الله أن يسترد الأمانة ويلقى الصادق المهدي وهو في الغربة وجه ربه بعد عناية إماراتية يُشكر عليها أولو الأمر في دولة الإمارات.

ويبقى أن الصادق المهدي إنتقل إلى رحاب رب العالمين تاركاً «رؤيته الإستشرافية» التي أشرنا إليها برسم الذين يصولون ويجولون في سودان الحاضر وأبرز ما فيها قوله:

في تقديري إن تجاربنا في مواجهة الطغيان وفي مكافحة تمكين الحكم الديمقراطي مع ما فيها من آلام وإضطرابات لم تذهب سدى بل أورثتنا دروساً غالية في إدارة التنوع تناولتها في كتابي «الهوية السودانية بين التسبيك والتفكيك» وأورثتنا دروساً في ضرورة أقلمة النظام الديمقراطي ثقافياً واجتماعياً.

الفترة الإنتقالية الحالية أشبه ما تكون بحقل تجارب تنشط جبهتان إسلاموية منكفئة وعلمانية

والقول إنه بعد العمليات العسكرية التي شنها الجيش الأثيوبي وصمود مقاتلي "الجبهة الشعبية" وتسبب المواجهة بلجوء بضعة ألوف من سكان المنطقة إلى البلدات السودانية المجاورة، بات لا بد من وقفة مساءلة للنفس، وذلك لأن الإخضاع حتى إذا اكتمل وهو على نحو ما قاله رئيس المنطقة المنشقة جبريماكيل "لا يدرك أببي أحمد من نحن. إننا شعب له مبادئه ومستعد للموت دفاعاً عن حقنا في إدارة منطقتنا" لن يكتمل بعملية عسكرية أو أكثر. وهذه الأمثلة السودانية حاضرة لكي يتأمل فيها أببي أحمد حامل جائزة نوبل للسلام، حيث أن أزمة الجنوب لم تُحسم عسكرياً و بقيت في حالة إشتعال ثلث قرن وتعاقب على معالجاتها عسكرياً أربعة عهود كان أحدها عهداً مدنياً فيما الثلاثة كانت عهود الجنرالات إبراهيم عبود، جعفر نميري، عمر البشير. ثم إنتهى الحسم إعتراضاً بإنفصال الجنوب عن الكيان المتراخي الأطراف وقيام "دولة جنوب السودان" وحتى الحركات الخارجة عن سلطة الدولة لم ترم السلاح وإستمرت تشكل حالة إستنزاف مالي وعسكري للدولة، إلا بعدما قام العهد الجديد بجناحيه العسكري والمدني وإعتمد أسلوباً في معالجة حالة التمرد والإفصال العالقة من خلال مساءلة النفس وإعتماد الحكمة والحنكة والمرونة في أعلى درجاتها والأخذ بمبدأ أن إمتلاك السلطة مهم لكن الأهم هو عدم إستعمالها بمنأى عن التبصر وإعتماد المنطق ومراعاة ظروف جميع أطراف أزمة تنشأ وكانت إجتماعات جوبا لتصفية نقاط الخلاف فإستبدال السلاح بالحوار فالإنصهار في الدولة خاتمة المطاف. وبعد ذلك إلغاء الأحكام الصادرة في حق كثيرين فإعطاء كل طيف سبق أن تمرد وخاض مواجهة مع الدولة حقه وإحترام مكانته. ثم يتبين أن صيغة مساءلة النفس على أمل إعادة النظر هي علاج للأزمات مهما إشتدت حدتها.

وهذا ما يأمل المتابع مثل حالنا للأزمة المصرية _ الإثيوبية، أخذ الرئيس الأثيوبي بهذه الصيغة، أي بما معناه لا يستمر على إعتبار "سد النهضة" مسألة ذات أولوية لدولة أثيوبيا ما دام نهر النيل ينبع بنسبة ثمانين في المئة من أرضها وهذا يعطيها الحق في أن تستفيد بالنسبة نفسها منه ويترك الباقي لكل من السودان ومصر، وأن تجعل من "سد النهضة" مصدر ثراء مالي وكهربائي وزراعي وتنقل أثيوبيا نتيجة ذلك إلى دولة ذات شأن كبير في محيطها الأفريقي. أما أن يتأذى السودان ويتسبب

إنخفاض منسوب حصة مصر التي هي دولة المصب بكارثة بيئية وزراعية على المدى البعيد فهذا شأنهما، وتلك نظرة غير حكيمة للأمور خصوصاً أن مصر الآن باتت مئة مليون وفي الطريق إلى المزيد. وهذا يعني أن ما جرى الاتفاق في شأنه قبل نصف قرن عندما كانت مصر خمس ما هي عليه الآن، لا يمكن الأخذ به.

في زمن الرئيس حسني مبارك بدأ الحديث عما يمكن أن يتسبب به إنشاء "سد النهضة" الذي كان تم التحضير لإنشائه. وكانت هنالك ملاحظات لم تصل إلى درجة التحذيرات ما دام بناء السد لم يبدأ بعد. وفي زمن الرئيس محمد مرسي تزايدت خشية من السد الذي قطع الأثيوبيون مرحلة متقدمة في إنشائه فأطلق عبارة تنبيه مما قد يحدث وهي "أنا كرئيس جمهورية أؤكد أن كل الخيارات مطروحة على الطاولة. إن مصر هي هبة النيل والنيل هبة مصر". وردت الخارجية الأثيوبية على كلامه هذا بالقول "إن أثيوبيا لا ترعها الحرب النفسية وهي لن تعلق لثانية واحدة بناء السد".

ثم يبدأ عهد الرئيس عبدالفتاح السيسي الذي يرى المسألة في غاية الخطورة، ويعلن يوم الخميس 24 أكتوبر/ تشرين الأول 2019 أمام رئيس الحكومة الأثيوبية أببي أحمد خلال لقائهما في مدينة سوتشي الروسية على هامش القمة الأفريقية الروسية "إن إقامة السد الأثيوبي، يجب أن يتم في إطار متوازن بين مصالح دول المنبع والمصب ويجب ألا يكون مصدراً لأي مشاكل أو تناحر" ثم يختم الرئيس السيسي كلامه بعبارة "إن مصر بقدر تقهرها للمصالح التنموية لدولة أثيوبيا إلا أنها في الوقت نفسه تتمسك بحقوقها التاريخية في مياه النيل...".

بقي الحذر على حاله بين مصر السيسي وأثيوبيا أببي أحمد رغم الود الذي ساد اللقاء إضافة إلى سعي من جانب الرئيس بوتين لتضييق مساحة التباعد بين رئيسين يتطلع الرئيس بوتين إلى كسب نقلة نوعية من العلاقة معهما وبحيث يصبح لروسيا حضور في القارة الأفريقية كذلك الحضور الذي لها في سوريا، فضلاً عن موطئ القدم المستجد في السودان من خلال قاعدة بحرية على شواطئ بور سودان قابلة للتطوير بحيث تصبح مثل تلك القاعدة في طرطوس. وهذا الاهتمام من جانب الرئيس بوتين حدث على خلفية إهتمام شخصي من جانب الرئيس دونالد ترمب بالأزمة الفاترة بأطرافها الثلاثة مصر والسودان وأثيوبيا منذ إستقباله المتميز في البيت الأبيض

هل يستعيد خير الجليس زمان يُسرهِ

من بين ضحايا الجائحة الشريفة التي لم تميز بين مجتمع أغنياء دول القارات الخمس ومجتمعات الفقراء في معظم هذه الدول، اضطراب ظاهرة معارض الكتاب تقام في الدول العربية.

منذ إنطلاق هذه المبادرة من بيروت أخذ الكتاب العربي يشق طريقه إلى البيوت في ديار الأمة، ذلك أن إقامة معرض الكتاب لم يعد مقتصرًا على الريادة وإنما بدأت المعارض تتوالى في كل عاصمة عربية وفي بعض الدول كان يقام المعرض في مدينتين وهذا على سبيل المثال معرض الكتاب في الرياض ومثله في جدة.

ومع كل معرض كتاب وفي ضوء الإقبال عليه كانت دور النشر تنشط أكثر وبالتالي تتزايد الإصدارات وتنوع الموضوعات وينتسب مؤلفون جدد تراوح إهتماماتهم بين الأعمال القصصية والبحثية إلى "برج التأليف" ثالث عشر الأبراج الفلكية، فضلاً عن أن المرأة العربية ومن خلال أعمال روائية حجزت مكاناً لها في المشهد الثقافي العربي. ورغم تعرض دور النشر إلى جائحة من نوع آخر هي جائحة مزوّري بعض الكتب بحيث تباع النسخة بنصف أو أقل من سعرها الأصلي ما دام لا وجود لتكاليف إنتاج وحقوق تأليف، إلا أن دور النشر ثابرت وإستمرت الظاهرة على نموها ومعارض الكتاب على حيويتها في العواصم وبعض المدن العربية دون إستثناء.

ثم حلت كورونا، جائحة شريفة لم تكن في الحسبان، تصيب الظاهرة الثقافية أسوأ إصابة نتيجة إنشغال الجهات الحكومية المختصة بصحة الناس تتقدم على أي مشوّقات ذات طابع ثقافي. وإلى ذلك كان الحُجْر وكان التباعد والكمامات ثم يأتي الإرتباك الأهم الناشئ عن عدم السفر. وعندما كانت الأماكن التي تتم فيها إقامة المعارض السنوي للكتاب فإن هذه الأماكن تحولت إلى مشافي طوارئ وذلك أن المستشفيات العادية لم تعد قادرة على إستيعاب من أصابتهم الجائحة وبات وضعهم في العناية المؤقتة أمراً ضرورياً.

وسط هذه المحنة المباغته جاءت الخطوة اللافتة من جانب إمارة الشارقة تبعث بعض الطمأنينة بأن ظاهرة معارض الكتاب العربي على موعد مع نهوض من الإنتكاسة، بل يجوز تشبيهه إنعقاد دورة معرض الكتاب في

الرئيس السيسي يوم 3 أبريل/ نيسان 2017 وهو اجتماع أسس في جزئية منه للإهتمام اللافت من جانب ترمب بالأزمة المتعلقة بـ "سد النهضة" بدليل أنه إستضاف يوم الأربعاء 6 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019 في البيت الأبيض وزراء خارجية دول أزمة "سد النهضة" مصر والسودان وأثيوبيا وهي بادرة إستثنائية كأن يلتقي رئيس الولايات المتحدة في مقره الرئاسي مسؤولين في مستويات وزارية.

وما كان مأمولاً حدوثه بعد هذه الإشارة من جانب الرئيس ترمب هو أن تطوي الدول الثلاث الصفحة الأكثر تعقيداً من الخلاف والبدء بصفحة محاطة بإهتمام رئيس الدولة الأكثر تأثيراً في العالم. لكن الذي حدث أن مصر كانت متجاوبة والسودان متفهماً فيما أثيوبيا على موقفها، وفي تصور رئيس حكومتها أن المرونة ستأخذ من بريق الزعامة ذات التأثير له أفريقياً بعد أن يبدأ ملء السد ومن دون أن يستوقفه أن مثل هذا التصلب في الموقف يتناقض مع جوهر جائزة "نوبل" للسلام التي مُنحت له، فضلاً عن أنه ما دام كان رجل دولة يحبذ التسوية السلمية العادلة مع اريتريا فلماذا لا يكون على النسيج نفسه في موضوع "سد النهضة" ومستوعباً دوافع ما جرى في إقليم "تينغراي" النهج نفسه الذي أثمر دوراً محسوباً له في إنجاز إتفاق رموز القوى السودانية المدنية والعسكرية التي تحالفت لإسقاط نظام البشير وتنازعت عند التشاور في صياغة هيكليّة النظام الجديد.

خلاصة القول إنه لا علاج لأزمة "سد النهضة" من دون مسائلة الرئيس الاثيوبي للنفس: لماذا لم يتم توظيف الفرصة الذهبية التي جاءت من الرئيس الأميركي وتسبب عناد صاحب السد بتعليق بعض المساعدات لأثيوبيا؟ فهو قد يبتهج عندما يتبلغ الشروع في بدء ملء السد وعلى وقع الإعتراض المصري _السوداني. لكن هل ساءل النفس المبتهجة ما الذي يمكن حدوثه. وهل كثير على شعوب المنطقة العيش بالتراضي وفي منأى عن مواجهات كان يمكن بقليل من التبصر والحكمة وعدم تغليب ذات الحاكم على مصير البلاد والشعب، إنقاذ ما من الواجب إنقاذه في حال تحوّل الإعتراض إلى إستحقاق المواجهة... التي لا قتر الله يمكن أن تصبغ مياه النيل بالدم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 9 ديسمبر (كانون الأول) 2020

الشارقة للعام 2020 (من 4 إلى 14 نوفمبر/ تشرين الثاني) بأنه مثل اللقاح غير المحسومة نتائجه لعلاج الجائحة، إلا أن مجرد التوصل إلى إكتشافه وإجراء تجارب واحدة عليه يبعث في النفس البشرية العابقة بهاجس الإصابة بالفيروس الذي لا يرحم، الطمأنينة بأن لكل داء دواء وأن رحمة الله حاضرة دائماً في ساعة الشدة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

وبصرف النظر عن الإقبال الذي جاء دون المألوف بسبب الإجراءات المشددة من أجل الحماية وتجنب المكاره، فإن إنعقاد المعرض الذي سجل أنه الوحيد ينعقد خلال محنة الجائحة الشريفة والممينة في حالات من عدم مواجهتها بالاحتياطات على أنواعها، سيشجع وزارات الثقافة في الدول التي إعتاد الكتاب العربي على أن يكون ضيفاً مستحب الجانب من شعبها مؤدياً دوره كوسيلة من وسائل الثقافة والمعرفة التي بلغت الذروة خلال السنتين الماضيتين في المملكة العربية السعودية.

إلى ذلك إن إتمام فريضة الحج وبأعلى درجات النجاح ضمن إجراءات احترازية عديدة وتنظيمية وصحية قبل أداء الفريضة وخلال أيامها من الطواف إلى الصعود إلى منى إلى رمي الجمرات فالوداع الإيماني ومن دون ما يعكر الصفو، شكّل أمثلة في دنيا المناسبات التي تحل مواعيدها في حالات طارئة ويشكل التعامل معها تحدياً للدولة التي تستضيف المناسبة.

تبقى الإشارة إلى أن الشارقة بهذا التحدي وعقد معرضها الدولي للكتاب أثبتت صدور كوكبة من مجتمع النشر في بعض العواصم العربية وبالذات بيروت والقاهرة، وتلك ماثرة تُذكر لحاكمها الشيخ سلطان القاسمي الذي بينه وبين الكتاب العربي حالة ود غير مألوفة في عالم أهل الحُكم وعلى هذا الأساس سيبقى الكتاب العربي المنشور ورقاً يأخذ مكانه ومكانته كخير جليس للأنام، فضلاً عن أن فوز الإبنة بدور بنت سلطان برئاسة الإتحاد الدولي للناسرين الذي يتخذ من سويسرا مقراً له وهو ترؤس عربي للمرة الأولى منذ أكثر من قرن، سيشكّل إضافة إلى رعاية والدها لظاهرة معارض الكتاب العربي المزيد من الحذب عليه.

ويبقى أن الذي يتحقق على أرض الشارقة للكتاب العربي، كان يتطلع إليه الرئيس رفيق الحريري الذي في سنواته السياسية التي لم تكتمل إستعادت بيروت رونقها كعاصمة للبنان النشر الذي إصطلح على توصيفه بعبارة "لبنان يطبع والعالم العربي يقرأ". وبات المعرض السنوي للكتاب فيها بمثل ما هو عليه معرض القاهرة الذي إحتجب

في العام الكوروني ومعرض الشارقة الذي واجه الجائحة وإنعقد. ثم تدور الدوائر ويبدأ غروب الأحلام الجميلة عن هذا الوطن ومنها معرض الكتاب، كما يشمل الغروب المتدرج كل ملامح الوجه الجميل للعاصمة التي رثاها قبل زلزال تفجير مرفئها بثلاث عشرة سنة الدكتور غازي القصيبي رحمة الله عليه بأبيات وجدانية أشبه بالثناء ومنها قوله "بيروت ويحك أين السحر والطيب.. وأين حُسن على الشيطان مسكوب. بيروت! ماذا يقول الناس؟ هل دُبحت.. بيضُ الأمانى وغال الطفلة الذيب". ثم زاد محبها الدكتور عبدالعزيز خوجة حزناً على حزن بمرثية جاء فيها على وقع الذين إستشهدوا وتصدعت منازلهم قوله "وبحثت عن بيروت ما بين التوله والركام.. وسمعتُ أُنات تنادي لهفتي تحت الحطام. بيروت قد سُرقت وباعوها لأحلام اللئام"... هذا إلى المراثية النثرية لثالث الرموز الدبلوماسية الدكتور علي عواض عسيري "بيروت عروس العرب مدينة التاريخ حبيبة الشعر والشعراء أم الشرائع".

ومن باب التفاؤل بالخير يهل على العباد المتفائلين نقعاً، بأن خير جليس سُنْتَأف معارِضه فيستعيد عزه نشراً لمئات المؤلفات في ظل المبادرة ذات البعد الإستراتيجي إنسجاماً مع "رؤية السعودية 2030" المعقودة آمال إنجازها على ولي العهد الأمير محمد بن سلمان. ونعني بالمبادرة "مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية" التي ستشكّل هي الأخرى إختراقاً للعتمة الثقافية الناشئة عن أجواء الجائحة التي جرفت في طريقها الكثير من مباحج الفرح، فضلاً عن أنها تستهدف على نحو قول وزير الثقافة بدر بن عبدالله بن فرحان إبراز مكانة اللغة العربية وتفعيل دورها إقليمياً ودولياً. بوركات الإهتمامات التي تريح العقول وتبهج النفوس من ضوضاء الكلام عن حروب البشر ضد بعضهم وحرب كورونا ضد كل البشر. والله خير حافظ.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 14 ديسمبر (كانون الأول) 2020

"روح الله" شنقاً بإرادة المرشد... يا للهول!

بصرف النظر عما إذا كانت العجلة القضائية الثورية في إعدام الشاب الإيراني روح الله زم شنقاً يوم السبت 12 ديسمبر/ كانون الأول 2020، كانت دفعة أولى أو دفعة

على الحساب بلغة أهل التجارة، للرد على الإغتيال اللغز للعالم النووي الإيراني البارز محسن فخري زاده في مكنم قرب العاصمة طهران يوم الجمعة 27 نوفمبر/ تشرين الثاني من "عام الكورونا" تسمية إفتراضية للعام 2020، مقرونة ببقية ثأر لإغتيال قاسم سليمانى لا يتناسب مع وعيد المرشد علي خامنئي وجنرالات حرسه الثوري بما يعني أن الثأر مرجأ إلى حين..

بصرف النظر عما إذا كان غليان النفس من أجل الثأر للذراعين القويتين للنظام، ذراع الحرس التي إستعملها الجنرال سليمانى خارج إيران وبالذات حيث هنالك تربة مذهبية شيعية في أوطان مغلوب على أمرها مثل لبنان واليمن والعراق وفلسطين الغزاوية أو مستهان بها ومحسودة مثل البحرين، والذراع التي حققت تقدماً نوعياً على الصعيد النووي، فإن شئق الناشط الاجتماعي كان أمراً مستغرباً من جانب نظام ديني غلبت في أولي الأمر فيه نازعة الإستبداد ورفض الصوت الآخر على الروحانية الدينية. ونحن نقول ذلك على أساس أن الذي تم إزهاقه شئقاً هو ابن رجل دين مثل الكوكبة التي توزع شيوخها وسيادها على مقاليد السلطة في إيران، ويحمل إسم "روح الله". ولكم هو أمر مكروه أن تقول الصحف ويعناوين بارزة داخل إيران وخارجها في الدول الإسلامية والأجنبية ومعها الفضائيات عند نشر وبث نبأ الحدث المستهجن "إعدام روح الله..." أو "شئق روح الله...". ولا يبرر ذلك على الإطلاق أن هذا الإسم شائع في إيران، بل إنه كصفة إرتبط بإسم الخميني نفسه.

ما علينا أي تفسير أو تبرير للواقعة المستهجنة. ولكن المسألة تبقى في مدار الإستهجان وإلى درجة الإفتراض أن أي مسلم يلفظ عبارة إعدام روح الله تنتابه قشعريرة يرفقها فوراً بالقول: أعوذ بالله من جهالة هذا المترئس السلطة القضائية كيف لم يتحاصف، وأعوذ بالله مرة وإثنتين وأكثر من المتربع في قمة النظام ومن الجالسين حوله وكلهم مستغرقون في الثورة الدينية، كيف هؤلاء بدوا مبتهجين بأن حبل العدالة الثورية أصاب "روح الله" في إزهاق أنفاسه.

قد يكون التردد في تنفيذ الثأر الأكبر لجنرال الحرس وبعد ذلك لصانع الحلم النووي الذي بات في مرحلته الحاسمة أحدث هذه الغفلة لدى أهل القضاء ومعهم أهل السلطة في أعالي درجاتها، ورأى هؤلاء أن "إعدام روح الله" كفيل بالتقليل من مشاعر الخيبة لدى الناس من

النظام الذي ملأ دنياهم تحذيرات وإنذارات لأميركا وبحيث يصبح إحتساب شئق الناشط الشاب بمثابة قربان يصون الثورة ووقف أفعال دويلاتها وصرف النظر عن مخططات تحرشاتها وإبلاغ منابرها الخارجية وبالذات في لبنان أنه من غير اللائق توصيف ملك عربي له أباً عن جد أفضل على القضايا التي تهم الأمة بأنه "الوقح"، ومن دون الأخذ في الإعتبار إحتضان هذا الملك لقضية القدس، فضلاً عن أنه كما هنالك أوصاف دينية للمرشد خامنئي وقبل ذلك للإمام الخميني فإن للملك محمد السادس الذي ناله التوصيف المستهجن صفة باتت جزءاً من التسميات التوصيفية المتعارف عليها والمحترمة من قبل شعب المملكة المغربية وهي أنه "أمير المؤمنين".

هذه الإساءة من جانب منبر للنظام الثوري مرشداً وحرساً ورئيساً حضور فيه وتأثير عليه تجعلنا نتساءل: إذا كانت أبيات من الشعر إستحضرها الرئيس رجب طيب أردوغان أقامت قيامة أهل النظام في إيران، فلماذا لا يأخذ هؤلاء في الإعتبار ما درجت الدويلات الإقليمية بالذات على التباري في توصيفات مسيئة في حق كيانات ومقامات فيضع حداً لها بأمل أن تستقيم العلاقات. ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن الخميني وكذلك خامنئي يقرضون الشعر وعلى نحو ما سبق أن أشارت إلى ذلك زميلتنا منال لطفي في عدد 5 يناير/ كانون الثاني 2007 من "الشرق الأوسط" مرفقة الإشارة بأبيات شعرية لكل منهما. والغرض من تذكيرنا هذا أن قارضي الشعر يستقبلون أبيات أقرانهم مباشرة أو من يستشهد بأبيات من قصائد لهم، على نحو ما فعل الرئيس أردوغان، بالإعجاب.. أو إذا كان لا بد من الرد فبأبيات. وكون المرشد قارض شعر فلتكن الأبيات الشعرية بديلاً للإحتجاج الحكومي الشديد اللهجة، مع ملاحظة أن خامنئي وكذلك الخميني من أهل الفضاء الشعري الصوفي. لكن من يقول أبياتاً كتلك المنسوبة إلى الإثنين يستطيع أن يقول ما في خاطر من أبيات تستهدف الرد على غير التحية الشعرية، الأردوغانية هنا، بمثلاً.

هنا يصبح إستحضار بعض أبيات شعرية للإثنين تأكيداً لما نقوله. فمن أشعار الخميني:

يا نقطة عطف سر الوجود.. إن طردتني من البال لأدخلن من البيت.. لأخترقن الحائط.. لقد غادر جنون العلم والعمل رأسي.. حين أيقظني قدحك الملائن.
ومن أشعار خامنئي:

مبتهج أنا من حزن يحتفي في صدري.. حالي مثل شُعركَ العجري في مجلس أنسك ووصلك.. لا أحدث عن شيء مثل مرآة.. الآن إذ أفكر في السنوات التي مضت.. أشعر بالندم.. أشعر أنني نادم على ندمي.. طوال عمري ما رأيتُ شخصاً أكثر إنكساراً من نفسي.

يا حبذا لو يمارس المرشد علي خامنئي صوفيته ويبدأ ونحن على أبواب عام جديد التأمل في أحوال الدول التي باتت مرشحة لتكون دويلات بهمة أذرعه على أنواعها وكيف كانت هذه الدول قبل تثويرها ثم أي سوء أحوال باتت عليها بفعل المشروع الإيراني. كما وكيف كانت دمشق وبيروت وبغداد في أحسن حال قبل أن يحولها إلى تجارب ميدانية تؤذي الآخرين. كما أيضاً يا حبذا لو يتأمل في الوقت نفسه، ما دامت المنطقة مع بداية عصر أميركي _ أوروبي جديد في ما أصاب إيران من إخفاقات. ويا ليتَه لم يفعل بـ "روح الله" شفقاً ويتذكر أي حال إنتهى إليه جاره العراقي الذي لو لم يصير الرئيس صدام حسين على إعدام بازوقت لكان فتح حواراً مع أميركا وبريطانيا... وبالحوار تستقيم الأمور إذا واكبته نوايا طيبة.

ومرة أخرى إن المرء تتنابه قشعريرة عندما يقرأ أن الجمهورية الإسلامية وإرادة مرشدها وعلماء الدين فيها ومعهم حرسها الثوري علّقوا يا للهول رقبة "روح الله" في حبل ولفظت روح الشاب الذي يحمل إسم الباري عز وجل أنفاسها.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 20 ديسمبر (كانون الأول) 2020

التصحيح المأمول من "رجل العام الكوروني"

حتى بعد الفوز الذي حققه، لم تغادره الحنكة والتعبير بأرقى العبارات وأرق المشاعر عندما يُسأل من جانب إعلاميين وإعلاميات عما في طيات الأيام المتبقية على ترسيمه رئيساً للولايات المتحدة. وكان لافتاً أنه في الوقت الذي كان الرئيس ترمب يواصل تعبئة مشاعبيه بهدف توسيع مساحة الإنقضاض القضائي على جو بايدن الذي فاز شعبياً بالرئاسة وينتظر بقية طقوس الجلوس في المكتب البيضاوي، فإن بايدن كان يسجل في الإجابة على أسئلة من الصحافيين هدفين شديديي الوقع في مرمى

ترمب. فعندما سئل بايدين رأيه في هذا الحراك القضائي الذي يصير الرئيس ترمب على مواصلة السير فيه أجاب بما معناه إن ما يفعله سيؤثر على إرثه. لم يهاجم. لم يرفع إصبع التحدي. إختار العبارة التي تنبه في حال الأخذ بها، وأما في حال عدم التأمل في جوهرها فإن الندم هو الذي سيصيب ترمب هنا. ذلك أن الإرادة الشعبية قضت في أن يكون بايدين هو الرئيس ولا راد لكلمة الشعب، وأن كلمة القضاء مهما كانت هنالك تأثيرات عليه، ليست أهم من نصوص الدستور.

الإجابة التي أشرنا إليها أتبعها بايدين بمثيلة لها من حيث الوزر الذي يبرع فيه أولو الحنكة من أهل السياسة. فعندما سئل ماذا يقوله الآن للرئيس ترمب وهل سيتصل به ما دام ترمب لم يتصل، أجاب: سأقول له. سيدي الرئيس. إنني أتطلع إلى الحديث معك.

بهذه الكياسة أضاف بايدين وقد بات الرئيس إلى ما كان يتسم به خطابه على مدى أسابيع الجولات الانتخابية والمناظرات، المزيد من نقاط الإعجاب به. رئيس يفضل الهدوء على الضجيج. والكلمة الهادئة على العبارات العاصفة. وتقدير المقامات وليس الإستهانة بها. ومثل هذه الملامح والإشارات كانت جزءاً من أسلوب ترمب في التخاطب مع الذين تعامل معهم وتسببت أقوال وإشارات صدرت عنه بإنزعاك كثيرين إرتأوا إبقاء العتب والغضب حبيس الصدور.

وما هو مألوف أن للحكام مستشارين، وأهم هؤلاء بالذات أولئك الذين يرسمون للحاكم السياسات التي إذا هو أخذ بها يكون في منأى عن المتاعب، كما أولئك الذين يكتبون له الخطب التي سيلقيها ويحرص هؤلاء شديد الحرص على أن يلتزم الحاكم بالنص ولا يخرج عليه أمام مشهد شعبي يبهز العينين ويحرك مشاعر العالي في نفس الحاكم. ومن الجائز الافتراض أن الرئيس ترمب كان لا مبالياً بمثل هكذا نوعية من المستشارين ليس لثقة بالنفس أنه ليس في حاجة إلى النصح والإصغاء إلى الأفكار التي لا يثير تضمينها خطاباً له عواصف لا تعود بالخير لعهد وللبلاذ عموماً، وإنما لأنه من نسيج حكام يستوطن العالي شخصيتهم فلا يعود الواحد منهم يفصل بين نفسه والوطن الذي شاءت الأقدار أن يكون رئيسه. وإذا كانت الدولة محكومة بحزب فإن من بات الحاكم بترشيح الحزب له إما ينصرف على أساس أنه جزء من كل وليس الكل وفرع من أصل وليس كل الأصل. وهذا

تماماً ما حدث مع ترمب أي أنه رأى نفسه على نحو ما رأى صدام حسين من قبل نفسه، بمعنى أن حزب البعث يمثله وليس العكس. وبالنسبة إلى ترمب فإنه تصرف قولاً وفعلًا على أساس أن الحزب الجمهوري يمثله وليس هو من إختاره الحزب لكي يخوض معركة الرئاسة. وعندما يكون هذا هو الشعور السائد لا تعود لدى الشخص الضوابط المفترض وجودها ويصبح في إستمرار متحدثاً خارج النص يقول ما ليس من المصلحة لا للحزب ولا للدولة ولا للشعب قوله، مثل تلك العبارة التي عندما جاء على ذكر الرئيس السابق أوباما قبل يومين من اليوم الإنتخابي الموعود فإنه وكمن يريد إيقاف فتنة دينية أو زرع مشاعر كراهية ضد الإسلام قال "باراك حسين أوباما".

ومع أن المؤلف في التسميات وعند ذكر أسماء الناس بمن فيه ذكر المسؤولين من جميع المكانات والمناصب الإكتفاء بالإسم الأول وإسم العائلة ومن النادر إستعمال الإسم الثلاثي، إلا أن الرئيس ترمب الذي يرى نفسه لا يحتاج إلى من ينصح أو حتى ينبه تعمّد القول "باراك حسين أوباما" وليس باراك أوباما فقط، بل وليس "المستر بريزدانت" أو "الرئيس السابق أوباما".

وأمام الرئيس بايدن، وقد خطا خطوات مهمة على خارطة طريق عهده ترتيباً للأوضاع وإختياراً لمن يشغلون مواقع إدارته الأوضاع ونجا من أحابيل إيقاع إنتصاره في الحبال القضائية، أن يأخذ في الإعتبار تصحيح سقطات كلامية كثيرة إرتبطت بالرئيس السلف، وقرارات من النوع نفسه إتخذت وكأنما هو أمر يخصه ولا يحتاج بالتالي إلى مشورة. ولعل أهم خطوات التصحيح المأمول، إعادة النظر في قرار إهداء ترمب القدس عاصمة لإسرائيل، وإهداء الجولان لحليفه نتتياهو الذي رد على الهدية بتسمية مستوطنة في الجولان بإسم ترمب. وإعادة النظر بهدف التصحيح لا تعود تتصللاً من وعد وإنما تسهياً لإستيلاد حلول يوصي بها أهل النصح ولمصلحة أهل الحُكم. وكما إرتأى ترمب بحكم سلطاته إلغاء إتفاق أبرمه سلفه مع إيران أوباما وكان لن يفعل ذلك لو أتاح المجال للمستشارين إبداء الرأي ففي إستطاعة بايدن أن يلغي ما يتعلق بالهدية المتعلقة بالقدس وما يتعلق بالجولان.. إنما هذا في حال خفف هو الآخر من هواه الإسرائيلي الذي بدأ معه عندما كان في السن التي عليها سن جاريد كوشنر. ولطالما تحدثت معلومات عن تأثر بايدن باللقاء

الذي جمعه للمرة الأولى بغولدا مائير التي زادته إقتناعاً بدعم إسرائيل، مع الأخذ في الإعتبار أن ما يميزه عن الرئيس ترمب أنه مع إسرائيل الدولة والوطن اليهودي فيما ترمب مع إسرائيل نتتياهو، ربما لخصال مشتركة بينهما، وربما لأن طبيعة رئيس الولايات المتحدة الآتي من مجتمع رجال المال والأعمال تميل إلى النفع السريع من أي علاقة.

في أي حال إن المأمول حدوثه من بايدن وقد إكتسب إلى جانب الفوز بالرئاسة صفة "رجل العام الكوروني" بإمتياز ليس فقط نزع ألغام الصراع الأهلي الذي قد ينتهي مواجهات في أميركا التي لا يخلو بيت من السلاح فيه، وإنما تبرير المحاذير التي تراكمت في سنوات ترمب وإلى درجة أن الإنسان بات يرى في الولايات المتحدة أنها ليست تلك التي يراها العربي كما لو أنه أمام حديقة جميلة، أو لوحة زاهية.

وإذا كانت إعادة النظر التي نشير إليها من باب التمني لن تتم فعندئذ سنرى مثل كثيرين أننا أضعنا رئيساً كان يمكن أن يصحح في رئاسته الثانية ما إقترفه في الأولى أفاظاً إستقرازية وقرارات محرجة والتعامل تقريباً مع سيادات وكأنما هي أعمال خيرية وأنه يوجد كما الخيرين بها، ومن دون أن نربح رئيساً هو من الطينة نفسها بالنسبة إلى قضايانا الأساسية... مع إختلاف الأسماء. ومن يعيش ير.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 30 ديسمبر (كانون الأول) 2020

المشهد المرعب لا قدر الله

في الوقت الذي كان يشغلنا كعرب أي حال سينتهي إليه العراك السياسي الأميركي الجديد من نوعه على أوساط أهل الحُكم في العديد من أقطار الأمة، وجاء يشغل البال وي طرح في المشهد السياسي احتمالات من شأنها إحداث مفاجآت تستدعي معالجات لتداعياتها ليست في الحسبان.. في الوقت نفسه تتزايد الخشية من احتمال حدوث مواجهة على ضفاف نهر النيل لن يكون من المتيسر محاصرتها بالمساعي الطيبة، ذلك أن ما يصدر عن أهل الحُكم المصري ومعهم أهل الحُكم السوداني في شأن أزمة "سد النهضة" يقابل من

جانب أهل الحُكم الأثيوبي بالتشدد وبالمماطلة مع الصيغة التوافقية التي تبقي على العلاقة مستقرة بين الدول الثلاث. هذا العناد من جانب رئيس الحكومة الأثيوبية أبي أحمد وكيف أنه خسر دوراً طيباً على صعيد المرونة وجعل السلام يتقدم على المواجهة في ما يخص الأزمة مع إريتريا وكوفىء دولياً عليه بمنحه جائزة نوبل للسلام، يجعلنا نتساءل: ألم يأخذ أبي أحمد في الاعتبار أن مكانته باتت أفضل بعدما أنجز تلك الأزمة التي تبين أن الشعب الأثيوبي يريد لها من أجل أن تستقر الأحوال ولا يعود الموضوع الإريتري بمثابة لغز ينفجر في لحظة غير مسبوقة.

كذلك نتساءل: ألم يأخذ أبي أحمد في الاعتبار أن المكانة التي حققها في شأن التسوية الموضوعية مع إريتريا هي التي أهله ليقلّي القبول من جانب الأطراف السودانية المنتقضة على النظام الإخواني البشير من أجل القيام بمسعى قام به وفق معادلة تقوم على الحل الذي يتم على أساس ألا تعلق كفة في ميزان الأزمة على كفة، وألا يأخذ طرف ما ليس من حقه أخذه على حساب الطرف الآخر. ورغم أن الأزمة كانت كثيرة التعقيد إلا أن إنطباعات طرفيها العسكري والمدني عن الوسيط، جعل اليسر يتقدم على العسر ثم أضفى الحرص الأفريقي والدعم العربي وبالذات السعودي _ الإماراتي _ المصري للتوافق حلاً للأزمة المزيد من التيسير للدور الأثيوبي.

هذه الشائعات في شخص رئيس الحكومة الأثيوبية أحدثت إرتياحاً لدى أهل الحُكم المصري المشغولي البال في موضوع "سد النهضة"، وإفترضوا أن الأسلوب الذي إعتّمه الرئيس الأثيوبي في أزمة جاره السوداني لا بد سيعتمده في موضوع السد. كما أن إدارة الرئيس دونالد ترمب رأت الأمر نفسه ومن أجل ذلك إتخذت خطوة غير متوقعة حيث أنها دخلت طرفاً في الأزمة، وعقد الرئيس ترمب في البيت الأبيض إجتماعاً مع رموز الدبلوماسية المصرية والسودانية والأثيوبية ومعهم وزير الخارجية الأمريكية، وغرضه من هذا الاجتماع الإستثنائي حث الطرف الأثيوبي الضار على التساهل مع الطرف المصري المتضرر من موضوع أن يكون ملء سد النهضة على حساب حصّة مصر من مياه النيل.

لم تكن الإفتراضات في محلها. لم يأخذ الرئيس الأثيوبي بتمنيات الرئيس ترمب ولا بأمانى الرئيس عبدالفتاح السيسي. وأما الصدمة الكبرى فكانت إشتباكات عسكرية _ أثيوبية _ سودانية على خلفية أزمة داخلية عاشها نظام أبي أحمد الذي لم يأخذ أيضاً بما سعى إليه قادة أفارقة.

كثرت الإجتماعات والمماطلات وبقي العناد على حاله. يصير أبي أحمد على الملء الكامل للسد. وما هو في ضوء الوضع الإستثنائي الذي تعيشه الإدارة الأميركية وكيف أن الرئيس ترمب شخصياً دخل طرفاً مشجعاً للتسوية، لم يعد ذلك الترمب.

نحن الآن أمام مشهد قد يكون لا قدر الله مرعباً إذا بقي رئيس الحكومة الأثيوبية على إصراره ملء "سد النهضة" وليفعل المعارضون ما يريدون. هو بهذا العناد يستحضر عناد الخميني في رفض وقف الحرب مع العراق، وعناد صدام حسين في رفض الإنسحاب من الكويت التي غزاها. لم ينفع العناد كلاً منهما ولن ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة كثيرين من الطينة نفسها... وهم كثر في إيران ولبنان وسوريا والعراق واليمن وليبيا، وفي فلسطين بأجنحتها الثلاثة.

ويا ويل المنطقة من الذين لا يعقلون ولا يخافون الله.

كتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 11 يناير (كانون الثاني) 2021

خواطر المواطن العربي الحزين

تتأمل في إشراقة اليوم الأول من العام 2021 فتشكر الله سبحانه وتعالى على أنك لم تسقط فاقداً حياتك بجائحة الكورونا، فقد أمضيت ثلاثمائة وستين يوماً كما الملايين في العالم المجتاح تعيش في حالة المرشح لأن تصيبك الجائحة حالك حال هؤلاء الذين يتساقطون يومياً. ثم تأتي تباشير اللقاح فتجد نفسك تواقّة إلى نصيبك منه عسى ولعل يقيك في العام الجديد وما تليه من أعوام من إجتياح لبندك من أذى الجائحة تقتك بحاسة الشم عندك وإحتباس الأنفاس ثم بتوابع من الضنك ومن الرأس حتى القدمين. وإذا أحاطك المولى عز وجل بعنايته وبقيت على قيد الحياة فإنك ستمضي العمر أسير شبح الجائحة ماثلاً أمامك، بحيث أن سعالاً عادياً مؤشراً إلى الإصابة وأن حالة من تعب الجسم الذي من الطبيعي الشعور به بعد يوم من العمل هي أيضاً مؤشر إلى أن الجائحة شقت طريقها إلى بدنك، وأن ارتفاع حرارة الجسم درجة أو إثنين مؤشر أيضاً إلى أن الخطر الكوروني داهم، مع أن هذا الإرتفاع في درجة حرارة الجسم أمر مألوف وكنت لا تعيره

سيستضيفها الملك سلمان لاحقاً إلتباع التصافي الخليجي بإنجاز خطوة على طريق التصافي العربي وبحيث يتم إنتشال الشقيق السوري من الجب الإيراني الذي وقع فيه، وهذا واجب نخوي كما الواجب الذي بذله أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد وإعتبره شقيقه الأمير نواف وصية فأكمل الواجب الوطني والقومي الذي أثمر بمباركة خادم الحرمين الشريفين له.

وإذا سمعنا ذات يوم ليس بالبعيد أن الشيخ محمد بن زايد بدأ من خلال سفارة الإمارات في دمشق وبتسيق مع الرئيس عبدالفتاح السيسي المنفتح نسبياً على النظام السوري المبتلى بالجائم الروسي على أرضه وبحره وجوه والجائم الإيراني على قراره وأنفاسه، قاما بمسعى طيّب كالذي قام به الشيخ صباح وثابر عليه وبلغ منتهاه بمباركة الملك سلمان له فكانت علا التلاقي وإستذكار الأواصر على نحو القول الشعري "تذكرت القرى ففاضت دموعها"، فإن ملتقى في أبو ظبي يجمع الرئيس بشّار بإخوانه من شأنه أن يؤسس لإستعادة الأخ السوري الذي لا بد كما الأخ القطري، سيرى أن الخيمة العروبية واقية عكس الرهان على أطراف تعطي من طرف اللسان حلاوة ومن القوة العسكرية إستيطاناً يليها كل أنواع الأذى بأشقاء.

هذا الذي واكبه أبناء الأمة يوم الثلاثاء 5 يناير/ كانون الثاني 2021 لم يقتصر على أنه تجربة رائدة على صعيد إستبدال الشقاق العابر بوفاق راسخ يذكرنا بما قام به الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بقمة إستضافها من أجل مصالحة أردنية _فلسطينية وما قام به الملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز خلال قمة إقتصادية استضيفت من حُسْن الإختيار في الكويت، وإنما هو إنعاش للنفس العربية الحزينة من كثرة الصدمات والخيبات. وعندما سيكتمل تثبيت القرار الوطني في كل من العراق ولبنان ويستعيد اليمن النصف المصادر من كيانه الوطني ويتوحد الصف الفلسطيني، فإن خواطر المواطن العربي لا تعود على الحزن الذي إستحكم في نفسيته من قبل أن تحل الجائحة التي زادت النفس حزناً، وجاءت صيغة إستعادة التصافي في العلا والتوجه نحو التوافق بمثابة اللقاح السياسي الذي تفرزه الإرادات ويتكفل بإستبدال ما سبق وحدث وأضرّ بما يوحد الصف... وهدياً بقول الرسول "المرء كثير بأخيه. عليكم بالجماعة فإن الذئب إنما يصيب من الغنم الشاردة".

الاهتمام من قبل وكانت الحرارة تعود إلى درجتها العادية. وستتعامل مع الكمامة كما لو أنها ساعة اليد التي تحرص صباح كل يوم على وضعها في معصمك وكما النظارات على عينيك، وستفقد شيئاً فشيئاً بهجة زيارة أحبائك وتمضية الوقت مع الأبناء والأحفاد.

وتتأمل مع إشراقة اليوم الأول من العام الوارث كل أنواع الصدمات والخيبات والإنتفاضات تعصف بكيانات من أمتك التي قلّ عدد الحكام البررة بها وإرتفع الرقم في عدّاد الخصومات والرهانات وتحوّل الجار الفارسي وبعده الجار العثماني (المسلمان) إلى شاهر كل منهما تدخلاته بهدف إيقاع الأذى المباشر بأخيه العربي أو من خلال وكلاء فقد أصحابها وجوب تقديس المبدئية والولاء للوطن وتحولوا إلى أدوات يستعملها ذلك الأخ الجار من أجل إستنزاف قوتك وثروتك وإنهاك خاصية الأواصر. ثم يفاجئك جار مسلم آخر يلتحف كما الأول بسلاح المذهبية وأحلام السطوة على كيانات ومحاولة وضع اليد على حقوق في البحر والبر مبرراً أفعاله الشريرة هذه بأنها كما تبرير الآخر من أجل خير الأمة، ومتى كان الشر من خلال ورقة تجنيد المرتزقة وتكديس السلاح لأطراف لا تسلك طريق الهداية، خيراً للأمة.

ويحترأ أمرك في هذا الذي يحدث ولا رادع لمقتري هذه التدخلات أصحاب المشاريع الناشئة عن أحلام طاووسية غير مبالين بأحوال شعوبهم، وتتأمل في إنتظار ما يبذل الحال نحو الشفاء النفسي بالقول الكريم "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون".

ثم ترى في تباشير مفرحة ما يخفف وطأة الأثقال الضاغطة على النفس الحزينة. ومن الطبيعي عندما ترى النقلة النوعية من أقسى درجات الخلاف الذي ألقى بظلاله على النفس العربية الحزينة إلى التلاقي في الملتقى الأخوي في رحاب الملك سلمان بن عبدالعزيز مبتكر الصيغ الخلاقة للتصافي، فإنك تستعيد الطمأنينة التي إفتقدتها النفس الحزينة على ما أصاب الأمة التي كان الراح السلمي من الخصومات هو الطرف العايب من خلال تدخلاته على أنواعها. ويحدو المواطن العربي الذي بدأ الحزن يتلاشى بالتدرج من نفسه وهو يتابع مشهد التلاقي في العلا _ الأرض بأمل أن يتطور ليأخذ مكانه في العلى المكانة وتثبيت الاستقرار، أن تشكّل القمة التي

ولقد عاش الخليج سنوات في مواجهة ذئبين وليس ذئباً واحداً. وها هي روح ملتقى العلا تؤكد أنه سيكون أشد عزيمة أمام الأفواه الذئبية وأنيابها.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 17 يناير (كانون الثاني) 2021

هل من فرصة لعودة الوعي

في زمن الإنتفاضة اللبنانية التي أطفأ الكثير من جذوتها التعامل بإستهانة وعند الإضطراب بإهانة من النظام اللبناني بكل رئاساته وتفرعاتها ومعه الإنتقضا من المتدرج من جانب تيار الرئاسة الأولى وساتره "حزب الله" من جهة وحليفة الحزب من جهة أخرى حركة "أمل"... في ذلك الزمن الذي تتوق الأطياف اللبنانية المؤمنة بالوطن والسيادة إلى عودة حيويته عل وعسى تصطحب الأمور التي لم تصطحب على مدى أشهر الحراك المنزه عن التعصب والفئوية، نشطت ظاهرة التعبير عن الغضب وذلك بالكتابة على جدران مباني الوزارات بمن في ذلك وزارة الداخلية والمصارف وشوارع العاصمة والطرق المؤدية إلى المطار. وكانت الكتابات في معظمها رديئة بل إن عبارات الشتائم كانت أحياناً من النوع الذي يوجب الحياء عدم ذكره. ولم يسلم أي من الرؤساء وكثير من الوزراء والمسؤولين من كتابة شتائم في حقه.

ولكم كان محزناً رؤية مبان إتسمت بأعلى درجات الرقي وشكلت العصب التجاري للبنان وقد أقفلت المحلات فيها الأبواب وعززت الإقفال بأبواب حديدية، كيف أنها إمتلأت بكل أنواع عبارات الشتائم كُتبت برداءة وإعتمدت إهانة هذا المسؤول أو ذاك.

يصعب على من عرف بيروت قبل هذا الوجه البشع لها أن يتحمل كيف أن المدينة التي كانت أم الشرائع باتت أم الشتائم وكيف أن أهل الحُكم فيها عن ذلك ساهون، مع أن جل الشتائم التي تتسم برذالة المفردات إستهدفتهم.

ولكن كيف لا يكون هؤلاء ساهين وهم الذين يتبادلون عبر تغريدات وتصريحات تتناقلها وسائل الإعلام أسلوب الشتيم نفسه مع إختلاف في إختيار المؤدّب والمهذّب من الكلام، والذي مع ذلك لم يحقق النتيجة الإيجابية لمعالجة

الوضع المتردي.

منذ أن بدأت جذوة الإنتفاضة بالإنفاء تدرجاً، بات اللبنانيون الحائرون في أمر رئاساتهم الثلاث وكيف تدير شؤون الدولة غير مكتثرة بأحوال الناس، ينتظرون يوم الأحد من الأسبوع لسماع ما تحويه عظة البطريك الماروني الكاردينال بشارة بطرس الراعي من كلام قد ينبه أهل الحُكم إلى سيء إدارتهم لشؤون البلاد والعباد، وذلك على أساس أن البطريك الراعي تصرّف منذ أن طرح صيغة الحياض حلاً للبنان الشعب والكيان، على أن كلامه بمثابة دقات الجرس التي تُسمع ويلقى كلامه التفعيل لتعديل الإعوجاج في ما هو حاصل. ولقد قال البطريك من الكلام ما هو كفيلاً بتحقيق المأمول لو أن أهل الحُكم تمنعهم كرامتهم. وكيف ستعنيهم إذا كانوا تجاوزوا ما كُتب من عبارات الشتيم التي تمس الكرامات والأعراض أحياناً على مدى أسابيع الإنتفاضة! وعندما يخاطب الراعي أهل الحُكم في إحدى عظاته بالقول "ألا يشعر المسؤولون بالخجل" فإنه كان بذلك يتوقع حدوث حالة من عودة الوعي إلى المسؤولين، لكن خاب أمله بدليل قوله في عظة أخرى للمثلث الرئاسي الراهن بكامل مخططاته المعلن عنها تلميحاً والمعمول من أجلها بكل عزيمة "إن كان ثمة من يراهن على سقوط الدولة فليعلم أن هذا السقوط لن يفيد له ولن يفتح له طريق إنتزاع الحُكم لأن إنتصار بعضنا على بعض مستحيل بكل المقاييس ولأن اللبنانيين شعب لا يقبل إصطناع دولة لا تشبهه ولا تشبه هويته وتاريخه ومجتمعه ولا تجسد تضحيات شهدائه في سبيل الحرية والكرامة...". ثم يأتي التدعيم الواعي لهذا الكلام النصيحة في صيغة مماثلة من جانب رأس المرجعية الأرثوذكسية في لبنان المطران الياس عودة الذي هو الآخر لا تخلو عظات قدايس الأحد من تذكيرات قد تنفع الذكرى وتنبهات قد تجعل الأمور تستقيم، ومن هذه قوله "لن يستقيم الوضع في لبنان إلا عندما تصبح المراكز التي يتولاها اللبنانيون تخص الوطن بأسره، لا طائفة هذا الموظف أو ذاك المسؤول، وعندما يعمل هؤلاء من أجل خير لبنان واللبنانيين، لا من أجل مصلحة الطائفة أو المذهب. أما القامات والرجالات الكبار فينسحبون بعزة وكرامة وهؤلاء عندما يقتربون خطأ، دون تشويش على القضاء أو خروج على القانون". هو بكلام آخر يقول: لماذا لا تستقيلون فترتاحون وترتاحون؟ لا الوخر المعنوي الذي يدمي الكرامات والمتمثل بما

حوته الشتائم في حق أهل الحُكم والمصارف التي ملأت جدران المباني أفاد، حيث ما زال السلوك على السوء نفسه. فهل إن الكلام _ النصيحة من المرجعية الدينية الثنائية الراعي _ عودة ستشكل وخزاً فاعلاً للضمان وبذلك يستعاد الوعي الذي إذا إستمر مفقوداً يفقد اللبنانيون وطن الآباء والأجداد.. لا قدر الله حصول ذلك.

عسى ولعل نصحو على مفاجأة تكون بيروت إستعادت جمالها ومهابتها وأزيلت كل هذه الشتائم المكتوبة على مباني مؤسسات الدولة والمصارف، وحلت محل ذلك ما يشبه تلك المسحة الراقية والحضارية التي تعيشها مدينة جدة التي تابعنا في صحيفتنا قبل أيام ما بدأه عشرات من المتطوعين حيث يزنون شوارع المدينة وجسورها بفنون الخط العربي وبحيث باتت هذه الجسور والجدران تنطق جمالاً أخذاً يبعث في نفس المشاهد حالة من الفرح. وهذه في أي حال إحدى إفراغات رؤية 2030 التي باتت مثل شجرة كل غصن جديد فيها يحمل الإخضرار والثمار فنوناً وتطلعات حضارية نحو عصر 21الدين... خط حفيد ولي العهد الأمير محمد بن سلمان يرسم عموم العالم. رعاه الله وحقق أمانيه.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 19 يناير (كانون الثاني) 2021

أعان الله جو بايدن ومصطفى الكاظمي

عام 2004 حدثت إنتفاضة خجولة من جانب وسائل الإعلام الأميركي صحفاً وفصائيات بسبب ممارسات مخجلة إقترفها جنود وجنديات أميركان في سجن "أبو غريب" الذي ملأ به الحاكم الأميركي بريمر ووزير الدفاع زمناك دونالد رامسفيلد مئات السجناء. ونشرت تلك الوسائل صوراً لسجناء عراة تمثل إحداها جنديّة أميركية تستمتع وزميلها بتعذيب أسير أُجبر على التعري فيما هنالك كلب شرس أتى به الجنديان يهم بالإنقضاض عليه.

زمناك وبعد النشر تقادى الرئيس بوش الإبن ورامسفيلد ومعهما وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس الإعتذار من الذي جرى في "أبو غريب" وإكتفى الثلاثة بإبداء الأسف.

مناسبة هذا الإستحضار من جانبنا لتلك الواقعة المشينة أن جوزف بايدن الذي إستقبلنا بشعور الحائرين

تتصيبه الرئيس السادس والأربعين للولايات المتحدة خلفاً للرئيس _ الأمبراطور دونالد ترمب منتصف نهار الأربعاء 20 يناير/ كانون الثاني 2021، كان في زمن واقعة "أبو غريب" المشينة عضواً في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ. ولقد هزت وجدانه اللقطات المصورة لوقائع التعذيب في "أبو غريب" فأقترح أن يستقيل رامسفيلد وزير الدفاع.

الآن وبعد ست عشرة سنة هنالك آمال معقودة على جوزف بايدن الرئيس أن تكون مشاعره الإنسانية تجاه أحوال من التعذيب للأسرى والمساكين في "أبو غريب" كثيرة بالذات في إسرائيل واليمن وسوريا وليبيا، تمثل مشاعره إزاء الواقعة التي أشرنا إليها.

وقد يقال إن ذلك الموقف الذي إتخذه بايدن الذي كان على الدرجة الأولى في سُلّم الصعود السياسي إنما إتخذه لإن مقترفي الواقعة المشينة أميركان وأنهم وهذا هو الأهم في جيش الدولة العظمى أميركا. وهذه حيثية يؤخذ بها في حال أن أميركا لا تتصرف مع دول المنطقة وكأنما هي اللاعب الأكثر فعالية في أمن هذه الدول وسياساتها. ومثلما أنها تعطي لنفسها حق إصدار العقوبات وتلك سياسة إزدهرت في سنوات الرئيس ترمب ولكنها لم تبلغ منتهاها فإن الواجب عليها في ظل ولاية رئاسية جديدة إستكمال التصحيح الذي بدأته في اليوم الأول لها. ومع أن هذا التصحيح إقتصر على قضايا داخلية في معظمها إلا أن أميركا التي تصحح هي غير أميركا التي كانت لا تقايض بشكل عادل، أي بما معناه إنها كانت تأخذ من الجانب العربي أكثر مما تعطي، بل يجوز القول إنها عرفت مواقف ومساندات وإكتفت من الرد بإصدار عقوبات جعلت الطرف المعاقب في نظر مجتمعه كما لو أنه مظلوم من ظالم وليس منتهجاً السلوك المعطل للإستقرار والأمن الاجتماعي. ولنا في هذا الذي يتواصل حدوثه في لبنان وسوريا واليمن وليبيا ما يعكس فداحة هذا السلوك. كما لنا في هذا المستعاد حدوثه في العراق الذي ما أن وضع العهد الكاظمي التصحيحي قدمه على سكة إعادة النظر في توجيهات الإحتواء والتحضير لإنتخابات تؤسس نتائجها لسلطة تشريعية غير مرتبهة، حتى رأينا الرد السريع المزجج عليه وفي وقت واحد. فالذي هو الرمز الفاعل للعراق المحتوى نوري المالكي يعترض على رقابة دولة محايدة لعملية الإنتخاب وهذا يعني أن الانتخابات إما تكون بمثل البرلمان الذي أبقى العراق في حال من الإرتهان أو لا تكون. ثم يحدث الشق الثاني من الرد تقجيراً بنكهة سليمانية وبما معناه أن الثأر

للحاج قاسم المرجأ حدوثه في قلب أميركا وفي ديار أصدقائها، على نحو ما سبق لمنشآت أرامكو، يمكن البدء به في عراق مصطفى الكاظمي الذي كان يسعى جاهداً لكي يبدأ في العراق عملية إعادة النظر التي خطواتها من حيث المباشرة وعدم التأجيل ما يشبه الذي بدأه الرئيس الأميركي الجديد وفي اليوم الأول لإمساكه قلم التوقيع على قرارات أعدت له سلفاً.

أعان الله الرئيسين المستهدفين اللذين ينويان بصدق تصحيح ما بات تصحيحه واجباً وطنياً، وإعادة النظر في سياسات وإقتراعات وخطوات وقرارات ظالمة. ونقول ذلك من منطلق كما أننا في العالم العربي نوافقون إلى أميركا الصديقة رداً على أميركا التي أساءت إلينا أفدح إساءة على مدار أربع سنوات. كما أننا نوافقون إلى أن ينجو العراق من الشباك التي كبلت قراراته وإرادته الوطنية، عل وعسى في نجاته ما يؤسس لنجاة لبنان فلا يتواصل ذبولاً ونجاة اليمن بحيث لا تذوب مقولة "الحكمة يمانية" في "الأسيد" الحيثي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 24 يناير (كانون الثاني) 2021

أوطان في مهب القضم

هنالك بعض أوجه الشبه في مقدمات ما جرى قبل ثلاثين سنة عندما لم يرتض الرئيس صدام حسين أن يكون واحداً من مجموعة إخوة في الجناح الخليجي من الأمة وإقترف إثم الغزو الذي أتبعه بضم دولة كانت كما سائر دول الخليج دون غيرها من الدول العربية سندا بالمال والإعلام والحراك الدبلوماسي لمواجهة إيران الخمينية طوال ثماني سنوات من الحرب الطاحنة الماحقة، وبين الذي تمارسه إيران الخامنئية منذ بداية العهد الثاني من الثورة الإيرانية وتؤكد بما تفعله أنها هي الأخرى ومن خلال إثم التحرش والإعتداءات بتكليف غير إيرانيين القيام بها لا ترتضي أن تكون أحياناً جارا تحادد إخوانها الخليجيين العرب.

وإذا كان الفعل الصدامي غزواً وضماً للكويت خطأ، فإن الفعل الإيراني تحرشاً وقضماً بالتدرج يصل إلى مرتبة الخطيئة. لقد إعتبر صدام حسين أنه لمجرد أن يستكمل مخطط الضم ويبسط النفوذ بكل مناحيه فإنه يصبح الرقم القوي الذي يتعامل المجتمع الدولي معه على نحو ما كان

جمال عبدالناصر يتطلع إليه وبقي التطلع قائماً إلى أن حدثت حرب 5 يونيو 1967 وإنتهت هزيمة حاول مداواتها بالتتحي الذي لم يكتمل. وأما ورثة الحقبة الخمينية فإعتمدوا أسلوب القضم كونه الأكثر يسراً لهم لأن الورقة المذهبية ذات تأثير يفوق بكثير أي أوراق أخرى. وبالورقة المذهبية والتي لها فعل ذهبي من حيث قيمتها كتأثير بدأت عملية متدرجة لقضم الإرادات والسيادات حيث هنالك حضور مذهبي شيعي أو هو رافد للأصيل. وهنا للتحديد نشير إلى أن الحضور الأصيل هو في العراق ولبنان فيما هنالك الرافد العلوي في سوريا والرافد الحوثي في اليمن، فضلاً عن جداول صغيرة في مصر وبعض الدول العربية.

من خلال العلاقة مع سوريا التي ربطها النظام بإتفاقيات مثلت المشاعر المذهبية دوراً في إتمامها، بدأت عملية تفعيل الرافد اللبناني وتسريع البدء بتحويله إلى العنصر الفاعل في القرار السياسي، ومن هنا جاءت معادلة الشعب والجيش والمقاومة على خلفية إنتصار على إسرائيل التي كانت إحتلت مناطق من جنوب لبنان. بعد هذه الخطوة وتمكين إيران من الإمساك بمفاصل في النظام السوري جعلها شريكة في قرارات الدولة أكثر منها ذات دور إستشاري، بات هنالك ما يجوز إعتباره "الجمهورية الظل" في لبنان كما حكومة الظل في بعض دول العالم. ثم إكتملت تلك "الجمهورية الظل" بشراكة غير مسبوقة مع النصف الأقوى من المارونية السياسية في شخص الجنرال ميشال عون الذي بنى شعبية من خلال مقاومة "الاحتلال السوري" للبنان كما نال ضمن معادلة مستعربة رئاسة لبنان من خلال إرتداد على الموقف السابق بتحالف مع "حزب الله". وبذلك بات دور الطبعة الجديدة من المارونية السياسية وتأثيرها بمثل دور الحوثية السياسية في اليمن.

وهنا بات الذي يحدث وعلى سبيل المثال لا الحصر في كل من لبنان واليمن عملية قضم إيرانية متدرجة للسيادة وللقرار وبحيث أن أوجه شبه كثيرة ماثلة أمام المجتمع الدولي بين الضم على نحو ما إقترفه صدام حسين في حق دولة ذات سيادة وبين القضم الجاري خلسة وأحياناً على الملأ وضمن ذرائع وإجتهاادات غير مقنعة وغير مطمئنة وغير سيادية وهذا هو الأهم. وليس مستبعداً في حال لم تحدث حالة التنبه مما هو قيد التخطيط له أن ينتهي الأمر بلبنان إلى ما إنتهى إليه في

اليمن كأن يتم بذريعة ملء الفراغ السياسي الأقوى مذهبياً ومن خلال الغطاء الماروني المتمثل بحليف حزب الله وشريكه تمديد رئاسة رئيس الجمهورية الحالي وفي ظل التمديد يتم إختيار الرئيس الخلف الذي يكون بطبيعة الحال يمثل السلف لجهة الولاء وعدم الخروج من التحالف.

لولا الإختراق الروسي للوجود الإيراني في سوريا وتلك خطوة تُحسب للنظام البشّاري، أو ربما هي وصية، من وصايا الوالد الذي رحل، لإبنه الذي ورث الرئاسة، لكانت وتيرة القضم تسارعت وبحيث لا تعود النجدة الإيرانية للنظام الذي غادر عرينه العربي مختاراً أو مضطراً أو مغامراً أو حتى مراهناً أو مقامراً، تقتصر على حالات متتالية من التشبّع وإنشاء المزيد من المدارس وإدراج الفارسية لغة في المناهج الدراسية ومن إستملاك عقارات أموية تاريخاً وتراثاً وتغيير أسماء شوارع بحيث أن التسمية المستجدة لهذه الشوارع في سوريا هي فرع للتسمية المعتمدة في شوارع طهران وغيرها. وبعد الإختراق الذي نشير إليه والذي بات عبئاً على رئاسة فلاديمير بوتين التي تواجه هذه الأيام حراكاً شعبياً غاضباً قد يتطور إلى ما يشكل بداية زعزعة المهابة البوتينية، بات النظام البشّاري أسير ذئبين في وقت واحد وعلى أهبة تسريع وتيرة إنخراط الذئبين الآخرين التركي والأميركي في اللعبة ونزولهما بشكل أكثر فاعلية إلى الحلبة.

ما يراد قوله إن أسلوب الضم الصّدّامي الذي قُضي عليه بالقضاء على فاعله شخصاً ونظماً، هو ما قد يصبح أمراً واقعاً في حال لم يقتنع النظام الإيراني بأنه كواحد من جمّع في المنطقة أكثر أمناً وسلامة لإيران الخمينية التي أفشل لها صدام حسين مشروع الضم الذي كانت على أهبة البدء به من خلال ضم العراق كما ضم صدام الكويت، وضم العراق أكثر يسراً ما دامت المسألة كذريعة إسترجاع حقوق مؤمنة للشيعة من النظام السّني. هكذا كانت الاطروحة الخمينية وفي هدي هذه الاطروحة شيدّت إيران قلاعها في العراق بأمل أن يكون محطة ترانزيت ثابتة لها في الطريق إلى سوريا وتكون هذه الأخيرة محطة الترانزيت الأكثر ثباتاً لها في طريقها إلى لبنان تمويناً وتدريباً وتأثيراً.

يطول الكلام في هذا الشأن المعضلة ولكننا في واقع الحال أمام حالة قضم من جانب إيران لسيادات وقرارات أقطار عربية مرشحة لما هو أسوأ بكثير مما نراه الآن في

لبنان واليمن وسوريا والعراق، وهذه الدول قد تصبح لقيمات سائغة في الأفواه الإيرانية بشتى منطلقاتها الحرسية الثورية والمرشدية والمرجعية والنووية آتياً، في حال طال التعامل العربي - الدولي الراهن مع المخطط الإيراني الطموح ضمناً الشره شكلاً. ولا يخفف من وطأة مفاعيل هذا المخطط إدعاء الجار الإيراني بأنه ليس من يتدخل مباشرة وأن الذي يجري في بعض الدول العربية أو تحدث محاولات قصف لها هو حالة عربية - عربية.

هنا يستحضر المرء ما حدث بعدما غزا صدام حسين الكويت وألغاهما بزيارة لها وبتعيين حكومة بديلاً للحكومة الشرعية. فلو أن التعامل زمنذاك مع الفعل الصّدّامي كان بمثل التعامل العربي مع إيران الخمينية التي تمارس دوراً من خلال القضم يتمثل في مصادرة الإرادة الوطنية والسيادة والقرار والذي يتمثل بعض الشي خطورة وتأثيراً بالضم والإحتلال، لكانت الكويت إلى الآن "قرباً عاد إلى الأصل" ولكن الحراك العربي وإن لم يكن مكتملاً أمكنه إستعادة الكويت من أسرها، مع إرفاق الإستعادة بشديد المرارة لما نتج عن الإستعادة من كوارث للعراق ما زالت معالجاتها لم تنته بعد مرور ثلاثة عقود على إرتكاب إثم، كان العراق في غنى عنه لو أن سلطته الحاكمة إرتأت وعن إقتناع بأن الأخ واحداً من مجموعة أخوة أكثر طمأنينة له في السراء والضراء. ومن هنا فإن حراكاً عربياً مماثلاً مع إفتراض أنه سيكون هذه المرة أكثر رحابة، لذلك الحراك الذي جرى من أجل تحرير الكويت، هو فعل ضرورة.. وإلاً ضاعت كيانات عربية. والمتأمل في أحوال كيانات مثل لبنان وسوريا واليمن والعراق يرى أنه من دون ذلك الحراك لن يكون هناك إستقرار مستديم ولا جوار حسن. ونتذكر كيف أن أمير الدبلوماسية السعودية سعود الفيصل رحمة الله عليه بقي حتى وهو يتعالج ينادي النظام الإيراني بخير العبارات من أجل التحادث بما يحقق أفضل العلاقة ويقترح لهذا الغرض الطيّب صيغاً للقاء أحدها في جدة والتحادث، ولكن إيران لا تتجاوب. والمملكة في ظل الدبلوماسية السعودية الراهنة والمستندة هذه المرة إلى إلتفاف عربي نسبي وخليجي شامل حولها تتنادي بالرغبة نفسها لكن إيران ترد إما بصاروخ حوثي يستهدف حتى العاصمة الرياض وبشحن كلامي ومذهبي من لبنان يعطل أي محاولة لتحسين الأحوال التي تزداد سوءاً في دول تنشط الأذرع الإيرانية فيها على أساس أنها فروع للأصل.

هل يحدث مثل هذا الحراك العربي وهل يتجاوب المجتمع الدولي بوقفة مع هذا الحراك بمعنى أن لا تقتصر على العقوبات المالية ولا فقط على التصنيفات بين إرهاب وفساد، وإنما على خطوات أكثر فعالية لا يتمنى المرء أن تكون على نحو الحرب التي من أجل تحرير وطن دمرت وطناً. ومن محاسن الصدف أن الإدارة الأميركية وحليفاتها في القارة الأوروبية العجز المبتلة مثلها بالجائحة الكورونية وحفידاتها المتحورة، أكثر تعقلاً من الذي جرى قبل ثلاثين سنة... ويا ليتة حدث بشكل أقل تسرعاً. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 10 فبراير (شباط) 2021

من الرياض والقاهرة وبغداد إلى بيروت..

عساكم طيبين

من الطبيعي في الأيام الكورونية التي طالت مفاعيلها المؤذية أن تنتشط الذاكرة التي تختزن أسماء أصدقاء في الرياض والقاهرة وبغداد عطّلت الجائحة الكورونية لقاءاتهم، كما أن موانع السفر حالت دون زيارات متبادلة بينهم، فيلجأ المحجور مثل حالنا وحال هؤلاء الأصدقاء في أكثر من عاصمة عربية وأجنبية إلى الإتصال هاتفياً للإطمئنان بداية عما إذا كانت الجائحة لم تلسع كالأفعى السامة الجسم المنهك أصلاً، وإرفاق عبارة الحمد لله على السلامة بالطيب من الدعاء أن يحفظ الجميع.

هذا الذي نشير إليه كان يحدث على مدى بضعة أشهر مضت، ثم إذا بالكثيرين من رفاق جلسات النقاش في الرياض التي طال الغياب عنها مع رشف القهوة العربية التي ينعش هالها ومجلسها النفس التي أضناها غلو الجارين الفارسي والعثماني، يضيفون إلى الإطمئنان عن الصحة وهل نأى الفيروس المحير والمتحور عنا، الإستهجان من هذا الذي نعيشه في لبنان، وكيف أن وطناً جماً يمعن أهل الحُكم فيه بعثرة ويتعامل معه أولو الأحزاب والحركات بإستهانة وكأنه لعبة الكترونية للتسلية في زمن الحجر الكوروني. ومع الإستهجان إستفسارات من نوع: لماذا يحدث ذلك؟ وكيف أن في كل دول العالم تتشكل الحكومة في خلال أسبوع على الأكثر، وإذا كانت هنالك

موجبات لتعديل وزاري فإن هذه يؤخذ بها وتسير الأمور وكما لو أن ذلك أمر عادي جداً. كما من بين الإستفسارات المقرونة بالإستهجان ما يتعلق بصيغة إستقرار تحققت بعد طول إجتماعات وسعي مخلص هدف السعاة إليه كان إنقاذ لبنان من حرب أهلية. ولماذا هذا الإيذاء المتعمد لتلك الصيغة التي يُذكر بالخير سعاتها بدءاً بالملك فهد بن عبدالعزيز وأشقائه وإخوانه عبدالله وسلطان ونايف والرمز الدبلوماسي المضيء والصبور الأمير سعود الفيصل رحمة الله عليهم، ورحابة صُدّر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان يوم كان ما زال أميراً للرياض ودائم الحرص على أن تكون بيروت كما القاهرة تضيئان دونما إنطفاء ولو عابر مما يبعث في النفوس الطمأنينة. ولكم كانت تخريجاته علاجاً للعُقد التي إستحكمت أحياناً ثم أخذت طريقها إلى إذابة التصلب والأخذ بالممكن من النتائج الطيبة. ولولا تلك الصيغة التي هي "إتفاق الطائف" لما كانت قامت قيامة للبنان، ولكانت حاله كما حال دول تتوارث الإحتراب الأهلي وتسود فيها شريعة الميليشيات.

كما يُرفق الأصدقاء الذين يتصلون من الرياض وهم المحبون للبنان إمتداداً لحُذّب دولتهم والشعب السعودي عموماً إستفسارات الطمأنينة، بالتمني على الممسكين بمقاليذ السلطات الكف عن بعثرة خصوصيته، ويرفقون الإستفسار عن الأحوال الصحية منها والعامّة، بأسئلة يرومون إجابة مقنعة لها، إذ بتلك الإجابة تستقيم الرؤية.

بداية يسأل هؤلاء: أليس هناك رئيس جمهورية للبنان الشعب والوطن؟ ونجيب: هنالك رئيس إنما هو لحليفه "حزب الله" أولاً وثانياً ثم ثالثاً للحزب الذي أوكله إلى صهره، فبات هذا الصهر يرى في نفسه مكانة كتلك التي رآها على مدى أربع سنوات ترمبية عجاف لنا كعرب، صهر الرئيس الذي أودى به العناد والتشاوف إلى أنه بات برسم الإدانة في محاكمة قد يلسع لهيب مثيلة لها لحليفه غير الطيب النوايا بنيامين نتتياهو. مع ملاحظة أن الصهر الترمبي كوشنير هو أكثر تعقلاً وأقل جموحاً من الصهر العوني. ونضيف إنه لو كان، أو لو يتصرف، رئيس الجمهورية العماد ميشال عون على أساس أن واجب الرئاسة صون البلاد فلا تغريط بسياداتها، والحرص على العباد فلا يرتضي ما هي عليه أحوالهم البالغة السوء على مدى ثلاث سنوات مضت، لما كانت حال الوطن على هذه الغلبة عليه أسير إرادة إقليمية تستعمل كورقة في تورط ساقط نفسها إليه.

ويسأل هؤلاء ما الذي يحول دون أن يكون هذا الرئيس كالرئيس السلف وكلاهما جنرالان في جيش شرعي يساكن على أرض الوطن جيش أمر واقع يتبين أنه أقوى شأناً منه كعقيدة وكتسلح. وللتذكير فإن الرئيس السلف الجنرال ميشال سليمان أثر مستقبلاً بأشهر ولايته الرئاسية فاستعجل المغادرة بعدما صحح ما كان إرتضاه بفعل إغراء المنصب الرئاسي، وبدأ في التصحيح كمن يريد القول إن لوطنك عليك حقاً وإن هذا الحق يتقدم على أي مغريات حتى إذا كان منصب رئاسة الدولة.

ويسأل هؤلاء هل إن هذا التعطيل لتشكيل حكومة مرتبط بتدبير يتم التحضير له وهو أن يكون وريث الرئيس الحالي ميشال عون على التحالف نفسه مع "حزب الله"، وذلك ضمن معادلة أن هذا الرئيس لا يستطيع الوصول إلى المنصب الأول والبقاء فيه من دون التحالف مع "حزب الله" وأن الحزب يتراجع شأنه أو يخوض مواجهة إذا جاء آخر خال من الارتباط ومترهب نسبياً للبنان الوطن والشعب رئيساً للجمهورية. وهنا يصبح تعطيل تشكيل الحكومة كما هو حاصل ورقة للضغط والمساومة فيما دور الحكومة وواجبها تسيير أمور البلاد وتذليل الثغرات التي تعترض علاقات لبنان مع دول العالم، وبالذات مع الدول التي تتعاطف معه ويعينها أمر إستقراره، فضلاً عن دول المجتمع الغربي عموماً من أميركا إلى أوروبا وروسيا الذي يرى في لبنان أنه الملاذ الذي لا ملاذ غيره لمسيحيي الشرق بعد الذي أصابهم في العراق وسوريا، ولأنه كذلك لذا فإن إستقراره مهم كصيغة إهتزت، ويمكن تعديل إجتهادات في شأنها أو كحالة من الحياد كتلك التي أطلقها رئيس الكنيسة المارونية البطريرك الراعي وكانت ستبدو أكثر تأثيراً في ضمير الناس وليس فقط مؤثرة نفسياً لو أن إطلاقها جرى على نحو إطلاق الميثاق الوطني. وقصصنا من ذلك القول إن الصيغة التي أطلقها البطريرك الراعي كانت ستبدو مطلباً وطنياً لو كانت ممهورة سلفاً بمباركة مسلمة كالذي حدث بالنسبة للميثاق الوطني من جانب الماروني بشارة الخوري والسني رياض الصلح وإرتضاء الآخرين ذلك قبل ثمانية وسبعين عاماً.

ويسأل هؤلاء عن القصد من مطالبة البعض بإستقالة مبكرة لرئيس الجمهورية وكذلك بإنتخابات برلمانية فهل هذا أمر مرتبط بذلك. ونوضح للأصدقاء والقلقين المستفسرين إن الغرض من انتخابات برلمانية في حال إستقالة مبكرة لرئيس الجمهورية أو حتى إذا بقي حتى نهاية عهده، هو

أن ميزان القوى برلمانياً سيبتغير، هكذا إفتراض دعاة حل برلمان وإجراء إنتخابات. وفي تقدير هؤلاء أن صحة مسيحية صامته حتى الآن حدثت وأن مفاعيلها ستظهر في الانتخابات أي بما معناه تميل كفة الميزان المسيحي للذين يناهضون "حزب الله". لكن مثل هذا الأمر لن يكون مستقيماً إلا في حال هنالك حكومة محايدة وهنالك أيضاً رقابة من هيئات دولية محايدة أيضاً على العملية الانتخابية. وفي حال أثبت المسيحيون أن التحالف من جانب رئيس الجمهورية مع "حزب الله" كان السبب في ما آلت إليه الأحوال وبالذات على مدى السنوات الثلاث الماضية، فإن رئيس الجمهورية عندئذ يكون صنع في لبنان وبرعاية أميركية _ أوروبية وتدعيمات سعودية وخليجية وليس صنع على أيدي سورية _ إيرانية.

ويسأل الأصدقاء عما إذا كانت الصحة المسيحية ستواكبها من حيث نتائج الإنتخابات البرلمانية صحة شيعية، وجوابنا عن ذلك أن هذه الصحة مستبعدة، وأنها ستزداد إبتعاداً في حال بقي الطيف الشيعي الفاعل في لبنان لا يتحمل كما بوتين في روسيا وأردوغان في تركيا أي حراك يتعاطف مع مخططه وبقيت رئاسة سوريا بعهد الرئيس بشار الأسد في الانتخابات المتوقع إجراؤها بعد خمسة أشهر وبقيت إيران الخمينية على ما هي عليه.. أو تعلن نوويتها ويطوى بذلك أمر لبنان كدولة ذات سيادة.

لن تنتهي الإستفسارات والإتصالات، ومع كل إتصال عبارة عساكم طييين وصابرين وسالمين، ذلك أن الحجر متواصل والكورونا الأصل تتناسل كورونيات من كل نوع. وسيظل الأصدقاء وبالذات من الرياض والقاهرة وبغداد يتصلون مستفسرين وسنبقى مهمومين بالذي حدث لهذا الوطن من بني حاكميه. لا حول ولا قوة إلا بالله. ولا غفر للذين يهيولون أتربة من الأطماع على محيا وطن سيبكون دماً عليه.. وإن طال جحودهم. ورحمة الله على لقمان اللبناني _ الشيعي _ الماروني الذي أرادوه حكيماً كما في الآية الكريمة "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ"، لكنه إرتضى الخيار الذي كان السبب في نهاية رصاصية مثيلة لنهاية صاحب رأي وقلم مثل لقمان هو سليم اللوزي رحمة الله عليه.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 17 فبراير (شباط) 2021

نكهة حريرية في علاج أمر ليبيا

تركيبته وحتى في توارث الزعامة، وهو ليس من هذا الطيف؟

كان إقحام الحريري ساحة إعادة البناء وتطوير نشر عقيدة السماحة والتسامح وتنشيط الهمم والسواعد لإستعادة لبنان وقد خلا من سنواته الظالمة والمظلمة فِعل إرادة جسورة مع هامش من المغامرة، وأمكنه تحقيق خطوات نوعية في هذا السبيل لأنه أحد رموز الأعمار وتآلف القلوب. هو ذي ذلك من نسيج الذين عندما يتولون منصباً يفكرون بالوطن الذي لا أحد أهم أو أكبر منه وبتمنية وبمطالب الناس ثم بعد ذلك يشغلون أنفسهم بالسياسة ومسالكها على أنواع هذه المسالك التي في النهاية تأخذ من وقت المسؤول وواجباته.

الآن تبدو "الجمهورية الأولى" في ليبيا أمام نقلة نوعية. ونحن عندما نقول "الجمهورية الأولى" فعلى أساس أن العقود الأربعة الماضية كانت عقود "الجمهورية الليبية" وتلك بدعة ثورية إستنتها العقيد معمر القذافي رحمة الله عليه تأكيداً من جانبه لمقولة مرتبطة بليبيا ماضياً وحاضراً وما بين الماضي والحاضر وهي أنه من ليبيا يأتي الجديد، أو يأتي ما ليس له شبيهه من قبل بأمل أن يصبح له شبيهه من بعد أو في زمن حدوثه، ولقد رحل صاحب "الجمهورية" الذي كان هو الآخر جديداً من حيث النوع والتفكير والأحلام والتطلعات إنما من دون أن يحدث إستتساخ لهذا الجديد. وتلك حكاية حقبة درامية تاريخية تحتاج الإضاءة عليها إلى مركز أبحاث وتوثيق.

عندما قارب الوضع في ليبيا نقطة الإنهيار الكامل كانت هنالك وقفة غير مسبوقة من جانب مصر. قال الرئيس السيسي الكلمة ذات الصدى الفاعل وهو يستعرض أرتالاً من القوات المصرية في أقرب نقطة حدودية مع ليبيا. ثم بلور الوقفة من خلال لقاءات الرموز الفاعلة العسكرية والقبائلية قصرت مصر الجارة. وكان حرياً بالذين يضحون السلاح ويواصلون الشحن المذهبي كما توريد المرتزقة إلى ليبيا من أجل قتل عنفوان الليبيين وإنهاء أسطورة بطولة عمر المختار وصموده، أن يرتدعوا.

هذه الوقفة واكبها النصح والدعم السياسي في أعلى درجاته من جانب السعودية، وبعض الدول الخليجية. كما واكبها ثبات على نوازع الوطنية الليبية لدى الجيش، ثم يدخل التأثير الدولي _ الأوروبي _ الأميركي عنصراً مهماً على عملية التفاوض، وكل ذلك من دون أن يخطر في البال أن نهاية المطاف كانت الإقنتاع بأن قارب العبور

مصادفة لافتة وهي أنه في زمن إستحضار وثبة رفيق الحريري كرجل أعمال عصامي وناجح لعلاج الجراح الاقتصادية تمهيداً بعدما ترأس لعلاج الجراح الوطنية، ومناسبة الإستحضار الذكرى السادسة عشرة لتغييبه..

في الزمن هذا يختار إخواننا الليبيون صيغة علاج لأزمته التي قاربت على الإستعصاء تتمثل في ثنائية إدارة حُكم للدولة التي توالى عليها العصف العاتي وكاد يوصلها إلى مشارف الصوملة في الحد الأقصى وإلى الإصطفاف إلى جانب فنزويلا كأقرب تقدير (ذات الرقم الأسطوري لجهة التضخم: 3 الآف في المئة).

ليبيا الدولة العضو في منظمة الدول المصدرة للنفط تتعطل فيها مشاريع التنمية التي رغم البدء بها متأخرة إلا أنها كانت ستجعل دولة السبعة ملايين قريبة الشبه من جاراتها على الضفاف المتوسطية غير البعيدة عنها، بدل أن تتآكل بفعل التناحر وبعثرة الجهود وإرتهان أطراف إلى غرباء باحثين عن أمجاد على حساب الآخرين.

كانت الصيغة التي تم الأخذ بها تصويتاً لا ضغوط على المشاركين فيه هي أن يكون المنصب الأول للدبلوماسية في "الجمهورية الليبية الأولى" تتعامل بكل الهدوء والتفهم والقدرة على إبداء النصح، وأن يكون المنصب الثاني لمن في إستطاعته أن يرمم ويبنى ويضحي ويقتبس من تجارب الآخرين خطوات من الإصلاح والتصحيح تنتشل الوطن الليبي الجريح من كل أنواع السهام التي تكسّر بعضها على بدنه وأنزفت أخرى إلى جانب البدن، تاريخاً عريقاً للمجتمع القبلي الليبي.

القول إن الذي تم التوافق عليه رئيساً للحكومة وهو محمد ديبية يمكنه كرجل ومهندس وفي العقد السادس من العمر بما يعني أنه سن النضوج، سينتشل ليبيا من الحال التي باتت عليها بعد عشر سنين من القتال فيها والمراهنات عليها وتسويق ظاهرة "الجيش المرتزق" يسرح ويمرح على أرضها، قيل يوم بدأ طرح إسم رجل الأعمال اللبناني رفيق الحريري لترؤس حكومة ترمم. في الحالة الحريرية كثرت التساؤلات: ما الذي في إستطاعة هذا الطارئ على نادي الذين يتزأسون في لبنان أن يفعله وهل إن نجاحه في إنجاز مشاريع بناء عمرانية طموحة أنجزها في إغترابه السعودي تؤهله لترؤس حكومة مجتمع سياسي وحزبي ميليشياوي في

لبنان الداء... والدواء والمداوي

لم يحدث من قبل في المجتمع الدبلوماسي في لبنان أن يادر سفراء الدول الكبرى وسفراء أوروبيين وإسلاميون وعرب إلى اللقاء وعلى وجه السرعة بسفير دولة عربية غاب ثلاثة أشهر عن لبنان لدواع تتوزع بين الخاص العام. وما نغنيه بالعام هو التشاور مع مرجعيته في المعضلة اللبنانية المتمثلة بتعجيز من أطراف لتشكيل حكومة غير عادية، وذلك لكي تستطيع معالجة حالات بعضها متصل بالجائحة وما تسببت به للبنان التعليم والتجارة والصناعة والعمل المصرفي، وبعضها الآخر بكارثة لا سابق لها حتى خلال سنوات الإقتتال الأهلي المتقطع بين منتصف السبعينات وطوال الثمانينات. وتتمثل في إنفجار هيروشيماي الشكل، وربما الفعل حدث في مرفأ بيروت، وعكس تعامل أهل السُلطة الراهنة مع تداعياته وبعضها أقرب إلى الولايات والفواجع الأسرية، إنطباعاً أنه تفجير متعمد لأغراض في نفوس أكثر من يعقوب واحد، بدليل أن الذين في قم السلطة المثلثة رئاسة الجمهورية ورئاسة البرلمان ورئاسة الحكومة العالقة تصرفوا مع الكارثة الأكثر بشاعة وخطورة من كارثة 11 سبتمبر في نيويورك، وكما لو أن ما حدث قد حدث وكفى لبنان واللبنانيين ما هو أعظم. لا تفقد لموقع الكارثة. لا تفقد للضحايا. لا إعلان يوم الحدوث كارثة وطنية. وما هو أكثر خطورة أن لا تحقيق في ما جرى ولا تشكيل لجنة طوارئ تستمر تستقضي إلى أن تظهر حقيقة ما جرى. وعندما لاحت في الأفق ملامح الحقيقة فإن السلطة المثلثة إلتقت عليها من خلال تخريجات شكلية وتلاشت بذلك الملامح ومعها لحظات من التفاوض لدى أمهات وآباء وزوجات وفتية وأطفال ما زالوا يكابدون آثار الصدمة بكل أنواع الأذى الكارثي الناشئ عن الإنفجار الذي يحلم النظام الإيراني الساعي إلى إمتلاك السلاح النووي بشكل مشابه للشكل الذي رآه العالم وإعتبروه كما لو أنه تفجير نووي. وهذا في حال أتيحت الفرصة للنظام الحالم بإحياء الأمبراطورية الفارسية بمسحة دينية وسلاح النووي.

ومن الطبيعي أن يكون السفير العربي الرفيع الشأن، ونقصد بذلك وليد بخاري سفير المملكة العربية السعودية وجد نفسه وهو في الرياض في وضْع المجيب عن

بليبيا من عشر سنوات عجاف إلى مشارف بر الأمان هو أن تأخذ فرصتها وتجرب ليبيا الدبلوماسية في شخص سفيرها لدى اليونان محمد المنفي رئيساً لـ "المجلس الرئاسي" وأما رئاسة الحكومة فتكون لأحد رموز البناء عبدالحميد ديبية المهندس _ رجل الأعمال المخضرم الذي على بينة من السلبي والإيجابي في مسيرة الحُكم في بعض السنوات القذافي ثم في السنوات العشر العجاف التي كانت عبارة عن محاولات تدمير ليبيا كدولة ذات رقم صعب في فضائها المغربي وحضور مرحب به في فضائها الأوروبي وحليفاً إلى درجة التعاون مع مصر في ضوء تنقية محاولات حدثت في زمن كل من الرئيسين أنور السادات وحسني مبارك ثم جاء الرئيس عبدالفتاح السيسي يرممها أهدأ ترميم وكأنما البلدان الجاران على موعد مع خطوة نوعية آتية، وتتسجم مع الجديد الذي لا بد شكّل تحفيزاً لإنجازه ذلك التوافق الذي جرى في قمة "العلا" وبالذات مشهد التعانق بين قيادتين واعدتين في المشهد الخليجي للربع القرن الآتي: الأمير محمد بن سلمان ولي العهد السعودي والشيخ تميم بن حمد أمير دولة قطر.

بقي لبنان في دائرة المجهول والحرب والفوضى عشر سنين إلى أن أنتج إتفاق الطائف الحل الموضوعي للحالة اللبنانية، ثم نشرت صيغة رجل الأعمال رفيق الحريري لترؤس الحكومة الطمأنينة فالمباشرة بالإعمار وهكذا عاد لبنان يضيء بضغ سنوات. ما بعد ذلك لا نتمناه لـ "الجمهورية الأولى" في ليبيا التي ستبدأ بنكهة حريرية وبعدها رئيس دولة آت بققازات دبلوماسية ورئيس حكومة على موعد مع أقدار ربما تصنّفه مستقبلاً على أنه عبدالحميد الليبي الذي عمّر وليس كما عبدالحميد العثماني الذي جاء حفيده أربوغان يمعن ما إستطاع مع عثمانيي الزمن الليبي تدميراً للحل الذي يعيد وضع هذا الوطن على سكة الإستقرار وإهانة للكرامات القبلية الليبية شرقاً وغرباً وسطاً وجنوباً. كان الله في عون الثنائي المنفى _ديبية وحارس التجربة الجنرال خليفه والذي حوله من قيادات مارست للمرة الأولى تجربة الدفاع عن وطن الأجداد. ورحمة الله على رفيق الحريري الذي ما أحوج لبنان إلى رؤاه وتأكيداً لمقولته "ما حدا أكبر من وطنه". هل يفهم الحاضرون ذلك؟ عسى ولعل..

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 فبراير (شباط) 2021

الإستفسار من جانب مرجعيته السياسية الدبلوماسية ومن السعوديين عموماً الذين إنلقاهم ولمس مدى التأثير في نفس كل منهم على ما أصاب لبنان ومدى إستغرابهم للطريقة التي يتعامل بها لبنان الرسمي مع لبنان الشعبي. وكان يوضح ما إستطاع إلى ذلك توضيحاً. كما أن السائلين لاحظوا فيه وكما لو أنه من جملة اللبنانيين الذين شملتهم الكارثة وفي نفوسهم. من اللبنانيين كما من الحزن الممزوج بالغضب على الإدارة الرسمية للأزمة السياسية عموماً وما يتعلق بعقده تشكيل حكومة بوجه خاص.

هذه الزيارات من جانب سفراء الدول الكبرى وسفراء أوروبيين وإسلاميين وعرب منذ اليوم الثالث لعودته إلى لبنان من غياب، يجمع القصد منه بين تسجيل الموقف وبين التشاور، وتسجيل الموقف بمعنى عدم تحميل الدولة التي تمثلها والتي كانت دائماً الطرف الذي يجمع ذلت البين عندما يكون الأقطاب اللبنانيون غير مهتدين، تمت في دارة السفير وليس في مكتبته الرسمي في مقر السفارة وهذا معناه أن الزائر مكلف من حكومته الإستفسار عن حقائق للحالة اللبنانية التي هي تحت المجهر السعودي وإستعصى على إدارات في هذه الحكومة فك طلاسها وأن ذلك التكليف يتطلب الإسراع في الرد. بل أكثر من ذلك إن هذه الدول في صدد حراك ما أو إتخاذ وقفة تؤسس لموقف لكنها تريد أن تعرف كنه الموقف السعودي. ويمكن القول إفتراضاً أن جميع الزوار رموز الدبلوماسية الأجنبية والعربية والإسلامية وقفوا على ما يمكن أن يبني عليه هذا السفير أو ذاك تقريره إلى حكومته وفيه ما هو كثير الوضوح.

وأما المرجعيات الدينية وبالذات المرجعية المارونية في شخص البطريرك بشارة الراعي والمرجعية السنية في شخص المفتي عبداللطيف دريان، فإن حال كل منهما كانت بمثل حال الدبلوماسية الدولية والعربية والإسلامية تواقفة إلى الوقوف على رؤية المملكة وسماعها من قائل رسمي وهو السفير وليد بخاري العائد إلى لبنان بعد أن كانت سبقتة على مدى أشهر مضت وتواكبت معيشة صعبة وأزمة حكومية عصية الحل، طائرات إغاثة ناقلة ضمن حملة الإغاثة من الملك سلمان من الدواء والكساء والغذاء ما يخفف الوطأة عن الكواهل.

وقد تبدو الزيارتان للمرجعيتين عادية من جانب السفير بخاري الذي طالما إعتاد على القيام عند إشتداد الأزمات بزيارات لافئة لغير الرموز السياسية. لكن الظروف التي

يعيشها لبنان جعلت المرجعية الدينية المارونية تسجل إختراقاً في جراء العتمة اللبنانية وتتمثل في دعوة إلى تحييد لبنان فالمثابرة على التذكير بالدعوة في كل عظة يوم أحد ثم تطوير الدعوة إلى طرُح صيغة المؤتمر الدولي الذي يمكن أن يساند صيغة الحياد للبنان. ومن الجائر القول إن طبيعة الأمور لدى كل من المرجعيتين إختلفت بعد لقاء السفير بخاري بكل منهما، عما كانت عليه قبلها، ذلك أنهما باتا على بينة من رؤية الدولة العربية ذات الرقم الأكثر فعالية في المصير اللبناني، ليس فقط لأن سقف ما تقرّر في مؤتمر الطائف هو الحامي لهذا المصير، وإنما لأن أي تطوير للصيغة اللبنانية التوافقية لا بد أن يتم في رحاب ما بات تسمية راسخة «إتفاق الطائف» كما التسمية الراسخة الأخرى «الميثاق الوطني». وزيادة في الإفتراض فإن مسيرة التأييد الشعبي لرؤية البطريرك الراعي إكتسبت لمسة تأمل في واقع الحال من جانب المرجعية العربية الأهم، مع ملاحظة أن صيغة الحياد للبنان تشق طريقها إذا ما واكبها صيغة «إتفاق الطائف»، بل أكثر من ذلك يمكن القول إنه من دون ثبات هذا الإتفاق لكانت صيغة الحياد ستبدو مطلباً تقسيمياً وفئوياً وهي ليست كذلك على الإطلاق. وهنا يجاز القول إفتراضاً أن السفير بخاري أرفق الحديث مع المرجعيتين اللتين زار كل منهما في عرينه بلفت إنباه إلى أهمية «إتفاق الطائف» كواقع بمثابة سياج للبنان وفكرة الحياد كفكرة قيد الطرح كفارق نجاه للبنان من شر الذين يعتبرونه ورقة ضغط لتحقيق مآرب وليس وطناً للجميع يعيش منذ ثلاث سنوات حالة تستوجب مسارعة محبيه إلى حفظه.

هنا يجد المرء نفسه يتمنى لو أن زيارة السفير الحامل رؤية الدولة الأكثر حرصاً وحدباً وخشية على لبنان شملت سائر المرجعيات الدينية حتى التي في نفسها فيض من عدم الود تجاه المملكة. ونقول ذلك على أساس معادلة تقوم على أن صاحب الصدر الأكثر سعة لن يضيره أن يضحي قليلاً إذا كانت التضحية المعنوية ستحقق كثيراً من وحدة الصف. وفي تاريخ المملكة العربية السعودية لمسات تسامح كثيرة أثبتت جدواها مع عدد من الدول والمرجعيات العربية وهي لولا تلك المبادرات المغلفة بالتضحية وعدم إعتبارها تراجعاً لكانت حالات عدم الود وأحياناً العداوة قائمة ولا طرف يتعاطى مع طرف.

وثمة مسألة مهمة في هذا السياق وهي أن لبنان الشعب يعيش مرحلة يتطلع فيها إلى تعديل نوعي في حالته.. هذا

لاءات ساعة الشدة

كان رأس المارونية الطائفة عند حُسْن الآمال المعقودة عليه من جانب اللبنانيين المصدومين من نهج بعض المارونية السياسية، والصارخين منهم والكاتمين الغيظ فيهم من ممارسات زعامات أعطوها من الولاء وإلى حد المبايعة، وعندما إحتاجوا إلى وقفة من جانبهم فإنهم لم يجدوا أحداً منهم، وبقيت ليلة العيش الظلماء تزداد ظلاماً ثم جاءت صيحة البطربرك بمثابة اللحظة التي تنقذها الليلة تلك المتمثلة بلأاءاته التي فاقت لاءات قمة الخرطوم بسبعة وستين «لا» كل "لا" منها بمثابة بند في بيان أول من حركة إنقلابية غير تلك الحركات التي إرتبطت ببعض رواد وصاغات وعقداً في جيوش الأمة.

ما هو معقود على هذه العشرات من اللاءات الراعية، ذات المسحة الروحية الاجتماعية، من الآمال قد يطول موعد جنيته. فهي مثل شتلة قام بغرسها بستاني حاذق وتحتاج إلى من يرويهها بقطرات مع فارق أن اللاءات الصرحية تتطلب من الموجوعين المنتشرين من الناقورة إلى طرابلس ومن بيروت إلى الهرمل وعلى الجبل بسائر مكوناته والسهل بكل شرائحه، المزيد من الهمة والثبات والتخفيف من الإنفعالات وعدم إستعمال الألفاظ غير المستحبة. وعندما سيحين يوم جني خير تلك الشتلة من ثمار تترجم ما حوته لاءات غارسها اللبناني الجذور العربي المنطلقات سواء لجهة الأشقاء الذين ينطقون الضاد أو لجهة الحقوق المنتهبة بدءاً بفلسطين وإنهاءً بالاسكندرون مروراً بطمب الكبرى وشقيقتها الصغرى وشقيقتها أبو موسى، فإن الشاغل السيد الماروني سيذكر دائماً بالخير على مبادرته التي أطلقها من صرحه، ولم تكن كما الصرخات في واد وإنما تذكير بأمل أن تنفع الذكرى لذوي السلطان بأنهم مخطئون في غفلتهم المتعمدة، ولمن كانوا أصحاب السلطة الأولى عن أحوال الرعية مستعميين وخرسانيين وصمائيين أن منقلبهم مآله أسوأ المنقلبات.

للمرة الأولى في لبنان الـ 10,452 كم² يجد بنو قوم هذا الوطن، بإستثناء أهل الحُكم والذين حولهم، من لا يتلظى وراء صيغة الحوار حلاً للمعاناة وللمصائب المتتالية، وهذا ما إعتاد عليه الموجوعون في لبنان على مدى أربع سنوات عجاف حيث كلما إشتدت الأزمة ولا

إذا إستعصى التغيير. وهذا اللبّان لا ينحصر في طائفة دون أخرى. ولكن هنالك مَنْ هو قادر على تحديد ما يراه وهنالك مَنْ يتطلع إلى مَنْ يساعدون تعديل ولأئه ونظرته لواقع الحال. ومن هنا القول إن بعض التضحية وسعة الصدر كفيلاً بتحقيق ما يُستعصى حتى الآن حدوثه.

ونشير في هذا السياق إلى حالات حدثت ماضياً. بعد الستينات كان لبنان الشني ناصرياً وعندما لاحت في الأفق ملامح ضرورات لتعديل الموقف فإنه عدّل. وكان لبنان الشيعي نصيراً للفلسطينيين وفي عمق التوجه اليساري، ثم عندما حدثت موجبات ضاغطة أو إختيارية أو تشويقية لإعادة النظر، فإن الأمر لم يستغرق كثيراً حيث إنتقل الولاء الشيعي من ضفة إلى ضفة. ووجد الطيف الماروني نفسه تحت وطأة مخاوف من هيمنة معادلة لبنانية سُنية فلسطينية تؤثر على كينونته فوضع بعض رموز الطائفة اليد في اليد الإسرائيلية، ثم كان اليوم الذي يُقلق الضمير، فتصحيح جذري بما تم فعله.

القصد من هذا القول إن إعادة النظر ومن دون أن تكون عملية تبديل للجلود مسألة من كنه التقاليد السياسية والحزبية اللبنانية. وحتى مهما بلغ التأثير السوري والشحن المذهبي الإيراني مداه فإن إعادة النظر ليست من المستحيلات، إنما تحتاج إلى براعة مَنْ يقوم بعملية ترويض ويكون صبوراً ويتحمل أمزجة من بات الشأن العظيم في شخص الواحد منهم مسألة عبادة.

لعلنا في هذه السطور التي حَبَرناها في معنى عودة سفير المملكة العربية السعودية وليد بخاري إلى لبنان بعد طول غياب إكتفتته كثرة التفسيرات، ومغزى هذه المسارعة من معظم سفراء الدول الكبرى والعربية والإسلامية الحائرة في أمر لبنان وأين هي نهاية مطافه إلى الوقوف منه على ما يمكن البناء عليه، وكذلك على لقائه بمرجعيتين دينيتين في إنتظار وعلى أمل لقاء سائر المرجعيات... لعلنا في هذه السطور أجبنا على الكم الهائل من التساؤلات الحائرة والتي قد تشكّل الإجابة حولها فك اللغز اللبناني الذي إحتارت البرية فيه. وطن صغير مستخلص من طوائف هي السبب في الداء الذي يحتاج وعلى أقصى السرعة إلى الدواء والمداوي. والله خير معين.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 2 مارس (آذار) 2021

تتفرج يتبارى المصريحون بطرح الدعوة إلى الحوار حلاً. وفي ضوء أكثر من محاولة حوار لم يتحقق أي إنفراج. وللمرة الأولى يجد اللبنانيون الموجودون المرجع الفاعل الذي لا يربط تشخيصه لواقع الحال البالغ السوء الذي وصل إليه اللبنانيون بمصلحة سياسية أو حزبية بمعنى أنه يوظف ما يدعو إليه من أجل تحقيق مكسب انتخابي أو وعد بمنصب رفيع، ذلك أنه في أعلى المناصب كما أن كرسيه ليست لغاية شخصية أو للتوريث أو لتسديد التزامات لقوى خارجية مفروضة عليه. ومن هنا فإنه لا ينطق بما يقوله وعوداً أو لتحقيق مآرب شخصية لها المردود المالي إلى جانب الشعبوي. في ضوء ذلك فإن أي طيف يعاني من وطأة البطالة والعلاج وتكاليف الدواء والمعيشة عموماً وتلبية إحتياجات البنين والبنات الذين يتابعون الدراسة في الخارج، غير مغفور له عدم الإلتفاف حول لاءات البطيريك الراعي، فهو هنا إثنان في شخص واحد: بطيريك طائفة متشقة ويحتاج ثوبها إلى رتق، وخير "رتاً" أي الراتق للثوب هو في بعض التأمل في واقع الحال وعلى أساس أن التشقق الذي نشير إليه أحدث أحدث إصابة للبنان الوطن في هويته وتسبب للبنان المواطن بمحنة متعددة الأعراض والعواقب.

قبل الرؤية الصريحة كانت الشكوى تحتاج إلى تفعيل تكتسب إمكانية الجدوى، ثم جاءت اللاءات السبعون وسيلة تحفيز للشاكين همساً أو من خلال تظاهرات منقطعة، من أجل النطق بالصوت الأعلى. هكذا كانت الحال العربية عموماً قبل القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم. الشعب العربي مكسور الخاطر مغموم إلى أعلى درجات الغم حزين مما جرى يوم الخامس من يونيو/ حزيران 1967، ثم كانت القمة الإستثنائية في الخرطوم تحتضن الجميع. وبدل الإنشغال في الذي جرى ولماذا جرى وما الذي كان يجب أن يجري، فإن رموز الحكمة والثروة رأوا وقف فيضان الإحباط والحزن والمعاينة والخوف من أن تتسع مساحة الهزيمة، فلا تقتصر على الذي جرى وإنما يفرض الطرف الإسرائيلي الهازم صلحاً مع مصر يمتد إلى سائر العرب، ثم تفاوضاً وإعترافاً وبذلك تنهأى الخيمة العربية على الجميع.

ولقد تصرّف الجمع العربي على نحو ما أوحى به الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمة الله عليه، أي الإلتفاف أكثر حول عبدالناصر المصاب في كبريائه وذلك من خلال قرار إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بغرض

إزالة آثار العدوان وذلك أيضاً من خلال دعم مالي مبرمج وغير محدد بفترة زمنية شاركت فيه الكويت وليبيا أدريس السنوسي، وفي الوقت نفسه ترميم النفسية العربية المحبطة وذلك بإتخاذ قرار قضى بإنشاء صندوق الإنماء الاقتصادي والاجتماعي.

الذي حققته تلك اللاءات من خلال التخرية السودانية في شخص إسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب والنخوة السعودية في شخص الملك فيصل، كان قطع الطريق بضع سنوات على أن يحقق الذئب الإسرائيلي الفاجر الأشداق الغرض الشرير. لكن حالة الصمود قائمة رغم إجتهدات على طريق التطبيع غير قابلة للثبات إذا كانت الساحة الخليجية _ السودانية _ المغربية ستبقى تقابل بالشرهة الإسرائيلية _ الأميركية.

ما لا بد ستحققه لاءات البطيريك الراعي أن حالة اليأس من تصحيح الأوضاع لن تستمر. ومثلما أن الحالة العربية عموماً بعد قمة الخرطوم ولأاتها الثلاث ليست كما حالتها حتى يوم 1 سبتمبر/ أيلول 1967 يوم إعلان تلك اللاءات، فإن الحالة النفسية لعموم اللبنانيين العالين الصوت كما الحابسينه قبل لقاء الصرح وقطرات الأمل بالإنفراج وربما بالخلاص من خلالها لاءات سيده، ليست كما كانت عليه قبل ذلك اليوم الذي هو رافعة معنوية.

ويبقى أن المرء ليأسف كثير الأسف عندما لا ينظر الأشقاء الإيرانيون بنظرة من عليه البدء بصياغة موقف يجيز فيه للطيف اللبناني الإيراني الهوى ترجيح كفة مراعاة الواقع الاجتماعي اللبناني على كفة التطلعات الطموحة للثورة الإيرانية. ونجدهم من خلال أحد منابرهم يتناولون على صرح وطني بإمتياز يرى في سيده جموع اللبنانيين في الجهر من جانب البعض وفي السر من جانب البعض الآخر أنه سيصحح في ما يقوم به ما يمكن ويجب تصحيحه. وحتى إذا كانت دواعي التناول لإستحالة الإفصاح عنها هي أن البابا فرنسيس سيزور العراق فيما لم، أو لا يزوره المرشد علي خامنئي لدواع شخصية، ولم يتمكن آية الله الخميني من زيارته مع أنه قام بقلب نظام الشاه وإستلام الحُكم وأمله أن يكحل عينيه برؤية العتبات في النجف وكربلاء وسامراء على الطبيعة ثم حرمة الرئيس صدام حسين بالحرب من هذه الأمنية.. إنه حتى إذا كان التناول مرتبطاً بما نشير إليه فإن ما صدر عن المنبر الإيراني سقطة كان لمصلحة "حزب الله" والطيف المحلق في فضاء الحزب تقاديه.

وهنا تصح إضافة "لا" جديدة إلى لاءات البطريك الراعي وهي: لا تتسوا أن من يتناول علينا إنما يتناول على كل فرد منكم. كما يصح القول: إنهم لا يدرون ماذا يقولون كما ماذا يفعلون بآخرين. هداهم الله إلى الصراط المستقيم..

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 14 مارس (آذار) 2021

إستفتاء.. ولو كما فعل كُرد العراق

بات مطلب الحياد حاضراً في البال اللبناني منذ أن نادى به رئيس الطائفة المارونية البطريك مار بشارة الراعي. ونحن هنا نستثني الجمع الذي يقلقه الأخذ بصيغة الحياد وهؤلاء عدد من أمراء الأحزاب والتنظيمات غير اللبنانية النشأة والخارجة على واجب الولاء الوطني بمعنى أن الولاء أمر له صفة القداسة وبذلك فإن الخروج عن الولاء للوطن هو كما الكفر بالمقدسات.

وعندما نقول إن مطلب الحياد بات حاضراً لا يفارق البال اللبناني فلأن مواطني هذا الكيان إنتقلوا من نظرة التأمل في ما يمكن أن يحققه الأخذ بالحياد إلى نظرة تعليق الآمال على الأخذ به. وهؤلاء ليسوا فقط الذين يجاهرون بترحيبهم بدعوة الأخذ بالحياد، وإنما أيضاً الذين لا ينطقون ترحيباً وأثروا إلزام الصمت غير المريب نظراً لأن الماء في الفم تستوجب ذلك.

في الظروف التي تواجه الأوطان وتأخذ منحى الإستعصاء في الحلول، يصبح الأخذ بصيغة الإستفتاء الوسيلة التي تضع الأمور في نصابها، وتحسم القيل والقال في الموضوع وتحتسّر التنظيرات بمختلف مرامي قائلها لصيغة الحياد حلاً للوطن. ونحن هنا نتحدث عن الإستفتاء الوطني وليس عن الإستفتاءات التي أرادها بعض الرؤساء العرب بمثابة الغطاء الدستوري والشعبي لإستمراريتهم في المنصب الأول، وتأتي نسبة التصويت بطبيعة الحال وفق ما هو مقرر سلفاً، بدليل أن كل الإستفتاءات التي حدثت وكانت النسبة فيها تسعينية وما فوق لمصلحة الرئيس الذي طلب إجراء الإستفتاء لتغطية رغبته في البقاء في سدة الرئاسة، إنما جرت خلافاً لقواعد الإستفتاء الذي يقول فيه المواطن رأيه وبما معناه إن

"لاء" تكون كما "نعمه" صادرة عن إقتناع مستند إلى مصلحة الوطن في المقام الأول وليس كما يرضي شراهة الرئيس إلى البقاء رئيساً لمزيد من السنوات التي في إعتقاده تحميه من عاديّات نظام يأتي على جناح الإرادة الشعبية الحقيقية.

ومن الجائز الإفتراض رغم الضغوطات النفسية والمذهبية التي ترسخت في ظل ظروف لا تترك فرصة لشرائح من بني الوطن اللبناني المكبل الإرادة وفي الوقت نفسه غياب صيغة موضوعية للمسار الوطني، كذلك الصيغة التي طرحها البطريك الراعي، أن الإستفتاء الذي يُجرى وفق الأصول وبحضور مراقبين أممين منزّهين عن الغرض ويضع وجودهم حداً لمن يهيمن على الصناديق ونتائجها أو يُرهب مقدماً التواقين إلى التعبير عن رأيهم الذي هو لمصلحة الأخذ بالحياد صيغة لوطن تستقر أحواله، سيوضح للمجتمع الدولي حقيقة غائبة عن أصحاب القرار فيه وهي أن لبنان المتناثر توحده صيغة الحياد، تماماً على نحو ما يحققه الحياد في حال الأخذ به للشعب الفلسطيني عندما تقام دولة مستقلة وتكون القدس تلك العاصمة الروحية للديانات الثلاث يتبرك في زيارتها الملايين من شعوب دول العالم، عوض أن تكون وجبة ترميمية على مائدة بنيامين ننتياهاو حافلة بأطباق من العنف والتعصب والإبتزاز والإفساد والفساد والكراهية والتناول على حقوق الشعوب وسيادات الأوطان. وهكذا في حال إرتأى المجتمع الدولي وكبيرته الولايات المتحدة إبدال التلاعب بالهداية، ستشع من الشرق شمس الحياد من خلال لبنان المحاييد وفلسطين المحايدة كتفاً إلى كتف مع دولة إسرائيل التي يكون المجتمع الدولي فرض عليها أن تكون الملاذ ليهود العالم وفي الجوار الأمن لمن حولهم شعوب دول المنطقة. لماذا لا يقرأ هؤلاء الليكوديون المبادرة العربية للسلام التي تنهي وتنجي وتبني وتنقذ الجميع من ضوضاء التشدد.

وثمة حقيقة من شأن الأخذ بالحياد تأمين حدوثها، وهي أنه سيكون خشبة خلاص كريمة لشرائح من اللبنانيين، ونسبتهم عالية جداً، من إلتزامات وإنتماءات أوجبها ظروف سياسية وإرتباطات إضطرابية، وتحالفات لأهداف سلطوية. وهذه الشرائح ينجها الحياد وينقذها ما دامت لا تستبدل جُلدها بجُلد آخر وإنما بخطوة تطهر للنفس من أدران سياسية وتحزبية تراكمت في النفوس على مدى سنوات كانت فيها وصفة الحياد مغيبّة وتحتاج إلى

الطبيب الذي يراها علاجاً للبنان الإنسان والوطن على حد سواء، وخصوصاً في حال إجماع أهل القرار الدولي على التصريح بصوابية الفكرة والأخذ بها كصيغة حل يضع لبنان في إستقرار دائم وبحبوة متزايدة، إنما بعد إستفتاء شعبي. وحيث أن هذا الإستفتاء صعب التنفيذ من حيث إتخاذ قرار دستوري في شأنه نتيجة أن إنتماءات المسكين بمقاليده الحُكم هي ضد صيغة الحياد، بعضها عبّر عن الرفض وبعضها الآخر يضمّر إجهاضاً للفكرة، فإن قراراً أممياً في شأنه كفيل بوضع الإستفتاء موضع التنفيذ. يا ليت وثيقة الطائف بنّدت صيغة الإستفتاء عند الضرورة إلى جانب سائر البنود. فالإستفتاء كفيل بترويض الإستعصاء.

ونستحضر للمناسبة ونحن نعيد قراءة ما سبق أن حَبَّرَه زميلنا غسان شربل على أوراق الصحف في كتاب جديد له من 396 صفحة (الإصدار الأول لدار "رياض الرئيس للنشر والكتب" بعد رحيله مأسوفاً عليه) أضاء فيه على جروح العراق الكردي والبعثي والسليماناني من خلال شهادات رموز أصيبت بجراح وأثخنت بدورها آخرين بجراح، كيف أن الشعب الكردي في رحاب إقليمه المحكوم ذاتياً إعتد ولي أمره مسعود بارزاني صيغة إجراء إستفتاء على أن يكون الإقليم دولة كما حال دولة جنوب السودان عوض البقاء كما حاله مطمئناً ضمناً إلى أن الإدارة الأميركية ودول أوروبا عموماً ستساعد على ذلك ولا تترك بالتالي مجالاً للإعتراض الأردوغاني والإيراني المتناغم مع رفض الدولة العراقية لصيغة إعلان إقليم كردستان دولة مستقلة. وكثّف مسعود بارزاني حراكه من أجل تحقيق مبتغاه فيما الذراع الثانية للأمل المنشود الرئيس جلال طالباني قيد العلاج الصحي الدقيق خارج العراق في ألمانيا ولم يعد بالتالي هو رئيس جمهورية العراق التي طالما أوجز حال هذه الرئاسة ماضياً أمام زميلنا غسان شربل بتوصيف مؤال شعري منسوب إلى العراق العربي وهو كما ورد في كتاب "زيارات لجروح العراق" الصادر حديثاً: "لا قصب لا حصران لا عندنا بردي... فوق القهر والضيم رئيسنا كردي".

جرى الإستفتاء على أفضل ما تكون عليه العملية الإستفتاءية. بداية قال برلمان الإقليم نعم للإستفتاء (65 نعم من أصل 68 حضروا الجلسة) يوم الجمعة 15 سبتمبر/ أيلول (2017) ثم حدد رئيس الإقليم مسعود بارزاني يوم الإثنين 25 سبتمبر موعداً له يستتبعه في حال جاءت النتائج مشجعة

إعلان الإقليم دولة مستقلة. وهي جاءت مبهرة لمصلحة صيغة الدولة بدل الإقليم 92 في المئة لصالح الإستقلال. جرى الإستفتاء بإشراف 11 كياناً سياسياً و64 مراقباً دولياً و65 مؤسسة إعلامية. منتهى الهدوء لا سلاح ولا مسلحين. لا حوادث بين بدء الإقتراع منذ الصباح وحتى الساعة مساء. نسبة الإقتراع 72 في المئة. سلفاً قال مسعود بارزاني إن الإستفتاء لا يعني الانفصال. هكذا قال البطريك الراعي: "الحياد لا يعني التتوّل". رغم أن الإستفتاء كان لمصلحة الوعد _ العهد بإعلان إقليم كردستان دولة، إلا أن المجتمع الدولي رأى أن يبقى الإقليم إقليماً كما حاله الذي أراده صدام حسين كياناً جزءاً من العراق. هذا الواقع باق حتى إشعار آخر. المهم أن الكرد أرادوا بالإستفتاء الحر الإنتقال من الدولة شبه المستقرة إلى الدولة ذات الكيان كما سائر الكيانات في العالم.

في حال أمكن تأمين رعاية دولية للبنان كي يُجرى الإستفتاء على الحياد، فإن ذلك لن يتحقق في ظل البرلمان الحالي، الذي هو مع لبنان المصادر الإرادة الوطنية والقرار السيادي. ولو أن برلمان إقليم كردستان كان على شاكلة البرلمان اللبناني الحالي لما كان في الإمكان إجراء الإستفتاء وكان حلم أن يكون للكرد دولة مستقرة مجرد سراب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 25 مارس (آذار) 2021

الجنرالالية.. وجوه وأعتاب

من حق الأصدقاء العرب الذين نتواصل عبر الأثير نبث إليهم أي إنحدار يتواصل عليه الوضع في لبنان الذين أحبوه ويكثرون بدورهم من الأسئلة التي لا إجابات حاسمة لها ومثل أحدثها على سبيل المثال لا الحصر كيف لا يتأمل أهل الحُكم في لبنان كيف أن الملك عبدالله الثاني ولمجرد أن بلغته بضع حالات وفاة في مستشفى السلط وقيل في شأن أسبابها أن نوعاً من الإهمال حدث، إرتدى بدلته العسكرية وتوجّه على الفور إلى حيث المستشفى المنكوب فأدى بذلك واجب القائد وأدخل بعض السكينة إلى نفوس ثائرة. وللمرء أن يتصور ردود الفعل على وفيات أحباب من جانب ذويهم، في ديار للعشيرة فيها ثقافة ثواب وعقاب تتجاوز أحياناً الأصول المتبعة

من جانب المؤسسات والأجهزة الرسمية.

ما سمعناه من الأصدقاء كان حاضراً في البال منذ رأينا من خلال فضائية "العربية" التصرف المسؤول والمقرون بالحس الإنساني من جانب المسؤول الأعلى في الدولة وإستحضرننا من الذاكرة كيف أن أهل السلطة في لبنان كبيرهم ووسطهم والكثيرين من الذين حولهم أصيبوا بسكتة الواجب المسؤول من كبار الرعاة نحو الرعية، كما الإصابة بالسكتة القلبية إزاء كارثة المرفأ التي لا مثيل لتداعياتها إنسانياً وعمرانياً، فلا هم تقعدوا ولا أبدوا حتى القليل من واجب المشاعر، كما أنهم تعاملوا مع واقعة تستوجب غرفة عمليات قضائية وليس فقط أحد القضاة يبذل فيها رجال القانون الجنائي هؤلاء جهوداً إستثنائية ويضعون إستنتاجاتهم وخلاصة رؤاهم القانونية في عهدة الواجب تكلفهم بفك ما يمكن فكه من الألغاز التي تكتنف الواقعة تخزيناً للمواد التي لا يحتاج لبنان أصلاً لها، أو إلى هذا الكم الهائل منها.

وبهذا التعامل غير الإنساني والمنقوص ضميرياً أظهر مجتمع الممسكين بمفاصل الدولة وإمكاناتها أنهم خارج الأحقية في المواقع التي يتولونها بحكم ظروف تتناقض مع ما هو المألوف في الدولة الصالحة.

من هنا وبقدر ما إن المرء يشعر بالأسى وهو يسمع الشتائم في حق أهل السلطة مبنوثة على الهواء وتصل إلى حد الإساءة إلى الكرامة والعائلة وبعبارات معيب التلفظ بها وسرّد أمثلة عنها في ما نكتب، ثم تتبارى وسائل التواصل في ابتكار ما هو أكثر إهانة للذات من العبارات التي تتسارع وتيرة تناقلها... بالفرد نفسه بل وأكثر يكون هنالك إستغراب لهذا النقبل من جانب المسؤولين المشتومين لما يتلفظ به الشاتمون في تظاهرات متقلبة أو عبارات مُهينة تُكتب على جدران المحلات والمؤسسات والمباني على أنواعها وبالذات مبنى وزارة الخارجية ومبنى وزارة الداخلية ومبنى المصرف المركزي وسائر فروع المصارف التي تحتجز ودائع الناس دون وجه حق.

وفي تاريخ الحُكم اللبناني لم تُصب كرامة مجموعة حاكمة بمثل ما هي مصابة به كرامة أهل الحُكم الحالي، بل إن المطالبة بإستقالة رئيس الدولة نتيجة وطأة ظروف سياسية ومطالب شعبية وإعتراضات على ممارسات فساد وإفساد، لم تصل إلى المستوى الذي يحدث بالنسبة إلى أهل الحُكم الحالي في لبنان، وعلى سبيل المثال لا

الحصر فإن أكثر ما قيل في زمن الرئيس الأول للبنان بعد نيّله الإستقلال بشارة خليل الخوري (التسمية الشائعة هي الشيخ بشارة) أنه ضعيف، وهو الرجل الفاضل، أمام إستئساد بعض الحاشية (كما الحال في العهد الحالي عهد الرئيس ميشال عون) وأمام تورّم جيوب الأنصار الذين إرتبطت صفتهم بتسمية "الفروماجيسست" أبرزهم الشيخ سليم الخوري شقيق الرئيس. وهكذا فإما أن يكون "القائد" هذا شقيقاً أو صهرراً أو نسيباً كما في زمن الرئيس السادات وإبناً في زمن الرئيس مبارك. وكانت نتيجة الضعف تلك "ثورة بيضاء" وكانت عملياً ثورة الزعامات السياسية وليست الثورة الشعبية كما الحال مع الرئيس عون. ولم ترتفع أعمدة دخان الإطارات المحروقة كما الحال مع ثوار العهد العوني. والأهم من ذلك كانت هنالك عبارات ناقدة إنما ليست شتائم، وبعضها من وسط البدن نزولاً، في حق الرئيس وعائلته الشخصية وكذلك في حق سائر ديناصورات الحُكم. وحفظاً من جانبه للحقبة المضئية من تاريخه والعلاقة الجيدة التي بناها مع القادة العرب وبالذات أهل الحُكم في كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية والجمهورية السورية. فإنه إستقال إنما بكل إحترام للنفس من جهة وللسمعة الوطنية من جهة أخرى. قدّم إستقالته أمام قائد الجيش الجنرال فؤاد شهاب، الذي بات رئيساً للجمهورية، بل الأفضل بين الرؤساء، بعد كميل شمعون الذي كان من بين أقطاب الثورة البيضاء وتسبب حُكمه بـ "ثورة" كانت حمراء دماً ورضاصاً في جانب منها.

ما يعيننا هنا في ضوء ما سمعنا الأصدقاء العرب يقولون لنا: لماذا إذا كانت تلك حال الحُكم. وباتت إهانات الرئيس من جانب الناس رجالاً ونساء وعلى الهواء، فضلاً عن إنحدار الوطن إلى مشارف التساقط في هاوية عميقة، وباتت مطالب الإقالة وجبة يومية من المتظاهرين في الشارع أو المتطلعين وهم في مكاتبهم أو بيوتهم بل لماذا لا ينصرف العهد ويقطع كثرة التكهّنات بأنه يتطلع إلى تمديد ولايته سنتين على نحو ما حدث لجنرال سبقه إلى التروّس أو التوريث للصر الذي يمارس في عهد نسيبه الرئيس ما كان يمارسه سليم الخوري في عهد شقيقه الرئيس بشارة الخوري. وأما ظاهرة "الفروماجيسست" في سنوات الرئيس الأول للبنان المستقل فإنها متواضعة قياساً بما عليه الحال من جانب ديناصورات عهد الرئيس الحادي عشر للبنان غير المستقل تماماً.

وأعتاب فيها الجنرال الحكيم والمحنك والجنرال الذي تغيب عنه الحكمة والحنكة.. وكأنما السُلطة دامت لغيره حتى تدوم له.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 13 أبريل (نيسان) 2021

ما أشبه الليلة الأحمدية بالبارحة الصدامية

أجواء ما يحدث بالنسبة إلى موضوع "سد النهضة" من جانب بناء السد الذي لا تجيز تسميته أن يكون مشروع أزمة أو فتيل تقجير، سبق أن حدثت بعد الإقتراف الصدامي المتمثل بغزوة الكويت وكأنما هي ليست دولة عضواً في المؤسسات العربية والإقليمية والإسلامية والأممية، والتعامل مع هذه الدولة _ المعترف بها كدولة مستقلة والمسجل في زمن حاجة الرئيس صدام حسين إلى الناجدين الداعمين في الحرب مع إيران وقفات مساندة نوعية له من جانب أميرها وبرلمانها وحكومتها وشعبها وشعرائها وصحافتها وتجارها _ على نحو ما كان يجري في الزمن الغابر الذي حفل بغزو قبيلة لقبيلة أخرى. ولا موجب هنا للوقائع ذلك أن شعراء ذلك الزمن أدرجوا في كثير قصائدهم وقائع عن تلك الغزوات، أحياناً من أجل عيون الجميلات الكحيلات وأحياناً من أجل المراعي والينابيع والإبل والأغنام والجياد المستباحة أو المختطفة.

منذ عشر سنين والحال المتوترة على ما هي عليه. بدأت أثيوبيا بناء سدها وإعتبرها قمة نجومية زعامة يتطلع إليها رئيس الحكومة أبي أحمد الطامح إلى إدراج إسمه في لائحة الزعامات الأفريقية التاريخية إلى جانب الأمبراطور هيللا سيلاسي أو الثاني بعده في القائمة يليه عبدالناصر المصري ونلسون منديلا الجنوب أفريقي. من حقه أن يحلم بهذا المجد. ومن حقه أن يقيم إلى الشعب الأثيوبي والقارة السمراء أوراق الإعتماد التي تثبت تطلعاته. وكان السد إسمياً ومنافع وعوائد تتجاوز بكثير السد المصري على سبيل المثال لا الحصر، هو ورقة الإعتماد الذهبية، وبالذات لأن السد من جهة العوائد سيدير ثروات على أثيوبيا من تسويق الكهرباء في كثير من دول القارة وفي زمن باتت هذه الكهرباء المطلوب الأهم للناس بعد لقمة العيش. أليس هذا ما يحدث على سبيل

وحيث أن الرئيس عون جنرال أصلاً وكان ضيفاً على فرنسا في زمن كربيته السياسية وغربته الإضطرابية القهرية ومطلع على تجربة حُكم رائدة لجنرال مثله هو شارل ديغول، وكيف تعامل هذا الجنرال العريق وطنياً وعسكرياً مع حالة غضب طالبية ولم يسقط فيها حتى جريح ولا جاع مواطن ولا باتت عائلة في العراء ولا مال لمرضى كي يشترى الدواء، فلماذا لا يقتبس الجنرال اللبناني الخطوة التي إتخذها جنرال فرنسا الذي إزاء حالة الغضب إنتابه شعور أن هنالك في جيل المستقبل، طلاب فرنسا، عدم رضى عنه، وإستباقاً منه لتعريض كرامته وأوسمته وميدالياته التي تزين يسار صدره، فضلاً عن أن طبع الجنرال تُحتم عليه أن يحترم نفسه وتاريخه، إتخذ بينه وبين نفسه في لحظة صفاء ضميرية وبعدما لاحظ أن جيش فرنسا لن يقيم طلابها جيل المستقبل، قرأراً يقضي بطرح "جمهوريته" على الإستفتاء. وعندما تأمل في نسبة الذين شاركوا (80 في المئة) ونسبة المؤيدين (52.87 في المئة) مقابل نسبة الرافضين (47.13 في المئة) فإن كرامته كرمز لفرنسا الحرة إبان الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية ولمؤسس الجمهورية الخامسة عام 1958 والمترئس لها 11 سنة عزز فيها شأنه كأقوى رئيس منذ نابليون الثالث، فإنه قرر وبكل عنفوان أن لا سنوات رئاسية جديدة له وقد بات في الثامنة والسبعين أهم من سنوات الزمن الذي مضى، فكتب بنفسه إستقالته من ثلاثة أسطر صدرت كأهم وثيقة رئاسية عن قصر الإليزيه وغادر بعد ذلك إلى قريته التي وُلد فيها ونشأ وإنتسب إلى المؤسسة العسكرية وبنى أمجاده التي إنتصرت الفطنة عنده على الطمع الذي يحقق لحظة من الشهية لكنه يُفقد الإنسان مجداً بناءه.

ولذا فمن المستغرب أن الجنرال عون وهو يتلقى الإهانات غير عابئة بما يوصفه به اللبنانيون المحبطون المكابدون، ولا بد لا تغيب الأمثلة الديغولية عنه، لا يقتدي بنظيره في الجنرالية، وبذلك يحفظ... ويحافظ. ولا تعود العبارات المسببة وجبة بين فترة وأخرى للمكتوبين بلسعات عهد أصيب الممسكون بمقاليد السلطات فيه بـ "فيروس" إبتلاع الشتيمة بذريعة أن روحهم الرياضية تحصى ذلك، علماً بأن هذا "الفيروس" أشد أذى بمن يصيبه من "الفيروس" الكوروني. والوقائع التي يعيشها اللبنانيون في الوطن المثخن بجراح الولايات تشهد على ذلك وتؤكد أن الجنرالية في بعض خصائصها وجوه

المثال لا الحصر في الدولتين الجارتين المتهاكنتين التائهتين لبنان وسوريا اللتين تعيشان الظلم والتظلم بإرادة من سلطتين ظالمتين في حق نفسيهما كما في حق شعبيهما.

كان المأمول إستباق وضع اللبنة الأولى في بناء السد التأمل بعمق في التداعيات على كل من السودان ومصر وليس حصر التفكير في أن صاحب النبع هو الذي يقرر وينفذ وليس الذي تعبر مياه النهر أرضه وذلك الذي منتهى النهر عنده، فضلاً عن أحقية إنشاء السد كما أحقية مصر في ذلك. لم يفعل المأمول فعله من جانبه لأنه كان أسير شغف المفاجأة ويتحسب للمباغته تأتيه للتو من الجار السوداني المتضرر والجار المصري الأكثر تضرراً في حال أكملت أثيوبيا ملء السد. والضرر هنا ليس من التداعيات التي يمكن علاجها، فضلاً عن أن ما كان جائزاً أو قابلاً للتحمل في مصر ذات العشرين مليوناً لا مجال لتحمله في مصر التي أكملت مئة المليون الأولى، ومن دون أن تتفع حملات التوعية في الأخذ ولو من باب عدم الرضى النفسي بالتجربة الصينية معدلة لجهة تحديد المواليد بإثنين في الحد الأدنى وأربعة في الحد الأقصى. وفي ذلك علاج لحالة إستعصى حلها وتزايدت مع كل عهد من جانب حكوماته الدعوة إلى درجة المناشدة من أجل إختصار نسبة النسل... ولا من متجاوبين ومتجاوبات.

في جانب من التبريرات الأثيوبية أن مصر أقامت سد أسوان ومن دون إعتراض من أصحاب النيل فلماذا لا يجوز للأثيوبيين إقامة السد في أرضهم وملئه من مياه ينابيعه المتدفقة من أرضهم. هذا تبرير غير موضوعي، ذلك أن سد أسوان الذي هو أحد إنجازات عهد عبدالناصر إنحصر نفعه كما ضرره في الأرض المصرية فقط، كما أن مياه ملئه لم تكن على حساب حصة آخرين، السودان وأثيوبيا، وأما الضرر الذي نتج عنه فبقي في حدود مصر وأصاب مصريين أغرقت المياه أرضهم وتسبب الإغراق في تهجيرهم. وها نحن بعد ستة عقود من التهجير نرى ما يفيد بأن تعويضات ستعطى للذين تضرروا بيوتاً يكون التعويض أو مالاً.

وليس منطقياً أن تتكاثر المساعي دولياً وعربياً وإقليمياً من أجل أن تتساوى نسبة عوائد أثيوبيا من السد بما يخفف نسبة الضرر الذي يلحق بمصر كثيراً وبالسودان أقل ضرراً في حال الإصرار على ملء المرحلة الحاسمة

للسد بعد شهرين. وإذا نحن إفترضنا أن المسعى الذي قام به الرئيس الأميركي المتواري دونالد ترمب كان إستعراضياً ولذا لم يثمر، وكان عدم الإثمار مدعاة للإستغراب، من منطلق أن المسعى سياسي والساعي رئيس دولة دول العالم ولديها من المغريات ووسائل الضغط ما من شأنه إذا هي صممت وضغطت ترويض أكثر الأزمات تعقيداً. إذاً كان السعي لغرض في نفس ترمب لا مكاسب له من ورائه فإكتفى بإتاحة الفرصة إستعراضياً أمام رموز الدبلوماسية في دول الأزمة يقابلهم ويلتقط الصورة التذكارية المتعالية معهم.. وكفى. وعلى أصحاب النيل أن يقتلعوا أشواك أزمته بأيديهم. ونقول ذلك من دون إغفال الجانب الإيجابي من مسعى ترمب حقه والمتمثل في أن مساعاه جعل الأطراف العربية والأفريقية تبذل من السعي لجمع قادة المثلث النيلي على كلمة تقيهم وتقي شعوبهم شرور المواجهة وعندها لا تعود مياه نيلهم للإرواء ولإنتاج الكهرباء وإنما لإطفاء حرائق حرب يمكن إشتعالها ما دام الرئيس الأثيوبي على تصميمه في إكمال برنامج ملء "سد النهضة" لا يتجاوب مع أي مسعى توفيقى، كما كانت حال الرئيس صدام حسين عندما كثرت التمنيات والنصح عليه بأن ينسحب من الكويت وبذلك لا تحرق النار الأصابع. ونتذكر كم سعى بعض القادة العرب لدى صدام وكان الساعيان الأكثر حذباً هما الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أوكل إلى السفير لدى واشنطن الأمير بندر أمر التوجه إلى بغداد لإبلاغ الرئيس صدام والحصول منه على ما يريده الملك خيراً لصديقه وللعراق وهو التعهد بالانسحاب من الكويت، ثم السفر في اليوم نفسه إلى واشنطن لإبلاغ الرئيس بوش الخبر اليقين وبذلك لا يعود هنالك موجب لحصول الذي حصل. لقد أدى الأمير الدبلوماسي المهمة على أفضل وجه وبدأ كما لو أنه على بساط الريح، من واشنطن إلى بغداد.. إلى البيت الأبيض، لكن مع الأسف بقي صدام حسين ممسكاً بكرة النار معتبراً أنه إذا انسحب سيفقد شأنه أمام الشعب العربي وسيفقد عنه ما لا يحب سماعه وسينزل بطبيعة الحال من الدرجة الأعلى في سلالمة الحالة الشعبية إلى السفح. هكذا كان يرى الأمور، ومن دون أن يتأمل في أي حال سيكون عليه العراق والشعب والمنطقة لأن عدم تجاوبه معناه الحرب. وهذا ما حدث. وهو رجل ظالماً ومظلوماً فيما تداعيات عدم الحكمة والحنكة والمرونة وضعت العراق والمنطقة على الأكف الإيرانية والتركية

وبينهما قبل سبعين سنة وحتى إشعار آخر الألف الإسرائيلية.

هذا العناد الصدامي نرى بعض ملامحه في العناد الأثيوبي. بقليل من التبصر والحكمة يسود التعقل ثم لا تحدث المواجهة التي لا مصر السيبي ولا سودان البرهان ورفاقه ولا شعوب أفريقيا وأولهم شعب أثيوبيا فرداً فرداً تريد هذه الحرب... والتي في حال بقيت الليلة الأحمديّة.. ليلة أبي أحمد رئيس الحكومة الأثيوبية شبيهة أو على مسافة ليست بعيدة من البارحة الصدامية. هنا تأتي نصيحة الملك سلمان بن عبدالعزيز التي ليست جديدة في قاموس مفرداته ماضياً وحاضراً ودائماً، خير علاج لمن يتأمل فيها. ومع أنها وبالذات دعوته لمناسبة بدء شهر الصوم، جعل الله خادم الحرمين ووليّ عهده الأمير محمد وشعب المملكة الحادية على لبنان من عواده "إلى نبذ الخلافات والفرقة وتحكيم لغة العقل والحوار والتعاون على البر والتقوى" دعوة شاملة لبني أقوام الأمتين العربية والإسلامية إلا أنها تخص رموز الأزمة الأثيوبية _المصرية_ السودانية كونها في بداية الخشية من اشتعال لهيبها. وبالكثير من التأمل والأخذ بما يدعو إليه خادم الحرمين الشريفين لا تتكرر البارحة الصدامية وبحيث تسمي ليلة أحمديّة. والله الهادي إلى سواء السبيل.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 24 أبريل (نيسان) 2021

نوبل للسلام.. تليق بهما

من بين كل الزيارات التي قام بها قادة ومسؤولون دوليون إلى العالم العربي لم تأخذ زيارة أي من هؤلاء البريق الذي أخذته زيارة البابا فرنسيس إلى العراق مطلع شهر مارس/ آذار 2021. ومن بين مئات المشاهد التي بثتها الفضائيات الدولية ونشرتها صحف العالم لم يأخذ مشهد كذلك الذي يمثل لقاء البابا فرنسيس بالسيد علي السيستاني المرجع الأعلى للشيعة. رمزان دينيان وقوران إجتماعا في غرفة خالية من أي بهرجة وعلى مقاعد كتلك التي في بيوت فقراء وبسطاء الناس في العراق ونسبتهم تتجاوز الثمانين في المئة. وعلى طاولة صغيرة تفصل بين الزائر الروحي المهيب لمثيله في المهابة علبة مناديل

ورقية. مثل هذه البساطة لم يفتعلها السيد السيستاني، فهذه حياته التي هي نقيض الذين تسيّدوا في حمى الطبّق الإيراني الحافل بالمطيبات وظلال الإطباق الأميركي على السيادة الوطنية فما عاد القرار بإرادة الذين يمسون بمفاصل السلطات وإنما بات مزيجاً من الإيحاءات الوطنية والعين البصيرة السليمانية الحرسية الجاحظة والتسليم الأميركي إلى حين بها. ومن هذا المنطلق باتت الخطبة السيستانية لصلاة الجمعة التي يلقيها من يمثله قريبة الشبه بتلك العظات التي إرتبطت بالمرجعيتين المسيحيّتين في لبنان بطربك الطائفة المارونية يحاول تضמיד تشققها ومطران الطائفة الأرثوذكسية يرفد بالروحانية نفسها ما قيل حول أهل السياسة عموماً، وكيف أنهم لا يمارسون ما هو الواجب عليهم والمأمول منهم تجاه الوطن والشعب. وكما أن الخطب السيستانية المحتوى في صلاة الجمعة والتصويب من خلالها على السياسيين لكي يهتدوا أشعلت المزيد من الحماسة في صفوف عشرات الألوف الذين ينشطون تظاهرات وهتافات، فإن عظات قدايس يوم الأحد وفي المناسبات الدينية أدت الدور نفسه، مع فارق أن الحراك الشعبي العراقي وعلى رغم قسوة التعامل الميليشياوي أحياناً أثمر حكومة ما زال رئيسها مصطفى الكاظمي يجاهد عربياً ودولياً وإقليمياً من أجل أن يتم طي صفحة ما قبل العام 2021 ويبدأ العراق عودة ذلك الوطن الذي يملك فيه أهل الحكم قرارهم وتتحقق للأطراف الشعبية المطالب ويستعيد الوطن سيادته كاملة غير منقوصة. وأما الحراك اللبناني فمرجاً إلى حين إنبثاق فجر جديد ورؤى حكيمة كتلك التي رمزها في العراق: رئيس الجمهورية برهم صالح ورئيس الحكومة مصطفى الكاظمي.

وسط هذا السعي الوطني جاءت زيارة البابا فرنسيس تعزز من جهة النهج الموضوعي الذي ينظم خطواته رئيس الحكومة الشيعي مع رئيس الجمهورية السني وضمن إيقاعات محسوبة بدقة وترمم نفوساً إستقر الإكتئاب فيها، إلى جانب العيش في رحاب عمران تم تدميره خلال أربع سنوات داعشية ما زال المرء في حيرة من أمر إستيلاها ومن هو الطرف غير المسلم الذي إستتبط صيغتها وقام بتمويلها لكي تُشوه الدين الحنيف وتشتت شمل غير المسلمين من أبناء الوطن العراقي المبتلى بالإحتلال.. ثم لتمو أغصان هذه الشجرة الشريفة في بلد غير عربي وأجنبي.

أهمية زيارة البابا فرنسيس للعراق أنها جاءت من صاحب همة ثمانينية تحتاج إلى الراحة وإلى أن يأتي المتعبون إليه لكي يسمعو منه القول أحيوا بعضكم بعضاً، وصونوا أوطانكم بمثل صونكم لعائلاتكم وأولادكم. وعندما شاهد العابثون بالأوطان والسيادات كيف أن هذا الخبر الثمانيني نزل سُلّم الطائرة دون مساعدة أحد متكنناً على رعاية الله له ولمقصده النبيل ثم صعد درجات السُلّم درجة درجة وليس كما السُلّم الكهربائي الحركة، وكيف كان في داخل نفسه يستعيد القول الإنجيلي "أعبروا أعبروا بالأبواب. هيئوا طريق الشعب. إرفعوا الراية للشعوب، ثم كيف خاطب المرحبين به وبينهم المهمش والخائف والمهجر والمهجور والباحث عن مأوى يعوضه أفعال "جهاديين" عبثوا وخربوا وإرتكبوا المشين من الأفعال، والأهم من ذلك كيف وجد في نظيره السيد السيستاني هذه البساطة الغاندية في العيش والبلاغة في التعبير... إن البابا عندما شاهد وخاطب وسمع وأسمع، رأى أن له في رحاب النجف الأشرف أحاً تَوَافاً في النظرة إلى الدنيا وإلى من يشاركه واجب السعي من دون كلل من أجل أن يسود السلام على الأرض وفي الناس المحبة، وبالذات في دول يعصف بكينونتها بعض أبنائها الذين يتعاملون مع الوطن وكأنما هو ورقة للبيع مقابل شراء حالات عابرة من الترفُّس، كما يتعاملون مع طوائفهم وكأنما الطائفة هي الأخرى سلعة برسم من يشتري، وهذه ظواهر إزدهرت وما زالت رائحة في أقطار من الوطن العربي بدءاً ببلدان ومروراً في اليمن وسوريا والعراق ومصر والسودان وبعض دول الخليج وصولاً إلى فلسطين وليبيا التي إهتدت إلى سواء منتصف السبيل وتتأهب لإنجاز النصف المتبقي تحت مظلة من التآلف الوطني القَبلي ثم تونس التي ما أن بدأت سيرها على طريق الهداية حتى إنحرفت فيما الجزائر حائرة في أمرها. لعل البابا فرنسيس كمرجعية روحية لا مصلحة لها سواء على صعيد إقتناص المال من حكام ميسورين بذريعة وعود لم تلق أي تنفيذ، أو على صعيد إنشاء شركات، يحقق السعي المشكور لنشر الوئام في نفوس أقران لبنانيين لسياسيين وحزبيين عراقيين، عندما يزور لبنان المعتل الذي أراد أن لا يزوره كمحطة توقُّف وهو ذاهب إلى بلاد الرافدين أو عائد من الزيارة الميمونة وإنما أن تكون زيارته للبنان، المثخن بجراح الإحقاد والتحزبات والإستهتار بالكيان وبمصالح الناس، في المدى غير البعيد ذات مردود معنوي كتلك التي قام بها إلى العراق وكتلك التي يتمنى الإنسان العربي الذي أرهقه

التلاعب الأميركي _ الإسرائيلي أن يمد الله بعمره وعمر السيد السيستاني وعمر الشيخ أحمد الطيّب أن تحدث من خلال قمة مقدسية لتثبيت المبادرة العربية للسلام ولواقع فلسطيني إسلامي _ مسيحي _ يهودي مكفول ومحسوم أممياً في ضوء وثيقة جاهزة أعطاها البابا فرنسيس من الصياغة الكثير من التآني قبل أن يزور العراق وستكمل تأنيباً بعد الزيارتين.. زيارة العراق التي تمت.. وزيارة لبنان المأمولة.

ويبقى التمني بأن تكون جائزة نوبل للسلام للعام 2021 والتي يتنافس عليها 329 كما التقليد المتبع هو الإعلان يوم 15 أكتوبر/ تشرين الأول المقبل عن الشخص أو المؤسسة أو البرنامج الإغاثي الفائز بها ثم في ديسمبر/ كانون الأول المقبل يتم التسليم عبارة عن مفاجأة سارة لجميع شعوب الأرض المبتلاة بالحروب والصراعات والجائحة الشريرة، وبحيث تكون هذه الجائزة جائزة السلام المنشود بالفعل يتقاسمها الثنائي الساعي لإزالة الحزن من قلوب شعوب المنطقة ونشر المحبة في ربوع الأوطان وطي صفحات الصراعات: البابا فرنسيس والسيد السيستاني. وتجدر الإشارة إلى أنه وفي ضوء ما إرتسم في المشهد أمام العالم عن زيارة العراق فإن نوبل السلام تليق بهاتين المرجعيتين، ذلك أنها لم تكن من أجل غسل ما في القلوب من أحقاد وتعويض ما دمرته الجحافل الداعشية وأكملت عليه الجيوش الميليشاوية، وإنما أيضاً لإزالة أدران حقبة الإحتلال الأميركي للعراق. ومن هنا كان الإطراء الإستثنائي من جانب الرئيس جو بايدن لها، ولا بد من جانب أولئك الذين ضاقت صدورهم بأنقال خطايا الذين يتابعون من عليائهم تماماً كما فعل في ذلك الزمن الغابر نيرونه المبتهج برؤية المدينة الجميلة روما تحترق وكما هنالك مبتهج بالذي أصاب وما زال توأمها المتكنة على شاطئ الأبيض المتوسط نفسه... بيروت أم الشرائع مسح المولى تعال جراحها.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 26 أبريل (نيسان) 2021

خير الفرص لتصحيح المسار

في تاريخ العلاقات بين الأنظمة تصل الأزمات

الطارئة التي يمكن معالجتها بالحسنى إلى درجة الخصومة فإنقطاع العلاقات الدبلوماسية، ثم تقطيع الأواصل بين الشعوب وتعطيل المصالح بجانبها مصالح الدول ومصالح الناس أسوأ تعطيل. وتطول هذه الحالات مع أن بعض الحنكة والحكمة وتقدير الصالح العام على الكبرياء الخاص من شأن الأخذ بهما ترويض الأزمة وإنزال درجة غليانها إلى ما يجعلها أقل سخونة. وفي غمضة عين يعود الصفاء بالترج وتتوارى الأزمة بما إختزنته من إجراءات وكلام.

وما بات واضحاً أن طول الأزمة لا يحقق أي مكاسب لهذا الطرف أو ذاك وأن من يبادر يندرج إسمه في لائحة رجال الدولة الذين يؤثرون الشأن العام.. شأن الشعب والوطن وذلك لأنهما الباقيان، على الشأن الخاص.. شأن صاحب السلطة التي إلى غيره آيلة حتى إذا أوجبت الظروف والمعادلات البقاء الطويل في سدة الحكم.

مناسبة هذا الكلام أن سوريا المثخنة بكل أنواع الجراح والتلاعب الدولي والإقليمي في شأنها على موعد مع انتخابات رئاسية يوم 26 يونيو/ حزيران 2021. وهي محسومة النتيجة من قبل أن تبدأ. ومع أنه كان لمصلحة سوريا الوطن المتناثر والمتناغم والشعب المهاجر والمهجّر أن تجرى إنتخابات وفق صيغة دستورية مستحدثة أخفقت إجتماعات جنيف في إستيلادها، وبذلك يتم إسباغ مسحة حيادية أممية على الإنتخابات وتصبح النتيجة إرادة شعبية بإمتياز، إلا أن الإنتخابات بموجب "الدستور الأسدي" الذي مضى على وضعه ثماني عشرة سنة خلت فيها سوريا من الإستقرار والدور بشكل مغيب وصارت مشروع لعبة بدل أن تكون مشروع دور، تشكّل في أي حال خير فرصة للرئيس بشار الأسد كي يبادر بإستئناف الرؤس إلى إعادة النظر حتى إذا هو أعطى هذه الإعادة مسحة "التصحيح" الذي كان الشعار الذي أسبغه والده على الإمساك بالسلطة متفادياً إعتبار ما قام به أنه كان إنقلاباً عسكرياً وهو الذي يرى أن الإنقلابات العسكرية السورية منذ حسني الزعيم تتجح إلا أن دوامها من المحال، فضلاً عن أن مجرد تصور النهايات وتحديد ما إنتهى إليه أمر المثلث الإنقلابي العسكري الشهير (حسني الزعيم، سامي الحناوي، أديب الشيشكلي) تجعل الجنرال (وهو هنا الفريق حافظ الأسد) المتطلع إلى الجلوس في قمة السلطة يتنبه ويبتكر. ومن هنا جاء بـ "ثورة التصحيح" التي كانت أفضل دثار لعقدين من الحكم العاصف أخذت سوريا

خلال هذه السنوات المكان والمكانة في المشهد العربي بنسبة عالية وفي المشهد الدولي كجلوس على أحد المقاعد الخلفية بنسبة خجولة.

ونحن عندما نرى محسومية نتائج الإنتخابات تتويجاً للرئيس بشار الأسد في ولاية جديدة فلأن الخمسين مرشحاً الذين قرروا خوض السباق، سجلوا بترشحهم ومن قبل أن ينتهوا إثنين مقبولاً ترشحهما إلى جانب الرئيس بشار، إنطباعاً بصورية المناسبة فلا هي مفبركة ولا هي بفعل التحدي ولا حتى بغرض التشويش وتقليل النسبة المئوية، كما ولا حتى الإيحاء بأن المعارضة حاضرة داخل سوريا، ذلك أن هؤلاء الخمسين من أهل البيت الواحد أو فلنقل إنهم من المتطللين بالخيمة البشارية المعطوبة منذ عهد سوري منقّض ولن يزيل من الأذهان الإنطباع بأن الخمسين كانوا بمثابة تزويق للمشهد الإنتخابي الذي كان لمصلحة الرئيس بشار أن يكون هنالك جياذ في السباق.. وبالذات من خارج هؤلاء السياسيين الخارجين على الطوع الأسدي ويجوبون عواصم عربية وإقليمية، وبذلك تعطى المناسبة الانتخابية الرئاسية مسحة من الوقار. لكن الذي نشير إليهم يشغلون مكانات مرموقة في مجال الأعمال والتخصصات على أنواعها خارج البلاد منذ سنوات. وثمة مادة إحترازية في الدستور الذي يعود إلى 18 سنة خلت منتهية إلى إحتمال أن يقتحم الحلبة أحد هؤلاء ويلقى ترحيب الناس بأمل أن يضع سوريا على طريق الإستقرار المدني بديلاً للإستقرار الأمني -الحزبي - العائلي. والمادة التي تشير إليها لا تجيز الترشح لمن مضى على إغترابه عن البلاد عشر سنوات. لماذا هذا المنع وهل غربة العقد الواحد من السنين تنزع جلد المواطن؟ إنها اليقظة التي بإعتمادها يمكن تجنّب ما تتحسب ثقافة الحكم الأسدي لحدوثه.

ما يلفت الإنتباه أن الرئيس بشار لم يعلن ترشيح نفسه رسمياً إلا قبل أسبوع من إنتهاء المهلة المحددة لتقديم الترشيحات وهي عشرة أيام إنتهت يوم الأربعاء 28 أبريل/ نيسان 2021، وسبقه إلى الترشح خمسة، لم يطرح أي منهم برنامجاً كما الرئيس بشار الأسد الذي لم يقدّم هو الآخر برنامجاً. ثم بعد هؤلاء الخمسة زاد عدد المرشحين وكما لو أن مقعد الرئاسة السورية هو كرسي في صالة يقام فيها معرض أو تُلقى محاضرة.

بطبيعة الحال سيبدأ الدكتور بشار الأسد ولاية رئاسية جديدة. الفوز بطبيعة الحال مضمون والنسبة المئوية

تسعينية كما حال إستقنائين إرتبطا بترؤسه. لكنه فوز متشقق لأن سوريي الخارج الموزعين على بلاد الله الواسعة غير معنيين بالعملية الانتخابية مثلما أن النظام لا تعنيه توجهاتهم ولا فاعلياتهم وإلا لكانت المناسبة الانتخابية فرصة لكي تبدأ رحلة العودة.

عندما تم ترئس الدكتور الآتي إلى العرين الأسدي من فترة تخصص في بريطانيا رافقها زواج من ابنة الطائفة السنية أسماء الأخرس ساد الإنطباع بأن الإبن المتشرب ثقافة وتقاليد الدولة النموذج في الحياة السياسية الديمقراطية، سيمسح عن سنوات حُكم الأسد الأب ندوباً كثيرة وسيبديد بالتدرج الإنطباع السائد بأن سوريا ذات شعبين وسيعمل بحيث تكون شعباً واحداً، ذلك أن صيغة الرداء البعثي لم تحقق الدفع الطبيعي في الجسم السوري، وأنه أفاد أنياً ثم جاءت الإنتفاضة تكشف هشاشته. كما ساد إنطباع بأن الرئيس التاسع عشر سيزع سوريا، التي لم تستقر على حال على مدى ثمانية عقود من الانقلابات والإنتخابات غير المكتملة الوصول، في المكانة التي تليق بها كتاريخ وجغرافيا.

وعندما تسلّم الدكتور بشّار الرئاسة وعلى أهون إجراءات التسلم كان في الخامسة والثلاثين. على مدى عشرين سنة لم تهناً سوريا بالإستقرار الذي في ضوئه تتحول إلى دولة صناعية رائدة. إختلطت العقيدة الحزبية بالممارسة الأمنية بالخصوصية المذهبية بالتدخل في ما لا يعني السوريين، فإنتهت سوريا ملعباً للاعبين أغراب لا وجود للعربي بينهم. جاء الإيراني مستوطناً، تلاه الروسي ينشئ دويلة جوية _ برية _ بحرية، وإقتحم التركي أرضاً وكأنها فريسة وهو صياد. وأبعد النظام بفعل الإضطراب أو الإختيار لا فرق الأخ العربي عن القيام بدوره العلاجي له. وكما إنتشرت الذئاب الداعشية فإن قوافل من مقاتلين من "حزب الله" ما زالت جزءاً من المعادلة السورية _ اللبنانية.

يحتاج الوضع بكل حلقاته الظاهر منها والمستتر لإعادة نظر من جانب الرئيس بشّار الذي دخل في العمر الثاني. فهو في السادسة والخمسين وبات على مدى عقدين من الحُكم يحتاج كما الشعب بجناحيه المقيم الصامد والمشنت بين مهاجر رغم أوضاعه ومهجور يعيش لاجئاً بحول من الله ونجدات عربية وأممية. وعلى ما هي الأحوال السائدة فإن الأبواب العربية ليست مغلقة تماماً أمام عودة الشقيق الذي لم تكن مجدية حذاقته في

الرهان على دولتين أعطيته من طرف اللسان والقدرات العسكرية طمأنينة في البقاء لكنهما خطفتا منه الشأن في الحد الأقصى أحياناً والتقاسم معه أحياناً أخرى. أعان الله السوريين وأعاد سوريا إلى أمتها.

ما يقال بالنسبة إلى الرئيس بشّار الأسد يقال بالنسبة إلى الرئيس رجب طيّب أردوغان الذي بدأ أولى الخطوات على طريق التصحيح مع العرب، ومن المؤكد أنه سيكون أكثر طمأنينة في الداخل في حال واصل إجتياز الخطوات. كما يقال بالنسبة إلى أهل الحُكم الإيراني الذي صار لزاماً في ضوء إخفاق مشروعهم البدء بصفحة جديدة مع معظم العرب وطي الكم الهائل من صفحات ذلك المشروع الذي عطل التنمية وأربك الوحدة الوطنية والتعايش الطوائفي في ديار كثيرة من الأمتين.

والله المعين لمن في يده توظيف الفرصة المناسبة ويسلك السبيل من أجل سلامة الوطن وطمأنينة الشعب.. إن هو أقدم على ما يرضي رب العالمين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 12 مايو (أيار) 2021

مبادرتا العلاج الشافي.. بأي ذنب وأدهما

ثمة ما يجمع بين أحدث المبادرات التي يشكّل الأخذ بها علاجاً بجرعات للقضايا العالقة التي تورق الأوطان وتتغص على الناس حياتهم. ونعني بها مبادرة البطريك الراعي التي طرحها يوم الإثنين 17 أغسطس/ آب 2020 من على شرفة المقر الروحي للطائفة المارونية، وتلك المبادرة التي طرحها الملك عبدالله بن عبدالعزيز إستتناساً بمشروع أخيه الملك فهد (رحمة الله عليهما) في القمة العربية في فاس، خلال إنعقاد القمة العربية الدورية في بيروت يوم 27 مارس/ آذار 2002 وتم إعلان القبول بها من جانب الحاضرين، مع ملاحظة أن الذين غابوا (الرئيس حسني مبارك. الملك عبدالله الثاني. السلطان قابوس. الرئيس عمر البشير. الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني) تجاوزوا مسبقاً ما تتضمنه المبادرة، ذلك أن الخطوط سالكة سراً من جانب بعضهم مع إسرائيل وفي صيغة معاهدات في الحد المصري _ الأردني الأعلى ومكاتب تجارية _ دبلوماسية في الحد العُماني _ القطري.

لم يأتِ طرح المبادرة لتسجيل مواقف، ذلك أن الموضوع في الحالتين بالغ الخطورة ووصل إلى حد أنه لا بد من إقحام المسألتين: اللبنانية والفلسطينية _ الإسرائيلية، وطرح بدائل لوسائل علاج مضت تراوح بالنسبة إلى الحالتين بين الحرب الأهلية أكثر من مرة، هذا في لبنان، والحرب المفتوحة في أي خطوة غير محسوبة على كل الاحتمالات وبأي وسائل متيسرة، بين الفلسطيني صاحب الحق والإسرائيلي سالب هذا الحق وبينهما المجتمع الدولي المنحاز في استمرار إلى الذي سلب.

ما أصاب مبادرة البطريك الراعي أن المجتمع اللبناني بجناحيه الروحي والسياسي لم يحتضنها بأصول الإحتضان لقضية وطنية. وكان الذبول وارد الإحتمال يصيبها لولا استمرار البطريك الراعي في إرواء جوهرها الذي هو حياد الوطن المثخن بأسنة رماح بعض أولي الأمر، ويتم هذا الإرواء لدى إستقباله مبعوثين أو شخصيات من المجتمع المدني فضلاً عن تضمين عظة يوم الأحد ما يشبه إرواء هذه المبادرة لكي تبقى على نداوتها ويتواصل بالتالي نموها، بأمل أن تورق وتثمر ويكون الجني منها طمأنينة غير مشوبة بالتكاذب.

وثمة نقطة بالغة الأهمية حققها هذه المبادرة، ذلك أن أكثرية اللبنانيين المصدومين من إدارة أهل الحُكم لشؤون الوطن باتوا مسلمين ومسيحيين ينتظرون عظة الراعي وفي بالهم أنه سينقل إليهم الخبر اليقين.

ومع أن الأمل المنشود من المبادرة ما زال في علم الغيب، وأنها تقاوم من خلال صاحبها وجمهوره المسيحي _المسلم العريض محاولة تبهيتها في الحد الأدنى ووأدها كما يريد لها ذلك العابثون بمصائر الوطن، إلا أنها باقية كصيغة حل تشق طريقها إلى التنفيذ.. إنما بعد أن يوقف ظلم ذوي الصداقة ظلهم ويخصون المعضلة اللبنانية برمشة عين من الإهتمام تليها إلتفاتة تساعد في تبديل أمور الوطن والمواطنين وبالترج من الحال السيء إلى الحال الأقل سوءاً. وتتجاوز المبادرة بصورة نهائية إحتمال الوأد وتبقى حية آمنة الإستمرار في رحاب صاحبها.

ما يقال في شأن مبادرة البطريك يندرج على المبادرة العربية التي صيغت بكل التآني آخذاً مضمونها في الإعتبار توازن كفتي الميزان لجهة الربح والخسارة وتكافؤ الفرص: فرصة أن تبقى إسرائيل دولة ذات نظام غير عدواني يدير شأن شعبها الذي هو خلطة شتاتية لا مثيل

لها، مجاوراً الشعب الأصليل يعيش في دولة مماثلة. لا يعتدي أحد على الآخر. يمد أهل القدس اليد للذين في تل أبيب تصافحها مصافحة الجار للجار لا فضل لفلسطيني على يهودي إلا بالهداية والتعامل بما يرضي الشرائع السماوية. وأما الدين فلهه فيما الوطن بجناحيه الفلسطيني والإسرائيلي للمقيمين على الأرض.

مثل هذه الأمور كان تحقيقها يستوجب تنبّي أميركا للمبادرة العربية من خلال موقف منصف وتشجيع منزه عن الخبث وليس القفز فوقها إدارة تزايد على إدارة، وتبلغ المزايدة ذروتها في عهد إدارة الرئيس ترمب الذي ليس فقط لم يعط المبادرة المنصفة إهتمامه، وإنما قوّضها بإهداء القدس التي هي نقطة البداية والنهاية في التسوية المرتضاة من الأمتين، للمشروع الصهيوني وكأنما مدينة المدائن بحرهما الثالث المسجد الأقصى وكنيسة القيامة من مشاع ترمب شأنهما شأن أبراجه وكازينوهات وسائر ممتلكاته. أميركا هذه تتعامل مع أصدقائها بعدة أوجه ليس في أي منها ما يُطمئن الصديق أو الحليف، لعل أميركا التي ملأت العالم ضجيجاً وتلاعياً ببعض الثوابت تلغي في عهد إدارتها المحيرة وثيقة ترمب التي أعلن فيها متهجاً القدس عاصمة لإسرائيل. ولماذا لا يتم الإلغاء؟ أليست إدارة الرئيس بايدن شرعت ومنذ شهرها الأول بإلغاءات وتعديلات؟ ومن المؤكد أن الإلغاء المأمول في ضوء ما هو حاصل في الأراضي الفلسطينية سيشكل بعض التهدة.

لم تأت المبادرة العربية في حينه من طرف ثوري. لا من الرئيس صدام حسين ولا من الرئيس معمر القذافي، لكي تُرفض أو لا تعار الإهتمام. ولم تأت حافلة بمفردات التهديد والإشترطات وإنما بكل آداب التخاطب وعقلانية الرؤية ووضوح معالم الطريق الخالية من الخُفر الثورية. جاءت متزنة ولا تخرج القابل بها.. إنما إذا كان هذا القابل سليم النية واضح الرؤية لا شراهة في نفسه بل ولا أطماع. يروم وصلاً بحصة من أرض ينصب خيمته أو أبراجه عليها كتلك الأبراج الغزوية التي ساوتها بالأرض معالجة وضيفة ومنقوصة الشجاعة من جانب رئيس حكومة ليكودي مرتجف ومسكون بالخشية من أن يؤدي به فقدان كرسي رئاسة الحكومة إلى السجن، علماً بأن قاعدة اللعبة الأميركية _ الإسرائيلية كانت تقضي أن يكون ترحيل ترمب ملازماً لترحيل نتنياهو. بذلك لا تعود الخيوط متشابكة، وتتخلص الإدارة الأميركية من أثقال حقبة

نتنياهو الذي رسّخ الإنطباع بأنه العلة التي تعترض التسوية الموضوعية للصراع العربي _ الإسرائيلي، كما أن عقدة أحلامه هي تصنيفه الوحيد الذي شغل طويلاً منصب رئاسة الحكومة بعد بن غوريون. وأما عقدة عدم الترحيب بزياراته من جانب حكومات عربية أبرمت علاقات مع إسرائيل مسايرة من جانبها للرئيس ترمب فإنها هي الأخرى تستوجب علاجاً قبل إستئثار العلة البنيامينية.

إذا كانت أميركا بجناحيها الديمقراطي المرفرف حالياً والجمهوري المهيض إلى حين، حريصة على سلامة دولة إسرائيل وإستقرار اليهود الذين هم شعب مستحدث على أرض فلسطين العربية منذ العام 1948 وبموجب وعد قابل للتفسير القانوني، كونه يزول بزوال حقبة بريطانيا الدولة التي كانت باسطة ظلها دون وجه حق على أوطان آخرين، ثم جيّرت فلسطين دون غيرها من هذه الأوطان إلى غير أصحابها.. إذا كانت أميركا ضمناً على النحو الذي نشير إليه، فإن أكثر النصائح نفعاً هي أن يخلد المواطن الإسرائيلي إلى بعض التأمل في الذي جرى في أيام صيام في رحاب الأقصى تدنيساً ثم عشية فجر كان الناس في غزة يتأهبون لصلاة عيد إستبد التوق بهم لتأديتها، فإذا بأبراجهم تتهاوى بصواريخ أمر بإرسالها نتنياهو غير آخذ في الإعتبار أن لكل واقعة سببها. وبالنسبة إلى الفلسطيني من غزة التي إرتهن ثوارها أنفسهم لإيران تستعملهم ورقة ساخنة لرفع العقوبات عنها وتتهيء النفس لإستعمال ورقة "حزب الله" المستكين إلى أن يتم الضغط على الأزرار إيداناً بإستعمال ألوف الصواريخ القابعة في الدهاليز، فإن جهاده هذه المرة جهاد نافض اليد من كثرة التأجيلات الدولية لحسم مصيره الوطني، ثم جاءت أحداث القدس والأقصى تضغط على ساعده وتحمله على أن يخطو الخطوة التي قد تجعل الدول المسترخية إزاء الموضوع الفلسطيني تشد من إزره ما دام إختار الكتابة في صفحة النضال الذي يحول دون وأد أي محاولة تعطي ما للفلسطيني للفلسطيني وما للإسرائيلي للإسرائيلي. وبذلك تستقر في بند الثوابت مقولة لا يضيع حق وراءه مُطالب. ويصعب وأد مسعى شريف المقصد سليم النية على نحو مبادرة السلام العربية التي تحقق قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف، وتؤكد ضرورة نقل لبنان من حاله المزرية إلى دولة ينعم بها اللبنانيون بالحياد وتطمئن تبعاً لذلك نفوس الحاديين عليه.

ونخلص إلى الأخذ بالتفاؤل بالخير نجده وعلى قاعدة ما ضاع حق وراءه مُطالب، سواء في لبنان الوطن والشعب المتحمل الإذلال من أولي أمره وفي فلسطين الغاضبة بدءاً بغزة فالقدس والد إلى الجليل الأعلى، بحيث يقرأ العالم في صفحة الحياد للبنان والدولة المستقلة للشعب الفلسطيني وعاصمتها القدس الشريف متجاوزة دولة إسرائيل. والقراءة بمعنى شق الطريق أمام المبادرتين بأمل وضّعهما موضع التنفيذ، كلاهما العلاج الشافي لأكثر الأمراض إستعصاءً. والله المعين والهادي إلى سواء السبيل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 16 مايو (أيار) 2021

علاقة تحتاج إلى مَنْ يصون لا مَنْ يبعثر

أكثر ما يستوقف المرء عند التأمل في تداعيات الزلّة اللسانية من جانب مَنْ يترأس الدبلوماسية اللبنانية حالتان أولاًهما أن رد الفعل اللبناني عليها كان هو اللافت وأن الجانب الظاهر منه ليس أشد إنزعاجاً أزاء تلك الزلّة من الجانب غير المعبر عنه من خلال إستكارات تتضمنها تصريحات. ونقول ذلك على أساس أن الإنزعاج الصامت كان من أطياف كثيرة ساءها ذلك التوصيف غير المستحب يأتي من المسؤول الذي، كما المتعارف عليه، واجبه تطويق أزومات تنشأ بين الدولة التي يشغل فيها منصب وزير الخارجية ودول أخرى شقيقة كانت أو صديقة أو ترتبط الدولة التي هو وزير خارجيتها بمصالح مع تلك الدولة. ولقد حدث ومن قبل أن يسارع سياسيون ورموز مصالح سياسية طموحة ومصالح إقتصادية متوقعة إلى دارة السفير السعودي وليد بخاري كتعبير عن إنزعاجهم من الذي قاله وزير خارجية بلدهم أن أطيفاً عريضة من المواطنين كانوا وهم في مجالسهم في حالة إستغراب للفعل الكلامي المنقوص الكياسة، ليس فقط خشية أن يكون لهذا الكلام مردوده على حساب علاقة تصون لبنان المستقر وتبذل الكثير من النصح في حال حدث خروج عن الخط المستقيم، وإنما لأن بئر المملكة من مؤسسها إلى السائرين على خطاه من أبناء وأحفاد لا تُرمى فيه حجارة. وأما في ساعة الشدة فهي الحاضرة

والمبادرة ومن دون الحاجة إلى طلب من أجل تخفيف تلك الشدة. هذا أمر محمود نشأ عن تلك الزلة اللسانية. وكان له ما يجوز الافتراض دور في أن إنزعاج الأشقاء المساء إليهم لم يصل إلى درجة تفعيل أوراق الإقتصاص الذي بمقتضاه تُقفل أبواب الإستيراد وكذلك إمكانات ألوف اللبنانيين المستقرين وظائف ومصالح في السعودية وسائر دول الخليج.

بل حتى يجوز القول إن درجة الإنزعاج الشعبي يتداوله الناس في مجالسهم، كان نوعاً من الإستفتاء العفوي حول موضوع أساسي وهو أن العلاقة مع السعودية وشقيقاتها دول مجلس التعاون الخليجي ليست للتظير ولا للتهجم. فهذه دول تبادر في العطاء وتبادر عندما يكون اللبنانيون في حالة إشتباك لكي توفّق بينهم. في أي حال رب ضارة نافعة، أو فلنقل رب ضارة من شأنها التنبيه إلى أن ما يصدر عن اللسان في لحظة عدم تبصّر للأمور له مردود القذيفة التي تنطلق من فوهة بندقية من هو دخیل جديد وغير متمرس على الإستعمال الصحيح للسلاح.

وبقدر الشعور بالصدمة من الذي فعله قولاً وحركة رمز الدبلوماسية اللبنانية بالقدر نفسه يُحسب له أنه إعتذر وأن مغادرته المنصب غير المستقر أصلاً لم تتأخر. وفي أدبيات التراث العربي الديني والسياسي أن الإعتذار يبدد العتب مهما إشتد، إنما في حال كان المعتذر من أصحاب النوايا الطيبة.

ما أوردناه كان ملامح أولى الحالتين. ثم تأتي الحالة الثانية التي تبدد من فضاء الأجواء قتامة العبارة التي حفرت عتباً شديداً في النفوس. وتتمثل الحالة الثانية في أن المرجعية السعودية العاتبة والمتمثلة في شخص سفير المملكة لدى لبنان وليد بخاري أدخل إلى الكم من ابتكاراته التي إما تعزز العلاقات وإما تبدد الكثير من سواد أزمات طارئة، صيغة الخيمة التي فوجئ بها زائرو الدارة السعودية التي لم يخطر في بال الجميع، عدا السيدات الزائرات، أنهم سيجلسون أرضاً كما سائر أهل السعودية عندما يمضون أوقاتاً في البر. وتكون مفارشهم جلود أغنام وشرابهم قهوة تعطرها حبات الهال. لقد أراد القول ما معناه ها نحن الذين خصّنا رمز دبلوماسيتكم بتلك الزلة اللسانية. لكم كان اللبنانيون يتمنون لمرجعية صاحب تلك الزلة مثل هذه الجلسة أمثلة له في ضبط اللسان كي لا يودي إلى ما يتجاوز العتب وأحياناً الإجراءات.

كان الرئيس الجنرال ميشال عون مرجع صاحب التعبير غير الودي عن قصد أو عن مجرد زلة لسان، على مقاعد الدراسة عام 1952 مجرد شاب في التاسعة عشرة من العمر يحلم بالإنسحاب إلى الكلية الحربية، عندما كان الرئيس الأول للبنان الميثاق الوطني والإستقلال بشارة الخوري منشغل البال على لبنان، الذي كان زمناً يعيش ظروفاً، بل ومخاطر كتلك التي يعيشها منذ أن بات الشاب الحالم بأن يكون ضابطاً في الجيش، جنرالاً ورئيساً للجمهورية. مخاوف كثيرة من تغيير الوضع الراهن جغرافياً وسياسياً في الشرق العربي (المخاوف راهناً هي نفسها) ويدفع إستقلال لبنان وميثاقه الوطني وسيادته الثمن. من في إستطاعته المساعدة على درء الخطر المحتمل الحدوث؟

الذي رآه الرئيس الشيخ بشارة أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود هو، بتوصيف رمزي، الخيمة التي يلوذ فيها لبنان الخاشي على صيغته وسيادته وإستقلاله، كما تكراراً حاله الآن. ولأن الرئيس الذي وصلت به الخشية إلى حد الخوف أن ينال على وطن وسيادة ويصحو على لا وطن ولا سيادة أمسك بالقلم وحبر خشية واضعاً الأمر بين يدي الذي لا يروم في إخوانه الدول العربية الحديثة المستقل منها وتلك التي لا تزال تحت الإنتداب مباشرة، لا الإحتواء ولا التدخل فهو كابد مشقة التوحيد وكيف أن صيانة ما جرى توحيده لا تقل عن مشقة التوحيد.

هنا أضع ككاتب وباحث وكمواطن ساءه، كما سائر الذين هواهم لبناني سيادي عروبي ويؤمن بالحياد صيغة ثابتة للوطن، أن يقول وزير في حكومة وطنه من الكلام ما ليس فقط يجافي حقائق ثابتة وإنما يتسبب في إلحاق الأذى بعلاقة تحتاج إلى من يصون وليس من يبعثر.. هنا أضع من باب التذكير بأمل أن تنفع الذكرى نص رسالة الرئيس الشيخ بشارة الخوري الحسنة الألفاظ وصدق النوايا إلى الملك عبدالعزيز (رحمة الله على الإثنين) ورد الملك الموحد والمؤسس عليها برسالة من النسيج الحادب نفسه تأكيداً لحقيقة لا تؤثر فيها ألفاظ تصدر من الذين لا يدرون ماذا يقولون وهذا خطأ أو إنهم يدرون وتلك خطيئة.

رسالة الرئيس الأول للبنان المستقل الخاشي على سيادته وإستقلاله وخصوصيته كما الخشية الحالية إنما ليست من جانب رئيسه وحاشيته بالنص الآتي:

«لا يخفى على جلالتك ما آلت إليه الحالة في الشرق العربي. إن إغتيال المرجوم رياض الصلح،

وإن كانت تنحصر نتائجه المباشرة بالسياسة الداخلية اللبنانية، إلا أنه سيكون بعيد الأثر غير المباشر في العالم العربي. وأول أثر بنظرنا هو تجرؤ الإرهاب الفلسطيني على إغتيال الملك عبدالله.

وقتل الملك يحدث مشكلة داخلية أردنية من حيث وراثة العرش، ويغير مركز الإنكيز في هذه البقعة من الأرض. ويزيد صعوبة على الصعوبات التي تلاقيها هذه الدولة في إيران ومصر. أما سوريا فالحالة فيها غير مستقرة وقد تتأثر بما حصل لإحداث إنقلاب جديد. أما لبنان فالإستقرار السياسي موجود فيه والحمد لله. غير أن العوامل الخارجية قد يكون لها مفعولها في سياسته الداخلية. وكل تغيير في الوضع الجغرافي أو السياسي العربي سوف يحدث له مصاعب جمة لا تقدّر عواقبها. وقد ينتظر العراق مثل هذه الفرصة السانحة لتغيير الوضع الراهن.

وقد كانت فكرة سوريا الكبرى قد إستبعدت نوعاً ما بعد مصرع الملك عبدالله ففكرة الهلال الخصيب قد يكون لها نصيب أوفر أن تتحقق في مثل هذه الظروف، رضاء أو عنوة.

والضرورة تقضي أن تتعاون المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان على تركيز الحالة في الشرق، خصوصاً وأن العالم يرتقب أحداثاً خطيرة للغاية، والعلة الكبرى أن علائق مصر ساءت مع الإنكليز لدرجة تشغل البال. فعدا عن مطالب مصر الأساسية من جهة الجلاء ووحددة وادي النيل، نشأت مصاعب أخرى منها مرور ناقلات البترول عبر القنال، وتفتيش البواخر الإنكليزية، مما قد جعل الإنكليز يفكرون جدياً بوقف المفاوضات الأساسية، كما أنهم سيهدفون حتماً إلى إضعاف النفوذ المصري على الدول العربية، وقد يحدو بهم الظرف إلى تشجيع أو بالأقل إلى غض النظر عن تغيير الوضع الراهن في الشرق العربي.

فالإقتراحات التي يقضيها الظرف الحاضر هي: إتصال جلالتك بالإنكليز وبمن يلزم من الدول الغربية لإبقاء القديم على قدمه في هذا الشرق العربي.

إتصال جلالتك بجلالة ملك مصر بالطرق التي

تراها مناسبة، وبأسرع ما يمكن من الوقت، وأن تظهر له المخاطر الناجمة عن الموقف العمومي، وضرورة تفادي أزمة حادة بين مصر وبريطانيا بإيجاد حلول مؤقتة للمسائل الفرعية، كي لا تتوقف المفاوضات أو تقطع فيما يتعلق بالمطلب الأساسي».

وأما رد الملك عبدالعزيز عليها فإنه بالنص الآتي:

وردني عن طريق الرسول الأمين الجواب التالي:

"إطلعنا في كتابكم على آراء فخامة الرئيس بشارة الخوري السديدة في الوضع الحاضر، وقد صور الموقف على ضوء الأحداث الأخيرة كما هو. ونحن نقدر لفخامته بعد نظره وحنكته السياسية كما يجب، ونشترك معه تماماً في خطورة الموقف والمستقبل المليء بالمفاجآت، كل ذلك نظر واقعي لا مشاحة فيه، ولكن في الموقف نفسه نرى غموضاً وفتره من الإندهاش والتوقف في الأفق، وهذه الحالة لا بد أن تنجلي بصورة واضحة، وبعدها يمكن للإنسان أن يتجه إتجاهاً يسير فيه بخطى ثابتة.

وإذ نذكر له نظرنا هذه فليس معنا إننا لم نشترك معه في تقدير خطورة الوضع الحاضر، وأن نبقي مكتفي الأيدي، ولكن نعتقد بوجود ترقب الأحوال عن كئيب إلى أن تحدث بعض البوادر التي تنير الأهداف، وحينئذ يتسنى لنا وجهة العمل ولا نخفي خطوات فاشلة.

هذا ما نرتته الآن في الظرف الحاضر، ومع هذا فإن الإبن فيصل سوف يسافر إلى لندن في هذه الأيام ولا بد أنه ينتهز الفرصة إذا بدرت له ويتكلم مع الإنكليز حسب ما تكون الحالة والظروف في الوقت الذي يكون فيه هناك. ونحن نشكر فخامة الرئيس على حسن ظنه وإعتماده، ونبادله أطيب الشعور وأجمله. كما نرحب بتبادل الآراء من حين لآخر حسب ما تقتضيه الأحوال. وندعو الله أن يأخذ بيد العرب ويقدر لهم ما فيه الخير والصالح.

بعد فترة قصيرة يذكر الرئيس بشارة الخوري أن الملك عبدالعزيز ما لبث أن شعر بخطورة الوضع فإستعجل وألحق رسالته أعلاه ببرقية أورد الرئيس نصها على النحو الآتي:

"أعلموا فخامة الرئيس بشارة الخوري بمضمون هذه البرقية بطريقة سرية وخاصة: إلحاقاً لكتابتنا والملحق تاريخ 23 شوال المرسل لكم..

بعد كتابة ما ذكرناه رأينا من الصواب البدء

بإتخاذ التدابير اللازمة حالاً وعملاً برأي فخامة الرئيس الخوري، وأحضرنا ممثلهم هنا وصارحناه بعدم موافقتنا على إتخاذ أي تدبير يخل بالوضع الحاضر، وأفهمناه أن من مصلحتهم المحافظة على الأوضاع الحاضرة في البلاد العربية. وطلبنا ليُفهم حكومته بذلك. وأتينا كلّفنا الآن فيصل ليجت معهم مفضّلاً عن وجهة نظرنا. أيضاً أحضرنا الأميركاني وأفهمناه كل ذلك. وزيادة حذرناهم من النتائج وطلبنا أن يجت مع حلفائهم وينصحوهم أيضاً لدسعي بالتفاهم مع مصر. وقد رتبنا المخابرة مع صاحبنا حيث هو (ملك مصر) وأفهمناه مفضّلاً عن الأخطار. ولكن نحن في شك من قدرته على العمل، خصوصاً ورجال حكومته متطرفون. ولا أعلم إذا كان يقدر على إقناعهم بالإعتدال. هانا الله وإياهم لإتباع ما فيه خير العرب".

عبدالعزیز

ختاماً يشير الرئيس بشارة الخوري ربطاً بهذه المراسلة "إلى أن بعض الأمراء من أبناء الملك عبدالعزیز مصطفىين في عاليه فدعوتهم إلى تناول الطعام على مائدة الرئاسة وأنستهم حتى شعروا أنهم في بيتهم".

وخلصة القول إن تبادل الرسائل لم ينقطع وبالروحية المشار إليها. كما أن ما هو ثابت ماضياً مستمر ثباته حاضراً على نحو ما نستخلصه من الرسائل المتبادلة والمثبتة برسم اللبنانيين وبالذات من يسوس أمورهم ويمارس الدبلوماسية التي تصون الوطن، في مذكرات الرئيس بشارة الخوري. تلك هي خيمة الملك عبدالعزیز يلوذ بها الذين إذا أصابتهم مخافة على الوطن يطرقون الباب ويُفتح لهم من جانب الأبناء والأحفاد من بعده. والله الهادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 25 مايو (أيار) 2021

بداية العلاج الأحمد بالتزام إتفاق مكة

كثيراً ما كنا في ملاذنا على مدى الثمانينات عندما يتقدم الموضوع الفلسطيني على إهتماماتنا كصحافيين نُكثر من الإستفسار من زميلنا المخضرم بكر عويضة

عن أبعاد الحيوية الثورية التي بدأت تشق طريقها في غزة، التي لم تكن زمناك مدينة الأبراج التي ساء نتياهاو إرتفاعها فإنتهز المناسبة الصاروخية الثورية المضمة بالبارود الإيراني لجعل من تلك الأبراج ركماً وبما تحويه المكاتب والشقق في هذه الأبراج من إحتياجات العيش والعمل الإعلامي الذي يمسح الندوب المتزايدة في الكيان الفلسطيني الذي يجاهد من أجل إكتساب الشرعية الدولية الكاملة.

وفي أربعائياته في صحيفتنا الخضراء لم يخبر زميلنا قراءه أن غزة ليست فقط أنفاقاً إنتكرت فكرتها "حماس" أو "الجهاد الإسلامي" أو الإنتتان يحفران متعاونين أو لكل منهما النفق الذي يخصه، وإنما هي أبراج تحاكي من حيث إرتفاعها بعض الأبراج العربية التي أخذت من بريق البناء العامودي، وهذا مدعاة للندم على هذا الإنتقال السكني غير المحبب إلى النفس. أبراج تعانق غيوم السماء وأنفاق لعبور الصواريخ والعتاد الحربي على أنواعه. يا لهذه المعادلة الحيوية من جانب إخواننا الغزاويين.

كما أن أحاديث الغربية اللندنية حول الموضوع الفلسطيني كانت تأخذ منا الكثير من التركيز حول أن ما يمكن قوله عن رموز النضال الفلسطيني الموزعين على سلطة وفصائل وحركات أنهم منظرون من النوع المتميز ويملكون القدرة على وصل لياهم بنهاراتهم عندما تكون هنالك لقاءات للتشاور في شأن صيغة ما تتطلب أكثرية عند التصويت عليها..

كما يمكن أن يقال عنهم أنهم عندما تكون هنالك حالة إنقسام في الصف يبرعون في تبادل مفردات تجعل المتابع لمسيرة النضال الفلسطيني والمتعاطف مع فلسطين كقضية وليس مع رموز ذلك النضال يسائل نفسه: ماذا ترك بعض هؤلاء لخصوم قضيتهم.

وثمة ما هو لافت أكثر من الذي نشير إليه وهو أن رموز مسيرة النضال الفلسطيني ينكثون العهود أحياناً ويفرطون أحياناً أخرى بفرص كان من شأن التمسك بها أن تقيد كورقة في بعض محطات النضال الفلسطيني، فضلاً عن أن هذا التمسك من شأنه إظهارهم أمام الرأي العام العربي المتعاطف معهم أنهم لا يلتزمون بعهود، وكذلك إظهارهم أمام جماهيرهم في المدن والبلدات داخل فلسطين المحتلة وتعاني من وطأة الصلف الليكودي بالذات الذي لا يكتفي بالنيل من كرامتهم وعيشهم وإنما

يتمتع في بعض الأحيان النيل من المقدسات، أنهم من الذين يحون في نهارهم ما يتفقون عليه في ليلهم على نحو المثل الشعري في هذا الشأن.

وحيث أن ما آلت إليه الأحوال الفلسطينية بعد العدوان الليكودي الهتلري الأسلوب والوسيلة والذرائع، تتطلب ما هو أكثر من المساعدات لإعادة الحياة السكنية إلى المناطق الغزوية، فإن مطالبة رموز النضال الفلسطيني ومن دون إستثناء سلطة في رام الله أثرت التعامل كدولة مع تداعيات ذلك العدوان وقيادات تتمنى أن تكون إستفاقت من غيبوبتها الإيرانية تمهيداً لطى صفحة غيببتها العربية، ووجدت نفسها أمام وضع يحتاج إلى تفسيرات موضوعية للذي إفتعلته ومن الذي أشار بالتنفيذ الذي تجاوز بكثير عملية فدائية تقليدية.. إن مطالبة الرموز الفلسطينية بتعديل جذري في ما يتعلق بما يتم الإتفاق في شأنه، هو ما تحتاجه المرحلة الآتية من النضال الفلسطيني الذي دخل حالة الإنهاك ودخلت معه مشاعر التعاطف العربية والإسلامية حالة على مشارف اللامبالاة. وإذا جاز القول فإن ترميم غربة رموز التنظيمات الفلسطينية عن الدول العربية والتغريد في الفضاء الإيراني هو ما يحتاجه النضال الفلسطيني الآن، وبصرف النظر عما إذا كانت ستتأتى عن ذلك تضحيات يتم تصنيفها على أنها خيبات.

نتساءل كما الذين إحتاروا في أمر الذي جرى للقطاع الصابر على الضيم (غزة) من جانب إسرائيل، وهل ثمة جدوى من إعطاء نتتياهو ذريعة لكي يسد بالرد الحربي ثقباً في المأزق الذي يعيشه ويتمثل في أنه كان حتى بدء الصواريخ تنطلق من غزة على مواقع إسرائيلية عاجزاً عن تشكيل حكومة، وكانت لعدم القدرة على التشكيل محاذير إحداها أنه سيصبح أمام محكمة تمطره بالأسئلة عن سلوكيات وممارسات عاندها السجن كما آخرين سبقوه إلى هذا المصير ولم تتفع لهم مكانتهم الرئاسية.

كما نتساءل: أليس من باب الحيلة وما قد يستتبع إطلاق بضعة صواريخ، من رد فعل بصيغة هتلية على نحو ما حدث للندن وباريس في الحرب التي خاضها الزعيم النازي ضد الأوروبيين بالدوافع غير العاقلة التي إقتبسها نتتياهو مع تطوير لها تمثل في إسقاط الأبراج التي بدت عملية تدميرها وكما لو أنها لعبة مسلية من ألعاب إبتكارات الطفرة الإلكترونية.. أليس من باب الحيلة كان مفروضاً بـ "جنرالات" الجبهة الغزوية وضع

إخوانهم الكاظمين الغيظ ماضياً وحاضراً ودائماً وهم في رام الله من تعالي بني عمومته وأخوالهم بل وأجدادهم الغزويين قادة "حماس" و "الجهاد"، في أجواء مخطط ما هم في صدد الإقدام عليه، فقد تنفع المشورة من جانب "فلسطين رام الله" فتتريث بالتالي "فلسطين غزة".

هذا تبين أنه لم يحدث. وهنا يجوز الإفتراض أن "جنرالات فلسطين الغزوية" رسموا الخطط في الغرفة التنفيذية لعملياتهم التي ربما كانت الاتصالات نشطة بينها وبين الغرفة الإيحائية خارج غزة، فلنقل طهران ربما، على أساس أن تصبح غزة مثل كوريا الشمالية أو مثل اليمن الجنوبي.. أو حتى مثل كردستان العراق، أو على المدى الأبعد مثل دولة جنوب السودان.

كان الوعي مغيباً وكانت الحسابات قائمة على تخيلات وإفتراضات. والمحزن أن "جنرالات فلسطين الغزوية" أخذوا بالفعل ولم يستوقفهم ما يمكن أن يتأتى على حوار الصواريخ غير المتكافئ بينهم وبين الجنرال الليكودي، وهو هنا نتتياهو الذي خرج بعيداً عن الطور وبدأ حرباً على غزة وليس مجرد الرد بالمثل بمعنى أن مقابل أي صاروخ غزوي هنالك صاروخ ليكودي بالعتار نفسه وليس التدمير في أحياء ثم إبادة أبراج سكنية ذكرنا إسقاطها عند متابعة أيام المواجهة الغزوية _ الليكودية بالذي جرى لبرج مركز التجارة العالمي في نيويورك يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001 وإختلط الإفتراض بشيء من الجزم بأن يكون العقل الليكودي نفسه وراء عملية البرج العالمي من دون أن يكون ذلك مباشرة وإنما بالتكليف أو الإيحاء.

وبالعودة إلى ما بدأناه ويتصل بأهمية أن يعيد إخواننا رموز النضال الفلسطيني النظر في الأسلوب والمفاهيم وتعديل خرائط الإرتباطات وأهمية زيادة نسبة التعريب للقضية الفلسطينية الذي نلاحظ إنحساراً نوعياً لمصلحة التفريس، تذكيرهم بأنه إذا كان جف حبر كلام لقاء المصالحة الذي حققته لهم المملكة العربية السعودية في مكة المكرمة وصدر عنه الاتفاق الأهم بين الإتفاقات الفلسطينية _ الفلسطينية يوم 8 فبراير/ شباط 2007، فإن العودة إلى قراءة ذلك الاتفاق كلمة وإرفاق القراءة بالتأمل في القسَم الذي أداه كل من الرئيس محمود عباس وإسماعيل هنية وخالد مشعل، من شأنها التأكيد بأن روح ذلك الاتفاق لا تموت.

ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار صدق مرام المملكة

من تلك الخطوة التي تحققت وإنتهت مع الأسف دون تفعيل. فهي لم تفعل كما إيران ربطاً للفصائل الفلسطينية الغزافية بها والتعامل مع رموز تلك الفصائل كمرجعية عاصمتها طهران، وإنما حققت لها قبل ثلاث عشرة سنة صيغة وفاق أرادت أن تتم في مكة المكرمة وليس في الرياض، كي لا يقال عن المملكة أنها توظف القضية الفلسطينية لمآرب شتى على نحو ما يفعله النظام الثوري الإيراني. وعن ظروف ذلك الوفاق الذي فرط به طرفاه حديث آخر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 يونيو (حزيران) 2021

من أجل الدولتين بدل الثلاث

ذات يوم من صيف العام 2009 غمرتنا كأبناء أوطان عربية طالما كثرت تساؤلاتهم كإعلاميين حول أي مصير سينتهي إليه العراك المحتدم كلاماً وإجراءات بين أبناء القضية الفلسطينية الذي حفلت به أشهر من التسعينات، مشاعر من الأمل بحدوث انفراجات بعدما بثت وكالات الأنباء ووضعت الفضائيات كلمة (عاجل) على الشاشات، وما يفيد بأن موقفاً سعودياً بالغ الأهمية دخل على خط الأزمة الفلسطينية _ الفلسطينية الحادة وأن هذا الموقف عبارة عن برقية وصلت إلى المؤتمر السادس لـ "حركة فتح"، الذي بدأ في بيت لحم، من العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) قرأها الرئيس محمود عباس وقد بان الإرتياح الكثير الوضوح على محياه.

كانت البرقية دون سائر البرقيات التي طالما كانت تتلقاها السلطة الفلسطينية في مناسبات إستثنائية، من حيث الصياغة والمضمون، بل يجوز القول إنها كانت مطالعة أو هي ورقة عمل بصيغة الإقتراح والطلب تأتي من المرجعية العربية الأهم. تجاوزت البرقية الخمسة كلمة مع تكرار عبارة "أيها الإخوة المناضلون" في بداية كل فقرة من فقراتها الست التي ختامها عبارة "عاشت الدولة الفلسطينية المستقلة التي أراها _ بإذن الله _ قادمة لا ريب فيها، ترفع رايات الحرية في رحاب الإسراء الطاهرة". وأما الملاحظة التنبهية اللافتة في البرقية فإنها

"أستحلفكم بالله أن يكون إيمانكم أكبر من جراحكم. والحق أقول لكم إنه لو أجمع العالم كله على إقامة دولة فلسطينية مستقلة لما قامت هذه الدولة والبيت الفلسطيني منقسم على نفسه شيعاً وطوائف...".

الذي جعل عبدالله بن عبدالعزيز يبعث بهذه البرقية هي الصدمة الناشئة عن أن الرمزين الأقوى شأناً في النضال الفلسطيني ("حركة فتح" ومن يخلق في فضائها...). نقضاً إتفاقاً تاريخياً سبق أن أخذه على نفسيهما توقيعاً وتصريحاً وقسماً على كتاب الله. وما يضيفي على الاتفاق المزيد من الأهمية أنه تم في رحاب المدينة المقدسة التي زادت حنيناً للحرر الثالث الذي يكابر المجتمع الدولي في شأنه ويقوم بالدوران حول لب الموضوع عوض حسم الأمر، وذلك بالتسليم أن القدس الشرقية بمسجدها وكنيستها هي عاصمة الدولة الفلسطينية التي بدل تعقيد أمر مصيرها وأحققتها على نحو ما فعل الرئيس ترمب من خلال تطويعها (لفظاً) متباهياً حقاً لإسرائيل، بات لا بد من الأخذ بمبادرة السلام العربية، وإلا فإن أحاديث الزمن الآتي ستكون حول ثلاثية الدولة وليس الدولتين أي بما معناه دولة إسرائيل ودولة رام الله ودولة غزة. وهذا ربما وارد في الأجندة الأميركية وإلا فما معنى قول الرئيس بايدن أنه سيجهد من أجل إنشاء دولة فلسطينية، أي أنه في صدد إختراع دولة من خلال جمع أمتار من هنا وأمتار من هناك.. وهكذا على مدى نصف قرن جديد من الإدارات الأميركية.

من هنا وتوظيفاً مجدياً للمحنة الغزافية وكيف أن ثمن الصواريخ الحمساوية التي أصابت جزءاً في النفس الإسرائيلية عموماً، وإن كان الخطاب الرسمي حاول إقناع شعب إسرائيل والمجتمع الدولي عموماً بأن الذي إقترفه ننتياهو كان واجباً دفاعياً وليس جريمة تستوجب المساءلة على نحو ما قرر ذلك مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، فإن إستعادة روح إتفاق مكة كفيلة بتضميد الجراح ومعالجة الصدمات لأكثر من مليون ونصف المليون هم العدد التقريبي لسكان غزة، التي باتت بفعل عدوان ننتياهو أشبه بمخيم سيبقي مجموعة حطامات إلى أن تشق خطط إعادة، البناء طريقها. ومن الجائز الإفتراض أن تؤخذ الموقف الفلسطيني وبروح إتفاق مكة سيقبل التردد العربي والدولي في مسألة إعادة البناء، وذلك لأن الأطراف لن تشارك إذا كانت هنالك جولة

وقدراته حاضر للنجدة... إنما ليست بالصواريخ ومغريات الزعامة المطلقة الموعودة. وبعد ذلك يستقر حديث الدولتين ولا مجال للثالثة. ومن يعيش ير..

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 9 يونيو (حزيران) 2021

تلك إيران التي تريخ وترتاح

قبل أربع وعشرين سنة شهدت العلاقة الإيرانية _العربية في بعض سنوات رئاسة محمد خاتمي الجمهورية الإسلامية نسبة نوعية من الانفراج المعقود عليه الأمل في تحقيق تفهم يؤسس لتفاهم. وتحضرنا تصريحات وزيارات للرئيس الذي لم يسجل على نفسه إطلاق تهديدات أو حتى إستفزاز هذه الدولة أو تلك. وصودف أن المبادرة العربية للسلام تزامنت كإقتراح من جانب ولي العهد السعودي عبدالله بن عبدالعزيز (الملك لاحقاً) ثم كقبول بها من جانب القمة العربية الإستثنائية في بيروت (27 _28 مارس/ آذار 2002). وبذل أن يتسع صدر أهل النظام الثوري الإيراني لهذه الخطوة فإنهم نصبوا لها الكمان وذلك من خلال تنشيط ذراعهم الحوثية. وكلتا الذراعين باتتا ورقة التهويل بدءاً بالدولة السعودية. ويوماً بعد يوم يقلص دور الرئيس الإيراني ويزداد تأثير الحرس الثوري ودوره في رسم المواقف المعلن منها وغير المعلن. لم نكن في حينه ندري أن الرئيس روحاني كان يغرد صمتاً خارج السرب في ما يتعلق بـ "المبادرة العربية للسلام". وكيف لن يغرد صامتاً إذا كان رفع الصوت عالياً أو حتى بلباقة تعبير السُّيَّاد ذوي العمام السوداء سيكلف المغرد مصيراً كذلك المصير الذي لقيه على سبيل المثال لا الحصر محمد علي رجائي يوم 3 أغسطس/ آب 1981 مع إختلاف الدواعي والظروف وطبيعة الرحيل أو الترحيل. ونقول ذلك على أساس أن كلمة الحرس الثوري من كلمة المرشد وأن كلمة المرشد لا يُعلى عليها.

بقي موقف الرئيس خاتمي في فضاء المجهول إلى أن دُقت ساعة البوح بما تختزنه الصدور، وذلك بعدما بات رئيساً سابقاً. وإرتأى بعد مرور أشهر قليلة على إنتزاع محمود أحمدي نجاد الرئاسة منه (3 أغسطس/ آب

عدوان جديدة بعد إكتمال البناء، في حين أنها ستطمئن وتساعد عندما يتجدد الإلتزام بروح إتفاق مكة وصولاً إلى إعتقاد مبادرة السلام العربية، وهذا ما أرادته المملكة العربية السعودية في ظل الملك عبدالله بن عبدالعزيز وتريده في ظل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي العهد الأمير محمد بن سلمان، الذي نفترض أنه يرى عدم الوصول إلى حل عادل وثابت للموضوع الفلسطيني مع إسرائيل وفي أقرب وقت قبل العام 2030 يشكّل عثرات في طريق رؤيته الرائدة ومشروع التطوير الذي يحتاج إلى تهدئة على مستوى المنطقة. ومن الطبيعي عندما يحسم أمر الحل العادل للموضوع الفلسطيني لا يعود مشروع التدخلات الإيرانية على النهج السائد والذي كان أحدث خطته في إستراتيجية الإيذاء تفعيل ورقة صواريخ إيران المنصوبة فوق الأرض وتحتها في غزة تخدم غرض المحادثات النووية، وأما إذا جاء الرد شرساً من إسرائيل، وهذا ما حدث، فإن على الدول العربية أن تساعدكم. هذا أيضاً ما نراه قيد البحث الآن. وهذا أيضاً بند في إستراتيجية إستنزاف السعودية وقتاً ومالاً من خلال الدور اليميني الذي لا يكلف النظام الثوري الإيراني، عدا تكديس السلاح والشحن المذهبي، أي أموال أو أرواح.

في إتفاق مكة الذي يتمنى أبناء الأمة على إخوانهم الفلسطينيين الذين يستعدون الخصام ويمارسون التنافر بدل التوحد، تعهّد رموز النضال الفلسطيني بالإتفاق وردد محمود عباس وخالد مشعل وإسماعيل هنية عبارات تؤكد على أن تكون الكلمة الفلسطينية إزاء العرب والمجتمع الدولي واحدة، وإستحضروا تأكيداً لذلك قول الرسول "فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".

لم تمض أيام إلّا وإنشقت الأرض الإيرانية وبلعت قادة "حماس" و"الجهاد". وبقي الرئيس محمود عباس يحاول من رام الله لملمة التعقيدات والتناقضات ولا يساعد أخوي يوسف اللذين هما أوقعا نفسيهما في البئر ثم جاء الذئب ننتيا هو يحاول إفتراسهما. ولكيلا يلدغ المرء الحمساوي و"الجهاد" مرة ثانية تؤسس للمزيد من اللدغات، فإن توظيف إرتضاء إتفاق مكة واجب، كما هو واجب المزيد من التأمل في من هم الذين إذا أصابت الفلسطيني مصيبة إسرائيلية فإن الأخ السعودي والمصري والخليجي عموماً بل والعربي كل وفق نخوته

2005) القيام بزيارة خاصة إلى الولايات المتحدة لإلقاء خطاب. لم يُفصح عن سيناريو تلك الزيارة وإن كانت التصريحات التي أدلى بها إلى صحيفة "يو. إس. توداي" الأميركية و "فايننشال تايمس" البريطانية تترك انطباعاً بأن الرئيس السابق يريد من هذه الزيارة الإحياء بأنه ما كان يصرح به وهو رئيس ويتخذ من خطوات إنما كان المسؤول الذي يفرض عليه المنصب ما يقوم به، إلا أن ذلك لا يعني أن قناعاته هي نفسها، وأنه بالزيارة الخاصة والتصريحات المتعمدة، خص منبراً أميركياً ومنبراً بريطانياً بها دون غيرهما من المنابر الصحافية الدولية وأيضاً بقية المنابر في الدولتين وما هي عليه ولاءات وسياسات هذه المنابر.. أي التعاطف مع إسرائيل.

في تلك التصريحات للصحفيين حاول خاتمي إرضاء ذاته وقناعاته والمجتمع الدولي متمثلاً بشكل خاص بالإدارة الأميركية والحكومة البريطانية وسائر الحكومات الأوروبية، والأهم من ذلك الإحياء للقيادات الفلسطينية بأن إيران المتعاطفة والصديقة لهم والساعية لدى المجتمع الدولي من أجل إنصاف قضيتهم أفضل من إيران التي يريد الحرس الثوري، على نحو ما بات هو شخصياً متأكداً من ذلك ولديه كمرجع رسمي مترئساً الجمهورية من العام 1997 حتى العام 2005 ما يثبت ذلك، بأن تكون فصائل من أهل النضال الفلسطيني بمثابة أذرع تحقق لإيران المرشد والحرس الثوري بشكل خاص المشروع الذي يتطلع إلى الثأر من الذين ساندوا عراق صدام حسين في حربه كمرحلة أولى ثم تحقيق خطوات إحتواء أنظمة عربية في مراحل لاحقة.

ولقد قال خاتمي وهو في واشنطن بكثير من الوضوح الذي يؤكد ما نشير إليه كلاماً برسم أن يُسمع في واشنطن ولندن كما في طهران والرياض وبغداد وبشكل خاص في غزة ورام الله. قال "إن إيران ليست عدوة الولايات المتحدة وإن البلدين لهما مصالح إستراتيجية مشتركة في العراق وأفغانستان...". وقال "لا يمكننا أن نترك الحكومة العراقية التي تشكلت حديثاً تحت رحمة إرهابيين ومتمردين"، وشدد على بقاء القوات الأميركية في العراق إلى أن تتمكن هذه الحكومة من السيطرة على الأمور في البلاد. وقال "خلال سنوات تولي الرئاسة لم تُزود إيران شريعة العراق بالأسلحة". وقال "لن يستفيد أحد من السلام والإستقرار في العراق بقدر ما ستستفيد إيران".

هذا عن إيران والعراق. أما عن الموضوع الفلسطيني

والمساعي الدائرة في شأن تسوية الصراع العربي _ الإسرائيلي فقال إنه ليس مع خلفه أحمدي نجاد الذي دعا إلى "شطب إسرائيل عن الخريطة" وزاد التأكيد قائلاً "دائماً ما قلْتُ وساندتُ سلاماً عادلاً ومتساوياً". وخص صحيفة رجال الأعمال "فايننشال تايمس"، ربما متعمداً، بالقول "إن إيران ستقبل دولة فلسطينية تعيش جنباً إلى جنب مع إسرائيل". ورغم ربطه هذا القبول بموقف يصدر عن حركة "حماس" بالمعنى نفسه، فإن مجرد قوله يشكّل في حد ذاته إنعطافة بالغة الأهمية. كما تتجلى الإنعطافة أكثر من خلال القول بصيغة التأكيد "إيران ترغب في سلام دائم في الشرق الأوسط بين المسلمين والمسيحيين، و"حماس" نفسها مستعدة للحياة إلى جانب إسرائيل إذا ما تم منحها حقوقها وجرى التعامل معها كدولة ديمقراطية وحكومة فلسطينية وتمت إزالة الضغوط عنها...".

خلاصة ما يمكن إستنتاجه أن الموقف الضمني لإيران هو هذا الذي أفصح عنه بكثير من الإيجاز أحد أبناء النظام من الجالسين في الصف الأمامي. أما ما نتابعه كموقف من جانب إيران بعد خاتمي فإنه نوع من التلاعب بالأقدار الفلسطينية والإستقرار العربي والمصالح الخليجية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 15 يونيو (حزيران) 2021

في التأجيل السلامة

أجواء ما يحدث بالنسبة إلى موضوع "سد النهضة" من جانب بناء السد الذي لا تجيز تسميته أن يكون مشروع أزمة أو فتيل تقجير، سبق أن حدثت بعد الإقتراف الصدامي المتمثل بغزوة الكويت وكأنما هي ليست دولة عضواً في المؤسسات العربية والإقليمية والإسلامية والأممية، والتعامل مع هذه الدولة _ المعترف بها كدولة مستقلة والمسجل في زمن حجة الرئيس صدام حسين إلى الناجدين الداعمين في الحرب مع إيران وقفات مساندة نوعية له من جانب أميرها وبرلمانها وحكومتها وشعبها وشعرائها وصحافتها وتجارها _ على نحو ما كان يجري في الزمن الغابر الذي حفل بغزو قبيلة لقبيلة أخرى. ولا موجب هنا للوقائع ذلك أن شعراء ذلك الزمن أدرجوا في

كثير قصائدهم وقائع عن تلك الغزوات، أحياناً من أجل عيون الجميلات الكحيلات وأحياناً من أجل المراعي والينابيع والإبل والأغنام والجياد المستباحة أو المختطفة. منذ عشر سنين والحال المتوترة على ما هي عليه. بدأت أثيوبيا بناء سدّها وإعتبرها أسطع نجومية زعامة يتطلع إليها رئيس الحكومة أبي أحمد الطامح إلى إدراج إسمه في لائحة الزعامات الأفريقية التاريخية إلى جانب الإمبراطور هيللا سيلاسي أو الثاني بعده في القائمة يليه عبدالناصر المصري ونلسون منديلا الجنوب أفريقي. من حقه أن يحلم بهذا المجد. ومن حقه أن يقم إلى الشعب الأثيوبي والقارة السمراء أوراق الإعتماد التي تثبت تطلعاته. وكان السد إسماء ومنافع وعوائد تتجاوز بكثير السد المصري على سبيل المثال لا الحصر، هو ورقة الإعتماد الذهبية، وبالذات لأن السد من جهة العوائد سيدر ثروات على أثيوبيا من تسويق الكهرباء في كثير من دول القارة وفي زمن باتت هذه الكهرباء المطلوب الأهم للناس بعد لقمة العيش. أليس هذا ما يحدث على سبيل المثال لا الحصر في الدولتين الجارتين المتهاككتين التاهيتين لبنان وسوريا اللتين تعيشان الظلم والتظلم بإرادة من سلطتين ظالمتين في حق نفسيهما كما في حق شعبيهما.

كان المأمول إستباق وضع اللبنة الأولى في بناء السد التأمل بعمق في التداعيات على كل من السودان ومصر وليس حصر التفكير في أن صاحب النبع هو الذي يقرر وينفذ وليس الذي تعبر مياه النهر أرضه وذلك الذي منتهى النهر عنده، فضلاً عن أحقية إنشاء السد كما أحقية مصر في ذلك. لم يفعل المأمول فعله من جانبه لأنه كان أسير شغف المفاجأة ويتحسب للمباغته تأتيه للتو من الجار السوداني المتضرر والجار المصري الأكثر تضرراً في حال أكملت أثيوبيا ملء السد. والضرر هنا ليس من التداعيات التي يمكن علاجها، فضلاً عن أن ما كان جائزاً أو قابلاً للتحمل في مصر ذات العشرين مليوناً لا مجال لتحمله في مصر التي أكملت مئة المليون الأولى، ومن دون أن تنفع حملات التوعية في الأخذ ولو من باب عدم الرضى النفسي بالتجربة الصينية معدلة لجهة تحديد المواليد بإثنين في الحد الأدنى وأربعة في الحد الأقصى. وفي ذلك علاج لحالة إستعصى حلها وتزايدت مع كل عهد من جانب حكوماته الدعوة إلى درجة المناشدة من أجل إختصار نسبة النسل... ولا من

متجاوبين ومتجاوبات.

في جانب من التبريرات الأثيوبية أن مصر أقامت سد أسوان ومن دون إعتراض من أصحاب النيل فلماذا لا يجوز للأثيوبيين إقامة السد في أرضهم وملئه من مياه ينابيعه المتدفقة من أرضهم. هذا تبرير غير موضوعي، ذلك أن سد أسوان الذي هو أحد إنجازات عهد عبدالناصر إنحصر نفعه كما ضرره في الأرض المصرية فقط، كما أن مياه ملئه لم تكن على حساب حصة آخرين، السودان وأثيوبيا، وأما الضرر الذي نتج عنه فبقي في حدود مصر وأصاب مصريين أغرقت المياه أرضهم وتسبب الإغراق في تهجيرهم. وها نحن بعد ستة عقود من التهجير نرى ما يفيد بأن تعويضات ستعطى للذين تضرروا بيوتاً يكون التعويض أو مالا.

وليس منطقياً أن تتكاثر المساعي دولياً وعربياً وإقليمياً من أجل أن تتساوى نسبة عوائد أثيوبيا من السد بما يخفف نسبة الضرر الذي يلحق بمصر كثيراً وبالسودان أقل ضرراً في حال الإصرار على ملء المرحلة الحاسمة للسد بعد شهرين. لقد إفترضنا أن المسعى الذي قام به الرئيس الأميركي المتواري دونالد ترمب كان سيثمر من منطلق أن المسعى سياسي والساعي رئيس دولة دول العالم ولديها من المغريات ووسائل الضغط ما من شأنه إذا هي صممت وضغطت ترويض أكثر الأزمات تعقيداً. لكن السعي كان لغرض في نفس ترمب وإنتهى لا يحقق تسوية مأمولة عدا تلك الصورة التذكارية المتعالية طالباً ضمناً من أصحاب النيل أن يقتلعوا أشواك أزمتهم بأيديهم. ونقول ذلك من دون إغفال الجانب الإيجابي من مسعى ترمب حقه والمتمثل في أن مسعاه جعل الأطراف العربية والأفريقية تبذل من السعي لجمع قادة المثلث النيل على كلمة تقيهم وتقي شعوبهم شرور المواجهة وعندها لا تعود مياه نيلهم للإرواء ولإنتاج الكهرباء وإنما لإطفاء حرائق حرب يمكن إشتعالها ما دام الرئيس الأثيوبي على تصميمه في إكمال برنامج ملء "سد النهضة" مع بدء موسم الأمطار في شهر يوليو/ تموز 2021 لا يتجاوب مع أي مسعى توفيق، كما كانت حال الرئيس صدام حسين عندما كثرت التمنيات والنصح عليه بأن ينسحب من الكويت وبذلك لا تحرق النار الأصابع. ونتذكر كم سعى بعض القادة العرب لدى صدام وكان الساعيان الأكثر حذباً هما الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أوكل إلى السفير لدى واشنطن الأمير بندر أمر التوجه

تجارب رائدة برسم ذكرى

الأمير الغائب الحاضر

من محاسن الصدف أن طاولة مستديرة جمعتنا يوم الأول من يونيو/ حزيران نحن أربعة من المحاربين القدامى في صحيفة "النهار" التي طالما كانت شمسها ساطعة وتتجاوز حدود الوطن الصغير لبنان إلى الأوطان العربية الكبير منها والأكبر، أو الدول الشقيقة على نحو ما دأب اللسان العربي الرسمي على تسميتها ثم تعصف الأزمات والخلافات وتصل إلى حد إلحاق الأذى من جانب الشقيق بشقيقه، وتصبح كلمة الشقيق أو الشقيقة عصية على التلفظ.

لكل من المحاربين الأربعة إنجازاته على مدى حقبة نهارية من ثلاثة عقود ولكل منهم نياشينه وميدالياته المعنوية التي ليست من ذلك النوع الذي يزين الصدور، وإنما هي عبارة عن إطراءات متقطعة يسمعها بالصدفة من قراء أفادهم ما كتبه، أو من مسؤولين أخذوا في الاعتبار رؤى قلم صحافي عالج قضية وطنية عالقة لم يفتن المسؤول إلى ما فطن إليه الصحافي. والوقائع كثيرة في هذا الشأن طالما كان جنود صاحبة الجلالة السلطة الرابعة منتبهين لها ومنتبهين بالتالي بها.

بدأ المحاربون القدامى الأربعة الحديث عن شمس الدولة اللبنانية التي باتت قريبة من الغروب مثخنة بإذلال أولي الأمر السياسي والحزبي والقيادي لها والتمثيل بمهابتها وكذلك بكرامات الناس، والنقوا على أن المناخ الذي كانت عليه صحافة الخمسينات والستينات والسبعينات وبعض الثمانينات مثلت بالواجب الريادي الذي كانت تقوم به الجرس الدائم الرنين الذي ينبه أهل السلطة إلى إغواج إدارتهم للدولة وتعاطيهم السياسة الملتبسة أحياناً مع الدول العربية. بل من الجائر القول إن لبنان السلطة الرسمية وبكل رئاساته كان قوياً أيضاً بالسلطة غير الرسمية.. السلطة الرابعة. وبفضل هذه السلطة بدا لبنان الصغير كبيراً بالمفهوم المعنوي في عيون الأشقاء، وبات بالتالي الحرص عليه عفواً ولنا في نوعية تعامل كل من مصر والسعودية معه ما يوضح ذلك. فالرئيس جمال عبدالناصر أراد من لقاء الخيمة على الحدود اللبنانية - السورية بالرئيس فؤاد شهاب (جنرال موضع رضى الله والشعب اللبناني عليه) تثبيت مبدأ أن

إلى بغداد لإبلاغ الرئيس صدام والحصول منه على ما يريده الملك خيراً لصديقه وللعراق وهو التعهد بالإنسحاب من الكويت، ثم السفر في اليوم نفسه إلى واشنطن لإبلاغ الرئيس بوش الخبر اليقين وبذلك لا يعود هنالك موجب لحصول الذي حصل. لقد أدى الأمير الدبلوماسي المهمة على أفضل وجه وبدا كما لو أنه على بساط الريح، من واشنطن إلى بغداد.. إلى البيت الأبيض، لكن مع الأسف بقي صدام حسين ممسكاً بكرة النار معتبراً أنه إذا إنسحب سيفقد شأنه أمام الشعب العربي وسيقال عنه ما لا يجب سماعه وسينزل بطبيعة الحال من الدرجة الأعلى في سلم الحالة الشعبوية إلى السفح. هكذا كان يرى الأمور، ومن دون أن يتأمل في أي حال سيكون عليه العراق والشعب والمنطقة لأن عدم تجاوبه معناه الحرب. وهذا ما حدث. وهو رجل ظالماً ومظلوماً فيما تداعيات عدم الحكمة والحنكة والمرونة وضعت العراق والمنطقة على الأكف الإيرانية والتركية وبينهما قبل سبعين سنة وحتى إشعار آخر الأكف الإسرائيلية.

هذا العناد الصدامي نرى بعض ملامحه في العناد الأثيوبي. بقليل من التبصر والحكمة يسود التعقل. وفي تأجيل المرحلة الثانية السلامة فلا تحدث المواجهة التي لا مصر السيسي ولا سودان البرهان ورفاقه ولا شعوب أفريقيا وأولهم شعب أثيوبيا فرداً فرداً تريد هذه المواجهة. على مدى بضعة أسابيع مضت علا صوت التحديات وإختلطت المفردات العسكرية بالمفردات السياسية. وبين هذه وتلك مناورات وكأننا على موعد مع منازلة لا قدر الله حدوثها. وإذا كانت المساعي الأفريقية - العربية لم تجد تسوية حتى الآن فإن أفضل سبيل لجعل شهر يوليو الأفريقي - العربي ينقضي هادئاً وسالماً هو إقتناع وإقناع الرئيس الأثيوبي بتأجيل ملء السد بضعة أشهر أو حتى يوليو 2022. ولن يضير ذلك أبي أحمد. فالتأجيل في حسم الأمور من تقاليد العمل السياسي في العالم الثالث. وخلال أشهر التأجيل تتقدم الحكمة على التحدي ويأخذ أطراف أزمة سد النهضة بالقول الطيب خير الأمور الوسط. وبالتالي يتوارى طيف حالة تكون فيها الليلة الأحمدية أشبه بالبارحة الصدامية. والله الحكم والهادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 21 يونيو (حزيران) 2021

سيادة لبنان يجب ألا تُمس وأن العلاقة معه تكون تحت خط السيادة، أي بمعنى آخر إن عبدالناصر الذي كان زمناً في قمة شأنه الزعامية رئيساً لدولة الوحدة، لم يفعل ما فعله النظام السوري الأسدي الذي نقل لبنان من خانة الندية إلى خانة البلد الملحق كما غرفة العمال في الحديقة السورية المتزامية الأطراف. هذا قبل أن تنتهي سوريا رهنأ بأطراف مجترأة. وأما المملكة العربية السعودية فأرادت أن يكون لبنان صديقاً مؤتمناً وأمناً ودائماً الإزدهار يتفقده أولو الأمر في المملكة زواراً لتمتين العلاقة والصدقة وتثبيت الطمأنينة وليس إجتياحاً. وعندما تسوء الأحوال ويصل الوطن بعد توعك طارئ إلى حافة التبعثر فإنها وبكل نخوة مقرونة بواجبات مراعاة خاطر والكرامة إعتبرت الطائف توأم إحدى مدن لبنان فيلتي فيها الذين لا يجدون إلى التوافق سبيلاً في وطنهم. وبطبيعة الحال فإن المكان وأصحابه بما في نفوسهم من حرص على لبنان، جعل اليسر يتقدم على العسر وينتهي المستحيل إلى ممكن متجسداً بإتفاق يحتاج حالياً إلى مبادرة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان الذي تحتضن ذاكرته لبنان في سرائه وضرائه لإرواء إتفاق الطائف بتفسيرات وإجتهدات والتزامات، خصوصاً بعدما تزايد التعامل الكلامي في شأنه بمفردات غير وطنية بما فيه الكفاية.

حول هذا كله كان للمحاربين القدامى جولة أفق، وبدت الطاولة المستديرة وكأنما هي جلسة عمل، أو مجلس تحرير كذلك المجلس الذي كان يعقده غسان تويني في محرابه وسبق أن كان يعقده كامل مروة قبل أن تأخذ "النهار" المكان والمكانة برحيله إغتيالاً شلت أيادي الفاعلين والمحرضين والمهللين، ويخوض غسان تويني بـ "النهار" دوراً وصفت فيه بأنها صحيفة العالم العربي لدى اللبنانيين وصحيفتهم لدى الأشقاء العرب، ومارست بهذا الدور واجباً قومياً إلى جانب الواجب المهني. ولكي لا تكون متسابقاً وحيداً في الميدان، فإن نزول الصحافي المعارك والمعترك طلال سلمان إلى الحلبة من خلال صحيفة "السفير" صوت الذين لا صوت لهم شعاراً لها إلى جانب صوت ديك "النهار" الصادح، رسم في المشهد السياسي من النافذة الإعلامية حالة مشهوداً لها إتسمت بالرقى وعززت لا مذهبية السلطة الرابعة. فقد إتقى اليمين مع اليسار وبينهما الوسط ومن كل المذاهب والهويات العربية. إحتضنت الإشتان تكمل الواحدة الراسخة الجذور شقيقتها الحديثة الإطلالة ومن دون

هواجس المنافسة، قامات فكرية وسياسية وثقافية، وأنجبتا جيلاً واعداً من الصحافيين والكتاب لم يأخذ ما فيه الكفاية نصيبه لأن شرايين الإعلام الورقي بدأت تعيش حالة تعب إنتهى بإنزال هذا الإعلام من العالي إلى مرتبة الكفاف. وبقي دور الصحافة اللبنانية عموماً وبالذات العلامة الفارقة فيها المتمثلة بـ "النهار" و "السفير" مجرد تاريخ يأتي الحديث حوله في مناسبة كتلك التي جمعت المحاربين القدامى الأربعة حول طاولة مستديرة في مقهى كانت حاله من حال زمن العز الصحافي الذي عاشته الصحيفتان وباتت الحال من حال الزمن البائس الذي يكبل أحلام اللبنانيين المسكونين بدوام التطوير.

المحزن أن هذا التراث الصحافي اللبناني بما تمثله "النهار" الباقية بأمل إستعادة التألق الماضي، لم يؤرخ بحيث يتعرف الجيل الآتي والجيل الوارث عليه، أو "السفير" التي إعتبر ناشرها طلال سلمان أن إسدال الستارة طوعاً يبقى أفضل من المكابرة فأسدلها وأثر تمضية التأدية للعلی الصحافي من خلال موقع إلكتروني.. الموقع الذي تزايد إنتشاره وشكل ضغوطاً أوجبت الأخذ بصيغة ختامها إنهاء تجربة "السفير". ومن خلال الموقع الإلكتروني من مكتبه يكتب حول ما زال يؤمن به.

في ذلك اللقاء حول الطاولة المستديرة تحسّر المحاربون القدامى في "النهار" على أن "جنرالهم" الطيب الذكر رحل من دون أن يكتب تاريخ "النهار" وتجربتها الرائدة والإكتفاء بموجز عن هذه التجربة على نحو ما فعلت "الأهرام" و "روز يوسف" و "المصور" في مصر. ربما كان في صدد ذلك لولا المداهمة القاسية له من المرض.

وشمل التحسّر أن زميلهم "جنرال" صحيفة "السفير" لم، أو لا يفعل ذلك، مكتفياً بالتأمل في ما أنجز.

والقول إنه تحسّر على أساس أن كتابة التاريخ المسهب لتجربة كل من "النهار" و "السفير" ومعها كتابة تجربة "الحياة" الرائدة، هي عملياً تدوين جانب من تاريخ لبنان اللبناني ولبنان العربي.

من في إستطاعته تعويض ذلك؟

كان كل من المحاربين الأربعة يتمنى لو أن الظروف تسمح. لكن فرنسوا عقل على أهبة التسعين وفؤاد مطر في الثانية والثمانين وسمير عطاالله على الطريق نفسه. كل منا يعيش ظروفًا ومعاناة شخصية وإهتمامات كتابية وقلقاً مستديماً على الوطن. ثلاثتنا من الجيل الثاني في "النهار" فيما غسان شربل هو أحد نجوم قلائل من الجيل الثالث

دفعتم بهم تجربة "النهار" إلى مكانات متقدمة أكثرها إبهاراً ترؤس تحرير الخضراء.. صحيفة "الشرق الأوسط" التي لا ليتها بالطاقم الصحافي الرحب تعمل على كتابة تجربة الخضراء الرائدة كأول صحيفة عربية ودولية وهذا في حد ذاته ظاهرة جديدة بالنسبة إلى الإعلام العربي فضلاً عن أنها تجسد إعلامياً وحدة عربية مستقرة. كما لا ليتها تشمل في الكتابة تجربة الصحافة اللبنانية من خلال النموذجين: "النهار" والسفير" كظاهرتين لافتتين.

وأختم بأنه في يوم الإثنين 22 يوليو/ تموز تصادف الذكرى الثامنة عشرة لرحيل رمز سَجَلِ إضاءات في سماء الإعلام العربي وكان رحمة الله عليه كما كنا نسمعه في لقاءات متيسرة معه مسكوناً بإعداد جيل صحافي يضفي إلى ما أنجزته أجيال عربية إعلامية وبحثية النهج التطبيقي ورفد المهنة بمهارات تتجاوز ما هو مألوف وتقليدي. ولطالما كان يقول عند اللقاء به بصحبة زميلنا الرائد الإلكتروني عثمان العمير ما معناه إن كتابة تاريخ الصحافة العربية واجب ملقى على جيل بعد جيل.

في استمرار نفقده الأمير أحمد الذي عوّضنا الأمير فيصل رؤى تطويرية سرعان ما احتاجت إليها الخطوات النهضةوية يتوالى إنجازها منذ أن كان تعيينه أميراً للمدينة المنورة مستلهاً في خطواته تلك نهج والده خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان أيام كان أميراً للرياض.

ويبقى القول إن هذه السطور التي حبرتها في شأن ظواهر صحافية تحتاج إلى توثيق هي برسم ذكرى الأمير الغائب الحاضر أحمد بن سلمان الذي أذكره بالخير.. كما كل من عرفه.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأحد 20 يونيو (حزيران) 2021

فلسطين الشاردة بين عباسيها

بات لفلسطين عباسان.. عباسها محمود الذي يترأس سلطتها المأمول تحوّلها إلى دولة، ويتخذ من رام الله مقراً لرئاسته التي أتعب خدها الأيمن اللطم من جانب الممسكين بزمام الأمور في غزة، وكدّم خدها الأيسر الرهان الحمساوي والجهادي (بمرجعيتها الإيرانية) على

إنتراع الريادة فالسلطة، وعبّاسها منصور الذي سجل مفاجأة لم تكن في الحسبان وهي أن "الحركة الإسلامية" التي يترأسها ساهمت في إسقاط نتتهاو. وعندما يصبح لهذه الحركة موقع في الحكومة إختير له منصور عبّاس ليكون نائب وزير في مكتب رئيس الحكومة ويتخصص في شؤون العرب، فهذا معناه أن ملفات عرب 1948 بما تحويه من وثائق الولادات والممتلكات والإنتهابات لن تبقى حصراً في عهدة الإسرائيلي الذي تلاعب بما في الكفافية في هذه الملفات في غفلة عين فلسطينية مسؤولة، ثم يحل منصور عبّاس في المنصب الحساس الذي أسند إليه وبذلك يكون الشاهد على حقائق مخفية، وبالذات بالنسبة لألوف العقارات التي جرى الإستيلاء عليها وباتت ليهود الشتات والسلطات الإسرائيلية. ولقد أن الأوان للسعي بغية تصحيح الأمور وعودة الحقوق إلى أصحابها.

ما نريد قوله هو أن توطيد العلاقة من جانب عبّاس السلطة الوطنية مع عبّاس المشارك في الحكومة الإسرائيلية الحديثة الولادة القيصرية، كفيل بتحقيق فوائد مرجوة. والذي يسهّل حدوث هذا التوطيد أن قنوات الإتصال والتنسيق في بعض المسائل قائمة بين السلطة والحكومة الإسرائيلية وليست بمثل الجفوة التي هي عليها العلاقة بين السلطة الوطنية وحركة "حماس". فهذه الأخيرة تعتبر نفسها مشروع دولة منقلبة على السلطة الوطنية فيما تطلعات "الحركة الإسلامية" التي يمثّلها منصور عبّاس هي الإهتمام بالفلسطينيين الذين صمدوا وتنازلوا ودرسوا في مدارس وجامعات إسرائيلية وهو واحد من هؤلاء. ومعنى ذلك أن ما يمثّله عبّاس "الحركة الإسلامية" يختلف من حيث المشروع السياسي وبما يرتاح إلى ذلك عبّاس السلطة الوطنية، خصوصاً أن من شأن التنسيق بينهما إحاطة السلطة الوطنية الفلسطينية بما لا تدريه عن أحوال فلسطيني الداخل.

إلى ذلك إن عبّاس الآخر منصور طبيب الأسنان القريب من فلسطيني أجيال ما بعد 1948 سجّل بما إختاره كشريك في عملية إنتخابية بالغة الأهمية من حيث التحدي، إمكانية نمو "لوبي" عربي شبيه بـ "اللوبي" اليهودي في أكثر من ولاية أميركية وإستطاع مع الصمود وكثرة التجارب أن يتحول إلى ورقة فاعلة في إختيار هذا الحاكم أو النائب أو عضو مجلس الشيوخ في الدولة الأعظم. ومع الوقت من المتيسر في حال لقي منصور عبّاس عدم الحذر منه بل وتشجيعه أن يؤسس داخل دولة إسرائيل لمثل ذلك "اللوبي" الذي نشير إليه ويحقق بالتالي خطوات على طريق الإقرار بقيام دولة فلسطين

عاصمتها القدس الشرقية وهذا أقدس الحقوق التي لا تطبيع حولها وإن طال الزمن. وعندما يقول نفتالي بينيت المقتدر مالياً مما أفاده في خطف الرئاسة بصوت واحد (في عملية مشابهة كتلك التي خطف فيها سليمان فرنجية (الجد) الرئاسة من الياس سركريس بصوت في إنتخابات جرت يوم 17 أغسطس/ آب 1970) إنه يتعهد بفتح صفحة جديدة مع فلسطيني 1948، فإن تحويل القول إلى فعل وبتعاون صادق ومُساند من جانب أميركا بايدن، لا يعود مستعصياً. فالرجل على ما يبدو ليس محبداً صيغة جنوب أفريقيا ويرى إستباق إقتحام نلسون مانديلا فلسطيني الساحة ذات يوم.

والى ذلك إن عباس الشريك في الحكومة الإسرائيلية المأمول منها فهماً وتواضعاً في التعامل مع العرب عموماً والشعب الفلسطيني شريك العيش اليومي على أرض واحدة، سيشجع بخطواته التي خطاها آخرين خصوصاً أنه لم يحقق مكسب التطوير بفعل صواريخ أطلقها أو هدد بإطلاقها وإنما بفعل حراك شعبي وخدمات أداها للناس وعدم حذر تجاهه من جانب قطبي الحكومة الجديدة التي أرست التناوب صيغة إستقرار للحكم جديدة من نوعها، وربما تصلح نموذجاً لمن يواجهون عسراً وتعقيداً في تشكيل الحكومة على نحو ما هو حاصل في لبنان، حيث هنالك تشابه جزئي لجهة الأحزاب والقوى والإرادة المخطوفة بين الحاصل في لبنان ويُستعصى حله وبين الذي كان حاصلًا في إسرائيل وأمكن فك طلاسمه وبحيث بات التوافق يستوجب تقاسم رئاسة الحكومة. وما نغنيه بالصيغة الحكومية الجديدة، حكومة التناوب بحيث يرتضي الحليفان الصيغة بكامل الرضى، يضاف إلى ذلك أنها تقطع الطريق على البقاء الطويل وإلى درجة أن ترؤس الحكومة يتحول إلى مستوطنة على نحو ما حصل مع نتتياهو الذي من طول بقائه رئيساً للحكومة لم يعد يتحمل فقدان المنصب بعد خمس عشرة سنة قضاها مترئساً وأن صحوة سياسية حدثت وقضت بأن يشارك طرفان الحكومة ويشرّعان أبواب النوايا غير الشريرة أمام طيف عربي شاءت الظروف أن يكون في الوقت نفسه من التيار الإسلامي. ونشير هنا إلى أن ترمبية نتتياهو أخذت مداها لجهة رفض حالة فقدان المنصب، وهذا ظهر من خلال عدم تسليم نتتياهو المكتب الرئاسي بما فيه من أوراق فضلاً عن عدم التهنية. وإذا صح ما قيل إنه أُلّف أوراقاً من الواجب أن يحتفظ بها المغادر ويسلمها للآتي من بعده، فهذا يعني أن نتتياهو على موعد مع مساءلة

جديدة تضاف إلى ملف كامل من المساءلات التي قد تنتهي كما الذي أصاب أولمرت من قبل.

لقد طُويت صفحة نتتياهو على نحو طي صفحة الرئيس دونالد ترمب وإن كانت شرهة الإثتين المتحابين للسلطة وعوائدها ما زالت حاضرة في مخطط عودة كل منهما إلى كرسي الرئاسة. وبطي هاتين الصفحتين تتراجع بعض الشيء التعقيدات في ما يخص الموضوع الفلسطيني العاثر الحظ وهذا هو المأمول من رئاسة بايدن ومن رئاسة التناوب في إسرائيل، وتخفي تبعاً لذلك ظاهرة التعالي في كل من التوأم الجديد من نوعه ترمب _ نتتياهو وإتخاذ القرارات المنقوصة الحكمة. وعندما لم يوجه الرئيس بايدن الدعوة إثر فوزه إلى نتتياهو لزيارة واشنطن بينما سارع إلى إحضار بينيت عندما إتصل به على الفور بعد أداء اليمين (الأحد 13 يونيو/ حزيران 2021) فهذه كانت إشارة إلى ذوي الألباب الإسرائيليين كما العرب بأنه يتمنى ضمناً إنصراف نتتياهو وعلى نحو إنصراف عهد خلفه من قبل، أو توأمه الأميركي دونالد ترمب. ومثل هذه المشاعر يمكن قراءتها بين سطور كلام قاله مايك بومبيو وزير خارجية السنوات المؤدية للعرب من جانب الحقبة الترمبية. فهو في خطوة تملق سبقت حسم مصير نتتياهو تصرّف هو الآخر على أساس أن بنيامينهم لا بد سيبقى في موقعه رئيساً للحكومة الإسرائيلية وأن بقاءه سيشكل عنصر إقلاق لإدارة الرئيس بايدن الأمر الذي يساعد في جانب من ذلك ترمب الذي لم يقطع الأمل في خوض معركة الرئاسة بعد أربع سنوات أو أقل لدواع ليست في الحسبان. أما الذي قاله بومبيو ولصحيفة "يديعوت أحرونوت" بالذات لتعميم الكلام على يهود إسرائيل (الخميس 10 يونيو 2021) أي قبل ثلاثة أيام من التصويت على إسقاط عهد نتتياهو، فكان الآتي: "خلال الحرب الأخيرة على قطاع غزة لم يكن موقف بايدن صارماً ومطلقاً. إن إدارة الرئيس ترمب كانت ستفعل بشكل مختلف. كنا سنوضح فوراً دعمنا لإسرائيل من دون تحفّظ". كلام لمصلحة إسرائيل نتتياهو وليس لإسرائيل ذات رئاسة التناوب التي هنالك بعض التفاوض في ضوء إشراك منصور عباس الإسلامي وإثتين معه فيها، في أن تسجل إدارة بايدن خطوة تصحيح لما خطاه ترمب وكان مخطئاً في حق مصائر أرادها الله للشعب وفي حق أرض لا يملك سلطة التعامل معها وكأنما هي بضاعة في سوق المقايضات الدولية. وإلتخاذ المأمول لخطوة التصحيح

تلك يحتاج إلى تعاون عبّاس رام الله مع عبّاس فلسطين 1948، ودعوة الإثنيتين فلسطين التائهة الشاردة في غزة إلى الصراط المستقيم. وبذلك تكون الخطوة المتكاملة بمثابة التجربة الأكثر جدوى من سائر تجارب مضت في مسيرة النضال الفلسطيني. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 27 يونيو (حزيران) 2021

من "الخلا" إلى بغداد.. الطمأنينة تتسع

عند التأمل في هذا الجمع العربي المهيّب في بغداد يوم الأحد 27 يونيو/ حزيران 2021 والمتمثل بإنعقاد ثالث لأهل الحُكم المصري والعراقي والأردني في بغداد بعد الأول في القاهرة الأحد 25 مارس/ آذار 2019 والثاني في عمان 25 أغسطس/ آب 2020، فإن شعوراً من الطمأنينة في النفس العربية يبدد بعض الشيء هموم وإهتمامات مائية وفلسطينية وليبية تعيشها مصر التي من عاصمتها بدأت صيغة دورية هذا اللقاء وعلى نحو ما باتت عليه دورية إنعقاد القمم العربية، يجعلنا نستحضر قمة إغلاق كوة الخلافات وما نتج عنها من قطع العلاقات وتبادل كلمات أشبه باللكمات أحدثت جراحاً معنوية في النفس، وفتّحت بوابة اللقاءات الأخوية وبأرحب ما تكون عليه هذه الخطوة. ونعني بذلك "قمة الخلا" يوم الثلاثاء 5 يناير/ كانون الثاني 2021 التي جاءت تقوي العزيمة وتجعل مساحة الطمأنينة تتسع بفعل النصح الرسولي "يسرّوا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا" المغلف بالحكمة من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ورعاية الرؤية الإستراتيجية لولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي في ضوء ما أحدثته التباعد من تأثيرات كان التلاقي هو العلاج. وهكذا فإنه بعدما كانت الخيارات التي إنتجت التباعد صدمة فإن الذي أظهرته الفضائيات العربية يوم إستقبال الأمير محمد بلفتة عناق أخوية تبادلها مع أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني لمجرد نزوله من الطائرة بددت مشاعر ضيق إستقرت لبضعة أشهر في النفوس الخليجية.

وتلك القمة لم تبدد فقط الإنطباع بأن أزمة التباعد إلى مزيد من التعقيد في ضوء ما تحويه مفردات التصريحات،

وبإنعقادها إستعادت العلاقات صفاءها، وإنما كانت بمثابة وصفة لعلاج ما هو عالق في فضاء السياسة العربية من إرتباكات في العلاقات وصل بعضها إلى درجة القطيعة. ثم نجد العلاقة المصرية _ القطرية تستعيد صفاءها، ونجد أهل الحُكم التركي يعيدون بالتدرج النظر في الإشتباك السياسي والإعلامي مع مصر، ونجد الدبلوماسية العربية ومن دون أي تثاقل أو تحفّظ تتخذ وقفات مدعاة للتقدير إلى جانب السعودية التي يواجه النظام الإيراني بالطائرات المسيّرة ومن خلال حوثييه مشروعاتها التتموي، وإلى جانب مصر والسودان في سعيهما لإحقاق صيغة حل توافقي بالنسبة إلى موضوع سد النهضة بحيث لا يتواصل التشبث الأثيوبي إلى درجة لا يعود أمام كل من الرئيس عبدالفتاح السيسي وعبدالفتاح البرهان وبما لمصادفة وحدة الإسم الأول لكليهما من صدّ طيب في نفوس شعبيهما، سوى إتخاذ الخطوة الرادعة التي طالما كثر التلويح بها من خلال تصريحات قيلت ومناورات متعددة الأسلحة حدثت وإتفاقيات ثنائية عسكرية أبرمت. يا ليت الجار الأثيوبي وقد تحقق للرئيس أبي أحمد الفوز الذي كان يتوخاه مبهراً وجاء على نحو فوز الرئيس الإيراني الجديد باهتاً بعض الشيء والمنكسر من جديد في أزمة إقليمه الخارج على طوعه، لا يستهين بالوقفة العربية النوعية التي إتخذها وزراء خارجية الدول العربية تدعياً للموقف المصري _ السوداني الذي يروم الحل المنصف الذي يبقى وليس فرض الأمر الواقع الأثيوبي الذي هو أشبه بلغم يُزرع في طريق العلاقات التاريخية ويتسبب إنفجاره بكارثة تبقى تتفاعل طويلاً.

قد يقال لماذا إقتصار لقاء بغداد على ثلاثة رؤساء ولماذا لا يكون أرحب. تسأول في محله. لكن العبرة في ما أوجت به القمة المصرية _ العراقية _ الأردنية وفي ما إنتهت إليه وليس في أنها لم تكن أكثر شمولاً. وهنا يجاز القول إن القادة الثلاثة الذين إلتقوا ليسوا بما يمثّلون دولهم وحكوماتهم فقط، وإنما وحيث أن علاقة كل منهم بسائر القادة العرب في أعلى درجات التعاون والتفاهم، فإنهم بذلك كمن عبّروا في جلسة التشاور في ما بينهم ثم في ما صدر عن لقائهم من بيان وتصريحات، عن بقية إخوانهم القادة. هذا إلى البعد الذي من الجائز الإفتراض أنه أريد من هذا الاجتماع وفي بغداد بالذات. فبعد فوز مدعاة للتساؤل للأكثر تشدداً في انتخابات الرئاسة الإيرانية نشأت الخشية من أن يستتبع ترئيس الأكثر تشدداً تفعيل

شهيداً في عملية إغتيال له وفي وضح النهار، إلا أن مشاعر مصر بقيت في إنتظار من يوقد شعلتها. وجاءت زيارة الرئيس السيسي في سياق القمة الثلاثية الدورية تعبيراً مضافاً عن مشاعر عميقة تعود إلى بضعة عقود. والله المعين والهادي.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 30 يونيو (حزيران) 2021

الكرملين شاغل بال السودان بعد مصر

كان الرئيس جمال عبد الناصر وبعدما كان حسم الأمر حول من هو الرجل الأول في ثورة 23 يوليو، واضعاً الرئيس الأول لمصر الجمهورية اللواء محمد نجيب في إقامة جبرية قاسية دامت طوال سنوات الحقبة الناصرية إلى أن أعاد العهد الساداتي ثم عهد الرئيس حسني مبارك الإعتبار المعنوي إليه، يتطلع إلى علاقة طيبة مع الولايات المتحدة وبحيث تبدأ الإدارة الأميركية بتسليح الجيش المصري الذي كان زمنذاك يفقد إلى أنواع متقدمة من السلاح. وفي حينه كان عبدالناصر صاحب رؤية وطنية مصرية، أي ما معناه إن القضية الفلسطينية والعروبة ومشاريع الوحدة، هذه عموماً على هامش رؤيته تلك... إلى حين.

وحيث أنه لا بد من الإستحواذ على إلتفاف السبعة عشر مليوناً الذين هم عدد سكان مصر زمنذاك حول الثورة، فإنه بدأ يُكثر من الكلام في شأن المشاريع والتصنيع والإصلاح الزراعي بعدما كان ألهب المشاعر بعبارات كانت بمثابة المؤشر لاحقاً إلى قرار تأميم قناة السويس.

ما إرتأه عبدالناصر لبناء علاقة مع الولايات المتحدة يحقق من خلالها الحصول على أنواع من السلاح هو طرح فكرة تمويل أميركي لبعض المشاريع، بل حتى المشاركة في تمويل السد العالي في أسوان وكان مجرد بند في لائحة مشاريع وخطوات يتطلع عبدالناصر إلى تحقيقها.

حتى الآن عبدالناصر لا يتحدث في الإشتراكية التي كان مجرد ذكرها على لسان حاكم تزعج أميركا وتعتبر أن من ينطق إشتراكية يؤسس العداوة مع أميركا ويكون بالتالي جرماً في الكوكب الماركسي السوفياتي - الصيني، أو على مقربة منه.

مرحلة جديدة في المشروع الإيراني تستهدف تطويق السعي الدؤوب من جانب المثلث الرئاسي العراقي (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ورئاسة البرلمان) لتخفيف أثقال التدخل الإيراني في العراق وتوسيع مساحة السعي لإزالة ندوب في الكيان السياسي وبحيث يستعيد العراق حضوره العربي ويتبدد بالتالي الإنطباع السائد عنه بأنه الحديقة الخلفية للجار الإيراني، وأنه برسم تحويله إلى ما يشبه الصيغة اليمنية الراهنة بمعنى أن تمارس الميليشيات الإيرانية الهوى وهي كثيرة في العراق دوراً ضد السعودية كتلك "المهمة الجهادية" التي تقوم بها الميليشيات الحوثية. ومثل هذا التطلع لا يمكن تبديده إلا بإعلاء شأن سيادة العراق واستعادة صفاء عرويته وهذا ما يتجسد في المشروع العراقي الذي سجل خطوات على هذا الطريق. ولنا في هذا الشأن زيارات نوعية ولقاءات مفعمة بالثقة قام بها رئيس الحكومة العراقية مصطفى الكاظمي كان أبرزها تلك التي قام بها إلى الرياض ولقي منها إستقبلاً رئاسياً بإمتياز لم ينله من قبل رئيس عراقي. كما لنا في عبارة لافتة قالها في سياق مقابلة معه أجراها زميلنا رئيس تحرير "الشرق الأوسط" غسان شربل ونشرت في عدد الإثنين أول مارس/ آذار 2021. وفي هذه المقابلة قال ما يمكن إعتباره حيثية في مضامين الهدف من إنعقاد الاجتماع الثلاثي المصري - العراقي - الأردني في بغداد يوم الأحد 27 يونيو. فهو قبل ثلاثة أشهر من هذا الاجتماع ولمناسبة زيارة بالغة الأهمية إلى الرياض قام بها وعقد مع الأمير محمد بن سلمان وليّ العهد محادثات لعلها الأهم في مسيرة العمل العربي قال رداً على بضعة أسئلة "إن الدولة العراقية تحاول اليوم إستعادة توازنها وتحقق نجاحاً على صعيد فرض هذا التوازن...".

وهكذا فإن الجمع العربي الثلاثي المهيّب في بغداد كان خطوة متقدمة على طريق تلك الإستعادة للتوازن. كما أنها ربما تبشر خيراً من خلال ما جرى طرحه من أفكار، بأن تستعيد سوريا توازنها وفي وقت ليس بعيداً. وفي ظل هاتين الإستعادتين يبدأ لبنان السير على طريق السلامة كما يسلك الجمع الفلسطيني بكل أطرافه طريق الهداية.

ويبقى التذكير بأن للزيارة الأولى يقوم بها الرئيس السيسي إلى بغداد أهمية مضافة لها رد فعلها الطيب في نفوس العراقيين الذين ما زالت حاضرة في الذاكرة أن مصر كانت الدولة العربية الأولى التي بادرت إلى إرسال سفير إلى العراق المثخن بجراح الحرب عليه وإحترابات الذين أتت بهم تلك الحرب يمسون بمقاليد السلطات. ورغم أن ذلك السفير قضى

لم تكن الإدارة الأميركية عند حُسْن ظن وتطلعات عبد الناصر إلى التعاون معها. لم يوظف وزير الخارجية جون فوستر دالاس الفرصة ولم يكسب عبدالناصر الرهان. وهنا يبدأ في تاريخ المنطقة العربية دخول الإتحاد السوفياتي مدعواً وليس غازياً إلى مصر وتبدأ حقبة رسمت خرائط وفواجع وصدمات شخصية ووطنية. فقد وضع عبدالناصر الأوراق بما حوته من رغبات ومطالب تسليحية وإقتصادية بين أيدي الكرملين الخروتنشوفي الذي لبي بطريقة غير مباشرة مطالب التسليح فلم يقدمه مباشرة كي لا يجن جنون أميركا وإنما أوكل الأمر إلى تشيكوسلوفايا، وكأنما لا يلغي ذلك أن السلاح لديها هو من الإتحاد السوفياتي. ولبي وعلى الملأ الدولي من القطب إلى القطب الطلبات ذات الطابع الإقتصادي والصناعي.. إنما بقطرات. وهكذا باتت مصر في الفضاء السوفياتي وبات النهج السياسي المصري في بعض ملامحه من جانب آخر شريئاً سوفياتي الهوى في قلب العالم العربي من خلال كبرى دوله.

من المستفيد في هذه الصفقة الإضطرابية؟ إذا قسنا الأمور بخواتيمها فإن الطرفين خرجا من سوق الرهان مثنخي الخيبات. عندما إحتاجت مصر إلى وقفة سوفياتية معها بمثل وقفة أميركا مع إسرائيل فإن الكرملين البريجنفي لم يلب ولم يعتذر وإكتفى بالإكثار من التطمينات المرفقة بمساعدة خجولة إندرجت تحت بند المساعدة في إزالة آثار العدوان. ولمجرد أن قرأت الترويكيا بكثير من التعمق ما حواه تقرير الطبيب السوفياتي عن صحة عبدالناصر فإن القرار الذي إتخذ ضمناً هو أن الرئيس المصري على مقربة من نقطة الرحيل ولذا لا بد من الإستعداد لمرحلة ما بعد الرئيس الصديق الذي على رغم مكابدة السوفيات بالإتجاه الذي سلكه ويتمثل بما سمي "حركة عدم الإنحياز" يساوي مفهوم الحياد عند قادتها التاريخيين نهرو. عبدالناصر. تيتو بين أميركا والإتحاد السوفياتي وهذا في نظر الكرملين حُكم ظالم، فإنه حقق للإتحاد السوفياتي حضوراً إستراتيجياً بالغ الأهمية براً وبحراً وجواً، فقد بات الأسطول الحربي السوفياتي ضيفاً مستحباً رسوه من جانب مصر في مياه كل من البحر الأحمر والبحر المتوسط؟

برحيل عبدالناصر وضع الكرملين على الطاولة الملف الوقائي ليس للعلاقة مع مصر فقط وإنما للوجود الإستراتيجي البالغ الأهمية له في العالم العربي. جاء اليكسي كوسيجين ثاني الترويكيا يعزي بإسم الأول بريجنيف الذي لم يزر مصر على نحو ما فعل خروشوف ووقف

متباهياً في أسوان يقطع مع عبدالناصر شريط المرحلة المتقدمة من إنشاء "الهرم المائي" أي السد العالي. إكتفى بتقديم العزاء وغادر بدهشة غير مألوفة في التشييع الملايين لعبدالناصر، إذ كان تشييع بطل كأنما إنتصر في الحرب وفي خيارات ثماني عشرة سنة عاصفة، وليس من هو رمز فاجعة عربية (حرب أكتوبر 1967) إرتبك الأمر في تصنيفها هل هي هزيمة أم نكسة.

لمجرد أن إستقر أمر التوريث على أنور السادات بحكم أنه كان نائب الرئيس عبدالناصر، أو بحكم إعتبارات وإيحاءات من صانعي القرارات الدولية المصرية، سارع الكرملين إلى إفاد ثالثه بودغورني ومعه نص مكتمل الصياغة لمعاهدة تتضمن في نظر واضعيها ديمومة مستقرة للعلاقة المصرية بكل أغصان شجرة الوجود السوفياتي في مصر سياسياً وعسكرياً وخبراً وتمثيلاً دبلوماسياً بالدرجة الرفيعة المقام حزبياً وأمنياً المتبعة بين الكرملين وعواصم النهج الماركسي في دول أوروبا الشرقية. الالفت للإنتباه أن المعاهدة خلت من أخذ ورد حولها.

وضع الرئيس السادات توقيعته يوم 27 مايو/ أيار 1974 ومن دون أي تأفف أو طلب تعديل. ولم ينعكس أي ضيق على قسماات وجهه. هكذا أظهرت اللقطات المصورة. لم يفعل الرئيس السادات ذلك مضطراً ومحتسباً أنفاس الإعتراض أو التحفظ. أثبتت التطورات لاحقاً أنه وقّع المعاهدة بقلم إلغائها لاحقاً وعلى وجه السرعة. ولقد فعل.

مناسبة هذا الإستحضار أن الحكم السوداني يعيش منذ بعض الوقت إنشغال بال في شأن حالة مع كرملين بوتين قريبة الشبه بحالة الحُكم الساداتي مع كرملين بريجنيف. هل سيقنّس أهل الحُكم السوداني روحية الأسلوب الساداتي ويهدأ البال تبعاً لذلك. للحديث والإجابة بقية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 19 يوليو (تموز) 2021

فؤاد مطر في قراءة غير تقليدية

لمذكرات الراحلة جيهان السادات

عرّاف قال لجيهان: ستصبحين سيدة مصر الأولى.
بسبب مضايقات محمد نجيب قرر السادات أن يهاجر

إلى لبنان • شاهدت جيهان في الحلم نميري والقذافي
بيكيان وفي اليوم التالي مات عبد الناصر • معركة
السادات مع الوزراء الناصريين شاهدها جيهان
مسبقاً في الحلم... إنطباعات عن الحرب وعن معمر
وصفية وعلياء الحسين وفرح ديبا • عندما أدركت
جيهان بعد زيارة القدس أن زوجها سيقتل • إنذار من
القذافي نقلته منى عبد الناصر إلى جيهان • السادات
عرّض على الشاه الإقامة في قصر القبة... مقر عبد
الناصر • أيام النهاية كما تصفها جيهان السادات

في العام 1987 أصدرت السيدة جيهان زوجة الرئيس
أنور السادات مذكراتها التي نُشرت باللغتين الإنكليزية _
والفرنسية إلى جانب العربية. كانت السيدة جيهان عفوية
وصادقة وكان واضحاً أنها شريكة فاعلة في الحقبة
القصيرة نسبياً (قياساً بالحقبة الطويلة للرئيس عبدالناصر
والأكثر طولاً للرئيس حسني مبارك) التي شغلها زوجها
الرئيس وكانت أصعب سنوات في المسيرة السياسية
المصرية.

بعد صدور المذكرات تلك قام الزميل الكاتب فؤاد مطر
المتابع والمعايش السنوات المهمة والعاصفة في الحقبة
الناصرية الساداتية كصحافي وككاتب وألف أكثر من
كتاب حول تلك الحقبة، بقراءة غير تقليدية للمذكرات.
وكانت تلك القراءة جزءاً من مادة أحد مؤلفاته المعنون
"تحت ظلال الذكريات. تأملات في تجارب الحُكم
والسياسة والدبلوماسية والإستشهاد وتوريث الزعامة" بتقديم
من الكاتب عبدالرحمن الراشد.

في الآتي قراءة فؤاد مطر لفصول إختارها من مذكرات
جيهان السادات التي حفّز صدورها، السيدة تحية أرملة
الرئيس عبدالناصر على أن يُنشر لها مذكرات بعيدة عن
السياسة وبعنوان "ذكريات معه". رحمة الله على الجميع
الذين إنلقوا في رحاب رب العالمين.

عرّاف قال لجيهان:

ستصبحين سيدة مصر الأولى

قبل أن يتم إغتيال زوجها الرئيس أنور السادات وهو
يحتفل يوم السادس من أكتوبر 1981 بذكرى إنتصار
نسبي حققه على إسرائيل في اليوم نفسه من العام 1973،
كانت السيدة جيهان السادات واحدة من بضع سيدات في
دائرة الحُكم تمارس السُلطة بمزيج من ممارسة السيدة
انديرا غاندي في الهند وممارسة السيدة مارغريت ثاتشر
في بريطانيا. وحدث ذلك من دون أن تكون صاحبة

منصب رسمي عدا السيدة الأولى في مصر .
ولقد مارست جيهان دور السيدة الأولى فجعلته إلى
حد ما سُلطة وهو ما لم تفعله على الإطلاق السيدة تحية
زوجة الرئيس جمال عبد الناصر التي إستمرت طوال
حياة زوجها كرئيس، راضية بالبقاء في دائرة الظل بعيدة
عن أي دور رافضة أن تكون لها أي سُلطة عدا سُلطة
«ست البيت» تمارسها مع أبنائها الثلاثة خالد وعبد
الحكيم وعبد الحميد ومع إبنتيها هدى ومنى.

وبقدر ما أن تحية عبد الناصر بالغت في الإنزواء
والإبتعاد عن مواقع السُلطة وممارستها فإن جيهان
السادات بالغت في أن تكون دائماً تحت أضواء السُلطة
ولها كلمتها ودورها في أمور كثيرة بل وفي بعض
القرارات، وأهمها على الإطلاق تشجيعها لزوجها الرئيس
على أن يخوض غمار معركة السلام إلى النهاية ويزور
القدس ثم يبرم إتفاقية كامب ديفيد.

وقد يكون حرص تحية عبد الناصر على الإنزواء هو
تربيتها وانتسابها إلى عائلة محافظة لا يشجع الوالدان فيها
بناتهما على أن يكون لهن دور في الحياة العامة وأن
يتركن ذلك للأزواج أياً كان الموقع الذي يشغله الزوج.
كذلك قد يكون نزوع جيهان نحو دور السادات السُلطة
والأضواء هو أيضاً تربيتها وانتسابها إلى عائلة متحررة
حيث الأب صفوت رؤوف وهو مصري من الصعيد عاش
بضع سنوات في مدينة شفياد (بريطانيا) درس خلالها
الطب وحيث الأم غلاديس كوتريل البريطانية ومدرّسة
الموسيقى التي تزوجت صفوت بعدما جمعتما قصة
حب. وعندما تكون الأم أجنبية فإنها تشجع الابنة على
أن تكون مثلها، أي بمعنى آخر إن جيهان نشأت في ظل
تربية تعتبر المرأة شريكة مساوية للرجل ويجب أن يكون
لها شأن في الحياة، وإذا أُتيح لها أن تكون صاحبة دور
فيجب ألا تتردد.

وإلى ذلك إن جيهان السادات كما روت بعد ذلك في
مذكراتها (نُشرت بالإنكليزية والفرنسية والعربية عام 1987
بعد ستة أعوام على إغتيال زوجها) إستمرت حتى بلغت
الحادية عشرة من عمرها وإزدادت شقرة شعرها لمعاناً
تعرّف أن إسمها هو جين الذي تتناوب به والدتها. ثم
عندما تسلمت الشهادة الابتدائية رأت على الشهادة إسم
جيهان. وفي البيت أوضحت لها أمها «إن إسمك في
المدرسة هو جيهان أما في العائلة فإن إسمك هو جين».
وتضيف في معرض الحديث عن شَعرها الأشقر فتقول

إنها لم تكتسبه فقط من أمها الإنكليزية وإنما من والدها الذي كان أزرق العينين. أما مسألة الدين وكيف تقبلت عائلة والدها المسلم زواجه من أجنبية مسيحية فتتحدث عنها في مذكراتها على النحو الآتي: «لا شك أن أمي كانت جريئة حين تركت بلدها انكلترا لتأتي لتعيش في مصر، ولا شك في أن والدي أيضاً كان شجاعاً ليتزوج من أجنبية. إن مثل هذا الزواج ليس منافياً لديننا الإسلامي لأن أبناء الرجل المسلم يظلون مسلمين، وإنما يحرم فقط على المرأة المسلمة أن تتزوج رجلاً من دين آخر لأن أولادها سيحملون دين أبيهم، ومع ذلك إعترض أجدادي على هذا الزواج ولم يكن ذلك بسبب الدين ولكن بسبب تقاليد العائلة».

أما عن ظروف زواجها من أنور السادات فتروي أنها إنبهت بما كانت تنشره الصحف عنه وعن مقاومته للإحتلال البريطاني ثم عن إعتقاله ومحاكمته إلى أن شاءت الأقدار أن يأتي أنور السادات بصحبة حسن عزت زوج ابنة عمه جيهان ليختبئ في منزل حسن. وللمرة الأولى ترى الصبية جيهان الشاب الأسمر الذي شعرت كمراقة بإنجذاب نحوه من دون أن تدري أنه متزوج وعنده أولاد.

ونلاحظ كيف أن جيهان السادات تحرص في مذكراتها ومن خلال بضع كلمات على الإشارة إلى الفارق الإجتماعي الكبير بينها وبين زوجها الذي أصبح رئيساً لمصر، فبينما والدها طبيب ابن طبيب ووالدتها سيدة بريطانية من وسط مثقف وهي _ أي جيهان _ عاشت في أجواء من البجوبة، فإن والد السادات على حد قولها، موظف في المستشفى العسكري ووالدته ابنة فلاح سوداني وهو كان الابن الثاني للزوجة الثانية لأبيه (بعد ذلك صارت جيهان الزوجة الثانية لأنور السادات). وتضيف: «ولم يكن في قريته ميت أبو الكوم كهرباء أو مجاري مياه وكانت جدته تعالج المشاكل العاطفية لأبناء عشيرتها بالسحر والأحجية. وخلال الفترات التي كان أنور يقضيها بعيداً عن الكتاب فإنه كان يقود البقر والجاموس لتشرب من ترعة القرية ويقود الثور الذي يجر المحراث في حقول القمح، ويساعد في جمع حصاد البلح والقطن».

وتذكر جيهان إن فترة الخطوبة إستمرت ثمانية أشهر وأن والدها إشتري لها ولخطيبها أنور خاتمي الخطوبة ودفع ثمن الأثاث والفساتين. وبعدما تم الزواج وتطورت أحوال أنور نحو الأحسن وبات رئيساً للبرلمان المصري في عهد الثورة رد على مكرومة والد جيهان بالمثل وأصر على أن يعيش والدها ووالدتهما معهما في المنزل ولكن والد جيهان

عاش سنة واحدة تم توفي، أما والدتها فبقيت تعيش في بيت صهرها أنور السادات إلى أن توفيت قبل أسابيع من رحلتها _ رحلة جيهان _ مع زوجها الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل. وتقول جيهان في مذكراتها إن والدتها خلال الأشهر الستة الأخيرة من حياتها لم تنطق بأي كلمة عربية بل كان كل حديثها باللغة الإنكليزية. ولم توضح لنا جيهان السادات السبب.

وتروي جيهان في مذكراتها أن أحد العرفان قال لها عام 1950 وكانت برفقة زوجها أنور السادات الذي يحاول جاهداً العودة إلى الجيش «إنك ستصبحين سيدة مصر الأولى» وإنها عندما إستغربت كلامه أضاف قائلاً: «ستصبحين ملكة مصر...». وتقول إنه في اليوم نفسه أبلغنا يوسف رشاد الطبيب الخاص للملك فاروق وصديق أنور بأنه نجح في تأمين عودة أنور إلى الجيش ضابطاً برتبة نقيب.

وتروي جيهان أيضاً في المذكرات ما يتعلق بالمأخذ الذي أخذه كثيرون على زوجها وهو إنه عندما بدأ العد العكسي للثورة يوم 20 يوليو كان في السينما مع زوجته يشاهدان أحد الأفلام. وتقول حول هذه الواقعة: «كان أنور أثناء الفيلم عطوفاً أكثر من المعتاد واضعاً ذراعه حولي، ولم أخيل ما الذي يجعله محباً إلى هذه الدرجة، وإن كنت طبعاً لم أحاول أن أصرفه عن هذا. وحتى حين حدث عطل في جهاز العرض وتوقف الفيلم لم يغضب أنور ولم يُبد أي قلق ولم أكن أعرف إذ ذاك أن أنور كان في الواقع يودعني».

ثم تروي بقية الواقعة فتقول إنها عرفت بعد ذلك بثلاثة أيام من طبيب أسنانها في القاهرة وهي تزوره أن ثورة 23 يوليو 1952 قامت وأن زوجها هو أحد أقطاب هذه الثورة وهو الذي قرأ من الإذاعة البيان الأول للضباط الأحرار الموجّه إلى الشعب المصري.

وتنتهي في يوم 27 يوليو 1952 مرحلة شبه بائسة من حياتهما لتبدأ مرحلة أنور السادات الذي يخطو على طريق الزعامة. وفي ذلك اليوم وصل أنور السادات إلى القاهرة وطلب من جيهان أن تُعد له حماماً ساخناً وبذلة رسمية نظيفة، ثم توجّه للإجتماع بجمال عبد الناصر.

بسبب مضايقات محمد نجيب

قرر السادات أن يهاجر إلى لبنان

عندما تتحدث جيهان السادات في ذكرياتها، أو مذكراتها، عن أحوال مصر قبل الثورة، فإنها تبدو هي الأخرى «ثورية» إلى حد ما، إنما ليس بالمنظور الإيديولوجي وإنما بالمفهوم الإنساني والعدالة الإجتماعية

المفقودة.

وتجدر الإشارة إلى أن إحدى أهم الخطوات التي أقدمت عليها ثورة 23 يوليو 1952 كانت قانون الإصلاح الزراعي الذي أصدرته بعد شهرين من قيامها وقضى بتوزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين بعد إبقاء 200 فدان لكل مالك (ثم جرى تخفيض الحصة بعد تسع سنوات فصارت مئة فدان). أما ملايين الأفدنة التي تم الإستيلاء عليها فتم توزيعها على الفلاحين بمعدل خمسة أفدنة (الفدان حوالى أربعة آلاف متر) للفلاح الواحد. ومن أصل هذه الملايين من الأفدنة كانت الأسرة المالكة وحدها تملك ستمئة ألف فدان أي عُشر الأراضي المزروعة.

وما تقوله جيهان السادات حول هذا الموضوع هو أنها تعرف أُسرتين مصريتين واحدة تملك في دلتا النيل «آلاف آلاف الأفدنة» تستأجر حراساً ليوصلوا إلى البنك ما جمعه من نقود بعد جمع محصول القطن، أما الفلاحون الذين لهم الفضل في المحصول والذين زرعوا الأرض ونثروا البذور وقاموا بري الحقول وجمعوا الديدان بأيديهم.. فقد كانوا يشاهدون سيارات اللوري المحملة بزكائب الأموال...».

أما الأسرة الثانية فإنها من الصعيد وتملك هي الأخرى آلاف الأفدنة وتشتهر بإقامة الحفلات التي تتسم بالبذخ. وتتحدث جيهان عن هذه العائلة فتقول: «وبدلاً من أن توزع هذه العائلة بعد الحفلات ما تبقى من طعام على الفلاحين والخدم الذين خدموا الضيوف فإنها كانت تُصدر أوامرها بحفر حفرة كبيرة تدفن فيها بقايا الطعام. وكان منطق الأسرة أنه إذا تذوق الفلاحون هذه الأنواع من الطعام فإنهم سيشتبهون الحصول عليها ويشعرون بالمرارة نحو الأسرة، ومن ثم فقد كان من الأفضل التخلص من هذا الطعام المترف وترك هؤلاء الفقراء وبعض طعامهم التقليدي وهو الخبز وقطعة الجبن الأبيض وبعض الخضروات الموجودة في الحقول. وكان مثل هذا السلوك قاسياً لدرجة كبيرة وكان يجب أن ينتهي...».

وتشير جيهان إلى أن مسارعة الثورة إزاء موضوع الأراضي وتوزيعها على الفلاحين سببها أيضاً أن معظمهم من أصول ريفية «ورأوا بأنفسهم الظلم في ملكية الأرض وأثره على إقتصاد البلاد الذي يقوم أساساً على الزراعة...».

وتكشف جيهان عن أمر كان إلى حين بات زوجها

رئيساً لمصر خافياً على كثيرين من المصريين وكذلك من الذين يتابعون التطورات المصرية طوال ثلاثين سنة وأنا أحدهم. وهذا الأمر يتعلق بقرار إتخذه أنور السادات بترك مصر والعيش في لبنان، بعدما ضاق ذرعاً بمضايقة اللواء محمد نجيب له. وقد حدث ذلك قبل فترة من إختياره للإشراف على صحيفة «الجمهورية» التي قرر مجلس قيادة الثورة إستحداثها. والذي كان معروفاً هو أن الصراع كان بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وليس بين نجيب والسادات. كما تكشف لنا جيهان في ذكرياتها التي كتبتها أن ضباط الثورة إختاروا محمد نجيب رئيساً لمجلس القيادة فقط لأنه الأكبر سناً «... وليبثوا الطمأنينة في نفوس عامة الشعب». وتقول جيهان إن العلاقة بين محمد نجيب وعبد الناصر والأعضاء الآخرين في مجلس قيادة الثورة بدأت تسوء بصفة عامة «... ولكن علاقته مع أنور كانت سيئة بوجه خاص وتتسم بالغيرة والشك، ووصل به الأمر إلى درجة نشر الإشاعات حول زوجي زاعماً أن أنور يريد رئاسة مصر لنفسه...» (هذا ما حدث في النهاية بعد ثماني عشرة سنة).

وتغز جيهان من قناة العهد الملكي والقصور الملكية والثروة الخاصة التي جمعها الملك فاروق «على حساب المصريين الفقراء» لكنها في الوقت نفسه ترى كم أن التحف الثمينة التي إقتناها والتي لم يتمكن من أخذها معه عند تسفيره بطريق البحر، أفادت في بناء مراكز صحية ومستشفيات ومدارس في الأرياف. وتذكر أن قيمة الممتلكات التي تمت مصادرتها بلغت سبعين مليون جنيه مصري (أي ما يساوي في الوقت الحاضر مليار جنيه). وتضيف: «إن حمائم حجرات المعيشة الخاصة بفاروق كانت من المرمز الأخضر. أما في الدواليب الكبيرة فقد وجدت أكثر من مائة بدلة وربطة عنق. وفي كل مكان كانت تنتشر رسوم مختلفة وبعضها رسوم خليعة على أوراق الكوتشينة في صالة القمار الخاصة به، وعلى مناضد القمار، وحتى في أوضاع التماثيل المصنوعة من الرخام، وفي اللوحات الزيتية والساعات، وحتى على الصناديق التي تنبعث منها الموسيقى...» (تشاء الظروف والمتغيرات أنه في عهد الإنفتاح المستمر والذي بدأه زوجها الرئيس السادات باتت مثل هذه المقتنيات وهذه الأبهة وتلك العيشة عموماً موجودة بكثرة في مصر، وإلى درجة أن هنالك عمارات وصل ثمن الشقة الواحدة في الثمانينات من مليون إلى مئة مليون جنيه).

وتشير جيهان إلى أنها في بداية الثورة تعرضت لحالة إجهاض ولكنها عادت وحملت عام 1954 وكانت في العشرين من عمرها ورزقت بإبنتها البكر لبنى. وتحدثت عن المكالمات الهاتفية الغامضة والتهديدات التي تلقتها العائلة بعدما أصدرت «محكمة الشعب»، التي كان زوجها أنور أحد قضاتها الثلاثة، أحكاماً على ستة بالإعدام من أصل ألف تجري محاكمتهم. وقد حدث ذلك بعد محاولة الإغتيال التي تعرّض لها الرئيس عبد الناصر في الإسكندرية يوم 26 أكتوبر 1954 وتبين أن الإخوان المسلمين وراء هذه المحاولة وأنهم كانوا ينوون قلب نظام الحُكم.

وتروي جيهان أن زوجها كان يخفف من شعورها بالضيق نتيجة لهذه المكالمات والتهديدات لكن على رغم ذلك بدأت متاعبها مع الصداق. ثم طلبت من زوجها أن يعلمها قيادة السيارة ثم كيف تستعمل المسدس. وكان لها ما أرادت. وهي فعلت ذلك لمواجهة الخطر إذا حدث لها أو لزوجها وهي معه.

وفي معرض الحديث عن العلاقة الاجتماعية بين عبد الناصر وزوجها، وبين عبد الناصر وزوجته وأولاده تقول: كان أنور وعبد الناصر يقضيان معاً وقتاً طويلاً، فيتناول أنور عشاءه في بيت عبد الناصر أو يتناول هو عشاءه في بيتنا وكنْتُ أذهب إلى بيت عبد الناصر في المناسبات الرسمية. وكانت العلاقة بينه وبين زوجته تبدو لي رسمية وتقليدية، فتحية لم تكن تخاطب زوجها أبداً بإسمه، بل دائماً بالريس، حتى أمامنا. وكذلك كان يفعل أولاده الخمسة. وكانت تحية خجولة ومتواضعة جداً، ونادراً ما تتحدث أثناء الطعام الذي نلتقي عليه، ولم تشارك مطلقاً في أي حديث في السياسة الموضوع الدائم على المائدة....».

أما عن العلاقة الشخصية بين عبد الناصر وزوجها فتقول جيهان: «كان أنور يحب عبد الناصر ويحترمه كثيراً جداً وأنا أيضاً. ولكن أحياناً كان عبد الناصر صعباً جداً، إنه كثير الشك إلى درجة كبيرة، وهي خصلة عادية في أبناء الصعيد. وكنْتُ أشعر بالأسف أحياناً من أجل عبد الناصر، الذي اشتعلت طبيعته الشكاكة بعد نجاح الثورة مباشرة، لمعرفتي كم يتعذب بإرتيابه في إخلاص هؤلاء الذين حوله.. ولكني فهمته....».

إلا أن جيهان تتصف في مكان آخر من مذكراتها عبد الناصر حيث تقول عنه: «لقد أشاع فخرًا جديداً وكرامة بين

المصريين. فبالرغم من أن كثيرين ظلوا فقراء جداً إلا أننا أصبحنا أخيراً سادة بيوتنا، وجعلت روح المساواة الجديدة الهواء جديداً. ولم تعد الطبقة الراقية تتحدث في ما بينها باللغة الفرنسية ولكن باللغة العربية. ولم تعد مصر تُحكم من السفارة البريطانية، ولكن من مكاتب الوزارات المصرية. وبعد آلاف من السنين من الحُكم الأجنبي، كنا نعيد إكتشاف تراثنا...». ثم وصفت بكثير من الصدق اللحظات التي أعلن فيها عبد الناصر تأميم قناة السويس والمشاعر التي سادت بين المصريين جرّاء ذلك، وكانت في تلك الفترة حاملاً، وقد تصادف العدوان الثلاثي على مصر الأسابيع الأخيرة من الحمل ثم أنجبت ولدهما الوحيد يوم 13 نوفمبر 1956. وتقول إنها كانت إتقت مع زوجها أنور على أن يكون إسم المولود صفوت على إسم والدها «... ولكن بسبب العدوان ضد مصر وشجاعة عبد الناصر قررنا أن نسميه جمال». وهنا تروي مناقشة جرت في المستشفى بعد الولادة بينها وبين أمها البريطانية وكيف قالت لأمها: «إن بلدك (بريطانيا) يغزو بلدي (مصر) ويقصفونه بالقنابل. لماذا يا أمي مع أننا لم نفعل شيئاً ضدهم. إن من حقنا أن نؤم قناتنا فلماذا يقاتلنا البريطانيون». ثم تروي أن والدتها أجابت: «لست أنا الذي يفعل ذلك يا حبيبتي، وتقي يا جيهان أن البريطانيين مخطئون».

شاهدت جيهان في الحلم نميري والقذافي يبكيان

وفي اليوم التالي مات عبد الناصر

تواصل جيهان السادات الحديث في مذكراتها، وهو حديث ممتع، فنقول إنها عندما أنجبت إبنتها الثانية في عام الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958 كان زوجها في الطائرة عائداً من دمشق وقد أبلغوه وهو في الطائرة بالنباء. وعندما وصل إلى المستشفى قال لجيهان إنه يريد أن يسمي الطفلة زنوبيا تيمناً بملكة تدمر التي أقامت أول وحدة بين مصر وسوريا. وإعترضت جيهان على هذا الإسم وقالت لتحية زوجة جمال عبد الناصر عندما زارتها في المستشفى: «تصوري البنت الصغيرة المسكينة في المدرسة وكل الأطفال يضحكون عندما تتأدي المدرسة على إسمها. أنور يقول بأن الإسم يمكن أن يخفف باسم «زيزين» ولكني أعرف أن المدرسة لن تتأديها به وسيكون وضعاً عصيباً لها...». وتضيف أن عبد الناصر بعدما عرف من زوجته تحية الأمر وكان السادات معه، فإنه لأمه قائلاً: «من حمل البنت تسعة أشهر ومن تحمّل آلام ومصاعب الولادة؟». وهكذا كان وإختارت جيهان الإسم

وهو «نهى» ثم إختارت زوجها إسم «جيهان» للبننت الثالثة التي رزقا بها عام 1961.

وتقول إنها علّمت أولادها على ألا يضع أحدهم رجلاً على رجل أمام الأكبر منهم، وعلى مخاطبة والدهم بـ «حضرتك» أو «أفندم» ومناداتها بـ «حضرتك» أو «ماما». وتضيف: «وغالبا ما نصلي سوياً في حجرة الجلوس كأسرة ويقوم أنور بدور الإمام. وفي أيام الجمع عندما يأخذ أنور جمال إلى المسجد للصلاة، كنت أصلي في البيت مع بناتي وأقوم أنا بدور الإمام وأقودهن في الصلاة...».

وتقول أيضاً إنها سألت زوجها أنور ذات يوم لماذا يخلو وجهه من التجاعيد بينما هي تعاني من التجاعيد مع إنها أصغر منه بخمسة عشر عاماً وأنه أجابها: بسبب المساحيق التي تضعينها على بشرتك. وتضيف «ولكني أعرف انه ليس كذلك. كانت روحه دائماً شابة ورقيقة كما كانت روحه شفافة تكشف ما وراءها».

وتشير إلى أن زوجها أنور أصيب بأزمة قلبية عندما كان في الثانية والأربعين من العمر، وكانت مسؤولياته الرسمية زمنذاك تزايدت وكثرت سفرياته وأنه بسبب تلك الأزمة توقف عن التدخين وبدأ يستعمل الغليون ويمشي وتعلم تمرينات للإسترخاء. وكاد يصاب بأزمة أخرى عام 1969 عندما كان الرئيس عبد الناصر يتعالج في روسيا من مرض السكر ويقوم _ أي السادات _ بالرئاسة نيابة. وتضيف إنه بعد ذلك، وحتى بعدما أصبح رئيساً، قلل من حجم الوقت الذي يعمل فيه وكان يرى أن أفضل القرارات هي التي يتم إنجازها قبل السادسة مساءً، ثم بدأ يرفض العمل ليلاً إلا إذا كان هنالك أي طارئ ولا يرد ليلاً على مكالمات الوزراء إلا إذا كانت بالغة الأهمية، ويقضي معظم الليالي يشاهد أفلام رعاة البقر في صالة صغيرة تم إعدادها لهذا الغرض. ثم صار يقضي وقتاً أطول في قريته «ميت أبو الكوم» ولا يصحو قبل الثامنة صباحاً، وكثيراً ما كانت جيهان تستيقظ قبله بثلاث ساعات. وتقول إنه عندما كان يمشي في حقول القرية كان يغني مترنماً بالموويل الحزينة.

وتسرد إنطباعات كثيرة عن الحياة في «ميت أبو الكوم» التي تقول إنها بعدما إغتيل زوجها تزورها مع الأولاد مرة في السنة، وبالذات في ذكرى ميلاد زوجها حيث ما زال يتم إحتفال العائلة به هناك.

بعد ذلك تنتقل جيهان في مذكراتها إلى مرحلة حرب

1967 وكيف أن زوجها قال لها يوم 5 يونيو وهو يرتدي زيه العسكري «إن قواتنا ستلقن الإسرائيليين درساً لن ينسوه»، وكيف أنها في طريق عودتها من مدرسة أولادها سمعت من راديو السيارة المذيع أحمد سعيد يقول: إن الطيران المصري أسقط 115 طائرة من طائرات العدو الإسرائيلي، ثم كيف قال لها زوجها بعدما وصلت إلى البيت وكانت فرحتها لا توصف بالنصر الذي تحقق «لقد عدتُ لتوي من مقابلة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولقد خسرن الحرب. لقد ضرب الإسرائيليون كل الطائرات المصرية وإحتلوا مدينة العريش. وقواتنا تتسحب إلى الورا...». ثم تضيف أن زوجها قال لها إن قواعد الصواريخ المضادة للطائرات تلقت أوامر بعدم إطلاق أي صاروخ إلى أن تهبط طائرة القائد العام المشير عبد الحكيم عامر الذي كان يقوم بجولة لتفقد المطارات الحربية المصرية، وأنه إلى أن هبطت طائرة عامر كان الإسرائيليون يدمروا كل القوات وكل المهابط بحيث لا تتمكن أي طائرة من الإنطلاق.

ثم تتحدث عن تأثرها لإعلان عبد الناصر مساء يوم 9 يونيو أنه قرر التنحي ويتحمل مسؤولية الذي حدث، وأنها عندما حاولت الإتصال بزوجها لكي يُنقذ عبد الناصر بعدم التنحي أجابها: إن مجلس الأمة في ضوء رد الفعل الشعبي الرفض لذلك قرر عدم قبول الإستقالة". وتتحدث عن دورها في الهلال الأحمر وما بذلته مع كثيرات من عضوات الجمعية للتخفيف من آلام الضباط والجنود الجرحى وبالذات أولئك الذين أصيبوا بحروق. ثم تنتقل إلى الحديث عن واقعة إنتحار المشير عبد الحكيم عامر التي سبقتها محاولة إنقلابية أرادها عامر بمعاونة عدد من الضباط لأن عبد الناصر عزله وعين بدلاً منه وزيراً للحربية الفريق محمد فوزي. وتقول إنها شعرت بحزن عميق، وهي تقف إلى جوار قبر عامر في قريته «أسطال» وتقرأ الفاتحة على روحه، لأن عبد الناصر طلب من أعضاء مجلس قيادة الثورة ألا يشاركوا في جنازة زميله.

وتضيف إن بنات المشير صرخن في وجهها عندما جاءت إلى منزله في الجيزة لتقديم العزاء «إنه لم ينتحر. إن الحكومة هي التي قتلته...».

ثم تتحدث جيهان بعد ذلك عن أول نوبة قلبية أصيب بها عبد الناصر وكان عام 1969، وتضيف: «قيل للشعب آنذاك إنها مجرد أنفلونزا. وفي سبتمبر بدأ عبد

الناصر يحس أن أجله يقترب وهو يواجه خيانة تلو أخرى.. ولجأ إلى صديقه الحقيقي الوحيد في العشرين من ديسمبر. وبينما كان عبد الناصر يستعد للذهاب إلى مؤتمر قمة في المغرب طلب من أنور أن يحضر مصحفاً وجعله يحلف اليمين ليكون نائباً لرئيس الجمهورية..». ثم تستعرض ظروفها قاسية واجهها عبد الناصر بعد ذلك ومن بينها إضطراره لقبول مبادرة روجرز ثم تدخله لتهديئة الوضع في الأردن بين الملك حسين والمقاومة الفلسطينية، وكيف أن أيام القمة الأربعة التي عُقدت في فندق الهيلتون وإمتد بعضها على مدى الأربع والعشرين ساعة أنهكت قوة عبد الناصر. ثم تروي واقعة الساعات الأخيرة لعبد الناصر، فتشير أولاً إلى أنها صبيحة يوم وفاة عبد الناصر (28 سبتمبر 1970) أسرعت إلى زوجها أنور لتقول له إنها رأت حلماً في غاية السوء وأن شيئاً أصاب عبد الناصر، وأن زوجها طمأنها إلى أنه بخير وأنه سيرتاح بعد أن يودع ضيوفه الملوك والرؤساء. ثم إتصل عبد الناصر بالسادات ليقول له إنه سيتناول العشاء معه. وتقول جيهان إن هذا الإتصال بدد هواجسها الناشئة عن الحلم المزعج الذي شاهدته وخلاصته أنها كانت واقفة في شرفة منزل والدها ورأت كثيراً من الناس يبكون وكان من بينهم الرئيس السوداني جعفر نميري والرئيس الليبي معمر القذافي. وبعدما سألها زوجها لماذا كان هؤلاء يبكون أجابت: إن القذافي _ في الحلم _ كان يقول: هذا شيء لا يمكن تصديقه. ماذا حدث لعبد الناصر؟

وبينما سايها زوجها أنور في سماع الحلم المزعج إنصرفت هي إلى المطبخ للتقاهم مع الطباخ وإرتأت إطعام عبد الناصر ورق عنب وكباب وسلطة. ثم غادر زوجها إلى مكتبه وهي تناولت الغداء وأخذت للنوم.

معركة السادات مع الوزراء الناصريين

شاهدتها جيهان مسبقاً في الحلم..

تروي جيهان السادات واقعة وفاة جمال عبد الناصر فتبدأ بالإشارة إلى مكالمة هاتفية في السادسة مساء يوم 28 سبتمبر 1970 يطلب فيها المتكلم من (نائب الرئيس) السادات أن يتوجه إلى بيت الرئيس. ثم يتصل بها زوجها ويطلب منها موافاته إلى بيت عبد الناصر فتوجهت مرتدية ثوباً أزرق فاتحاً وهناك لاحظت الوجوم على وجوه الجميع. وزير الداخلية (شعراوي جمعة) يجلس على السلم ورأسه بين يديه. ثم تسأل أحد الخدم عما إذا كان أصيب الرئيس بمكروه لكنه لا يجيبها. وتسأل خالد النجل الأكبر

لرئيس عبد الناصر عن إمكانية رؤية والدته لكنه يجيبها بالنفي لأن الأطباء أعطوها منوماً. ثم عادت إلى منزلها لتغيير ثوبها، وكانت تتساءل: لا بد أن يكون جرى شيء لعبد الناصر لأنها سألت الابن خالد عن والدته وأجابها إنهم أعطوها منوماً. وإلى التساؤل كانت تقول: كيف نستطيع الحياة بدونه، ثم شاهدت في التلفزيون مشاهد توديع عبد الناصر وكان يبدو عليه الإعياء الشديد _ لأمير دولة الكويت. ثم وجدت نفسها تبكي وترتدي فستاناً أسود. وبعد أن تشير إلى ظهور زوجها على شاشة التلفزيون في الثامنة مساء ويلقي بياناً يقول فيه «أنعي إليكم أشجع وأنبل رجل. لقد مات الرئيس جمال عبد الناصر بعد فترة مرض قصيرة عجز الطب الحديث عن معالجتها».. نجدها تتساءل: أيعقل أن يموت عبد الناصر وهو لما يزل في الثانية والخمسين؟ وتضيف: «لقد كان هذا بالنسبة لي مفاجأة تبدو مستحيلة وكذلك كان لمعظم المصريين. ولكن القريبيين من عبد الناصر كانوا يعرفون تمام المعرفة أنه الضحية الأخرى من ضحايا الحرب. فقد تحطمت صحته بعد حرب 1967 وجردته الهزيمة من قوته فكان يتحرك ويتكلم ولكن علامات الموت كانت تبدو على وجهه الشاحب، وكان أنور يقول لي بعد ذلك إن الرجل لم يمت في 28 سبتمبر 1970 ولكنه مات صباح 5 يونيو 1967».

ويوم جنازة عبد الناصر في الأول من أكتوبر 1970 تذكرت جيهان الحلم الذي شاهدته، خصوصاً عندما شاهدت على شاشة التلفزيون الرئيس نميري يبكي وهو ينزل من الطائرة والقذافي يصيح من على سلم الطائرة: غير معقول، ويبكي أيضاً، وهذا تماماً ما شاهدته في الحلم الذي روته لزوجها.

وتتحدث جيهان كيف أن زوجها بقي في قصر القبة حيث جثمان عبد الناصر وكيف أنه يوم الجنازة فقد الوعي ونقلوه إلى مبنى مجلس قيادة الثورة ليسترد وعيه. وتشير إلى إنزعاجها خلال أسبوع تلقى العزاء، من إحداهن تقول لها «مبروك، تهنئتي القلبية». على أساس أنها باتت زوجه رئيس الجمهورية. وتضيف: «لم أكن أريد أن أصبح زوجة لرئيس الجمهورية. وكان أنور من جهة أخرى في حالة يأس وإكتئاب طوال الأيام التي تلت وفاة عبد الناصر، فلم يخطر في ذهنه أن يكون رئيساً لمصر....».

وبعدما بات السادات رئيساً نجد السيدة جيهان تروي

لزوجها حُلماً جديداً بعد الحلم الذي يتعلق بوفاة عبد الناصر، ومن قبل ذلك ما روته عن العراف الذي قال لها إنها ستصبح ملكة مصر وكيف تحققت نبوءته بأن زوجها بات رئيساً بعد وفاة عبد الناصر وباتت هي السيدة الأولى في مصر.

وعلى النحو الآتي تروي الحلم الجديد: «كنت أقف في حديقة في الجيزة وكان كل ما حولي وهجاً برتقالياً مخيفاً يتذبذب من خلال زهر المنجوليا وشجرة الأرز التي ترتفع أعلى من منزلنا. ما هذا الضوء المشؤوم؟ ونظرْتُ إلى منزلنا، إن النيران مشتعلة فيه وكنت أرى ألسنة النيران في داخل البيت وهي تتلوى وتتوهج وتدفع إلى الخارج من جميع النوافذ وحاولتُ أن أجري نحو البيت لأنقذ أبنائي وزوجي وأمي ولكني لم أستطع أن أتحرك. كنت أريد أن أطلب النجدة ولكن صوتي لا يخرج. شعرتُ بالعجز ووقفتُ في مكاني أراقب الدخان وهو يندفع متجهاً إلى نهر النيل ولكن الدخان لم يكن أسود بل كان لونه أبيض. إذاً لا يزال هناك أمل، وقلت: يا رب ساعدنا، يا رب ساعد مصر...».

ثم تضيف أنها أسرعَت إلى الرئيس أنور في حجرة نومه وأخبرته بما رآته في الحلم وقالت له: «إن المؤامرة ضدك لن تتجح. إن أعداءك سيحاولون قتلُك والإستيلاء على الحُكْم، ولكنهم لن يستطيعوا النيل منك. إنني أعتقد هذا لأن الدخان الذي خرج من النيران التي أشعلوها كان أبيض وليس أسود. إن مصر ستنتصر وأنت أيضاً.»

وتقول إن زوجها الذي لا يصدّق أحلامها إبتسم مع أن حلمها عن نهاية عبدالناصر تحقق.

ثم تتحدث عن صراع زوجها مع المجموعة التي إصطُلح على تسميتها «مراكز القوى» أو المجموعة الناصرية (علي صبري وشعراوي جمعة ومحمد فايق وسامي شرف ومحمد فوزي وأمين هويدي)، وكيف كان بعض هؤلاء يحاربون السادات بالإشاعات وأحياناً بالأحاديث التي تتسم بالسخرية من قدراته وكيف أن بعض صديقاتها نقلن لها الكلام الكثير في هذا الشأن، ومنها عبارة سمعتها من سامي شرف في حفلة عشاء وهي «إن أنور السادات ضعيف وغير محترم من الوزراء». وتشير إلى أن زوجها طلب منها إبلاغ الذين ينقلون الإشاعات إليها أن يكتبوا ذلك بخط اليد ويضعوا توقيعهم على ما يكتبون وأن سيدة عضواً في مجلس الشعب تجاوبت مع ما إقترحه جيهان وكتبت الآتي: «إن

الوزراء الذين تحدثوا في الإتحاد الإشتراكي أعلنوا أن قيادتنا ضعيفة وأنهم لا يثقون في القيادة وأن سياسات مصر في الفترة الأخيرة ضد كل ما كان عبد الناصر يمثله..» وقد إستعمل السادات هذه الورقة في صراعه مع «مراكز القوى».

ثم تروي جيهان وقائع عن صراعها مع سامي شرف وزير شؤون رئاسة الجمهورية الذي كان يحولُ دون نشر صورها التي تعكس نشاطاتها الرسمية والاجتماعية على نحو ما كان أيام عبد الناصر حيث أوامره ألا تظهر زوجته في الصحف والمجلات وعلى شاشة التلفزيون. وتقول إن تليفونات رئيس الجمهورية ومنزله مراقبة من سامي شرف.

وتتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الإستقالة الجماعية للوزراء الناصريين وإذاعة الإستقالات بشكل مباغت من التلفزيون بهدف حدوث فراغ سياسي ودستوري وأزمة حُكْم، وكيف أن أشرف مروان صهر عبد الناصر والذي كان يعمل في مكتب سامي شرف أسرع قبل دقائق من إذاعة الإستقالات إلى منزل الرئيس السادات وأبلغه بما سيحدث موضحاً أنه كان يود لو يحضر مبكراً لكن الوزراء المستقلين لم يدعوه يترك مكتبه.

وبقية مراحل الصراع معروفة حيث أن الرئيس السادات وجّه ضربه الشهيرة تحت تسمية «ثورة 15 مايو»، فأمر بإعتقال الوزراء الناصريين ثم حاكمهم ورماهم في السجون. وكان قائد الحرس الجمهوري اللواء الليثي ناصف هو الذراع القوية التي إستعملها السادات. وتقول جيهان إن اللواء الليثي إتصل بزوجها بعدما أنجز كل شيء، وقال له: «لا تقلق، لقد أمرتُ الدبابات بالتوجه إلى منزلكم لحمايتكم إذا وقعت أي مشاكل ولكن كل شيء على ما يرام حيث تم إعتقال جميع المتآمرين وإنتهت العملية». أما الليثي ناصف فإن حالة إكتئاب أصابته بعد ذلك ربما لأنه فعل ما فعله وقام بإلقاء القبض على المسؤولين الذين هم أصدقاء له. وقد أرسله السادات إلى لندن للعلاج ثم جاءت الأخبار بعد ذلك تفيد أنه لقي حتفه بعد سقوطه من شرفة في الطبقة الخامسة من المبنى الذي يقيم فيه، من دون توضيح ما إذا كان الحادث قضاءً وقدرًا أم أنه حالة إنتحار أم أن أحداً دفع به من الشرفة. لكن جيهان تميل إلى الاعتقاد بأن السبب هو الأدوية التي كان يتناولها والتي أثرت عليه إلى درجة أنه قفز من الشرفة دون أن يشعر بما يفعله.. وتقول أيضاً

إن زوجها حزن حزناً شديداً عليه.

وبعدما إستقر الحال وبسط زوجها نفوذه وبات يحكم برجاله، فإنها سافرت بعد أسبوعين إلى مكة المكرمة لتأدية العمرة وصامت شهراً كاملاً وفاء لما نذرته قبل أن يكون الموقف محسوماً والصراع على أشده بين زوجها والوزراء الناصريين، وتشير إلى انها أدت العمرة من قبل خلال زيارة قام بها زوجها في مهمة لدى الملك فيصل، ثم أدت العمرة مرة أخرى بعد حرب 1973 ثم مرة رابعة عام 1984 بعد وعكة صحية أصابتها وإصطحبت معها أولادها وبعض صديقاتها. وتقول «إن الشعور داخل الكعبة هو أعظم شعور روحي يحس به إنسان...».

وتشير إلى طرد السادات لخمسة عشر ألف خير روسي وتبدي قلقها من محاذير هذه الخطوة وتحدث في الوقت نفسه عن فرحة الناس بالقرار الجريء تم تحدث عن الطريقة الذي عاش فيها الخبراء الروس وعائلاتهم في مصر على النحو الآتي: «الروس هم الوحيدون بين الأجانب الذين كانوا يعيشون في مصر في حب مفقود. لقد كانوا يرفضون إعطاء قرش واحد مما نجيد صناعته للشعب الذي يعاني الفقر الشديد. وكلما أرادوا شراء شيء مثل أعمالنا النحاسية والمفروشات كانوا يقومون دائماً بالبحث عن الأشياء الرخيصة. وكانوا دائماً يتلهفون لشراء ذهبنا لأن أسعار الذهب في مصر كانت أرخص بكثير عما كان في الإتحاد السوفياتي. لقد قاموا بشراء الكثير من القلادات والأساور والقطع الذهبية، حتى أن المصريين كانوا يقولون إن الروس إشتروا الأسنان الذهبية. وهم لم يختلطوا بالمصريين بل إنطووا دائماً على أنفسهم وبإستثناء السفير السوفياتي وزوجته فإنني لم أقابل أي شخص روسي في القاهرة ولا حتى في الإسكندرية التي كان يقيم فيها عدد كبير من أفراد الجالية السوفياتية».

ثم تتحدث جيهان عن التوتر الذي ساد علاقات زوجها بالعقيد معمر القذافي وبالذات بعدما أعلن عن نيته قيام جمهورية مصرية _ ليبية يكون السادات رئيسها ويتولى هو منصب نائب الرئيس والقائد العام للقوات المسلحة المشتركة. وتضيف: «.. وعندما سمع أنور بهذه الخطة لم يملك إلا الضحك، لأنه لن يسمح للقذافي بالتحكم في الجيش المصري».

وتتحدث عن طبيعة العلاقة بين زوجها والقذافي فتقول: «لقد كان أنور يعتبر القذافي كإبنه وكان دائماً يدعو إلى زيارتنا في منزلنا في القاهرة وفي ميت أبو الكوم. وفي السنة

الأولى من رئاسة زوجي كان القذافي يقول له دائماً: إنك بمثابة أب لي، فإذا إرتكبُ أخطاءً فإنصحنِي».

إنطباعات عن الحرب وعن معمر وصفيه

وعلياء الحسين وفرح ديبا

في معرض الحديث عن العلاقات بين زوجها والعقيد معمر القذافي تورد السيدة جيهان السادات الواقعة التي أقلقت الرئيس السادات أكثر من أي واقعة أخرى. فقد طلب القذافي من السادات إعارة ليبيا غواصتين يديرهما مصريون وكان له ما طلب. وتضيف: «وكادت أول أوامر من القذافي للقطع البحرية المصرية أن تقترب بالعالم من الدمار. فقد قام بتوجيه تعليمات إلى قبطاني الغواصتين قائلاً: تسالوا إلى المياه الدولية في البحر الأبيض المتوسط وقوموا بإغراق الباخرة البريطانية الملكة اليزابيث الثانية قبل وصولها إلى إسرائيل والتي تنقل أفواجاً من السياح البريطانيين والأميركيين. وتم إكتشاف خطة القذافي عندما قام قبطان إحدى الغواصتين بإرسال إشارة إلى قيادتنا البحرية في الإسكندرية يخبرهم عن الأمر الذي تلقاه وقامت القيادة بدورها بإبلاغ أنور بما حدث. ولم يستطع أنور أن يتصل بالقذافي شخصياً ليجعله يقوم بإلغاء أوامره، فقد كان القائد الليبي قد ذهب كعادته ليستريح في إحدى الخيام في الصحراء ولينتظر حدوث أي أزمة دولية، مما دفع أنور ليقوم بنفسه بإصدار أوامر للغواصتين بالعودة الفورية إلى قاعدتنا في الإسكندرية. ولم أر زوجي يشعر براحة أكثر مما شعر به عندما تسلم رسالة تفيد بأن الغواصتين قد عادتا بأمان إلى مصر...».

ثم تتحدث جيهان عن الساعات التي سبقت حرب أكتوبر 1973 وكيف طلب منها زوجها تحضير ملابسها العسكرية لأنه سيبيت خارج المنزل من دون أن يحدد لها المكان الذهاب إليه. ولأن من طبع المرأة في مثل هذه الحال أن تُكثر من الأسئلة لعلها تعرف فإنها حاولت لكن الرئيس السادات إكتفى بالقول إنها إذا كانت تحتاجه لأمر طارئ فيمكنها الإتصال به في قيادة الجيش بقصر الطاهرة. وعندما أعدت له بدلة عسكرية واحدة طلب منها وضع المزيد من الملابس العسكرية لأنه قد يقضي هناك أكثر من ليلة.

وحتى الآن لا تعرف سوى ما حدثها به قلبها بأن زوجها على وشك شن حرب على إسرائيل وربطت ذلك بكثرة إجتماعات الرئيس السادات مع وزير الدفاع وكثرة

زياراته للجبهة. ثم تأكدت وأكد لها زوجها أنه ذاهب إلى الحرب، وكان ذلك يوم 5 أكتوبر وهو يتمشى معها في حديقة منزلهما. وقد قالت له: «أنور إنني أعلم بأنك تبذل أقصى جهدك من أجل إستعادة أرضنا، فإذا ذهبت مصر إلى الحرب وفشلت فلن يدينك أحد». ورد عليها بالقول: «إنني على يقين بأنني سوف أنتصر». ثم تضيف إنها بعدما ودعت زوجها إنتابها شعور بأن الحرب لن تبدأ قبل الساعة الأولى من بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ولذا تسمرت أمام الراديو في إنتظار سماع النبأ الكبير ولم تسمع كلمة واحدة من نهلة زوجة الموسيقار محمد عبد الوهاب التي كانت في تلك اللحظات تزورها.

بعد ذلك تروي الكثير عن الجهد الذي بذلته في أوساط النساء ثم في المستشفيات التي كانت تستقبل العسكريين الجرحى. وتقول إن جندياً جريحاً قبل يدها بعدما قال لها: أمي. هل تعلمين إنني كنتُ أول من رفع علمنا على ضفة القناة الشرقية، وأنها بحركة لا شعورية أمسكت بيده وقبلتها قائلة له: إن يدك هي التي يجب أن تقبل وليست يدي، فأنت الذي قمت بإعادة العلم إلى مكانه الصحيح على أرضنا.

وتتحدث بعد ذلك عما سمعته من طيار جريح من الطيارين الذين قاموا بالطلعة الأولى بأن طائرة الميراج التي كان يقودها عاطف السادات شقيق الرئيس والبالغ من العمر 26 عاماً أسقطت واحترقت بعد خمس دقائق من بدء الهجوم، وكيف أنها لم تجرؤ على إبلاغ زوجها، ولم يجرؤ أيضاً قائد القوات الجوية حسني مبارك. ثم تقول إنه تم إبلاغ الرئيس بعد يومين وقد بكى عند سماع الخبر لأن عاطف السادات كان بالنسبة له ابناً وليس أخاً.

وبعد أن تورد بعض المواقف المؤيدة لمصر وما وصلها من نجدات تتحدث بحزن عن موقف العقيد معمر القذافي من العبور التاريخي وكيف أنه سمح لإذاعته بأن تقول في أحد تعليقاتها «الجنود المصريون جبناء تعوّدوا على الهزائم وسوف تهزمهم إسرائيل للمرة الرابعة». ثم تواصل الحديث عن حالة الإحباط التي أصابت زوجها الذي اعتاد على أن ينام ثماني ساعات يومياً، ثم إذا به يعمل لمدة عشرين ساعة يومياً ولا يأكل مكتفياً بعصير الفواكه الأمر الذي يبدأ يؤثر على صحته ويبدو لون وجهه شاحباً. وكل ذلك بسبب الدعم العسكري الأمريكي الهائل الذي أنصب على إسرائيل واضطراره إلى وقف

إطلاق النار بعد إنذار جاء به وزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر في ديسمبر 1973، وخلاصته أنه إذا تمت تصفية القوات الإسرائيلية الموجودة في غرب القناة والمطوقة بالمدفعية والدبابات المصرية فإن الولايات المتحدة سوف تضطر إلى مهاجمة مصر. وتضيف: «لقد بدا أنور حزيناً وهو يرى أحلامه بإستعادة سيناء تذهب بعيداً أو تضيع...». وتنتهي إلى القول إن الولايات المتحدة لعبت دور الوسيط بين مصر وإسرائيل إلى أن تم التوقيع في يناير 1974 على الإتفاقية الأولى لفض الإشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية». وبصعوبة بالغة إنتهت حرب أخرى بعدما تركت آلافاً من الجرحى والقتلى المصريين، فقد كان عدد ضحايانا أكثر من الإسرائيليين بخمس مرات».

بعد إنتهاء الحرب تزايد نشاط السيدة جيهان في المجالات الإجتماعية والصحية وأصبحت «جمعية الوفاء والأمل» تحظى بتبرعات كثيرة تصل إليها من الدول العربية الخليجية بشكل خاص، ثم صارت تصل تبرعات من بعض الدول الأجنبية. وعندما أمكنها جمع عشرة ملايين جنيه أنشأت «مدينة الوفاء والأمل» القادرة على رعاية هذا الكم الهائل من المعوقين نتيجة الحرب. وعندما حاولت القيام بحملة لمنع التدخين أخرجها زوجها بأنه يرفض الإقلاع عن تدخين "الباب" وأمام المصورين. وتضيف: «ولقد رجوته الإقلاع عن التدخين على الأقل خلال الحملة إذ كيف لي أن أقنع الملايين إذا كنت لا أستطيع إقناع زوجي أولاً، لكن أنور وبعناد قام بإشعال "الباب" وقال: جيهان، إنني أمضي ساعات طويلة في الإجتماعات والمقابلات مكرساً حياتي للشعب. إنني لا أستطيع الترفيه عن نفسي بالذهاب لتناول العشاء خارج البيت أو أن أقوم بالتمشي من دون الحراس. إن تدخيني للبواب أحد دواعي سروري القليلة التي أملكها ولن أقلع عنها حتى من أجلك...». وما لم تُشر إليه السيدة جيهان هو أن أعداداً كبيرة من المسؤولين تأثروا بهوية الرئيس السادات وصاروا يدخنون الغليون.

ثم تشير جيهان إلى إنتسابها، وهي في الواحدة والأربعين من العمر وعلى رغم مشاغلها الإجتماعية ورعايتها للجمعية التي أنشأتها لتأهيل المعاقين، إلى جامعة القاهرة لإستكمال دراستها. وكان لافتاً للنظر أن الأم وأولادها (لبنى وجمال ونهى) يتابعون الدراسة الجامعية في وقت واحد. وقد تخرجت عام 1978 ثم

بدأت تعمل كمعيدة وتخطط لإستكمال الدراسة والحصول على الدكتوراه. ولم تنته الدراسة الجامعية عن العمل في مجال الخدمة الإجتماعية حيث ركزت إهتمامها وبالذات بعدما تم إختيارها كرئيسة لمجلس شعبي على مسألة تنظيم الأسرة وتحديد النسل بهدف حماية مستقبل مصر من الانفجار السكاني الذي يهدد كل خطط التنمية فيها. وهي تصف وقائع يوم من حياتها في هذه المرحلة على النحو الآتي: «كنت أنهض في الخامسة صباحاً. أتوضأ وأصلي ثم أتناول قحداً من القهوة هو بمثابة فطور لي. ثم أقرأ الصحف وأبدأ بإعداد محاضراتي في الجامعة ثم أقوم بدراسة مشاريع المجلس الشعبي والجمعيات الخيرية. ومن الثامنة حتى التاسعة أقوم بالتمارين الرياضية سواء كان ذلك بالمشي لمسافة ثلاثة أميال أو بلعب التنس أو الإسكواش. وبعد الساعة التاسعة أقوم بإيقاظ زوجي حيث أفتح شبابيك غرفة نومه وأحضّر له قحداً من الشاي والصحف وأدير جهاز الراديو. بعد ذلك أكون مستعدة للبدء في جدولتي الرسمي...».

وتفرد السيدة جيهان كلمات كثيرة في مذكراتها للحديث عن الملكة علاء ملكة الأردن التي قضت نحبها في حادث تحطم طائرة الهليكوبتر التي نقلها، وكانت صديقة عزيزة عليها وتتشابها في مجال النشاط الإجتماعي والخيري. وتفرد كلمات أكثر للحديث بإعجاب عن السيدة صفية زوجة العقيد معمر القذافي، وبتقدير عن والدة القذافي وهي كثيراً ما إلتقت بهما خلال زيارتها مع زوجها الرئيس أنور إلى ليبيا أو زيارات العقيد القذافي إلى مصر. وتقول جيهان إن قلبها إنخلع على صفية بعد الغارة الأميركية على ليبيا. لكنها تغمز من قناة القذافي وبالذات عندما ألقى محاضرة في القاهرة أمام ألف امرأة داخل مقر «إتحاد المرأة المصرية» بحضور الرئيس السادات وكبار المسؤولين وكانت هي وصفية وزوجات المسؤولين من بين الحضور. وفي تلك المحاضرة كتب العقيد القذافي بالطبشورة على السبورة التي طلب إحضارها كلمات الحيض، العذرية، الإنجاب، ثم قال مخاطباً المستمعات: أنثنُ أيتها النساء تطالبن بالمساواة. كيف يمكن للمرأة أن تتساوى مع الرجل وهي لا تستطيع العمل خلال الدورة الشهرية أو أثناء رضاعة صغارها. وتشير جيهان إلى أصوات إحتجاج الحاضرات وبالذات بعدما وصف القذافي دور المرأة في المجتمع بأنه «لا يختلف عن دور البقرة التي قُدر لها ألا تفعل أكثر من الحمل والولادة ورضاعة

صغارها....».

أما العلاقة بين زوجها وشاه إيران (الراحل) محمد رضا بهلوي وبينها وبين زوجته الأميرة فرح ديبا، فتحدث جيهان عنها بدفء ويعكس حديثها عن العلاقة مع العقيد معمر القذافي. ونكتشف من خلال مذكرات السيدة جيهان أن الشاه وزوجها كانا يعرفان بعضهما عندما كانا ضابطَيْن وتخرّجا بنفس الرتبة من الكلية الحربية، وإن السادات كان يحب تذكير الشاه بأول مرة رآه فيها، وذلك أثناء عرض عسكري في القاهرة عام 1938 للإحتفال بزواج الشاه من الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق. وعند التذكير يقول له: لقد كنتُ (أي الشاه) تجلس في منصة مرتفعة وأنا كنتُ أمر امامك أثناء العرض. ولقد كانت المسافة بيننا صغيرة جداً ولكنها في الحقيقة كبيرة لأنك وريث العرش وأنا كنتُ ضابطاً صغيراً من قرية لم تسمع عنها أبداً.

عندما أدركت جيهان

بعد زيارة القدس أن زوجها سيقتل

تحدث السيدة جيهان عن زيارات ذات أهمية خاصة ومتميزة قامت بها، من بينها زيارة رسمية قام بها زوجها إلى السعودية عام 1967 ورافقته فيها ونزلت معه سُلم الطائرة على نحو غير مألوف في البروتوكول السعودي. وصادف أن الرئيس اليوغسلافي الماريشال تيتو جاء في زيارة إلى المملكة قبل أسبوع من زيارة السادات، وإصطحب أيضاً زوجته معه، لكن الرئيس اليوغسلافي تقيد بحرفية البروتوكول السعودي حيث أنه في الوقت الذي كان ينزل من الطائرة ويستقبله الملك خالد بن عبد العزيز كانت زوجة الرئيس اليوغسلافي تنتظر داخل الطائرة إلى حين إنتهاء المراسم ثم يتم نقلها إلى قصر الضيافة حيث حل زوجها. وفي حديثها عن زيارة لاحقة قامت بها الى دولة الإمارات برفقة زوجها تطري السيدة جيهان الشبيخة فاطمة زوجة الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات وما تفعله في سبيل المرأة في بلادها. أما الموضوع الذي تُفرد له بضع صفحات فهو عن نجاح سعيها لدى زوجها الرئيس في تعديل قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في مصر، وكذلك إلغاء قانون «بيت الطاعة» الذي كان يجيز للزوج الإستعانة بالبوليس لإعادة زوجته إليه بالقوة ثم يحبسها بعد ذلك ويغلق عليها بالمفتاح ليمنعها من الهرب مرة أخرى. وفي الأشهر التي خاضت فيها السيدة جيهان معركة إعادة النظر في تلك

القوانين تصدى لها الأصوليون ولم تسلم من مهاجمة بعض أئمة المساجد الذين باتوا يتحدثون عن «قوانين جيهان». وفي معرض الحديث عن سعيها لتعديل القوانين التي تجد فيها ظلماً فادحاً للمرأة المصرية تشير إلى أنها أثناء زيارة إلى السودان برفقة زوجها الرئيس لاحظت كيف أن الحكم هناك والذي يقوده الرئيس جعفر نميري خصص عدداً من مقاعد البرلمان للمرأة. وتضيف: «لقد قلت لأنور إذا كانوا يحترمون المرأة بهذا القدر في السودان فلماذا لا نفعل ذلك في مصر؟ إن نصف عدد السكان في مصر من النساء ولا بد من تمثيلهنَّ على مستويات صُنعت السياسة بأعداد أكبر بكثير...».

وتشير إلى أنها قالت لزوجها الرئيس في شهر مارس 1979 إنها تتطلع لمناسبة عيد الأم إلى هدية منه وعندما سألها عن نوع الهدية، قالت إنها «حقوق المرأة المصرية». وأبلغها بأنها نالت الهدية.

وتضيف أن الرئيس السادات أصدر يوم 20 يونيو 1979 قراراً قضى بإضافة ثلاثين مقعداً تُخصص للمرأة في مجلس الشعب، وكذلك تخصيص من 10 إلى 20 في المائة من المقاعد الست والعشرين في المجالس الشعبية للمرأة. ثم كانت الخطوة الأهم يوم 3 يوليو 1979 حيث أن مجلس الشعب وافق وبأغلبية ساحقة على إصلاحات قوانين الأحوال الشخصية، وهي إصلاحات لمصلحة المرأة المصرية، ومن المؤكد أنه لولا أن السيدة جيهان لم تبادر فتتترح ثم تُكثّر من تذكير زوجها وتلج عليه، ولولا أن الرئيس السادات هو أيضاً مقتنع بما تقترحه زوجته لما كان لهذه القوانين أن تتغير أو تتعرض لتعديلات جذرية. لكن هذا النجاح الكبير للسيدة جيهان جعل الأصوليين يزدادون نقمة عليها وتحديث عملية إغتيال زوجها بعد ذلك وعلى أيدي أفراد تبين أن للأصوليين تأثيراً كبيراً على تفكيرهم.

وتنتقل للحديث بعد ذلك عن زيارة زوجها الرئيس إلى القدس، وتقول إنها لم تكن من القليلين الذين عرفوا مقدماً بنية الزيارة، لكنها كانت ستؤيد ونسبة مائة في المائة لو أن زوجها فاتحها في الأمر. وتضيف: «عندما أعلن زوجي إستعداده للذهاب إلى القدس لتحقيق السلام مع إسرائيل أدركتُ على الفور أنه سوف يلقي مصرعه ضحية لهذا السلام. لم أعرف متى سيقتل ولا أين ولا من الذي سيقتله. أدركتُ فقط أن أيامي مع زوجي أصبحت معدودة. ومنذ تلك اللحظة في نوفمبر 1977 حتى إغتياله

أصبح الصداق الذي أصيبت به منذ سنوات مزمناً، ولم أعرف يوماً مر بي دون ألم...».

وتروي أن إبنتها نهى التي كانت على وشك وضع مولودها الثاني قالت لها مساء يوم 9 نوفمبر وكانت عادت _ أي جيهان _ من إجتماع نسائي: «مامي، سمعت الأخبار؟»، وتكمل جيهان الحديث على النحو الآتي: «توقف قلبي، وقلت بحدة: ماذا حدث يا نانا. قالت وصوتها فيه مسحة من الشك: بابي سيزور القدس. قلت: والدك سيذهب إلى ماذا؟ ردت نانا بسرعة قائلة: لقد أعلن ذلك في خطابه للبرلمان صباح اليوم، لقد عرض أن يتوجه إلى القدس. قلت: يذهب إلى القدس؟ أنور؟.. أين هو يا نانا؟ قالت: في الدور الثاني، وإندفعتُ صاعدة السلام وقلت: أنور هل صحيح ما قالته لي نانا؟ فأوماً أنور برأسه قائلاً: نعم. لقد قبعنا طويلاً في عواصمنا نُصدر التحذيرات إلى إسرائيل لإعادة الأراضي المحتلة وصورتنا لدى العالم مضحكة وقبيحة، إننا نطالب بإعادة أرضنا لكننا نرفض أن نطلب ذلك من هؤلاء الذين يحتلوننا، وقد قررتُ أن أذهب إلى الإسرائيليين مباشرة. ما هو الخيار الآخر لدي؟».

تم تقول إنها سألت زوجها لماذا سيذهب وحده من دون أحد من الزعماء العرب معه، وسألته ما الذي سيفعله إذا رفض رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن الإجتماع به؟ وتقول أيضاً بعدما بدأت تشاهد نشرة الأخبار المسائية على التلفزيون إن زوجها تحدّث عن أنه سيذهب إلى القدس وكما لو أنه يتحدث عن الطقس.

وتنتقل بعد ذلك للحديث عن موقف سوريا من الخطوة التي سيقدّم عليها زوجها وعن الإحباط الذي شعر به الرئيس السادات لأن الرئيس حافظ الأسد لم يتجاوب مع الخطوة، وشنت حكومته حملة عنيفة ضد الرحلة المقترحة واصفة بالخيانة من سيقوم بها. وتضيف جيهان: «ولم أكن أعرف حتى بعد إغتيال أنور أن الحكومة السورية بحثت إعتقال أنور في دمشق لمنعه من مواصلة سعيه إلى السلام. وفي الدقيقة الأخيرة أدرك الأسد أن هذا إجراء خطير وغير ذي جدوى...». كذلك تتحدث عن إستقالة وزير الخارجية المصرية إسماعيل فهمي عشية مغادرة الرئيس السادات إلى سوريا للقاء الرئيس الأسد وكيف أن حقائبه ذهبت إلى دمشق بدونه. وحول إستقالة إسماعيل فهمي تقول السيدة جيهان: «ساورني الشك في أن إسماعيل ربما يكون بذلك يسعى إلى حماية نفسه في

حالة فشل مهمة أنور من أجل السلام. وفي الوقت نفسه أحسست ان هناك خسارة شخصية أيضاً. فقد كان أنور وأنا دائماً صديقين مقربين لوزير الخارجية وزوجته عفاف. وعندما قابلتُ عفاف مرة أخرى بعد إستقالة زوجها تصافحتُ معها لكني أم أزرها كصديقة مرة ثانية...».

وتشير جيهان إلى أصدقاء كثيرين إتصلوا يتمنون أن يغدل زوجها عن زيارة القدس. لكنه عندما وجّه بيغن يوم الثلاثاء 15 نوفمبر دعوة رسمية، فإن الرئيس السادات إختار أن يقوم بالزيارة يوم السبت 19 نوفمبر، أي عشية عيد الأضحى وقرر أن يهبط في إسرائيل بعد غروب الشمس وبأن يؤدي صلاة العيد يوم الأحد 20 نوفمبر في المسجد الأقصى في القدس، ثم يزور كنيسة القيامة وبعد الظهر يلقي خطاباً في الكنيسة...

إنذار من القذافي نقلته

منى عبد الناصر إلى جيهان

في معرض تركيزها على أن زوجها الرئيس أنور السادات مطمئن إلى زيارته إلى القدس تروي السيدة جيهان أنها قبل مغادرته القاهرة سألته أن يرتدي سترة واقية من الرصاص خلال الزيارة لكنه رفض. ثم تصف لحظات الوداع ثم لحظات هبوط الطائرة في مطار بن غوريون والإستقبال الرسمي الذي جرى لزوجها الذي «كان يبدو واثقاً وهادئاً». وتذكر أنه بعد العودة قال لها: «شعرتُ أن الله أرسلني في هذه المهمة السلمية. وعندما وطأت قدمي لأول مرة التراب الإسرائيلي شعرتُ إنني لست من هذا العالم. وإنما شعرتُ كأني الطير». وقالت إنها عندما سمعت طلاقات بينما يجري عزف النشيد الوطني المصري «بلادي. بلادي. بلادي» شعرت أنها موجهة إلى زوجها تم تبين أنها طلاقات المدفعية الإحدى والعشرون التي يتم إطلاقها للترحيب. تم تقول إنها لا تُصدق ما تشاهده على شاشة التلفزيون وكيف أن زوجها يصافح مستقبليه أعداء الأمس أمثال موشي دايان وغولدا مائير ومردخاي غور وأرييل شارون» ذلك الجنرال المفزع الذي كسر دفاعاتنا في حرب 1973 وقاد القوات الإسرائيلية عبر قناة السويس...». وتقول إن زوجها قال لها بعدما عاد إنه مازح شارون بقوله «كنت على وشك سد الثغرة التي أحدثتها في خطوطنا تماماً لكنني لم أستطع الإمساك بك...» وأنه قال لغولدا مائير مازحاً «أنت معروفة جداً في بلدنا مسز مائير. مُعرّفة كأقوى رجل في إسرائيل...». وتشير إلى أن إبنيتها نهى وضعت

طفلة يوم قام الرئيس السادات بزيارته إلى إسرائيل وإعتبرت السيدة جيهان أن قدوم هذه الطفلة هو بشير سلام، وإنها اتصلت بالرئيس أنور في فندق الملك داود وقالت له «أصبح لنا حفيدة... إن بشرتها خمرية وليست جميلة.. إنها شبيهك» ورد عليها «إذا كانت داكنة مثلي فلا بد أن تكون حسنة المظهر حقاً».

ثم تروي جيهان إنطباعاتها عن صلاة زوجها في المسجد الأقصى وتشير إلى أنه بعد عودته قال لها «لم أستطع أن أُصدّق أنني كنت بالفعل أقف في المسجد الأقصى وسط المصلين». وتنتقل بعد ذلك إلى الخطاب الذي ألقاه في الكنيسة وأعلن فيه «أنتيُ إليكم اليوم وأنا أقف على أرض صلبة لتشكيل حياة جديدة ولإرساء السلام. إننا جميعاً نحب هذه الأرض، أرض الله. كلنا مسلمين ومسيحيين نعبد الله. وتعاليم الله ووصاياه هي الحب والإخلاص والأمن والسلام». وتقول: «لقد أدهشني كم كان يبدو وسيماً في بدلته السوداء يقف منتصباً شجاعاً أمام البرلمان الإسرائيلي. وقلت لشريف (حفيدهما الأول) وهو يتلوى في حجري: أنظر إلى جدك وكن مثله...».

وتكرر جيهان في ذكرياتها في أكثر من صفحة إنبهارها ببعض فقرات وعبارات وردت في خطاب زوجها في الكنيسة ومنها قوله للإسرائيليين «إعتدنا أن نرفضكم ولدنيا أسباننا ومخاوفنا. اليوم فقط أقول لكم وأعلنها إلى كل العالم إننا نقبل العيش معكم في سلام دائم يقوم على العدل. لا نريد أن نحيط أنفسنا أو نحيطكم بصواريخ مدمرة جاهزة للإطلاق ولا بقذائف الأحقاد والضغائن» وقوله أيضاً «دعوني أبلغكم دون أدنى تردد أنني لم أحضر إليكم تحت هذا السقف لأطلب أن تتسحب قواتكم من الأراضي المحتلة. فالإنسحاب الكامل من الأراضي المحتلة بعد 1967 حقيقة منطقية لا خلاف عليها، ويجب ألا يتوسل أحد لذلك.. فليس هناك سلام يمكن أن يقوم على إحتلال أرض الآخرين وإلا سيكون سلاماً غير جاد...».

وبالكثير من التأثير تتحدث السيدة جيهان عن عودة زوجها الرئيس من الزيارة التاريخية والترحيب الشعبي من جانب المصريين بما فعله. كذلك تتحدث بتأثر من نوع آخر عن موقف ليبيا وسوريا والفلسطينيين والعبارات التي قيلت في وسائل إعلامهم بحق زوجها وكيف إعتبره البعض «خائناً» مع أنه يفعل ذلك من أجل سلام الجميع.

لها أن الشاه والشاهبانو أجبرا بنصيحة أميركية على مغادرة البلاد عسى تتمكن حكومة جديدة من تهدئة الأوضاع.

السادات عرّض على الشاه الإقامة

في قصر القبة... مقر عبد الناصر

تروي السيدة جيهان السادات قصة المجيء الأخير للشاه وعائلته إلى مصر فتقول إن الولايات المتحدة رفضت أن تتولى طائرة الرئاسة نقل الشاه وأن تقوم بدلاً من ذلك بالمهمة شركة طيران جوية تجارية، كما أنها ضغطت على الرئيس السادات كي لا يستقبل الشاه وأن السفير الأميركي في القاهرة قال في رسالة إلى الرئيس السادات «إن اميركا ترجو وتتصور أن إستقبالك للشاه من الممكن أن يؤدي إلى تقويض أمنك الخاص». ولكن _ على نحو ما تروي جيهان _ إن زوجها رفض النصيحة.

وتضيف: «وُصِدمْتُ عندما رافقني أنور إلى المطار لإستقبال الشاه والشهبانو. فقد كان الشاه ينزل درجات سُلّم الطائرة بصعوبة، وكان نحيفاً لدرجة أن حلتة كانت فضفاضة عليه للغاية وكأنها ضعف مقاسها الطبيعي. وكان وجهه يعتليه شحوب الموت. وإذا كان هناك أي إنسان في حاجة إلى أصدقاء، فقد كان الشاه. وعندما نظرتُ إليه تألمتُ بسبب قسوة الأميركيين. ولكن شكرتُ الله على أن زوجي لديه الشجاعة ليعامل الشاه بإنسانية ويرحب به بنفسه في مصر».

وتقول إن الرئيس السادات عرض على الشاه أن يقيم هو وعائلته في «قصر القبة» الذي كان مقر الرئيس عبد الناصر، وأن عملية جراحية أُجريت له على أيدي جراحين أميركيين ومصريين يقودهم الجراح الأميركي اللبناني الأصل مايكل دبغي، بينما حدثت تظاهرات قادها بعض المعجبين بآية الله الخميني داخل الجامعات تهتف بسقوط الرئيس السادات وتطالب «برحيل الشاه السكير والدكتاتور والزاني». وتشير إلى أن زوجها الرئيس شرح في كلمة بثها التلفزيون الأسباب التي أوجبت إستضافة الشاه كما أن مجلس الشعب وافق بأغلبية 384 صوتاً مقابل 8 أصوات على قرار الرئيس. وتشير أيضاً إلى أعمال الشغب التي حدثت في بعض مناطق الصعيد إستتكاراً لقرار الرئيس السادات وقادها أصوليون إسلاميون تعرضوا لأقباط وقتلوا عدداً منهم، وإلى إجراءات الأمن التي إتخذت في الجامعة الأميركية في القاهرة حيث كان نجل الشاه وولي العهد رضا يدرس فيها. وإتسع نطاق

وتقطع جيهان الحديث في ذكرياتها عن مباحكات ما بعد زيارة القدس وما سبق إتفاقية كامب ديفيد لتروي في بضع صفحات كيف تصرفت هي وزوجها مع وحيدهما جمال الذي إعترف بحبه لفتاة ويريد أن يتزوجها وكيف أنهما (الرئيس وجيهان) طلبا يد الفتاة. ثم كيف رقص زوجها رقصة الدبكة في حفلة زواج إبنهما. لكنها وهي في معرض إشارتها إلى هذه المحطات الإنسانية العفوية في حياتها كأم سياتزوج إبنها البكر وكزوجة لرئيس عائد من زيارة تاريخية، تسجل ألمها لمواقف سياسية عربية ما زالت تتوالى ضد زوجها «مع أن الناس في مصر وأوروبا ينظرون إلى زوجي على أنه ملاك أو قديس وشهيد كان مستعداً للتضحية لإنهاء سنوات الصراع بين اليهود والمسلمين في الشرق الأوسط...». ونلاحظ بين سطور ما كتبته أن الألم الأكبر كان من موقف العقيد معمر القذافي ومن الهجوم الذي تشنه الصحافة الليبية. وفي سياق الحديث عن الموقف الليبي تذكر أن السيدة منى عبد الناصر (زوجة رجل الأعمال أشرف مروان) إتصلت بها هاتفياً صيف 1978 وقالت لها إنها عائدة للتو من زيارة إلى ليبيا ويجب أن تقابلها لإبلاغها رسالة من العقيد القذافي.

ولم تتمكن من إستقبال منى لأنها كانت على أهبة مرافقة زوجها في زيارة إلى السودان، إلا أنها بعد عودتها إنلتت بها وأبلغتها منى أن فحوى الرسالة هو «أن استخدم مكانتي لدى أنور لجعله يتخلى عن إتفاقية كامب ديفيد، أما إذا رفضتُ فإن القذافي سيكون مضطراً لقتله...». وتضيف أنها قالت لمنى التي بدا عليها القلق: «قولي للقذافي إنه يعرف تماماً أنني كزوجة لا أ تدخل في أي قرار سياسي أو رسمي للرئيس. أما بالنسبة لتهديده بقتل السادات أبلغيه إن الله وحده هو الذي يتحكم في حياة الانسان». وتضيف إنها لم تتلق رداً وبدلاً من ذلك كثفت الصحافة الليبية هجماتها وصارت تكتب «إن جيهان السادات تريد أن تحكم مصر وإن زوجها يفعل أي شيء تقوله مطيعاً لها...».

كذلك إنها على رغم كل هذه الأجواء المضطربة الناشئة عن زيارة القدس تبدي قلقها على الإضطرابات التي بدأت تتزايد في إيران ضد حُكم الشاه وتشير إلى أنها إتصلت بصديقتها الشاهبانو مطلع عام 1979 تقترح عليها المجيء هي وزوجها الشاه إلى مصر لتمضية إجازة وأن الأمباطورة فرح قالت لها شاكرة إنهما لا ينوان الإجازة حالياً. ثم تبين

الإضطرابات وكثرت الإشاعات. وفي هذه الأجواء وبينما الشاه في مصر وافق الرئيس السادات على أن تستخدم الولايات المتحدة القاعدة الجوية المصرية في «قنا» كقاعدة إنطلاق للمحاولة التي جرت في أبريل 1980 لإنقاذ الرهائن الأميركيين في إيران وهي عملية إنتهت بالفشل الذريع حيث أن طائرات الهليكوبتر الثلاث التي تم إرسالها للقيام بالمهمة تحطمت ولقي طواقمها حتفهم نتيجة عاصفة رملية لم يستطيعوا التغلب عليها. وتشير إلى أن هذه الحادثة التي تصفها بأنها كارثة شجعت أنصار الخميني في مصر على مواصلة تحدي حُكم الرئيس السادات. وتقول إنها كانت تشارك في مؤتمر نسائي نظمته الأمم المتحدة في كوبنهاغن في يونيو 1980 عندما إتصل بها الرئيس من القاهرة ليبلغها أن الشاه مريض مرة أخرى. وعندما عادت توجهت مع الأمباطورة فرح لزيارته ووجدت أن أجله قد إقترَب. وهي تصف حالته عندما زارته على النحو الآتي: «كان أكثر نحافة وأكثر شحوباً في ذلك الوقت عما رأيته في أي وقت من قبل. كان يتنفس بصعوبة بالغة ومع ذلك لم يكن هناك ما يثير الشفقة عليه ولم يكن ضعيفاً مطلقاً. على العكس، كان من الممكن أن يقال عن الطريقة التي يستند بها إلى الوسائد فوق سريره أنه لا يزال مقاتلاً. وأكد الأطباء إنه يعاني من آلام حادة بسبب السرطان، ولكن لم يكن الشاه يشكو على الإطلاق. إن الله بالتأكيد يحب هذا الرجل ليعطيه صبراً يساعده على تحمّل المصاعب بقوة. هكذا أيقنْتُ عندما كنت أقف بجواره في غرفة العناية المركزة. وقلت له: قريباً ستكون أفضل وسوف نقضي معاً وقتاً طيباً في الإسكندرية. وكنت أنظر الدموع في عيون فرح وأقول لها: كوني شجاعة ولا تُظهري مشاعرك أمامه، إنه ذكي جداً وسوف يفهم».

ثم توفي الشاه يوم 26 يوليو 1980، أي بعد يومين من زيارتها له. ومثلما أن الرئيس السادات إستقبله رسمياً فإنه أمر تشييعه رسمياً. وتحدث عن الجنازة فتقول إن زوجها أشرف بنفسه على إعداد كل شيء حتى أصغر التفاصيل. وتضيف: «تقدّم الموكب الجنائزي آلاف الطلاب من أكاديميتنا العسكرية وكانوا جميعاً يرتدون زياً أبيض وأصفر وأسود تبعاً لرتبتهم. وفي أعقابهم سار جنود يحملون أكاليل الزهور وبعدهم سار جنود يمتطون ظهور جيادهم ثم جاء بعدهم فريق من الأشخاص يحملون نياشين الشاه العسكرية على وسائد سوداء مخملية،

ويسيرون أمام النعش الذي تمت تغطيته بالعلم الإيراني، وكانت تجره ثمانية خيول عربية على عربة عسكرية وجئنا نحن في الخلف. وبناء على تعليمات أنور كنت أسير مع فرح وكانت تلك المرة الأولى والوحيدة على الإطلاق التي سرت فيها في موكب جنائزي. وقال لي أنور: «إفعلي أي شيء تفعله فرح. يجب أن نساعدنا على تجاوز اليوم الحزين العصيب». وبين الذين شاركوا في الجنازة إضافة إلى كبار المسؤولين المصريين والوزراء، الرئيس الأمريكي السابق نيكسون وملك اليونان السابق قسطنطين وممثلون للولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا وإسرائيل.

وتنتهي جبهان في حديثها عن الجنازة التي إنطلقت من قصر عابدين مقر رئاسة الجمهورية، إلى القول: «كانت الجنازة تتزين بزهور أكثر مما يتخيل أي شخص. لقد كانت أعظم جنازة مهيبة شاهدها أي واحد منا في مصر كما كانت الفرصة الأخيرة ولنظهر للعالم ان الشاه يستحق أكثر من الطريقة التي كان يعامل بها». وتجدر الإشارة إلى أن الاقدار سارت في إتجاه أن الشاه الإبن دُفن في مسجد الرفاعي في القاهرة أي في المكان نفسه الذي دفن فيه الشاه الوالد قبل أن يستعيد الإبن رفاته إلى إيران.

بعد ذلك تقرّد جبهان صفحات للإضطرابات التي وقعت في مناطق كثيرة من مصر والتي كادت تحدث نتيجة لها فتنة طائفية تقود إلى حرب أهلية. وتتوقف عند الأزمة العميقة التي نشأت بين الرئيس والبابا شنودة والتي ظهرت آثارها في الصحافة الأميركية وكان أكثر ما ضايق الرئيس السادات هو أن صحيفة «واشنطن بوست» نشرت في اليوم الثاني من زيارة قام بها الرئيس السادات وزوجته إلى الولايات المتحدة بدعوة من الرئيس رونالد ريغان في أغسطس 1980 إعلاناً على نصف صفحة يحمل توقيع «إتحادات الأقباط في كندا وأميركا» ويتضمن عبارات من نوع «الرجال الأقباط يُحرقون أحياء، والمسيحيون أجبروا على التخلي عن ديانة أسلافهم» وأموراً أخرى من هذا القبيل.

وتقول السيدة جيهان ان الغضب تملك الرئيس لكنه تمالك اعصابه وهو يجتمع بالرئيس ريغان. وبعدها عاد إلى مصر جرت عملية إعتقالات شملت عدداً من السياسيين والكتاب ورجال الدين، كما تم سحب السلطات من البابا شنودة وتعيين مجلس يدير شؤون الطائفة، ونفاه الرئيس إلى دير وادي النطرون في الصحراء.

ومن الواضح أن الرئيس السادات شعر أن الذين إعتقلهم يتحدون إرادته ومجده الذي تحقّق في حرب أكتوبر فزاده ذلك إصراراً على إتخاذ المزيد من إجراءات التشدد. وفي هذه الأثناء ودّع الرئيس السادات والسيدة جيهان وحيدهما جمال الذي غادر في رحلة الى كاليفورنيا.

وتقول جيهان إن ابنهما جمال غادر يوم 3 أكتوبر القاهرة، وأنه روى بعد ذلك لها إن والده قال له: خذ بالك من والدتك، وأنه للمرة الأولى يقول هذه العبارة حيث أنه في الماضي كان يكتفي بالقول له: خذ بالك من شقيقاتك. وتضيف إن بقية أفراد العائلة كباراً وصغاراً كانوا يستعدون لمشاركة الرئيس الذكرى الثامنة لإنتصار 6 أكتوبر، وأن الرئيس كان في غاية السعادة يوم 5 أكتوبر وهو في حديقة المنزل ومن حوله الطفلة ياسمين إبنة جمال التي تبلغ من العمر عامين ونصف العام تدور حوله «أما أنا فإنني قضيتُ الصباح أعمل في رسالة الدكتوراه، وأعددتُ له بدلته التي سيرتديها وكويتُ له وشاحه الكبير وأرسلتُ حذاءه (البوت) لتلميحه». وكل ذلك إستعداداً لليوم التالي الذي تحوّل إلى كارثة.

أيام النهاية كما تصفها جيهان السادات

كأنما مجيء الشاه إلى مصر وإصرار الرئيس أنور السادات على معاملته وكأنه ما زال أمبراطور إيران ووفاة الرجل في مصر، كان نذير شؤم للرئيس الذي كان يحلم بمزيد من السنوات في الحُكم، خصوصاً أنه كان لا يشكو من أي متاعب صحية وينام جيداً ولا يترك للأزمات أن تعكر صفوه.

وقبل أن تصف وقائع يوم الكارثة عند إغتيال زوجها الرئيس يوم السادس من أكتوبر 1981 تتحدث جيهان عن مشاكسات الجماعات الإسلامية لها وكيف أن _ على حد قولها _ حائطاً من البشر إعترض طريقها ذات يوم وهي في طريقها إلى جامعة القاهرة وأن الطلاب الأصوليين إرتأوا تأدية صلاة الظهر في العاشرة صباحاً وليس في الثانية عشرة وفي فناء الجامعة الذي هو الطريق إلى قاعة المحاضرات وليس في مسجد الجامعة. وتضيف أن وصولها إستغرق ساعتين مع أنها زوجة رئيس الجمهورية وليست طالبة عادية تواظب على المحاضرات لنيل شهادة الماجستير. وتشير إلى تنامي الجماعات الإسلامية في أوساط المجتمع المصري وإلى الخطب التي كان يلقيها بعض أئمة المساجد وتدور حول

تحريم السلام مع إسرائيل وإعتبار الأقباط أعداء للمسلمين. كذلك تشير إلى ظاهرة إنتشار الحجاب بين فتيات الجامعة وكيف أن بعض طالباتها (وهنا بدأت جيهان التدريس في الجامعة) كن يرتدين النقاب وجوارب سمكية وقفازات حتى في أيام الصيف الحارة وأنها كانت تشعر بوجع في قلبها وهي ترى هذا المنظر. وتقول إن طالبات من الجماعات الإسلامية سألنها: ألا ينبغي وأنتِ حرّم الرئيس المصري ونموذج للمرأة المصرية أن ترتدي الزي الشرعي؟ وتضيف إنها كانت ترد قائلة: «إنني دائماً أرتدي ملابس محافظة ومحترمة وذات أكمّام طويلة. ولكن الأكثر أهمية من الملابس هو أعمالكم. فعندما يجيء يوم من حساب الله لنا، فإنه لن يُدخلكم الجنة، فقط لأن الثياب التي ترتديونها أطول..».

ثم تشير إلى أنها خلال خريف 1979 حذّرت زوجها الرئيس مراراً من الجماعات الإسلامية. وتضيف في هذا الشأن القول: «رغم أن زوجي كان له مستشارون ويطلّعون على تقارير المخابرات إلا أنني كنتُ أكثر قرباً وإختلاطاً بالناس. وعلى عكس بعض المستشارين فإنني لم أكن أخاف من تمرير خبر غير مفضل أو غير مرغوب..» وتقول إن الرئيس السادات وجه في ضوء تحذيراتها له خطاباً طالب فيه المتشددين بالبقاء بعيداً عن السياسة، وفي الوقت نفسه حاول تحسين أوضاع طلاب الجامعات وتحسين ظروف الخريجين الذين يشغلون وظائف في الجهاز الحكومي.

وتتوقف في معرض حديثها عن موقف الجماعات الإسلامية من السلام مع إسرائيل عند مقال نشرته مجلة «الدعوة» الناطقة بإسم الجماعات في سبتمبر 1979 وتضمّن نصائح حول كيفية التعامل مع الإسرائيليين في أعقاب تطبيع العلاقات الذي كان مقرراً أن يبدأ في فبراير 1980. وتقول إن المجلة نصحت قراءها بالآتي: «إشتر المنتجات المصرية حتى ولو كانت اسوأ من تلك التي ينتجها اليهود». و«لا تعمل مطلقاً لليهودي حتى ولو منحك راتباً مضاعفاً». و«لا تضع نقودك في بنوك غير إسلامية». أما منشورات الجماعات الإسلامية فكانت تتضمن عبارات من نوع «إن الاقباط في مصر يجب ألا يكون لهم صوت في سياسات مصر» و«إن المسيحيين مواطنون في مؤامرة مع الأمبريالية في الخارج».

ثم تتحدث عن القمة العربية في بغداد (مارس 1979) التي قررت إسقاط عضوية مصر وفرض عقوبات

اقتصادية ونُقل مقر الجامعة من مصر. وتشير بعد ذلك إلى حملة تناولتها شخصياً ودارت حول ملكيتها لسيارات ليموزين فضلاً عن وضع اليد على مساعدات مالية وأراض وكلها إتهامات تقول إنه ثبت بُطلانها.

وتتحدث بعد ذلك عن إستياء المعارضين في مصر لأنها إستضافت الممثلة اليزابيث تايلور وسعت لدى زوجها الرئيس المنهمك بمشاغل في الإسماعيلية لكي يستقبلها أيضاً. ثم تعدد بعض الوقائع التي تعكس إستعدادها للإنتفاخ على إسرائيل وقبول مساعدات إجتماعية من يهود الولايات المتحدة، وحملة بعض المعارضين في مصر عليها.

وبعد أن تشير إلى تزايد الإضطرابات ذات الطابع الطائفي في مصر والغضب الذي شعر به زوجها الرئيس خلال زيارته إلى واشنطن وإجتماعه بالرئيس ريغان من إعلان قبطني من نصف صفحة في صحيفة «واشنطن بوست» حول ما يقاسيه _ على حد قول الإعلان _ الأقباط في مصر وكيف «إن الرجال الأقباط يُحرقون أحياء».. بعد ذلك تُجدد جيهان الحديث عن الإجراءات التي إتخذها زوجها ومن بينها إعتقال 1500 شخص بينهم بعض رجال الدين المسلمين والمسيحيين وبعض السياسيين والكتاب، وإبعاد البابا شنودة إلى دير وادي النطرون في الصحراء الغربية، وتعطيل صحيفتين قبظيتين، وتقليص نفوذ العناصر النشطة وسط الطلاب المنتمية إلى الجماعات الإسلامية وحظر إرتداء الجلباب والنقاب داخل الجامعات. وتقول إن الصحف الأميركية والأوروبية واصلت وصف زوجها بسبب ما إتخذته من إجراءات بأنه ديكتاتور وأن ذلك آلمه جداً وإنها كانت تهدئ من روعه وتقول له بأنه على حق في ما إتخذته من إجراءات.

وتضيف إنه طلب منها أن تأخذ حذرهما وتحاول الحد من أنشطتهما، وإنها بدورها كانت تقترح عليه أن يستقل سيارة مغلقة ويرتدي بدلة واقية من الرصاص عندما يقوم بزيارات داخلية.

لكن الرئيس السادات بدأ وسط هذه الأجواء يتحدث بلغة من باتت نهايته قريبة. فهي تنقل عنه قوله لها في بداية أكتوبر وخلال تجوالهما معاً أي قبل خمسة أيام من الإغتيال «إن الله منحني أكثر مما كنت أحلم به. فلقد إنتصرنا في الحرب وإنتصرنا في السلام. لقد وضعتُ أسس الديمقراطية في مصر ووضعتُ مبادئ الرخاء الإقتصادي

فماذا يريد إنسان أكثر من ذلك؟ إنني اشعر أن حياتي بفضل الله أدت دورها...». وتقول إنه بدأ يتحدث عن مكان الدفن ورغبته في أن يُدفن عند جبل سيناء.

ويوم السادس من أكتوبر 1981 كانت الكارثة حيث جرت عملية الإغتيال. وتروي أن زوجها الرئيس لم يأخذ معه عندما توجّه للمشاركة في العرض العسكري عصا المارشالية وأنها كانت قررت ألا تحضر هذا العرض وتبقى في المنزل تتابعه عبر التلفزيون وإنها خيراً فعلت لأنها كانت بعد الذي جرى لزوجها ستندم إلى آخر العمر على عدم ذهابها. وبعد أن تصف الدقائق التي كانت تحلق فيها الطائرات في سماء العرض وتقوم بحركات اكروباتية تصف اللحظة التي خرجت فيها مركبة عسكرية فجأة من بين صفوف مركبات المدفعية وتوقفت أمام المنصة وجرى ثلاثة من العسكريين تجاه المنصة وأطلقوا النار من رشاشاتهم على الرئيس السادات. وتصف اللحظات المريعة بعد ذلك وكيف إنتقلت إلى المستشفى ثم كيف أنها بعدما تبلفت من الطبيب الجراح أن زوجها فارق الحياة طلبت تشريح الجثة لأن الشكوك ساورتها في شأن الرصاصات. وتضيف إن التهاون والإهمال هما سبب قتل زوجها. ثم تذكر إنها قالت لنائب رئيس الجمهورية حسني مبارك «السيد الرئيس، لقد ذهب أنور السادات والآن أنت الذي يجب أن يقودنا...».

وتقول إنها بعد سنة من وفاة زوجها سافرت إلى الخارج للمرة الأولى وإنها لن تتزوج مرة أخرى ولن تفكر في تغيير إسمها (على نحو ما فعلت جاكلين كينيدي التي تزوجت بعد إغتيال زوجها الرئيس جون كينيدي من الملياردير اليوناني أوناسيس). وتقول أيضاً إنها جمعت أوراقه وتنتطلع إلى أن يتم إنشاء متحف بإسمه يضم من جملة ما يضم ثيابه التي كان يرتديها يوم إغتياله والمضرجة بالدم والتي ما زالت تحتفظ بها في دولا. وتضيف أن السنوات الثلاث التي أعقبت إغتيال زوجها كانت صعبة وحافلة بالضيق والقلق المتزايد رغم أن الحكومة المصرية قررت لها معاشاً وتابعت تدريس الأدب العربي في جامعة القاهرة، إلى أن إستقر بها المقام في الولايات المتحدة حيث تلقى محاضرات في جامعة ساوث كارولينا.

وفي غربتها تشاهد مسرحيات مصرية مسجلة على أشرطة فيديو وتستمع وهي في السيارة إلى تسجيلات السيدة أم كلثوم. وهي للمناسبة لا تشير من قريب أو بعيد إلى واقعة أزمة شديدة وقعت بينها وبين المطربة الراحلة. وتقول

إحدى الروايات إن سبب الأزمة أن أم كلثوم نادت الرئيس السادات مرة تحبباً (أبو الأنوار) وأن السيدة جيهان إمتعصت وطلبت منها مخاطبته «سيادة الرئيس». وحدث ذلك يوم كانت جيهان السادات أول سيدة أولى في مصر تمارس الدور كما لاحظنا من خلال ما بين سطور ذكرياتها التي لخصناها.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 19 يوليو (تموز) 2021

بوتين.. ومأزقه السوداني

ما حدث بين مصر السادات وكرملين الترويكيا بريجنيف، كوسيغين. بودغورني، على أهبة إكمال حدوثه بين كرملين بوتين وحُكم الشراكة المدنية _ العسكرية في السودان. في الحالتين الجامع المشترك للمسببات يكمن في الموقف الأميركي.

عندما لم تقرأ الإدارة الأميركية ما أراده عبدالناصر منها في بدايات حكمه فكان الحل التوجه شرقاً سلاحاً وتصنيعاً وتسهيلات لم يحلم بها الإتحاد السوفياتي منذ قيامه، فإن الإدارة الأميركية لم تشد على يد الرئيس عمر البشير الممدودة حاملة ورقة إخراج "سودانه" من العقوبات الجائرة المفروضة عليه وأنها إذا فعلت ذلك فستجد من نظامه ما تطيب له نفس العم سام الأمارة بالاحتواء وضم الدول ذات البعد الإستراتيجي في العالم إلى "الأجنحة الأميركية". وكانت هنالك ورقة بين يدي البشير تُسيل لعاب أي دولة عظمى وبالذات أميركا وهي ورقة الوجود الصيني المستقر نسبياً في السودان والذي حصر نفسه منذ أن شق طريقه إلى الدولة البوصلة بين العالم العربي والعالم الأفريقي، بإهتمامات لا تثير الحساسيات تجمع بين التنقيب عن النفط والاستثمار فيه وبين الطب الصيني بكل أنواع الوخز بالإبرة وتنظيف الرئة ووجع الغضروف والمعدة بالعشبيات وتخليص الأبدان من الآلام بوصفة الكؤوس يتم إلصاقها على نقاط في الأبدان وإخراج نقاط من الدم الفاسد من أمكنة الألم في هذه الأبدان. ولأن إستراتيجية على هذه البساطة مقرونة بتواضع الصيني وعنفوانه صفتان لدى السوداني أيضاً فإن القبول به كان عفواً ومن دون تسجيل وقوع حوادث صادمة من جانب الصينيين في السودان،

فضلاً عن أن الصين نأت عن دور عسكري لها مكتفية بالجانب الصحي والثقافي والتقني لدورها الذي شمل من جملة الإنجازات تدريب فنية وفتيات يمارسون رياضة الأكروبات ببراهة مدهشة.

الرئيس بوتين الذي راق له المقام البحري في الأبيض المتوسط وبات له وجود دائم عائم في اللاذقية وطرطوس يتطلع كما سابقه وتحديداً كرملين بريجنيف إلى وجود مماثل في البحر الأحمر. وإغتم نفور الإدارة الأميركية من نظام البشير والإصرار على إبقائه في دائرة الحصار والعقوبات والتلويح الدائم بالمحكمة الدولية، ودخل على خط تبادل المغريات مع البشير. وكان أكثر من اجتماع بينهما تولى تسويقه الرئيس بشار الأسد. ثم بدأت تتوالى التسيريات فالتصريحات عن أن إتفاقاً تم مع نظام البشير على إجراءات دخول السفن الحربية الروسية والسودانية إلى موانئ البلدين. أين هي السفن الحربية السودانية؟ كان ذكرها لإعطاء الاتفاق صفة محترمة. ثم تلا ذلك تصريح رسمي يفيد ان رئيس وزراء روسيا ديمتري ميدفيدف وافق يوم الأربعاء 9 يناير/ كانون الثاني 2019 على مشروع إتفاقية في هذا الشأن.

إتفاق إستراتيجي فيما نظام البشير يزداد تشقّقاً وبحيث بات واضحاً بعد الإنسجام الذي تحقق بين قيادات فاعلة في المعارضة المدنية وأطراف في المؤسسة العسكرية، أن النظام على طريق الإنصراف، كان مدعاة للإستغراب. لكن الخطة الروسية بقيت متمسكة بما تم الإتفاق في شأنه.

ما لبث أن حدث إنقضاض أميركي تشويقي على الحراك السوداني وتطور بحيث كان أحد شروط إعادة الإدارة الأميركية في موقفها من السودان كدولة وبصرف النظر عما إنتهى إليه نظام البشير أن يعيد الحُكم التشاركي النظر في كثير من النقاط العالقة، أي بمعنى آخر يتخذ خطوات متدرجة كتلك التي خطاها السادات قبل خمسين سنة مع السوفيات عندما ألغى المعاهدة وأنهى مهمة الخبراء والمستشارين السوفيات واضعاً الكرملين في أصعب أيامه. بل يجوز القول إن الفعل الساداتي كان أحد صدمات وأسباب كثيرة أدت إلى سقوط نظام ما كان ليتصور أحد أنه قابل للزوال.

إختار السودان أن يكون نجمة أفريقية _ عربية في السماء الأميركية الرحبة. فقد أراح التأثير الأميركي أثقال الديون عن كاهله ورفعت واشنطن الغطاء عن حركات معارضة الأمر الذي جعل النظام أكثر إستقراراً. وهو من

جانبه تجاوب مع خيار التطبيع مع إسرائيل والتعاون بالترج في مجالات عدة.

لكن ماذا سيفعل مع روسيا؟ في زمن الترويك إبتلع بريجنيف ورفيقاه الصدمة بكل ما فيها من مرارة ورفض حتى أن يصار إلى إصدار إعلان مشترك من جانب بريجنيف والسادات أو من يمثلهما بفض الشراكة وإلغاء المعاهدة، وأن تعلن مصر الساداتية هي وحدها ما إرتأت إتخاذ، وذلك من منطلق أن كرامة الإتحاد السوفياتي لا تسمح بإلغاء معاهدة جاء في مادتها الأولى "يعلن الطرفان المتعاقدان الساميان رسمياً أنه ستبقى دوماً صداقة لا تنفصم عراها بين كلا البلدين والشعبين...".

في زمن كرملين بوتين من الواضح أن القيصرية البوتينية لا تتحمل خذلاناً سودانياً له ومن أجل ذلك نراه مصرراً على إعتبار الاتفاق مع السودان في شأن القاعدة البحرية ملزماً، أي بما معناه لا تلغيه بداية إبرام الاتفاق حيث تمت في عهد نظام سقط وسقوطه لا يعود للنظام الوارث الإلتزام بما تم إتخاذ، ثم إن الكرملين يرى أنه ما دام تم توقيع الاتفاق يوم 23 يوليو 2019 من قبل "مسؤول مكلف للمجلس العسكري الإنقلابي" فإن الإلتزام به واجب كون نظام البشير كان سقط.

في الماضي قيل للسوفيات من جانب مستشارين في رحاب الرئيس السادات إن المعاهدة عُقدت بين "الجمهورية العربية المتحدة" و"إتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية". أما وقد باتت التسمية "جمهورية مصر العربية" فإن ذلك يجيز التخلص من المعاهدة، وجاء الرد من السوفيات بما معناه "ولكن الذي وضع توقيعه ما زال هو ويتأثر مصر". لم تأخذ المجادلة مداها. إرتضى الكرملين على مضض ولم يعد على إشغاله بال مصر. في إنتظار أن يحذو كرملين بوتين حذو السلف الذي لو حكم بما يرضي الناس ويريح الضمير لما كان توارى. والله المعين والحكم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 21 يوليو (تموز) 2021

العراق الأميركي.. وأميركا العراقية

أن يزور رئيس العراق واشنطن للتحادث مع رئيس الولايات المتحدة وكبار المسؤولين في الإدارة الأميركية وفي

وزارة الدفاع ووكالة المخابرات ، فهذا حدث في حد ذاته، ذلك أنه على مدى نصف قرن سبق قيام الجمهورية في العراق، لم يحدث أن قام مسؤول كبير بزيارة واشنطن وزيارة بالمثل للعراق من مسؤول أميركي ذي شأن، ثم سجّل الملك فيصل الثاني في تاريخ العلاقة بين الدولتين على المستوى الرسمي ما يجوز إعتباره قص شريط العلاقة العراقية _ الأميركية، وبحيث لا يستمر العراق في نظر دول الشرق والغرب إحدى نجمات الفضاء البريطاني الأكثر نفوذاً في زمن الثلاثينات والأربعينات.

ومع أن الزيارة إكتسبت المظهر السياحي أكثر من السياسي إلا أن مستواها الملكي أسبغ عليها أهمية نوعية، فضلاً عن إنطباع بأن المحيطين بالملك الفتى فيصل الثاني وتحديداً خاله عبد الإله، وبعض حلقات الإستشارة في الديوان الملكي كانوا في صدد تقليب الأمور والقراءة في أوجه مستقبل المنطقة على خلفية الحربين الأولى والثانية التي أظهر راسمو الخرائط حذاقة في تحديد خطوط وفي رسم مناطق صراع بغرض ترسيخ النفوذ على بطاح الخليج. المهم أن فيصل الثاني الذي قضى لاحقاً شهيداً في مهرجان الجنون الإنقلابي الثوري الدموي، أمضى بضعة أيام سياحية في عدد من المدن الأميركية وعاد باهراً الذين أحاطوا به من أبناء العم سام، كما أنه عاد هو الآخر مبهوراً بالكثير من الجديد الذي إكتشفه خلال الزيارة التي دامت أربعين يوماً في المجالين الثقافي والعلمي وفي الرياضة والتطور العمراني. والحديث حول هذا الإنبهار لم يتوقف في رحلة العودة على متن السفينة نفسها التي أبحرت به وبمرافقيه من بلاد الرافدين إلى ديار العم سام التي كان يجسدها زمنداك الرئيس هنري ترومان المعترف الثاني بعد الكرملين بدولة إسرائيل.

يمع الزعيم عبدالكريم قاسم الذي قاد الإنقلاب العسكري ضد النظام الملكي وأمعن تصفية عشوائية برجال ونساء في القصر وفي دواوين أهل الحُكم والأحزاب، وجه إنقلابه الدموي شطر الكرملين. وخطوة تلي خطوة إتسع هامش العنف في العراق ثم بعدما إختلط الحابل الناصري بالنابل البعثي كثر قطاف الرؤوس لمجرد أن تينع، وعلى خلفية هذا القطاف صُنّف الحكام الثوريون الولايات المتحدة على أنها عدوة، وتتنوعت مفردات التنظير في شأن هذه العدوة، ووصلت إلى حد القطيعة الدبلوماسية المطرزة بعبارات إنفعالية.

في ظل إعادة نظر في الجفاف الذي جعل العراق لا

يجني مكسباً من تحدي أميركا ويواصل القطيعة معها، قرر النظام الصّدّامي فتح ثغرة في جدار العداوة غير المبررة وبعثت الإدارة الأميركية برسائل يرحب الموفدون، وهم إما رجال أعمال ومدراء مصارف وإما أعضاء في الكونغرس، بالرغبة العراقية للكتابة في صفحة جديدة.

هذا التوجه كان مقدراً له أن يأخذ مداه لولا أن الرئيس صدام حسين إستعاد جنوحه الثوري وقرأ رد الفعل الأميركي على أن أميركا تحتاج إليه وتريد الملاك الخليجي الدائم في حلبة الصراع الذي لا يُحسم مع إيران، وأنه في هذه الحال رأى أن يدخل خيمة العم سام ممسكاً بالدولة الجارة الكويت وفي تصوره أن هذا الفعل سيلقى إستحسان أميركا التي ستري أنه سيحمي الكويت من طمع إيران بها، وبالتالي تتسامح في موضوع الغزوة التي قام بها وزادها إستهجناً عربياً ودولياً إعتبارها في مثل هذا الشهر قبل 31 عاماً "قرعاً أعيد إلى الأصل".

قراءة شخصية من جانبه أو من مستشارين له لا فرق. المهم أنها كانت قراءة خاطئة، أوجبت حرباً على العراق تجاوزت طبيعتها من حيث المشاركة الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية. وأوجدت هذه الحرب حالة مدعاة للإستغراب وهي أن أميركا وبريطانيا ساعدتا الأطراف المصنّفة معارضة التي تريد بهما شراً مستطيراً، ومن دون أن تأخذ هذه الأطراف في الإعتبار أنها لولا الدور الحربي الذي قادته الدولتان الكبريان أميركا وبريطانيا وبعض الدول الحليفة الأوروبية والعربية الإسلامية لما أمكن الذين ورثوا النظام الصّدّامي أن يكونوا حكاماً للعراق.

المعادلة الموضوعية هي أن يكون رموز الحُكم في عراق ما بعد إسقاط النظام الصّدّامي هم أفراد كتيبة الخط الأمامي التي تتمسك بأفضل العلاقة مع أميركا، وهذا مجرد رد جمائل. لكن هؤلاء إعتبروا الدور الأميركي _البريطاني كما لو هو واجب أو ضريبة، تم القيام به وإنتهى دفع الضريبة وعلى أصحاب الدور الرحيل كمحتلين.

القراءة للمرة الثانية خاطئة كما قراءة صدام حسين لعوائد غزوته. وإلى ذلك تناسى القوم أن بريمر كان الحاكم الذي محّص في الدستور والذي أصدر قرارات وأنشأ محاكم ورعى تنظيرات من جانب زعامات أمعن بريمر نفسه بقطفها لمجرد أن أئعت.

معادلة في منتهى الإستغراب للمرة الثانية وهي أن الذي لولا الفعل الأميركي _البريطاني بالنظام الصّدّامي لما كان لهؤلاء الذين ينشطون لمصلحة إيران وتحت ذريعة رفض

بقاء القوات الأميركية والبريطانية في العراق أن يتسيدوا. هذه القوات كانت صديقة عندما أسقطت لهم عراق صدام. وهذه القوات عليها الرحيل وكذلك عدم إبرام أي معاهدات تقيها، وأن البديل هو ميليشيات متنوعة الأسماء مرجعتها إيرانية.

الزائر الرسمي الأول إلى أميركا بعد الأول الملك فيصل الثاني مصحوباً بخاله عبد الإله، كان نوري المالكي (31 أكتوبر/ تشرين الأول 2013). حاول تسويق إحتضان أميركا الحزب الذي إحتل والحزب الذي ورث (أي أوباما بعد البوشين الأب ثم الابن) العراق الإيراني الذي يحقق للسياسة الأميركية مآرب لكن بعد خلو العراق من الوجود العسكري والتأثير السياسي والنفسي الذي يحققه هذا البقاء للقوات الأميركية. كانت ورقته أن تجربة أحمد الجلبي إنتهت خاسرة لإيران ولأميركا في وقت واحد فيما الورقة المالكية رابحة بإذن المرشد خامنئي.

العرض ساذج ومن الطبيعي أن ينظر ساكن البيت الأبيض وسائر مفاصل إدارته بجدية أكثر إلى الزائر الثالث إياد علاوي الذي ذهب بنية المقتنع بأفضل العلاقة مع أميركا ومن دون شروط. وعندما وقف متحدثاً في الكونغرس مسجلاً عبارات الشكر للدور الأميركي فإن السناتورات وقفوا مصففين طويلاً. إنزعاج الميليشيات في العراق من هذا التودد لا يهمه. يعرف سلفاً أن أي علاقة طيبة مع أميركا هي لمصلحة العراق وضد مشاريعهم الحرسية الخامنئية.

وُضع النقاط على الحروف وبنقة متناهية في النفس إزاء العلاقة مع أميركا جاءت من الزائر الرسمي الثالث مصطفى الكاظمي (الثلاثاء 27 يوليو/ تموز 2021) ربما لأن كيميائ رئاسة باين الأوبامية النكهة والذي عرف التركيبة العراقية جيداً بما هي عليه من خطوط تماس ومن مكائد ما زال بعضها مؤجل التنفيذ، تختلف عن كيميائ رئاسة ترمب وارث خصائص كيميائ التركيبة البوشية التي أخفقت في زرع شتلات تنمو وتزهر وتثمر لمصلحة أن تكون أميركا العراقية عند حُسْن ظن العراق الأميركي بالمنظور الكاظمي بعد العلّوي. العراق مع أميركا وأميركا في العراق رواية متعددة الفصول. الحديث حولها يتنوع. والله مع الصابرين... إنما إذا صبروا.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 1 أغسطس (آب) 2021

زمن السودان ذو البوابتين

بصرف النظر عما إذا كان هذا الإهتمام من جانب أهل الحُكم في السودان بالأزمة الداخلية التي تعصف بأقرانهم في أثيوبيا، هو الإهتمام الذي ينطبق عليه القول بما معناه إن الجار للجار ولو جار، أو أنه أخذ بالقول الرسولي "خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره"، فإنه إهتمام يعكس في جانب منه ما تتصف به النفسية السودانية لجهة اللفظة عندما تصيب الجار نائبة فيسارع من يمسك بمقاليد السُلطة في السودان إلى التأكيد عملياً لجاره بأنه "أخو إخوان" أي صاحب لهفة وأنه رهن الإشارة للمساعدة إن رأى الجار فيها جدوى.

ربما هنالك من يرى أن السعي الذي قام به قبل أيام رئيس الحكومة السودانية عبدالله حمدوك كان من باب رد الجميل على وساطة أبي أحمد التي ساعدت في حل تناقضات في الإنتفاضة على نظام الرئيس عمر البشير، وأن الإتصالات التي بدأها كانت عفوية ومن دون أن يتمنى عليه القيام بها أهل الحُكم في أثيوبيا التي تعيش أزمة كيانية من شأن عدم إيجاد تسوية لها أن تتشقق الدولة التي لم تهناً ما فيه الكفاية من طي ملف اريتريا والتي هي أعقل وأحكم، وينتهي حالها صراعات أقاليم وحكومة مركزية لا حول لها ولا تأثير من أجل حسم الأمور. ولنا في النزاع المستحكم الحلقات في إقليم "تيغراي" الدليل على أن أحوال أهل الحُكم في معقلهم العاصمة أديس أبابا ليست على ما يدعو إلى الطمأنينة، وأن الكر والفر دائم بإحتمال الحدوث بين قوات النظام والقوات المنتمية تحت لواء زعيم "جبهة تحرير شعب تيغراي" الذي عندما بدأت المساعي لوقف مؤقت لإطلاق النار والجلوس إلى طاولة التحدث في ما لهذا الطرف وما على الطرف الآخر وبالعكس، فإن زعيم تلك الجبهة الذي يصعب علينا لفظ إسمه بسهولة (ديبرصيون جبريميكنيل) مقارنة بسلاسة لفظ إسم خصمه اللدود رئيس حكومة أثيوبيا (أبي أحمد) أملى شروطاً على النظام في أديس أبابا يملئها عادة المنتصرون والذين هم على إستعداد للمزيد من القتال. هنا يجوز القول إن عناد رئيس الحكومة الأثيوبية أبي أحمد المطمئن إلى ورقة شعبية في موضوع "سد النهضة" الذي يمضي إلى النهاية في تحقيق

أجندة إنجاز غير متجاوب مع الجارين المتضررين السودان بنسبة يمكن تحمُّل الضرر، ومصر التي لا تتحمل أي إنقاص لحصتها المائية من النيل، كان سمة التعامل مع ال تيغراويين بدلاً من إعتقاد لغة التحاور بما تحويه من مفردات كفيفة بتقليل نسبة التحديات، وعندها يشق موضوع تبادل المصالح طريقه بأمان.

من هنا وفي ضوء ما آل إليه عناد طرف ممسك بالسُلطة وطرف يطالب بحقوق وهو ممسك بالسلاح وسيلة لذلك، قرأ عبدالله حمدوك في كتاب المصير الأثيوبي وبدأ السعي من أجل تحقيق تسوية في أثيوبيا مستلهماً في ذلك تجربة الحُكم السوداني الجديد بصيغته التشاركية (جنرالات وأحزاب مدنية) في حل "تيغرايات" سودانية كان من شأن عدم حسم أمرها بالنوايا الحسنة المتدرجة ثم بالتشاور فالتحاور فالمحاصرة كل بنسبة ما يستحق، أن تبقى "الدويلات" الثورية المسلحة على ما هي عليه تناهض السودان المتجدد بصيغة التقاسم حيث لا كفة أكثر من كفة وزناً وتأثيراً، وبذلك لا تتكرر محنة ثورة 1964 التي كانت أحادية مقتصرة على حراك حزبي نشيط ما أن إنتهى إسقاطاً للجنرال إبراهيم عبود ومجلسه العسكري حتى بدأ التنافر الحزبي وتناثرت في فضاء السياسة السودانية تجربة أن يُحكم السودان من جانب خبطة عطارين فيها الأنصاري إلى جانب الختمي إلى جانب الشيعوي إلى جانب الإسلامي. لم يبق من تلك التجربة التي تهاوت بسهولة أمام عودة منقحة للعساكر قوامها مجموعة من الرواد الشبان يترأسهم زميلهم برتبة عقيد، سوى الصورة التذكارية والندم على تضییع فرصة تحقيق الإستقرار. وهذه العودة المنقحة التي عُرفت بـ "ثورة مايو" أسست لنوع من الشراكة العسكرية _ المدنية إنما كانت شكلاً فلم تصمد.

الشراكة الراهنة ما زالت متماسكة حتى الآن. والتنبيه متواصل من أجل ثباتها فلا يتم التفریط بها، خصوصاً أن السودان المتجدد بصيغة الحكم التشاركي على موعد مع دور بالغ الأهمية يجري في كواليس دوائر القرار الأميركي رسم معالمه، ويترافق مع ذلك إتخاذ خطوات متدرجة في شأن تخفيف أعباء الديون إلى درجة إلغاء الممكن إلغاؤه وفي شأن الإستثمار في "القارة السودانية" المتزامية الأطراف.

وإذا جاز الإستنتاج ونحن نتابع سعي رئيس الحكومة عبدالله حمدوك ووزيرة الخارجية مريم الصادق المهدي

وقبل ذلك إطلاقات متأنية للرئيس عبدالفتاح البرهان وإشارات كلامية غير عصي فهمها على اللبيب تأتي من نائبه صاحب الشأن و "التدخل السريع" محمد حمدان دقلو (حميدتي)، لأمكن القول إن إدارة الرئيس بايدن وفي ضوء تقييم على درجة من التأني باتت ترى تعزيز دور السودان ليكون بمثابة البوابة الأميركية للقارة الأفريقية في الربع القرن المقبل، كما هو دوره الآخر الذي يُنتظر تعزيزه وهو البوابة العربية والإسلامية للقارة السمراء. وهذا الإهتمام الأميركي هو إستباق وبداية تطويق لما تنشط في شأنه الصين وروسيا كل منهما بوسائلها وطموحاتها. الصين بأن تكتف الإهتمام الإقتصادي والنفطي والتموي عموماً في السودان وهي من أجل ذلك بدأت تدلي بدلوها في شأن المساعدة التي تحقق تسوية لموضوع "سد النهضة" ترتضيها مصر والسودان ويخفف زعيم أثيوبيا من عناده خصوصاً في حال أثمر السعي الحمودكي حلاً للعقدة التيغراوية، وعلى نحو الحل الذي إعتدته القيادة السودانية الجديدة لموضوع دارفور الذي لا تختلف الدوافع فيه عن إقليم تيغراي. وأما الخشية الأميركية والتي جعلت نسبة الإهتمام تتجاوز الشكليات مع أهل النظام التشاركي خصوصاً بعد أن شقت ورقة التطبيع طريقها، فهي أن يخطف الرئيس بوتين السودان وينشئ فيها بوابته الأفريقية على نحو ما فعل بسوريا تاركاً أميركا تندب سوء حساباتها.

ويبقى أن السودان الغائب فالمغيّب ماضياً يتصدر المشهد الدولي خطوة خطوة حاضراً.. والأرجح دائماً. وهكذا لكل دولة فرصتها كما السودان وحظها العاثر كما لبنان.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 10 أغسطس (آب) 2021

قليل من التونسية.. فينتعش القلب اللبناني

مصادفة تدعو إلى الإستغراب وهي أن صفة الخير التي يحملها مشروع أو كيان حزبي إسماء، ليس ضمناً كما المأمول من معناها. وما نعينه بذلك إختيار أهل السُلطة في أثيوبيا تسمية مشروعهم المائي "سد النهضة" وإختيار "الأستاذ راشد الغنوشي"، كما صفة المنادة والمخاطبة له،

"حركة النهضة" تسمية لحزب يخوض غمار حراك سياسي مدثر بعباءة إسلاموية فضفاضة، ولا يكتفي بأن يكون جزءاً من كل الحالة السياسية رئيساً للبرلمان وإنما يتطلع إلى أن يمسك بكامل السُلطة بانياً في حساباته أن من وصل إلى سدة الرئاسة على أهون السبل مدني لا حول حزباً له ولا "لوبيات" من رجال المال والأعمال ولا مواقف ذات جذور وتجارب تسانده ولا ميليشيا غير منظورة يستطيع الإتكال عليها يأمرها فتطيع.. فتتفد.. فتحدث بليلة.. فتدخل البلاد في الفوضى.. فيُشهر ورقة الأحقية الدستورية البرلمانية.. فيمسك بمفاصل السُلطة. أليس هذا ما حدث في مصر وأمكن في ظل إرتباكات وإنتفاضة شعبية حصرت قضيتها بـ "الشعب يريد إسقاط النظام" ثم بعدما إرتأت المؤسسة العسكرية أن ينصرف النظام أشخاصاً وليس هوية درءاً منهم بذلك من فوضى تبدأ حراكاً شعبياً وتنتهي إلى ما لا يُحمد عقباه، كانت مرحلة إنتقالية ودستور جديد وترؤس على مضض لأحد الرموز الإخوانيين الذي ساهمت إطلاقاته وتصريحاته وحراكه الرئاسي عموماً في بلورة إنطباع بأن القول قول محمد مرسي لكن الفعل فعل الشاطر ومجلس الجماعة.

ما رأى الغنوشي إحياءه في تونس إستند إلى أن المؤسسة العسكرية محايدة إلى حد في النزاعات السياسية، إلا أنها في الوقت نفسه تساعد التغيير السلس ولا تتقبل العاملين على تغيير بفعل فوضى، ولا حتى خطف الرئاسة والبلاد من تاريخيها في عتمة ليل.

وما غاب عن بال الغنوشي أن الرئيس قيس بن سعيد يملك ورقة أساسية وهي حالة الإنقلاب الشعبي الأولى من نوعها في العالم العربي حول مرشح للرئاسة لا مال عنده ولا حزب، وإنما يملك خاصية الصدق والكف التنظيف والرؤية العصرية المتوازنة للمجتمع التونسي. ولم يخاطبهم باللهجة التونسية المطعمة ببعض الأمثلة والتعابير على أساس أن هذا التخاطب يحقق إتفاف الناس البسطاء حوله، وإنما خاطبهم بالفصحى لغة الأمة من المحيط إلى الخليج. وزيادة في التباهي بأحاسيسه العروبية غير المتناقضة مع مغربته طرق أبواب أهل القرار الفاعلين من السعودية إلى مصر إلى المملكة المغربية، وأسعف بالود والنصيحة الشقيق الليبي الغارق في تناقضاته، والشقيق الجزائري الحائر في أمر خياراته، والشقيق الموريتاني المتطلع إلى إحياء صلاته التي إهترت تحت وطأة أطماع لبعض ذوي السُلطة.

هذه الإطلاقات من جانب قيس بن سعيد حققت له إلتفافاً عربياً حول نهجه. ورأى الأشقاء عموماً في نهج هذا الرئيس بفرادته الأكاديمية وكيف أدار بالحكمة والحنكة وطول البال مع الإلتزام بالمبدئية المجتمع السياسي التونسي بكل التناقضات الموروثة فيه، أنهم أمام تونسنة تذكر بـ اللبننة الكثيرة التوازن عربياً ولبنانياً في زمن الميثاق الوطني في الأربعينيات مع الماروني بشارة الخوري الحريص على سيادة الوطن وإستقلاله والسني رياض الصلح الذي طمأن نهجه الذين في نفوسهم حذر من العروبة. كما من شأن ثبات هذه التونسيّة وتحقيق النتائج المرجوة من مشروع الرئيس بن سعيد ضد الفساد والمفسدين وضد الأحزاب والحركات التي تعتبر الوطن، كما الحال في لبنان، ساحة للاعبين ومتلاعبين خارجيين، أن تكون نموذج إصلاح أحوال عربية كثيرة. ومثل هذه التونسيّة أو حتى الخطوات المتدرجة منها كفيلة بوضع لبنان على سكة الإنطلاقة نحو التصحيح سياسياً ووطنياً، وبذلك تسعاد اللبننة بمعناها الإيجابي. وأما إن الأخذ بالقليل من التونسيّة كفيل بإنعاش القلب اللبناني العليل، فلأن الرئيس قيس بن سعيد أرفق الحديث حول العلة بالإشارة في الوقت نفسه إلى العلاج، بمعنى أنه لم يكتف بتوصيف الداء الذي هو الفساد المستشري في أوصال الدولة والممتد إلى مفاصل القضاء وأن صوت الغنوشية يعلو دون وجه منطق على صوت الدولة المتوازنة مديناً _ عسكرياً وبما يعيد تونس إلى ما هو الطبيعي أن تكون عليه وطناً غير مختطف من حزب وحكومة بإدارة نظيفي الأكف المؤمنين بسيادة دولتهم وبأصول الحفاظ عليها، والسير على درب عودتها ساحة للإستثمار فيها بدل توظيفها مشاعاً لأغراب تائهين عن جادة الصواب.

ما إرتآه الرئيس قيس بن سعيد هو غسل الفاسدين والمفسدين من أدران إستوطنت شهواتهم وعقولهم وذلك من خلال دعوتهم إلى توظيف المال الذي نُهب في مشاريع كل في المنطقة التي ينتمي إليها وبذلك تصطلح الأمور وينجو الفاسد والمفسد من غضب الله عليه. وصفة ناجعة هذه؟ إنها أكثر من ذلك. إنها نصيحة وأمثولة برسم أطياب كثيرة في الأمتين العربية والإسلامية وبالذات للذين لم يفسدوا بعد أن يتقادوا الإفساد والذين سرقوا ألا تتناول أياديهم على أموال الغير وأملاك الدولة البحري منها والسهلي والجبلي. كما هي نصيحة وأمثولة لأصحاب المصارف الذين أغروا الناس بعوائد توظيف جني العمر،

ثم ها هم المودعون المال كالأيتام في مآدب اللئام. وتلك ليست كل حال اللبناني ذلك أن الأحوال الناشئة عن حُكم أفسد وقلّة من أحزاب وحركات وتنظيمات تعتبر الوطن بات رزق أو إرتزاق مالي أو سياسي، تستوجب كخطوة أولى إقتباس التونسيّة أو القليل منها إذا إستعصى أمر الأخذ بالحذافير.

لكن الوصفة الأمثلة تحتاج في لبنان إلى صاحب قرار من نسيج قيس بن سعيد. وهذا مرجأ وجوده إلى حين طي صفحة حُكم بقي من عمر سطورها الأخيرة بضعة أشهر وبدء صفحة حُكم جديد ينتشل لبنان من البئر الذي وضعه فيه بعض أولي الأمر من أهل السُلطة والأحزاب والحركات التي تستوطن لبنان وتتعامل معه على أنه ساحة وليس وطناً. والأمل معقود على الذي سينتشل ويخيب فعل الأبناء الذين رموا الوطن كما رمى يوسف في البئر والتذرع بأن الذئب أكله. لا سامح الله هؤلاء. ولبنان ناهض ولو بعد حين..

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 18 أغسطس (آب) 2021

أضاعوه... وأي وطن أضاعوا

وحده من دون سائر أهل الحكم في العالم العربي يتعامل رئيس الجمهورية اللبنانية الحالي الجنرال ميشال عون مع موضوع بأسلوب ليس من حقه لا التأجيل ولا التعطيل كون هذا الموضوع من حقوق الرعية على الراعي الذي هو رأس السلطة. وهذا الموضوع هو رئاسة الحكومة التي مهمتها إدارة شؤون البلاد وتأمين متطلبات العباد وعلى النحو الذي يبقّهم ضمن دائرة السلامة والأمان.

الأسلوب الذي ليس من حق رئيس الدولة هو هذا "البزار" الصفاوي الذي بات سمة الرئيس وما يتسبب به من مماطلة. وهذا عائد إلى أن صفة الجنرال وواجباته وأصول إدارته للمنصب الذي يشغله، هي المستحكمة في تعامله مع من يقع عليه بموجب الإستشارات أمر التكليف بتشكيل حكومة هي في واقع الحال كيان إداري قبل أن يكون سياسياً يؤدي أعضاؤه من رئيس الحكومة إلى سائر الوزراء مهامهم خارج حكاية التصنيف هذا سيادي درجة أولى وهذا غير سيادي مجرد رقم في لائحة، وأن يكونوا

أيضاً عند حُسن ظن الرأي العام فيهم بحيث لا يقال كما بات حاصلاً، هذا الوزير أجرى صفقة، وهذا دخل بصفته من أصحاب الضمير والحس الوطني فبات بين غمضة عين والتفاتتها وقد تغيرت الحال إلى ثراء مفاجئ وعقارات متعددة الملكيات الشكلية وشاركة في مصارف وطائرة خاصة.

كان تعامل رئيس الجمهورية مع سعد الدين الحريري كما تعامل الضابط مع الذين دونه رتبة وإذا وصل إلى رتبة الجنرال فإنه يزداد إنبهاراً بنفسه وكيف بات يأمر حتى الذين دونه من حيث الرتبة بأسلوب الأمر والناهي وعدم الأخذ بمبدأ المناقشة. نضيف إلى ذلك أن هذا الأسلوب مارسه رئيس الجمهورية مع سعد الحريري. كما مارس الأسلوب نفسه الرئيس الجنرال الآخر اميل لحود. وحدهما الجنرال فؤاد شهاب والجنرال ميشال سليمان خففا كثيراً من جنراليتهما في التعامل مع الموضوع بعدما خلعا الزي العسكري وما على الصدر من أوسمة وميداليات، وتعاملوا مع من يتولى رئاسة الحكومة على أنه شريك المثلث الرئاسي وأن الأول ليس أهم من الثاني ومن الثالث إلا بما ييسر أمور إدارة البلاد وليس تعطيلها.

ربما سبب العلة في ذلك أن "إتفاق الطائف" لم يأخذ في الاعتبار أن حزبية الذين يتولون الرئاسة الثلاث من شأنها تعطيل الدولة كياناً وشعباً وبالذات إذا كان الرئيس الأول مسكوناً وهو في سدة الرئاسة بمصالح حزبه. والقول إن النظام الديمقراطي يتيح المجال أمام هذا صحيح لو أن النظام اللبناني ديمقراطي فعلاً وأخلاقاً وممارسة مثل أميركا وبريطانيا وسائر المحترمين أنفسهم حيث الحزب الرابع كما الخاسر واجبهما مقدس للوطن والشعب، وليس عبارة عن مطايا لآخرين. ونقول ذلك على أساس أن رئيس لبنان لو كان على الحياد وليس مسكوناً بأمر حزبه فضلاً عن أنه مسكون أيضاً بتقاليد العسكرية كجنرال، لما كان يتصرف مع نجيب ميقاتي المكلف تشكيل الحكومة التي مضى على تعطيل قيامها بضعة أشهر من الولايات والمشاحنات والحرائق والكوارث والخيبات، بمفهوم نفّذ ثم ناقش أو نفّذ ولا تناقش وإذا لن تفعل ذلك تتصرف، هذا ما قاله المستشار بلسان سيد القصر مخاطباً الرئيس المكلف الكاظم الغيظ المتقبل للإستهانة على مضض المعتذر في الفصل الأخير من المسرحية المأساة _الملهة سعد الدين الحريري، مع أن رد الجمال بين القوم جزء من أخلاقيات التعامل. أليس سعد الدين الحريري حسم أمر

إختيار الجنرال عون رئيساً للجمهورية وعلى نحو ما سهّل والده الشهيد أمر إستعادة الجنرال من الملاذ الفرنسي. ويبقى من الجائز لكاتب مثل حالنا تسجيل نقطة نظام في شأن هذا الأسلوب بالنسبة إلى أمر في منتهى البساطة والواجب حسمه، أي قيام حكومة لبلد تعصف به أعتى الرياح، ولا يمارس الرئيس مرونة وهو الذي لا تتقصه حذاقة تغيير المواقف بنسبة مئة في المئة، وأستحضر لنقطة النظام تلك وبما يؤكد تسجيلها عبارات سمعناها ونشرناها للرئيس ميشال عون الجنرال في مثل هذا الصيف الحارق قبل 32 عاماً وتحديداً بتاريخ 17 يوليو/ تموز 1989. سألناه يوماً كيف يصف علاقته مع العراق ورأيه في النظام السوري وأجابنا "العلاقة مع العراق ممتازة جداً. علاقات أخوية بالفعل العراق يريدنا أن نستعيد إستقلالنا وشخصيتنا وسيادتنا. وهو يقف معنا سياسياً وبجرأة. واشنطن تسهّل بلع وتقاسم لبنان بين سوريا وإسرائيل. ممنوع الكلام مع سوريا إلا عن إنسحابها ولا لقاء قمة بعد الآن في الشام" (مجلة "التضامن" _ لندن).

هذا الكلام بات يقول الرئيس نقبضه، وبات حليف الرئيس يقول في حق مرجعية وطنية بإمتياز هو البطريك الراعي كلاماً في غاية الإساءة رداً على رأي وطني في قمة الوعي والمسؤولية، ويحاول الطيف المحلق في فضاء الرئيس البحث بمشقة عن كلمات تخفف من تداعيات تلك الإساءة. وما نقصده من ذلك أن رئيس الجمهورية الذي مارس الإستدارة بنسبة مئة في المئة وهذه مواقفه شاهد على ذلك بعدما بات رئيساً تتكئ رئاسته على كتف حزب أقوى من الدولة التي هو رئيس جمهوريتها، قادر إذا أراد أو أريد له أن يسدي إلى الشعب اللبناني الذي تعطلت مقومات الإعتراض الحاسم عنده، خدمة تسهيل قيام حكومة في لبنان يخفف مجرد قيامها من الإنحدار المتسارع للدولة، هذا إذا إستعصى أمر إجتراحها معجزة تقديم الحلول الاجتماعية قبل السياسية. لكن الجنرال والأمر ينتظر المكلف الذي يقول: حاضر سيدي مع أداء التحية. فهذا طبع الجنرال الذي يغلب التطبع. ولقد دخل تأخره عن هذا الواجب السنة الثانية. لا سامح الله الذين يزينون له هذا التعامل مع لبنان الوطن والشعب.

في الزمن الغابر تساقط مجد الأندلس وعصورها العربية الزاهية لأن ولياً للأمر لم يحافظ على ذلك المجد نتيجة رداءة حُكمه فكان القول الذي قالته الأم المصدومة

"عائشة الحرة" بالإبن الخائب الرجاء "الغالب بالله" يصلح لكل حالة تساقط أمجاد وطنية، ويتجسد في عبارة: "ابك كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال". وفي لبنان سيكون الباكون ومنهم الرئيس الجنرال إلى درجة العويل كثيرين. فقد أضاعوا لبنان.. وأي وطن أضاعوا. وأما الطيف المتباكي فمن نسيج أوجزه المتنبي القائل: إذا إشتبهت دموع في خدود.. تبين من بكى ممن تباكى. والله السميع الرقيب الحسيب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 22 أغسطس (آب) 2021

فرصة تلو فرصتين.. ولا من يبادر

مرة أخرى لا تُلْتَقَط فيها فرصة كريمة للزعامة الثنائية الشيعية اللبنانية السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" والأستاذ نبيه بري زعيم حركة "أمل" لكي تُجْري تصحيحاً جوهرياً على صيغة الهوية بحيث لا تعود كفة الميزان الولائي السياسي الإيرانية أعلى من كفة الإنتماء اللبناني وبالذات في لحظات الأوطان المعصوفة على نحو ما هي حال لبنان الوطن والشعب راهناً، بإستثناء الجالسين على قمة السلطة. والذي يحدث أنه كلما لم تُلْتَقَط الفرصة تتسع رقعة الحذر من الطيف الشيعي، ثم ينعكس هذا الحذر على حال التعايش والتعامل والشعور بأن الشريان الشيعي في الجسم اللبناني على أهبة مغادرة هذا الجسم.

كانت المرة الأولى لتقويت الفرصة الكريمة هي إعتبار عملية التحرير التي حققت المقاومة من خلال عمليات نوعية لمقاتلي "حزب الله" إزاحة القوات الإسرائيلية التي إجتاحت وإحتلت إلى خارج الأرض اللبنانية، هي اللحظة المناسبة لإقتباس توظيف القيادة المصرية لما حققه الجيش في السادس من أكتوبر/ تشرين الأول 1973، حيث رأى الرئيس أنور السادات ما دام أنجز عملية رد الإعتبار إلى سمعة الجيش وإسترد سيناء وألحق هزيمة في الجيش الإسرائيلي إعتترف بها أركان الحكم في إسرائيل من مدنيين وعسكريين كما نوه بها خبراء عسكريون أجانب مع تركيز على قدرات عسكرية مصرية نوعية، فليجرب توظيف الإنتصار الذي حققه، أو بالأحرى فليُنقل الصراع

مع إسرائيل من حربي إلى دبلوماسي وسياسي. لولا النصر الذي حققه الجيش المصري وأثمر تحريراً لقناة السويس وإستعادة متدرجة لسيناء لما كان للرئيس السادات أن يخطو الخطوات التالية زيارة منتصر إلى القدس ووقفة خطابية من على منبر الكنيسة حول أهمية السلام، والتي أحدثت وقفة مساءلة للنفس غير مسبوقة لدى الرأي العام الإسرائيلي وقوبلت بالرضى الشعبي المتدرج مصرياً ثم عربياً حتى من أطراف تتطلع إلى ما هو كفيل بتحقيق جانب الكسب القومي من توظيف النصر وليس فقط الكسب الوطني. حسابات من يديه مقاليد الحُكم تأخذ واقعية الأمور في حساب قراراتها وبنسبة ما هي عليه الأحوال العامة.

وبماذا أفادت واقعية السادات؟ لقد قطع بخطوة السلام التي إتخذها بعض محطات الطريق، على أن تصبح حال مصر أسيرة خيار عسكري يستنزف قواها ومواردها وهي التي حتى بعد الخيار السلمي تنأى بأثقال الإحتياجات الشعبية من سكن وغذاء. وحديثاً ها هو الرئيس عبدالفتاح السيسي يرى أنه لا بد من علاج لتزايد وتيرة النسل وكيف باتت مصر على مشارف المئة مليون، ويرى أنه لا بد من تنظيم الدعم حتى للريغيف.

لو أن السيد حسن إقتبس ما فعله الرئيس السادات لكان الجنوب اللبناني الذي تم تحريره من الاحتلال منصرفاً إلى الإنهماكات بتنمية نوعية، ولكان بضمن الأسلحة لديه تشتريها الدولة منه لتعزیز الجيش وقوى الأمن بحيث كلاهما يستوعبان أفراد الكوادر العسكرية في المقاومة، يستطيع بناء أفضل جامعتين وأفضل مستشفيات تخرجان كوادر طبية عوض الكوادر العسكرية ولكان أيضاً بالمساعدات التي يجب أخلاقياً عدم وقفها له بنى ألوف المشاغل والصناعات الصغيرة، ولكان بعث الحياة في مناطق الجنوب وكذلك في مناطق تواجدته في بلدات محافظة البقاع إلى بلدات مناطق بعلبك _ الهرمل، ولكانت هذه العائلات التي تعيش أدنى العيش المذل في مناطق مثل الأوزاعي على أكتاف مطار بيروت وغيرها تركوا هذه البؤر التي لا تليق بكرامة الناس وصحتهم وبدأوا العيش الكريم في قراهم وبلداتهم. ولكان أولادهم وجدوا المدرسة النموذجية والجامعة العلمية والطبية والهندسية كما كانت بناتهم في المشاغل التي تقيهنّ ويلات الأحلام _ الكوابيس.

وفي الوقت نفسه يبدأ "حزب الله" حقبة جديدة بحيث

تصبح هويته "حزب الله والوطن" ومن دون الشعور بوزر عدم تأدية الواجب القومي، لأنه أداها شأنه في ذلك شأن المصري مع السوري والأردني عسكرياً والإماراتي مالياً والسوداني والجزائري والبحريني والعماني والمغربي والتركي والأندونيسي وكثيرون آخرون كل وفق ما يسر الله الأمور أدى كل منهم واجبه ضمن خطة مدروسة وبعبدة عن المزايدات لإجبار إسرائيل وإقناع من وراء إسرائيل بحسم موضوع الحل وفق ما تنص عليه مبادرة السلام العربية.

الفرصة الثانية التي لم تُلتقط تتمثل في عزوف القطب الآخر في الطيف الشيعي الأستاذ نبيه بري عن تلبية دعوة لزيارة المملكة العربية السعودية جاءته من مجلس الشورى السعودي في زمن كان الدكتور علي عسيري هو سفير المملكة لدى لبنان والذي قلبه على بيروت الحزينة يذرف كلاماً أشبه بدموع العينين وهو يتأمل في الذي أصاب وطنه الثاني، إلا أن تليبيتها مؤجلة للسنة الرابعة على التوالي، مع أن مثل هذه التلبية مدخل إلى توضيح أمور تزداد تعقيداً لأن المملكة لا تجد الطرف الشيعي الذي من خلال الحوار يشرح ما هو ملتبس، فضلاً عن أنه في عالم أهل الحكم والعمل السياسي تكون الدعوات من مرجعيات حكومية واجبة التلبية ويكون عدم ذلك موقفاً يؤسس لجفوة لا مبرر لحدوثها. وما يمكن أن تحققه الزيارة المرجأة أو التي لم تلب مع ما يسببه عدم التلبية من عتب هي أنها ستحدد بعض الثوابت كما تفتح الطريق أمام تذليل عقبات.

ولقد حدثت خلال سنوات عدم التلبية ظروف صعبة كثيرة واجهها لبنان وكانت هذه الظروف خير فرصة لتلبية الزيارة لكن الموجهة إليه تعامل وما زال مع الدعوة على أنه جزء من ثنائية شيعية وليس على أنه رئيس البرلمان جاءته الدعوة من مؤسسة مشابهة هي مجلس الشورى السعودي.

لم تُلتقط الفرصة وغرق لبنان في الغامض والمجهول ثم إزداد غرقاً إلى أن شكلت الحالة الراهنة التي يعيشها كل لبنان محنة تستوجب من الطيف الشيعي بثنائيته وقفة لا تتخذ فيها المواقف على أساس هذا حزب يملك جيشه وسلاحه وخطابه الذي لا يفكك تعقيدات أزمة، وهذه حركة تقوى بالحزب ولا تفكك إرتباطاً به على أساس أن أفقها سياسي وليست صاحبة مشروع يرى صائغه الإيراني أن هدفه غير المعلن صراحة هو أن يؤكد عملياً ما سبق وأفصح عنه نظرياً ثورياً من أن حدود إيران هي ضفاف

الأبيض المتوسط اللبناني، ثم جاء الأمين العام لـ "حزب الله" يصفى تسليماً بهذه الجغرافيا من خلال تحذيره في اليوم العاشوري الأخير من التعرض لسفينة ناقلة النفط الإيراني التي هي على نحو منظوره أرض لبنانية. وسبق ذلك في معرض الإبتهاج بالتساقط الأفغاني الذي عكسه منظر التدافع في مطار كابول الذي لا يختلف أصلاً من حيث المنطلقات عن هجمة "طالبان أميركا" أي أنصار الرئيس ترمب على مبنى الكابيتول، أن قناة "المنار" قدمت نشرتها الإخبارية المسائية لـ "يوم الحشر الأفغاني" بالتلميح في طيات الكلمات إلى أن ما حصل في كابول على أهبة إحتمال حدوثه في بيروت وأن على الذين يعلّقون الآمال على أميركا أن يأخذوا ذلك في الاعتبار.

هذا ما حدث وما قيل في الهواء الطلق وأما الذي يقال في جلسات التداول فإنه أشد تحديداً من ذلك، فيما لبنان الشعب العاثر الحظ بمن يسوسون أموره ومن خلال قواهم الحربية ومن مغريات المناصب التي يتولونها المحصنة بمواد دستورية كان حرياً بصياغ "مؤتمر الطائف" أن يترثوا بعض الشيء بأمل أن تكون الخلية التي أجهدوا النفس في صياغتها ذهباً وليس نحاساً قابلاً للإلتواء من كثرة الطرق عليه.

تلك فرصة ثالثة ضاعت أي بما معناه بدل أن يرى الثنائي الشيعي في الذي جرى لأفغانستان وما حدث في مطار كابول أنه خير مناسبة لإحتواء الموقف المتعثر عن سابق تصميم في لبنان، والمساعدة في تشكيل الحكومة وهو (الثنائي) وحده قادر على إيجاد الحل مثلما في إستطاعته العكس، فإننا نراه متمسكاً بموقف قائم على تحالف مع فريق لا يشاركه رؤاه الفكرية وهدفه الفلسطيني وتطلعاته إلى المثالية، وإنما الجامع المشترك بينهما هو أن يكون لبنان الوطن على ما هي حاله البالغة السوء. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن المبادئ والمشاريع الحزبية والثورية لا تعود ذات شأن ولا إصغاء ولا إلتزام عندما يصبح المواطن في الحضيض والوطن على أهبة التساقط. كما يصبح تعديلها كما تعديل مواد في الدساتير أو حتى إعادة النظر جذرياً فيها واجباً شرعياً إذا جاز القول. فهي ليست آيات في كتاب الله ولا هي بالتالي مقدسات وإنما مشاريع وتجارب قابلة لإعادة النظر في ساعات الضرورة ولحظات الخطر.

ربما بعد الفرص الثلاث التي أشرنا إليها لن تكون هنالك فرصة رابعة لكي يتم توظيفها. كثيرون من قبل

أضاعوا الفرص ثم ضاعوا وضيعوا معهم الشعب المستكين.. والوطن المسكين.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 23 أغسطس (آب) 2021

الانسحاب بأقل العواقب.. وأكثر المكاسب

كانت الإدارة الأميركية وبالذات رئيسها جو بايدن وصديقه وناصحه من وراء الستار "رئيسه السابق" باراك أوباما يتمنيان انسحاباً كريماً من أفغانستان كالذي جرى لانسحاب مصر عبدالناصر من اليمن، ثم بعد عقدين من الزمن انسحاب سوريا الأسدية من لبنان مع إختلاف نوعية المراعاة في الحالتين والظروف العربية والإقليمية والدولية التي تلازمت مع الانسحاب السوري لم يحظ بمتها الانسحاب المصري، ذلك أن مصر سحبت "جيشها" من اليمن وطُويت بذلك صفحة تلك العلاقة الإضطرابية الفريدة من نوعها، بينما سحب الرئيس بشّار الأسد "جيشه اللبناني" الذي أرسله والده وبقيت في لبنان جحافل المدنية _ السلاحية وتأثيره البالغ في مسار الحُكم وإلى درجة أن له حضوره غير المرئي في الرئاسة الثلاث رئاسة الجمهورية ورئاسة البرلمان ورئاسة الحكومة.. ومن دون حتى أن يزور لبنان. وإذا جاز تحديد نوعية هذا الانسحاب فإنه انسحاب بأقل العواقب وأكثر المكاسب.

وزيادة في التحديد إنه لولا الحلف شبه المقدس بين نظام الرئيس حافظ الأسد والنظام الإيراني وبات مقدساً في عهد الإبن الوريث لما كان للنظام السوري، حتى بعد الانسحاب عسكرياً، أن يشكّل رقماً بالغ الأهمية في القرار السياسي والسيادي اللبناني. ونقول ذلك على أساس أن الفاعلية التي كانت للوجود السوري العلني والمقنن وغير المعترّض دولياً عليه بشكل جدي، حلت محلها الفاعلية الناشئة عن ذلك التحالف حيث أن "حزب الله" المتمكن سلاحاً وتدريباً من النظام الإيراني هو ظل ذلك الوجود بموجب التحالف المشار إليه، وزاده تعزيزاً أن "حزب الله" قاتل في سوريا كفصيل في المؤسسة العسكرية ولم يؤد هذه المهمة بالسر وكان الكلام حولها على الملأ وموضع التباهي بتأدية هذا الدور، حتى أن عبارات كثيرة قالها

الأمين العام لـ "حزب الله" أوجت بأن لنظام الرئيس بشّار عمقه اللبناني المؤثر وكما كان التأثير في الإنتشار العسكري السوري في قوات وآليات ودبابات ومواقع ثقيلة في لبنان من جنوبه إلى شماله إلى بقاعه إلى أقصى هذا السهل الذي بات ساحة إيرانية وعمقاً سورياً. بل إن الوجود العسكري الضارب ذاك شمل الجبلين الشوفي الدرزي والكسرواني المسيحي بعد الجبل الثالث الشيعي جبل عامل. أما الجبل الرابع العلوي على كتف العاصمة الثانية طرابلس فأمر ولائه محسوم.

القول إن ما حظي به النظام السوري من تطبيب خاطر مقابل أن يسحب "جيشه اللبناني" حظي بنسبة قليلة منه عبدالناصر مقابل الانسحاب. ودليلنا على الخطوة البشّارية أن القمة العربية المستضافة من الملك حسن الثاني (رحمة الله عليه) في فاس عام 1992 ربطت الانسحاب السوري بالانسحاب الإسرائيلي أولاً من كافة الأراضي اللبنانية. مثل هذا الربط كان لمصلحة سوريا في حال تم الأخذ به وذلك لأن النظام السوري سيبدو أمام الأمة بأن وجوده العسكري في لبنان أجبر إسرائيل على أن تتسحب بدورها، أما في حال لم يتحقق الانسحاب الإسرائيلي فإنه (النظام السوري) لن يلام إن هو أصر على البقاء، كما أنه لمصلحته لأن في عدم الانسحاب الحصول على المزيد من المكافآت _ الضمانات التي تحفظ ماء الوجه. وهذا حدث بالفعل حيث أن مشروع "وثيقة الوفاق الوطني" حول ما إنتهى إليه مؤتمر الطائف (أكتوبر/ تشرين الأول 1989) أسبغ على دور النظام السوري العسكري في لبنان محاسن ترفض كل ما يقوله معارضو الوجود السوري في لبنان وأبرز هؤلاء كان الجنرال ميشال عون (رئيس الجمهورية منذ خمس سنوات) من أن هذا الوجود بمثابة إحتلال للبنان (الدور السوري لم يتغير موجود في كنه تحالف إيران وسوريا مع كتفئهما في لبنان "حزب الله" وحزب رئيس الجمهورية "التيار الوطني الحر"). ومما جاء في مشروع الوثيقة الذي أذاعه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية (رحمة الله عليه) أمامنا نحن رجال الصحافة الذين تقاطرنا إلى الطائف وجدة لمتابعة أعمال مؤتمر وُضع لبنان في قفص الشرعية و"إقفال" هذا القفص كي لا يهرب من النواب اللبنانيين من يهرب أو حتى يتهرب "إن لبنان الذي هو عربي الإنتماء والهوية تربطه علاقات أخوية صادقة بجميع الدول العربية وتقوم بينه وبين سوريا علاقات متينة تستمد قوتها من جذور القربى والتاريخ والمصالح الإستراتيجية المشتركة، وهو مفهوم

يرتكز عليه التنسيق والتعاون بين البلدين وسوف تجسده إتفاقيات بينهما في شتى المجالات بما يحقق مصلحة البلدين الشقيقتين...".

كان واضحاً أن هذا الكلام يتسم بصفة الترويض بأمل أن يتجاوب النظام السوري معه وبذلك يحقق مؤتمر الطائف مبتغاه. ولكن على ما سارت عليه التطورات لاحقاً كان النظام السوري يريد ترجمة ما ورد في مشروع "وثيقة الوفاق الوطني" المشار إليه صيغة أكثر ربطاً وتؤكد أن الانسحاب عسكرياً لا يعني أن حالة جزر ستحدث بعد حالة مذ طالت أكثر مما كان يراه الطيف المسيحي اللبناني الذي توجه هارعاً إلى الرئيس حافظ الأسد (رحمة الله عليه) ليخفف عن لبنان الهلع الذي أحدثته بحبوة التصرف من جانب المقاومة الفلسطينية التي أجاز الرئيس عبدالناصر ورئيس الجمهورية اللبنانية شارل حلو لقائهما ياسر عرفات (رحمة الله على الثلاثة) إعتبار الأرض اللبنانية جبهة ضد إسرائيل كما الإعتبار نفسه الذي يفصح عنه النظام الإيراني قولاً والأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله قولاً ثم فعلاً. جبهتان فاترتان من دون تغيير جذري في واقع الحال.

ولقد حقق النظام السوري مبتغاه في ما يريده من تثبيت لما جاء في "وثيقة الوفاق الوطني" وتحديد العبارة الترضوية التي أشرنا إليها، ذلك أن الرئيس حافظ الأسد هو الذي إختار الجار البقاعي ابن مدينة زحلة الياس الهراوي بالذات رئيساً للجمهورية وأن الرئيس اللبناني كان عند حُسن الظن الأسدي إذ ما أن طوت سفينة إتفاق الطائف أشرعتها على أعقل صيغة، حتى فاجأ الرئيس الهراوي اللبنانيين وبالذات القطب الأكثر شراسة في معارضة النظام السوري الجنرال ميشال عون بنقلة نوعية في العلاقة حيث أبرم مع الرئيس الأسد ما تجعله يطمئن إلى أن سوريا لن تخرج من لبنان منكسة الراية وإنما رابطة الأخ المشاكس لها بمعاهدة جرى التوقيع عليها في دمشق من قبل الرئيسين حافظ الأسد والياس الهراوي يوم 2 مايو/ أيار 1991، وبقي عدم إستكمال التوقيع في لبنان إحتراماً لرئيسه وشعبه من جانب الرئيس الأسد الذي لم يحضر لكي يوقع، لغزاً من عشرات الألغاز في مسيرة العلاقة اللبنانية _ السورية. وتزداد الألغاز هذه رئيساً للجمهورية اللبنانية بعد رئيس ورئيساً للحكومة بعد رؤساء. ودائماً نرى اللغز حاضراً في المشهد اللبناني. كان الله مع لبنان وحارساً له من أي أفواه فاعرة. يطول الكلام في مسألة الدور العسكري السوري في

لبنان وما أدى إلى إنسحاب قوات وأجهزة مخابرات من دون إندثار ذلك الدور.

ما نريد قوله إن كلا الدورين السوري في لبنان بعد المصري في اليمن كانا "نزوة سياسية" إقترف الوزير فيها زعيمان ترك كل منهما مصائر الوطن وخاض تجربة _ مغامرة كانت تحتاج إلى الكثير من التأمل في معطياتها. ولا تخفف من وطأة التدخل _ النجدة لكل من الرئيس عبدالناصر والرئيس حافظ الأسد أن الدور المصري ساعد في أن النظام الجمهوري صمد في اليمن إنما بلا إستقرار وأن النظام اللبناني ما زال واقفاً إنما في رجفان متقطع. لعل الإدارة الأميركية التي إرتبط أسوأ الإنسحابات لأعجب ورطات التدخل والحرب في بلاد الآخرين برئيسها الذي إنصرف دونالد ترامب ورئيسها الحالي بايند تخلو إلى الكثير من التأمل ويعيد الرئيس النظر في إستراتيجيات أصابت الولايات المتحدة بإحراجات. وإعادة النظر أكثر من ضرورية.. مثلما أن التناؤل بالتغيير هو كما التناؤل الخير نجده.. والله المنجي.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 31 أغسطس (آب) 2021

سبتمبر الحزين.. من لبنان إلى نيويورك

بدأ سبتمبر الذي من أبرز معالم أيامه عودة التلامذة في دول الخليج المستقرة إلى مدارسهم التي إستعدت لإستقبالهم أفضل إستقبال وأحدث برامج تساعد على نشأة أجيال تواصل البناء بعد التخرج والإنتساب إلى أعمال ومهن وتخصصات.

مثل هذه العودة مغيبة عن الألوف من التلامذة في بعض الدول العربية التي أغرقتها الحكومات في الفوضى والتعطيل والفساد وإرتكاب كل ما يسيء إلى الوطن. من هذه الدول على سبيل المثال لا الحصر لبنان الذي أضاف أهل الحكم فيه إلى مأساة العيش المذل ونشوء متسارع لفوضى مجتمعية قد يؤسس عدم إحتوائها لحرب أهلية غير متكافئة، مأساة التعليم المههد بإنكفاء مقوماته. فالمدارس الرسمي منها والخاص غير مؤهل. والكتاب المدرسي ليس متوفراً حيث لا وزارة طبعت، ولا وزارة أكدت أن الكهرباء والمياه ووسائل النظافة ستكون متوفرة، ولا

وزارة تعهدت بأن الوقود للمدافىء في المدارس تم تحضيره وأن السيارات والأوتوبيسات ستنقل الطلبة من بيوتهم المطفأة فيها القناديل إلى المدارس. ولا المصارف ستخرج للمودعين بما يسدّد أقساط المدارس ويلبي إحتياجات من المتاجر الكبرى التي دخلت هي الأخرى في الرمق الأخير. وهذا ليس كل شيء، فهناك مدارس ترتب أموراً على أساس الإقفال الإضطرابي ذلك أن الميزانية التقليدية لا تسمح بزيادة مرتبات مدرسين من الضروري زيادتها وإلا فإن هؤلاء لن يحضروا ولن يلحقوا التلاميذ الدروس. تلك ليست أزمة وإنما هي ضربة قاصمة للجيل الذي سيفقد الأمل في مستقبله ما دام يعيش حاضره على النحو الذي لو أن القلم سيحكي حالاته البائسة لكان المداد جف قلماً بعد قلم.

هكذا يهل سبتمبر على تلاميذ لبنان، كما هلت أشهر خمس سنوات مضت على الآباء والأمهات والأعمال وأفرزت بأساً ما بعده يأس عند النخبة العلمية والطبية التي تركت الشهادات والبراءات والإشادات معلّقة على جدران المكاتب والعيادات والبيوت وغادرت يتحسر كل من أفراد هذه النخبة على وطن أرادوا رايته خفاقة فجاء عهد وبكل ما أوتي من الكفر وعدم إحترام للذات والموقع ينكس الراية كلاماً ومزاجاً وإرتهاناً ويبقيها كواحدة من بضع رايات منكسة في العالم العربي.

ومن معالم سبتمبر أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة تتعقد في رحاب مقر المنظمة الدولية في نيويورك التي باتت حاكمتها امرأة تصطف كمثلة للعاصمة التجارية العالمية الأميركية إلى جانب الإمارة الأخرى كاملاً هاريس نائبة الرئيس جو بايدن، وتصطف الإئتتان إلى جانب نانسي بيلوسي رئيسة مجلس النواب الأميركي. كأننا في حال شاءت الأقدار أن يصاب الرئيس بايدن المتوَعك أفغانياً إلى جانب التوعك الصحي الطبيعي بفعل الإجهاد للذين تكابدهم إستفزازات الحزب المنافس وبالذات الجيوب الترمبية في الحزب الجمهوري. وهذه الحالة المرهقة قد تجعل الرئيس بايدن غير قادر على مواصلة الواجب الرئاسي، فنصبح تلقائياً أمام أميركا جديدة بثلاث هامات نسوية: رئيسة للجمهورية التي عاصمتها واشنطن. وحاكمة لنيويورك عاصمة تجارة أميركا والعالم. ورئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي التي كثيراً ما شاكست الرئيس السابق ترمب وألقت ظلالاً على مهابته، كما كثيراً ما تتطلع ضمناً إلى أن تكون ذات فرصة رئيسة للولايات

المتحدة على نحو ما خاب أمل هيلاري كلينتون في ذلك. وخلال سبتمبر سيكون الحج إلى نيويورك مزدهراً كما في كل دورة منذ الأولى 10 يناير/ كانون الثاني 1946 وحتى الراهنة 21 سبتمبر 2021. ولقد إعتاد رئيس الدولة الأعظم الولايات المتحدة بسط هالته على الدورة السنوية غير العادية للجمعية العمومية، ويسعى حكام كثيرون يشاركون في إجتماعات الدورة إلى أن يعوضهم اللقاء بالرئيس الأميركي زيارات كانوا يأملون القيام بها إلى واشنطن. وهو من جانبه (أي الرئيس الأميركي) يغتنم المناسبة لكي يسجل مواقف لغرض في نفسه ولحسابات في سياسة إدارته كأن يتجاهل لقاء البعض أو يخص بعضاً آخر بإهتمام نوعي. هذه لفئات وتسجيل مواقف برع فيها الرئيس دونالد ترمب الذي بقي على نجوميته طوال أربع سنوات وتحققت له على المستوى القاري من خلال تلك القمة العربية _ الإسلامية في الرياض يوم 20 مايو/ أيار 2017 التي أراستها المملكة تسليفة إهتمام متميز بأمل أن يرد على هذا الإهتمام بمواقف حازمة إزاء قضايا عالقة ومن شأن تسويتها جعل المنطقة العربية أكثر إستقراراً وإنصرافاً إلى التنمية. ربما كان ترمب في وارد القيام بما هو متوقع منه وبحيث يأتي الرد على التحية بمثلها في الدورة الرئاسية الثانية. لكن سوء حظه غلب تمنياته. وها هو الرئيس المنتصر عليه جو بايدن من سيشارك في الدورة الأممية التي ستبدأ يوم 21 سبتمبر إنما ليست حاله كما كانت عليه حال الرئيس المهزوم الذي يخطط لخوض السباق من جديد وقد، على نحو ما أسلفنا، ربما تكون المنافسة مع كاملاً هاريس.. الله أعلم.

وقياساً بالأحوال التي هي عليها الإدارة الديمقراطية المجللة بنكسة أفغانية تكاثر توجيه التوصيفات السيئة لها وبالذات من جانب ترمب و"جمهوريته" المتحفزة للإنقضاض عندما تحين لها الفرصة، فإن الرئيس بايدن لن يكون نجم الدورة الأممية، أو إنه لن ينفرد بالنجومية كما حال الرئيس ترمب. فالتداعيات الناشئة عن الحدث الأفغاني متتالية والشماتة به لا تقتصر على سلفه اللود، إذ هنالك إبتهاج بمغادرة أميركا بايدن هروباً من أفغانستان مغلف ببعض الخبث لجهة التعبير عنه من جانب المتربصين بغرض إقتسام شأن العالم بالتساوي وهما روسيا بوتين وصين شي جين بينغ. ولا نغالي إذا نحن إفترضنا أن من بين نجوميين الدورة

هنالك الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون الذي أضاف بزيارته التقديرية والودودة إلى العراق بجناحيه العربي والكردي، المزيد إلى رقي زيارته قبل ذلك إلى لبنان المدمى والمكسور خاطر والزجاج والبنيان. كما هنالك مصطفى الكاظمي رجل العراق المستقوي بالبصيرة والحنكة والثبات على النهج الذي في ضوء مضمونه كان ترؤسه للحكومة العراقية. ولا بد أن مجتمع الدورة الجديدة للجمعية العمومية للأمم المتحدة سيخصونه بالإعجاب على ثبات موقفه وقدرته على ترويض الجار الإيراني بحيث يقلل إلى ما تحت درجة النصف من شهرته لإلتهام القرار العراقي وبحيث يعود إلى ما كان عليه في ظل أسلاف ترأسوا الحكومة العراقية ولم يتمكنوا من تحقيق معادلة تجعل الشقيق العربي شريكاً مرحباً به في الحرص على السيادة العراقية وتجعل الإيراني يحسر هامش تطلعاته الهادفة إلى إحتواء العراق طائفة وسيادة، وتجعل الأميركي يبقى صديقاً بعد أن يخرج محتلاً ومن دون إنتكاسة تشبه الأفغانية. وهذا الواقع بدا واضحاً لمجرد إنعقاد قمة بغداد يوم 28 أغسطس/ آب 2021 والتي كان مأمولاً أن تكون سوريا الدولة التي هي إمتداد للعراق أرضاً وعروبة من ضمن المشاركين في القمة التي نجحت لمجرد إنعقادها. فما بين الإقتراح بعقدها ويوم الإنعقاد كان التساؤل الأساسي: هل من الممكن عقدها، ثم ما لبث المستحيل أن بات ممكناً. ومع الممكن نجاح ستبقى ملامحه ومعالمه في طيات التفاعل إلى حين. والله الهادي إلى سواء السبيل من لبنان إلى أميركا.. حيث هنالك حاجة إلى الهداية.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 4 سبتمبر (أيلول) 2021

بالعربي الأفصح من "الحكيم" إلى "العنيد"

لم يسجل في تاريخ الرئاسة اللبنانية في مرحلة ما قبل الإستقلال (فترة الإنتداب الفرنسي من العام 1926 وحتى العام 1943) أن قيل في حق الذين جلسوا على كرسي القمة من النقد المرير والإستهانة إلى درجة الإهانة وبعبارات تتجاوز بكثير لياقة التخاطب سواء من جانب أطراف من الشعب أو من قامات حزبية ذات تأثير في

الحياة السياسية اللبنانية أحدثهم رئيس "القوات اللبنانية" الدكتور سمير جعجع أو "الحكيم" (اللقب المستحب عنده) الذي طوى إلى غير عودة إمكانية أي مصالحة مع الرئيس ميشال عون نادماً على ذلك التحالف الذي سبق أن عقده معه ومن دون أي تفسير للدواعي يقال في حينه لـ "الجمع القواني" عن مكاسب هذا التحالف الذي لم يصمد. ربما لأن ما من المفروض قوله لا يقال على الملأ مثل أن الرئيس ميشال عون تعهد بأن يتولى الرئاسة من بعده الحليف الجديد سمير جعجع، ثم محا بعد الإعلان الإبتهاجي المشترك من الطرفين بإبلاغ الملأ اللبناني والسوري والخارجي أن خليفته هو زوج إبنته.. وكفى "القوات اللبنانية" مواصلة الإعتراض.

ما يعيننا هنا هو هذه القدرة من جانب الرئيس ميشال عون على الإستخفاف بهذه العبارات المهيئة التي تقال في حقه من خلال أفراد موجوعين وأحياناً جائعين ومن متزعمي أحزاب سياسية وهيئات إقتصادية ومجتمعية مرموقة، ومن نساء تعكس صرخات الجميع إلى جانب الدعوات على الرئيس وسائر الملتفين حوله بأسوأ الحال حجم الإنحدار الحاصل إجتماعياً وسياسياً ومعيشياً ومالياً في الوطن. فهو ليس ديمقراطياً لكي يقال إن هذه طباعه لا يضيق بما يقال فيه وعنه. ربما الإستخفاف بالكلام المهيمن إقرار ضمني بأن القائلين على حق وأنه ما دام لم يصحح من اليوم الأول فإن المعالجة تصبح على درجة من الإستحالة وفي هذه الحال يترك الأمور تتراكم إلى حين إنقضاء ما بقي من السنوات الست العجاف ويغادر رئيساً بدل المغادرة الإضطرارية على نحو ما جرى للرئيس سليمان فرنجية الذي إختصروا له رئاسته الأمر الذي جعل سليمان الحفيد يقرر الثأر لما أصاب الجد وذلك بأن يكون هو الرئيس وكاد أن ينال ذلك لولا أن سعد الحريري الأكثر شأنًا بين الزعامات السياسية السنية إرتكب خياراً شبيهاً ببعض الشيء بما سبق وإختاره سمير جعجع عند تحالف "قواته" مع "تيار" الرئيس عون، فقَدَّم إلى "ميشال عون رئيس التيار الوطني الحر" الهدية الحلم وهي أن يصبح الرئيس الحادي عشر للجمهورية غير المكتملة سيادة القرار. وخلافاً لما كان مبرر تحالف جعجع أنه مقابل التحالف يدعمه عون ليكون الرئيس الثاني عشر، فإن "عون الرئيس" إلترم بوعد "عون الجنرال" وترأس سعد الحريري الحكومة من دون أن يخطر في باله أن "عون الرئيس" سيكويه إذلالاً في مرحلة لاحقة. ولقد حدث ذلك

بالفعل وبالقول.

أحدث الإستهانات بالرئيس ميشال عون جاءت في الخطبة العصماء الطويلة للدكتور سمير جعجع ألقاها واقعاً ومن دون أن تكون مكتوبة، وقالها باللغة الفصحى من دون خطأ في الضم والكسر والجمع يوم الأحد 5 سبتمبر/ أيلول 2021. وهذا التخاطب درجت عليه أيضاً زوجته ستريدا جعجع. كأنما هذا الثنائي المتميز يؤكد على فصحي القرآن وأئمة الصرف والنحو والبلاغة وليس على ما أراده الراحل سعيد عقل في شأن اعتماد العامية لغة محكية ومكتوبة. ويختار سامع خطبة الدكتور جعجع مثل حالنا أي عبارة مهينة أكثر من أخرى من بين عبارات كثيرة وردت في خطبته. هل هي عبارة "إننا نرفض الرئيس الخانع والخاضع والمساوم على الأساسيات والثوابت" وهل هي عبارة "نرفض الرئيس الضعيف" و "الرئيس الذي يفتعل الأزمات ويسبب الدولة ويفقر اللبنانيين" وعبارة "رئيس قوي بالشكل والكلام ضعيف وضعيف جداً بالفعل". ولكي لا تبدو الأقوال رمزية قال "لقد أنتت نتائج رئاسة الرئيس ميشال عون كارثية جداً علينا جميعاً كلبنانيين وبالأخص كمسيحيين...".

مثل هذه العبارات لو قالها جعجع بصفة كونه ركناً يمثل سائر الطيف المسيحي المعارض للطيف العوني (واقع الحال ليس كذلك)، لكان جائزاً القول إنه الموقف الموحد المسيحي. لكن جعجع في الوقت نفسه محصن بموقف مرجعيات أكثرية الأطياف المسيحية المارونية والأرثوذكسية من البطريرك الراعي إلى المطران الياس عودة الذي صودف أن قال في اليوم نفسه عن الرئيس عون وعهده عموماً في قداش "إن عدم احترام الدستور والتغاضي عن الفساد وتعطيل المؤسسات أدت إلى إنهيار الدولة" و "إن شبق السلطة يدمر صاحبه ويدمر البلد". وأقوال هذه المرجعية الأرثوذكسية الكثيرة الرقي تتسجم وعشرات العبارات التي سمعها اللبنانيون من البطريرك الراعي في قداديس ومناسبات كثيرة منذ أن أطلق الدعوة الصالحة والحل الذي لا أكرم منه للجميع.. دعوة إعلان لبنان دولة محايدة.

كيف سيمضي الرئيس ميشال عون الأشهر المتبقية من رئاسته في حال لم تحدث مفاجأة إختصار الولاية، فيما النعوت والإستهانات تنهال على شخصه وعهده ومن مختلف الأطياف اللبنانية. وهنا نقول إنه لو كان الدكتور جعجع جزءاً من تحالف في العلن مع من هم من شاكلته في التخاطب وحداقة الإستهزاء، من سائر الطوائف

اللبنانية لما كانت خطبته التي سمعناها كما سائر أطياف كثيرة من اللبنانيين ولكان لما قاله فعل كالذي أودى ببعض رئاسة أول الرؤساء الإستقاليين بشارة الخوري وبثانهم كميل شمعون وبثالثهم في حقبة الوصاية السورية سليمان فرنجية. ولكن الدكتور جعجع كان يخاطب الرأي العام المسيحي الذي لا ندري هل سيبقى على تشققه الذي وضع به السيادة في مهبط الجزر الطويل.

ما بعد مخاطبة الحكيم بالعربي الفصيح بل وبالأفصح كمفردات وكمضمون ليس كما قبل المخاطبة تلك.

لكن تبقى الإجابة عن لغز حارت الشطارة اللبنانية والعربية والدولية في تفسير كنهه وهو: ما هي هذه المتعة لرئيس تنهال عليه اللعنات والشتائم على مدار الساعة علناً أحياناً وفي المجالس العائلية معظم الأحيان وبالذات عند الإحساس بالإختناق من واقع الحال.

ولماذا لا يكون من الذين سبقوه من أيام الإنتداب وسنوات الإستقلال، حامدين شاكرين في معظمهم قانعين منصرفين بما يرضي رب العالمين ويربح الضمير ويحترم النفس. أما كيف حكم هؤلاء وكيف إنصرفوا ثم رحلوا ولا من يرميهم بإستهانة، فللحديث بقية.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 8 سبتمبر (أيلول) 2021

لغز إستيعاب الإستهانة بالجنرال

عندما كان رئيس حزب "القوات اللبنانية" الدكتور سمير جعجع يسبغ على حليفه اللود رئيس الجمهورية ميشال عون نعوتاً وأوصافاً وبصيغة المجهول _ المعلوم، أي أنه لم يُسمَ بالإسم، كانت السماء الجنوبية فوق بلدتين جارتين: عنقون الشيعية ومغدوشة المسيحية تشهد سحابة قاتمة غير مألوفة في فصل الصيف على خلفية تصرّف عنقوني إستهدف رمزاً مغدوشياً وإختلط في الوقت نفسه سوء الكلام بسوء رد الفعل وإلى درجة أن عدم إحتواء الواقعة الناشئة عن أجواء أزمة المحروقات المتزايدة إذلالاً ربما يتسبب بإنتشار أجواء حرب أهلية يمكن أن تحدث.

واللافت أن رئيس الجمهورية لم يأخذ في الإعتبار ما جرى ويداولي العلة بكلمة يوجهها إلى الناس النائمين على

مخاوف في البلديتين الجارتين في حين ينبرى شاعر مرهف ينثر ما ينظمه بالعامية في صحيفة يومية تشق طريقها بثبات وسط المحنة التي تعيشها الصحافة اللبنانية منذ ثلاث سنوات وتزداد قتامة يوماً بعد أيام، ويخاطب أبناء البلديتين بأبيات "عنقون ضيعة ب ريحة الليمون.. وسهولها بالزهر مفروشة.. بس الهوا ل ببيروح عا عنقون.. تايمرق ب عنقون بدو يكون ب ريحة زهر ليمون.. مغدوشة". (الصحيفة "نداء الوطن" - الشاعر إبراهيم شحرور). حمى الله البلديتين الجارتين وسائر البلدات التي الكنف الأيمن للبلدة إمتداد للكتف الأيسر لتلك.

ما يجعل الرئيس ميشال عون غير مكترث بما قاله ألوف اللبنانيين في حقه وبمفردات بالغة الإساءة، وكذلك بما قاله جعجع عنه حديثاً إلى جانب ما يقوله في مجالسه أمام قيادات حزبه وكذلك أمام زواره من أهل السياسة والدبلوماسية العربية والأجنبية وكذلك بعض الذين يزورونه من السياسيين والمسؤولين الأجانب وكما لو أنهم بزياراتهم هذه يفترضون أنه الذي سيقترأ الجمهورية في العام 2022 وليس جبران صهر الرئيس.. إن ما يجعل الرئيس عون غير مكترث هو أن تغييره بشكلي التغيير وبأسلوبه غير متيسر كما الذي حدث مع الرئيس الاستقلالي الأول بشارة الخوري، وسيارياً بمعنى "سياسي وعسكري" في مزيج طارئ على الحياة السياسية اللبنانية كما حدث مع الرئيس الخامس سليمان فرنجية عندما إنقسم الجيش "جيوشاً" واستحوذ كل من أقطاب الأحزاب والسياسة والتنظيم الميليشياوي كل على جيشه. تجربة في غاية المرارة أثمرت سقوطاً متدرجاً لصيغة الديمقراطية المنزهة عن الشوائب والعيش المشترك الذي طالما كان ورقة تطمح النخبة إلى تطويرها وتثبيتها وبحيث تكسب في بورصة السمعة العربية وتلك الدولية أيضاً.

وما دام الجيش غير وارد الإنقسام وليس هنالك "حميدتي" لبناني كما الذي سبق أن حدث في السودان قبل أشهر ولا حتى "مامادي دومبوا" لبناني على نحو ما حدث في العاصمة الغينية (كوناكري) في اليوم الذي كان جعجع يخاطب جمهوره الحزبي هامراً من الأوصاف المسيئة أثقلها وأقساها على الرئيس عون، عندما إستولى كولونيل على الحكم ونشر صورة لرئيس الجمهورية على كذبة وهو متهاك وبثلاث ثياب وشكله كما الذين يلقي رجال الشرطة القبض عليهم ويرمونهم في "النظارة" أي غرفة الإنتظار للتحقيق معهم عندما يأتي دورهم... إنه ما

دام الجيش في لبنان غير وارد الإنقسام فلن يحدث ما حدث في السودان ثم في غينيا. وسيبقى ماثلاً أمامنا مشهد الرئيس (ألفا كونزي) الذي كان يدير أزمة شبيهة بالذي حاصل في لبنان، تعيشها غينيا ذات الثروات الطبيعية الهائلة ومع ذلك فقيرة نتيجة حاكمها الذي لم يكف بولائتين رئاستين وإنما كان يمني النفس بالبقاء رئيساً للمرة الثالثة.. وخاب التمني.

لو كان ممكناً حدوث حالة مماثلة في لبنان لكان ربما إرتأى الرئيس عون التدارك الممكن وعلى وجه السرعة. لكنه عسكري وهو أدري بتركيبه الجيش ثم إن ما فعله ماضياً ضابطان أرثوذكسيان من أصحاب العقيدة السورية لا يشجع أحداً على تكرار التجربة، ولا حتى تكرار تجربة ثالثة حاول قائدها السني أن يجمع سائر الذين معه من موارنة ومسلمين إلا أن الدافع لم يكن صافي اللبنة فإنتهت التجربة مجرد حدث لا فرصة لثباته في الصيغة اللبنانية.

إلى ذلك إن الصيغة التي إرتأى الجنرال عون (رئيس الحزب) وهي الإنصهار السياسي سياسياً مع "حزب الله" ومن دون مقدمات وتوضيح هذه الخطوة المستغرب حدوثها كونها تقتقد إلى الجوامع المشتركة، وهي الورقة التي رأى فيها أن أي تغيير له غير متيسر ما دام الصف المسيحي متشققاً والصف السني ليس خالياً من التشقق والصف الدرزي في كامل التشقق والجيش في ضوء دروس الماضي لن يدخل طرفاً في أي عملية تغيير ضغطاً أو إنقلاباً.. إن الصيغة المرتاية المشار إليها مضافاً إليها أن "حزب الله" مع الرئيس عون ما دام التحالف الذي أبرمه مع الأمين العام للحزب حسن نصرالله قائماً لا تهزه بعض التباينات الموسمية، هي التي تجعل الرئيس عون يتعامل بـ "روح رياضية" مع ما يناله من السهام الواخزة وأحياناً الجارحة تاركاً المقارعة إلى صهره الحال هو الآخر بأن يكون وارثاً رئاسة جمهورية أرهقت الكاهل اللبناني طوال سنواتها الست وهي جمهورية والد زوجته.

في تاريخ الرئاسة اللبنانية على مدى خمس وتسعين سنة (من 1926 إلى 2021) حالات من التروؤس تراوح بين اللائق والمحترم والمسيء والمهين والجشع والمفسد والقانع والحريص على السمعة بعد التروؤس. لكن معظم الذين سبقوا الرئيس عون في كفة. وأما هو فإن رئاسته كانت حافلة بكل ما يثير الدهشة والإستغراب.

وفي إطلالة تالية على جميع هؤلاء مقرونة ببقية كلام حول "جمهوريته الثنائية" الأولى من نوعها لجهة نكهة مزيجها الماروني _ الشيوعي يتأكد لنا ذلك. والله المغيث للبنان الوطن والشعب.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 15 سبتمبر (أيلول) 2021

ضوء الشرفة الأخضر..

وضباب الباب الأعلى

في إستمرار كان الأسبوع الأخير من شهر الصيف (أيلول/ سبتمبر) يعني الكثير بالنسبة إلى اللبنانيين الذين يوازنون بين دول صديقة تريد وطنهم مستقراً ومزدهراً ومتعاشياً على أهدأ ما يكون عليه التعايش، وبين من يريدونه ملعباً يتقاذفون ثوابته لأغراض في نفس يتطلع أصحابها إلى مشاريع أقرب إلى مخططات وضع اليد. ففي مطلع الأسبوع المشار إليه تحل ذكرى اليوم الوطني السعودي وتشكّل الذكرى تلك منذ بداية إستقلال لبنان وإزدهار العلاقة اللبنانية _ السعودية في زمن ركني الميثاق الوطني بشارة الخوري ورياض الصلح عام 1943 ثم سنة بعد سنة إلى أن دخلت الذكرى تسعينيتها، خير مناسبة لكي يتمنى اللبناني الحريص على عروبتة وولائه للوطن وإدراكه لما يحاك ضد هذا الوطن من خلال مشاريع غير واقعية، ومن دون إستثناء مذهبي على آخر من الجمع العريض، الخير للمملكة التي ما أصاب لبنان مكروه إلا وكانت نخوتها تسبق طلب معالجة المكروه الذي بات مكاره من كل نوع في الحاضر الكئيب الذي يعيشه اللبنانيون تظليماً جائراً من جانب أهل السلطات الرسمية والحزبية والحركية والتيارية لهم،

ومثلما أنه لم يحدث أي تلكؤ من جانب المملكة في مواجهة أي محنة، فإنه لم يسجل يوماً أن المملكة وفي كل عهود أبناء الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه الذي داوم يوصي بالإهتمام بالأشقاء العرب، أن كان في مناسبة نكران جمائل، هنالك بالكلام وبالصور تذكير بما قدمت هذه المملكة. وحتى في نزوة نكران جمائل فلسطينية وعربية من جانب البعض فإن المملكة في عهود الملوك

سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله رحمة الله عليهم وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز سدد الله خطاه وعزز مراكز الإغااثات السلمانية عربياً وإسلامياً، إعتبرت إسداء واجب المساعدة في زمن الشدة "قريضة سادسة"، ومن دون التوقف عند أطراف قالت من الكلام ما ليس من اللائق قوله.

في الذكرى التسعين لليوم الوطني السعودي عكست الإحتفالية التي أحسن وليد بخاري سفير خادم الحرمين الشريفين الإختيار بإقامتها في رحاب المتحف الوطني اللبناني بغرض تذكير اللبناني بسيادته وبتراث عريق لا تلغيه الظواهر والمظاهر غير المستحبة. ولم يسجل في كتاب الإحتفالات الوطنية الرسمية اللبنانية منها والدبلوماسية العربية والأجنبية أن أخذت إحتفالية من الرقي والمشاركة ما أخذته إحتفالية الذكرى التسعينية التي سجل فيها اللبنانيون المتجددون المنزهون من الولاء الخارجي أفضل تحية وتهنئة للشعب السعودي وللقيادة بركنيها ركن الحكمة في شخص الملك سلمان والركن الواعد والمجدد في شخص ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي يتطلع اللبناني إلى أن يكون لبنان حاضراً في رحاب إهتمامه كمحب لهذا الوطن على نحو ما هي المشاعر التي في نفس والده الملك سلمان ماضياً ودائماً طوال نصف قرن وحاضراً حيث يعيش الوطن، الذي في تاريخه بصمة سلمانية، أعتى المحن.

وإذا كانت الذكرى الواحدة والتسعين لليوم الوطني حلت في زمن لبناني عابق بالظلامية الرسمية والظلام والبؤس والإذلال والكلام غير اللائق والجهود الذي ياباه العقل، ولم يتسن للجمع اللبناني العريض تسجيل مشاعر التهنئة كما حدث في الذكرى التسعين، فإن هذا لا يعني أن هذا اللبناني الصافي النية الحامد الشاكر لم يتمنّ بينه وبين نفسه الخير للمملكة في ذكرى يومها الوطني الواحد والتسعين متطلعاً إلى عودة الزمن اللبناني _ السعودي الودي الذي كان في إستمرار زمن خير وإستقرار وطمأنينة، قبل إتفاق الطائف الذي أنقذ وبعد هذا الاتفاق الذي من خلال حرص المملكة بدأ لبنان يستعيد رونقه.

وما كان اللبناني يتمناه في قرارة نفسه وإن هو لم يفصح عنه، أن يغتتم رئيس الحكومة نجيب ميقاتي مناسبة الذكرى الواحدة والتسعين لليوم الوطني السعودي، فيتوجه إلى الرياض أولاً وقبل باريس بغرض التهنئة التي كانت ستبدو إستثنائية وغير مسبوقة بمعنى أن رئيس

حكومة لبنان لا يهنئ بالذكرى من خلال برقية يبعث بها أو حتى إطلالة من جانبه على إحتفالية تقيمها سفارة المملكة، وإنما يذهب شخصياً للتهنئة أولاً مصرحاً لدى وصوله بذلك ثم ليشرح ما خفي من مباحكات ترؤسه الحكومة، ثم مصرحاً أيضاً بالتمني على القيادة السعودية ملكاً محباً للبنان مداوة وعكته الصعبة، وولي عهد مأمولاً منه شمل لبنان الوطن وليس الأشخاص بإهتمامه وتوجيه الدعوة إليه لزيارة وطن أوصى به الجد خيراً وتعاطفاً وعمل الأعمام الملوك وكذلك الأمراء وصولاً إلى الملك الوالد بالوصية.

ونحن عندما نقول إنه كان مأمولاً من الرئيس ميقاتي أن يفعل ذلك فعلى أساس أن ضباب وقفة الباب الأعلى فرنسا الرئيس ماكرون ينفش لمصلحة لبنان في حال أن الصديق الفرنسي لمح ضوء الشرفه الأخضر للشقيق السعودي. والله الهادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 سبتمبر (أيلول) 2021

تدوير الرئاسة اللبنانية... يا لتلك التخرجة

ترجع ابن الطائفة الأرثوذكسية شارل دباس على كرسي الرئاسة في لبنان تحت الإنتداب الفرنسي ثماني سنوات بدأت في العام 1962. وعندما إنقضى العام الأخير مع بداية اليوم الأول من شهر يناير/ كانون الثاني إنصرف عائداً إلى باريس التي فيها زوجته الفرنسية وللعلاج بعدما أصابه المرض، ومع ذلك كان يمني النفس بعد الإبلال من المتاعب الصحية بالعودة رئيساً مستنداً في ذلك إلى أن سمعته لدى اللبنانيين كانت طيبة لجهة النزاهة وبساطة العيش حيث كان لا يستعمل سيارة الرئاسة خارج الوظيفة كما كان متقشفاً ولا حاشية له تكتنز من رئاسته. وهو كما الرئيس الجنرال الأول في تاريخ الرئاسة اللبنانية اللواء فؤاد شهاب، كان يعتاش من مرتبه. ونشير إلى أنه على رغم إنزعاج البطريرك الياس الحويك لأن فرنسا إختارت أرثوذكسياً بدل إختيار شخصية مارونية للرؤس، إلا أن المرجعية الفرنسية الإنتدابية تجاوزت الإنزعاج وجددت رئاسة شارل دباس أربع سنوات تلت أربعاً. ثم بعد ذلك تبدلت الحال بإختيار أحد وجهاء الطائفة المارونية في

الثالث الأول من القرن العشرين حبيب باشا السعد المحسوب على تركيا كونه أول مسيحي في الشرق الأوسط منحه الباب العالي لقب باشا وبذلك بات لقبه فخامة الباشا الرئيس. وكما بدعة التجديد من جانب فرنسا لمن يتأسس على نحو ما حدث مع الأرثوذكسي شارل دباس، فإن المرجعية الفرنسية التي تقلد المنصب الروحي البطريرك أنطون عريضة الذي تقلد المنصب الروحي خلفاً للبطريرك الحويك الذي توفي، جذبت رئاسة حبيب باشا السعد مرتين، سنة لكل مرة. وهذا من أجل رحابة الإسترضاء ولأن التجديد بدعة غير مستحبة عموماً.

كما الرئيس السلف شارل دباس الذي يظهر على الناس معتمراً القبة الفرنسية، فإن حبيب باشا السعد الذي كان أول معتمري الطربوش التركي بين رموز الصفوف المتقدمة من العمل السياسي في لبنان (منهم على سبيل المثال لا الحصر الصلحيان رياض وتقي الدين وصائب سلام) عُرف الرئيس اللبناني الثاني في عهد الإنتداب بالنزاهة وعدم توظيف المنصب لإكتناز الثروات، مسجلاً بذلك أنه كما شارل دباس من نسيج الماروني الآخر فؤاد شهاب. ولقد ترك الإثنان كل زوجته تعيش من معاش تقاعدي زهيد. مثل هذه السلوكيات إنطبقت في السبعينات على الرئيس جمال عبدالناصر دون سائر الرؤساء العرب حيث أنه رحل دون أن يترك ثروات وأن أرملته بقيت حتى وفاتها تعيش من راتب شهري تقاعدي.

غادر حبيب باشا السعد المنصب الذي شغله لمدة سنتين (30 يناير 1934 _ 20 يناير 1936) وسمعته عطرة. لا تهجمات عليه ولا ألقاظ مسيئة في حقه. ولا كتابات على جدران شوارع بيروت تنال منه كما الحال مع الرئيس ميشال عون. كما لا رغبة في البقاء رئيساً سنة جديدة، وبذلك إستحق من جانب الناس دُكره بالخير.

ثم بدأ العراك السياسي على أشده مع إختيار فرنسا النائب في البرلمان إميل إده رئيساً للجمهورية كونه ابن عائلة مارونية مرموقة. وكان تعيينه على نحو ما يعيشه لبنان الحاضر منذ أن تم ترئيس الجنرال ميشال عون رئيساً للجمهورية. فكما أن العراك السياسي داخل الطائفة المارونية على أشده بين "القوات اللبنانية" التي يتزعما الدكتور سمير جعجع و "الكتائب اللبنانية" التي يتزعما المحامي سامي الجميل فحيد مؤسس هذا الحزب المسيحي الماروني في معظمه والإبن الثاني للرئيس اللبناني السابع في زمن الوصاية السورية أمين الجميل، و"التيار الوطني الحر"

مكافأة للأرثوذكسي أم رسالة إلى الماروني

حقق الإنتداب الفرنسي للمسيحيين في لبنان محاصصة الطوائف على أفضل ما تكون عليه المحاصصة التي حلت محلها في مرحلة لبنان المستقل المحاصصة السيائية بمعنى السياسية الطائفية والتي يعاني منها لبنان أكثر المعاناة مرارة.

ولأن ألفرد نقاش كاتب مقالات بالفرنسية لصحيفتين كانتا تصدران في مصر الملكية يطالب فيها بتحرير لبنان أيام المتصرفية من السلطنة العثمانية وتأمين مرفأ في بلدة جونية الساحلية الأمر الذي حمل السلطنة على الخُكم عليه بالإعدام، فإن الإنتداب الفرنسي رأى فيه أنه الماروني المناسب لترئيسه خلفاً لإميل إده، بداية رئيساً للدولة ثم رئيساً للجمهورية ولمدة سنتين من 24 أكتوبر/ تشرين الأول 1941 إلى 18 مارس/ آذار 1943. لم تدم رئاسته كما الحال مع الخلف إميل إده الذي ترأس لخمس سنوات، لكن سنتيه كانتا مستقرتين نسبياً وترك رصيده أثراً طيباً لدى الرئيس الجنرال الأول فؤاد شهاب حيث أنه بعد الرئاسة أوكل إليه تمثيله في مناسبات إلى جانب مواصلة كتابة المقالات باللغة الفرنسية.

جاءت المحاصصة الإنتدابية تعطي الكاثوليكية اللبنانية في شخص أيوب تابت المنصب الأول في الدولة مع أنه بروتستانت المذهب، لكنه لدواع لم يفصح عنها متعصب للكاثوليكية، سلموه الرئاسة لأنه وهو مغترب في الولايات المتحدة كان ينشط في أوساط الإغتراب اللبناني لمصلحة فرنسا ضد السلطنة العثمانية. وحيث أن الزعامات الإسلامية وبالذات آل سلام وآل بيهم كانت عثمانية الهوى فإن هذه الزعامات لم ترحب به على النحو الذي يريح رئاسته التي دامت أربعة أشهر (من 18 مارس/ آذار إلى 21 يوليو/ تموز 1943) وكان بذلك أول رئيس في تاريخ لبنان يشغل المنصب أربعة أشهر خلافاً للمألوف وهو ست سنوات في الحد الأقصى وسنتين في الحد الأدنى. لكن رغم هذه المدة القصيرة أنجز البروتستانت المذهب الكاثوليكي العصبية ما أمكنه إنجاز مستحقاً بذلك الثناء. ما كان يحتاجه لبنان وبالذات عاصمته بيروت الحزينة زمناً يحتاجه لبنان الحاضر وبالذات عاصمته كما أحنائها وكأبتها في زمن كورونا على مدى ثلاث سنوات عجزتها التحالفات والأحزاب

الحزب الذي أوريث الرئيس الحالي ميشال عون قيادة هذا الحزب إلى زوج إبنته جبران باسيل... كما العراك الماروني الراهن على أشده فإن عراك الثلاثينات والأربعينات بين المتطلع إلى التروؤس بشارة الخوري مستنداً إلى "الحزب الدستوري" الذي يتزعمه في مواجهة إميل إده وحزبه (الكتلة الوطنية) الخالي من أي سلاح كما سلاح بشارة الخوري. وفي جولات العراك السياسي من جانب كليهما كان التخاطب أقل حدة مما بات عليه من جانب سمير جعجع وسامي الجميل من جهة والطيف العوني بتنوع رموزه من جهة مقابلة.

أمضى إميل إده الذي أبصر النور في دمشق خمس سنوات رئاسية مبهرة مع بعض العصف ورحل تاركاً الإرث الذي هو علة لبنان عند تشكيل الحكومات وفق مادة من إبتكاره وبالتشاور المتوازن مع السيد الفرنسي تضمنتها المعاهدة اللبنانية _ الفرنسية وهي 6 و6 مكرر وبموجبها يكون توزيع المناصب على الطوائف. ورغم أسلوبه البليغ عند إلقاء خطاب ما حيث يستحضر فيه أقوالاً مأثورة أو أبياتاً من الشعر، إلا أن الزعيم "الكتلوي" لم يفعل كما خصمه "الدستوري" بشارة الخوري بمعنى أنه خلال السنوات الثماني التي تلت مغادرته المنصب الرئاسي لم يكتب مذكراته، في حين أن بشارة الخوري كتب المذكرات بعدما بات رئيساً سابقاً ومن دون أن يؤاخذ نفسه في سطور منها رغم ترؤسه الجمهورية الأولى للبنان المستقل يوم 21 سبتمبر/ أيلول 1943 (فيما إميل إده يواصل ما تبقى من المهمة بتشيط مكتب المحاماة الذي تخرّج منه حقوقيون بارزون) وبقي على مناكفته للرئيس السلف المستضعف إميل إده. ولطالما لام كثيرون بشارة الخوري لأنه أمر السلطات الأمنية بعدم تشييع جنازة إميل إده من منزله في بلدة صوفر الجبلية (مصيف كبار الشأن السوري واللبناني في العشرينات حتى الخمسينات) كي لا يتحول التشييع إلى تظاهرة شعبية حافلة ضد الرئيس _ الخصم بشارة الخوري. وتلك في أي حال ليست السقطة الوحيدة ذلك أن آخر ثلاث سنوات من ترؤسه شبيهة بعض الشيء لجهة الحاشية وأفعال الحاشيين بمعظم سنوات الرئيس ميشال عون، الرئيس الأول في زمن الوصاية الإيرانية المرصعة بتقاليد الوصاية السورية. يا لسوء أقدار لبنان وطناً وشعباً. وللحديث بقية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 29 سبتمبر (أيلول) 2021

والحركات والتيارات أسوأ عَجَف. عسى ولعل الحكومة الميقاتية التي جاءت ولادتها قيصرية أو فلنقل بمعجزة دنيوية تتجز هي الأخرى وبالذات من جانب وزير الداخلية المأمول منه خير إدارة لأكثر الحقائق إتصلاً بالناس. ما فعله أيوب ثابت أن له الفضل في منع تبويل الناس على الجدران يوم تولى وزارة الداخلية والصحة كما منع عادة ترزيم السيارات دون أسباب موجبة وكذلك شرب القهوة في الدوائر الرسمية. لعل وزير الداخلية الجديد القاضي باسم المولوي يقرر المنع نفسه ويضيف إليه تنظيم سير الدراجات النارية فلا تستمر على الفلتان التي هي عليه خصوصاً بعدما باتت بالآلاف، وتفعيل قوانين منع التدخين والشيشة في الأماكن والقاعات المغلقة خصوصاً أن الحرب على الكورونا ما زالت مفتوحة بتنوع نسلها. وإلى ذلك وُضِع حد لظاهرة الصور والأعلام تملأ شوارع العاصمة وطريق المطار، وبحيث لا يعود كل من يخطر على باله تعليق يافطة أو رفع علم أو الإكثار من صور ولوحات تحمل عبارات تعبوية، يتصرف من دون إستئذان السلطة الرسمية. وإلى ذلك وُضِع محطات لحافلات الركاب (الأوتوبيسات) بحيث تتوقف الحافلة عند المحطة المخصصة لها وليس حيث يريد سائقها التوقف، وكذلك تثبيت القاعدة التي من شأنها تنظيم الحركة في المدينة بحيث يكون اعتماد يوم لمفرد رقم السيارات العمومية والخاصة على السواء ويوم للمزدوج من الأرقام. وهذا غيظ من فيض ولا ينفي عدم الأخذ به أن الظروف صعبة. لقد فعلها أيوب ثابت قبل 78 سنة، بل حتى فعلها الإنقلابي السوري الأول الزعيم حسني الزعيم عندما أصدر أوامر مماثلة وأضاف إليها منع الناس من التجول في الشوارع وهم يرتدون البيجاما. وها هو مصطفى الكاظمي رئيس الحكومة العراقية الواثق الخطي الرافض النوم على ضيم يواصل دون كلل تصحيح ما خربه الآخرون، لكي يعود العراق منارة.

كان أيوب ثابت رئيس الأربعة أشهر نظيف الكف وقريباً من الناس ومحباً لجلسات الزجل ورحل وقد سجل تاريخ الرئاسة اللبنانية أن البروتستانت وليس الأرثوذكس والموارنة والكاثوليك أخذوا نصيبهم من التروؤس. بل إن الأرثوذكس الطائفة التي كان راعيها المطران الياس عودة مثل البطريرك الماروني بشارة الراعي يطلقان التنبيه تلو التنبيه والتحذير طوال خمس سنوات من الحكم المعقودة أليوته للتحالف الأول وربما الأخير من نوعه وموجباته بين ركن شيعي لبناني وركن ماروني لبناني، مما أحدثه هذا التحالف من تآكل للبنان الصيغة وأوجاع للناس وندوب للسمعة.. بل إن

الأرثوذكس ذاقوا طعم الرئاسة للمرة الثانية بعد الأولى التي تولها شارل دباس، ذلك أنه تم تعيين بترود طراد رئيساً لبضعة أسابيع (من 22 يوليو/ تموز إلى 21 سبتمبر/ أيلول 1943) وكان تعيينه القصير المدة هذا مسك الختام أو نقيض المسك لحقبة إحتار اللبنانيون في أمورهم كما حالهم في هذه الأيام، لتبدأ مرحلة لبنان المستقل بميثاقه الوطني الذي بعدما بات الوطن في كامل شيخوخته الوقورة يحاول بعض المراهقين السياسيين أو الذين هواهم التلاعب بالثوابت ومنها الثابت المضاف، إتفاق الطائف، رمي هذا التراث بإقتراحات تغلب فيها الإقتراءات على الموضوعية والحس الوطني.

قد يبدو تعيين الوجيه الأرثوذكسي المحامي بترود طراد (الخطيب بالعربية الفصحى كما الدكتور سمير جعجع في الزمن العوني) رئيساً ولو لبضعة أسابيع بدا كأنما هي مكافأة له كونه طالب عام 1913 مع خمسة من أصدقائه المسيحيين أن تكون سوريا بما فيها لبنان وفلسطين منطقة مستقلة عن العثمانيين يديرها الفرنسيون، كما قد يكون داعيها المستتر رسالة من سلطة الإنتداب، التي للمناسبة كانت أكثر رقباً ونزاهة ورحمة وتواضعاً من سلطة بريمر في العراق الذي أمطره بوش الإبن وطوني بلير ومن قبل بوش الأب، أعتى أنواع العدوان، إلى الطائفة المارونية بأن لا تكون مستأثرة وأن شأن لبنان الماروني ليس أعلى درجة من شأن لبنان الأرثوذكسي والكاثوليكي. نقول ذلك من باب الإفتراض والقراءة في أفكار أصحاب المبادرات ليس إلا. لكن الأمور سارت على الأخذ بترتيبات أخرى، وهي توزيع قسمة الإستقلال على الطوائف وكما لو أن هذه السلطة بيد ولكل ما يستحقه من غلة هذا البيدر. ثم تنقضي عهود أحد عشر رئيساً (بشارة الخوري. كميل شمعون. فؤاد شهاب. شارل حلو. سليمان فرنجية. الياس سركيس. أمين الجميل. الياس الهراوي. إميل لحود. ميشال سليمان.. فميشال عون) والحال ليس على نحو ما من حق الوطن أن يكون عليه وحق الشعب أن ينعم بالطمأنينة والتطور شأنه في ذلك شأن أوطان كثيرة خرجت من وطأة الإستعمار أو الإنتداب أو الوصاية لتعوض طمأنينة فقدها الشعب. ثم تجد هذه الأوطان نفسها في محن أشد. وهذا ماثل أمامنا في لبنان وجارته سوريا على سبيل المثال لا الحصر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 7 أكتوبر (تشرين الأول) 2021

مكايدات على مستوى القمة

تتزايد المكايدات على مستوى كبار القوم صانعي السياسات وراسمي الخرائط في زمن الكورونا التي لا تهدأ صولاتها ولا يقوى أهل العلم وإختراع الوقائيات على وضع نهاية قريبة لإجتياعها وكيف لا تميز من المصابين إنساناً على آخر ، وأحدث هؤلاء على مستوى أهل القمة الرئيس بوتين الذي جرب الحظر بضعة أيام تأكد فيها لا شك في ذلك أن شأنه القوي يضعف إلى درجة الإستسلام أمام جرثومة، وذاق مرارة الحجر الإجباري هذا السجن الذي يبقى سجنًا وإن كان مذهباً، ثم إنطلق إلى الطبيعة صياداً يتباهى كما صيادي مواسم القنص بأنه أمات برصاصة طائراً لا حول له ولا قوة. وبعد بوتين تأتي الأنباء من عمان تشير إلى أن وليّ العهد الأمير الحسين بن عبدالله الثاني أخضع للحجر وكذلك والدته الملكة رانيا نتيجة إصابة بالكورونا حماهما الله.

قبل رئيس الدولة العظمى التي يكايد الرئيس أردوغان رفيقه الأطلسي الرئيس بايدن من خلالها بالتلميح إلى أنه سيشتري المزيد من أنظمة الدفاع الجوي (إس 400) وعلى نحو مكايدة بايند نفسه للرفيق الأطلسي ماكرون المصدوم من الفعل الغواصي الذي فعله بايند بفرنسا، كان هنالك كثيرون من أصحاب المقامات الرسمية حجروا أنفسهم مرتعدين من أن تفعل بهم الجائحة فعلها المعطل وربما المميت. وبتذكر أسبوع الهلع الذي أمضاه الرئيس ترمب محجوراً في البيت الأبيض مصاباً إلى جانب الإرتفاع المقلق في درجة الحرارة بإرتفاع يفوق التحمل في "فيروس" التخوف من أن يطول الحجر فيقصر تبعاً لذلك هامش السعي للبقاء ولاية رئاسية ثانية. وهو في أي حال لم ينل ما يتمنى رغم أنه خرج معافى من الحجر ليدخل في معركة قائمة على التحديات بدل الإنجازات ثم ينتهي به المقام في حجر آخر هو فقدان الرئاسة التي حُجرت عليه أو حُجّر منها، يعاني على مدار الساعة من كوابيسه ومن دون أن يأخذ في الإعتبار جوهر الحكمة القائلة: خيراً تعمل خيراً تلقى.. شراً تفعل شراً تلقى.

ولم يحدث هذا الكم والنوع من المكايدات على جميع المستويات ولدى بعض دول العالم في زمن الكورونا مثل الذي يحدث في بعض دول الأمتين العربية والإسلامية، وإلى درجة أن فيروس المكايدة يسير في اتجاه أن يتكرس

كحالة مستقرة في هذه الدول.

في لبنان لا تغيب المكايدة ولو لبضع دقائق من ساعات اليوم. وبات الذين من واجبهم حفظ أمن الوطن وكرامة الشعب مثل الفرق الكروية يتبارون في دوري ما يدك البنيان الوطني حجراً تلو حجر، ينال من القضاء ذلك السياج الذي يقي المواطن وبالتالي الوطن من شرور الإستباحتات والفوضى الجارفة إنما في حال لم يدخل أهل السلطة على المسار القضائي وبقي قصر العدل بأهمية القصور الرئاسية بمعنى السمعة والفاعلية وليس بمعنى البنيان والأبهة. وهكذا فإن تحديد ضربة من يسيء أكثر تُعتبر "الإنجاز الوطني". وحيث أن الوقائع الشريرة وأشخاصها الشريرين أكثر من أن تحصى، فإن الذي أصاب إثنين من القضاة بفعل غلبة إشهار سيف الويل والثبور من جانب من إذا هم هددوا نفّذوا التهديد على القاضيين الملتزمين بالقسم الذي أدياه، مثال لا يحتمل التشكيك فيه على هذه الممارسات. وها هي المكايدة ترتفع وتيرتها في اتجاه أن تتلع حيطان السلطة الأسماك التي تحلم بعودة بحيرة العمل السياسي اللبناني على درجة من الصفاء، كما حالها في أزمان مضت قبل أن يقتحم فيروس الولاءات الخارجية الساحة ويمعن فتكاً بصيغة الميثاق الوطني والعيش الطوائفي ويتبين أنه فيروس لا ينفع فيه الحجر وإنما البثر عندما ينقض الحس الوطني على العابثين بالمصير.

وفي تونس تسجل المكايدة المزيد من الجولات التي تعكس إنطباعاً بأن الرئيس قيس بن سعيد يؤسس لنفسه "زعامة قيسية" إذا جاز القول تشبه في ملامحها "الزعامة البورقبيية" معتمداً في ذلك على أنه في صدد تحقيق الإستقلال الثاني لتونس في الزمن الراهن ليس من الأجنبي إنما من الحزبية التي مرجعيتها خارجية، ويعزز إعتماده كما يثبت عزيمته التفويض الشعبي الذي من خلاله ومن دون أن يوظف المال الذي أصلاً لا يملكه كما سائر أساتذة الجامعات في العالم ، أنه بات رئيساً للجمهورية متفوقاً على حيطان حزبية بعضها عريق ويعيش رموز القيادة فيها معاناة صعبة تتزايد في صفوف الحزبيين والمتحزبين قد تنتهي إلى مصير أقرانهم في المملكة المغربية، وبات أيضاً يفاجئ المجتمع التونسي الذي ينتظر منه دوام مقارعة الفساد والمفسدين بإختيار امرأة من نبع العلم والثقافة الذي إرتوى منه لتكون رئيسة للحكومة مسجلاً بذلك خطوة غير مسبوقة في العالم

والمتابعة لديه، الإضاءة بإفاضة عليها بعدما تكاثرت النقاط وباتت الحروف عسيرة على صياغة الكلام المفهوم في إنتظار وضع الحروف عليها. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2021

حدث سعودي للإستهناض العراقي

قبل معرض الرياض الدولي للكتاب في أحدث دوراته الأكثر إزدهاراً، كانت معارض الكتاب المتنقلة من عاصمة أو مدينة عربية إلى أخرى عبارة عن مناسبة، شأنها شأن مناسبات موسمية يتم إحياؤها من جانب بعض الدول العربية ترويجاً للسياحة. وكانت هذه المعارض فرصة لدور النشر وبالذات المزدهر منها على مدى نصف قرن في لبنان ومصر لتسويق إنتاجها النشري بما يعوض تكاليف الطباعة وحقوق التأليف. وعلى هامش هذا المعرض في الشارقة أو الرباط أو القاهرة أو الخرطوم أو عمان أو أبو ظبي أو أربيل تتم فعاليات ثقافية خجولة في معظمها بهدف إضفاء لمسة غير تجارية على المعرض.

والى ذلك كانت معظم دور النشر المشاركة تتأفف سلفاً من تكلفة المشاركة في المعرض التي تتطلب السفر وأجور شحن صناديق مؤلفات قد يباع بعضها وكذلك رسم المكان المخصص في مبنى المعرض المقام للمشاركين من دور النشر.

بعض الذي أصاب لبنان من سياسات وسياسيين تسبب في تعطيل المصالح عموماً ومنها قطاع النشر، باتت دور النشر تعيش حالة هبوط سريع في الإنتاج ولم تعد المقولة المتصلة بهذا الشأن "بيروت تطبع والعرب يقرأون" على حالها الراسخ في الذاكرة.

جاء معرض الرياض للكتاب في أحدث دوراته قبل أسبوعين ليس فقط مجرد إستضافة تقليدية للظاهرة كما إستضافة العواصم العربية للقمة الدورية، وإنما جاء يشكل الملمح الثقافي والفكري في فضاء إندفاع التحديث والتصوين والتقنية للدولة والمجتمع التي بدأها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز ضمن رؤية 2030 الرائدة والتي يرنو أجيال إلى التطلل بدءاً من عشر سنين

العربي وفي ظروف ترئيس تختلف تمام الاختلاف عن تجربة باكستان التي تمثلت بترؤس بنازير بوتو للحكومة تعويضاً معنوياً عن إغتيال والدها ذو الفقار الذي كان يبذل قصارى الجهد من أجل باكستان نموذجاً للبلد الإسلامي المتقدم. وبالنسبة إلى حواء التونسية فإن ترئيسها كان بمثابة إشارة إلى أنه سيعزز أكرمة أعمدة عهده بمعنى الإستعانة بالمزيد من الأكاديميين التي نجلاء بouden من هذا العالم المنزه عن الألاعيب الحزبية. كما أن ترئيسها يشكل ذروة المكابدة من جانب الرئيس لديوك العمل السياسي والحزبي كما حال هؤلاء في لبنان الممعنين رمي الوطن بالصراعات التي تنتج جحداً وتعطل تنمية. وغداً بعد نجاح تجربة أول رئيس حكومة في العالم العربي ستحذو أنظمة كثيرة حذو تونس فتعتمد إلى توسيع هامش مشاركة المرأة في صناعة القرار السياسي وهي خطوة يُذكر بالخير بادؤها على درجة أقل عندما فاجأ الرئيس جمال عبدالناصر المصريين بتعيين حكمت أبو زيد وزيرة طال بقاؤها في المنصب عكس وزيرة الزعيم عبدالكريم قاسم "الرفيقة" في الحزب الشيوعي نزيهة الدليمي الذي حصّن الزعيم لكنها كانت وزيرة عابرة لم يستقر بها المقام طويلاً فإنصرفت عن الوزارة وعن العراق. كما يعزز الرئيس قيس من أجل الإستقلال الثاني أن المؤسسة العسكرية مع سعيه موقفها ضمناً من الحزبية يلتقي مع رؤيته. وهذه المؤسسة ماثلة أمامها التجربة غير المنزهة التي إرتبطت بالعسكري الذي تمدن ليرأس زين العابدين بن علي وأحدثت خللاً في المؤسسة العسكرية لأنه أراد أن تصون السياج الذي يحمي نظامه، لكن المؤسسة المضطربة للنهزم زمناً كانت متنبهة في الوقت نفسه، وعندما حدثت الإنتفاضة الشعبية فإنها لم تقمع على نحو ما طُلب منها ثم تصرفت بالحسن من خلال تسفير الرئيس كي لا يبقى أسره المحتمل كما وضع الرئيس عمر البشير في "كوبر" حالة مقلقة سواء بقي إلى آخر العمر سجيناً أو قضى خلال جلسة إستجواب كالذي حدث للرئيس المصري الإخواني محمد مرسي، أو تم من جانب رفاق السلاح تسليمه إلى محكمة دولية وتصبح الخطوة سابقة لا تحبذها المؤسسة العسكرية في السودان التي تعيش منذ أن إستقر بها ترؤس البلاد حالة من المكابدة مع الطيف المدني الشريك في الحكم.. مكابدة فريدة من نوعها وتستوجب من كاتب وصحافي تشكّل التطورات السودانية منذ الستينات حيزاً رحباً من الاهتمام

آتية في أفيائها. ومن هنا فإنه ليس مجرد دورة من الدورات المتنقلة وإنما هو حدث بأكثر من وجه. أبرز هذه الوجوه أن الكتاب العربي إلى إنتعاش ما دام الإستنهاض لدور النشر إنطلق من معرض الرياض. كما هنالك الوجه البارز هو الآخر والمتمثل في تنشيط الشريان الثقافي الذي إشتهر به العراق والذي كاد يتيبس بعدما حل السلوك الميليشياوي محل الفكر والثقافة تأليفاً وشعراً في العراق. ومن هنا فإن الخطوة اللافتة من جانب وزير الثقافة السعودي الأمير بدر بن فرحان ليكون العراق ضيف الدورة التي إسمت بأنها إستثنائية بمعظم الأجواء والفعاليات، متمثلاً بوزير الثقافة حسن ناظم هي نوع من التوضيح في طيات المعاني إلى أن الأمة العربية التي إفتقدت الحضور السياسي التعاوني لمصلحة التضامن العربي المشترك من جانب العراق، إفتقدت في الوقت نفسه إشراقة العراق الشعر والأدب والبحث والرواية والصوت الرخيم والتراث الأجدادي. وأن رافداً من المسؤولية القومية للمملكة العربية السعودية ذات الثوابت وذات الحرص والنخوة هو إستنهاض بداية ومتابعة وتنشيطاً للعراق الثقافة والشعر والأدب والنقد والتحليل المجتمعي الذي كان الدكتور علي الوردي رافع رأيته الخفاقة.

وهكذا نرى أن الحدث الثقافي الحاضر للعراق يأخذ مكانه إلى جانب الحدث السياسي المتمثل بإستقبال رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي عند زيارته الأولى إلى الرياض وهو إستقبال لم يسبق أن ناله زائر عربي بهذا النوع من الترحيب من قبل. وهذا الإستقبال المتميز لا ينحصر في مقتضيات البروتوكول، وإنما سبق معرض الرياض ورمزيته العراقية، من حيث التأكيد من جانب المملكة على أن يشق العراق التوافق إلى محيطه العربي الطريق وقد وجد من يؤازره معنوياً ثقافياً بعد المؤازرة السياسية والإقتصادية.

هذه الروح المقرونة بالأريحية لا يبدو أنها حالة عابرة من جانب المملكة العربية السعودية. ودائماً تكون الوقفة لحظة فرح بدءاً بالملعب الذي أهده خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى البصراويين الذين ذاقوا الأمرين من الحليفين بوش الإبن وطوني بلير. وكأنما أراد الملك القول للجيل الشاب في البصرة: إطمئنوا وحاذروا الإصغاء إلى الطروحات الميليشياوية ومارسوا الرياضات على أنواعها بدل التعاطي مع السلاح وحصّنوا بلدكم بالعقل المستتير وليس بالتمذهب الذي نهايته

فواجع.

الثقافة أدباً وشعراً وفناً تشكلياً وتراثيات شعبية بعد معرض الرياض الدولي للكتاب الذي كان العراق ضيفه وكان الحضور جامعاً لكل أنواع الإبداعات، هي غيرها ولا ريب في ذلك بعد المعرض، كما باتت السياسة عموماً بعد الزيارة المتميزة للرئيس الكاظمي وكما تعمقت المشاعر بعد هدية الملعب للبصراويين وبعد فتح المعابر التي تنفع الجميع. هذا أصلاً كان حاصل قبل أن يتصدع البنيان الأخوي الخليجي بفعل الوزر الصدامي، ولكن بالنوايا الطيبة يمكن للبنان إستعادة ماضيه الجميل.

عسى ولعل تصطلح الحال في لبنان الذي ضل سبيله العربي وبحيث يلقي على الصعيد الثقافي والإبداعي ما يستحقه من التكريم وعلى نحو ما حظي به العراق، وتجدها لا نستبعد بعض التأمل وكثير الأمل من جانب الأمير بدر بما نتمنى حدوثه ويكون ضيف شرف الدورة المقبلة لمعرض الرياض الذي سيستمر بمثابة حدث يقتدي به منظمو المعارض في العالم العربي وبالذات المثلث المغربي الجزائري الليبي والتونسي الذي لا يستقر على حال، أو بعد أن يكون إهتدى السودان وهذا الغليان في أحوال الدول الثلاث وتلاشى الإرتباك في رتق مقومات إستقرارها. والله الرحيم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2021

خير الأمور إستدامة الشراكة

بات بعدما فاض الكيل لدى السوداني المستسلم إلى الأقدار والذي هو دائم الخشية من أرغفة لا يجدها فجأة أو الوقود الذي ما أن يتوافر يوماً حتى يندر وجوده أياماً، أن يرفع كلمة الحق الكفيلة بوضع حد للمجادلة العقيمة التي يتسع مداها، وهي أن الصيغة التشاركية التي حدثت وبمقتضاها كان التعاون العسكري _ المدني الذي أثمر طمأنينة وأجواء إرتياح عربي ودولي وإحتمالات عوائد تستتبع إلغاء ديون متراكمة وجدولة ديون غير قابلة للإسقاط، هذا إلى جانب إختراق محسوب لمحرمات إرتبطت برؤية لم تأخذ واجب التوضيح اللازم... إن هذه الصيغة هي حتى ما هو أفضل مفتاح بوابة الاستقرار

للسودان المحروم هذه النعمة منذ الخمسينيات يتقاسم السياسيون والعسكريون على حد سواء وزر هذا الحرمان. وعندما تكون هذه هي النظرة إلى الصيغة التشاركية العسكرية _ المدنية، فلأن كنه المسألة يؤكد بعض الحقائق ومنها أن الإنتفاضة الشعبية التي حدثت ضد نظام الرئيس عمر حسن البشير كانت خطوة شجاعة من حيث عفويتها، إنما لولا الدخول السلس من جانب بعض العسكريين على خط الأزمة ودعمهم المتدرج للمنقذين لكانت هذه الإنتفاضة التي بدأت مثل شمعة تثير عتمة سياسية وإجتماعية أبلغها النظام البشيري مداها، ستتطفئ ويتكسر الإندفاع الشعبي الذي ملأ شوارع العاصمة المثلثة وأسطح رحلات القطار الآتية من الولايات البعيدة، على أسوار المؤسسات البشيرية الحزبية وتبدأ حرب أهلية من نوع غير مألوف، يواجه فيها السوداني المعترض شقيقه السوداني "الإنقاذي". ويا ويل السودان من طول غضب السوداني عموماً ومن مفاعيل هذا الغضب.

كان العسكريون الذين إصطفوا إلى جانب المحتجين على درجة من الحكمة والبصيرة. سجلوا مواقف لكنهم لم يصدروا بلاغات وإنما بعض التوضيحات والتنبيهات عند الضرورة والخشية من فلتان الأمور، كون البلاغات أولاً وثانياً وتباعاً معناها إنقلاب عسكري. وهم بهذا التصرف صانوا الحراك الشعبي وفي الوقت نفسه سجلوا صيغة معادلة موضوعية خلاصتها أن الإنتفاضة من دون موقفهم كانت ستتكرر ويكرر الرئيس عمر البشير ما فعله الرئيس جعفر نميري عندما حاول الشيوعيون الإنقلاب عليه عن طريق بعض ضباطهم فكانت النتيجة فاجعة وإعدامات بعد محاكمات غير مكتملة أصول العدالة والواقع الاجتماعي في السودان، حيث أن شأن الشيوعيين في السودان كان يمثل شأن إسلامي "الإنقاذ البشيري" مع فارق أن هذا الطيف الأخير كان رقماً أساسياً في السودان المالي والإستثماري فيما "الرفاق" الشيوعيين أقوياء عقائدياً. ولكن هذه القوة تراجعت أمام الشأن العسكري لنظام نميري وكانت تصفية أقطاب المحاولة الانقلابية عام 1971 بمن في ذلك عبدالخالق محجوب وبابكر النور وفاروق حمد الله وهاشم العطا والشفيع أحمد الشيخ. ولا يغيب عن الذاكرة مشهد أرملة الشفيق القيادية الشيوعية فاطمة أحمد إبراهيم يوم عودتها باكية إلى الخرطوم (الأربعاء 17 ديسمبر/ كانون الأول 2003) بعد ثلاث عشرة سنة أمضتها منفية في العاصمة

البريطانية. دموع جديدة على زوجها الشفيق الذي كثر لوم السودانيين للرئيس نميري على إعدامه ودموع على حالة السودان وعلى حزبها الذي لم يكن حصيماً عندما إفترض أن في الإمكان جعل السودان محكوماً بحزب شيوعي. تلك دراما سياسية وثقتها في حينه بكتاب "الحزب الشيوعي السوداني.. نحروه أم إنتحر".

وما يعنينا بهذا الإستحضار هو التركيز بأن البشير إرتكب الإثم الإعدامي نفسه. وهذه المرة كان الذين أعدمهم 21 ويقال أكثر. كما يعنينا من التذكير أن الطيف المدني لا يمكنه وحيداً حُكم السودان حتى إذا كانت هنالك قاعدة حزبية عريضة وملتزمة مثل الحزب الشيوعي. ولذا فإن ما ينادي به الطيف المدني لا يبدو واقعياً بالنسبة إلى السودان الذي أفشل قادة الأحزاب أول فرصة حُكم مدني أتاحت لهم بعد إسقاط نظام الجنرال الرئيس إبراهيم عبود عام 1964 حيث قضت جولات العراك السياسي بينهم على الحراك الشعبي الذي أثمر أول إنقلاب مدني حزبي مئة بالمئة على نظام عسكري متين الجذور ومطعم ببعض المدنيين لغرض زخرفة الحُكم أمام العالم. وبسبب ذلك العراك الذي نشير إليه تساقطت تجربة "المدنيون يحكمون" ولم تعد الصورة الشهيرة التي إنطبعت في ذاكرة السودان حاضرة وتمثل أقطاب الحُكم في صورة واحدة تضم الصادق المهدي وإسماعيل الأزهري وحسن الترابي وعبدالخالق محجوب والشيخ علي عبدالرحمن وفاطمة إبراهيم. ثم بدأت التجربة الثانية لنظام عسكري هو الذي قادة العقيد جعفر نميري ومعه مجموعة من الضباط الرواد الرتبة وجرت أيضاً زخرفة النظام ببعض المدنيين فإستقر السودان بعض الشيء لكن معادلة الشراكة لم تكن مستقيمة. وهنا جاء ليكرر الأمر نفسه الجنرال عمر البشير متكلماً على الدكتور حسن الترابي الذي كان إنفضَّ عن نظام نميري. وحيث أن الترابي يتطلع كما قادة الطيف المدني في الإنتفاضة ضد نظام البشير إلى أن يكون العساكر حماة لهم وليسوا أسياداً عليهم، فإن البشير حذف الترابي من المشهد. وما نحن أمام حالة حذف على أهبة الحدوث من جانب الثنائي الفريق عبدالفتاح البرهان والفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي) للشريك المدني في حال إستمرت حلقات حزبية بعثية وناصرية وشيوعية فيه تتشط بهدف التقليل من الدور العسكري وإلى درجة المطالبة بتسليم المقادير ومنها مؤسسات أمنية إلى المدنيين. وهذا إستوجب من الرئيس البرهان الإيحاء. بما

معناه إن الذين يطالبون بذلك ليسوا كل السودان الحزبي بل إنهم قلة ولذا يجب توسيع القاعدة الحزبية في الحكومة، ثم تصل الحال بالرئيس العسكري البرهان إلى التلميح بحل الحكومة الحمدوكية التي عقل رئيسها مع الثنائي البرهان _ دقلو وعاطفتها مع "حركة التغيير" وتملك ورقة الدعم الدولي المالي المأمول للسودان مقابل ورقة التطبيع الذي إرتبط بالبرهان ولم يكتمل فصلاً وعوائد.

خلاصة القول إن تطوير الشراكة المدنية _ العسكرية وليس الغلبة، هي التي تقي السودان إحتتمالات الأخذ بالإنقلاب العسكري، وإعتبار الصيغة التي تمت تتدرج ضمن معادلة خير الأمور وهي الإنفاذ للسودان من مغبة المغامرات غير المحسوبة والإمساك بالفرص التي أتحت دولياً لجهة الدعم مالياً وإسقاط بعض الديون ومن شأنها إبقاء الأحوال المعيشية تحت السيطرة.

ثم في إنتظار إكتمال الترميم وإجراء الإنتخابات تتأكد مكانة كل طيف وتُثقل الستارة على المشهد الأخير من المماحكة التي لا تحل المشاكل المستديمة. و... الله غالب ومعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 20 أكتوبر (تشرين الأول) 2021

تأملات في ثلاث حالات مستعصية

لو أن العراق الثوري بمعظم أطيافه وتسمياته ومعه السودان الثوري بمعظم مفردات بيانات أقطابه يتأملان بما آلت إليه أحوال لبنان المبتلى بكل أنواع الفيروسات الحزبية والسياسية التي تمعن نهشاً في الكيان الذي يزداد هزالاً يوماً بعد آخر، لكان هؤلاء إستدركوا الأمور قبل أن يفوت الأوان ولا يعود الندم يجدي نفعاً وعلى نحو ما سبق أن عبّر عنه الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله من خلال قوله ما معناه أنه لو كان يدري أن الرد على خطف جنديين إسرائيليين سيكون حرباً دمرت ما سبق أن أنجزه عهد رفيق الحريري لما كان لعملية الخطف أن تتم.

في هذه الأيام ينشط رموز أطيايف العراق الثوري الممسك بأوراق كتلك التي في قبضة "حزب الله" ويزداد إمساكاً بها على أساس أنه من دونها لا يعود الرقم الوحيد

الصعب في المعادلة الحُكْمية وإنما واحداً من سائر الأرقام العابثة في ميدان السياسة. ومما يثير الإستغراب أن البعض من أطيايف العراق الثوري ليس فقط هنالك الذي قاطع والبعض الذي شارك لم يحقق الفوز المتناسب مع تأثير حراكه الثوري في مرحلة مضت، وإنما عمد إلى إستتساخ وصفة الرئيس دونالد ترمب لإبراء جراح الهزيمة في الإنتخابات بدءاً من ترداد القول إن ثغرات غير قانونية شابت عملية الإنتخاب ثم بعد ذلك جاء الرد على أرقام الصناديق التي ليست لمصلحته، ثم أخيراً وربما ليس آخراً المطالبة بإعادة الفرز يدوياً والدعوة إلى التظاهر والإعتصام إستفادة من الأجواء الراحبة من جانب الحكومة لجهة من يريد التظاهر والإحتجاج بالهتافات والبيانات والإعتصامات فليكن له ذلك إنما من دون أن يتسبب فعله هذا بالأذى للآخرين أو يعطل مصالح الناس.. أو يبلغ الإحتجاج مداه على نحو "الزلزال" الذي أعده السودانيون الغاضبين تشبهاً بـ "الزلزال" الذي تمثل بغزوة جماعات تتاصر ترمب لمبنى الكونغرس وتركت بأعمال الشغب بصمة رمادية على مناخ الحرية في قلعتها الصلبة الولايات المتحدة.

وإذا كان محركو هذه الإحتجاجات يدرون أن وسائل إعتراض ترمب لم تجد نفعاً فتلك مصيبة. وأما الكارثة فإنها إذا كانوا يدرون أن الأمر إنتهى بأن ساكن البيت الأبيض بات جو بايدن، ومع ذلك يصرون على إستعمال "قذيفة" الإعتراض وإعادة الفرز ومقاطعة مرحلة ما بعد العملية الإنتخابية التي جرت بنسبة عالية من الأصول على طريق إستعادة العراق ينطق نهجاً متوازناً مع الأشقاء العرب وتقهماً متبادلاً مع الجار القريب والصديق البعيد وبالذات ذلك الذي عبّر المحيط حيث تمثال الحرية على ثباته.

لقد آن أوان الرفق بالأوطان وبالتالي بالناس الذين ذاقوا من مرارة الغواية الثورية والحزبية والحركية ما يدفع بالمصائر نحو المجهول. كما آن الأوان لطفي صفحات إزدادت إصفراً من مراحل مضت عاشتها أوطان عربية مغلوب على أمرها، والكتابة في صفحة جديدة تليها صفحات من الطمأنينة كون كلماتها تنضح بالحكمة والحنكة والخوف من الله وكذلك الخوف على الكيان والمواطن. فليس من التعقل بمكان أن يصار إلى إفشال عملية تصحيح وضع في العراق تشكل العملية الإنتخابية مفتاح أحد أبوابه المغلقة. وليس من التعقل بمكان أن

تبعثر شرائح من الطيف السوداني صيغة إدارة متوازنة للدولة في أكثر الظروف دقة يعيشها المواطن.

وفي السياق نفسه ليس من الحكمة بمكان ألا يعيد بعض أهل "المقدسات الحزبية والثورية" النظر برؤيتهم وأساليب تعاملهم مع الأحوال الطارئة وتفعيل ما لخصه السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" بمقولته سابقاً إنه لو كان يدري بما يمكن أن يكون عليه رد فعل إسرائيل لما كان أمر بخطف جنديها. وفي ظل الظروف الحالية التي يعيشها لبنان منذ خمس سنوات يصبح مطلوباً أو محتملاً سماع مقولة مماثلة له بعد حين كأن تتضمن كلمة له في مناسبة عبارة لو أنه كان يدري أن حملة حزبه على أحد رموز القضاء اللبناني وكذلك حوار الفولاذي العبارات عبر الأثير مع أكثرية لبنان الماروني - الكاثوليكي - الأرثوذكسي - البروتستانتية تزيد فجوة الهواجس من مشروعه المقاوم الإيراني المدجج بالسلاح ولا يخفف من وطأة الفجوة أن هنالك خيمة مارونية متينة الأوتاد حاضراً تلتقي معه في نصف الطريق غير معنية بالنصف المقاوم جملة وتفصيلاً... إنه لو كان يدري مفاعيل تلك الحملة لكان يعتمد كلاماً لا يشعل مشاعر أهل البيت المسيحي ناراً.

ثم إن أي شأن يتراجع أمام شأن القضاء. وقد يكون من المناسب التأمل كيف أن "هيلمان" ترمب الذي هو صاحب شأن سياسي عميق الجذور والتأثير في حزبه الجمهوري، لم يحل دون أن يدلي قبل أيام بإفادة أمام القضاء في قضية رفعها متظاهرون من أصول مكسيكية إتهموا حراس ترمب بالإعتداء عليهم، وحاول محاموه جاهدين تميع القضية لكن لا أحد أهم من القضاء، ترمب كان أم الذين يطلب القاضي البيطار سماع إفادتهم. لكن "الحزب" كما "الحركة" وحتى مفتي الطائفة بأعلى صوته يرون تحريم مثل هكذا مسالة.

ويبقى ونحن نتأمل في المشهد العراقي السوداني اللبناني وكيف تعطلت لغة الكلام المداوي عند الجميع وعند آخرين في الديار المغاربية، نرى أن ما باغت به السيد حسن مسيحيي لبنان بمن في ذلك حارسي أوتاد خيمته من دون المجاهرة الصريحة بذلك، هو أن زعيم المقاومة تحدث في إطالة التحدي سياسياً حول مسألة لبنانية وليس كمقاوم من أجل القدس. مثل هكذا حديث لا يتطلب التلويح بمئة ألف مقاتل مدربين كما الذي يقال في هذا الشأن من أجل فلسطين. وببدل هذا التلويح فإن خير الفرص لوضع الأمور في مسارها وبما يهدى من الروح عموماً هو إتاحة المجال أمام القضاء

يؤدي الواجب إنطلاقاً من أنه كما لا أحد أهم من بلده فإن لا أحد مشتبهاً به أهم من المسالة إحتراماً للقضاء ولأن العدل أساس الملك.

وإذا أُجيز القول في مثل هكذا ظروف فإن تقديم كميات من السلاح لدى سلطة المئة ألف مقاتل إلى الجيش اللبناني رداً على تحية شاحنات المازوت التي سبق أن جاءت وللمزيد من الشاحنات يحتاجها الوطن في محنته الراهنة، كانت تحية أفضل ستعكس بداية إنطباع مطمئن لدى كل اللبنانيين محل المخاوف التي إستشرت. والله أكبر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 26 أكتوبر (تشرين الأول) 2021

موعد مع الإعجاز السعودي الثاني

من دواعي الطمأنينة والغبطة لجيل الآباء والأجداد الذين واكبوا مثل حالنا كل في نطاق الدور أو الإهتمام خاتمة حقبة تأسيس الدولة السعودية فسنوات حقبة بلورة بناء الدولة هدياً من جانب الأبناء الملوك الخمسة سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله رحمة الله عليهم، بالنهج الذي تركه الوالد المؤسس الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وصولاً إلى حقبة المملكة العربية السعودية الدولة الحاضرة التي تثبت الملك سلمان بن عبدالعزيز أوتاد خيمة حضورها في القرار الدولي... من دواعي هذه الطمأنينة وتلك الغبطة أن هؤلاء الأبناء والأحفاد سيشهدون كما سيعيشون إذا أمد الله بالأعمار مملكة غير التي عرفها أجدادهم وآباؤهم وأحاطوهم بالذكريات الطيبة عنها. فالذي بدأه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان وبارك السعي والجهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان قد يبدو خُلماً في صيغة مبادرة قيد التنفيذ ورؤية مرسومة تبدو مثل القصص ذات الأساطير، هو السقف الأعلى في ما ستكون عليه المملكة بعد أربعة عقود. واحة بمساحة ملايين الأمتار خضراء على مد النظر مغروسة بكل أنواع الأشجار. البقاع الرملية تصبح هي الإستثناء في سهول خضراء، أو فلنقل ستكون هذه البقاع هي الواحات الرملية كما واحات صحارى الزمن الراهن. وكل ما إبتكره العقل العلمي والذكاء الإصطناعي بات موزعاً على مناطق المملكة سياحة وإستثمارات وتصنيعاً.

ما يجعلنا نغبط نحن جيل الآباء ومن قبلنا جيل الأجداد، أن هذا الذي نقرأه أو نسمع عن رمز الجيل الثالث الذي على عاتقه أداء الدور والواجب في مسيرة الانتقال بالملكة من حقبة إلى حقبة ومن معالم إلى معالم، أن الإرادة عندما تكون مقرونة بالسعي والقدرات وباستحضار مبدئية وجهاد الأقدمين يصبح الحلم حقيقة. هكذا التأسيس نفسه كان، إذ من كان يصور أن الجهاد الذي خاضه عبدالعزيز سيثمر دولة موحدة، لولا أن الحلم إقترن بالإرادة وكلاهما بروحانية تبدد الخشية من الإخفاقات.

سيرى جيل الأبناء والأحفاد في زمن ليس بالبعيد أن السعودية التي عرفها الآباء والأجداد من قبل هي غير التي واكبها أجدادهم وآبائهم في خاتمة حقبة التأسيس ثم في الحُقب المتتالية مع الأبناء الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله كل منهم يرفد التجربة بما يعزز الشأن وصولاً إلى الإنفتاح المتدرج الذي بدأ به الملك عبدالله، ثم تضفي الحقبة السلمانية المزيد من الرونق والجديد إلى التحديث وفق ضوابط وتقاليد وبذلك يبدو الفعل بمثابة إضافات إلى ما كان بدأ إنما بإيقاعات تأخذ في الاعتبار أهمية مواكبة التحديث للطفرة النوعية العالمية على أكثر من صعيد.

ونحن عندما نواكب هذه الخطوات الهادفة تحضرنا الريادة السعودية الفضائية يوم إنطلق الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز في رحلة الفضاء الأكثر إثارة كون الريادة الفضائية كانت في مراحلها الأولى من التجارب ما يعني أن مخاطر الفشل واردة لكن مع ذلك غلبت إرادة الأمير من جهة وإرتضاء الوالد إنجاز الرحلة، وكان تسجيل العرب من خلال المملكة مقعداً لهم في إكتشاف الفضاء.

وها نحن مصادفة نعيش كتابة فصل جديد في المشهد الدولي ويكون سلمان آخر على موعد مع إنجاز في ظل مهابة والده الملك والرغد الأبوي الدائم من التشجيع وبصيغة النصح والتنبية إستناداً إلى التجربة العريقة على مدى ستة عقود عربية ودولية وفي عمق القضايا الشائكة التي خرج منها وقد بات واحداً من كوكبة المرجعيات في تقييم السياسات والمواقف والقدرة على التمييز بما هو الإيجابي وما هو السلبي.

على مدى نصف قرن كان إستحضار بعض التجارب في العالم على طريق التطوير وبناء الدولة المقتدرة

والمواكبة للخط البياني في ما يتعلق بنمو الأوطان، محور تمنيات أبناء الأمة لأوطانهم. وكنا مثل الكثيرين نتوقف أمام ما إصطلح على تسميتها معجزات دنيوية. وعلى سبيل المثال لا الحصر كيف نهضت اليابان من الركام إلى ما باتت عليه رمزاً مضيئاً في خارطة الثورة الصناعية.. صناعة الإلكترونيات والسيارات على أنواعها. وإلى درجة أنها كما السعودية وثمانية عشر دولة أخرى باتت صاحبة رقم في الجمع الإقتصادي الأكثر أهمية في العالم والذي بعض مصائر الآخرين رهن رؤى قممه الدورية السنوية، وأحدثها تلك التي إستضافتها روما قبل أمس (السبت 30 أكتوبر 2021).

وكنا على سبيل المثال نستحضر المعجزات الدنيوية الأخرى وهي كلها موزعة بين أقصى آسيا وأطرافها، مثل المعجزة الماليزية والمعجزة السنغفورية والمعجزة الكورية، إلى جانب المعجزة الألمانية. دول قُتِض لقيادة سياستها وأمور مواطنيها مخلصون طموحون تغمرهم أحلام التطوير ونُقل الدولة من حيث تراوح مكانها إلى الصف الأمامي. ولقد نجح هؤلاء الذين كانوا يمثل ما هو عليه حُلم محمد بن سلمان مع فارق أن الأمير محمد في سنه الفتية سيكون العين الساهرة على كل خطوة بناء تتم وعلى تسريع الإنجاز، لأن القدرات المالية متوفرة في المملكة نقيض ما كانت عليه أحوال تلك الدول، وهذا يعني أن آلية تنفيذ الحلم السلمي أكثر دينامية بما يعني حتى ربما إختصار المواعيد التي تُدرج على أجندة التنفيذ.

وثمة بعض الأمور التي تؤخذ في الاعتبار ونحن نكتب آملين متفائلين عن الإعجاز الدنيوي السعودي التي الأمة على موعد معه بعد بضعة عقود، وهو أن مباشرة التخطيط والبدء بتنفيذ الخطوات كان يمكن أن تتم على وتيرة أسرع لو أن التحرش من جانب إيران وأخواتها أو أذرعها، على مقارعتة بغرض شل هذه الإندفاعات التنموية المقترنة بترطيب الأجواء ثقافياً وترفيهياً وتعديلاً وفق ضوابط في ما كان محظوراً للضرورة وبات مجازاً لمواكبة مسيرة التطور والتحديث على مستوى العالم. ولكن عندما يكون الحال مالك إرادة متوجة بتراث من جد حقق الإعجاز الدنيوي الأول وهو تأسيس المملكة ومسيرة أعمام أدى كل منهم قسطه للمملكة حتى لحظة الرحيل، ويكون تحت جناح سلمان بن عبدالعزيز، فإن وعد الإعجاز الدنيوي الثاني للمملكة الخضراء المرتبطة بشبكة قطارات تختصر الوقت والمسافات.. مملكة تكتسي أرضها بكل

أنواع الشجر والزهر يطيب النظر إليها على كامل مداه. هكذا سيصبح حديث الأبناء والأحفاد من بعدنا ومن أجل ذلك نغبطهم.

وأما الذين يوثقون ويؤرخون فسيكتبون ذات يوم عن الإعجاز الدنيوي السعودي الذي أخذ مكانه إلى جانب الإعجازات الأخرى التي ذكرناها. وسيقال إن الوالد أسس والأبناء صانوا والحفيد وضع المملكة على خارطة الإعجازات الدنيوية. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 4 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021

مصطفى الكاظمي بعد رفيق الحريري

تبعث الذكرى السابعة لسابع ملوك المملكة العربية السعودية الثابتة على العهود الثلاثة عهد التأسيس، وعهد شد الأزر العربي بالكلمة الطيبة والنصيحة المخلصة والنجدة غوثاً أو تدعيماً أو درءاً لمخاطر، وعهد تثبيت التوازن في العلاقة مع الدول الخمس الكبرى وبما يمكن توصيفه بأنه طبعة جديدة منقحة لسياسة عدم الإنحياز صاغها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز بصفاء الرؤية وخير النصيح لمجرد أن تهب ريح سياسية عاتية تلتفح هذا القطر العربي أو الإسلامي أو ذلك أو تربك نظرة الصديق والحليف التي تتعكس أحياناً على أسلوب تعاطيه.

وتشاء الأقدار أن الرياح السياسية العاتية تكاثرت في السنوات التي باتت مقادير الحُكم في العهدة السلمانية أباً ملكاً وإبناً ولياً للعهد. ورغم إنشغال البال بمحاولات إلحاق الأذى بالمملكة من جانب الأخ الإيراني المسلم إنتقاماً من وقفة مساندة سعودية _ خليجية مع العراق الصّدّامي في ردع إيران عن التحرش بالعراق مباشرة زمنذاك وكما حال التحرش بالمملكة منذ عقد من الزمن من خلال ذراع يمنية فاقدة بوصلة إستقرار الوطن ومن خلال ذراع لبنانية في ذات فقدان... إن المملكة رغم إنشغال البال بقيت على عهدها كلما عصفت ريح سياسية عائلية وتخريبية أحياناً بقطر عربي فإنها تبادر إلى النصيح وإبداء الحرص على المصلحة الوطنية وطمأنينة الناس. ولقد بلغت اللفهة السلمانية ذروتها عند إهتزاز صيغة الحُكم التشاركي في

السودان وصيغة الإرتباك في الوضع السياسي غير المحسوم في ليبيا، وصيغة وقّف إندفاع التغيير والتطوير والتطهير في تونس، وصيغة الأزمة التي لا مبرر لحدتها بين المغرب والجزائر. ولو أن في لبنان دولة ذات قرار وليس على التشقق الذي هو عليه الحُكم الخارج على جوهر صيغته وما تريده أكثرية شعبه، لما كانت ترجىء رفّده بما يعالج شأنه ومعضلته التي من صُنْع رئاساته الثلاث وتياراته السياسية وأحزابه مع إختلاف التسميات بين "حزب الله" و"تيار" و"حركة" إلى جانب تسميات أخرى كثيرة.

وما هو حاصل في لبنان يحاكي الذي هو حاصل في العراق وكيف أن الأخ الإيراني لا يريد بهما إستقرار أحوال وصفاء عيش وتنمية مستدامة وتطوير بنى وعلاقة متوازنة مع القريب والبعيد من دول العالم، وعلى نحو ما قطع خطوات في تحقيق ذلك في العراق رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي الذي إستطاع في أقل من سنتين ترويض بعض الذين من المستحسن ترويضهم عوض مواجهتهم، وترطيب أجواء وفاقية، وتهميش متدرج للدويلات الميليشياوية. والأهم من ذلك تصويب مسار العلاقات مع الأشقاء العرب بدءاً بالدولة المركز والقادرة على مساندة العراق في مغادرة كبوته إقتصادياً وسياسياً وثقافياً. ومن الطبيعي إنزعاج النظام الإيراني عندما تصل العلاقة بين الرئيس الكاظمي إلى ما وصلت إليه من رقي سواء مع أهل الحُكم السعودي والخليجي عموماً والمصري ومع الإدارة الأميركية الجديدة وسائر الدول الكبرى وببدأ في الوقت نفسه خطوات إجرائية تستهدف النهب الذي أفرغ الخزائن من مليارات حطت رحالها بين إيران ولبنان هذا عدا الآثار التي من شأن إكمال إستعادتها جعل التراث العريق يستأنف بريقه. كما من الطبيعي إنزعاج النظام الإيراني من أن يلعب الكاظمي ورقة الإنتخابات الحرة لأن في ذلك بدء إندثار متدرج للدويلات الميليشياوية ذات المرجعية الإيرانية.

وهذا الذي جرى للكاظمي يوم السبت 6 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021 يجعلنا نتذكر ذاك الذي جرى للرئيس رفيق الحريري يوم الإثنين 14 فبراير/ شباط 2005. كلاهما من نسيج واحد على صعيد الحس الوطني والتصحيح وبناء العلاقات المتوازنة مع دول العالم وتفسير الخلافات مع الأشقاء العرب وتمتينها أدق تمتين مع دول الخليج كونها الساحة المشتركة مع لبنان:

ويستبدل المسيرون المسيرات بوضع اليد باليد وإعتماد
التآلف والوفاق والشكر لله على نعيم عطاياه.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الثلاثاء 9 نوفمبر (ت2) 2021

الطريق سالكة إلى مغفرة الذنوب

ليس جديداً على المجتمع السياسي اللبناني هذا الذي
يعيشه منذ بضع سنوات. وبالنسبة إلى كل من يريد
الانتساب إلى هذا المجتمع عليه أن يتخلى عن كامل
المثالية والمبدئية أو إذا كان يعز عليه هذا التخلي
الأشبه بالتعري، فإنه يحتفظ لنفسه ببقية مثالية ومبدئية
يوظفها من باب الإضطرار أحياناً إلى إعادة نظر في
منهج أو تصحيح موقف تسرع في إتخاذه.

هذا الذي نقوله بإيجاز عشناه في خلال نصف قرن
من الحراك السياسي في لبنان. وهذا النصف القرن كان
في بعض مراحله وممارسات أهل السياسة إمتداداً
للنصف القرن قبله.

وهكذا بات اللبناني وهو يتأمل في الأمواج السياسية
المتلاطمة لا يستغرب اللعبة من جانب هذا الطيف أو
ذاك. ولنا على سبيل المثال لا الحصر كيف أن ميشال
عون (الجنرال) قال في حق سوريا الأسدية أكثر بكثير
من الذي قاله المعارضون السوريون سواء في حق حُكم
الأسد الأب ثم في حُكم الأسد الابن، ولكن عون
(الجنرال) ومن أجل الفوز بمنصب رئاسة جمهورية لبنان
إغتنم فترة التشاور اللبناني _ السوري _ الإيراني في هذا
الأمر ولم يبدأ قولاً إعادة النظر في موقفه من النظام
السوري _ الإيراني، وإنما بات وكما لو أنه من الذين
كانوا ضالين وإهتدوا.

وقبل الرئيس عون الذي بايع النظام السوري وبأكثر
مما كان يتوقعه منه رئيس النظام بشار الأسد، كان
سعد الدين الحريري ولضرورة تيسير أمر ترؤسه الحكومة
ضغط على مشاعره الشخصية وإقتناعه بالدور الأسدي
في إغتيال والده وزار دمشق، وكانت تلك الصورة
التذكارية له في ديوان الرئاسة جنباً إلى جنب مع الرئيس
بشار الأسد.

في تبرير كل منهما، الرئيس عون وسعد الدين

اللبنانيون يعملون في هذه الدول. والخليجيون للسياحة
والإصطياف والإستثمار.

وحيث أن الحريري حقق في سنوات رئاسية قليلة ما
فاجأ الذين لا يريدون لبنان مستقلاً وسريع النمو
ومستقطب الإستثمارات وساحة وفاق الأشقاء العرب، أي
إلى حد ما وصولاً إلى ما نادى به البطيريك الراعي بعد
سنوات وهو لبنان المنتهج الحياد نظاماً له، فإنه بات لا
بد ليس تحذيره لأن تجربة التحذير الأسدية _ الإيرانية (أو
العكس) لم تكن العلاج الناجع لمن حذر.. أو حذراً.. أو
حذراً، وإنما إنهاء الرجل أفجع إنهاء، وبذلك يصبح
أمثلة لمن يحذو حذوه.

وها هو الكاظمي من الحاذين أو فلنقل إنه على
الطريق نفسه أنجز بعض الخطوات، وخشية إستقرار هذه
الخطوات وأضاف ما هو أكثر حساسية في حال إتخاذها
في ضوء تجربة الإنتخابات التي لم تنفع في تهيئتها
مقاطعة هذه الأطياف الميليشياوية ولا وصمها بالتزوير
وخلاف هذه الصفة من أوصاف. وبدل أن يقرأ الكاظمي
إنذاراتهم وتقييمهم للإنتخابات التي أجراها، ومنها قبل يوم
من محاولة إغتياله التي تمت بالنية المشابهة لتصفية
الحريري مع إختلاف التفاصيل التي لا تلغي النوايا، فإنه
سلم أمره إلى الله. هكذا أيضاً فعل الحريري وكان ما كان.
ومن هذه الإنذارات ما هو كفيل بأن مرحلة التصفية
جاهزة، ونعني إنذار أبو ألاء الولائي "أقول لك (مخاطباً
الكاظمي) عليك أن تتسوى أمرين: الأول تكرار مهزلة
تجديد رئاستك (للوزراء) والثاني لن تعاد حتى إلى منصبك
السابق أي (رئيس جهاز المخابرات)".

ونحن عندما نقارن بين الذي جرى للحريري وثم الذي
جرى للكاظمي فعلى أساس أن نوعية التفجير هي للإبادة
الكاملة: الحريري ليس فقط إغتيال وإنما أريد وهذا يترجم
حجم الحقد عليه والخوف من بقاءه. والكاظمي بإرسال
ثلاث طائرات مسيرة إليه (تم إسقاط إثنين منها) كان
مشروع إبادة وليس مجرد تخويف وعلى أساس أن المسيرات
الثلاث لن تبقى منه عظمة على لحم. ولكن الله سلم رحمة
بالعراق الذي نال من الخطئين في حقه ما ناله لبنان سابقاً
ثم لاحقاً.

وبالعودة إلى ما بدأنا به كلامنا هذا نقول: كان الله في
عون خادم الحرمين الشريفين وهو يبدأ سنة جديدة ميمونة
فالآمال معقودة دائماً على حكمته وصفاء نواياه. وعلى ذلك
عسى ولعل، تستقيم الأوضاع في بعض أقطار الأمة

الحريري، لما قاما به أن ذلك من أجل فسحة إستقرار للبنان يعالج كل منهما شؤون الناس وشجونهم. تحقق ذلك أم لم يتحقق، وأثمر تبادل الوقفات بين الرئيس ميشال عون والرئيس سعد الدين الحريري أم لم يثمر؟ قد تكون الإجابة الواقعية عن ذلك أن هذا الإسترضاء من جانب كل منهما أبعد ما ربما أن يرمي لبنان في وضع كالذي يعيشه منذ سنتين، أي إرجاء المحنة وليس طي صفحة إمكانية حدوثها.

ما نقصده من كلامنا هذا هو أن الضرورة لها أحكام، وأن إعادة النظر في موقف هو نوع من مفردات العمل السياسي. وهذه الإعادة هي المطلوب الأخذ بها من جانب الرجل الأول في الدولة عندما تكون هنالك ضرورة من شأن الأخذ بمقتضياتها تقليص نسبة الضرر.

زيادة في التوضيح يجوز القول إن كلاماً يقوله الرئيس في حق المواقف السياسية والوقفات الإنقاذية من جانب دول مجلس التعاون الخليجي وبشكل خاص من السعودية وبلغت أعلى درجاتها في عهد الملك فهد والملك عبدالله رحمة الله عليهما وفي عهد الملك سلمان أدام الله صبره على بعض السلوكيات اللبنانية غير المنطقية أصلاً، من شأنه أن يجعل هامش الأزمة الراهنة تنقلص بالتدرج. ألم يحدث أن النظام الأسدي تناسى أو تجاهل لا فرق المواقف الجنرالية العونية. وما دام بادر عون سابقاً وفعل فإنه قادر أن يهدي اللبنانيين إطلالة تلفزيونية تريحهم ويقول فيها من الكلام الطيب ما من شأنه مسح حالة متقدمة من العتب السعودي والخليجي، بل من أكثرية الشعب اللبناني، الذين يكابدون التخبط العشوائي في إدارة شؤون وطنهم. وأما حليف الجنرال وبشخص الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله فإنه مُطالب بموقف ضميري إلى جانب الموقف الوطني وبما هو متاح له من حرية التعبير. موقف يترجم من خلاله مشاعر الناس وأبناء الطائفة مثل غيرهم بأن هذا النهج العدائي ضد دول الخليج هو تهديد لمصالح اللبنانيين ولقمة عيشهم إلى جانب مستقبل أجيالهم.

وعندما يأمل المرء مثل حالنا من رئيس بلده ومن حليفه الذي يتقاسم معه ولاية الأمر ذلك، فلأن ما يفصل الوطن عن التهلك خطوات، وتلك مسؤولية يتحملها رئيس الدولة ومن يظلل رئاسته شيعياً ولذا يزداد ساعده إشتداداً. كما إن ذلك واجب تقع عليه المعالجة ما دامت هنالك سابقة هو فاعلها.

وإذا كان الرئيس عون مثقلاً بديون لحليفه فإن ذلك لا يمنع من أن يقول ما معناه للحليف إنه أعطاه على مدى خمس سنوات الكثير. فقد ظلَّه مارونياً ولولا هذه المظلة لما كان ربما للحليف أن يواصل الصمود وتسديد ديون مستحقة عليه للنظام السوري من خلال إبقاء بوابات الحدود مفتوحة لا رقيب ولا حسيب عليها في الدولة والقتال في سوريا ضد سوريين وهذا مردوده ذات يوم قاتماً على أبناء الطائفة. كما لولا هذه المظلة لما كان لبنان يبقى طوال الأزمة الإيرانية مع المجتمع الدولي ورقة برسم الضغط والمساومة في يد النظام الإيراني. وبمعنى آخر إن لبنان ليس فقط أعطى.. وإنما ضحى.

لقد إستبشر اللبنانيون خيراً عندما تشكلت الحكومة على أساس أن تكون خاتمة مطاف مرحلة التعذيب الاجتماعي المنهج الذي تمارسه السلطة الفتوية الثنائية بجناحيها حزب الرئيس الأول و"حزب الله". ثم إذا بهم أمام معضلة كان في إستطاعة مسببها الإعلامي جورج قرداحي أن يخفف من وطأتها بإطلالة لبنانية الجوهر على الوطن الذي يكابد وإعتذاره من الخليجين الذين لا يستحقون رميمهم بغير عبارات الإمتنان على سنوات من العيش معهم يبدد فيها رؤاه السابقة وعلى نحو ما فعل الجنرال عون من أجل أن يتراًس. والإطلالة ما زالت موجبة سواء إستبقت إطلالة الرئيس التي يأملها اللبناني منه أم جاءت تمهد لها. ولا يلغياها أن زميلنا الإعلامي بات حائزاً نجومية سياسية إلى جانب نجوميته الإعلامية التلفزيونية التي وظفها بطريقة عادت بالأذى على كل لبنان قبل أن يلحقه الأذى شخصياً.

وليس هنالك معذرت تضاعف شأنه إذا هو في لحظة مخاطر حدثت بسبب قول أو فعل بادر سريعاً وكما يبادر رجال الإطفاء، وطبيب الخواطر وهذا المشاعر بما يرضي النفوس... إنما بغير تخريجة وزير الخارجية عبدالله أبو حبيب الذي ينطبق على كلام قاله المثل الشعبي اللبناني الذي يتلخص بما معناه جاء لعلاج إلتواء في الساق فكسره، والمثل الشعبي الآخر "جاء ليكحل العين فعمها".. والله الغافر الذنوب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2021

أولويات تجاه السودان

فتأخرت تجاه "الدولتين"

يكاد المواطن السوداني من أقاصي غرب الوطن وشرقه وشماله ووسطه وبعض جنوبه لا يصدق ما يرى كيف أن السودان الدولة التي أرهقت كاهل شعبها عدم إستقرار العهود التي توالى عليه العسكري منها والمدني إلى أن حدثت صيغة التشارك التي ما لبثت أن إهتزت، بات فجأة قضية أممية وموضع إشغال بال الدول الخمس الكبرى المتحكمة بالمصائر السياسية إلى حد في دول القارات الخمس، وبالذات بال الدولة القائدة الولايات المتحدة.

من خلال التأمل في ردود الفعل على موجات التغيير التي حدثت في السودان الشراكة المدنية - العسكرية، نلاحظ أن الإدارة الأميركية تعاني آثار المbaughة من جانب الطيف العسكري الذي أحدث فجأة ما يشبه الإرتداد عما هو متفق عليه. وهذه الحدة المتدرجة في التعبير عن إنزعاجها تعود إلى أن جيفري فيلتمان المسؤول الأمريكي الذي أدار غرفة عمليات التوفيق بين المكون العسكري والمكون الثوري المدني وبينهما رئيس الحكومة الذي قلّته ومصالحته مع المكون الأول وعاطفته وتطلعاته مع المكون الثاني غادر الخرطوم إلى إدريس أبابا وهو سعيد بأنه طمأن مرجعه وزير الخارجية إلى أن الأمور نحو تهدئة وأن الطرفين إلى توافق، بوغت بأن تقديره لم يكن في محله وعلى هذا الأساس عززت الإدارة رؤية جديدة للوضع تقوم على معارضة التوجه العسكري علناً وتأييد بقائه طي الكتمان، وتأييد الحراك الشعبي الذي هو ديمقراطي المنحى بالصوت الأعلى إنما تعارضه ضمناً. وهذا له تفسيره ذلك أن الطيف العسكري هو من حقق تطبيعاً وإن لم يكتمل فصلاً مع إسرائيل وتخشى الإدارة الأميركية ضمناً في حال إصطفت إلى جانب الطيف المدني أن تتسبب التناقضات داخل هذا الطيف في محو السطور القليلة من صفحة التطبيع التي لم تكتمل طباعة. ومن هنا يمكن الإستنتاج أن الذي تريده الإدارة الأميركية من التهويلات الكثيرة النعومة من مغبة إندثار الحراك المدني، وتشاركها في التهويل دول حليفة وصديقة ذات تأثير من بينها بريطانيا وفرنسا ودول إقليمية هي معظم الدول الأفريقية، هو أن يستعيد التشارك تماسكه

وأن تكون هنالك صيغة معدلة غير الحالية بمعنى لا يبقى المدنيون على إصرارهم بتسليم الطيف العسكري المناصب التي يشغلها الفريق عبد الفتاح البرهان ونائبه الفريق محمد دقلو (حميدتي) وسائر الجنرالات إلى المدنيين على نحو ما هو مثبت في الوثيقة الدستورية. وبذلك تطمئن النفس الأميركية وإستطراداً نفوس الدول الصديقة والحليفة ومعها الأطياف التطبعية المستجدة، وبطبعية الحال إسرائيل المستغرقة في خلم التطبيع المتكامل. إطمئنان على أساس أن الأمور مستتبة في السودان الذي أنجز خطوة على طريق التطبيع لكنها خطوة من النوع القابل للتراجع بمثل ما هي محفزة للإقدام خطوات.

مثل هذا الإفتراض يستوجب التذكير بتنوع مفردات التعبير الإحتجاجي ظاهراً الودي ضمناً مثل القول التغريدي فوزير الخارجية الأميركية بليكن "إن الولايات المتحدة معجبة بملايين السودانيين الشجعان الذين تظاهروا" وقول فيلتمان المصدوم من الفعل البرهاني المتمثل بإقالة الحكومة تمهيداً لتأليف حكومة برهانية الهوى "إنه ليس من السهل إعادة السودان إلى ماضيه المظلم" وقول الأمين العام للأمم المتحدة غوتيرش "على قادة الجيش أن ينتبهوا لإحتجاجات الشعب وحان الوقت للعودة إلى الترتيبات الدستورية" وقول سفير بريطانيا "إننا نقف جنباً إلى جنب مع الشعب السوداني الجريء الذي تظاهر بالملايين في شوارع البلاد دفاعاً عن الديمقراطية والحقوق الأساسية". وبعدما حسم البرهان الأمر بإعلان مجلس سيادي جديد برئاسته وأدوا الأعضاء عساكر ومدنيين جدداً اليمين أمامه علا قليلاً صوت الدول الثلاث المعنية بالشأن السوداني المتسارع المفاجآت (أميركا. بريطانيا. النروج) في بيان ومعها دول الإتحاد الأوروبي وسويسرا في بيان مشترك وزعته الخارجية الأميركية يعبر عن صدمتها مما فعل البرهان وهذه المرة إضافة المطالبة بإطلاق جميع المسؤولين المحتجزين رئيس الوزراء عبدالله حمدوك المستضاف في فيلا في حي كافوري الراقي، كما إستضافة الرئيس البشير ماضياً لرفيق نظامه وملهمه الإسلاموي الدكتور حسن الترابي.

مع أن الإتحاد الإفريقي دخل متأخراً حلبة المعاندة بغرض جمع المشتتين اللذين يعمناه معاندة في الموقف دون وجه حق، إلا أن النصيح التحذيري الدولي الأمريكي بالذات دخل ونحن نكتب ما نكتبه هنا يوم الإثنين 15

نوفمبر/ تشرين الثاني 2021 يومه الأسبوع الثالث من دون أن تتوقف إدارة الرئيس بايدن عن التنبيه والتحذير إنما بكل المفردات اللطيفة، الطرفين اللذين هما حتى إشعار آخر بالمرتبة المتساوية من التقييم لهما. فالطيف المدني لم يطرح في التظاهرات بما في ذلك مسيرة "الزلازل" أكثف تظاهرات الإحتجاج إلغاء خطوة التطبيع التي تمت، وهذا يريح إدارة بايدن والطيف العسكري عند كلمته التي بلغها خلال لقائه نتتياهو في عنتيبي يوم 3 فبراير/ شباط 2020 ومن جانبه فإن الطيف العسكري يريد في ضوء الأشهر الكثيرة التعقيد التي أعقبت وضع الوثيقة الدستورية، أنه لا بد من أجل الاستقرار أن تكون الشراكة أكثر رحابة في الصف المدني السياسي بحيث يصار إلى تضيق هامش الإجتثاث للعهد البشري ويصار أيضاً إلى طمأننة أعداد كبيرة من الضباط في المؤسسات الأمنية من خدموا في السنوات البشرية، وذلك كي لا ينتهي الأمر في السودان على نحو ما بات عليه في العراق على يدي بريمر السيء التصرف.

في نهاية المطاف لا إستقرار في السودان إذا كان سيتم التقيط بالصيغة التشاركية. ولا تفعيل للمساعدات ولإلغاء الديون التي أثقلت الكواهل كاهلاً بعد كاهل على مدى نصف قرن. لا العساكر عندما حكموا وحيداً أفادوا ولا المدنيين أولي الأحزاب عندما فيض لهم أن يحكموا أداروا شؤون البلاد والعباد بالتي هي أفضل. ولا هنالك في الأفق ولا في المدى المنظور سوار الذهب آخر يفعل ما فعله المشير عبدالرحمن الذي قرأ المشهد بكثير من التبصر ورأى قطعاً يمكن أن يفعله الحراك الحزبي قبل ثلاثة عقود والتزاماً أميناً بصيغة الفترة الإنتقالية أن ينصرف بكبرياء ومن دون أن تخذش كبرياءه مفردات ثورية كتلك التي تلقاها بعض جنرالات السودان من الذين إنتقلوا من التكنات إلى السرايات من بني قومهم الحزبيين والمتحزين. ولقد فعل ثم بعد العلاج الكريم من المرض ورقد، أسلم الروح هانئاً. وبتكريم من الملك سلمان بن عبدالعزيز في رحاب تربة المدينة المنورة. وبالعودة إلى كثافة التحذيرات الناعمة من جانب دول العالم الثالث التي تستهدف ترويض الوضع في إنتظار حسمه، يبقى السوداني على دهشة من أنه بين ليلة ثورة شعبية وضحي إنخراط جنرالات فيها الأمر الذي حقق بعض المبتغى، بات يرى أن هذا البلد الأشبه بقارة، إنتقل من هامش عدم إكتراث العالم به إلى أنه بات الملف الأهم، أو فلنقل

واحداً من الملفات المهمة، على الطاولة الأممية من واشنطن إلى بكين مروراً بلندن وباريس وموسكو وسائر الدول المحلقة في فضاء الخمس الكبار.

... ويا ليت بعض هذا الاهتمام تحظى به القضية المرجأة منذ عقود قضية حسم موضوع الدولتين على رؤية المبادرة العربية لهذا الحسم (دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف إلى جانب دولة إسرائيل) وعندها يصبح التطبيع أمراً واقعاً وليس وزراً. وبذلك يذهب غيظ القلوب ويتوب الله على من يشاء. والله الغفار.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 15 نوفمبر (ت) 2021

لاءات سودانية محسومة.. وتحذيرات أممية ودودة

يكاد المواطن السوداني من أقاصي غرب الوطن وشرقه وشماله ووسطه وبعض جنوبه لا يصيِّق ما يرى كيف أن السودان الدولة التي أرقق كاهل شعبها عدم إستقرار العهود التي توالى عليه، العسكري منها والمدني، إلى أن حدثت صيغة التشارك التي ما لبثت أن إهتزت، بات فجأة قضية أممية وموضع إنشغال بال الدول الخمس الكبرى المتحكمة بالمصائر السياسية إلى حد في دول القارات الخمس، وبالذات بال الدولة القائدة الولايات المتحدة.

من خلال التأمل في ردود الفعل على موجات التغيير التي حدثت في السودان الشراكة المدنية - العسكرية، نلاحظ أن الإدارة الأميركية تعاني آثار المباغته من جانب الطيف العسكري الذي أحدث فجأة ما يشبه الإرتداد عما هو متفق عليه. وهذه الحدة المتدرجة في التعبير عن إنزعاجها تعود إلى أن جيفري فيلتمان المسؤول الأميركي الذي أدار غرفة عمليات التوفيق بين المكون العسكري والمكون الثوري المدني وبينهما رئيس الحكومة الذي قلبه ومصالحته مع المكون الأول وعاطفته وتطلعاته مع المكون الثاني، غادر الخرطوم إلى أديس أبابا وهو سعيد بأنه طمأن مرجعه وزير الخارجية إلى أن الأمور نحو تهدئة وأن الطرفين إلى توافق، بوغت بأن تقديره لم يكن في محله وعلى هذا الأساس عززت الإدارة رؤية جديدة

للموضع تقوم على معارضة التوجه العسكري علناً وتأيد بقاءه طي الكتمان، وتأيد الحراك الشعبي الذي هو ديمقراطي المنحى بالصوت الأعلى إنما تعارضه ضمناً. وهذا له تفسيره ذلك أن الطيف العسكري هو من حقق تطبيقاً وإن لم يكتمل فصلاً مع إسرائيل وتخشى الإدارة الأميركية ضمناً في حال إصطفّت إلى جانب الطيف المدني أن تتسبب التناقضات داخل هذا الطيف في محو السطور القليلة من صفحة التطبيع التي لم تكتمل طباعة. ومن هنا يمكن الإستنتاج أن الذي تريده الإدارة الأميركية من التهويلات الكثيرة النعومة من مغبة إندثار الحراك المدني، وتشاركها في التهويل دول حليفة وصديقة ذات تأثير من بينها بريطانيا وفرنسا ودول إقليمية هي معظم الدول الأفريقية، هو أن يستعيد التشارك تماسكه وأن تكون هنالك صيغة معدلة غير الحالية بمعنى لا يبقى المدنيون على إصرارهم بتسليم الطيف العسكري المناصب التي يشغلها الفريق عبد الفتاح البرهان ونائبه الفريق محمد دقلو (حميدتي) وسائر الجنرالات إلى المدنيين على نحو ما هو مثبت في الوثيقة الدستورية. وبذلك تطمئن النفس الأميركية وإستطراداً نفوس الدول الصديقة والحليفة ومعها الأطياف التطبيعية المستجدة، وبطبيعة الحال إسرائيل المستغرقة في حُلم التطبيع المتكامل. إطمئنان على أساس أن الأمور مستتبّة في السودان الذي أنجز خطوة على طريق التطبيع لكنها خطوة من النوع القابل للتراجع بمثل ما هي محفّرة للإقدام خطوات.

مثل هذا الافتراض يستوجب التذكير بتنوع مفردات التعبير الاحتجاجي ظاهراً الودي ضمناً مثل القول التغريدي لوزير الخارجية الأميركية بليكن "إن الولايات المتحدة معجبة بملايين السودانيين الشجعان الذين تظاهروا" وقول فيلتمان المصدوم من الفعل البرهاني المتمثل بإقالة الحكومة تمهيداً لتأليف حكومة برهانية للهوى "إنه ليس من السهل إعادة السودان إلى ماضيه المظلم" وقول الأمين العام للأمم المتحدة غوتيرش "على قادة الجيش أن ينتبهوا لإحتجاجات الشعب وحن الوقت للعودة إلى الترتيبات الدستورية" وقول سفير بريطانيا "إننا نقف جنباً إلى جنب مع الشعب السوداني الجريء الذي تظاهر بالملايين في شوارع البلاد دفاعاً عن الديمقراطية والحقوق الأساسية". وبعدما حسم البرهان الأمر بإعلان مجلس سيادي جديد برئاسته وأدى الأعضاء عساكر ومدنيين جُدداً اليمين أمامه علاناً صوت الدول الثلاث

المعنية بالشأن السوداني المتسارع المفاجآت (أميركا. بريطانيا. النروج) في بيان ومعها دول الإتحاد الأوروبي وسويسرا في بيان مشترك وزعته الخارجية الأميركية يعبر عن صدمتها مما فعل البرهان. وهذه المرة إضافة المطالبة بإطلاق جميع المسؤولين المحتجزين وأبرزهم رئيس الوزراء عبدالله حمدوك المستضاف في فيلا في حي كافوري الراقي، كما إستضافة الرئيس البشير ماضياً لرفيق نظامه وملهمه الإسلاموي الدكتور حسن الترابي.

مع أن الإتحاد الإفريقي دخل متأخراً حلبة المعاندة بغرض جمع الشتيتين اللذين يعنغان معاندة في الموقف دون وجه حق، إلا أن النصح التحذيري الدولي الأمريكي بالذات دخل ونحن نكتب ما نكتبه هنا يوم الإثنين 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021 يومه الأسبوع الثالث من دون أن تتوقف إدارة الرئيس بايدن عن تنبيه وتحذير وبكل المفردات اللطيفة، الطرفيْن اللذين هما حتى إشعار آخر بالمرتبة المتساوية من التقييم لهما. فالطيف المدني لم يطرح في التظاهرات بما في ذلك مسيرة "الزلزال" أكتف تظاهرات الإحتجاج إلغاء خطوة التطبيع التي تمت، وهذا يريح إدارة بايدن. والطيف العسكري عند كلمته التي أبلغها خلال لقائه ننتيا هو في عنتيبي يوم 3 فبراير/ شباط 2020. ومن جانبه فإن الطيف العسكري يرى في ضوء الأشهر الكثيرة التعقيد التي أعقبت وضع الوثيقة الدستورية، أنه لا بد من أجل الاستقرار أن تكون الشراكة أكثر رحابة في الصف المدني السياسي بحيث يصار إلى تضيق هامش الإجتثاث (تفكيك التمكين بالقاموس السوداني طبعة 2020) للعهد البشيري ويصار أيضاً إلى طمأننة أعداد كبيرة من الضباط في المؤسسات الأمنية من الذين خدموا في السنوات البشيرية، وذلك كي لا ينتهي الأمر في السودان على نحو ما بات عليه في العراق على يدي برير السوء التصرف.

في نهاية المطاف لا إستقرار في السودان إذا كان سيتم التفریط بالصيغة التشاركية. ولا تفعيل للمساعدات ولإلغاء الديون التي أثقلت الكواهل كاهلاً بعد كاهل على مدى نصف قرن. لا العساكر عندما حكموا وحيداً أفادوا ولا المدنيين أولي الأحزاب عندما قُبِضَ لهم أن يحكموا أداروا شؤون البلاد والعباد بالتّي هي أفضل. ولا هنالك في الأفق ولا في المدى المنظور سوار الذهب آخر يفعل ما فعله المشير عبدالرحمن الذي قرأ المشهد بكثير من التبصر ورأى قطعاً لما يمكن أن يفعله الحراك الحزبي

قبل ثلاثة عقود والتزاماً أميناً بكلمة شرف بالنسبة إلى صيغة الفترة الإنتقالية، أن ينصرف بمهابة القائد ومن دون أن تخذش كبرياه مفردات ثورية كتلك التي رُمي بها بعض جنرالات السودان من الذين إنتقلوا من الثكنات إلى السرايات من بني قومهم الحزبيين والمتحزين. ولقد فعل ثم بعد العلاج الكريم من المرض في الرياض، أسلم الروح هانئاً ورقد وبتكريم من الملك سلمان بن عبدالعزيز في رحاب تربة المدينة المنورة.

وبالعودة إلى كثافة التحذيرات الناعمة من جانب دول العالم الثالث التي تستهدف ترويض الوضع في إنتظار حسمه، يبقى السوداني على دهشته من أنه بين ليلة ثورة شعبية وضُحى إنخراط جنرالات فيها الأمر الذي حقق بعض المبتغى، بات يرى أن هذا البلد الأشبه بقارة، إنتقل من هامش عدم إكتراث العالم به إلى أنه بات الملف الأهم، أو فلنقل واحداً من الملفات المهمة على الطاولة الأممية من واشنطن إلى بكين مروراً بلندن وباريس وموسكو وسائر الدول المحلقة في فضاء الخمس الكبار.

... ويا ليت بعض هذا الاهتمام تحظى به القضية المرجأة منذ عقود.. قضية حسم موضوع الدولتين على أساس رؤية المبادرة العربية لهذا الحسم (دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف إلى جانب دولة إسرائيل) وعندها يصبح التطبيع أمراً واقعاً وليس وزراً، كما لا يعود مستهجناً أن قائد السلاح الجوي الإسرائيلي يشارك في معرض دبي للطيران وفي إجتماعات قادة الأسلحة الجوية المشاركة دولها في المعرض وبذلك يذهب غيظ القلوب ويتوب الله على من يشاء. والله الغفار.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 18 نوفمبر (ت) 2021

القمة العربية.. إن هي عُقدت

إذا صدق خبراء الطقس والمناخ ومعهم خبراء الصحة العامة والفيروسات التي تزداد إنتشاراً في أشهر فصل الشتاء... وهؤلاء ليسوا مثل المنجمين الذين يقرأون في الأكف وينطبق عليهم القول الثابت "وكذب المنجمون ولو صدقوا".. إذا صدق الخبراء أولئك وربطنا توقعاتهم مع إجراءات احترازية وتحذيرات بالغة الشدة بدأت في ألمانيا

إتخذتها السلطات المختصة وأرجأت إلى السنة المتبقي على إطلالة يومها الأول شهراً مناسبة الفرح التي ينتظرها الناس وهي الإحتفالات بميلاد السيد المسيح عليه السلام، قد يضفي على القمة العربية الدورية بعد أربعة أشهر (28 مارس/ آذار 2022) أهمية تجعلها وهي العادية قمة إستثنائية كتلك القمم العربية التي وضعت المسار السياسي العربي على سكة السلامة والتوافق والشرع في كتابة عهد جديد في العلاقات وتنقية الأجواء، الأمر الذي أسس لرؤى تثمر بلورة في الإستراتيجيات على أنواعها السياسي والعسكري والإقتصادي.

ولنا على سبيل التنويه القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم يوم 29 أغسطس/ آب 1967 قديماً والقمة العربية التي إستضافها الملك سلمان بن عبدالعزيز في الظهران يوم 15 أبريل/ نيسان 2018. وهذه كان إنعقادها في إطار دورية الإنعقاد إلا أن الملك سلمان وعضده ولي العهد الأمير محمد بن سلمان جعلها إستثنائية بإمتياز سواء لجهة الراية التي رفعتها وهي "قمة القدس". هكذا أراد الملك سلمان أن تكون التسمية. وهكذا من أصل 23 بنداً لما تم التوافق عليها ركزت تسعة بنود على عدم شرعية إصرار الرئيس ترمب على إعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ورفض كل الخطوات الإسرائيلية الأحادية الجانب التي تغير الحقائق وتقوض صيغة الدولتين بما يحقق السلام كما رأت ذلك مبادرة السلام العربية في القمة الثالثة التي كانت عُقدت وفق صيغة دورية الإنعقاد السنوي في بيروت يوم 27 مارس/ آذار 2002 تنازلاً من الشيخ زايد رحمة الله عليه عن إستضافتها في أبو ظبي وذلك دعماً للوضع اللبناني غير المستقر لكنها جاءت تتألق في المشهد السياسي العربي بين قمة الخرطوم الإستثنائية التي كانت حصيلتها قرارات إسماع على مسمى، وقمة الظهران العادية التي أثمرت رؤية إستثنائية تجسدت في أن المملكة التي إستضافت والأشقاء القادة الذين شاركوا يرون أن مفتاح الباب الموصد هو المفتاح المقدسي، يتم حسم مصير القدس عاصمة لدولة فلسطينية منزوعة السلاح في أعلى درجات الطموح أو عاصمة أممية للديانات الثلاث يحرسها كما الحال في الفاتيكان جنود من الأمم المتحدة.

المهم في الأمر هو هل ستعقد القمة في موعدها، فلا تعصف بالإنعقاد الموجة الرابعة من كورونا على نحو ما حدث مع القمة التي أرجأت الجزائر إستضافتها بأمل أن

تتوارى الجائحة نهائياً وبذلك تتعقد القمة وفي الجزائر المحفظة بحق الإنعقاد.

وهل إن تم التوافق على المشاركة فيها وليس الإنعقاد عبر الشاشات، سيستبق أهل الحُكم الجزائري الإنعقاد بترطيب الأجواء بينهم وبين المغرب والتي حفلت بمفردات كثيرة الحدة من التخاطب.. هذا عدا إجراءات تم إتخاذها لجهة عبور الأجواء. ولنا في ما حدث مع وزير الخارجية المغربية الذي أوجبت الموانع الجزائرية إستتجاره طائرة إسبانية صغيرة نقلته عبر الأجواء الجزائرية "المحرمة" إلى حين على المغاربة، وذلك للمشاركة في مؤتمر يعقد في كيغالي عاصمة رواندا للتحضير للقمة الأفريقية _ الأوروبية. وعندما كشفت السلطات الجزائرية هذا "التحايل" لامت بشدة حكومة اسبانيا. إلى هذا الحد تصل الأمور بين الشقيقتين اللذين لم يخلدا إلى إستراحة التحدي على مدى سنوات العدة الصحراوية! بل أكثر من ذلك وصل منسوب الحساسية إلى درجة أن مئات المغاربة من مجتمع مواقع التواصل الاجتماعي هاجموا بحدة ملكة جمال المغرب كوثر بن حليمة لأنها قالت في فيديو ما يفيد بأنها من أصل جزائري وأن جدتها الجزائرية علمت مغربيات أصول الخياطة وأن أهلها إنتقلوا من الجزائر وعاشوا في الربوع المغربية السمة.

لو كان برنامج الرئيس التونسي قيس بن سعيد على غير الفيض الذي هو عليه من التحديات وإلى درجة الخشية من أن يتقدم التحدي على فضاء التنوير الذي يرنو إلى نشره، لكان ربما بذل من جانبه المسعى الحميد للتوفيق بين الشقيقتين المغربي والجزائري، وبما يجعل القمة خالية من الألغام.

كما كانت ليبيا لو أنها مستقرة وحسنت أمر الانتخابات الرئاسية لربما أدت واجباً أخوياً يساعد على إنعقاد قمة مطلوبة بالخروج بقرارات قمة إستثنائية. والدور الليبي ممكن في حال نال الفوز مرشح وسطي لا غباراً أردوغانياً على أجندته أو إستقر الأمر على المتفهم عقيلة صالح.. أو حتى خليفة فحتر المتأثر بتجربة الرئيس عبدالفتاح السيسي وكيف أنهى "الأسطورة الإخوانية"، أو سيف الإسلام القذافي الذي ربما ترسو سفينة ترشحه التي تقاوم الأعاصير ووصل إلى شاطئ الرئاسة مثخناً بالدوار السياسي والحزبي ليبدأ بالتالي التجربة الثانية في تاريخ العهود الثورية إبناً يترأس ويصون، أو ليصون، أو ليرد الأذى عن تراث، أو مسيرة سنوات حُكم والده الرئيس، وعلى نحو التجربة الأولى

الراهنة مع إختلاف السيناريو.. تجربة الأسد الإبن يواصل التروؤس بعد تجربة الأسد الأب.

وحيث التوتر المغربي - الجزائري على حاله، وإن كان شكلاً ناراً تحت رماد وظروف كل من ليبيا وتونس على ما هي عليه، يصبح إفصاح الشقيق المغربي الخامس موريتانيا عن إستعداد لبذل المسعى الحميد بين الشقيقتين المغربي والجزائري أمراً محموداً.

المهم بداية أن لا تعصف الجائحة المتأهبة للإنتشار مع أشهر الشتاء بالقمة فتتأجل ولا تهدأ الأعاصير السياسية العربية المؤمل من القمة تلطيفها قدر المستطاع..

ويبقى في ضوء ذلك توقُّع الخير من قمة مجلس التعاون الخليجي بعد أيام عليها تنتظر في أحوال الأشقاء الحائرين في أمورهم وبالذات في لبنان والسودان وفلسطين وتونس وسوريا. ومن شأن هذه الإلتفاتة جعل المشاركين في القمة العربية إن لم توجب الجائحة التأجيل مرة جديدة يخرجون خروج المتضامنين المتكاتفين.. والله الهادي. وللحديث بقية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 نوفمبر (ت) 2021

كي لا تكون "داعش شيعية"

ثمة فرصة أمام "حزب الله" إذا هو إستغلها يلقي إعادة نظر في التصنيف الدولي، وإن كانت المواقف لم تكتمل بعد، وفي موقف عموم العرب وليس فقط دول الخليج، على أنه "تنظيم إرهابي".

الفرصة المواتية التي نعنيها هي إطلالة إستثنائية من إطلالات الأمين العام للحزب السيد حسن نصرالله يقول فيها من الكلام ما من شأنه إحداث تبدل في التقييم ومنجاة من صفة الترهيب. وإذا كان مثل هذا الأمر ثقيلاً على النفس، فإن "الفتوى الخمينية" تجيز له القول، ونعني بذلك إقتناع آية الله الخميني في لحظات تقدّم فيها ما يفيد على ما يتواصل ضرراً، أي التسليم بعدم جدوى الحرب مع العراق وتقليل حجم الضرر من إستمرارها، فكانت عبارته التي يجوز إعتبارها "فتوى" كونها صدرت عن الخميني رجل الدين، وليس عن كبير جنرالات إيران. بهذه "الفتوى" قلل حجم الضرر الذي بات مع إستمرار

العناد في التفاوض وبرعاية الأمم المتحدة، يجعل إيران على مشارف الهاوية.

مثل هذه "الفتوى" جدير بالمرشد علي خامنئي ضميراً إعتماها رافة بالرعية اللبنانية الإيرانية الهوى والتي لا ترى في الدولة الإيرانية الملاذ لها. وطوال إشتداد الأزمة في لبنان ماضياً وحاضراً لم ير شبان من هذه الرعية أن مستقبلهم في المدن الإيرانية. ومن جانبها فإن الحكومات الإيرانية المتعاقبة لم تشوّق الألوف من أفراد تلك الرعية إلى طلب العمل والأمان والدراسة في رحابها. وتلك نقطة نظام من واجب نصرالله التوقف عندها بما يعني ذلك الكثير. وهو لا بد يرى أن الجيل الشاب اليائس في الرعية اللبنانية الإيرانية الهوى يطرق أبواب السفارات الأجنبية والسفارات الأفريقية والسفارات الخليجية والسفارة المصرية للحصول على تأشيرة سفر إلى هذه الدول الشقيق والصديق والإستكباري منها، وأما الذين يطرقون باب السفارة الإيرانية فأفراد يرومون إما بعضهم لدورة تدريبية وإما للتبرك ببعض أضرحة رموز دينية.

هذا الواقع من المهم إستدراكه، فالمفاجآت التي في علم الغيب قد تكون إحداها ذات ساعة تغييراً في إيران مثل التغيير الذي قضى بأن الأمبراطور محمد رضا بهلوي إنتهى لاجئاً في مصر التي ما إنفك النظام الثوري الإيراني يناصب مكانتها ودورها التخرش من خلال ثغرات مذهبية. وقد تكون المفاجأة من النوع الذي جرى في الإتحاد السوفياتي حيث هز الكيان الماركسي وكامل أباطرته حراك على مستوى أهل الحُكم قبل بإرتياح شعبي أعقبه تأييد جارف للصفحة الجديدة في تاريخ الدولة العظمى. ولن نذهب بعيداً فقد تكون المفاجأة على النحو الذي أصاب العراق الصّدّامي لأن رئيسه صدام حسين لم يقتبس بعدما إقترب وزر غزوة الكويت وإحتلالها، "الفتوى الخمينية" بحيث يرى أن الأخذ بما نصح به قادة عرب وعلى الملأ مواقف إكتسبت صفة الوثائق، كان الأكرم مما تلاه. و"الفتوى" المقتبسة التي نعينها، هي أن ينسحب من الكويت ويرفق الانسحاب بما يرضي الله ورسوله وبالتالي أهل الكويت وقادة النصح الخليجي والعربي والملك فهد والشيخ زايد والرئيس حسني مبارك رحمة الله على الجميع والهداية للحائرين. لو فعل ذلك وإعتبر كما الخميني معه، بأن قرار وقف الحرب الذي إتخذه كان "كمن يتجرع السم" لكان نجى العراق ولما كان للنهائيتين حدوث: نهاية العراق حرباً أعادته نصف قرن إلى الوراء ونهاية له شنعاً، مع فارق أن الأخذ بقرار الانسحاب من الكويت كان سيتواكب مع حلول جذرية لمتاعب العراق

الناشئة عن سنوات الحرب.

لعل هذا الإستحضار لـ "الفتوى الخمينية" يكون قارب النجاة من ما قد ينتهي أعظم بالنسبة إلى الرعية اللبنانية الإيرانية الهوى. ومثل هذه الأمنية منشودة ومطلوبة من السيد حسن، علماً لو أن طقوس العمل الحزبي كانت رحبة، بمعنى كان هنالك نقاش رحب لواقع الحال ومساحة رحبة لتسجيل الرؤى والمواقف وليس الحال على نحو أسلوب الجنرال وأركانه أي التنفيذ ثم المناقشة إذا فُسح المجال لها، لكننا سنرى أن الصوت الذي يرى إعادة النظر ولو "إقتباساً شرعياً" لما سبق وأفتى به الإمام الخميني سيعلو بعض الشيء على صوت المكابرة والتحديات.

ويبقى أن مناسبة هذا الذي نقوله، أن قرار "إعتبار حزب الله منظمة إرهابية" لم يعد أميركياً وإنما هنالك المزيد من الدول الأوروبية وكذلك أستراليا التي كانت إحدى دول مقصد أبناء الطائفة اللبنانية الإيرانية الهوى ولقد إتخذت القرار نفسه. ويوماً بعد آخر سنسمع المزيد من هذه القرارات. ثم هنالك قمة خليجية ستُعقد بعد أيام وهذه ستؤكد ما هو مؤكد سابقاً من جانبها لجهة تصنيف "حزب الله" إرهابياً. وبعد القمة الخليجية هنالك القمة العربية الدورية قد تجد نفسها تماشي الموقف الخليجي حتى إذا كانت هنالك تحفظات خجولة، وتعتبر "حزب الله" إرهابياً. وهذا سيتم بحضور رئيس لبنان أو من يمثله. وتلك لحظة الحسم الرسمي اللبناني إمتناعاً جاء عن التصويت أو إبداء بعض التحفظ، أو لدواعي التحالف القائم قد يكون الموقف دفاعاً عن الحزب الذي سينتهي التعامل الدولي _ العربي مع أوضاعه إلى أنه "داعش" الشيعية بتصنيف المجتمع الدولي له. وتلك طامة كبرى لا يبعدها عن الرعية اللبنانية ذات الهوى الإيراني سوى إقتباس السيد حسن لـ "فتوى" الإمام الخميني وإعتبار الحراك الدولي - الأميركي الأوروبي - الأسترالي بوجه التحديد، ومعه الموقف الخليجي المحسوم بأنه كما العقوبات المتدرجة كان رسالة في إنتظار الرد الواقعي عليها، أي إعتدالممانعة السياسية عند الوجوب كما حال السُلطة الوطنية الفلسطينية رمز القضية وإهداء السلاح لجيش البلاد والعباد وعودة الذين حملوه وإستعملوه إلى مجتمعهم المدني. والله الهادي يا أبو هادي... مرة أخرى من هذا القلم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 2 ديسمبر (ك) 2021

المبادرة مقابل التطبيع..

وعلى الأرض السلام

ليس من مصلحة الأمة عدم إنعقاد القمة العربية الدورية في الموعد المحدد لها على رغم ما في فضاء العلاقات بين الجزائر التي تستضيف الإنعقاد والمغرب والتي وصلت إلى مشارف الحدة القصوى في بعض التصريحات على خلفية قطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع المغرب بعد وقوع حادثة مؤسفة يقاس حجم رد الفعل بمشاعر صاحب القرار بمعنى المعلن عنها وذلك المستقر في الصدر، أي أن الحادثة مؤسفة وبالتعويض على ذوي الضحايا يمكن تهدئة النفوس، أو إعتبارها فرصة للتعبير عن مواقف حادة إزاء ما حدث. ومن التصريحات التي تستوقف المتابع لما يحدث بين الدولتين الشقيقتين قول الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون يوم الأحد 10 أكتوبر/ تشرين الأول 2021 وكانت مضت بضعة أسابيع على قطع الجزائر العلاقات الدبلوماسية مع المغرب (تحديداً يوم 24 أغسطس/ آب) "إن الجزائر لن تقبل أي وساطة مع الرباط لإعادة العلاقات إلى طبيعتها...".

ولم يكتف الرئيس الجزائري بورقة الحادثة وضحاياها وإنما عزز موقفه المشار إليه بالتلميح إلى ورقة الغاز الجزائري إلى إسبانيا عبر المغرب الذي يعتمد على هذا الغاز فضلاً عن أنه يحقق عوائد مرور مجزية من ذلك ثم جاءت ورقة التطبيع المبالغت المتقدم عن غيره بين المغرب وإسرائيل لكي يعزز الرئيس الجزائري موقفه وذلك بإسباغ نكهة فلسطينية ثورية مضافة تمثلت بالقول على الملأ إن خطوات التطبيع تستهدف الجزائر، التي موقفها حتى إشعار آخر أو ظروف غير معروفة الدواعي لا تريد ركوب مركب التطبيع.

ما يعنينا هنا هو أن الجزائر ومن قبل أن تتعقد القمة العربية الدورية التي هي بأشد الحاجة إليها، لا بد من تطبيع أخوي مع المغرب إذ كيف سيكون هذا الإنعقاد في حال كانت العلاقات ما تزال مقطوعة والحذر على أشده بين الشقيقتين الأكثر تأثراً في المجالين الإقليمي العربي _ الأفريقي والدولي المتوسطي وعبر الأطلسي، فضلاً عن أن المغرب سيكون عضو مجلس الأمن والسلم للاتحاد في دورته التي تبدأ مع مطلع العام المقبل (2022) وتستمر ثلاث سنوات. وهي عضوية تعني

الكثير ليس فقط للجزائر وإنما لتونس التي كان رئيسها المتزايدة إرتباكات ظروف جمهوريته قيس بن سعيد يمّني النفس في الحصول عليها وكان موعوداً من ليبيا الجارة الحائرة في أمر إنتخاباتها الرئاسية بتأييد إختيار تونس، ثم إذا بوزيرة الخارجية نجلاء المنقوش وعلى خلفية الأزمة التي إستحكمت مضامين أجندة الخلاف الجزائري - المغربي وبعد يومين من زيارة مفاجئة قامت بها رئيسة وزراء تونس نجلاء بouden إلى الجزائر لطلب الدعم الإقتصادي، باغتت نجلاء ليبيا الرئيس التونسي بأن ليبيا ستعطي صوتها للمغرب وبذلك خاب الأمل بالعضوية التي كان سعى الرئيس بن سعيد جاهداً من أجلها وفي تقديره أنها تقيد في ترميم تشققات في جدران جمهوريته التي يغلب فيها الحُلم على الممكن. كما بات جائزاً الإفتراض أن موقف نجلاء ليبيا كان رداً على زيارة نجلاء تونس إلى الجزائر.

بين موعد إنعقاد القمة العربية في الجزائر والظروف التي تعيشها دول الأمة بضعة أسابيع. تبقى الأزمة تتفاعل إلى أن تتحسر بين الجزائر والمغرب أحد عناوينها أم يصار إلى تسوية يتولاها أصحاب المساعي الحميدة وهم تحديداً المملكة العربية السعودية ومؤازرة سائر دول مجلس التعاون الخليجي التي بينها وبين الدولتين الجارتين نسبة عالية من التفهم والود إلى درجة التعاطف مع أحوال كل من تونس ذات النظام المستحدث والمغرب ذي النظام العريق. وفي حال لم يحدث المسعى الحميد، هل تتعقد القمة بمن حضر وهذه ليست سابقة فكم من مؤتمرات عربية إنعقدت بمن حضر وكان مثل هكذا إنعقاد بمثابة ندبة في الوجه العربي.

سنفترض أن الظروف التي تعيشها الأمة ستضغط من أجل إنعقاد بكامل الحضور وعلى مستوى أهل القمة. كما أن الظروف تلك توجب وسط التطبيع الذي يتمدد وتزايدت خطواته مع الحديث عن خطوات قيد التشاور في الكواليس ممتزجاً بالترغيب، مناقشة مسألة التطبيع كظاهرة وكيف أنه لا يترافق مع الخطوات التي تتم، موقف جدي ومسؤول وموثوق منه يعلنه الجانب الإسرائيلي. فمنذ أواسلو ومؤتمر مدريد وما تلاهما من معاهدات ثنائية (كامب ديفيد ووادي عربة) وإبداء حُسن النوايا العربية لم يسجل الجانب الإسرائيلي موقفاً يمكن الركون إلى تطويره. وحتى المبادرة العربية للسلام لم تلق من إسرائيل رداً محترماً عليها مع أنها كانت المركب الذي ينقل الجميع

من بحر الصراع إلى تسوية، خصوصاً أنها نالت الموافقة عليها بأقل قدر من التحفظات. ومن المؤسف أن الغرب الأميركي والأوروبي معاً لم تمارس حكوماته الواجب الضميري المفترض فيها تأديته بمعنى أن تتبنى المبادرة إلى حد فرضها بقرارات أممية.

هذه المبادرة ما زالت على صفاء بنود مضمونها. وفي زمن التطبيع الحالي من دون التشاور والتنسيق، يبدو من الواجب القومي إذا سارت الأمور في اتجاه إنعقاد القمة، إحياء هذه المبادرة كأن تقرر القمة وبالإجماع على نحو قمة المنشأ في بيروت (28 مارس/ آذار 2002) بنداُ شَرْطياً مختصراً مفيداً يتلخص في عبارة "المبادرة العربية للسلام مقابل التطبيع" وبحيث يتلزم تنفيذها معاً، والمنطقي أن يتقدم القبول الإسرائيلي بالمبادرة العربية على أن تتبعها خطوات التطبيع. وفي حال إهتدت إسرائيل وضغط عليها الغرب الأميركي والبريطاني بما يحقق خطوات عملية لا تحتل التأجيل كما لا ترافقها إعتبارات على نحو ما مارسته إسرائيل من تسويق ومماطلات بالنسبة إلى صيغة "الأرض مقابل السلام" التي تعاملت إسرائيل بموجبها على أن السلام سلعة للبيع والشراء وليس قضية أرادتها الديانات السماوية حقاً مكتسباً للشعوب... في حال الإهتداء المشار إليه يقرر من يريد التطبيع إتخاذ القرار الذي يغني عن التساؤلات. كما في ضوء ذلك ونحن نعيش مناسبة الميلاد المجيد تصدح في أرجاء المنطقة كلمات عيسى بن مريم عليه السلام "على الأرض السلام وفي الناس المسرة". وطوبى لمن إهتدى.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ السبت 4 ديسمبر (ك) 2021

تأملات في قمة حرّاس جيل التأسيس

واكبْتُ بحكم الواجب الصحافي وعلى مدى سنوات بدأت مع إعادة الروح إلى صيغة القمة متمثلة إعادة هذه بالقمة العربية التي إستضافها الرئيس (الراحل) جمال عبدالناصر في القاهرة (من 13 إلى 17 يناير 1964) ثم في الإسكندرية (من 5 إلى 11 يناير 1964) عشرات القمم العربية والخليجية والعربية والإسلامية وبعض دورات عدم الإنحياز، إلّا أنني لم أشهد سلاسة والتزاماً وتشاوراً

ونأياً عن المجادلات العقيمة وأحياناً التراشق الكلامي، كالذي واكبته على مدى عشرة أيام للقمة الثانية والأربعين لدول مجلس التعاون الخليجي التي إستضافها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز بتكليف من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان الذي ظهر في هذا التكليف بدءاً بجولة الأمير محمد على القادة الخليجيين ثم بإستكمال الطقوس المألوفة من لحظة الوصول إلى لحظة المغادرة، كمن يقول بصيغة الترميز إلى أنه مع قمة الرياض الثانية والأربعين وفي رحاب الدرعية بما يوحي ذكرها من أجواء تراثية ومحطات تاريخية، يبدأ الجيل الثاني من القادة واجب إستكمال مسيرة المجلس الذي ما زالت أوتاد خيمته على ثباتها تهزها أحياناً حروب وأزمات مفتعلة وحالات عتب عابرة، لكن لا تلبث أن تستكين ويتواصل البذل بكل الحرص والمسؤولية.

ونحن عندما نقول الجيل الثاني من القادة فمن منطلق أن جميع المشاركين كانوا عند تأسيس السلف الصالح بين من هو في سن تراوح بين الطفولة ومطلع الشباب، فالأمير محمد بن سلمان ولد بعد أربع سنوات من إعلان القادة الخليجيين الستة رحمة الله عليهم من قمة عقدها في أبوظبي عام 1981 بيان تأسيس مجلس التعاون الخليجي، وأمير قطر الشيخ تميم بن حمد كان في السنة الأولى من العمر، ورئيس وزراء الإمارات حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم كان في بداية العمر الشبابي، وهيثم بن طارق سلطان عُمان (أناب عنه من يمثله) كان أيضاً في السن السادسة والعشرين من العمر. الوحيدان اللذان واكبا وهما في دائرة إتخاذ القرار كل لبلده وفي سن النضوج هما أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الذي كان عند قيام المجلس في عنفوان شبابه (44 سنة) وأناب عنه شقيقه الشيخ مشعل الأحمد.

ما يقال عن رموز القمة كل في دولته، يقال عن رموز الدبلوماسية الذين يترجمون قرارات وإرادات القادة. وزير الخارجية السعودية الأمير فيصل بن فرحان كان عند تأسيس المجلس في السابعة من العمر، والشيخ عبدالله بن زايد وزير الخارجية الإماراتية كان في التاسعة، والشيخ أحمد ناصر المحمد وزير الخارجية الكويتية كان في العاشرة من العمر، ومحمد بن عبدالرحمن وزير الخارجية القطرية كان طفلاً في شهره الخامس. إثنان فقط كانا في بداية عمر الشباب: عبداللطيف الزياتي وزير الخارجية البحرينية في السابعة والعشرين، وبدر البوسعيدي وزير

خارجية سلطنة عُمان في الواحدة والعشرين. هؤلاء كانوا على موعد مع واجب الحراسة الدبلوماسية للإنجاز الذي بدأه الآباء وكان تأسيسهم حالة من حالات القراءة في المصائر مستقبلاً.

زيارات الأمير محمد بن سلمان لعواصم دول المجلس كانت تقليداً غير مسبوق. إعتدنا على أن يتم الإنعقاد بعد توجيه دعوات يتولاها الأمين العام للمجلس. لكن على ما يمكن إستنتاجه هو أن وليّ العهد السعودي أراد أن يكون مضيفاً بشمائل سلمانية وهي إستباق يوم الإنعقاد ببضعة أيام جال فيها على إخوانه حراس الكيان الرحب الذي إجتاز بسلامة أربعة عقود من الصمود في وجه المفاجآت ومن التريث في تنفيذ مقررات تستهدف شد أواصر الكيان الخليجي وإدخال المزيد من الإنصهار السياسي والوطني وبما يحفظ للسيادة دوام الاستقرار والخصوصية. ولقد درجت مقدمات إنعقاد القمم العربية والإسلامية على أن تكون الدعوات إلى هذه القمة أو تلك على درجة من البرود كأن يتم إرسال موفد ومعه رسالة دعوة أو تتم الدعوة من خلال إتصال هاتفي من جانب صاحب المقام المستضيف إلى أصحاب المقامات المشاركين في القمة. ثم يأتي الأمير محمد بن سلمان يأخذ بالصيغة الأكثر تقديراً لقادة دول المجلس حيث يزورهم وكأنما تتعقد القمة في عاصمة كل دولة زارها، ويبرم في الوقت نفسه من الإتفاقيات التي تستهدف التطوير ثم يعود وفي عنقه وعلى صدره الأوسمة الأعلى.

عند الإنعقاد يعلو منسوب التألف والتقدير وتنتهي الدورة الثانية والأربعين لدول المجلس التعاون الخليجي وكأنما هي عدا ما إتخذته من توصيات تبعث في طيات عبارات وردت ما يمكن إعتبارها رسائل إلى بعض الأشقاء العرب، الغارقين في صراعات والمستغرقين في أوهام يعتبرونها من الأحلام، فحواها أن عدم اليقظة من تلك الأوهام ومن سيء الكلام وسوء التصرفات مآلها المزيد من الإنحدار. كما يمكن تفسير بعض العبارات سواء في البيان الصادر عن أعمال القمة أو في "إعلان الرياض" بأنها لفت إنتباه للدول الكبرى بأن تركيز دول المجلس على الإقتصاد والتنمية ومواكبة التطور العملي أرضاً وفضاء والإنتتاح المتدرج على تنقية الأجواء السياسية من خلال خطوات تسالمية مدروسة ومتدرجة، لا يعني أن الصفحة الملأى مناشدات من تاريخ الصراع مع إسرائيل قد طويت وإنما هي في إنتظار كتابة جديدة يتشارك في

تحبيرها أهل القضية وسندهم العربي والإسلامي وأطراف الظلم التاريخي المتعمد ونعني بذلك الدول الكبرى المحتارة بأمر النظام الثوري الإيراني من دون الحسم معه والمماثلة بالفعل والقول للسلوك الإسرائيلي الذي ما زال يرى السلام تجارة وليس قضية.

جاء إنعقاد القمة الخليجية الثانية والأربعين في وقت السعي المرتبك للقمة العربية الدورية المقرر عقدها من حيث دور الإنعقاد تبعاً للحروف الأبجدية في الجزائر. وقد تكون زيارة الود الجزائري في أعلى درجاته من جانب الرئيس عبدالمجيد بتون لتونس الرئيس قيس بن سعيد فيما قادة دول الخليج يعقدون قمتهم، متأثرة إلى حد الإقتباس بالصيغة التي إعتدها الأمير محمد بن سلمان بجولته الخليجية إستباقاً لإنعقاد القمة في الرياض. عسى ولعل تكتمل خطوات الإقتباس فعلاً وروحاً من جانب الجزائر المستضيفة القمة العربية، وبذلك ينحسر بعض الشيء الإنطباع بأن هناك عالمان عربيان وليس فقط هنالك عالم عربي واحد.

ويبقى القول في ضوء ما رافق القمة الخليجية في الرياض وما إنتهت إليه أعمالها وما صدر عنها من توصيات، إن جيل حراس تأسيس الكيان الخليجي يبشر بتثبيت التسامح والتضافر والسير بخطوات مدروسة على طريق التطوير والتحديث وكل ذلك رغم وعورة طريق التحديات والإعتداءات أحياناً سواء بالكلام أو بالمسيّرات من دون أي تهديد بالإحراق والتدمير رداً بالمثل، والإكتفاء بتكرار النصح والدعوة إلى سواء السبيل.

ولقد تقحت عيون حراس تأسيس مجلس التعاون الخليجي وواكبوا مسيرته وعاشوا ما يسر الله من خطوات إتخذها المؤسسون وما يضر من تحديات إستهدفت التجربة وتناقضات حدثت نتيجة وجهات النظر بين رموز أركان التجربة، وعلى القاعدة الشعرية "إن الذي بيني وبين بنو عمي لمختلف جداً...". وها هم في كنف خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حراس الصيغة التي رحل رموزها وأحدثهم السلطان قابوس بعد الشيخ جابر الأحمد والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني والشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والملك خالد بن عبدالعزيز، يؤدون الواجب على الوجه الأكمل. وبذلك فإنهم على نحو القول الطيب من طينة الفتية "الذين آمنوا بربهم وزدناهم هدى".

لعل الهداية تصل إلى بعض الضالين في ديار الأمة،

وكانوا بأفعالهم وأقوالهم في مواسم الصراعات من صانعي المشهد الراهن الذي يعكس إنطباعاً بأن العالم العربي إثنان أحدهما العالم العربي الخليجي في عهدة حراس يقظين متكاتفين متفهمين. والله المنجي للعالم العربي الآخر وبالذات لمن ليسوا جديرين بالحفاظ على سلامة البلاد وطمأنينة العباد. وهذه حال لبنان لا تحتاج إلى كثير الكلام في شأنه تتساوى حاله وينسب متفاوتة لجهة سوء والتخبط والإرتهان مع أحوال سوريا والعراق وليبيا وتونس والسودان وفلسطين.. إلى ينظر الله في أمر العابثين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 23 ديسمبر (ك) 2021

في انتظار الأمناء الثلاثة

مع أن زيارته كانت من حيث التقليد المتبع هي لتقّود القوات الدولية العاملة في الشريط الحدودي مع إسرائيل، لمناسبة عيد الميلاد، ورفع معنويات همم هؤلاء الذين يرددون معنوياً الإعتداء البري على لبنان فيما لا رادع للإحتراقات الجوية المتكررة، إلا أن المشاعر الإنسانية تساوت لدى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش مع موجبات الزيارة الميلادية فكانت اللفتة الكثيرة الرقي المتمثلة بوضع إكليل من الزهر تكريماً لأرواح ضحايا الانفجار الهيروشيمي في مرفأ بيروت، عدا عبارات برسم رموز الحكم في لبنان علمهم يقرأون مضامينها بعناية فيعيد هذا وذاك وذلك.. وأولئك النظر في مواقفهم التي هي أشبه بالحطب يُلقى على النار بدل العمل على إطفائها.

بدا غوتيريش في زيارته كمن يريد مخلصاً السعي لمساعدة لبنان على تدارك مخاطر أشد قسوة على الشعب من التي يكابدها الآلاف منذ خمس سنوات وبالذات في السنتين العشريين 2020 _ 2021، ولكنه في ما سمعه اللبنانيون منه كمن يريد القول أن ليس في الإمكان أكثر مما قام به، وإن كانت زيارته وأقواله ووضع إكليل الزهر على أرواح ضحايا المرفأ وتلك لفتة صدرت من قبل عن الرئيس الفرنسي ماكرون، ولم يبق بها مع الأسف والإستغراب الأول والثاني والثالث من أهل الحكم اللبناني ولا أيضاً من الطرف الحاضن بنسب متفاوتة للمثلث الرئاسي، إستوقفت أطرافاً في دول كثيرة لم تفعل ما قام به وكانت قادرة على الفعل وإن من

منطلق ما أوجزه الشاعر العربي بالقول : "لا خيل عندك تهديها ولا مال.. فليسعف النطق إن لم تُسعد الحال".

وما هو لافت في رقي الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة التي للبنان الزمن الخمسيني حيز في ميثاقها كمنظمة جامعة الشمل، حرصه على أن يسمع من لبنان المرجعيات الدينية وعلى مستوى القمة بإستثناء تمثيل خجول للمرجعية الشيعية، لا الإكتفاء بطروحات المراجع السياسية التي لم يستوفقه من كلامها ما يوحي بصدق السعي لوضع الأزمة اللبنانية في المسار المستقيم. وليس مستبعداً مباشرة أمين الأمانة العامة الدولية وفي نطاق ما تجيزه صلاحياته تتشيط بعض القنوات الأممية، وبعيداً عن البهرجة الإعلامية، من أجل تذليل التناقضات الدولية التي تعطل ضمناً إيجاد حلول لقضايا شرق أوسطية كثيرة عالقة أكثرها وضوحاً بالنسبة إليه القضية اللبنانية التي زادت الزيارة الميلادية وقوفاً على تعقيداتها، فضلاً عن أن ترويض أزمات كثيرة التعقيد وبالذات ما يتعلق بالموضوع السوري والموضوع العراقي والموضوع اليمني، يبدأ من خلال حل الأزمة اللبنانية، إذ لمجرد أن يهتدي لبنانيو التآزيم والتعطيل تشق الهداية طريقها إلى سائر الجوارات. ثم إن الحالة اللبنانية في ضوء التشخيص الأميركي والأوروبي والخليجي وما يرافق التشخيص من عقوبات مالية وتصنيفات إرهابية، لم تعد مشكلة لبنانية على اللبنانيين معالجتها، وإنما هي حالة باتت في صلب هموم وإهتمامات الكثير من دول العالم كبيرها وصغيرها، وهي في طريقها لأن تصبح حاضرة وتحتها خط أحمر في الأجندة الأممية.

ربما يرى الأمين العام أن معابده الميلادية للقوات الأممية المربطة في منطقة عرضة للإنتهاب في أي لحظة لكن وجود هذه القوات يحول دون ذلك ويتجاوز أفراد دورياتها أحياناً تحرشات غير مبررة، تتطلب منه وقد عايش حالة الإنهاك في أعلى درجات المخاطر يكابدها لبنان الوطن والشعب ولا يبالي رموز السُلطة بذلك، تفعيل ما سمعه اللبنانيون منه وما سمعه بالذات من المرجعيات الدينية التي كان لقاء رموزها به المحطة الإيجابية الأكثر أهمية، حيث بعد أن أمضى بعض الوقت يتأمل في التججير الهيروشيمي للمرفأ ويهدي أرواح الضحايا باقة ورد ذات شذى روحاني كونها متصلة بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، قال متأثراً وبما معناه إنه في حدود صلاحياته إلى جانب مشاعره سيسعى من أجل أن يعير المجتمع الدولي الاهتمام إنسانياً وإنمائياً بلبنان، من دون أن يقول ما سبق وقاله المبادر

الدولي الأول الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون من أن الحل يبدأ بتغيير الأساليب المتبعة من جانب رموز السلطات السياسية.

هل يرجو اللبنانيون الذين ضاقت بهم السبل ويعيشون في وطن لا يشعرون أن الذين في أيديهم مقادير السلطة حريصون على الوطن سيداً وعلى الشعب مطمئناً، خيراً من الأمين العام أنطونيو غوتيريش؟

في قرارة النفوس هنالك هذا الشعور، ذلك أن الرجل لا يبدي هذا الاهتمام المشاعري بلبنان لإستعماله ورقة تقديده إن هو ترأس بلاده (البرتغال) بعد إنتهاء سنوات منصبه كأمين عام للأمم المتحدة وهذا ما تطلع إليه كورت فالدهايم على سبيل المثال، وناله حيث بات رئيساً لبلاده (النمسا) من 8 يوليو/ تموز 1986 إلى 8 يوليو 1992، لكنه قد يبدي الاهتمام تأثراً منه بما فعله الرئيس الفرنسي ماكرون الذي أعطى الحالة اللبنانية من الاهتمام ما لم تحصل عليه من جانب أهل السلطات الثلاث أنفسهم. وهنا يجوز الإفتراض أن الأمين العام إنتظر المناسبة الميلادية لكي يؤدي كإنسان يشغل المنصب الأممي الأول واجباً ينطبق عليه القول الشاعري الذي أوردناه في سطور سابقة حول أهمية النطق كلاماً منزهاً من القلب، عندما لا يكون في اليد ما هو أكثر فعالية لتقديمه.

خلال ثلاثة أيام وفي ظل أجواء ميلادية إمتزج بها البؤس مع اليأس وضع أنطونيو غوتيريش لبنان الذي يقطر إمتهاًناً من جانب أهل السلطة، في صدارة المشهد الأممي. عسى ولعل في العام الذي بعد ساعات تشرق شمس يومه الأول يحذو الأمانء الثلاثة المعنيون، الأمين العام للجامعة العربية والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والأمين العام لمجلس التعاون الخليجي حذو الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الذي جاء من دون تكليف، لكنه حوّل زيارة تفقدية لمناسبة الميلاد ورأس السنة للقوات الدولية العاملة في لبنان إلى واجب إنساني شبيه إلى حد بزيارة إلى راقد في سرير المرض. ولقد تفاعل المريض خيراً وغامر شعور بحصول شفاء لمجرد أن تجري الانتخابات النيابية بعد ثلاثة أشهر تليها إنتخابات رئاسة الجمهورية. والله كريم أولاً وآخرأً ودائماً.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 29 ديسمبر (ك) 2021

المقالات من يناير 2022 إلى ديسمبر 2023



السراي

هل نتجج وساطة الصين في السودان؟

موسم التزوح من السودان

كيسنجر... ويا لتلك الثغرة (1)

العرب والهند... سر العلاقة المتوازنة

مشاركة لبنانية مصرية لاستكشاف كيسنجر (2)

تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة

الجزائر... نعيم الاستقرار من نعمة التجدد

القبيل للشيخ

الرأي

المنطقة ذات المسلمين

نوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة

أميركا وإسرا

حدود الأزمة

تأملات في الليل الحزبي

شمس الطمأنينة

جيران السعادة والنعاسة لروسيا



في موسكو، حيث يعيش أكثر من 150 مليون شخص، يعيشون في أجواء من السعادة والنعاسة. هذا هو الحال في روسيا، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت روسيا الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم. هذا هو الحال في روسيا، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم.

الجزائر... نعيم الاستقرار من نعمة التجدد



الجزائر... نعيم الاستقرار من نعمة التجدد. الجزائر هي واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت الجزائر الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم. هذا هو الحال في الجزائر، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم.

موسم التزوح من السودان



موسم التزوح من السودان. السودان هو واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبح السودان الآن واحد من أكثر الدول استقراراً في العالم. هذا هو الحال في السودان، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم.

كيسنجر... ويا لتلك الثغرة (1)



كيسنجر... ويا لتلك الثغرة (1). كيسنجر هو واحد من أكثر الدول استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبح كيسنجر الآن واحد من أكثر الدول استقراراً في العالم. هذا هو الحال في كيسنجر، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر الدول استقراراً في العالم.

العرب والهند... سر العلاقة المتوازنة



العرب والهند... سر العلاقة المتوازنة. العلاقة بين العرب والهند هي واحدة من أكثر العلاقات استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت العلاقة بين العرب والهند الآن واحدة من أكثر العلاقات استقراراً في العالم. هذا هو الحال في العلاقة بين العرب والهند، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر العلاقات استقراراً في العالم.

مشاركة لبنانية مصرية لاستكشاف كيسنجر (2)



مشاركة لبنانية مصرية لاستكشاف كيسنجر (2). المشاركة اللبنانية المصرية لاستكشاف كيسنجر هي واحدة من أكثر المشاركات استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت المشاركة اللبنانية المصرية لاستكشاف كيسنجر الآن واحدة من أكثر المشاركات استقراراً في العالم. هذا هو الحال في المشاركة اللبنانية المصرية لاستكشاف كيسنجر، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر المشاركات استقراراً في العالم.

تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة



تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة. تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة هي واحدة من أكثر التأملات استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة الآن واحدة من أكثر التأملات استقراراً في العالم. هذا هو الحال في تأملات في الليل الحزبي... وشمس الطمأنينة، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر التأملات استقراراً في العالم.

نوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة



نوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة. النوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة هي واحدة من أكثر النعائم استقراراً في العالم. بعد سنوات طويلة من الاضطرابات والاضطرابات، أصبحت النوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة الآن واحدة من أكثر النعائم استقراراً في العالم. هذا هو الحال في النوم على أزمة واستيقاظ على فاجعة، التي أصبحت الآن واحدة من أكثر النعائم استقراراً في العالم.

أميركا وإسرا

حدود الأزمة

تأملات في الليل الحزبي

شمس الطمأنينة

لبنان المريض.. والمرضى.. والمرضون

حفلت السنة التي إنقضت بالحد الأكثر من إمتهان أهل السُلطة اللبنانية للوطن والشعب على حد سواء، وتمثّل الإمتهان المشار إليه بكلمات أُقيمت لمناسبات أو خلال لقاءات للمثلث الرئاسي بزوار أجنب أو هيئات محلية. وعند التأمل في الذين قالوه يخرج المرء بإقتناع أن الكلام الذي قالوه أو قيل عنهم بالوكالة، جاء تطويلاً لا مبرر له وجاء بالتالي لا جدوى منه، مع أن واقع الحال المزري الذي يعيشه الإنسان والكيان في لبنان يتطلب ما يوجزه التشبيه المتعارف على حُسن صياغة حروف كلمتيه وهما: مختصر مفيد.

لم يكن ما أسمعته المثلث غير المرضي عنه وسائر الأذرع المتصلة به للبنانيين المكتوين بكل أنواع الإذلال، هو ما يبعث الطمأنينة في النفوس وينشر مشاعر الثقة بأن هؤلاء صادقون مخلصون حادبون في ما يقولون. وهكذا فإن ما قيل لا هو مختصر.. ولا هو مفيد، ولحق العام 2021 بالعام 2020 وببقية الأعوام الأربعة العجاف.

في مقابل المثلث الرئاسي الذي يمارس رموزه الثلاثة مقاليد السُلطة وسيناريوهات مستقبلية بما يحقق حسابات شخصية يدفع ثمنها الناس، هنالك رموز تبعث رؤاها وصيغ الحلول التي تطرحها على الإرتياح والشعور بالطمأنينة.. إنما وفق قاعدة "تفاءلوا بالخير تجدوه"، أعني هنا تحديداً أبرزها البطيريك مار بشاره الراعي الذي يطلق التنبيه تلو التنبيه ومن دون الأخذ بصرف النظر عن ذلك لأنه لا ألباب يفهمون من إشارات. وهكذا فإنه إذا كان اللبيب لا يفهم من الإشارة، فعندئذ لا بد من إفهامه من خلال رفع منسوب التنبيه إلى درجة التحذير بما هو أكثر من ذلك، كأن تكون هنالك دعوة إلى حراك شعبي يوقظ مثلث السُلطة المُبَنّسة للناس والوطن على حد سواء من نوم ضمائرهم. ولولا الخشية من أن يأخذ هذا الحراك صيغة المذهبية لكان لزاماً على جموع الناس مناشدة المرجع الروحي ممارسنة دور المرجع الثوري لبعض الوقت، حيث أن ما سمعه الناس من البطيريك الراعي في عظة مناسبة السنة الجديدة كان ضمناً نقلة نوعية من جانبه في إتجاه حسم الأمور، علماً بأنه منذ طرحه صيغة "الحياد" قبل أشهر أمام حشد في صرحه غير مسبوق

وماتلا ذلك في مناسبات، لم يصرف البطيريك الراعي النظر عن مواصلة التنبيه والتذكير وأحياناً التصويب على مواطن التلكؤ، وكانت له وقفات كلامية مثل قوله "لا إنقاذ ولا إصلاح ولا تغيير من خلال جماعة سياسية عبثت بالبلاد والعباد منذ ثلاثين سنة ونيف" و"يا ليت المسؤولين عندنا يعودون إلى إنسانيتهم". وعندما بلغ غضبه مرحلة متقدمة وإلى مشارف الزمجرة نهرَ المسؤولين بعبارة "ألا تخافون الله والناس ومحكمة الضمير والتاريخ".

هذه العبارات التي تغلب عليها صفة التذكير بأمل أن تتفع الذكرى كانت فقط من المرجع الروحي الأول لطائفة دون غيرها، إلا أنه في كلامه لمناسبة العام الجديد يبدو صاحب موقف تجمع مفردات صياغته بين ثورية طانيوس شاهين ومبدئية غيفارا. ولكي لا نذهب بعيداً في التشبيهات فإنه كان محذراً بخلفية روحية للتحذير دون إعدار أولئك الذين لا يدرون ماذا يفعلون ولذا فهم غير معذورين.. أو بالأحرى غشيت أبصارهم بفعل فاعل خارجي عما فعلوا بلبنان الوطن والشعب ويواصلون فعل الإستهانة إلى درجة المهانة.

من جملة ما يستوقف اللبناني المكابد الذي يصغي بقلبه قبل أذنه، في الكلام الجديد وليس الأخير للبطيريك الراعي قوله "إن لبنان مريض بفقدان هويته وكأي مريض يشكو من فقدان صحته من الواجب إعادتها إليه ومن الواجب أن تعود إلى لبنان عافيته التي خسرها...".

وهكذا مرة أخرى ولا يبدو أنها الأخيرة يرى البطيريك أن إستعادة العافية تكون بـ "إلتزام لبنان الحياد بين الشرق والغرب، ففي الحياد خير لبنان وإزدهاره وخير جميع اللبنانيين...".

مع أن البطيريك الراعي لا يواصل النطق حياداً مطلوباً للبنان من أجل الطائفة التي هو راعيها، وإنما من أجل لبنان الصيغة الحاضنة لجميع الطوائف، فإن نداءاته ستبقى مجرد صدى في واد وتبقى نقطة عدم التفعيل لما يدعو إليه على ما هي عليه من المراوحة، وذلك في إنتظار تدعيم ما ينادي به، أي الأخذ بالحياد، بمواقف مرجعيات سياسية ودينية عربية ودولية ومن دون تفسير ذلك على أنه تدخّل في شؤون داخلية. وفي حال صدور إichاءات سياسية عربية ودولية ومرجعيات مثل الأزهر والفاتيكان إلى جانب مرجعيات روحية لبنانية متجردة فإن هامش الترحيب الشعبي اللبناني بما ينادي به البطيريك الراعي لا يعود على الحذر الذي هو عليه، وسيستود

الإنطباع بأن هنالك إرادات عربية ودولية تحبذ ذلك وتطلع إلى خطوة لبنانية جامعة بنسبة ملحوظة. ونقول ذلك على أساس أنه إذا كانت صيغة الأخذ بالحياد حلاً تتطلب توافقاً لبنانياً سياسياً وحزبياً حولها فإن ذلك التوافق لن يحدث حتى إذا فُرض على لبنان وضمن دعوة أممية إجراء إستفتاء على الصيغة برقابة دولية.

هنا نتساءل: هل سيبقى البطريرك الراعي وحيداً كمرجعية روحية ينادي بالحياد صيغة حل للبنان المريض؟

في حال لا دعامة عربية سياسية _ روحية ولا مساندة دولية فاعلة للفكرة، سيبقى المريض على مرضه. وأما البطريرك الراعي فلا يعود على قرع جرس الحياد في قداديسه الأسبوعية. وبذلك يصيبه ما أصاب حراك الغضب الشعبي الذي عاش بضعة أشهر ثم هدأ الغاضبون وغابوا عن مشهد الاحتجاج لتبدأ حالة من اليأس والتئيب تعظم فيها إحساس أكثرية الشعب اللبناني بالمرارة وخيبة الآمال المعقودة على أحلام أقرب إلى الأوهام منها إلى الحقيقة.

ويوماً بعد آخر سيجد اللبنانيون إذا كان الوطن المريض على حد تشخيص البطريرك الراعي لن يتعافى ولن يتوافر عقار الحياد له، أنهم باتوا مثل سائر النازحين ينامون ويصحون على كلام لا هو مختصر ولا هو مفيد، وأن الوطن إنتهى أكثر من ضاحية وأكثر من مخيم وأنهم موزعون على هذه الضواحي والمخيمات مثل سائر النازحين واللاجئين الضيوف. ليس من شدة وطأة سوء الحال نقول ذلك وإنما لأن ما هو حاصل يرسم ملامح ما هو على طريق الحلول.

لا قدر الله ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 5 يناير (كانون الثاني) 2022

"بشير" لبنان ... و"قاسمه" الإيراني

تكاد لا تمر مناسبة إلا ويسجل أهل السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مواقف بالغة الحدة في حق الولايات المتحدة دون تمييز بين إدارة وإدارة، وتصل أحياناً إلى درجة صياغة الموقف بمفردات إنذارية. ولنا على

سبيل المثال لا الحصر مخاطبة اللواء قاسم سليماني يوم كان ما زال يقود "فيلق القدس" الرئيس الأميركي دونالد ترمب بمفردات يوحى فيها بأنه قادر برجال "الحرس الثوري" على مواجهة الدولة الأقوى أميركا. ومن جملة أقواله في هذا الشأن مخاطباً ترمب "قد تبدأ أنت الحرب لكننا سننهيها" و "أنا نذكّم وقوات القدس هي نذكّم" و "في اللحظة التي أنت فيها عاجز عن التفكير نحن قريبون منك لدرجة لا يمكن تصورها...".

هذا العنفوان في أعالي درجاته جعل حتى الرئيس حسن روحاني يتخلى ذات تصريح عن هدوء الرؤساء في المناسبات الكلامية الشديدة الحماسة ويخاطب الرئيس ترمب بمفردات "سليمانية" مثل قوله "لا تلعب بذيل الأسد فالحرب مع إيران ستكون أم الحروب...". وهذه "الأمومية" سبق أن سمعها العراقيون ومعهم الأشقاء والأصدقاء في الأمتين من خلال تسمية "أم المعارك" لتلك الحرب التي خاضها الرئيس صدام حسين ضد إيران الخمينية. كما أن هذا العنفوان جعل الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله يقصف مهاجماً متحدياً في إحتفالية لمناسبة الذكرى الثانية للتصفية الجوية من جانب أميركا ترمب لسليمانى ومعه ثاني مثلث الحراك الإيراني في المنطقة وفي محطات إقليمية ودولية وذراع إيران الفاعلة في العراق أبو مهدي المهندس. ويبقى من المثلث السيد حسن نصرالله الذي خاطب أميركا في إحتفالية الذكرى الثانية لإغتيال رفيقته بالأسلوب الذي إعتمده وزير الإعلام العراقي السابق محمد سعيد الصحاف وآخرون من المسؤولين في العهد الصدامي. وننتكر عبارات في هذا الشأن كمثل "إن الجوارح ستأكل لحوم قوات أميركا إن حدث إعتداء على العراق".

لم تقتصر مفردات التحدي على قاسم سليماني وعلى روحاني، ذلك أن نصرالله ذهب في الكلمة التي ألقاها في إحتفالية الذكرى الثانية أبعد بكثير من الإثنتين ومن قآني الذي شغل المنصب الذي خلا بإغتيال سليماني وأندر هو الآخر قائلاً مخاطباً ترمب "من داخل بيتك قد يظهر شخص لينتقم منك على جريمتك". كما أن الرئيس الإيراني نفسه إبراهيم رئيסי قال عن ترمب "يتعين على خلفية جريمة إغتيال قاسم سليماني المروعة إنزال العقوبة وحكم القصاص العادل على القاتل والمجرم الرئيسي أي رئيس الجمهورية الأميركية في حينه". وتحفيفاً لنبرة التحدي هذه لم يسم رئيסי ترمب بالإسم لكن ذلك لا

يخفف من غليان النفوس.

قد يكون إحساس أهل السلطة في إيران أن إدارة الرئيس بايدن أضعف من أن يفوز سيدها الحالي بولاية رئاسية ثانية وهذا يسهّل تنفيذ السيناريو المحبوبة بدقة خيوطه ويستهدف عودة ترمب شخصياً أو من خلال ظل له إلى البيت الأبيض.. إلا في حال نامت أميركا على بايدن رئيساً واستيقظت على نائبته كامالا هاريس تقود البلاد نتيجة حالة مباغته أصابت الرئيس. ومثل هذا التحدي هو بغرض الإحياء بأن النظام في إيران قوي لدرجة أنه يخاطب الإدارة الأميركية بندية تخلق عنها حفيد كيم ايل سونغ الذي قرر قبل أيام وهو يجرب "إنجازاً صاروخياً باليستياً" جديداً الإنكفاء قليلاً عن التطلعات النووية والإلتفاف كثيراً نحو ما يجعل حال الكوري الشمالي لا تصل إلى تلك التي بدأ يعيشها اللبناني السوري واليمن والسوداني والفلسطيني وإخوة لهؤلاء في العيش تحت وطأة الفاقة بتنوع حالاتها والإذلال بتنوع مهاناته.

قد تكون دوافع الحدة من جانب نصرالله في مخاطبة أميركا هي لإشعار الرأي العام في مناطق نفوذ "حزب الله" بأنه قوي إلى درجة مخاطبة أميركا بالمفردات التي حفلت بها كلمته وأن لا موجب لأي خشية من مفاجآت وعواقب في علم الغيب الأميركي إلى جانب علم غيب الإستحقاق الانتخابي الآتي فضلاً عن علم الغيب المتعلق بالمصير السوري وهل تحل المقايضات محل المحادثات النووية العقيمة وبذلك يحل منطق الحدة وتصبح المفردات التي أفرط السيد حسن في إستعمالها ضد مقامات عربية ومصالح لبنانية قرينة على قائلها عند تبدل الظروف وحلول معادلات جديدة. وحتى في هذه الحال لا تعود ذريعة المناخ الديمقراطي الذي يجيز التعبير تكفي لمحو آثار عبارات غير مستحب قولها. فالمناخ الديمقراطي يسمح بتسجيل رؤى ومواقف إنما يحرم تجاوز حدود التعبير. وحتى الأخذ بالتحدي له أصول سبق أن خرج على حدودها أسامة بن لادن قولاً وفعلاً فكانت تصفيته التي تباهى بها باراك أوباما بمثل تباهي دونالد ترمب بتصفية قاسم سليمانى وذراع فيلقه الفاعل في العراق. وليس هنالك ما يردع ترمب إذا عاد، أو حتى باين إذا فاز بدورة رئاسية ثانية أو حتى أيضاً إذا ما ورثت هاريس المنصب، من تنفيذ ما في قائمة العقاب الأميركي. وليس غائباً عن الذاكرة كيف أن بوش الابن وعلى خلفية ذرائع

تتصل بالمصالح إنتقم حرباً ماحقة ضد العراق لأن صدام حسين أو الابن عدي وضعا صورة بوش الأب على مدخل "فندق الرشيد" لكي يدوسها الداخلون ومن بينهم مسؤولون وصحافيون أميركان وأجانب.

ما نريد قوله إن التحدي والتعبير عنه سواء بعمليات تصفية خصوم أو بكلام تغلب الشتيمة على مفرداته مآله فواجع. حدث ذلك ماضياً مع بشير الجميل قائل العبارة الأكثر تحدياً "سيأتي يوم نقول فيه للسوري: إجمع أغراضك وكل ما سرقته وإرحل" فلقي نهاية كنتك النهاية التي لقيها قاسم سليمانى ولم ينفع التحدي في أن يمارس بشير الجميل سلطته التي نالها رئيساً للجمهورية وأدى اليمين الدستورية عليها. كما أن توسيع قاسم سليمانى لرقعة التحدي التي وصل إلى أبعد بكثير مما يجاز لأي طرف حتى إذا حقق حلمه النووي الوصول إليه لم تحقق له الحلم في أن يكون رئيس إيران. وما بقي للإثنين "بشير لبنان" و "قاسمه الإيراني" عبارة عن مناحات وأعلام وتمثيل ولوحات وإحتفاليات وقداديس تذكارية... و"بشير ما بموت" و "كلنا قاسم".

لعل الذين باتوا أسرى "فيروس التحدي" يعتدلون. لعلهم يتأملون بكثير من الرشاد أن "بشير لبنان" كما "قاسمه الإيراني" وضعا كل وفق أحلامه وتهيؤاته لبنان في بند عدم الاستقرار... وها هو الوطن بين علامات من التعجب وأخرى من الإستفهام. وأما الذي أداه "قائد فيلق القدس" ولم تكتمل حلقات مخططه فإنه مائل للعيان في العراق وغزة واليمن وسوريا إلى جانب لبنان وأذرع كثيرة في مناطق ودول أخرى. والله الهادي إلى ما يرضي العباد ويصون البلاد.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 13 يناير (ك) 2022

لبنان عبد الحليم خدام..

ولبنان محمد صبرا

من النادر عندما يلتقي لبناني مع لبناني، وبالذات أولئك الذين عرفوا العالم العربي من خلال أعمال تجارية أو وظائف أو مهمات قاموا بها إلا ويكون هنالك بعض

الكلام وبصيغة التحسر عما آلت إليه الأحوال في الوطن بفعل فاعلين أكثرهم تأثيراً في المشهد المأساوي الذين تسببوا به للبنان، الجار السوري والمقتحم الإيراني. ومن غرائب الصدف أن الإثنين يلتقيان عند مغنم يتطلعان إليه وهو أن يصبح لبنان مثل خروف يلاحقه الذئب لجعله طبقاً في وليمة التطلعات الأمبراطورية الفارسية بطبعتها المذهبية، أو ورقة في اليد السورية تقيد عندما لا يعود صاحب السلطة قادراً على تحصين سلطانه العربي. ولعله من النادر وجود مثل هذه الظاهرة التي زرعها ثم سقيها واستمر يرعاها إلى أن أثمرت ما هو مائل أمامنا: أحزاب لبنانية سورية الهوى للنظام ولرئيسه بشّار الأسد أكثر بكثير من هوى السوريين أنفسهم. كما هنالك حزب وروافد تصب في مجراه ومسراه، إيرانية الهوى بما يرضي جوهر الحُكم وتقديس بعض رموزه أكثر بكثير من رعايا ذلك الحُكم في بلده وجمهور حاكمه.

هذه الخاصية لدى نماذج من رموز السلطة والعمل السياسي والحزبي في لبنان هي نقطة الضعف في النظام من رموز القمة إلى رموز السفح فيه. وهؤلاء الرموز في كل خطوة يخطونها تتقدم المداينة لكل من الطرفين السوري والإيراني على إتخاذ الموقف الوطني. وتتصرف هذه الرموز في ما نشير إليه من خشية إستقرت في النفس، أن يصدر عن هذا الرمز المسؤول أو ذاك موقف، أو حتى عبارة إعتراض أو حتى التحفظ عند التصويت على قرار يريد ذلك المرجع السوري أو الإيراني سرعة التصويت عليه وأحياناً يكون هنالك جامع مشترك من كليهما في ما يتعلق بسرعة التصويت.

من هنا فإن الممارسة حكومياً وبرلمانياً لم تعد لمصلحة الوطن والمواطن. وشيئاً فشيئاً تصبح هاتان السلطتان ومعهما السلطة الأولى بمثابة رهائن من خمس نجوم، بمعنى أن الرموز هم رجال الحُكم وأعمدة خيمته الثابتة إلى حين.

هذه الحالة بالحدة التي هي عليها والرموز الذين يمثلونها جديدة على لبنان. ولعل هذا الإنحدار وعدم النظر من جانب الغير، أشقاء كانوا أم أصدقاء بإحترام إلى اللبناني سببه الإنطباع الذي ليس موضع شك وهو أن رموز السلطة في لبنان هم وكلاء للغير، وتحديدًا إن ولاءهم لمرجعتهم الخارجية تتقدم على ممارسة الواجب الوطني بكل ما يفرضه هذا الواجب على المسؤول. وثمة وقائع كثيرة تؤكد ما نقوله.

هذا الإنطباع عن أهل السلطة وعما تسببت به للوطن وللشعب بات موضع إستهجان الذين عرفوا لبنان أو سمعوا عنه أو قرأوا الكثير من صفحات تاريخه، كما أن هذا الإنطباع ترك الأثر السيء على نظرة الشقيق العربي أو الصديق الأجنبي إلى لبنان فلم يعد الإحترام كما كان وإنحسر هامش الإعجاب بقدرة اللبناني على التطوير والإبتكار. وهذا ما كان ليستشري لو أن هنالك رجال دولة وحُكم تعنيهم كرامتهم وسمعتهم وعنفوان الوطن وعلى نحو ما كانت عليه النظرة ماضياً للوطن ومن يسوس أموره من جانب صيغة حُكم جسدها ميثاق يحاول الذين بأيديهم وتفكيرهم وسلاحهم وولائهم للغريب العبث به وكذلك بـ "إتفاق الطائف" الذين يقلقهم منه ليس مضمونه المتوازن، وإنما لأنه إرتبط بالدولة التي قامت بواجب ما كان لغيرها مقومات إنجازه. وبذل أن يصار إلى توعية ما بعد إتفاق الطائف بأهمية ما قامت به المملكة العربية السعودية لوضع نهاية توافقية للمحنة التي عصفت بلبنان وكادت أن ترمي به إلى مهاوي التهلكة وبالإنتقال من حرب جيل الآباء إلى حرب جيل الأبناء فحرب جيل الأحفاد، فإن العزف النشاز على وتر التشكيك بذلك الإنجاز هو السائد. هنا نتساءل هل لو الإتفاق لم يتم برعاية سعودية وجهود سعودية ومتابعة أخوية وعلى مستوى الذين في قمة الحُكم الملك فهد وإخوانه الذين رحل بعضهم مرفودة بإسناد عربي ودولي كان سيلقى هذا الجحود. وهنا تصبح هذه المقارعة وما يتخللها من تعديات لفظية وتدريبات على إلحاق الأذى بالسعودية الدولة والشعب عدواناً على الشعبين معاً، اللبناني الذي شكر السعي والسعودي الذي بذل المسعى وحقق المبتغى.

لن تصطلح الحال ويستأنف الشقيق والصديق إحترامه للبنان الوطن ولبنان المواطن وعلى نحو ما واكبا ذلك في عقود مضت، إلا إذا إحترم أهل الحُكم أنفسهم والمواقع التي يشغلونها وحققوا ثقة الناس بهم. ومثل هذا الأمر يتطلب رجال دولة من نسيج وطني وعروبي وضميري صرّف أمثال رموز إحترموا وهم في موقع السلطة وطنهم وشعبهم فكوفئوا بالمثل من الوطن ومن الشعب، وبات الشقيق كما الصديق ينظر إلى الأمر بإحترام ونكاد نقول بمهابة.

وتحضرنا في مناسبة كلامنا هذه واقعة تحويلها إحدى أوراق جهاد مرتضى السفير السابق وأحد رموز الدبلوماسية اللبنانية التي تتسم بالتجرد والحس الوطني

لغة الكلام الحاد و"الفيديو المقاوم"

يتأمل المرء مثل حالنا وهو يتابع بالأسى العميق في النفس حدة الكلام إلى درجة التجريح والإهانة والإستفزاز أحياناً، تتسم بها تعليقات أو تصريحات مسؤولين في حكومات دول عربية وإسلامية كما بعضهم في أعلى مكان في قمة السلطة، كيف أن هذه الحدة تتكرر على رغم ما تتسبب به من أذى معنوي للسمعتين الوطنية والشخصية. وكان في إستطاعة المسؤول السوري الرفيع الشأن في السبعينات والثمانينات عبدالحليم خدام تصحيح قول له ذات مؤتمر عربي إن لبنان في نظره مجرد "كباريه"، وهذا ما أشرنا إليه في مقال سابق، وكيف رد السفير اللبناني لدى مصر محمد صبرا (رحمة الله على الإثنين) بالقول أمام الجمع العربي الدبلوماسي (وزراء الخارجية العرب) إن الوزير خدام لم يعرف سوى لبنان الكباريه وليس لبنان الحضارة والتجارة والعلوم والطبابة والإبداع الفني. لكن خدام لم يصحح وهذا طبع الذين يتشاورون على الآخرين، نتيجة إمتلاكهم الشأن على أنواعه ومن ذلك ورقة السلاح، تلك الورقة التي إزدادت إصفراراً لكثرة إستعمالها ماضياً في زمن كابوس الإستضافة اللبنانية فلسطينيين بكامل أسلحتهم وإنتعشت حاضراً وربما دائماً في زمن الأمر الواقع الإيراني المتمثل بأن "المحرومين" باتوا "حارمين" أو فلنقل إن المحرومين أفرزوا قيادات وزعامات حارمة. وأهم عناوين الحرمان بطبعته الجديدة "الفيديو المقاوم" إقتباساً وتشبهاً لجهة علو الشأن بـ "فيتو" الخمس الكبار في العالم. وهذا "الفيديو المقاوم" الذي لا سابقة له في إدارة أصول الدولة هو عدم تيسير إنعقاد جلسة لمجلس الوزراء مع أن هذا المجلس ليس مُلك أعضائه الذين يتشكل منهم وإنما هو مُلك الشعب وبالتالي من المحرمات تعطيله، وأما الصراعات السياسية فهذه ساحتها مجلس النواب يقول من يريد قول أغلظ الكلام أو أرقه... أو حتى تتطور المجادلات فيحدث هجوم بالسواعد بعد تهجم بالألسنة من نواب على زملاء لهم عاركوهم وكانت جلسة برلمانية عنوانها الكر والفر تحت قبة البرلمان.. مجلس الشعب. أليس هذا ما حدث في الأردن قبل أيام على سبيل المثال لا الحصر وكما هنالك برلمانات عربية أخرى عاشت بعض ما هو مستهجن حدوثه.

والعروبي والنأي عن التمثه، الذي كان منصب وزير الخارجية يليق به لو أن الرئيس سعد الحريري صمد وشكل وتحمل. وهذه الواقعة ستوثقها ذات يوم مذكرات السفير الذي من إنجازاته عربياً وأوروبياً تأسيس السفارة في الدوحة وأن تكون السفارة في لندن سفارة كل اللبنانيين وأحد عناوين ميثاق وطنهم.

خلاصة الواقعة التي تعود إلى السبعينات أن سفير لبنان لدى جمهورية مصر العربية (الراحل) محمد صبرا كان يتأخر وفد لبنان إلى إجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب في القاهرة، وإلى جانبه جهاد مرتضى الدبلوماسي الثاني في السفارة.

وخلال مناقشة للوضع في لبنان الذي كانت السطوة السورية عليه بالغة الشدة، تحدث وزير الخارجية السورية عبدالحليم خدام (وكان زمناً في ذروة ولائه للرئيس حافظ الأسد قبل الإنشقاق المتأخر لاحقاً) بمفردات تتسم بالإستهانة بلبنان قائلاً أمام الجمع العربي الذي فاجأه القول، إن لبنان الذي تناقشون أمره "هو مجرد كباريه".

يا لهول هذا التوصيف، ويا لحسن موقف إتخذه محمد صبرا الشيعي المستتير ومن النسيج نفسه الذي يتصف به الرئيس رياض الصلح وبشارة الخوري رحمة الله على الجميع.. نسيج الميثاق الوطني ولبنان الحضارة والرقى والثقافة والحضور المحبب عربياً ودولياً.

بلغ ضيق السفير محمد صبرا أوجه وكان لا بد من رد يقارع فيه خدام، مع الأخذ في الإعتبار حساسية المسألة وما يمكن أن ينتج عن الرد. ونجده يستحضر روحية مفردات رياض الصلح عند حدوث مناسبات محرجة من هذا النوع ويطلب الكلام مخاطباً الحاضرين رؤساء الوفود العربية وليس الوزير خدام تحديداً، قائلاً "يبدو أن معالي وزير الخارجية السورية لا يعرف سوى "لبنان الكباريه" ولا يعرف لبنان الحضارة والجامعات والآداب والطبابة والتجارة والصحافة والفنون الجميلة و... و...". وما أن أنهى كلمته حتى جاء خدام إلى حيث يجلس وقال له ما معناه إنك ظلمتني كثيراً بل أخرجتني. ورد محمد صبرا: ولكنك أسأت إلى شعب شقيق ووطن عاش مع سوريا أصعب الظروف وتم إجلاء القوى الأجنبية بقوة العزيمة والإرادة. ... وللحديث بقية.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 14 يناير (ك) 2022

سوريا...". وهذا الكلام حمل رئيس الجمهورية السابق وأحد أقطاب الطائفة المارونية كميل شمعون على مخاطبة خدام بقاسي الكلام معلّفاً "إن معالي الوزير خدام درس التاريخ والجغرافيا في جامعة سعسع في الشام ولو كان دارساً أكثر من ذلك فعلاً لعرف من الذي إحتل الشام في الزمان. وقلعة فخر الدين ما زالت قائمة حتى الآن في تدمر...". كلام كثير الحدة جاء الرد عليه بكلام أكثر حدة.

عبدالحليم خدام ذلك الزمان غيره بعد الإنشقاق. بات لبنان البلد المستقل السيد الأحب إلى قلبه، كما أن الرئيس رفيق الحريري كان أحب رموز السياسة السورية _ اللبنانية إلى نفسه. ورحل في باريس وهذا كان شعوره. وبقيت أوراق إحداها حكاية "الكباريه" ثم "إستعادة جبل لبنان". كما بقيت الحدة الشمعونية مادة في "موسوعة التحديات والأفعال الحادة" التي تزيد الإشتعال في الحرائق السياسية.

عسى ولعل يأخذ في الإعتبار هؤلاء الذين باتت الحدة في التعبير توأم ألسنتهم غير هيايين لأنهم ممسكون بتلابيب السلطة وإتخاذ القرار فتتعلل لغة الكلام الحاد الذي كثيراً ما أصابت شظاياها لبنان ذلك اللوحة الجميلة في زمن "لبنان السوري الأسدي" وتتواصل الشظايا حاضراً من جانب "لبنان السوري - الإيراني".

وكان الله مع الصابرين على الضيم في إنتظار طلوع فجر جديد ينسجم طلوعه مع الحكمة التراثية للإمام الشافعي "حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع ما طار طير وإرتفع... إلا كما طار وقَعَ". ... والذين طاروا وإرتفعوا ثم وقعوا بسبب حدة القول والتصرف كثيرون.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 26 يناير (ك) 2022

التعسكر والتمدين في المسألة السودانية

يأخذ المرء على إخواننا السودانيين أنهم يهتمون الفرصة التي تفيد وهي إذا إقتربت قليلاً منهم إبتعدوا كثيراً عنها. وما هم منذ سنتين تائهون فيما الطريق سالكة أمامهم إذا هم حمدوا وشكروا وإرتضوا الإستقرار المفقود

والى "الفيتو المقاوم" الذي تراجعوه أمام غضبة صامته كان من شأن المضي في التمسك بمفاعيله التعطيلية لشؤون البلاد والعباد أن يؤسس لإنتفاضة كتلك التي سبق وأن أشعل فتيل إنطلاقها الإمام موسى الصدر، كان هنالك التحدي وذلك بإعتماد عبارات إستقرارية من شأن التمسك بمضمونها إطفاء المتبقي من جذوة الوحدة الوطنية التي بلغت الحاجة كما لم تبلغ من قبل هذا المدى لعدم إندثارها، وذلك خشية أن يسقط الوطن في عراك منقطع يؤسس لحرب أهلية. وتحضرنا ونحن نقول تلك العبارة الشعرية الأقدمية "أرى تحت الرماد وميض جمر... ويوشك أن يكون له ضرام" فإن النار بالعودين تُذكى... وإن الحرب مبدؤها كلام".

زيادة في التوضيح ما زلنا مصدومين كما أكثرية الأطياف المحرومين الكاظمة مشاعر الغيظ والعتب معاً من حدة عبارات قالها الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله وبعض القياديين في الحزب على الملأ في حق قامات عربية كانت دائماً شديدة الإزرر للبنان في أزماته الصعبة ودائماً سنادة له في مشاريعه التنموية.

وهذه العبارات التي تشير إليها حفزت حيوية الذاكرة على إستحضار ذلك التشخيص المسيء من جانب عبدالحليم خدام أيضاً المسؤول السياسي الفاعل في زمن سوريا الأسد الأب وروح من الزمن في زمن سوريا الإبن وتمثل التشخيص في قوله على نحو ما أشرنا إليه في مقال سابق "إن لبنان كباريه". وما يأسف له المرء وبعض الذين عرفوا خدام في سرائه وضرائه أن رحمة الله عليه لم يحاول مسح جرح ذلك التوصيف، ومعه توصيفات أخرى زادها تعبيراً ي زمن عزه السياسي الأسدي ومنها عبارة لها صفة السقطة الخدامية الكلامية. فهو في ذروة إحتدام الأزمة اللبنانية التي دخلت سوريا الأسدية طرفاً أساسياً فيها (حرب السبعينات والثمانينات) وتزايد الحديث عن إحتمال الأخذ بالتقسيم حلاً يوقف المواجهات المتصاعدة، كان خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية يقول وهو في الكويت إحدى محطات جولة يقوم بها لإبقاء أزمة لبنان تحت السيطرة السورية "إن المشكلة اللبنانية بالغة التعقيد ولن نسمح بتقسيم لبنان، وأي مباشرة للتقسيم ستعني تدخلنا الفوري فلبنان كان جزءاً من سوريا وسوف نعيده لدى أي محاولة فعلية للتقسيم. وهذا لا يعني الأفضية الأربعة ولا الساحل فقط، بل نعني جبل لبنان أيضاً. فلبنان إما أن يكون موحداً وإما أن يعود إلى

مدخلاً لحالة من الطمأنينة لا تحققها المسيرات المليونية ولا التقاذق بالحجارة ولا إكثار الشعارات وإبتكار الهتافات.. ولا هذا التصويب من بنادق تخص جيش السودان على شبان هاتفين آملين حالمين بأن التظاهر والهتاف المدني ضد العسكري سيحقق الحلم المنشود. كما لا يحقق الطمأنينة أن كلما تزايدت الإهتمامات العربية والدولية بهم تجدهم لا يجنحون إلى التسوية التي ينطبق عليها المثل الشعبي مع تعديل في المفردات وليس في المضمون: لا يفنى الحراك الشعبي ولا ينكسر شأن الطيف العسكري. ومن باب التوضيح فإن الأصل حرفياً للمثل هذا هو: لا يموت الذئب ولا يفنى القطيع.

عند التأمل في المشهد السوداني الذي بدأ قبل سنتين مثاراً للإعجاب وكيف بقيت جذوة الإحتجاج الشعبي على حالها، يخلص المتابع مثل حالي كوني كصحافي كثير الاهتمام بأحوال السودان الذي هو مثار إعجاب في إحتجائه ومثار دهشة في خلافات أقطابه ومدعاة للتأسف على تضییع الفرص... إنني عند التأمل أجد القلم يعبر عما في خاطر بخمس نقاط هي ملاحظات مقرونة ببعض الإستنتاجات وكثير من التمنيات المندرجة في مجملها تحت ما يجوز تسميته نقطة نظام.

الملاحظة الأولى _ التذكير الذي ينفع الذكرى هو أن التغيير جاء نتيجة تكاتف مدني _ عسكري ما يعني أن يقطف الطيفان الثمار الفجة أصلاً للحراك الذي تم. وكمتابع للشأن السوداني في عقر مؤسساته المدنية وأحزابه وطوائفه ونقاباته وتقلبات الأمزجة بسرعة قياسية، ما زلت أرى أن الإستثثار المدني بالحكم عمره قصير عموماً وأنه بات على درجة من الإستحالة بعدما بات الطيف العسكري شريكاً في التغيير وهذا تماماً ما حدث. كما يمكن القول إنه لولا تلك الشراكة كان الماضي على حاله ولبات التغيير مجرد حلم.

الملاحظة الثانية _ لنفترض أن الطيف العسكري إرتأى هو من جانبه فض مبدأ الشراكة وقرر الجنرالات والعمداء والعقلاء العودة إلى التكنات فمن الذي سيتسلم المقادير. قد يقال خلطة شيوعية - بعثية - ناصرية وبنكهة نقابية ولمسات أنصارية وختمية وإخوانية سيجلس ممثلوها إلى طاولة تناقش البديل والمصير. من يتراأس وكيف تتوزع الحصص وكيف يكون إرتضاء الحقائق وهل سيراى تمثيل المناطق فينال الغرب كما الشرق كما الشمال كما جوار الجنوب كل غنيمته. هل يا ترى سيكون

هناك إتفاق وإرتضاء وثبات وممارسة ونتائج؟

في قراءة للواقع الحزبي والسياسي وللماضي العسكري وتعامل مؤسسة الجيش مع الأزمات، يجوز الافتراض أنه سيتم التوافق بمعزل عن الاتفاق على قيام صيغة حُكم والإلتزام إنما إلى حين ببندو إتفاق حبر رموز الحراك والشأن السياسي والحزبي والنقابي بنوده مع التوقيع ثم لا تلبث الحكايا تتوالى عن حالات من التجاذب تصل أحياناً إلى درجة التخاصم. هذا ليس قراءة في فئجان وإنما إستعادة حالات حدثت.

وفي ضوء ذلك ما الذي سيحدث؟ سنجد مجموعة من الضباط تقاجيء الجمع المدني الحاكم بإنقلاب لا مجال فيه هنا للتشارك، وإنما يأخذ الضباط على عواتقهم أمر الحُكم بكامل مؤسساته ويبدأ بالتالي حشر بعض السياسيين المدنيين في أقبية سجن كوبر في الحد المهين وبعض آخر في منازلهم قيد الإقامة الإجبارية وتبدأ حالة عدم الاستقرار دورة جديدة.. ويؤخذ البعض نفسه لأنه يدفع ثمن عدم الإنسجام مع زميله في الطيف العسكري.

الملاحظة الثالثة _ هي حول الهتافات التي تنطلق بقوة من حناجر متظاهرين معبأين حزبياً، وتتم عن عدم إحترام للطيف العسكري في معرض المطالبة بإسقاط العسكريين الممسكين بمقاليده الأمور وبهتافات تستفز المؤسسة العسكرية. وكأنما هؤلاء العساكر من كبيرهم عبدالفتاح البرهان إلى قوتهم محمد حمدان دقلو (حميدتي) إلى كل ضابط وجندي في المؤسسة العريقة غزاة جاءوا من دولة أخرى وقاموا بوضع اليد على المقاليد، وليسوا من أبناء السودان ومن سائر مناطق ولايات الوطن السوداني الذي كان واحداً ثم بات إثنين وربما لا قدر الله يوصله عدم الإستقرار إلى أن يصبح ثلاثة ثم أربعة، وليس مستحباً كما ليس لمصلحة المستقبل السوداني تصوير الطيف العسكري وكأنما هو يحتل السودان. مثل هذا التصرف يؤسس لأحقاد دفيئة ويجعل كتاب التغيير في السودان حافلاً بالمزيد من الانقلابات المبنية على حقد متبادل مدني - عسكري.

الملاحظة الرابعة _ هي حول عدم قراءة النخبة السودانية رموز الحراك الحزبي والنقابي - المدني للموقفين العربي والدولي من الذي جرى ويتواصل حدوثاً في السودان. فلقد بدا واضحاً منذ الأسابيع الأولى أن أصحاب الشأن العربي والدولي منسجمون مع صيغة الشراكة التي أخذت شكلها المتوازن بالتشكيل السيادي

والحكومي وما إستتبع ذلك من قرارات. ومن هنا كان حرياً بالطيف المدني قراءة الرسالة العربية – الإقليمية – الدولية بالكثير من التأني وكذلك البحث بين السطور عن بعض المعاني والتلميحات. وهم لو قرأوا لكانوا إستوعبوا كنه الموقف بحيث لا يصبح معضلة، ولكننا بالتالي إرتضوا الصيغة التشاركية الثابتة المشددة بعض مضامينها بمقصات القوى العربية والدولية الفاعلة في الشأن السوداني بل وفي مصير السودان الدولة وليس فقط مصير السودان الخلم. وعندما نقول القوى الفاعلة فإننا نضع بضعة خطوط تحت كلمات: مصر. السعودية. دولة الإمارات. الولايات المتحدة. روسيا. الصين. وهذه القوى لم يغادر النصيح والتحذير والمساندة عند هبوب عواصف الشدة الغذائية والنفطية، خطابها السياسي في الشأن السوداني. ثم جاءت الأمم المتحدة بدافع من هذه القوى ودول عربية وأجنبية ترتاح لها تقوم بدور لم تحظ به حركة تغيير في منطقة الشرق الأوسط وغيرها ويتمناه اللبنانيون المغلوب على أمورهم من غالبية بعض الزعامات العابرة.

لذا هنالك رسالة من هذه القوى لا يحتاج تفسير مضمونها إلى شيفرة فحواها أن خيار المضي في مسألة التطبيع وبما يخدم المحاولة التجريبية المستحدثة والرحبة بعض الشيء لتسوية الصراع العربي _ الإسرائيلي يشكل دافعاً أساسياً إقليمياً ودولياً وخليجياً لكي تستقر حال السودان بالصيغة المدنية _ العسكرية وحتى إذا أوجبت الظروف إرجاح الكفة الجنرالالية على الكفة المدنية. وهذا يعني أن الأخذ بما يطالب به الطيف المدني غير مرحب به كما عدم الرضى عن جنوح الجنرالات في إتجاه جعل الطيف المدني مجرد أداة تنفيذ للإرادة العسكرية. وما يفسر جوهر هذه المعادلة أن كل النداءات والتمنيات والاتصالات العربية والدولية تسجل المواقف التي تؤكد ضمناً ما نشير إليه، فضلاً عن أن الأقوال وإن إتممت بالتشدد لا تنتهي إلى أفعال. وهذا يعني أن المأمول من قطبي الرحي السوداني التي لم تعط حتى الآن طحيناً أن يقرأوا ببصيرة الطرف المسؤول عن مصير الوطن ما الذي تريده الدول العربية والدولية ذات التأثير من طرفي الصراع في السودان.

الملاحظة الخامسة _ إن الوضع الراهن في السودان لن يبقى على هذا الكر والفر وما يرافق جولات المواجهة من خسائر بشرية ومالية. فالحراك ليس ثورة أكتوبر

البلشفية التي فجرها كارل ماركس ولينين وسائر الرفاق الشديدي الحمة، والطيف العسكري بكامل جنرالاته ليس القيصر وحاشيته. وفي نهاية المطاف سنجد أننا أمام حالة جديدة كقيلة بطي ورقة التظاهر والهتاف والرصاص المطاطي. سنجد المشهد المدني لم يعد على ما ألفناه ذلك إن الجنرالات ورفاقهم الأدنى قد تمدينوا. أليس هذا ما حدث مع جمال عبدالناصر ورفاقه جنرالات وضباط ثورة 23 يوليو 1952 وصولاً إلى الزمن المصري الراهن. فالعسكري قادر على أن يتمدين وإستبدال البدلة العسكرية حتى إذا هي بدلة الميدان بالبدلة المدنية الأنيقة مع ربطة العنق المنتفاة بعناية، وهذا لمسناه بتقطع خلال لقاءات عقدها البرهان مع زواره العرب والدوليين والإسرائيليين متفقدين محذرين ناصحين، ولمسناه حديثاً بحرص الجنرال محمد أحمد دقلو (حميدي) على أن يزور أديس أبابا يوم السبت 29 كانون الثاني/يناير 2022 متخلياً عن زي "قوات الدعم السريع" الرقم الحاسم في المؤسسة العسكرية مستبدلاً إياه ببدلة في غاية الشياكة، ويلتقي النوبلي للسلام حرباً داخلية طاحنة أبي أحمد رئيس أثيوبيا الذي يماطل في موضوع سد النهضة، ويرم معه ما من شأنه تبريد حمى صراع الحدود.

... وأما المدني بعثياً كان أو ناصرياً أو شيوعياً أو نقابياً أو أكاديمياً أو ختمياً أو أنصارياً أو إسلاموياً فلا سبيل أمامه لكي يتعسكر. كما لا سبيل أمامه سوى إعتبار الطيف العسكري شريكاً أو سندا وليس حذفه من المشهد وكأنما ليس هو الرقم الصعب في العالم الثالث... وخصوصاً في السودان ذي الانقلابات العسكرية. والله الهادي إلى سواء سبيل التوافق.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 31 يناير (كانون الثاني) 2022

المملكة من محمد تأسيساً..

إلى محمد إستكمالاً

جاء يوم الخميس 24 جمادى الآخرة 443 الموافق 27 يناير 2022 يأخذ مكانته في السجل الوطني للدولة السعودية وبتسمية "يوم التأسيس" فيما المملكة تعيش إلى

جانب التحديات المتلازمة بين حين وآخر مع تعديات، أياماً نوعية على الصعيد التنموي بالكثير من تنوعات الحداثة. وهنا كانت الخشية لدى أهل القرار وإسترشاداً برؤية صاحب المقام، أن يرى الجيل الحاضر والأجيال التي تليه الوطن من خلال وهج أضواء الحداثة الإلكترونية والنقلة السريعة الإيقاع من واقع المحرمات إلى واقع مواكبة العصر وعدم التوقف عند الخطوات الأولية التي حدثت في زمن الملك عبدالله بن عبدالعزيز سواء لجهة أن يكون للمرأة دور ومساهمة في شؤري الدولة ودبلوماسيتها وأمنها وتخفيف التشدد في مناح إجتماعية. ومن شأن هذه الخشية في حال تكرست أن تؤسس لجيل غير محيط بتاريخ الوطن. ومن أجل تفادي احتمال حدوث هذه الخشية جاء الملك سلمان يعلن في أمر ملكي من 160 كلمة أن يكون يوم 22 فبراير من كل عام يوماً لذكرى تأسيس الدولة السعودية...

تأتي الخطوة بمثابة دعوة إلى السعوديين لكي يتأملوا في تاريخهم، وإلى الجيل الشاب الذي يعيش منذ ثلاث سنوات حالات متطورة من البهجة الناشئة عن خطوات عملية على صعيد إعادة نظر في تقاليد وبما يواكب حركة التطور المتسارعة على المستوى العالمي. وعند التأمل في ما تم إستحداثه وكذلك ما جرى تصويبه بالنصح والتشدد عند الضرورة وأيضاً ما هو على أجندة الحلم في أن تضع المملكة العربية السعودية إسمها في صفحة دول العالم الثاني تزداد الخطوة أهمية. وتلك نقلة لا تعود بعيدة نتيجة تسارع الخطى المدروسة والتي يحسب راعيها الحساب الدقيق لها وبحيث يكون العطاء متقدماً على المخاطر. وعندما نجد الخطى تجمع بين التراث والرياضة والسياحة والبيئة والتكنولوجيا وتصفير المحاذير إلى حد مدروس بما يوحد الصف والتطلع إلى بيئة نقية وإفساح الفرص أمام جيل الأحفاد لكي يؤكد صاحب الكفاءة قدراته لتحمل واجب المسؤولية.. إنه عندما تكون الخطى على النحو الذي نشير إلى بعض معالمه فهذا يعني أن التأسيس في الحقبة الثالثة يعني العطاء وموفور الخير والطمأنينة.

ومع أن هذه النقلة النوعية المرتبطة بتوجيه سادس الملوك الأبناء سلمان بن عبدالعزيز تتوالى حدوثاً فيما سعة التصدي لها من خلال إشغال بال القيادة الرائدة بمواجهات لا تريدها ولا كانت أصلاً ضمن أجندة مسيرتها، إلا أن الذين يريدون إرباكاً لمضمون الرؤية وتحراًشاً ينعكس مادياً ونفسياً لا بد واصلين إلى لحظة

يقرأون فيها بالكثير من التمعن "خارطة الطريق" التي رسمها سلمان بن عبدالعزيز في "خطبة البيعة" التي في هديها تسير النقلة النوعية وفي أكثر من إتجاه والتي يصب ماء جدولها في بحيرة رؤية رافع راية مسيرة التأسيس الثالث. ولعلمهم بعد القراءة يرون الإقتداء سبيلاً إلى إنتهاج ما يرضي العباد ويصون البلاد، وللتذكير فإن الملك سلمان حدد وبما لا يترك المجال أمام من يتساءل عن الهدف ويحتفظ على كلمة وردت في الخطبة التي ألقاها يوم الجمعة 23 يناير/ كانون الثاني 2015، "خارطة الطريق" بسبع وسبعين كلمة هي الآتية: "إن سياسة المملكة الخارجية ملتزمة على الدوام بتعاليم ديننا الحنيف الداعية للمحبة والسلام، وفقاً لجملة من المبادئ، أهمها إستمرار المملكة في الإلتزام بالمعاهدات والإتفاقيات والمواثيق الدولية، بما في ذلك إحترام مبدأ السيادة، ورفض أي محاولة للتدخل في شؤوننا الداخلية، والدفاع المتواصل عن القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية بشتى الوسائل، وفي مقدمة ذلك تحقيق ما سعت وتسعى إليه المملكة دائماً من أن يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة، وإقامة دولته المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف. كما أننا سائرون إلى تحقيق التضامن العربي والإسلامي بتتقية الأجواء وتوحيد الصفوف لمواجهة المخاطر والتحديات المحدقة بهما".

وعلى مدى ست سنوات من البذل والخير والعين الساهرة والإغاثة من كل صوب، لم تغادر بنود "خارطة الطريق" جوهرها لإنها في ما جاء في السبع والسبعين كلمة كانت بمثابة إضاءة على معاني التأسيس بعهديه عهد بداية نشوء الدولة في صيغة إمامة محمد بن سعود ثم عهد التأسيس الثالث الذي هو العهد الراسخ عهد الملك عبدالعزيز بعد عهد ثان كان بمثابة رابط الأواصر بين الأول والثالث.

للباحثين في عمق تاريخ الدول والأمم الإضاءة على هذه القرون الثلاثة لتأسيس الدولة السعودية. أما الذي يستوقف كاتب مثل حالي تشكّل المسيرة السعودية الحديثة حيزاً من إهتماماته برموزها منذ الملك عبدالعزيز قراءة في أوراق ثم في سنوات أبنائه الملوك الستة: سعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله رحمة الله عليهم وعلى الطيّب الذكر والدهم المؤسس، ثم في سنوات خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، فهو أن اللبانات الأساسية للتأسيس كانت على يدي الإمام محمد بن

سعود، فيما البنيان الشامخ والدولة المتطورة بخطوات نوعية في ظل الملك سلمان، سيكون في الحفظ والصون والمزيد من التطوير في عهدة محمد بن سلمان. وهكذا المملكة من محمد تأسيساً إلى محمد إستكمالاً للتأسيس. ويبقى فيما المرء يتابع بالتقدير هذه المسيرة التي لا نهاية للحدب عليها من جانب سلمان بن عبدالعزيز ماضياً وحاضراً ودائماً ولطموح حاميتها محمد بن سلمان، يتمنى وهو يرى بشاعة التهاوي المتواصل في بعض أقطار الأمة وعلى أيدي أهل الحُكم لو يتأمل هؤلاء الحاكمون ملياً في جوهر وأبعاد ما أمر به الملك سلمان يوم الخميس 27 يناير 2022 وذلك بتحديد 22 فبراير/ شباط من كل عام يوماً لذكرى تأسيس الدولة. فالذي إتخذه الملك سلمان أمراً هو في الوقت نفسه أمثلة برسم أولئك الذين يتكبرون لثراهم ويتعاملون مع زمن تأسيس أوطانهم بالكثير من الإستهانة، بدل الإعتراف به.. بل وحتى أنهم حولوا الوطن إلى سلعة تباع للغريب أو مقايضة أحياناً على حساب الكرامة والضمير. ولكي لا يبدو كلامنا هذا نوعاً من التجني فإن التأمل في الذي يجري على سبيل المثال لا الحصر في لبنان وسوريا والعراق وليبيا والسودان وبعض فلسطين وينسب متفاوتة من بعض الحاكمين والمتحكمين والمحكومين من قبل باغضي الخير للعرب، يفي بتأكيد ما نقوله. هذا الله هؤلاء التائهين عن الصراط المستقيم والتمعن ملياً في القول الكريم "وما تقدموه لأنفسكم من خير تجدوه عند الله".

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ 5 فبراير (شباط) 2022

أمانة الإرث.. وكابوس التروؤس

في إطلالته المباغثة يوم الإثنين 24 يناير/ كانون الثاني 2022 بدا سعد الدين رفيق الحريري القطب الأكثر وهجاً في المجتمع السياسي السني منسجماً مع نفسه محترماً كرامته التي أسىء إليها كما لم تحدث مثل هذه الإساءة في حق رئيس حكومة. هذا من جهة. ومن جهة أخرى رسم بقرار النأي عن العمل السياسي، وهو الذي طالما حاول مخدولاً تثبيت هذا الخيار للدولة عندما ترأس الحكومة، ملامح الصدمة التي يعيشها وارث زعامة حققها

الوالد، حيث أنه مهما سعى وجدد أو أضاف فإنه لا يصل إلى ما سبق أن وصل إليه المورث الذي سيبقى هو الحاضر في ذاكرة الناس وعلى الألسنة في أحاديث مجالسهم.

مثل هذه الحالة عاشها رشيد كرامي الذي رغم السعي الذي بذله في سنوات ترؤسه الحكومة بقي والده عبد الحميد كرامي هو الحاضر في الذاكرة اللبنانية. ويجاريه في حالته هذه القطب السياسي المسيحي ريمون إده الذي كان إستحضار الموارنة لمسيرة والده إميل إده وصراعه، حتى بعدما أسلم الروح، مع القطب الماروني المنافس بشارة الخوري، يطغى على بريق الحراك السياسي الراقي والمتوازن. وعاش الحالة إياها بعد ذلك في الفضاء السياسي دوري شمعون الذي كان جمهوره السياسي يركز في تقييم ما يقوم به من نشاطات وما يسجله من مواقف على إسم والده الرئيس كميل شمعون. ولقد نجا من المفاعيل النفسية للظاهرة المشار إليها بحكم عدم التوريث، أن الرئيس فؤاد شهاب لم ينجب. كذلك الرئيس شارل حلو. كذلك الرئيس إلياس سركيس. ولولا أن قضاء الله أصاب أحد نجلي الرئيس سليمان فرنجية (طوني) والد الوارث سليمان لكانت الظاهرة إياها سترتبط بشخصية سليمان فرنجية الحفيد الذي ترتبط تطلعاته بالجد وليس بالوالد ومن أجل ذلك فإن معاناته من ظاهرة وهج المورث وتأثيرها السلبي في مسيرة عمله السياسي، ليست كما معاناة الآخرين. كما نجا من مفاعيل الظاهرة الرئيس بشير الجميل وهذا عائد إلى أن الإبن هنا بنى زعامة غير مسبقة في لبنان وفي العالم العربي خصوصاً بإستثناء حالة من التآلق حققها بجهد إرادي ورؤى مستقبلية تعزز التأسيس الثالث للمملكة الأمير محمد بن سلمان حيث أنه أضاف من خلال منصبه ولياً للعهد إنجازات فاقت بكثير ما حققه ولادة عهود على مستوى دول العالم. وعندما ورث منصب الرئاسة اللبنانية أمين الجميل، بدت جلية حكاية الظاهرة أي ربط الشأن بالمورث الثاني (الشقيق الآخر بشير) ربطاً بالمورث التاريخي مؤسس "حزب الكتائب اللبنانية" بيار الجميل (الوالد). وغادر أمين الجميل المنصب وفي تطلعاته أن يعوض نجله بيار ما لم يستطع هو تحقيقه لكن المرهقين قضوا على الإبن ومعه الحلم وبات النجل الثاني سامي يحاول أن يكون في الحد المستطاع بمثل ريمون إده في معالجة تقديم الحديث عن المورث قبل الوارث الذي يحاول ترسيخ بريق عصاميته.

في السياق نفسه لم تساعد الظروف العائلية الرئيس الثامن للجمهورية اللبنانية الياس الهراوي ثم الرئيس التاسع الجنرال إميل لحود فالعاشر الجنرال ميشال سليمان.. إلى أن طرأ تجديد للمعادلة حيث أن التوريث حدث في حياة المورث الذي هو حادي عشر رؤساء الجمهورية الجنرال ميشال عون. وخلال خمس سنوات بالغة العجف من أصل ست على أهبة الإنقضاء كانت الرئاسة إثنين. واحدة رسمية متمثلة بشخص الجنرال ميشال عون والثانية فاعلة عملياً متمثلة بصهر الجنرال الرئيس. وحيثية الفاعلية أن الجنرال لم ينجب ولداً فاعتبر أن الصهر بمثابة الابن وأنه سيصون تبعاً لذلك كشف حساب الرئيس العم ما بعد التروؤس إذا هو كان الوريث. ومثل هذا التوريث لا يتم إلا إذا مارس الدور والتأثير تحت جناح الرئيس العم. وهذا ما يحصل وإلى درجة أن الحديث عن فاعلية الصهر يطغى أحياناً على فاعلية الرئيس. وعندما فاض الكيل إزاء شأن الصهر جبران باسيل بات لا بد من كلام يبرّد سخونة القائلين بأن القصر الجمهوري العوني محكوم برئيسين، فكان قول نسبته الصحافية الزميلة عادة حلاوي للرئيس ميشال عون، في عدد يوم الأربعاء 5 يناير/ كانون الثاني 2022 من صحيفة "نداء الوطن" اليومية التي ولدت في ظل إنكفاء الصحافة الورقية، وتشق طريقها بثبات "أنا رئيس الجمهورية ولست رئيس التيار الوطني الحر. وقد تخلّيت عن رئاسة التيار عام 2015 أي قبل الرئاسة بسنتين لكنهم هم لم يعترفوا بجبران باسيل. وكلما أرادوا منه شيئاً قصدوني لأتدخل في أمور تعنيه. أنا رئيس جمهورية أدير شؤون البلد وجبران رئيس تيار يدير شؤون الحزب والشؤون السياسية في البلد. إذا كان جبران طامحاً للرئاسة فيجب أن يكون كفوفاً ولكنهم يخافون منه لأنه تربيتي ولا يقايض...". مجريات الأمور ونوعية التخاطب المعتمدة من جانب الصهر جبران باسيل تؤكد أن واقع الحال ليس كما حاول الرئيس الجنرال تبسيط أمر ما يقوم به الصهر الذي يؤكد حراك الرئاسة داخلياً وخارجياً أنها ذات رأسين. رأس فوقه التاج هو الرئيس الجنرال ورأس ممسك بالتاج في انتظار أن يضعه على الرأس. وبهذا يسبغ على ظاهرة التوريث حالة غير مسبوقة رفضها الرئيس عبدالناصر عندما زين له متحذلقون أهمية توريث الابن البكر خالد أو تفادياً لما قد يصبح حديث الناس، توريث أحد الصهرين وكاد يأخذ بها الرئيس أنور السادات بحيث يورث الابن جمال.. هذا لو

بقي الرئيس الوالد حياً يرزق. كما أن الرئيس حسني مبارك كان على أهبة الأخذ بها لولا أن الثورة عصفت برئاسته التي كانت في الثلث الأخير منها مثل الرئاسة اللبنانية العونية: رئاسة من إثنين العم والصهر في لبنان. ورئاسة من الأب رسمياً في مصر ومن الابن جمال وريثاً بتهيئة مدروسة وصلاحيات تأثيرية على الصعيدين السياسي والمجتمعي كما حال تأثير جبران باسيل في جمهورية الثنائي الشيعي متكاتفاً مع الثنائي المسيحي الماروني ميشال عون وصهره جبران المفضل عن الصهر الآخر شامل روكز الذي افترض لبعض الزمن أنه كعسكري مقدم أولى بوراثة العم الجنرال.

الموقف الذي إتخذه سعدالدين رفيق الحريري وسبقه إلى إتخاذ موقف مماثل بحديثات مختلفة تمام سلام، هو الدافع إلى هذا الإستحضار للتوريث السياسي بشقيه المعنوي والنفسي المؤلم حيث الوارث مهما أنجز يبقى أسير وهج المورث. كلاهما لقياً خذلاً لا يستحقانه، خصوصاً أنهما أعطيا الرئيس الجنرال قبولاً وإن على إمتعاض بإستهانات منه تركت أثرها على المجتمع السني الذي بات يملكه الشعور بأن هنالك أجندة خفية الدوافع واضحة الأسلوب الغرض منها إحداث إهتزاز نوعي في الصيغة وبحيث يصبح رئيس الحكومة السني موضع التسليم به رقماً وليس ركناً في الهرم المثلث، وفي الوقت نفسه إضعاف أي دور يستند إليه هذا الرئيس وذلك من خلال مواقف يتم إتخاذها وتجعل هذه الدولة المساندة والمتعاطفة تتأى عن التعاطي كما في السابق مع الوضع عموماً. وعلى سبيل المثال فإن إجبار رئيس الحكومة على إرتضاء التهجّم على دول الخليج وإستضافة أغراب للتهجم وإعتماد تسمية الشوارع وملء عشرات الأمكنة بالصور والبوسترات والياфطات يحقّ الغرض، أي يصبح رئيس الحكومة السني رابع الثنائين الثنائي الشيعي القوي بـ "الفتو المقاوم" والثنائي الرئاسي الجنرال الرئيس وصهره المستقوي بصاحب "الفتو" والذي عيناه على إستحقاق إنتخابي برلماني يفرز كما الأجندة المسيئة القصد الإستحقاق الرئاسي.

هنا أسقط الأمر نهائياً لدى سعدالدين الذي بات كوارث يبعثر عن غير رغبة تراث والده المورث. ونراه يقرر بعد عميق إعتماد الوقفة الحاسمة التأمل في ما قد يكون أتياً ولخصه يوم الثلاثاء 24 يناير 2022 بعد قراءة حرب التهجم على من إذا أعانوا فإنهم يحققون إستنهاضاً للبنان الذي أذله بعض أولي أمر الساعين إلى إستيلاء وطن

مختلف، بعبارة "إن التاريخ لن يرحم حزباً يبيع عروبه وإستقرار وطنه ومصالح أهله لقاء حفنة من الشراكة في حروب المنطقة...".

كان الكلام موجهاً إلى الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله. وكان وهو يكتب تغريدته هذه قد إتخذ قراره بأن يضع النقطة على السطر، وهو الذي إشتهر بترداد العبارة في هذا الشأن. ولقد ظن مريدوه المحтарون في أمر خياره وأقواله حوله نيته عدم الترشح في الانتخابات أنه لا بد عندما جاءهم من أبو ظبي سيواصل دوره كقطب سني وارث زعامة من نوع زعامة رياض الصلح وعبدالحمد كرامي وصائب سلام وأنه سيكون عند حُسن إلتفاف المريدين حوله وأنه سيبلغهم خبر يقين الإستقرار وسيبدأ من جديد بما يجعله عند حُسن ظن الوالد والذين سبقوه في دنيا الآخرة وبما يثبت الرئاسة الثالثة ركناً في المثلث الرئاسي وليست رقماً برسم النقاذه والإستهانة. كما ذهب بهم الظن إلى حد أن سعد الحريري سيقبض وهو أمام هتافات المريدن المطالبين بإستمراره، ما فعله قبل 48 سنة الرئيس جمال عبدالناصر الذي داوى جرح هزيمة 1967 بإلقاء بيان يعلن فيه التحي من منصب الرئيس والنزول إلى الشارع يناضل مع الجماهير لإزالة آثار الهزيمة، ثم عاد في اليوم التالي عن قراره. (من باب المصادفة إن سعدالدين الحريري كان عند وفاة عبدالناصر يوم 28 سبتمبر 1970 طفلاً في الشهر الخامس فهو من مواليد 18 أبريل 1970).

لم يفعل سعد الحريري ذلك. وربما كان ضمناً يمهد أمام الشقيق بهاء لكي يداوي بقدر من تخفيف أُنقال الإستهانة مفاعيل ظاهرة التوريث الإضطرابي في نفس شقيقه كما هي في نفوس سائر الورثين وبالذات تمام صائب سلام وبأمل ألا يصيب الحريري الجديد الآتي ما أصاب الحريري المنصرف من خيبة الرهانات. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 15 فبراير (شباط) 2022

كي لا يشبه اليوم البوتيني البارحة الصدامية

هكذا بعد إثنين وثلاثين سنة تكاد طبيعة الأزمات

الشائكة تعيد نفسها.

ماضياً في العام 1990 تلك الأزمة التي عصف العناد المستحكم في شخص بادئها فكان الغزو وإلحاق الأذى البالغ بالعلاقات العربية، ثم الحرب تلت ذلك ونقلت الدولة العربية الرقم أي العراق من الصدارة بجانب دول شقيقة إلى مشارف حافة الهاوية يراوح حتى بعد ربع قرن من الحرب الدولية عليه والإحتراب الأهلي المتدرج على أرضه من جانب أهل الوطن الواحد، مكانه من عثرة إلى عثرات.

وحاضراً في الأزمة الروسية _ الأميركية ودول القارة العجوز أوروبا التي يعيشها العالم والتي كما مثلتها العراقية _ الخليجية التي إنتهت حرباً وتقلص ممنهج للسيادة الوطنية، ربما في حال رجحت كفة ذرائع العناد وتراجعت فرصة الحكمة تتسبب في الحاضر الدولي وبالذات الأميركي _ الأوروبي منه بما هو أفدح بكثير مما حدث في الغابر الخليجي.

في المشهدين أوجه شبه كثيرة بين بطلي الدراما السابقة وتلك التي يمكن أن تتكرر. فالرئيس صدام حسين الذي خرج بنصر نسبي من حلبة الملاكمة الحربية على مدى ثماني سنوات مع آية الله الخميني الأشد عناداً منه بدليل رُفُض المساعي الإقليمية والدولية الكثيرة لإنهاء الحرب مع العراق والجلوس إلى طاولة التفاوض، لم يحصر إهتمامه بمداواة الجرح النازف في المجتمع العراقي وإنما ركّز على توظيف هذا النصر بما يحقق له الحلم الذي طالما سعى إليه وهو أن يكون سيد الخليج العربي في الحد الأقصى أو الشريك الثاني في هذه السيادة وذلك بعدما فتحت الإدارة الأميركية نوافذ أمام علاقة إستراتيجية مع العراق الذي يقوده وذلك من خلال زيارات قامت بها إلى العراق شخصيات ذات شأن في المجتمع المصرفي والمالي والصناعي، وأعضاء في مجلسي النواب والشيوخ أوحى بعضهم بإمكانية أن يكون العراق الصّدّامي جزءاً من الشأن الأميركي في المنطقة. ثم تأتي لحظة غلب فيها هوس الزعامة الأكثر رحابة على الحكمة، وحمل صدام حسين على القراءة دون ترو في كتاب ما يعتبره "حقاً تاريخياً" في دولة الكويت سبقه إلى تقليب صفحات فيه موفور من أهل الحُكم في العراق في الثلاثينيات وما تلاها من عقود.

ظاهرياً كان الرئيس العراقي المعتر بفاوند "أم المعارك" مع إيران يرى أن أميركا ودول أوروبا ستقف معه ما دام

أوضح على الملأ النوايا فضلاً عن العبارة التي تطمئن القارئتين الأميركية والأوروبية وهي أن عراقه لن يشرب النفط، أي بما معناه إنه لا خشية من صدام ولا مخافة على النفط وهذا أمر يلقي الإرتياح من جانب شركات النفط الأميركية والأوروبية.

في ضوء ذلك بدأ يتصور نفسه مالكا أهم ثروة نفطية خليجية، نفط العراق و نفط الكويت بإعتبار وإفتراض أنه سينفذ خطوة في إتجاه إستعادتها. ولم يتأخر. بدأ الحديث عن إجراءات حدثت. وأُرفق الحديث بتحشيد قوات على الحدود.

بدأت غيوم الخشية من خطوة غير محسوبة تتكاثر في الأجواء السياسية للمنطقة، نشط سعاة التهذئة يتقدمهم الملك فهد بن عبدالعزيز والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وبذل كل منهما سعياً حميداً كان من شأن الأخذ به أن يعالج صدام حسين أعباء ما بعد الحرب وبحيث يتحول عشرات الألوف من الجنود الذين شاركوا في الحرب مع إيران إلى قوى تنشط في مشاريع تنمية وصناعات خفيفة. وهو حل أفضل بكثير من الذي رآه وهو أن إشغال الجزء الأكبر من الجيش العائد من الحرب مع إيران بمهمة الإطباق على دولة الكويت يفي بالغرض ويحقق عوائد لهذه القوات من المال الكويتي بإعتبار أنه بات بعد الذي جرى وهو إعلان إستعادة الكويت "قرعاً عاد إلى الأصل"، يمكنه الحديث حول الغزو بمفردات تحقيق الإنجاز الوطني.

لم ينعف النصح من كثيرين مع أن من حق الملك فهد والشيخ زايد عليه الإصغاء إليهما والأخذ برأيهما. يكفي ما حصل عليه صدام الحرب منهما ومن مصادر أخرى مثلاً على المؤازرة. تساقطت الرهانات والتوقعات الصدامية. وسارت الأمور في الإتجاه الأسوأ. وهو بعدما كان يُمنّي النفس بزعامة تتجاوز حدود العراق وفي ضوءها يعيد النظر في أسلوب الحُكم ويمضي في ضوء ذلك كونه في سن فتية نسبياً (في مطلع الستينات عندما غزا الكويت) عقدين جديدين من الحُكم إنما هذه المرة كواحد من الرقمين الأكثر أهمية في خارطة الحُكم في العالم العربي.

هذا المنحى من التفكير يتسم به سلوك الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحالم بأن يكون منتصراً جديداً وبأن يعيد أوكرانيا ثم أخريات باتت جمهوريات مستقلة إلى الحوض الروسي، وبحيث يقال إن الإتحاد السوفياتي

الذي كان محكوماً بـ تريوكا الرفاق الثلاثة عاد إتحاداً روسياً بصيغة الولايات المتحدة الأميركية وبرئاسة الرجل الواحد، تماماً على نحو ما يرنو إليه صدام.

ينتمي الإثنان إلى عالم فريد من نوعه. كلاهما غصنان في شجرة واحدة مسكونان بالعظمة وبالخشية والإحباط مما يمكن أن يصيبهما إذا هما إعتددا حكمة التصرف والقبول بمن يسدي النصح. كان صدام حسين سباقاً. غزا ودفع الثمن حُكماً ثم وطناً. في ما سعى إليه الملك فهد بن عبدالعزيز والشيخ زايد رحمة الله عليهما كان المأمول منه إنقاذ العراق من نوازل قد تحصل في أي لحظة وبالتالي حفظ ماء وجه الصديق والحليف لكليهما كون كل منهما يدرك ما معنى التراجع عند صدام حسين بعد الإندفاع قولاً وفعلاً. وإلى ذلك درء الخطر عن دولة لم تقصر مع كليهما في مؤازرة العراق الصدامي ينازل إيران الخمينية، وذات سيادة في نظر جميع دول العالم.

وها هو الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون يستتسخ السعي السعودي _ الإماراتي ويحاول السعي نفسه ولهذه مشابه وهو إنقاذ أميركا بایدن من سقطة محرجة وإبقاء أوروبا في منأى عن عواقب الصراع في حال إنتهى حرباً وتخفيف نسبة التشنت في التوجه الأطلسي وحفظ ماء وجه بوتين إستباقاً لما قد يُقِم عليه وتكرر نوازع العظمة إلى درجة يصبح اليوم البوتيني توأم البارحة الصدامية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 20 فبراير (شباط) 2022

ثلاث مباحثات متلاحقة... والله المعين

لم تبق مرجعية دولية وإقليمية وأفريقية وعربية لم تُسدِ النصح بصيغة أو أخرى لرئيس الحكومة الأثيوبية أبي أحمد بأن يعالج موضوع تأثير "سد النهضة" على كل من مصر والسودان والتي هي أهدأ وأقل وبحيث لا يكون تشغيل السد وفق الطموح الأثيوبي وإنما وفق مراعاة واقع ملموس ويتمثل في أن هذا الطموح سينعكس خراباً وجفافاً وفيضانات ستحدث في مناطق زراعية شاسعة في مصر والسودان. ولتتصور الرئيس الأثيوبي أي حالة كارثية سيتسبب بها إبتهاجه بتسويق الكهرباء التي سيولدها تشغيل السد والعوائد المجزية من هذا التسويق، لمئة

وخمسين مليون مصري وسوداني تُصنف حكومة كل من الدولتين "سد النهضة" بـ "التهديد الوجودي" في حال تشغيله بمعزل عن التفاهم والتوافق على قاعدة مراعاة مصالح الجميع وليس فقط إبتهاج طرف من المثلث النيلي هو الطرف الأثيوبي، أو بالأحرى زعامة يرنو إلى إمتلاكها أبي أحمد.

قد نجد من يرى أن أبي أحمد يجد في بداية تشغيله للسد على نحو ما حدث في وقت إنشغال دول العالم كبيراتها وصغيراتها بالأزمة الأوكرانية، أن الفرصة مواتية لكي يخطو خطوة التشغيل التي يحسب لها كثير التحسب الرئيس عبدالفتاح السيسي وكذلك الرئيس السوداني عبدالفتاح البرهان، بإعتبار أن الدول الكبرى لن تكون مهتمة بغير الأزمة الأوكرانية التي قد تُسبب حرباً كونية. ثم إن الرئيس المصري والسوداني لديهما من إنشغالات البال ما يجعلهما يرجئان أي خطوة حاسمة مع أثيوبيا إلى ما بعد إنحسار الحراكات الشعبية في السودان التي ما زالت تتوالى وتطالب التظاهرات بتسليم مقاليد السلطة إلى المدنيين، وإلى ما بعد إطمئنان الحكم المصري إلى أن الأحوال الليبية المتشابكة سترسو على ما يطمئن المحروسة مصر بحيث تقوم حكومة ليبية ترتبط بمصر بأفضل العلاقات وتكون صاحبة العين الساهرة والقبضة الحاسمة تجاه أي محاولات إنتقال الميليشيات الاسلاموية تسلاً إلى مصر. وإنشغال البال المصري بالحالة الليبية لم يتوقف منذ تلك المناورة والعرض العسكري على حدود مصر مع ليبيا قبل بضعة أشهر الذي حضره من بدايته إلى نهايته الرئيس عبدالفتاح السيسي ثم ختمه بقاء له صفة الرسالة إلى كثيرين يجب أن يهتمهم الأمر وبالذات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، بشيوخ قبائل وشخصيات سياسية ذات حضور لافت في المشهد السياسي الليبي وإن كانت لم تأخذ فرصتها بعد. وبالنسبة إلى الرئيس عبدالفتاح البرهان فإن إنشغال البال الداخلي الذي لا يقتصر على مناطق الحدود التي أوجبت نوعاً من التحدث والتوافق في شأنها مع الرئيس أبي أحمد فيما موضوع تشغيل السد عالق، أوجزه صاحب الرقم الصعب في مجموعة الحكم العسكري الفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي) بعبارة "السودان بلد تعبان ومضطرون للشحاذة رغم أنها مذلة أتبعها يوم الأربعاء 23 فبراير 2022 بزيارة مباغته إلى موسكو من الواضح أنها تتصل في الدرجة الأولى بمضمون الشحاذة والتعب كما ورد في عبارته

وكان أيضاً بتلك العبارة كمن يحنن قلوب الألووف من الشبان والشابات الذين ينزلون بين الحين والآخر إلى الميادين والشوارع ويهتفون بسقوط الحكم العسكري من دون أن تستوقفهم حقيقة أساسية وهي أنه إذا كان السودان "تعباناً ومضطراً للشحاذة" في ظل حُكم الفريق عبدالفتاح البرهان وعساكره، فإنه لن يكون أقل تعباناً في ظل حُكم المدنيين، وهذه حال لبنان خير مثال على ذلك حيث أن الأمر لم ولا ولن يقتصر على التعب وكذلك الشحاذة، ذلك أن لا إستجابة لمد الأيدي لا من الصديق ولا من الحالم بمواطىء أقدام، بإستثناء صناديق الإغاثة السعودية والمصرية والقطرية والكويتية والإماراتية والمغربية التي فيها من الدواء والغذاء ما يغيث المرضى الذين لا مال عندهم ولا طبابة لهم.

ليس بالأمر المستبعد أن البلية السودانية ومثلتها اللبنانية على نحو ما أوردنا قد تعصف بأثيوبيا في حال مضى رجلها العنيد أبي أحمد إلى نهاية المطاف والتشغيل العملي للتوربين الثاني بعد التشغيل الأول الذي حدث يوم 20 فبراير/ شباط الجاري (2022). في هذه الحال من المستبعد أن تقف مصر مكتوفة إتخاذ خطوة رادعة. ونقول ذلك على أساس أن تشغيل التوربين الأول الذي يقوي من عزيمة أبي أحمد التي أضعفها بعض الشيء حربه على الخارجين على سلطته في "التيجراي" ينبه مصر والسودان لكنه لا يقلقهما إلى حد الرد بخطوة ما على ذلك. وإذا جازت المقارنة فإن الغرض من تشغيل توربين أبي أحمد كان مثل مسيرة السيد حسن والتي جاءت تسمية النتاج الحربي الأول له "حسن" (أحد قادة المقاومة حسن الحقيص، إغتيل يوم 4 ديسمبر/ كانون الأول 2013) الذي تُذكر اللبنانيين برئيس حكومتهم (حسن دياب) التي كثر العصف بلبنان في ظلها.

في أي حال كان الأمر مباغتهاً في فترة زمنية متقاربة. حدثت المباغته الحسنانية وغير واضح حتى إشعار آخر ما إذا كانت ستذهب أبعد من معالجة حالة من الإحباط الأهلي في الوسط الشيعي اللبناني. وحدثت المباغته الأحمدية المتمثلة بإصرار الرئيس الأثيوبي (أبي أحمد) على تشغيل التوربين الأول غير متوقف عند تحفظات الطرف المتضرر. إعتبر كم سيربح تسويقاً للكهرباء ولم يعتبر كم ستتصحّر أراض في مصر ويسقط مخلوقات من جزاء العطش. قد يكون الإرتباك الأميركي والأوروبي _ الروسي في التعامل مع الأزمة الأوكرانية شجعه على

ذلك. كما قد يكون هذا الارتباك حُزْر الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله على تطيير مسيرته وإرفاق ذلك بالمزيد من الوعيد. تلك لحظة عابرة في أزمات مصيرية تماماً مثل لحظة صحو في سماء ملبدة بالغيوم.

وفي علم الغيب ودرجة منسوب الحذر ما هو متوقع حدوثه بعد هذين المباغتين. المباغته الحسانية وما يمكن أن يكون الرد عليها ما هو أكثر أذى. والمباغته الأحمديّة وما يمكن حدوثه على ضفاف النيل الخالد من النبع إلى المصب. وأما المباغته الحميدية المتعلقة بزيارة الفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي) إلى موسكو فإنها ربما تتجاوز حالة التعب والعوز التي يعيشها السودان إلى ما قد ينه الإدارة الأميركية إلى تداعيات ناشئة عن أسلوب تصقيع العلاقات مع العرب تصب مستقبلاً في مصلحة روسيا البوتينية... هذا في حال تجاوزت المباغعات البوتينية. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 1 مارس (آذار) 2022

مبادرة خليجية لدى بوتين وبايدن.. ولم لا

أتصور كصحافي واكب محنة عشناها قبل أربعة عقود وكانت من صنع صاحب الرأي الواحد الذي لا مجال للمناقشة فيه كما لا إعتراض، الرئيس بوتين والرئيس بايدن بعدما دخلت الأزمة الأوكرانية يومها السابع (عند تحبير هذه المقالة يوم الخميس 3.3.2022) في حالة من تقلب الأوجه يعيشها كل منهما، وعلى نحو تقلب مماثل عاشه الرئيس العراقي صدام حسين والحاكم الديني لإيران آية الله الخميني.

والتقلب بمعنى البحث عن مخرج لشرك وقعا فيه، أو بالأحرى أوقعا نفسيهما وبلديهما وشعبيهما فيه، بحيث بات كل منهما يسائل النفس: ماذا سيصيني إذا أصدرت توجيهات لسحب بضع مئات من الجنود إخترقوا الحدود وباتوا على أهبة المواجهة مع أقرانهم الإيرانيين. هل سأكون متخادلاً بعد الذي صدر عني من تعبئة، وسيقول الشعب عني لقد خشي الهزيمة قبل أن تبدأ الحرب. أم هل سيقول بني قومي يا بارك الله ب أبو عدي الذي بعدما قرر المواجهة فإنه عاد عنها رفقا بالأرواح التي ستساقط

كما رفقا بالألوف من نساء يترملن وأبناء وبنات ينتهي بهم الزمان أيتاماً. ثم من يضمن إذا أنا إتخذت هذه الخطوة ستقابل بمثلها من الجانب الآخر. هل سيفسرها بأنها فعل حكمة أم حالة ضعف فيتّرجم تفسيره هذا إلى إنقضااض علينا كما إنقضااض المصريين الشجعان على القوات الإسرائيلية بعد تلك الخديعة التي صاغها الرئيس أنور السادات وهي الإعلان عبّر وسائل الإعلام بأن الرئيس أجاز لمن يريد من أفراد القوات المسلحة تأدية فريضة الحج. وعند إعلان ذلك إسترخى الجانب الإسرائيلي وإعتبر أن جيش مصر غير مبال بالمواجهة ثم أوقع الرئيس المصري يوم 6 أكتوبر 1973 القيادة العسكرية الإسرائيلية في المصيدة، ذلك أن طليعة أفواج المواجهة كانت عبرت القناة وبات خط بارليف الذي أخاف البعض مجرد ذكره البعض من الأساطير المندثرة.

كانت تلك أوجه تقلب الإحتمالات لدى صدام حسين، وكانت تماماً بمثل أوجه تقلب الإحتمالات لدى آية الله الخميني مع فارق في مضمون ظروف المواجهة المحتملة، ذلك أن ما يريده صدام هو عدم تمدد إيران الخمينية ببعدها الطائفي داخل العراق، بينما لدى الخميني مشروع قوامه وضّع اليد على الإرادة العراقية وإعتبار كربلاء والنجف وحيث هنالك شيعة في العراق مكملات لزعامته وبشكل خاص لمشروعه البعيد المدى الذي يشمل الحرمين الكعبة المشرفة والمدينة المنورة. وهو إذا طوى صفحة هذا التطلع الذي تراه أمة المليار مستحيلاً ويراه ممكناً، لا يبقى من مهابته سوى أنه حاكم كما الذي هو عليه حال وريثه المرشد خامنئي.

ولأن أهمية الشخص لدى الإثنين تتقدم على مصير الوطن ومصصلحة الشعب، فإن تقلب الأوجه إنتهى إلى ركوب موجة المواجهة وتحويل كل من العراق وإيران إلى أنهما أشرس دولتين إسلاميتين جارتين، مع أن الأخذ بالصيغة التوافقية ينجيان الوطن والناس من شر أفعال مواجهة يخوضانها.

حالة تقلب الأوجه تتكرر مع رئيس يتطلع إلى ولاية ثالثة ورابعة غير مكتف بما نص عليه الدستور لجهة أن يتراأس الشخص دورتين فقط. هذا الرئيس هو فلاديمير بوتين. ومع رئيس (جو بايدن قاربت دورته الرئاسية الأولى على الإنتهاء وهو مرتبك غير مطمئن إلى تجديد الرئاسة، وكثير الخشية من عارض صحي مفاجئ بحكم تقدمه في العمر، أن يتنحى لنائب الرئيس كامبلا هاريس

وبذلك يتكرر ترؤس غير أبيض بعد أوباما) للولايات المتحدة، وقد يكون الناصح الأوبامي المستتر وراء خطواته التي يتخذها على أساس أن فوزه في اللعبة الأوكرانية يُنسي الرأي العام خيبته الأفغانية، وأن توظيف الأطلسة الأوروبيين ضد بوتين يعزز الشأن المالي للولايات المتحدة ويخفف قدر الإمكان من احتمال أن يقترب شبح بداية إفلاسات، تجعل الأصدقاء الأوروبيين والعرب في هذه الحال يناون قدر المستطاع عن العم سام الذي يوظف الحروب لإبقاء مكانه في الصدارة لا ينازعه في الولايات المتحدة منازعون ترامب نفسه أو ترامبي آخر، وبالتالي المنازع الذي ما يقوله هو غير ما يجول في خاطره ونعني بذلك فلاديمير بوتين الذي هو أكثر غنى وغير مدين وقادر على تجويع العالم بحرمان بعض دوله من قمح يخبرونه أرغفة، لكن مثل هذا الحرمان سيرتد في حال طال أمده عليه. كما أنه أكثر شباباً ولا ينقصه المكر الذي تحار الألباب الأوروبية فيه.

قبل أن يتلاشى عالم عدم الإنحياز برحيل لبعض رموزه وإنطفاء بريق آخرين أمضوا سنوات قليلة من الحكم المتهالك، كان هنالك طيف دولي يتدخل بوسيلة أو أخرى عندما يحتدم التحدي الأميركي _ السوفيياتي فلا يصطدم الجباران. الآن هنالك قادة توازي الحكمة والنوايا الطيبة في خطابهم ما كان يمارسه قادة حركة عدم الإنحياز ماضياً. يتصدر هؤلاء المشهد العربي الدولي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز الذي من لحظة إستشعاره خطورة التصعيد الأميركي _ الأوروبي _ الروسي في ما يخص أوكرانيا قال في طيات أحاديثه أمام قادة عرب وأجانب زاروه أو خلال إنعقاد مجلس الوزراء بما معناه وبإسم قادة الخليج والقادة العرب الذين يريدون أماناً وإستقراراً لأحوال البلاد والعباد لكل من الجانبين العالية تحدياتهما (الرئيس بوتين والرئيس بايدن) إنكما إذا كنتما حريصين على علاقات مستقرة ودائمة ومزدهرة مع أصدقائكم العرب وبالذات مع دول الخليج، فإن حواراً مسؤولاً وجدياً يحقق حلاً سياسياً مستقراً هو ما تتطلع إليه هذه الدول قادة وشعوباً.

لا بد أن الرئيسين المتشاكسين ينظران إلى هذه الموقف الخليجي بالكثير من التأمل. كما أن شعوب بلديهما وسائر دول القارة الأوروبية لديها النظرة نفسها، حيث أن واقع المصالح ومردودها يؤكد ذلك. وعند إلقاء نظرة على العلاقات الدولية _ الخليجية ومكاسب الولايات

المتحدة وروسيا ومعظم الدول الصناعية والإنتاجية الأوروبية من العلاقات المستقرة مع دول الخليج، فإن ما يستخلصه المرء هو أن ما هو مناسب للفصل بين العناد والعجرفة كمرحلة أولى تليها خطوات تفعيلية، مبادرة خليجية تأخذها القيادة السعودية على عاتقها وتستند إلى رؤية الملك سلمان الذي يريد لمنطق الحروب والصراعات أن يتوارى وتأخذ الأحوال الرحبة من السلام والتعاون فرصتها. ولعل مخاوف دول العالم دون إستثناء كبيرها قبل صغيرها تتحسر وربما تتلاشى في ضوء وفد خليجي يترأسه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان كونه صاحب مبادرات أخذت بعدها الدولي بعد الإقليمي والعربي، يقوم بصيغة يمامة سلام بين موسكو وواشنطن يزورهما ويعلن منهما ما يريده منهما ليس الخليج فقط وإنما العالم بأسره.. أي إستراحة طويلة من العبث بالمصائر والتحديات والتطلعات التي تأتي على حساب الشعوب، وأحدثها تطلع الرئيس بوتين إلى أن يكون بطرساً آخر.

لقد باغت الثنائي بونين _ بايدن الذي كل منهما يعنيه شخصه وتطلعاته وشغفه بالتحدي، العالم من أقصاه إلى أقصاه بحالة من الهلع، تماماً على نحو ما أصاب الأوطان والشعوب والميزانيات من جزاء الجرثومة الكورونية. وما أن بدت في الأفق تباشير واعدة للخلاص منها ها هي "الجرثومة الأوكرانية" تتكون والتي ستصيب مع الأسف صانعيها الروسي والأميركي كما إصابة سائر خلق الله.

وقبل أن يتلاقى عقربا ساعة الصفر لماذا لا تكون هنالك مبادرة غير مطروقة. مبادرة خليجية لم لا؟ والله هو العظيم والقادر والمقتدر... وليس أي بوتين وأي بايدن.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 4 مارس (آذار) 2022

المشهد العربي المأمول من القمة الخريفية

بمزيد من الأسى تراجع الاهتمام الدولي بالموضوع الفلسطيني _ الإسرائيلي وبات ثانوياً في جدول أعمال الدول الكبرى المتعاطية مع هذا الموضوع بأمل إنجاز خطوة متقدمة على طريق حسم صيغة الدولتين، خصوصاً بعدما بات هنالك تشجيع عربي نسبي في ضوء زيارات

متبادلة تمت وتسجيل مواقف من حُسن النية تنتظر الرد عليها بالمثل. ومن الطبيعي حدوث هذا التراجع أو فلنقل إعادة ترتيب في جدول الأعمال الأشبه بإعادة تموضع القوات من دون أن يعني ذلك إنتهاء المواجهة، بعد الهجمة البوتينية المباغته على أميركا ودول الأطلسي شكلاً كلامياً وبأعلى مفردات التحدي وعلى أوكرانيا فعلاً تدميرياً يذكر الجالسين أمام الفضائيات بالأفعال التدميرية الأميركية _ البريطانية في العراق جزاء فعل إقترفه العراق الصّدّامي بالكويت وسبق به روسيا البوتينية بإثنتين وثلاثين سنة.

هل ستكون النهايات واحدة؟ هذا حتى إشعار آخر في علم الغيب. كما في علم الغيب أيضاً هل يكون الرئيس بوتين على درجة من الحصافة تشبهاً بأهل الحُكم الصيني في تعاملهم مع كل من تايوان وهونغ كونغ، قبل وقوع الفؤوس على الرؤوس.. وعلى رؤوس الروس بالذات كون الرؤوس الأوكرانية نالت من الفعل الشرير ما يتوزع بين قتل وتدمير وتهجير، فيما يتعالى الصوت الأطلسي بمفردات متنوعة يهدد بالويل وعظام الأمور بتراكم العقوبات التي بدأت تؤذي لكن لا بد أن قيصرها متحسب سلفاً لذلك، كما لا بد أنه وضع على الطاولة خيارات وعلاجات تقيه مفاعل الخيبة في حال إكتملت مقدمات صمود الطرف المعتدى عليه من جانب الرئيس بوتين الذي يريد مجداً على حسابات أوطان وأرواح وسيادات آخرين.

قبل أن يتراجع الإهتمام الدولي بالموضوع الفلسطيني كان حدث تراجع مماثل بالمحنة اللبنانية والمحنة السورية والإرتباك المستحكم في أهل الحُكم. وفيما بدأ الأطراف الثلاثة يمنون النفس بأن هنالك قمة عربية عادية ستعقد من حيث مبدأ دورية الإنعقاد السنوي في العاصمة الجزائرية وأن هذه الأطراف ستعنتم مناسبة الإنعقاد ليضع كل شكواه وملفاته ومطالبه أمام الملوك والرؤساء الذين سيشاركون في القمة إختراق الرئيس بوتين أجواء التخطيط لهذه المناسبة الجامعة مقترفاً وزراً لا مؤيدين له وحتى لا مقتنعين بتبريرات مغامراته كون مفاعيلها على المدى غير البعيد وتحت وطأة العقوبات الأميركية والأوروبية على الطرف الروسي المتجني ستكون ذات تأثير بالغ على كل مواطن نفطاً كان التأثير أو غازاً أو قمحاً. ومع أن هذا التأثير سيشمل شعوب أميركا وأوروبا وتعالجه الحكومات بالنتي هي أمكن عملاً بقاعدة الدروس المستفادة من

حربين عالميتين مضتاً، إلا أن وطأة النضوب المتدرج للقمح في إهراءات بعض الدول العربية وإرتفاع متزايد في أسعار النفط والغاز تفوق قدرة عشرات ألوف العائلات العربية ستكون بالغة الشدة وذلك لأن الحكومات وتقادياً للشمول، نقول بعضها، لا تحسب حساباً لما تخبئه عاديات الأيام الآتية في طياتها. أليس في ضوء ذلك تجد اللبناني والسوري والمصري والعراقي والسوداني... هؤلاء بالذات دائمي الخشية من تلك العاديات والتي أكثرها قساوة على النفوس أن تنتهي الأزمة الروسية _ الأطلسية، أزمة عالمية بإمتياز حاملة في طياتها حروباً متنقلة لا قدرة للشعوب على تحمّل ويلاتها.

ليس واضحاً بعد أي جدول أعمال ستكون عليه بنود القمة العربية المتناقل أمر عقدها بدليل جعل الإنعقاد خريفاً (1 _ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني) بدل الإنعقاد المتعارف عليه ربيعياً (أواخر شهر مارس/ آذار من العام) لكن الحراك المصري _ الخليجي الذي يواكب تطورات الأزمة الروسية _ الأطلسية وأحدثه لقاء الرئيس عبدالفتاح السيسي بخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ومحادثاته مع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان يوم الثلاثاء 8 مارس/ آذار 2022 يتيح المجال أمام التوقع بأن إنفراجات لا بد حدوثها. وفي مفردات نقرأها في ما يقوله الرئيس السيسي أمام زائريه على هامش التواصل بين مصر والمملكة العربية السعودية وقبل ذلك ببضعة أسابيع تواصل مصر مع كل من الجزائر وتونس وليبيا والمحادثات التي عقدها مع القادة والمسؤولين العرب الذين إلتقى بهم في القاهرة بعد الإمارات وكذلك في ضوء زيارة لبضع ساعات قام بها إلى الكويت بعد الإمارات. إننا في ضوء هذا الحراك الذي يكتسب صفة السعي الحميد، سنكون في حال لم يصب إنعقاد القمة بمكرهه تأجيل آخر، أمام مشهد مختلف للأحوال العربية يحل محل المشهد الذي زاد هوة التباعد إتساعاً. مشهد يتطلب تكاتف وإجماعاً على التمسك بوحدة الصف لا يخترقه الغريب أحياناً إيرانياً كان أو إسرائيلياً متلهفاً يطلب التعايش من دون تقديم مؤهلات التعايش المطمئن. وكذلك مشهد يترجم قراراً ملزماً من القمة بتفعيل تحريم التدخل في الشؤون الداخلية وإهتداء التائهين والحالمين إلى الصراط المستقيم وكذلك تحريم السلاح على غير جيش الدولة وتحريم التجريح بالعلاقات والمقامات.

بهذا تصطلح أحوال الأمة وتتجو قدر الإمكان من

وطأة صراع دولي قد ينتهي حرباً عالمية ثالثة. وفي إستطاعة الأمة إن هي خرجت من القمة المؤمل الإنعقاد الخريفي الناجح لها، أن تكون إحدى وسائل تهدئة بوتين روسيا وبايدن أميركا ودول الأطلسي فلا يحترق العالم فيما هنالك طرفان متفرجان روسي وأميركي خارجان على قاعدة "على الأرض السلام وفي الناس المسرة".

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 16 مارس (آذار) 2022

جيران السعادة والتعاسة لروسيا المتحرشة

هنالك دولتان في الفضاء الآسيوي _ الأوروبي كابدتا بنسب متفاوتة في زمن مضى من روسيا الحمراء ولكنهما صمدتا، وإن كانت الجيرة متفاوتة المسافات العابرة دولة بعد دولة باتت تشكل هاجساً لهما، تعيشان أهدأ حياة فيما روسيا التي أخلعها الرئيس فلاديمير بوتين نهائياً ثوبها الأحمر وما هو محتار في أمر أي لون يصبغ فيه محياها، لا ينطبق عليها المثل الشعبي الجار للجار عملاً بالوصية الرسولية، بالجار السابح بدءاً من الأول.

في الفضاء الأوروبي هنالك فنلندا التي أوجب العمل الصحافي القيام بزيارة لها عام 1979 عايشت فيها على مدى بضعة أيام ملامح سعادة على وجوه الناس. وخلال لقاء برئيس الحكومة مونو كوينستو الذي بات لاحقاً رئيساً للجمهورية ورئيس البرلمان هيسنتاري وكذلك بعض المسؤولين في الخارجية والإقتصاد وعدد من المواطنين العاديين لمسئ مدى شعور الناس بالفنعة وبالسعادة عندما لم يعد هنالك تدخل من جانب السوفييات بشؤونهم، وهم بذلك لا يعادون ولا يتقبلون معاداة الجار لهم وتحرشاته وتدخلاته على نحو ما هي أساليب إيران راهناً في ميادين اليمن وبعض دول الخليج ولبنان وسوريا والعراق.

ولكم يتمنى المرء مثل حالنا نحن في لبنان (المصنف أممياً حديثاً ما قبل الأخير في التعاسة تليه زيمبابوي) ومن هم يعانون ما نعانیه وإن اختلفت الأساليب، يوماً إذا كُتب لنا الحياذ يقال عنا إننا مثل الشعب الفنلندي من أكثر الشعوب سعادة في العالم (وعلى نحو ما هو تصنيف الأمم المتحدة يوم الجمعة 18 مارس 2022

شعب فنلندا للسنة الخامسة على التوالي) ومثل هذا المصير ليس صعب المنال عندما لا يعود السلاح ورقة للتعامل الفوقي والإملائي مع قضايا الوطن ولمصلحة الغير الذي تذكر أساليب تعاطيه وتحرشاته مع لبنان المتخن بالتناقضات بتعاطي روسيا الحمراء ماضياً مع فنلندا وتعاطي روسيا البوتينية حاضراً مع أوكرانيا.

أما الدولة الثانية فإنها تركمانستان التي كانت أحد أضلاع قيصرية روسيا الحمراء في زمن الترويك الماركسية يرنو بعض أبنائها الذين إلتقينا في زيارات إلى العراق وسوريا عدداً منهم في الثمانينات إلى أن تكون لهم دولة مستقلة مثل التي نالها الأرمن وتلك التي حظي الشعب الكردي بخطوة متقدمة على طريق الدولة. ولقد نال التركمان ما تمنوا الحصول عليه حيث باتت تركمانستان مع بداية التسعينات دولة مستقلة لها دستور مثل سائر الدول ذات النظام الجمهوري. كما بات التركماني الذي كما الأرمني تجده في كثير من دول الجوار من أفغانستان إلى سوريا مروراً بإيران وتركيا والعراق، يتباهى بوطنه المستقل عن التبعية السوفيادية سابقاً، الهيمنة الروسية حاضراً، ويتطلع إلى أن تكون عاصمة الوطن "عشق أباد" إسماً على مسمى (أي مدينة الحب) وأن يخفف حاكمها رئيس الجمهورية من إقباضه على معظم السلطات المدنية والعسكرية وبذلك تجد الدولة الغنية بالغاز والنفط والثروات المعدنية دوراً لها في المشهد الدولي الراهن.. مشهد الصراع الدفين على الغاز والثروات الزراعية التي تنتجها حقول الدولة ذات النصف مليون كيلومتر مربع تقريباً فيما عدد السكان (مسلمون عموماً) مثل عدد سكان لبنان ذي المساحة التي هي عشرة آلاف وأربعمئة و52 كيلومتراً مربعاً تحتكر إيران بطبعها الثورية الإسلامية ثلثاه جنوباً وبقاعاً وبعضاً من العاصمة بيروت. وسط هذا الضجيج البوتيني _ البايديني والذي وصلت حدة تبادل التوصيف والإتهامات بين الرئيسين اللذين حارت البرية في أمر قيادتهما إلى درجة أن لحظة تفعيل الغضب من أحدهما قد تشعل حرباً لا علاقة للأمم العالم وعباد الله فيها من قريب أو بعيد، تسجل هذه الدولة التي نضيء عليها خطوة حضارية ويحدث ذلك التسجيل فيما القصف الروسي على أهداف في دولة مثيلة لها من حيث الظروف ماضياً وحاضراً، أي أوكرانيا، يتواصل ومن دون أن تردع العقوبات وإستقالات بعض المبدعين والفنانين والرياضيين والإعلاميين رجل القرار الروسي عن أمر كان

في إستطاعة وسطاء خير دوليين وخليجيين ترطبيه بأمل إستنباط صيغة حل قد لا تُشبع نهم الباحثين عن أدوار تاريخية لكنها بالتأكيد تُبقي شعوب العالم في سلام وطمأنينة لا تخالجها هواجس فقدان الغذاء وحق العيش الهادئ تحت سماوات صافية لا تختلط فيها الصواريخ بالغازات السامة.

وأما الخطوة الحضارية فتتمثل في مشروع قرار إقترحه تركمانستان العضو في الأمم المتحدة "ويدعو جميع الدول الأعضاء (193 دولة) إلى دمج ركوب الدراجات الهوائية في شبكة النقل العام في المناطق الحضرية والريفية في البلدان النامية والمتقدمة. وكذلك تحسين السلامة المرورية وتعزيز إستخدام الدراجات الهوائية من الأفراد والشركات من أجل زيادة رحلات الدراجات ما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة بما في ذلك الحد من إنبعاثات الغازات...". ويشجع مشروع القرار الدول الأعضاء على إيلاء إهتمام خاص لركوب الدراجات الهوائية في إستراتيجيات التنمية الشاملة بما في ذلك خدمات تقاسم الدراجات.

هكذا مشروع قرار يأتي في زمن تكاثرت فيه قمم الكبار التي تحاول إنقاذ المناخ من الإنبعاثات والبحث عن بدائل تخفف من الضرر الذي تجاوز القدرة على التحمل وذلك بإبتكار السيارة التي تعمل بالطاقة الكهربائية أو الهيدروجين الأخضر ولكنها بدائل تعني مجتمع صناعة السيارات والطائرات فيما الحاجة ماسة إلى حلول على درجة من التبسيط، من بينها هذا الذي جاء من دولة مهمشة في مجتمع أهل القرار الدولي، ثم ها هي في الإقتراح الذي تقدمت به تلقى إجماع أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة على إقراره ومن دون أن تأتي إشارات إعتراض عليه من دوائر وممثلي أصحاب الفيتو في المنظمة الأممية.

في بريطانيا وبعض دول القارة الأوروبية هنالك إقبال متدرج على إعتداد الدراجة الهوائية وسيلة للتنقل. وهنالك دراجات صُنعت للنساء الأمهات بحيث هنالك مقعد آمن للطفل أو الولد وراء مقعد الأم، كما هنالك حيز توضع فيه المشتريات من "السوبر ماركت". وهنالك أيضاً آباء يوصلون أولادهم الصغار إلى المدارس من خلال إستعمال الدراجة الهوائية.

يوماً بعد آخر سينحسر إستعمال السيارات وتصفو السماء من إنبعاثات الغاز والدخان ولا يعود الضجيج

على ما هو عليه. وستكون الدراجة الهوائية وسيلة تنقل آمن. وحتى الذين يتحركون في شوارع مدنهم وبالذات بيروت في مواكب عدة سيارات بدل السيارة الواحدة وقد تم حجب النوافذ بزجاج قاتم للتمويه، ربما يرون أن من مصلحتهم إعادة النظر والتحرك مثل سائر مستعملي الدراجات الهوائية.

خلاصة التأمل في المشهد الحاصل أمامنا: أوكرانيا الأتيس. وفنلندا الأسعد. في إنتظار مصير أوكراني مثل لمصير الحياض الفنلندي بنجو العالم وتستقيم الأمور وتبقى تبعاً لذلك كفتا ميزان القوى: الشرق شرق والغرب غرب.. ويتعايشا.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 21 مارس (آذار) 2022

الهداية المأمولة في الشهر الفضيل

تُحرك الأجواء الروحانية وبالذات في ظل الأزمات والصراعات التي تعيشها بعض أقطار الأمتين، الأمل في أن يهتدي أطراف النهج التعطيلي للتعايش في أحسن حالاته، إلى سواء السبيل. وشهر الصوم المبارك الذي يهل هلاله علينا بعد أيام هو من الأشهر التي تبلغ فيه الأجواء الروحانية منتهاها وتكون خير مناسبة للذين غادروا السبيل عمداً أو رهاناً أو حتى دون قصد، لكي يتأمل هذا الأخ الحوثي في اليمن في واقع الحال ومعه في كل من لبنان والعراق وفلسطين وسوريا، وكل أخ يغرد خارج مداره العربي ويواصل تشبثاً بمفاهيم لا تبني مجتمعاً متحاباً ولا وطناً مستقراً، وهي مفاهيم تُغذى عسكرياً ومذهبياً. وهي لو كانت أثمرت ما يفيد الشعب والوطن وقبل ذلك يرضي رب العالمين، لجاز إعتبار ذلك خياراً لنهج يحقق الطمأنينة. لكن التأمل في عقدين من السنوات عاشتها وما زالت شعوب الأقطار المشار إليها بإستثناء الحلقات التي يتشكل منها السوار المذهبي والمسلح، تؤكد أن لا خير على المدى البعيد يرتجى وأن عشرين سنة من الإطباق الثوري والمذهبي وبالسند العسكري على مجتمعات في لبنان والعراق وفلسطين وسوريا واليمن تكفي كإختبار لعدم جدوى دواء إعتبر الذين تناولوه أنه يشفي ثم يتبين أن المردود غير ذلك، وأن العلة أمعنت أذى في

الكيان الذي بات وطناً عليلاً. ويكفي التعمق في أحوال خماسية الأوطان العربية التي أثقلتها الجمهورية الإسلامية الثورية بكل ما يعيق نموها ويشل إرادة أطراف من الممسكين بمقاليد السلطة للإستنتاج بما أحدثته ظاهرة العلة والعليل والمعلولين.. أي التدخل الإيراني بالأوطان الخمسة وبملايين الناس فيها، بإستثناء الذين يتولون تكليفاً أو توظيفاً لتنفيذ "أجندات" لا تجاز في أمرها المناقشة كما لا مجال للإعتراض.

قبل أيام حدث نوع من الإستبشار المأمول بإمكانية متدرجة للوعي من جانب إخواننا الحوثيين الذين حوّلوا العاصمة صنعاء إلى رهينة، وإفترضنا أن الحكمة اليمانية إياها ستعود إلى صانعي القرار في الجبهة الحوثية، فيلتقي اليمني مع أخيه المخطوفة عاصمة آبائه وأجداده وأولاده وأحفاده ويبدأ العمل الجدي على لأم الجراح بإزالة الأحقاد أحياناً والعتب عموماً.

جاء إفتراضنا في ضوء السعي الطيب من جانب المملكة العربية السعودية التي تريد جمعاً محموداً للشمل اليمني. وهي عندما تسعى فإنها لا توفر جهداً لإنجاح السعي. أليس هذا ما حدث بالنسبة إلى لبنان وكان إتفاق الطائف صيغة الإنقاذ الذي في ضوئها إستعداد اللبنانيون الوطن فالإستقرار لإعادة البناء فالازدهار والذي لا علاج في الأيام الصعبة الراهنة التي يعيشها بغير إستعادة الوعي المسلوب.

تجربة "إتفاق الطائف" هي ما تحتاجه اليمن. وهي ما بدأ الوعي في لبنان يستعد في شأنه. وعندما لا يجد اللبنانيون سبيلاً لتصحيح مسارهم المرتبك أفضل من هذا الإتفاق فإنه أخرى بإخواننا الحوثيين التأمل والتبصر وهذا لا يكون بالإكثار من شروط التعجيز رداً على مسعى يستهدف خيراً وقيماً يبدد شراً مستطيراً.

بعد أيام تحل الأجواء الروحية وتلك خير فرصة للأخ الحوثي لكي يلتقي مع إخوانه ومع الحاديين على اليمن الوطن والشعب هدياً بما يريده الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي العهد الأمير محمد بن سلمان وتشاركهما النظرة إلى أن قاطرة سلمان هي التي تشد الأشقاء إلى صف متألف ومكتاتف، شعوب الأمتين بوجه خاص. وعندما تثمر الخطوة الإماراتية في إتجاه سوريا النظام الذي طال تغريده خارج سربه العربي وبات لا بد من تضييد عربي للجراح السورية، فإن ما هو مأمول حدوثه لم يعد بعيداً. كما عندما يقول رئيس الحكومة اللبنانية نجيب ميقاتي من

الكلام الذي يعكس ليس فقط رأيه وإنما مشاعر الأكثرية اللبنانية، فإن مداواة العاجلة للجرح النازف باتت قريبة المنال. وعندما يعود الرئيس السيادي عبدالفتاح البرهان مجبور الخاطر من زيارة إلى الرياض كما عودة سائر الرؤساء السودانيين السابقين عندما تلم بالوضع محنة إقتصادية أو أزمة نفط أو حتى أزمة سياسية تحتاج إلى حكمة أو تحكيم من جانب ولي الأمر في المملكة، فإن حالات عربية كثيرة ستكون بنوداً في "قاطرة سلمان" لإخراج العقد والتعقيدات من شرانقها، وبالذات في لبنان قبل إضمحلال صيغته وفي العراق الذي باتت مفردة "الإنسداد" تلازم أزمة يتمنى الحادب السعودي نيابة عن الأمة نهاية توافقية لها.

ويبقى أننا عندما نستبشر بما أوردناه خيراً ما دمنا على موعد مع الشهر الفضيل، نتذكر كم أن فرصاً ضاعت في سنوات مضت منذ الحرب العراقية _ الإيرانية وكان من شأن إغتنام المناسبات الروحية فرصة للعلاج. كما نتذكر كيف أن إطلاق الصواريخ التي تدمر كان يتم حتى عند أذان المغرب في بعض أيام الحرب الخمينية _ الصدامية لا أعادها الله.

جعل الله من عواد الشهر الفضيل، دعاء العمل في سبيل رأب الصدع ومداواة الجراح ومستبدلي البغضاء بالود. وعندها لا يعود إطلاق المسيرات والصواريخ فغل قوة ولا فغل شجاعة. والله الهادي إلى مرضاته.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 27 مارس (آذار) 2022

إشكالات اللجوء الأوكراني بعد الفلسطيني

ما تسببت به بريطانيا من أذى في الأربعينيات في فلسطين لجهة غض الطرّف عن أفعال عصابات الحركة الصهيونية أمثال "شستين" و"الهأغاناه" في حق العائلات الفلسطينية، ها هي في هذه الأيام الروسية _ الأوكرانية تعيش في ظل متاعب مثل ذلك الأذى.

في الزمن الذي مضى، إعتبرت بريطانيا ذلك الأذى عنياً كطف دواليه اللورد آرثر روتشيلد في صيغة وعد أقنع بجذواه الملك جورج الخامس. وها هي بريطانيا في ظل إبنته الملكة اليزابيث الثانية تدفع ثمنه أو فلنقل تأكل

حضره.

زيادة في التوضيح نشير إلى أن بريطانيا وهبت أرضاً تحتلها وفي صيغة وعد ضمن رسالة بتاريخ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917 نقلها آرثر البريطاني (آرثر بلفور) إلى آرثر الصهيوني زعيم الحركة الصهيونية (اللورد آرثر روتشيلد). وعند التمعن في صياغة الرسالة البلفورية نرى أن صاحب الوعد فخور بما فعله غير مكترث بما يمكن أن يستتبع ذلك من خطوات، أو إنه كان يدري وتلك مصيبة أعظم ستبقى ندبة في الجبين البريطاني.. إلا إذا كانت الملكة اليزابيث الثانية ستري وهي ما زالت في كامل صفاء الذهن في شيخوختها الوقورة والحكيمة، وفي ضوء معاناة مماثلة للمعاناة الفلسطينية الناشئة عن وعد بلفور ونعني بذلك معاناة اللجوء الأوكراني صفو اللجوء الفلسطيني عام 1949 إلى بعض الدول العربية وغيرها، ستري تصحيحاً للوعد البلفوري من خلال الرئيس بورييس جونسون أو غيره في موقع صياغة القرار الحكومي وإتخاذه.

مناسبة إستحضار هذه المحنة أن الحكومة البريطانية التي يرأسها بورييس جونسون تصطف إلى جانب إدارة الرئيس جو بايدن في التصدي لما باغت الرئيس فلاديمير بوتين العالم به محرراً أشد الإحراج الدول الأوروبية قبل غيرها. وبالإضافة إلى الشحن المكثف من جانب وسائل الإعلام بكافة مطبوعاته وقنواته فإن الحكومة التي إرتاحت لبضعة أشهر تلت خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، من وطأة عشرات الألوف الأوروبيين الشرقيين عموماً الباحثين فيها عن وظائف وفرص عمل وبما يساهم في حالة نضوب مالي متقطع في جزئية من ميزانية الدولة فضلاً عن خلل في موجبات ومستلزمات الطبابة لهؤلاء، وجدت نفسها أمام حالة مخيفة من اللجوء الأوكراني إليها. فقد بدأت عائلات بكاملها تصل إلى الكنف البريطاني وبطبيعة الحال لا يمكن صدها. بهذا عاشت بريطانيا ولا تزال الظروف التي سبق أن عاشتها بعض الدول العربية عندما بدأ تدفق اللجوء الفلسطيني إليها نتيجة أفعال العصابات الصهيونية التي قوننت إجرامها من خلال قاعدة "لم نسمع لم نر" سلطات الإحتلال البريطاني لفلسطين.

تماماً كالذي يحدث منذ أيام في بريطانيا حدث في لبنان قبل 72 سنة. على متن قوارب وسفن صغيرة وعبر الحدود تمت عملية اللجوء الفلسطيني إلى الملاذ اللبناني.

وحيث أن المشاعر الإنسانية والوطنية والقومية كانت في أحسن حال زمنذاك، فإن الفلسطينيين الاتين من الوطن الذي بدأت عملية وضّع اليد عليه بفعل الوعد البريطاني إياه، حلوا في البداية ضيوفاً على أهل وأنساب ثم بدأت عملية إنشاء المخيمات لهم في مناطق مختلفة من العاصمة والضواحي وبعض المحافظات. وهذا إلى أن يُحسم أمر عودتهم على أساس أن دول العالم لن ترتضي أسلوب إغتصاب أوطان الآخرين. طال الإنتظار وكثرت الوعود. ثم شيئاً فشيئاً بدأت حالة اللاجئ المستوطن المتحزب ثم اللاجئ المسلح ثم اللاجئ المتدخل في شؤون داخلية. بقية فصول المحنة مأساوية بإمتياز، بل إن بعضها يُدمي القلب ويُدمع. عند التأمل في المشهد اللبناني منذ فلسطينية الحال سلاحاً وتدخلأً بموجب إتفاقية أمكن إلغائها ماضياً ثم إيرانية الحال بموجب أمر واقع يصعب حتى إشعار آخر ترويضه إذا إستحال الإلغاء.. إننا عند التأمل في المشهد اللبناني نتضح لنا أكثر ملامح المحنة المأساوية.

الآن تعيش بريطانيا، وسائر الدول الأوروبية كل منها بنسبة معينة، بداية للظروف المشابهة لتلك التي أشرنا إليها. حاولت أن تقونن مسألة اللجوء الأوكراني إليها لكن الأحمال ثقيلة. وبدأ التفكير في أكثر من صيغة للجوء. لم يكن هنالك قبل سبعة عقود في لبنان أي تردد في إستيعاب أولئك الذين يتم إنتزاع منازلهم وإغتصاب وطنهم وإجبارهم على الهجرة. الإستضافة واجب إلى أن يغير الله من حال إلى حال. أما في بريطانيا فبدأ التفكير بصيغة غير مسبقة إزاء ظاهرة اللجوء وهي عبارة عن حملة هنالك توجه لتسميتها "منازل من أجل أوكرانيا".

ليس واضحاً ما إذا كانت الأزمة الراهنة ستتعاظم وينضم إلى عشرات ألوف اللاجئين الذين قصدوا الدول الأوروبية وبالذات بريطانيا، عشرات ألوف آخرين وهذا يعني أن بريطانيا ستعيش الوضع الذي عاشه وطن محدود المساحة مثل لبنان وإلى حد أنه بات نموذجاً للدولة التي هاجر إليها الفلسطيني ثم إستوطنها، تلاه السوري الذي مضت عشر سنين على هجرته إليها بالمئات ثم بالآلاف ثم بعشرات الآلاف بفعل التكاثر والتناسل.

وأما الحل المنطقي لعلاج هذه الظاهرة.. ظاهرة أوطان صغيرة داخل الوطن الكبير فإنه في العلاج الواقعي الذي يحتاج قبل أي خطة إلى قرار أممي يحميه،

وهو إعلان الدول الملتبسة المهددة بمغامرات الإستيلاء عليها دولاً محايدة وخارج الصراعات. ولقد كان لبنان دائماً منذ ثلاثة عقود من الإقتدار الإيراني وحالياً أبرز من يحتاج إلى الحياد الحل. وما هي أوكرانيا التي تعاني من السطو البوتيني عليها تصطف إلى جانب الأوطان التي ينجيبها تحييدها من طوفان السطو عليها سواء كان السطو للأرض أو لمصادرة الإرادة. وأما فلسطين فإنها ستبقى جرحاً ينزف هموماً وإهتمامات إلى أن يفى العالم إلى صواب. وبداية هذا الفئء تصحيح بريطانيا الزابيت الثانية لخطأ حول إرتكابه في زمن بريطانيا جورج الخامس.. والدها.

وما هي محنة اللجوء الأوكراني المقلق بداية والمتعب نهاية لها توجب طرح فكرة ذلك التصحيح برسم المناقشة، فضلاً عن أن سلوك رغبة التصحيح المسار المتعقل كفيل بتتشييط بلورة الخطوات المتدرجة نحو سلام صامد وإستقرار دائم في العالم العربي.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 6 أبريل (نيسان) 2022

ربيع رمضاني واعد

في إنتظار أن تصفو بقية أجواء سياسية عربية مشارقية ومغاربية وبحيث يحدث في لبنان وسوريا والعراق وفلسطين وتونس وليبيا والسودان ما إرتأى إخواننا اليمنيون إنجازه وإعلانه من الرياض في يوم ربيعي رمضاني كريم (الخميس 7 رمضان 1443 _ 7 أبريل 2022)، أستحضر من بين أوراق في الحفظ والصون تلك التي توثق "خطبة البيعة" التي ألقاها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز يوم الجمعة 23 يناير/كانون الثاني 2015 التي تتضمن قولاً له أشبه بالعهد "إن أمتنا العربية والإسلامية هي أحوج ما تكون اليوم إلى وحدتها وتضامنها وسنواصل في هذه البلاد، التي شرفها الله بأن إختارها منطلقاً لرسالته وقبلة للمسلمين، مسيرتنا في الأخذ بكل ما من شأنه وحدة الصف وجمع الكلمة والدفاع عن قضايا أمتنا..."

كذلك أستحضر تفاؤل الرئيس عبد ربه منصور الذي أمكن إنقاذ شرعية رئاسته فلا يشملها الإطباق الحوثي

على نحو ما جرى للعاصمة صنعاء ومؤسسات الحكم، مع ما قاله الملك سلمان في "خطبة البيعة". أما كيف جاء التفاعل فمن خلال مناشدة خادم الحرمين الشريفين وقادة مجلس التعاون الخليجي وذلك في رسالة بعد شهرين (24 مارس/ آذار 2015) "تقديم المساندة الفورية بكافة الوسائل والتدابير اللازمة لحماية اليمن وشعبه من العدوان الحوثي...". ولقد حدثت الإستجابة وكان "مؤتمر إنقاذ اليمن" الذي عقده القادة الخليجيون في الرياض (17 _ 19 مايو/ أيار 2015).

ما يراد قوله في ضوء هذا الإستحضار تذكر أن ينفع الذكرى أن العلاج السياسي للأزمة اليمنية وبما يحقق السيادة وإستقلالية القرار ونبذ ظاهرة الميليشيات كان له الحيز الكبير في المعالجة السعودية للموضوع اليمني، وأن ما حققه السعي المتقن من جانب ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز وضع الملك سلمان العربي بإمتياز أساساته. كما أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمة الله عليه كان سعى ما أمكنه السعي لترويض الصراعات اليمنية بأمل أن تبقى حصراً في الإطار الوطني اليمني السياسي وسد أي أبواب أو حتى نوافذ يتسلل منها من يريد سطواً على الإرادة اليمنية وفق مفاهيم مذهبية وخريطة طريق ميليشيائية. ولو أن الحكمة مع بعض الصحافة ودبلوماسية التعبير أخذت فرصتها في "الدويلات" الحزبية السياسية لكان أمكن تقويت الفرصة على الجمهورية الثورية الإسلامية في إيران إعتبار اليمن ومن خلال حوثيه "حقاً شرعياً" لتطلعاتها وبالذات من الخاصرة الأكثر أهمية وهي المملكة العربية السعودية. هنا يلوم المرء أشد اللوم تخريجات الرئيس (الراحل) علي عبدالله صالح، كونه إعتبرها تعزز سلطانه فإذا بها تقوّض رئاسته وتؤسس للمزيد من العتب عليه.

تضيق فرصة أو أكثر ليس معنى ذلك طي محاولة السعي المقرون بالصبر الجميل والساعد القادر على رد الإيذاء المتعمد طائرات مسيّرة. وما أن تبدأ الأطياف اليمنية الإيرانية الهوى تميز بكثير من الوعي والدقة بين ما هو ذاتي وما هو لمصلحة الوطن، فإن التنازلات والتضحيات والرؤى الموضوعية لا بد ستتقدم على التشبث الذي يزيد الهدم هدماً واليؤس أنواعاً جديدة من اليؤس وسمعة غير مستحبة على مستوى الجار والأخ والصديق لا تليق بمن لهم صفحات تراثية في تاريخ الوطن ماضياً في زمن كان عقلاء القوم يديرون شؤون

البلاد والعباد.. رحمة الله على النعمان والارياضي ورفاق
درب بناء اليمن الوطن مع النخب السياسية والدبلوماسية
والعسكرية التي سارت على النهج القويم ومن دون الوقوع
في الشراك الثورية. هنا يستغرب المرء خشونة تعاطي
إخواننا الحوثيين مع المؤتمر التوحيدي. وما يلفت الإنتباه
أن تعاطيهم مع الدعوة الطيبة القصود لهم من أجل
المشاركة جاء عكس ما في الدين الحنيف من وصايا في
شأن أصول التحية دعوة إلى مناسبة كانت أو سلاماً
صباحياً أو في أي وقت، وهو الرد على التحية بمثلاً أو
بأحسن منها. ولكن إخواننا الحوثيين لا قالوا شكراً ولا هم
سبقوا إخوانهم الآخرين إلى الإصطفاف جنباً إلى جنب
معهم في مؤتمر يستضيفه من يرمي خيراً للجميع.

ما نريد قوله إن صيغة المجلس الرئاسي التي إنتهى
إليها المؤتمر التعاوني اليمني المستضاف في الملاذ
الحادب وبمنأى عن أي ضغوط أو ترغيبات، هي الفرصة
التي ربحها "يمنيو اليمن" بمعنى الأطياف الحريصة على
وطنية موقعها وسيادة اليمن الصديق المتفهم المتعاون
غير المؤذي لمن حوله، وضاعت مؤقتاً على يمني
الطيب الحوثي الذي يبني مواقف على أحلام صعبة
التحقيق.. هذا إذا لم نقل إنها قد تنتهي كوابيس. والقول
إنها ضاعت مؤقتاً على أساس أن الطيف الحوثي المغرد
على أغصان أشجار حديقة ثورية إيرانية سيكتشف أجلاً
ما لا يريد إكتشافه عاجلاً، أن المؤتمر التشاوري في
الرياض كان بمثابة وسيلة إنقاذ له من مصير آت ذات
يوم بحكم التغيير الطوعي للنظام الإيراني المساند تداركاً
لإحتواء صفقة ما مع الإدارة الأميركية وإستباقاً لغضبة
شعبية على سوء الحال وتردي الخدمات وطول مناكفة
الآخرين عرباً ومسلمين وأجانب، وبذلك يتقدم أهل الخبرة
السياسية والدبلوماسية على أهل العمام والحرس الثوري..
هذا من دون إستبعاد المفاجأة على الطرفين على نحو ما
حدث في أنظمة أكثر تماسكاً مثل ذلك النظام المثلث
القيادة في الإتحاد السوفياتي المتواري. وفي حال حدوث
ذلك تتطاير أوراق دويلات مشمولة بالتأثير الإيراني بدءاً
بلبنان وصولاً إلى اليمن مروراً بالعراق وسوريا وفلسطين.
وعندها لا يعود اليمني واللبناني والعراقي والسوري
والفلسطيني يرى في غير المملكة ومعظم دول الخليج أنها
الملاذ والسند وأن مواقف الإساءة قولاً مكروهاً وفعلاً
مبغوضاً وبالذات تهريب المخدرات في هذا الفعل، كانت
خطأ يقترب من الخطيئة.

كان التوافق الذي تحقق من جانب ثلاثة أرباع أهل
اليمن عبارة عن ربيع رمضاني يماني واعد. عسى ولعل
يشكّل حالة من التأمل العميق من جانب لبنان المتقائل
حكومة وشعباً خيراً بالعودة المحموده للسفير السعودي
وليد البخاري والسفير الكويتي عبدالعال الفناعي سفير
دولة المبادرة الخليجية التي لم يتلقها أهل الحُكم اللبناني
المؤمنين. وكان لافتاً حدوث تعديل جوهري في كثير من
التصريحات حيث باتت مفردات الكلام حول العلاقات مع
المملكة ودول الخليج والهوية العربية للبنان تتقدم على ما
كان نقيضها في تصريحات صدرت من أطياف إيرانية
الهوى خلال أيام مضت.

كما أن التوافق الذي حدث بعد مشاورات بوركنت عربياً
ودولياً إلى جانب التنويه بالحذب الشخصي من جانب
ولي العهد الأمير محمد بن سلمان عليها، جاء قافزاً فوق
الكثير من الحواجز الأمر الذي جعل مؤتمر أهل اليمن
الأخير لا يستغرق أكثر من أسبوع وعلى أمل أن يقرأ ما
تبقى من أهل اليمن ما أمكن إنجازهِ والإعلان عنه عشية
جمعة رمضان مباركة وبذلك يكتمل العقد ولا يعود
المشهد اليمني كما من قبل مدعاة للإستغراب كيف أن
واحداً من الأطياف مستمتع بإنهيار وطن يكفيه ما كابده
وتكفي العائلة اليمنية الوطنية ما تعانيتها من صدمات.
والله التواب والقوي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 13 أبريل (نيسان) 2022

اللهم إنقها فاترة

تتواصل على دوي الإجتياح الروسي لدولة أوكرانيا
المساعي الطيبة لإبقاء الحرب الروسية _ الأطلسية على
النحو التي هي عليه مع دخولها الشهر الثاني، فاترة
بمعنى لا هي باردة على نحو أسابيعها الأولى تكاثرت
فيها الإتهامات المتبادلة من جانب الرئيس فلاديمير بوتين
والرئيس جو بايدن وصلت إلى حد التصنيف الأمريكي
المركي بنسبة ملحوظة من رفاق "الناطق" للرئيس بوتين أنه
"مجرم حرب" وأنه لن يتردد في إستعمال الأسلحة النووية
والبيولوجية. بل إن الموقف ذهب أبعد من ذلك مع الرئيس
البريطاني بوريس جونسون المتحالف مع إدارة الرئيس

بايدن كما تحالف رئيسة الوزراء (الراحلة) مارغريت تاتشر مع الرئيس جورج بوش الأب وإثماره خطوات على طريق إلغاء العراق كرقم في المعادلة الأميركية _ البريطانية من خلال حرب أعادته كما وعد الحليفان إلى مشارف العصر الحجري. والقول إن رئيس الوزراء البريطاني ذهب أبعد من ذلك يتمثل في عبارة وردت في مقابلة إذاعية بريطانية يوم الخميس 24 مارس/ آذار 2022 وكانت القمة الأطلسية انعقدت في بروكسل حيث قال "إن بوتين في حربه ضد أوكرانيا تجاوز بالفعل عتبة البربرية...". وهو في أي حال تصنيف بصيغة إتهام، ينسجم مع ما إنتهت إليه القمة الأطلسية الإستثنائية لجهة تزويد أوكرانيا بمعدات حماية من التهديدات الكيميائية والنووية والبيولوجية، مع ملاحظة أن مثل هذه الخطوة تأتي إنسجاماً مع تحذير البيت الأبيض مستقبلاً إنعقاد القمة بثلاثة أيام من "خطر إستخدام روسيا للأسلحة الكيميائية في أوكرانيا". كما أن مفردات رئيس الحكومة البريطانية تتدرج هي الأخرى في بند إشعال جذوة الإستقراز في نفس بوتين. وعندما لا يتوقف مسلسل إصدار العقوبات الأميركية وتتجاوب معها عقوبات من جانب معظم الأوروبيين بمن في ذلك سويسرا مع أنها دولة محايدة ولا يجوز كموقف سياسي في عز الأزمات الدولية أن تتخطى مفهوم الحياد وتكتفي بأن تكون المستضيفة للمؤتمرات الأمامية ولمن هم حائرون في أمر الاتفاق على ما ينقذ دولهم وشعوبهم أمثال الأطراف السورية... إنه عندما تصدر النعوت البالغة الخشونة في حق رئيس دولة كبرى من جانب رئيس دولة كبرى مثل قول الرئيس بايدن على الملأ إن بوتين "مجرم حرب" ويتوعد في الوقت نفسه بتوجيه "ضربة كبرى للمالية والإقتصاد الروسيين وتجعل بوتين منبوذاً على الساحة الدولية"، ثم يبالغ كمن يضيف المزيد من الحطب على النار ويقول "إن بوتين جزار ولا يمكن لهذا الرجل أن يبقى في السلطة"، فهذا بدا نوعاً من الإحراج لأطراف تريد تبريد الأزمة قدر الإمكان أو في الحد الأقصى إبقاءها حرباً فاترة قابلة للتبريد مع بذل المزيد من السعي الطيب من جانب رئيس فرنسا ماكرون ورئيس تركيا أردوغان وتمنيات خليجية متواصلة وبالذات من جانب رموز القرار من أجل إعتقاد أهمية واقع الحال المثلث الأضلاع في حال أن الحرب التي كانت باردة ثم باتت فاترة ألا تنتهي ساخنة دماراً وخراباً وجوعاً يؤسس إلى مجاعات حتى في أميركا والدول الأوروبية: واقع

الحال السيادي للدول. وواقع الحال المأساوي للشعب الأوكراني، مع إستحضار ما أصاب سيادات وشعوب أخرى بدءاً بفلسطين والعراق ولبنان وسوريا والسودان واليمن وليبيا. وواقع حال ما سينشأ عن إستعمال المحرّمات النووية والجراثومية التي تنتشط أميركا وتتواصل الضغط على إيران كي لا تلجأ في حال إمتلكت النووي إلى أن تفعل ما فعلته حديثاً روسيا البوتينية مع أوكرانيا وما سبق أن فعلته أميركا مع العراق ماضياً.

وعندما يتراجع الرئيس بايدن عن أقواله التي أزعجت بعض حلفائه وأصدقاء أميركا في الوقت نفسه فلأن الرد الروسي على الرئيس الأميركي كان موجعاً ولم يأت من بوتين الذي ترك لنفسه هامش التعالي على شاتمته الرئيس الأميركي إنما من رئيس برلمانه (فولودين) (بمعنى أنه من السلطة التي تمثل كل أطراف الشعب الروسي) الذي قال "إن تصريحات بايدن هيستيرية. إنه ضعيف ومريض وبائس وينبغي أن يخجل الأميركيكان من رئيسهم وسيكون من الأفضل أن يخضع بايدن لفحص طبي".

رغم ذلك نرى سعاة الخير مواظبين على سعيهم وباحثين فيما الفعل العسكري الروسي لا يشتد إنما لا يتوقف نزفاً للناس وإستنزافاً لصمود فلاذيمير الأوكراني. ونرى الصيغة الأرذوغانية التي من شأن الأخذ بها تقريب المسافات وواد الإتهامات المتبادلة وبدأت تقترب من دخول القمح والغاز وأوراق روسية أخرى كثيرة حلبة التحديات من بينها ما كان يبدو مستحيلاً وهو تصغير شأن الدولار بمعنى أن المدفوعات لروسيا تكون بعملتها ولا مانع من اليورو إنما ليس بالأخضر الأميركي بما يعني إهتزازاً مريعاً للدولار قرة جيوب وخزائن معظم شعوب العالم من خلال حكوماته ومصارفه التي تهترز أساساتها في حال حدث التوعك الدولار.

ما يريده الرئيس أردوغان وهذا موضع ترحيب حكومات وشعوب تتجاوز نظرتها الأحادية إلى خصوصية الدور التركي محلياً وإقليمياً هو "الخروج المشرف" للرئيس بوتين من الشرنقة الأوكرانية التي باتت تلتف خيوطها حول مغامراته المتعجلة، وإن كان الدافع الإستباقي لها هو الذي عجل بالإجتياح الذي جاءت النتائج حتى الآن منقوصة الحذاقير.

"الخروج المشرف" يتيح المجال أمام البحث في المطالب سواء الروسية منها والأميركية _ الأطلسية وما بينها الأوكرانية. و"الخروج المشرف" هنا هو خروج بوتين

المضيء على حرب ساخنة تعجل في نشوء عالم مظلم.
إنك سميع مجيب... وقادر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 21 أبريل (نيسان) 2022

* * *

على طريق إسكات المدافع

بعد حين تسكت بالتدرج مدافع الرئيس فلاديمير بوتين وقد روى بعض الممكن غليله من الشراك الأطلسية التي نصبت لها إدارة الرئيس بايدن والتي خططت بأن يكون الدواء الأوكراني علاجاً للداء الأفغاني الذي إستشرى في مفاصل تلك الإدارة بعد الإنسحاب غير اللائق بدولة عظمى من دولة طالما عانى شعبها من التخبط في سياسة التعامل الأميركي مع الوطن المنكوب بالدور العسكري الأميركي الذي لم يختلف عن الدور السوفياتي سابقاً.

وبصرف النظر عما إذا كان سكوت مدافع بوتين التي دمرت بنياناً وشردت شعباً، سيأتي نتيجة أن ما قام به كان عدواناً وفي أشد درجات الظلم ولم يحقق سوى الأذى البالغ في حق الشعب الأوكراني موتاً وخراباً ولجوءاً وفي حق بعض شعوب دول العالم التي ما أن بدأت تستعيد عافيتها وطمأنينتها بعد الظروف الصعبة الناشئة عن الإستشراء الكوروني حتى جاءت الجائحة الأوكرانية، أو أن الإسكات أتى درءاً لما قد ينتهي إليه الإصرار على إستكمال الخطة المرسومة حتى إذا هي وصلت إلى مشارف هتلريتها... إنه بصرف النظر عن الأسباب الموجبة فإن إختصار الخيار الحربي الذي بدأه بوتين يشكل دعامة للتطلع الذي لا يخفيه وهو أن تتجدد رئاسته تلقائياً وهذا أمر لم يعد موضع تخمين، فضلاً عن أن المغامرة الأوكرانية كانت في بعض دوافعها من أجل إستكمال مقومات الزعامة التاريخية.

وثمة خطوة حدثت بينما الحالة الحربية تزداد جنوناً وتتخلل جولاتها تصريحات أطلسية تزيد من لهيب النار المشتعلة يرد عليها بوتين شخصياً أو وزير خارجيته أو المتحدث بإسم الكرملين بالمثل وأحياناً بما يزيد الإشتعال. وجاءت الخطوة فيما هو أشد الحاجة إليها كونها أتت من المرجعية العربية الأكثر تأثيراً عند صياغة الإستراتيجيات

المقتدر المضغف من خلال قدرات وأوراق ومعادلات دولية بقدر ما هو مستضعف. الحال نفسها بالنسبة إلى بايدن وشركائه الأطلسية. ورقة الضغط الأكثر تأثيراً على رموز المباراة التي تساقطت فيها الأرواح نقصان الشعبية المشجعة في كلا فريقين المباراة. إذ كيف التشجيع إذا كانت المناطق بين الرؤوس ستتعرض بؤساً وخوفاً ونقصان غذاء وأزمة تدفئة وإنارة على الناس. وإلى ذلك هنالك الرؤية الصينية حيث التفضيل للأزمة أن تبقى حرباً فائرة يصار إلى تبريدها ولا بأس بالعودة إلى زمن الحرب الباردة الصقيعية إذا أوجبت التحديات ذلك تتم معالجاتها بالزيارات الرئاسية وإن كانت مخيبة الآمال أحياناً، وعلى نحو ما فعله الرئيس السابق ترمب مع الرئيس الكوري الشمالي الأبدي حفيد كيم ايل سونغ.

وفي موضوع التفضيل لـ "الخروج المشرف" لا يبدو رموز القرار الخليجي الفاعل بعيدين في رؤيتهم عما تحبزه الصين، ذلك أن دولهم التي عيون الصين شاخصة عليها مقابل العيون الأميركية الجاحظة، ذاقت تداعيات الإحتراب وخيبات السعي من أجل تسوية يكون فيها "الخروج المشرف" حلاً للخيار الذي إعتده الرئيس (الراحل) صدام حسين صنو الرئيس بوتين المتطلع إلى إستعادة أوكرانيا الفرع إلى روسيا التي إنتهت أضلعها بسقوط الأمبراطورية الماركسية جمهوريات مستقلة وليس هنالك ما يجعلها في حالة حنين إلى صيغة الإستلحاق.

نخلص إلى القول ونحن في مطلع أجواء روحانية يطيب فيها الإبتهاال نقول بصيغة الدعاء: اللهم إسبغ عليهما نعمة العقل عملاً بالقول الطيب: رب منخته العقل فماذا حرّمته. وحرّمته العقل فماذا وهبته". اللهم أنر بصيرتهما لأنهما لا يدریان ماذا يفعلان. اللهم لا تجعل خطاهما الشريرة تأخذ مداها. اللهم أنقذ شعوب العالم من سوء عنادهما فيعيد صاحب الحرب النظر فيما فعل ويتراجع صاحب العقوبات وخشونة التصريحات عن خياراته. اللهم ساعد على إقناع الرئيس بوتين بأنه إذا نفذ مفاعيل أوراق القمح والغاز وسائر خيرات روسيا فإن المظلومية الناشئة من ذلك للناس ستكون على مستوى العالم، وساعد الرئيس بايدن على أن يأخذ في الإعتبار أن الحلم الأميركي على مقربة من الكابوسية إذا كانت إدارته التشاوفية ستبقى على ما هي عليه.

وختاماً: اللهم إبقِ الحرب الروسية _ الأميركية الأطلسية فائرة عليها تعود باردة. وبذلك لا يصحو العالم

ببتنوع مقتضياتها. وأهمية الخطوة التي تمثلت بالتواصل مع وليّ العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز أنها جاءت في أجواء ما كررت المملكة من خلال مجلس الوزراء الدعوة إليه هدياً برؤية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز التي ترى أن تكون التسوية والتوافق من خلال خُفض التصعيد والحوار حلاً للأزمات المستعصية. وجاء الإنجاز الوفاقي اليميني متزامناً مع إستمرار المحنة الروسية _ الأوكرانية، ليؤكد صوابية ما تراه المملكة علاجاً لما إستعصى أمر معالجته من الأزمات.

من الجائز الإفتراض، بل والتأكيد بأن التواصل الهاتفي العفوي الروسي _ السعودي وعلى مستوى القمة من جانب الرئيس بوتين بولي العهد الأمير محمد بن سلمان جعل دوائر صناعة القرار الأميركي والأطلسي عموماً التي كانت ما زالت تتأمل بعناية بما قد يستتبع التواصل المماثل قبل ذلك بين الأمير محمد والرئيس الصيني.. هذان التواصلان أحدثا وقفة من التأمل العميق وبالذات لدى المنكبين على رسم خارطة أهمية أن تبقى المعادلة الدولية على حالها وبحيث لا يقتحم الجباران الشرقيان البعيدين الشرق العربي الأوسطي. وتأكيداً لهذه الخشية إذا جاز التوصيف، جاءت زيارة رئيس الحكومة البريطانية بوريس جونسون إلى الرياض (يوم الأربعاء 16 مارس/ آذار 2022) وبدا الرئيس البريطاني في زيارته هذه كمن يريد القول إنه يقوم بها بتكليف غير معلن من جانب الجمع الأطلسي بدءاً بكبير هذا الجمع الرئيس جو بايدن الذي لا بد زاد من التأمل في مفاعيل محتملة للتواصل السعودي _ الروسي والسعودي _ الصيني، وكيف أن هذا التواصل يتم على مستوى من الرقي بات منسوبه دون تاريخية العلاقة السعودية _ الأميركية الإستراتيجية. ولا بد أن الرئيس جونسون الذي عاد من الزيارة وقد وقّع إلى جانب توقيع الأمير محمد على مذكرة تفاهم بشأن تشكيل مجلس للشراكة الإستراتيجية. بين المملكة السعودية وبريطانيا سيسدي الكثير من النصح لرفيق الدرب الأطلسي جو بايدن بأن يُدخل الكثير من التعديلات الجذرية على مزاجية رؤاه المتعلقة بالدول العربية عموماً وبأهمية الدولة الجامعة للشمل العربي المملكة العربية السعودية.

وحيث أن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلتقى بوتين يوم الثلاثاء (26 أبريل 2022)

وتباحث معه في لقاء الطاولة المستطيلة التي يبدو فيها جليسه الأجنبي بعيداً جداً عنه (فيما اللقاء وجهاً لوجه يقتصر على وزير دفاعه) فإن اللقاء بدا كما لو أنه ينطلق من حيث الإتجاه المفضل للمملكة وهو خُفض التصعيد ومباشرة الحوار. ويُفترض أن الواجب الأممي للأمين العام غوتيريش يفرض عليه تذكير الرئيس بوتين أحد الخمسة الكبار أصحاب الفيتو في مجلس الأمن أن ورقة الغاز ليست مستحبة الإستعمال منعاً وذلك من منطلق أن هذه السلعة إرادة إلهية شأنها شأن الماء والنفط والنتاج الزراعي تصبح حقاً لمن يستعملها ما دام يدفع الثمن، ولذا لا يعود من مالها حجبها. وقد تبدو هذه النظرة رومانسية _ روحانية بعض الشيء ولكنها في الوقت نفسه واقعية إذ ماذا سيفعل بوتين وأي قيصر من شاكلته بإهراءات القمح ذات مليارات الأطنان إذا كان سيمنعها ويسبب أيضاً حرقاً أو حجباً عدم تصديرها من أوكرانيا. وماذا سيفعل بالغاز إذا كان سيحجبه عن المحتاجين إليه الدافعين ثمن أنبوباته أو أنابيبه في بيوتهم وشركاتهم ومصانعهم. وبأي وسيلة سيبني بلده ويُطعم شعبه ويطور صناعته إذا كان لن يأتيه العائد الملياري من الغاز.

كذلك نفترض أن الأمين العام أوضح للرئيس بوتين متجاوزاً لعبة الدولار واليورو والروبل والخيارات الكثيرة التعقيد المتحركة في مخططه أن دول الأطلسي الغاضب عليه تضخ يومياً أكثر من مليار دولار إلى روسيا هذا عدا ضخ مليارات من سائر دول العالم، فهل من المنطق في شيء حرمان الشعب الروسي من عوائد ثروة خصها الله بها.

ومن باب الإفتراض أيضاً لا بد أن الأمين العام لفت إنتباه زائر القيصري وهما متباعداً إلى الطاولة الرئاسية المستطيلة إلى أنه يخالف في ما إقترفه في حق أوكرانيا الشعب والدولة والسيادة والإنسانية قوانين دولية من واجبه كرئيس دولة التقيد بمضامين هذه القوانين التي منها مدونة لاهاي (1907) ومدونة جنيف (1949) ونظام روما الذي أنشأ المحكمة الدولية الدائمة (1989). ومن أشهر الجرائم المثبتة تحديدها في المدونتين هي تلك التي إقترفتها الحرب البوتينية على أوكرانيا (كما الحرب البوشية على العراق) والتي إستهدفت عشوائياً كل ما تصوّب عليه المدافع الروسية، والتي تسببت حتى الآن على صعيد التهجير بتسعة ملايين لاجئ.

فعل الأمين العام الأممي ذلك وأكثر أم إكتفى بالتنبيه

والتحذير. المهم أنه زار الكرملين وواجه في حدود صلاحيته ودوره أحد رؤساء التحكم بالعالم. وجاءت الزيارة على خلفية خطوة عربية تريد خيراً لروسيا بدل أن تذوي في الخيار الحربي الذي مآله الدمار والتشريد ونعني بها الحركة التنشاورية الناصحة والمنبهة خلافاً للتحديات الأطلسية الإستفزازية. ولأن في الحركة بركة على نحو التعبير الشعبي فإن زيارات مماثلة يقوم بها الأمناء الثلاثة (الأمين العام للجامعة العربية. الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي. الأمين العام للمؤتمر الإسلامي) إلى موسكو والتباحث معه في جلسة ودية بروحية رؤية ولي العهد الأمير محمد وحركته التواصلية النصوحيّة، إلى طاولة غير مستطيلة، قد تفيد في ترويض زعامة تحتاج إلى المروّض الأمين والودي. وبعد ذلك يبدأ العد العكسي لإسكات المدافع.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 28 أبريل (نيسان) 2022

قمتا التيسير لمعالجة التعسير

ربما من محاسن المناسبات الإنقاذية للأوضاع المرتبكة التي تعيشها دول كبرى وصغرى على حد سواء، أن هنالك في "الأجندة" الدولية وكذلك في "الأجندة" العربية قمتين هما دون سائر القمم المسبوق إنعقادها بالعتي الأهمية: القمة العربية الدورية التي من سوء حظ المعولّين عليها أن مضيفها الجزائري دفع بها من مواعدها المقرر والمتعارف عليه (أواخر شهر مارس/ آذار من العام الحالي (2022) إلى اليومين الأولين من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني). وها هي الأمور العربية تراوح ما كانت وبقيت عليه مكانها تعقيداً وتآزماً. وعند التأمل في المشهد المتتالية محطات مأساه نجد أن هنالك ما يشبه "الماراتون" لجهة المزاوحيّة في نقاط الخلافات. لبنان على حاله في ما يشبه الخبط عشواء. والسودان على حيرته التي لا خلاص منها إلا بالحوار الذي لا إجتثاث ولا تهميش لطيف فيه. وتونس التي تفاعل شعبها خيراً برئيسها الأكاديمي على أساس أنه ليس من طينة الأحزاب ويريد تنقية جذرية للوطن من الشوائب ها هو الرئيس قيس بن سعيد يطرح لاءات جديدة تعيد بذاكرة المتابعين

إلى لاءات سبق أن أخذت حيزاً لها صمد بعض الشيء في منهاج العمل العربي المشترك، ونعني بها لاءات القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم _ سبتمبر (1967) عندما توافق الملوك والرؤساء على لا صلح ولا تفاوض ولا إعراف بإسرائيل، إنما ضمناً من دون رفض أي مبادرات من شأنها إيجاد أرضية للتسويات غير المشروطة وبما يحقق حالة من السلام في الشرق الأوسط. بات رموز تلك القمة في ذمة الله وبقي الصراع على حاله وحلت محل اللاءات الثلاث إتصالات وتبادل زيارات ومناقشة أفكار وعلاقات دبلوماسية وزيارات ما زالت من الجانب العربي على مستوى مسؤولين حكوميين فيما هنالك إندفاع من رموز قمة السلطة في إسرائيل لتأدية الزيارات. وأما الرئيس قيس بن سعيد طارح اللاءات الجديدة فإنه كان في زمن قمة الخرطوم فتى في التاسعة من العمر لا يفقه موجباتها.

اللاءات "القيسية" المقتبسة من اللاءات "الخرطومية" تصلح برنامجاً لرئيس في لبنان سيحل أوان ترئيسه بعد بضعة أشهر في ضوء إنتخابات برلمانية ربما تأتي نتائجها بالتغيير وبما يحقق للشعب آماله المرجوة في إستعادة وطن يُخشى عليه من نازلة رئاسية غير تلك المأمولة، بمعنى أن يكون رئيس لبنان للسنوات الست الآتية من غير طينة رئيس لبنان السنوات الست قاربت على الإنتهاء.

كما أن اللاءات "القيسية" تصلح وصفة علاجية لليبيا ذات الحكومتين الغارقة في لجة النفط التي جعل شرقها يعادي غربها وتؤكد هذه الحال البالغة السوء التي تعيشها مقولة الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا. وتصلح الوصفة أيضاً للعراق الذي ما زالت الريح الإيرانية تلعج صفحة عربيته بمثل اللفح الذي نال من صفحة عروبة لبنان ومن صفحة عروبة سوريا التي من شأن القمة العربية المرجأة أن تساعد رئيسها على أن يقلب الصفحات صفحة تلو أخرى ويستعيد سوريا بحيث تعود رقماً عوضاً أن تبقى عبئاً، وتساعد الوصفة كلاً من لبنان وليبيا والسودان والعراق وفلسطين الإيرانية الهوى بهمة بعض حماسيها على الإنتقال من الحال البالغ السوء التي يعيشها كل من هذه الأوطان إلى الحال الأحسن وإن حدث ذلك بالتدرج.

وأما القمة الأخرى والأكثر أهمية فإنها قمة العشرين المصادف موعد إنعقادها في جزيرة "بالي" (أندونيسيا) في

الشهر نفسه للقمة العربية. ولقد كان المؤلف عن قمة كبار الشأن المالي والإقتصادي في العالم ومنهم المملكة العربية السعودية التي تمثل أمتها في الجمع الدولي هذا، أن هذه القمة تتعقد بسلاسة وتكون خير فرصة لكبار الشأن أن يلتقوا ويتشاوروا ويوطدوا الأواصر. كما ترتبط بهذه القمة لحظات تؤسس لعلاقات نوعية ومنها على سبيل المثال تلك اللحظة التي تمثل مشهدها بالرئيس بوتين يشد على يد ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز تقديراً من جانب روسيا للمملكة التي يمثلها في القمة بتكليف من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وتعبيراً عن رغبة في بناء علاقة إستراتيجية كذلك التي تبنيها المملكة مع بعض الدول مثل الصين وبريطانيا وفرنسا وباكستان ومصر إلى جانب العلاقة الإستراتيجية العريقة مع الولايات المتحدة، ثم حديثاً مع تركيا في ضوء زيارة رئيسها رجب طيب أردوغان إلى المملكة والتي كانت مناسبة لتهنئة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بالذكرى الخامسة لبعثته ولياً للعهد وصاحب رؤية مستقبلية تبشر بالخير.

وتكمن أهمية قمة العشرين للكبار أنها تأتي في الزمن الدولي العاصف وفيما أواصر العلاقة بين الولايات المتحدة ومعها معظم دول الحلف الأطلسي من جهة وروسيا من الجهة المقابلة، في أعلى درجات التوتر وبحيث أن لغة الكلام الجارح والمستفز المتبادل والمرفق بالتهديدات فضلاً عن العقوبات المتساقطة كالصواعق من جانب الغرب على روسيا، باتت تجعل المخاوف مما هو أعظم واردة ولا يبدد ذلك سوى خطوة متأنية مغلقة بالتعقل. ولعل إتصال الرئيس أردوغان قبل مغادرته إلى السعودية بالرئيس بوتين في مسعى لتحقيق ما سبق وعبر عنه بوصفة "حفظ ماء الوجه" وزاد عليه الطلب من الرئيس الروسي اعتماد صيغة تبادل الأسرى مفتاحاً للباب الموصد، قد يحقق بعض المبتغى. كما أن مبادرة البابا فرنسيس قبل ذلك وإبداء الإستعداد لزيارة موسكو من أجل تعطيل أي فعل شرير، وإستبدال التلويح بالأعظم من جانب روسيا، أي النووي الذي لا أعظم منه أذى للبشرية وليس لدولة دون أخرى، من شأنها أن تشكل تبريداً للمرجل الروسي _ الأطلسي الذي تغلي فيه التصريحات الإستفزازية المتبادلة وبالذات الروسية _ الأميركية. وما هو برسم الخشية أن تمارس المجموعة الأطلسية من الضغوط على أندونيسيا لكي تؤجل اجتماع قمة العشرين

إلى حين أو حتى ترجىء من دون تحديد موعد، وتكون هذه الضغوط حلقة في مسلسل العقوبات المتتالية على روسيا والتي وصلت إلى حد تعليق عضوية روسيا في هيئة السياحة التابعة للأمم المتحدة وجاء التعليق بعد أيام من لقاء الأمين العام للمنظمة الأممية غوتيريش بالرئيس بوتين في موسكو.

ما هو مدعاة للتفاؤل بإنعقاد قمة العشرين في جزيرة "بالي" أن أندونيسيا ذات سمعة عريقة وحضارية في موضوع إستضافة القمم منذ قمة "بريوني" في حقبة حركة عدم الإنحياز وكان يمثل العالم العربي فيها الرئيس جمال عبدالناصر كما أن ما هو مدعاة للتفاؤل أن توجيه الدعوات بدأ وأن جميع الأطراف أميركا وحليفاتها قبل روسيا ومن معها بحاجة إلى تفادي ورطة ما هو أعظم، ذلك أن هذه الورطة ستعطل تمديد رئاسات وسقوط أمجاد وخراب بيوت وتبعثر علاقات بدءاً بالكبار. ومن هنا فإن الرموز الفاعلة وبالذات أميركا والصين وروسيا وبريطانيا وكندا والسعودية وكوريا وماليزيا تتطلع إلى أن يكون التيسير هو السبيل لمعالجة التعسير. وهذا ما ترنو إليه الشعوب من أولياء الأمور. وعلى الله الإتيكال.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 4 مايو (أيار) 2022

اللبناني وأشقائه الصابرين على الضيم

على مدى السنوات اللبنانية الست العجاف في معظم نتاج مواسمها الرئاسية والحزبية والانتخابية والمذهبية، لم تبق كلمة إساءه متبادلة لم ينطق بها هذا الطيف أو ذاك أو أولئك. وكان التراشق على حساب المواطن وزعزعة متدرجة للبنان الوطن والخصوصية والعلاقات مع العالم العربي، وجعل من كانوا دائماً عندما تلم بلبنان أزمة أو صراعات تشل شرايين حيويته ينفرون منه نفرة غضب عابر على بعض رموزه السياسية والحزبية، ثم لا يلبث الغضب أن يتحول إلى عتب فالإي معاودة الاهتمام المقرون بالنصح. ولنا في حيوية حراك سفير خادم الحرمين الشريفين لدى لبنان وليد البخاري وسفراء الكويت وقطر ودولة الإمارات والحدب الأردني والمغربي والمصري والعراقي والبحريني والعماني ما يعطي فكرة عن الاهتمام

المشار إليه. هذا إلى جانب الحذب الإيراني الإنتقائي المتمثل ببطاقات التأمين وبصهاريج المازوت الآتي من طهران إلى لبنان عبر الجار السوري.

وهذا الإهتمام بشقيهِ العربي والدولي أثمر إمكانية إجراء انتخابات برلمانية بعدما كان الشك عالي الدرجة في إلغائها وبحيث يبقى الوضع على ما هو عليه، يتقدم على اليقين بأنها لا بد ستجرى وستكون المؤشر إلى حالة من الإنهيار لا يرتجى علاجاً لها، أو حالة من الصحو تشكل ملامح بداية مرحلة من الاستقرار فتستقيم المعادلة السياسية والحزبية ولا تعود الأحوال على ما هي عليه طول السنوات الست العجاف.

وعلى مدى خمسة أشهر سبقت بدء الانتخابات التي حُسم أمر إجرائها لم تبق كلمة حق من أصحاب النوايا الطيبة لم تُقل حول ضرورة أن تُجرى الانتخابات وبحيث تكون نتيجة أرقام صناديق إقتراع الناخبين منزهة عن التلاعب. ويذكر اللبنانيون الآملون بالخير دعوات صالحت من أجل أن تُجرى الانتخابات. وهذه الدعوات الصادرة عن المرجعيات الروحية دون إستثناء أفادت في أن حالة من النهوض حدثت تمثلت الترجمة لها بحماسة نوعية لممارسة اللبناني واجبه الإنتخابي في بلاد الإغتراب الإختياري والقسري وفي الوطن المبتسّ آملاً أن يحدث القليل من التغيير الكثير الذي يرنو إليه.

وبالمقارنة مع المفردات التي إتسم بها الخطاب الروحي، فإن بعض مفردات الخطاب الحزبي كانت خارج الأصول ولا علاقة لها بالمناخ الديمقراطي الذي إعتبر هؤلاء أنهم تحت سقف المناخ الذي يجيز لهم التعبير الذي يريدون. وتلك فرية في حق المناخ الديمقراطي الذي يجيز للسياسي التعبير عن رأي وليس إطلاق الشتائم والتجريح. وهذا كان من بين ما حفل به المشهد الإنتخابي على مدى حراك دام ثلاثة أشهر من التناؤف الكلامي الذي لا يفيد الوطن بشيء ولا يحقق للمواطن ما يصبو إليه.

بعد أقل من أسبوع سيكون هنالك لبنان برلماني آخر يؤسس للبنان رئاسي جديد، أو ربما لا سمح الله لبنان برلماني مثنى بسلبيات الحياة البرلمانية على مدى سنوات لم يعط ممثلو الشعب اللبناني برلمانياً ما من شأنه إثبات أن النائب في مجلس النواب من واجبه أن يكون عند حُسن ظن الذين إقترعوا له وليس توظيف العضوية البرلمانية في ما لا يفيد الشعب في شيء.

وإذا نحن إفترضنا من باب التفاؤل بالخير نجده أن

مفاجأة تبعث الطمأنينة في النفوس محتملة الحدوث وبحيث لا يبقى القديم على قدمه وإنما تتحسر ثوابت الأمر الواقع التي طالما كانت مكابدة لبنان الوطن والشعب منها تفوق التحمل، فإن ما من الواجب البحث في شأنه وبكل إحساس بالمسؤولية هو تحويل مطلب الحياد من مجرد مناشدة إلى تفعيل. وكخطوة أولى يقرر لبنان برلمانه الجديد المأمول خيراً منه، في حال أن المفاجأة التي تبعث الطمأنينة في النفس حدثت، طرُح صيغة الحياد على الإستفتاء الشعبي الذي تُواكب وتراقب يوم أو أيام إجرائه لجان مراقبة أممية. فإذا قال الشعب نعم للحياد يصار إلى إستعمال الإجراءات الدستورية والقانونية المعمول بها، أو يطوى تحت تأثير عدم التجاوب إلى حين آخر... برلماناً أكثر إستقلالية ورئاسة جمهورية متجردة من التحزب والتحالف والمبالغة في العلاقة الشخصية العائلية.

وبالحياد يعود السلاح إلى الذين أرسلوه أو يسلم إلى أصحاب الحق في إمتلاكه لإستعماله عند وجوب الإستعمال (جيش البلاد). ويعود حاملو السلاح إلى مجتمعهم المتعايش ويتطلّل الجميع عندئذ بالمناخ الديمقراطي الصحيح. وتتشط سواعد الجميع من أجل أن يستعيد لبنان شأنه وإستقراره وإزدهاره. وتتشط المقاومة المجتمعية على طريق البناء محل المقاومة التي كانت خياراً شخصياً وفئوياً وضمن مشروع تنافس القوى الإقليمية. وفي هذه الحال تصبح السنوات التي مضت وبالذات الست العجاف منها مرحلة أفادت في أن يستعيد اللبناني وعيه، وكما لو أنها الوسيلة لكي يصحو من إستغراق في أحلام أشبه بالكوابيس. إذ لولا عَجَف تلك السنوات وبعض سنوات سبقتها لما كان للتغيير المستحيل أن يصبح ممكناً. وهذا ما يأمل اللبناني المستقيم الرأي أن يعيشه بدءاً من بعد أيام قليلة. وعندها فإن من صبر ظفر. واللبناني كما شقيقه السوري والعراقي والفلسطيني والسوداني والتونسي والليبي واليمني، جميعهم من الذين كابدوا وما زالوا وصبروا وكان الله معهم. وبإنقشاع الظروف الرئاسية والحزبية والميليشاوية والمذهبية الثقيلة الوطأة تستعاد حقوقهم في الحياة الأفضل هدياً بالقول الطيّب إن الصبر ضياء وإنه أيضاً صبران صبر على ما يكره المرء وصبر على ما يحب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 14 مايو (أيار) 2022

الهتلرية داء... والتواضع دواء

من أكثر المفارقات غريبة أن الدول التي إنتصرت على النازية الهتلرية قبل ثلاثة أرباع قرن أنجبت أنظمة من بينها النظام الروسي بطبعته البوتينية، تحيي ذكرى الإنتصار فيما هي بدءاً بالولايات المتحدة وسائر الدول الأطلسية التي ذاقت شعوباً ومدناً مرارة التطلعات الهتلرية تمارس، مع تنوع الممارسات، الأسلوب الهتلري إياه. من هذه الدول هناك إسرائيل التي وظفت معاناة بضعة آلاف يهود من التعامل الهتلري النازي مع هذه الألوف كورقة تعزز فيها تأسيس إطباقها على فلسطين وتشريد شعبها كما حال تشريد حرب روسيا البوتينية لعشرة ملايين من الشعب الأوكراني. والرقم إلى إزدياد يوماً بعد آخر. واللافت للإنتباه هو هذا الإصرار على أن تتواصل الهتلرية عمليات حربية للشهر الثالث على التوالي من جانب روسيا البوتينية وعمليات تدعيم بالسلاح والمال والإعلام والعقوبات من الجانب الأميركي الأطلسي وبدرجات متفاوتة. ويقترف هؤلاء ما يقترفونه من دون تفعيل التمنيات عليهم بصيغة المناشدة لتغليب وقار الحكمة على جنون العظمة، على نحو ما شددت عليه المملكة العربية السعودية من جانب ولي الأمر الملك سلمان بن عبدالعزيز ومجلس الوزراء والرئيس التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الفرنسي مانويل ماكرون والبابا فرنسيس الذي أبدى إلى جانب الصلوات إستعداده لزيارة قطبي النزاع والتوفيق بينهما بما يضع حداً للتدمير والتهجير. ولكم تمننت نفوس كثيرة ومن كل دول العالم لو أن بطريرك الكنيسة الروسية الارثوذكسية كيريل تجاوب مع دعوة البابا فرنسيس وأصدرا مناشدة للتهدة تؤسس للتسوية، لكن وطأة السُلطة البوتينية على أي خط لا يتماشى مع قرار الحرب حتى تحقيق الهدف حالت دون هذا اللقاء الذي ربما كان يشكّل بداية وقفة موضوعية تؤسس لتسوية تعطي كل ذي حق حقه وليس كل ذي أطماع تثبিতاً لهذه الأطماع: أميركا ورفاق الدرب الأطلسي في إبقاء روسيا البوتينية على نحو ما هي عليه. وروسيا بوتين في أن يستعيد سيدها الراهن مجدداً إنتهى كما إنتهاء الأندلس وفقدان أحد أمجاد الزمن العربي الغابر. وكلاهما العنيد الروسي والمتحرش الأميركي يقرآن في كتاب تعظيم الشأن الذي يؤدي إلى الهتلرية مع أن قليلاً من

التواضع لكليهما يطمئن الشعوب ويبقي الأنظمة في كوكب السلامة.. أو بكلام آخر إن الهتلرية ليست طموحاً محموداً وإنما هي داء يفتك بالشعب وعلى مراحل عاجلاً ثم يفتك بصاحبه عاجلاً، بينما التواضع الذي هو الدواء لكل علة يكرسه رقماً في لائحة الذين لهم صفحة وربما أكثر أو حتى بعض السطور في كتاب أهل الحُكم الأنقياء في العالم شرقاً وغرباً وبين بين.

ثم إن عدم التجاوب مع مناشدة البابا فرنسيس وسائر مناشدات من قيادات عربية وإسلامية ودولية كان تضييعاً للفرصة التي تؤسس لتسوية متدرجة المراحل ولمصلحة أن يسود السلام يلي ذلك بدء التعمير من جانب روسيا للتدمير الذي تسببت به وهي على سبيل المثال في ضوء ما إنتهت إليه الغزوة الصدامية للكويت تعرف أن أعباء التعمير الروسي في أوكرانيا أكثر من التعويضات المليارية من جانب العراق للكويت، وستكون ذات زمن أكثر بكثير من التعويضات الأميركية والبريطانية بوجه خاص للعراق الذي أمعنت فيه الجيوش الحليفة تدميراً. وأكثر بكثير أيضاً من تعويضات يهود العالم في حال أرادوا دولة يهودية مستقرة على أرض فلسطين، يضحونها في صندوق تعمير ما أحدثه التدمير في دولة فلسطينية تجاور الدولة اليهودية وتتعايشان من دون أن تتكاثر الفواجع وأحدثها هذا الذي أصاب الإعلام العربي بسقوط شيرين أبو عاقلة مضرحة على أرض وطنها برصاصة من قاذف هتلري التربية الإسرائيلية.

وتكراراً نقول إن رموز الحرب والمواجهة أضاعوا فرصة أبدأها قادة تصرفوا وكما لو أنهم القوة الدولية الثالثة على نحو ما كانت عليه تجربة حركة عدم الإنحياز في ستينات القرن الماضي، وأثبتوا بعدم التجاوب أنهم في تجاهلهم وعنادهم وإصرارهم على مواصلة المواجهة قصفاً من الجانب الروسي وتدعيماً عسكرياً وإعلامياً وعقوبات من الجانب الأميركي _ الأوروبي بالتوليفة الأطلسية أنهم في بعض جبناتهم السياسية على جانب من الهتلرية. ومن هنا الإستغراب لإحتفالياتهم بالإنتصار على الفوهر ونازيته ونازييه. وفي أجواء الشعر العربي قول أحدهم مع بعض التعديل: "لا تُنه عن جرم وتقع مثل.. عار عليك إذا فعلت عظيم".

ثم إن ذكرى بضعة ملايين رُهِقت أرواحهم في الزمن الهتلري تستوجب بدل النفخ في سكير الحرب والتي هي بالصواريخ التي طالما تعاضم التباهي بها في زمن الحرب

على العراق، إقامة صلوات على أرواح تلك الملايين الذين قضوا كما حال ضحايا الحرب الروسية تنفيذاً الأطلسية تمويلاً وعقوبات، ونشر ثقافة التسامح والتمنية وبحيث تكون لكل دولة رؤية كتلك التي أطلقها ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وباركها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان الذي أفرحت سلامة الفحوص التي أجريت له قبل بضعة أيام الملايين المغاثين من قوافل نجدات مركزه للإغاثة والأعمال الإنسانية ومن رعايته لحالات صحية مستعصية وتجد نجاحاً لها وأحدثها التوجيه بنقل توأم سيامي يماني لإجراء عملية الفصل له.. ومن دون التوقف عند هذا يماني ومتفهم وهذا يماني حوثي ومتجني.

عند التأمل في رهن الحرب الروسية _ الأطلسية خاب الأمل من جانب الرأي العام في كل دول العالم من القطب إلى القطب بالقيادة الذي ما زالوا على عنادهم يواصلون إشعال أجواء طمأنينة العيش بسلام نيراناً من كل نوع وبحيث من لا يطلق صاروخاً فإنه يقذف كلاماً وتحديات أشبه بالصواريخ. وها هي المحنة متواصلة للشهر الرابع على التوالي. بدل أن يكتفي الرئيس بوتين بورقة القدرة على أن يبدأ المواجهة ويكتشف أن ليس بالضرورة أن يكون الذي يبدأ هو الذي يحسم، فإنه مقتنع بأن باء الكرملين (الحرف الأول من إسم بوتين) عليه إنتزاع باء البيت الأبيض (الحرف الأول من إسم بايدن) وهو مقتنع بأن فوزه في ذلك يحقق له تمديد الرئاسة إلى ما هو أكثر من ولاية أو إثنين في الحد الأدنى كما الحال في الولايات المتحدة.

ومرة أخرى نرى إمكانية فرصة حل يحفظ ماء الوجه في قمة العشرين التي تستضيفها أندونيسيا في جزيرة "بالي" في نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل. هناك سيتلاقى الغاضب مع المغضوب منه مع المغضوب عليه. هناك سيكون صانعو السلام على موعد مع وقفة متعقلة إذا هم أرادوا، تشبه وقفهم في قمتهم التي إستضافتها المملكة العربية السعودية (دورة 2020) وتزامنت الإستضافة مع ذكرى تسعينية اليوم الوطني. وهناك سيقول كل منهم بألسنتهم ما هو متراكم في قلوبهم. وكل من المشاركين في تلك القمة في نفسه مرارة وعلى لسانه كلام يجب أن يقال علّه يمسح عتباً إستقر في أعماق النفس.

جو بايدن. فلاديمير بوتين. شي جينبنغ. بورييس جونسون. ايمانويل ماكرون. الأمير محمد بن سلمان بن

عبدالعزیز تحت سقف اندونيسي مع بقية الأربعة عشر كوكباً رئيسياً الآخرين الذين هم أعمدة خيمة الاقتصاد العالمي الذي بدأت المكابرة الروسية _ الأطلسية تنزل خزائن عُملاتها وأرقام ميزانياتها.. زلزالها. الكل يرى أن عليه أن يتقاضي ما هو أشد هولاً من الحرب التي بدأها أحدهم الرئيس فلاديمير بوتين من منطلق أن هذه فرصة روسياه لتعويض المهانة والإستهانة ولرسم خارطة جديدة للمسار العالمي لا تكون فيها الزعامة والقيادة والعملية حكرًا على طيف واحد، وإنما بتقاسم العالم شرقاً وغرباً والمباشرة بحل كل ما هو معلق عن سابق تصميم من الحالات والأزمات بدءاً بالتسوية المؤجل تنفيذها عن سابق تصميم ونعني بذلك الموضوع الفلسطيني _ الإسرائيلي تداركاً لما قد يكون ذات يوم أعظم وتشهد المنطقة العربية التي لا غنى عن نفطها وغازها، حرباً كتلك التي بدأها الرئيس بوتين في أوكرانيا وينفخ في نارها ويغذي شرايين إستمراريتها الرئيس بايدن ورفاقه الأطالسة. والله الهادي من بات عليه أن يهتدي إلى سواء السبيل الواعي في حُكم البلاد والعباد.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 16 مايو (أيار) 2022

وطن على مشارف التعافي

في ضاحية لبيروت غير تلك الضاحية التي كانت وربما ستبقى مع تعديل جذري عاصمة الكيان الحزبي المسلح أو ما درجت تسميته "دولة حزب الله"، سجل المجلس البلدي فيها خطوة نوعية على صعيد التوجه الوطني، تتمثل في أنه منع تعليق اللافتات الانتخابية وصور المرشحين على أنواع إنتماءاتهم وتحالفاتهم، مع ملاحظة أن ساكني هذه الضاحية ملاكو منازلهم وهم مزيج يضم الكثير من المتعاطفين مع الولاءات السياسية والحزبية. ولكن المجلس البلدي إرتأى أن تكون هذه الضاحية غيرها عن الضاحية التي تستأثر بها "دولة حزب الله" وغير الضواحي الصغيرة الكثيرة في العاصمة بيروت الغارقة منذ ست سنوات في أحوال بالغة الصعوبة. فقد إمتلأت الجدران بصور المرشحين وكثرت اللافتات. وبدت العاصمة وكما لو أنها حلبة يتبارى على أرضها

ملاكمون، وكل يبغي وصلاً بمقعد في برلمان الوطن المتوَعك. وكانت وسائل التواصل الاجتماعي إلى جانب المرئي والمسموع تضيف إلى الضجيج الإنتخابي المزيد من الآمال والتوقعات. لكن نسبة فقدان الأمل بتغيير الوضع عموماً من حال سيء إلى حال أقل سوءاً، بقيت ضئيلة حتى اليوم الإنتخابي (الأحد 15 مايو/ أيار 2022) المعقودة عليه الآمال المنقوصة الحسم.

وعلى نحو سحابة ماطرة ولو لدقائق في فصل شديدة حرارته أفرزت نتائج الانتخابات بشائر لم تتدرج في التوقعات. بعض الذين كانوا مطمئنين إلى الفوز لم يفوزوا. وبعض الذين خاضوا السباق غير مطمئنين إلى الفوز حققوا فوزاً أعجوبياً.

لم تعد المعادلة كما الحال من قبل. وبدأت ملامح التراجع المتدرج للأمر الواقع السياسي والحزبي تلوح في الأفق، وباتت الثوابت عرضة لتعديلات لا بد منها، تعديلاً يتلوه تعديل، بدءاً باستبدال ورقة السلاح بورقة تطوير المناطق، واستبدال ورقة الشحن المذهبي بورقة التعاون الطوائفي، وورقة استخدام بعض العاصمة ملاذاً للحالين بالتغيير الثوري في بلادهم بورقة تعويض الوطن واجباً لم يقوموا به واستبدال التعبئة بحيث لا يعود الغرض من هذه اللافتة أو "البوستر" بمعنى الصور المضخمة إستقزاز طيف مسالم من جانب طيف إقتدروه سلاحاً وشحناً مذهبياً.. أي بمعنى آخر إخلاء بيروت من منطقة مطارها المأمول تشييط حركته بعد المفاجأة الانتخابية المتواضعة إلى منطقة مرفئها الذي يحتاج إلى وقفة ضميرية يؤديها كواجب كل من عطل التحقيق بأكثر من وسيلة، من ظاهرة اللافتات والصور غمزاً أحياناً وبصريح النية في بعض المناسبات. إخلاء على نحو ما فعلت الضاحية المسماة "مار تقلا" التي سكانها من كل الطوائف اللبنانية ولكن من دون أن تميز بين هذه وتلك. والتي لا تجرؤ غزوات الدراجين الهتافين بما لا يخدم جوهر طائفتهم على حرق أعلام الغير الأخ في الوطن وتأدية العروض الإستقزازية في شوارعها الكثيرة النظافة والمخضرة على مدار السنة. بورك مجلسها البلدي.

الآن هنالك ملامح وطن كان حتى الإستحقاق الإنتخابي وما إنتهت إليه مفاجآت اللبناني في الإغتراب قسراً وللبناني الصامد مقهوراً في بلده، على شفير التهاوي بعد ذبول تداركه الشقيق الخليجي فنشط منسوب النقاول، وبات على حافة التعافي.

الذين إقترعوا بصماً مطالبون بالتكفير عن تبصيمهم دونما مساءلة العقل والضمير والمصلحة الوطنية ومستقبل الأجيال. والذين بالغوا في الشحن المذهبي مطالبون بكثير من التهذئة لمحازبيهم الذين هم ضمناً بعد نتائج الإستحقاق الإنتخابي ليسوا كما الحال قبل ذلك.

بعد الآن لا فضل للبناني على آخر إلا بقدر الحرص على الوطن وعلى العيش المشترك وصون الخصوصية الطوائفية التي تستحق أن تكون وروداً متنوعة في مزهريه واحدة.

عدا ذلك يكون التعامل مع الوطن عقوقاً يصل إلى مرتبة الكفر.

في مرات مضت كثرت الدعوات إلى الحوار حلاً للمأزق اللبناني. وكانت تتعقد جلسات ولكنها تصطدم بالنوايا غير الطيبة. وهذا كان بسبب الوضع السياسي فالحزبي المرتبك والذي بسببه لم يقطف اللبنانيون ثماراً طيبة من الخطوات الحوارية، ربما لأن مصلحة بعض المتحاورين كانت رهن ولآءات أو إرتباطات خارجية. الآن وفي ضوء إخفاقات حدثت ودفع فيها لبنان الوطن والمواطن أثماً تصل إلى مرتبة الويلات، تبدو الحاجة إلى الحوار المتوازن ضرورية. ذلك أنه في ضوء الإستحقاق الإنتخابي على رغم تواضع نتائجه، لا يعود الصوت الممانع يعلو على الصوت الآخر. وفي هذه الحال فإن أموراً كثيرة ستسلك مسلك المنطق عوض الأمر الواقع.

ليس من باب التفاؤل فقط يجوز القول إن لبنان على حافة التعافي وإنما من وهج الأقوال الرسولية الطيبة بأن حب الوطن من الإيمان وأن الخروج عنه عقوبة. ولقد دقت ساعة إستعادة وطن كان على أهبة التهاوي ثم ها هو على مشارف التعافي. والله الغفار والمجيب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 19 مايو (أيار) 2022

ما تمنيته له "السيد المقاوم"

و له "الأستاذ الآمل"

هذا النحو من الكلام الذي صدر عن أولياء أمور

الصفحة الأخيرة في كتاب ليس واضحاً أمر طيه، وهل تكون النهاية أقل مأساوية من الذي جرى في العراق أو مثيلة لها.

ما يعنينا قوله هنا هو أن إعادة النظر في الحد الأعلى وتعديل الخطاب وأسلوب المخاطبة في الحد الأدنى هو ما كان رموز العمل الحزبي والحركي والنيابي في لبنان مطالبين به من قبل وبالذات بعدما تقرر إجراء الانتخابات البرلمانية. وبصرف النظر عما إذا كانت خشية أسياذ تلك التنظيمات الحزبية من وقفات تأمل ومساءلة النفس تحدث في صفوف المحازبين وتصل إلى حد التبعض على نحو ما أوردناه كأمثلة وأصاب تشققات تبعثها إنشاقات، فإن عدم مكاشفة الناس من قبل أن يبدأ الإستحقاق الإنتخابي وعلى نحو ما قيل إضطراراً بعد إعلان النتائج وما أحدثته بعض الأرقام والوقائع من صدمات، كان سيعكس إنطباعاً بأن أولئك الأسياذ يريدون التكفير عن تصدعات حدثت في المجتمعات اللبنانية الطوائفية وأنهم يريدون من الناس المغفرة وإعتبار الإستحقاق الإنتخابي إختباراً مثل الفحوصات الطبية والمخبرية والتي في ضوء نتائجها يأتي الدواء لمعالجة الداء.

من هنا فإن ما قاله الأسياذ أولئك بعدما وضعت العملية الانتخابية الأوزار فجاء تبعاً لذلك وفي ضوئها بعض الحق والحقائق والتفاوت خيراً بزهور الباطل بكل ما حفلت به خمس سنوات ختامها بعد خمسة أشهر... من هنا إن ما قالوه يترك في النفس بعض التفاؤل يمهّد وبالتدرج والإفصاح بنسبة من الضمير عما جاء في بعض الأقوال إلى أن مفردات النصح والتهذئة وعدم التطاول على الآخرين تحتاج إلى المزيد من التذكير والتركيز عليها في كل إطلالة تلفزيونية أو خطبة من على منبر أو تصريحاً لوسيلة إعلامية، وذلك من أجل نشر أجواء الطمأنينة التي تكتمل فصولاً عندما يأخذ المتابعون بالحكمة الإلهية التي تؤكد على أن كتاب الله هو الذي يحكم بين الناس وليس "حزبه" ولا مشروع هذا الحزب. وتؤكد أيضاً على أنه لا إكراه للرعية في الإقتراع وإبداء الرأي، إذ عندما يكون لا إكراه في الدين كما المبدأ الإلهي، فإن الإكراه في الإلتزام بالأمور الدنيوية الصادرة من البعض مثل فرائضية الإقتراع لطيف في حد ذاته وهذا إفتاد لجوهر العملية الانتخابية التي أساسها حرية الإختيار وليس إجبارية ولطيف دون آخر.. إن مثل هذه الإكراه يناقض جوهر المبدأ الإلهي. ومع ذلك حدث الإكراه

القوى الحزبية بتنوع كياناتها، بعدما وضعت العملية الانتخابية أوزارها الثقيلة الوطأة على نفوس اللبنانيين، أمر يُحمد عليه قائلوه وبصرف النظر عن الجهد الذي بذله كل من هؤلاء لترويض مقاصده من بعض العبارات كي لا يفسر الجمع الشعبي على أن سيد الحزب كما رئيس الحركة كما صنوه رئيس القوات فرنسيس التيار ورأسّي أرث الجد والإبن ومع هؤلاء بعض المحلقين في الكوكب الحريري وهنت عزائمهم، وأن ما يقوله كل منهم من شأنه أن يترك في النفس وقفة تساؤلات في الحد الأدنى وخيبات في الحد الأقصى، فيصيب بالتالي الكيانات التي يتزعمها هؤلاء ما منيت به حركات مقاومة فلسطينية وأحزاب وحركات عربية حيث على سبيل المثال باتت حركة "فتح" ومن قبل رحيل سيدها ياسر عرفات "فئحات" لكل طيف "فئحه" بتسمية منمقة يختارها قبل أن يغادر عاتياً أو مصدوماً أو إلتحاقاً بنظام ثوري عربي يحتاج إلى ورقة فلسطينية في مشروعه لغرض في نفس أمارة بالترعم الأبعد مدى العابر حدود وطنه. كما أصاب التبعض التنظيم الثاني الأهم في الفضاء الفلسطيني المقاوم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" وفي حياة سيدها الدكتور حبش الذي عندما رحل كان تنظيمه بات "جبهات"، شأنه شأن الشجرة العقائدية الرائدة "حركة القوميين العرب" التي كانت "الجبهة الشعبية" غصناً منها والتي رحل رموزها وأحدثهم الدكتور أحمد الخطيب. ويحضرنا هنا قول المثلث العقيد محسن إبراهيم على كثرة الإنقسام المشار إليه "إن محسن إنشق عن إبراهيم وأحمد إنشق عن جبريل ونايف إنشق عن حواتمة وهاني إنشق عن الهندي ووديع إنشق عن حداد وأحمد إنشق عن الخطيب وغسان إنشق عن كفاني وصالح إنشق عن شبل وحامد إنشق عن الجبوري وبسام إنشق عن الشريف". وإلتحق الزويعيون بعدما إرتحل سيدهم الذي يحمل رتبة "الزعيم" بالموكب الإنشقاقي وبذلك بات حُلم هلالهم الخصيب بعيد المنال وباتت النجمة قبرص مثبتة دستورياً بين اليونان وتركيا.

بات رموز المقاومة الفلسطينية في ذمة الله وبات إرث الإنقسام على حاله. ثم لم يثمر إمساك حزب البعث بالسلطة في كل من العراق وسوريا في تقديم تجربة حزبية مستقرة في العالم العربي، بدليل إنتهاء البعث في العراق إسقاطاً وسجناً وشنقاً وإجتثاثاً وشتاتاً في المنافي العربية والدولية. وأما البعث في سوريا فإنه بضعة سطور من

وسلوياً وطريقة عيش.

ومن يعنيه ذكره دائماً بالخير يفعل ذلك.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 25 مايو (أيار) 2022

* * *

حكام يأكلون الحصرم

ومحكومون يضرسون

في مطلع سنوات الحصار الاقتصادي والعقوبات الدولية على العراق بدءاً بحرب بوش الأب ثم بنسبة أكثر قسوة في زمن بوش الابن لجأ الحكم الصدامي إلى تحفيز العراقيين على الإهتمام بالزراعة وتخفيف إتكالهم على عوائد الثروة النفطية. ولقي هذا التحفيز تجاوباً متدرجاً من العراقيين، وفي ضوء ذلك حدثت خطوات على طريق الهجرة المعاكسة بمعنى هجرة البعض من أهل المدن إلى الريف والإهتمام بالأرض يزرعونها ويعتاشون من محاصيلها.

لم تكن هذه الهجرة المعاكسة وطأة الحصار والعقوبات على أنواعها لكنها قلصت تداعياتها وحفظت لعائلات كثيرة كراماتها، فضلاً عن أنها بعثت إهتمامات غيبها النعيم النفطي عن واجب الإهتمام بالأرض والزراعة والعناية بالشجر يجني البشر ثماره. وبالتالي إنحسرت مشاعر الضيق من الأحوال العامة بما خفف عن النظام بعض الأثقال.

كان يمكن لظاهرة الهجرة المعاكسة من المدن إلى الريف أن تثمر أكثر لو أن العراق عاش حقبة من الاستقرار وهذا ما كان يتمناه الناس، لكنهم لم يدركوا النسبة البسيطة منه. وهذه أحوال العراق تشهد على أن الاستقرار المنشود بعيد المنال لكثرة إنسداده السياسي القريب الشبه من الإنسداد الغارقة في كل من ليبيا وتونس والسودان.

مناسبة هذا الإستحضار لواقعة لم تأخذ مداها الأرحب ونعني بذلك عودة الناس إلى الأرض التي تركوها ليستقروا في المدن يعتاشون من راتب الوظيفة بدلاً عن عائد محاصيل الأرض المزروعة قمحاً وحبوباً وخضاراً والأشجار التي تثمر ما لذ وطاب من الفاكهة، أن العالم

وكانت حالاته لا تدعو إلى الطمأنينة بدليل أن مفردات خطابهم في ضوء النتائج الصادمة نسبياً تؤكد ذلك. وهذا يجوز التساؤل: أليس كان الأكرم تضمنين الحملة الانتخابية طمأننة الرعية من قبل أسياها بأن يمارسوا الحق الإنتخابي إختياراً وليس إكراهاً، وإستبدال الترهيب بالكلام الذي يندرج ضمن جوهر الكلام الذي قيل بعد إعلان النتائج. فما دام ممكناً هذا الذي قيل تبريراً لصدومات إنتخابية لم يخطر في البال حدوثها، لماذا لم يسمعه المحازبون وسائر اللبنانيين قبل ذلك وعندها تُجرى الانتخابات على نحو ما تُجرى في دول يتبادل الحاكم مع المحكومين إحترام الرأي، ويصبح الإقتراع في هذه الحال بمثابة إستفتاء على المصير.

خلاصة القول إن في طيات العملية لو حدثت عبرة ودعوة إلى كلمة سواء تقال. الكتب السماوية هي التي تحكم بين الناس والتي تؤكد على أن لا إكراه في أن تقال كلمة الحق من جانب الإنسان إختياراً وليس قمعاً لفظاً وإفتعال عراك وصلوات دراجية ليس فيها ملمح بسيط من الأصول كما من الشجاعة.

للتمنيات نحو كبار القوم الإنتخابي اللبناني بقية. لكن يبقى ما يتمناه المرء لـ "السيد المقاوم" هو إعتبار كلامه بعد إعلان نتائج الإستحقاق الإنتخابي الذي كان صامداً له، بداية نهج جديد في التخاطب وفي إضفاء الكثير من اللبنة على خطابه مع أنفاس عروبية.. هذا إذا كان لا يريد إصابة مقاومته بما أصاب حالات مقاومة ونضال حزبي على مدى نصف قرن مضى وذلك لأنه كما لا إكراه في الدين كذلك لا إكراه في إرادة الناس. وعندها سيقال إن المقاومة كانت بوجهين. أدت الدور العسكري وعليها بعد اليوم أداء واجب المشاركة في إعادة ترميم الوطن بدءاً بالإكثار من الكلام الذي يحسن عوض الكلام الرعدي المزمجر الذي كان في إستمرار يجنن يصدر من حناجر البعض وكأنه قذائف نارية. ولكي لا يكون الأمر تعميماً فإن "الرئيس الأملي.. العاملي" كان نبياً ومنتبهاً فلم يصدر منه على مدى ربع قرنه الترتيسي سوى الكلام الذي يروم منه جاهداً بلسمة جراح الحليف الشريك العميقة من دون أن تُشفى تماماً.

وأختم بالتمني لو أن الرئيس نبيه بري إقتبس من الجنرال شارل ديغول قراره عندما رأى أن لا إجماع عليه فأثر الإبتعاد إلى قريته الصغيرة وبقي فيها في الظل مكللاً بوهج تاريخي حظي بمثله الجنرال الآخر فؤاد شهاب قراراً

العربي في معظم أقطاره بدأ يعيش أزمة غذاء سبقت ببضع سنوات التطورات الناشئة عن الحرب الروسية على أوكرانيا والمستمرة للشهر الرابع بين كل من الطرفين الروسي من جهة والأطلسي من جهة مقابله إخضاعاً لإرادة الآخر. وأحدث هذه التطورات أن ورقة الإخضاع عسكرياً من جانب الرئيس بوتين بدأت تتراجع بعض الشيء لتحل محلها ورقة الإخضاع الغذائي. وهذا أمر غير مسبوق في تاريخ التعامل الروسي مع العالم الخارجي. فما إعتاد المجتمع الدولي عليه من الكرملين ماضياً في زمنه الماركسي هو أن ما يمكن تقديمه هو السلاح لهذه الدولة أو تلك، وكذلك المساعدة تقنياً في إقامة مصانع. ومثل هذا الأمر عاشه العالم العربي في الخمسينات عندما كان تقديم السلاح إلى مصر عبدالناصر هو في إستطاعة الكرملين تقديمه، فضلاً عن مساعدة مصر في بناء مصانع إنتاجية أبرزها للحديد والصلب في حلوان القريبة من القاهرة ثم المساعدة الأكثر تقدماً المتمثلة بإنشاء السد العالي في اسوان.

تلك كانت الورقة المرحب بها من روسيا أيام الحكم الشيوعي ولقد أفادت بعض الأنظمة لجهة التسليح إلا أنها عدا ذلك لم تحقق أي فائدة. ثم يأتي الرئيس بوتين ويرفع إلى أعلى الدرجات ورقة المساعدة عسكرياً بدخوله ميدانياً حلبة الصراع الدولي على سوريا حيث أقام قواعد على الأرض وعلى الساحل وبات للسلاح الجوي الروسي دوره اللافت في حلبة الصراع تلك. ومع أن التورط السوفياتي في أفغانستان حاضر في ذاكرته إلا أن الرئيس بوتين أثر أن يمارس مغامراً الدور نفسه في سوريا ثم يطور ورقة السلاح إلى حرب ما زال يخوضها لإحراج الولايات المتحدة وحليفاتها الدول الأعضاء لحلف الأطلسي من خلال إخضاع الدولة الأوكرانية. وهو عندما وجد أن تقديراته للموقف إختلت وباتت الحرب التي بدأها غير محسومة النتائج وغير محددة الإستمرار، أخرج من صندوق الحاوي (تشبيهاً) ورقة الغذاء أخذاً في الإعتبار أن الشعوب الأوروبية والعربية وعموم دول العالم ستكون إما إلى جانبه أو في الحد الأدنى ورقة ضغط على الطرف الآخر لكي يتصرف في موضوع الحرب الروسية _ الأطلسية على أوكرانيا بما يحفظ كرامة الدولة الكبرى روسيا.

ما نعينه ب ورقة الحاوي الروسي هي رفع العقوبات الدولية على نظامه مقابل تصدير القمح والذرة والغاز

والأسمدة وسائر المنتجات الزراعية وهو يسحب هذه الورقة في الوقت الذي بدأ الأنين الشعبي العالمي من تداعيات الحجب الروسي للغذاء والغاز على أهبة أن يصبح صرخات من جانب شعوب عربية تعاني بين اليوم والآخر أزمة خبز لأن القمح الروسي وبالتالي الأوكراني وسائر المحاصيل الزراعية ومنها الذرة محجوباً طوعاً رداً على قرارات العقوبات الأطلسية. كما يتعالى منسوب الضيق من مفاعيل أولية لحجب الغاز وما سيقترتب على ذلك من ضائقة حادة لمستعمليه وبالذات مواطنو الدول الأوروبية.

بعد صيغة "حفظ ماء الوجه" التي لم تلق التجاوب الأميركي _ الأطلسي لتكون تسوية يعقبها حل مستديم للصراع، ها هي ورقة الحاوي الروسي (رفع العقوبات مقابل الغذاء والغاز) برسم التأمل. رد الفعل الأولي عليها وبالذات إعتبارها "قضية مرفوضة" على نحو تصنيف وزيرة الخارجية البريطانية لا تفي بالغرض ولا ترضي حتى الشعب البريطاني المستمتع طهياً ودفناً وإضاءة بالغاز الروسي ولا ترضي عشرات الملايين في دول العالم ومنها شعوب بعض الدول العربية التي تخشى من شبح الجوع يقترب من أبواب ديارها. ولنا في أعقل رؤى إقتصادية ما قيل من على منبر منتدى دافوس قبل أيام وما جرى من أحاديث في كواليس المنتدى حول شبح الجوع الذي قد يقترب من مجتمعات كثيرة نتيجة أزمات الغذاء عموماً الناشئة عن تقلبات بالغة الخطورة في المناخ، وعن أزمة حجب القمح والحبوب على أنواعها وكذلك الغاز من بوتين الذي يحارب أوكرانيا بكل أنواع السلاح التدمير والرد عليه من الرئيس الأميركي بايدين بثبات المساندة للنظام الأوكراني بأمل أن تحقق هذه المساندة إحراجاً معنوياً في عمق مهابة الرئيس بوتين لأنه على نحو ما تروج له التنظيرات الأميركية _ الأطلسية يتطلع إلى تعظيم شأنه دولياً وإلى حد تقاسم زعامة العالم مع الولايات المتحدة وقبل أن تستكمل الصين مقومات هذه المكانة وتسبق روسيا إليها.

في ضوء هذا الصراع الذي على ما يبدو سيطول وسيقترب الجوع وضيق العيش عموماً أكثر وأكثر من بعض المجتمعات يأتي إستحضارنا بما فعله العراق وكيف أن صيغة "النفط مقابل الغذاء" التي دامت سنوات طويلة بصيغة قرار أممي عام 1995 كسلاح إخضاع وإذلال للعراق الشعب والنظام على حد سواء، أوجبت

جنوحاً إيجابياً نحو الاهتمام بالحقوق رداً على ميادين المواجهات الحربية، ستكون برسم الإقتباس بعد اليوم لمجتمعات كثيرة على مستوى العالم وهو ما من حق الشعوب على حكامها الأخذ به كإستراتيجية. ومثل هذا المنحى يتجلى في خطوة بالغة الأهمية أستوقفتنا ونحن نتأمل في التغطية المبهرة من جانب الصحف المصرية الصادرة يوم الأحد الماضي (22 مايو/ أيار 2022) لإفتتاح الرئيس عبدالفتاح السيسي مشروع مستقبل مصر للإنتاج الزراعي. وكأنما الرئيس المصري يستيق ما في طيات الأزمة الدولية من مفاجآت فيقرر وبسواعد الجيش المصري إلى جانب القوى العاملة التقليدية البدء بزرعة مليونية الفدادين من شأنها إبقاء مصر التي يقترب تعدادها من المئة وعشرين مليوناً في رحاب الأفق الغذائي.

هدى الله بوتين والجمع الأطلسي وبورك إستباق الرئيس السيسي بالزرع الذي يجعل الملايين من المصريين يأكلون من خيرات أرضهم ما دام هنالك رئيس روسي وآخر أميركي ومعه رفاق أطالسة مستعذبين من خلال لعبة الحرب وورقة "الفدية" لرفع العقوبات مقابل الغذاء والغاز، أكل الحصرم من دون أن يعنيه أمر الذين يضرسون.. وهم بالمليارات في دول من القطب إلى القطب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 1 يونيو (حزيران) 2022

عن فلسطين الدولة الرباعية الأبعاد الدينية

من منطلق حُسن التربية الدينية في المجتمع الفلسطيني العربي المسلم والمسيحي على حد سواء، إفتراضنا أن الإسرائيليين حكومة قبل الرعايا سيتعاملون مع الواقعة المؤلمة التي أصابت الضمير الإنساني بنذبة لا ندري متى شفأؤه منها والمتمثلة بإغتيال الإعلامية الفلسطينية الحاضرة في ذاكرة متابعي التطورات في الأراضي الفلسطينية المحتلة من خلال فضائية "الجزيرة" وكيف أن معالجة شيرين أبو عاقلة للتطورات كانت في إستمرار في رحاب الإعلام المتزن الذي يروم المعرفة والحقيقة. وهي في ذلك لها مكانتها وتقدير المتابعين

لإطلاالاتها بمثل التقدير من النسيج نفسه لخمسة إعلاميين فقدناهم قبل أسابيع بعدما لم يصل صمودهم أمام المرض الذي لا يرحم إلى شاطئ التعافي وهم الإعلامي السعودي محمد أحمد الشدي، و"النهارى" رياض نجيب الرئيس الناشر بعقلية دور النشر البريطانية، وعبدالكريم أبو النصر "النهارى" الآخر في السبعينات عبوراً إلى "الشركة السعودية للأبحاث والإعلام" ناشرة "الشرق الأوسط" ومجلة "المجلة" ومجلة "سيدتي" ومجلة "الرجل"، وصلاح منتصر الذي طالما كان عطاؤه في صحيفة "الأهرام" ثرياً من حيث البراعة في ترويض ما خفي من الوقائع المحبوبة لدواع موضوعية وتقديمها لقارئ الصحيفة التي تزداد عراقة ومن دون أن يتسبب في أي خدوش معنوية لمن رحلوا من أهل الحكم بحُقه الثلاث الناصرية والساداتية والمباركية.. وكذلك لمن يواصلون الدور السياسي في المحروسة مصر.

بعد رحيل رفيقي سنوات "النهار" رياض الرئيس وعبدالكريم أبو النصر ثم صلاح منتصر الزميل والصدى على مدى علاقة عقدتين ربطتني بـ "الأهرام"، يباغتني كما كوكبة من "النهاريين" المخضرمين وكذلك الذين واصلوا من بعد إغترابنا الأوروبي نشرًا وتأليفًا الحفاظ على ما يتيسر الحفاظ عليه من بريق السُلطة الرابعة في الوطن الصابر على الإجتياحات، رحيل الزميل والصدى راجح الخوري أحد الذين تحتضنهم صحيفة العرب الدولية "الشرق الأوسط" يواصل من خلالها إلى جانب مقالاته "النهارية" تفسير أَلغاز الصراعات السياسية اللبنانية للأشقاء العرب وللبناني البعيد عن الوطن من واشنطن إلى القدس حيث عبث بعض قليلي التربية من الجيل المعاصر لجيل إحتلال فلسطين العربية المسلمة والمسيحية، بمناسبة تستوجب الإحترام إلى درجة الصلاة، ونعني بالمناسبة جنازة زميلتنا الفضائية شيرين أبو عاقلة حيث حاول البعض من أولئك العابثين الإساءة إلى التابوت المسجى فيه جثمان إنسانة كانت في تغطيتها للأحداث من خلال واجبها الإعلامي حريصة التركيز على ما سبق وقررتة الدول العربية وهو السلام العادل الذي بموجب إعتقاد المبادرة العربية يعيش الجميع في خيمة تمتد من البحر إلى النهر ومن الجليل إلى غزة متجاورين متسالمين وبالتالي سالمين، فلا تتطور الأمور إلى أن تحدث ذات زمن هجرة معاكسة لليهود من فلسطين إلى الديار التي أتوا منها، تتلوها عودة الفلسطينيين من

ملاذات اللجوء الذي دخل عقده السابغ إلى رحاب وطن الآباء ورثوه من الأجداد. وتبدأ عند ذلك حقبة جديدة من الصراع.

وما هو أكثر أسفاً من محاولة عبث البعض وعلى مرأى الأمن الإسرائيلي، أن رموز السلطة في إسرائيل لم يكونوا عند حُسن التوقع بأن حادثة إغتيال شيرين أبو عاقلة تستوجب وقفة إعتذار من قمة السلطة الإسرائيلية من نوع إعتذار وتقديم مواساة الرئيس جو بايدن ثم بعد ذلك المحاكمة والإدانة لرجل الشرطة الأميركي الأبيض الذي أزهق روح أميركي أسود. لكن تلك السلطة المتعالية لم تمارس الأصول ولم تتوجه بزيارة ذوي الفقيدة تعتذر منهم. وغاب عن رموز الحكم الإسرائيلي كيف أن الجانب الفلسطيني وعلى مستوى رئيس السلطة الوطنية وقبل ذلك الرئيس المصري حسني مبارك مارساً أرقى أصول تقديم التعازي في مناسبات إسرائيلية تستوجب التعزية بها إحداها التعزية بإسحق رابين.

كذلك ما هو مدعاة للحزن بعد رحيل شيرين أنه كان هنالك التوقع بأن يؤدي الرئيس جو بايدن وقفة عزاء بمثل وقفته لإحتواء فاجعة المدرسة التي ستبقى ندبة في جبين مجتمع أهل القرار الأميركي والتي فيها بعض أوجه التشابه بالندوب التي إرتبطت بالدور الحربي الأميركي في العراق وكيف أن ألوف الأطفال بأعمار أطفال وفتية المدرسة الأميركية المنكوبة قضوا تحت ملجأ العامرية الذي إحتواهم مع بعض الآباء والأمهات والجدات والأجداد بأمل النجاة من القصف وهم في بيوتهم أو مدارسهم أو خلال وجودهم في الملاعب. ومثلما أن الرئيس بوش الأب لم يعتذر عن فعله الصاروخي الذي أحدث حالات من التفحم في ملجأ العامرية، فإن الرئيس بايدن لم يبادر إلى وقفة أسى عميق تجاه ما حدث لمواطنته الفلسطينية _ الأميركية شيرين أبو عاقلة التي حدث إغتيالها قريب الشبه من إغتيال الرئيس جون كينيدي، مكثفياً بما عبّر عنه بعض المسؤولين في إدارته ومنهم وزير الخارجية انطوني بلينكن الذي عزى في سياق تصريح طالب فيه بضرورة إجراء تحقيق فوري واصفاً شيرين بأنها "محترمة جداً في العالم أجمع".

بقدر الحزن الوجداني على زملاء تسببت أحوال الأمة وما تعيشه من صراعات حزبية وحالات من الفساد المستشري في عدد كبير من أقطار الأمة وطغيان سلاح الباطل روسياً على أوكرانيا وإسرائيلياً _ دولياً على

فلسطين وإيرانياً _ تركيا على سوريا والعراق وليبيا ولبنان، في ضغوط نفسية ثم صحية عجلت في رحيلهم، بالقدر نفسه يعتز المرء بالتكريم الذي لقيته شيرين أبو عاقلة من بني قومها ومن أصفياء الضمير في العالم، فضلاً عن أنها جسدت بإستشهادها جوهر التكوين المسلم _ المسيحي للشعب الفلسطيني، إضافة إلى أن جنازتها ورغم بشاعة التعامل من جانب عناصر إسرائيلية معبأة حقداً وعنصرية مع التابوت المحتضن بالعلم الفلسطيني وبأكوام باقات الورد ذكرتنا من حيث عفوية التشييع ومشاعر المشيعين بجنازة الرئيس رفيق الحريري في بيروت وجنازة الرئيس ياسر عرفات في رام الله وقبل ذلك بجنازة الجنرال عبد المنعم رياض في القاهرة ما يعني أن للبطولة النقية وصفاء الجوهر الوطني مكانها في قلوب الناس. ولعل الصلاة على الجثمان المسجي في التابوت المقدس الذي يفوح منه شذى نسائم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وكل تربة إيمانية في فلسطين الحرم الثالث كانت التأكيد لذلك المعنى.

تطمئن القلوب في حال إكتمل رد الفعل الأميركي بحيث يعوض الرئيس بايدن عن بساطة رد فعله إزاء الإغتيال عن سابق كراهية عنصرية من جانب تعبئة العداوة المفرطة في التربية العسكرية الإسرائيلية ضد أي صوت فلسطيني متوازن، والمضي إلى لحظة الحقيقة كاملة في التحقيق الذي أشار إليه الوزير بلينكن، وعدم الإسترخاء في متابعة وإصرار السلطة الفلسطينية على حضور وشراكة دولية في التحقيق الذي نتطلع كما الجموع الفلسطينية إلى أن يصل إلى لحظته العادلة من دون مdahنات خصوصاً أن الضحية شيرين رمز لفلسطين العربية _ المسيحية _ اليهودية _ مضافة إلى ذلك جنسيتها الثانية (الأميركية).

لم تكن شيرين مثل ليلي خالد في مهمة خطف طائرة وهي تحلق في الفضاء آملة من العملية، غير المستحبة في نظرنا، المكلفة بها تنبيه العالم إلى قضية وطنها من خلال هذه العملية التي قامت بها بتأثير العقيدة الثورية الحديدية التي تقمصتها وأقنعها منظرو العمل الثوري بتنفيذها، وإنما كانت شيرين من نسيج الثورية الناعمة، يبدها الميكروفون وأمامها زميلها مصور "الجزيرة"، ودائماً عيون متابعي الفضائية شاخصة كما آذانهم لسماع تقاريرها الهادئة الهادفة كخط عام إلى الحل الذي يؤكد خصوصية فلسطين مسيحية _ إسلامية _ يهودية بطي

متأن لوعد بلفور ورؤية أميركية منطقية تستهدف تحويل كثرة التصريحات الأميركية عن الحل بصيغة الدولتين إلى تنفيذ. ويا ليت نوبل للسلام تكون من حق شيرين أبو عاقلة إلى جانب "وسام القدس" الذي أرفق به الرئيس محمود عباس اكليل الورد على جثمانها المغطى بالعلم الفلسطيني الذي تتفاقم كراهية الإسرائيلي لرؤيته مرفوعاً ومرفراً.

لعلنا في زمن لن يكون بعيداً نبداً الكتابة عن فلسطين المبادرة العربية.. فلسطين المسيحية _ المسلمة _ اليهودية.. دولة الديانات السماوية الثلاث ذات الرعاية الأميركية كي لا يستأثر بها أحد. وهذا ما رسمت معالم هذا الأمل الواعد شيرين أبو عاقلة برحيلها الذي يبقياها حية في الوجدان الإنساني. والرحمة للزملاء الخمسة الذين ننتمي كما كوكبات من الذين يواصلون الكتابة والتحليل إلى الرؤية المتوازنة نفسها، والتي هي الأقرب إلى المنال من رؤية أهل النظام الإيراني الذي يخوض مع أهل النظام الإسرائيلي صولات وجولات من التهديدات وتصوير هذا التبارز وكأن فلسطين مسألة حصر بالانظامين اللذين وضعا المنطقة في مدار عدم الاستقرار. ويكفي تدليلاً على ذلك التأمل ويتجرد في أحوال العراق ولبنان وسوريا واليمن وغزة حيث للنظام الإيراني حضوره الفاعل وقواه الضاربة. والله السميع البصير والحكم العدل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 5 يونيو (حزيران) 2022

خواطر على هامش "أوتوبيسات الأم

الحنون" .. و"سلاح العم المعاقب"

إخترقت أجواء العتمة وضيق العيش على وقع تنظيرات حزبية وحركية وتيارية ترضي كبرياء قائلها ربما إلى حين لكنها لا تبشر بأي إنقشاع لأجواء العتمة وضيق العيش، هدية فرنسية تتمثل ببضع "أوتوبيسات" للنقل وتشبه من حيث المعنى هدايا أميركية وبريطانية للجيش اللبناني، أنته فيما الجدالات العقيمة متواصلة في شأن تخمة السلاح الصاروخي الذي في حوزة "حزب الله" وليس محسوماً أمر شرعيته، ذلك أن لبنان منقسم في شأن هذا

السلاح، مع إرتفاع نسبة الصيغة التي تقضي بوضع هذا السلاح في عهدة الشرعية وتقنين دور المقاومين الذين طالما شاركوا في عروض عسكرية في وضوح النهار بحيث تكون أفواج "جيش حزب الطائفة" هؤلاء قوة نجدة لجيش وطن الجميع في حالات تستوجب القتال أو الردع... وبالذات لإبقاء ثروة الغاز الموعود المأمول تحت خط الأمان وعدم الإستلاب

ما يعنينا هنا كون أمر شرعية السلاح الحزبي المتطور وربما أكثر تفوقاً وتأثيراً من سلاح جيش الدولة، على جانب من التعقيد والذي أمر حشمه في أجنده وتطلعات المشروع الثوري الإيراني، هو هدية فرنسا التي بدت وكما أنها متلازمة مع فوز مبين للرئيس ايمانويل ماكرون بولاية رئاسية ثانية وهو فوز يعني لبنان كما لم يعنيه من قبل دور أحد من الرؤساء السابقين، وذلك لأن ماكرون أدرج وهو يتابع المحنة التي يعيشها اللبنانيون في أولويات إهتمامه فلم يقتصر الأمر على متابعة على مستوى السفير أو السفارة على نحو ما فعلت وما زالت السفارة الأميركية دوروثي شيا تؤديه، وأحدث لفتاتها المقتبسة من الحراك التراثي والفكري قبل سنتين للسفير السعودي وليد البخاري في خيمته التي هي الثانية من حيث الشهرة بعد خيمة العقيد الفدافي، إستضافتها في السفارة رسامين تشكيليين ومطربين وهدفها من ذلك "بناء الجسور بين الناس والثقافات".

وعندما نقول إن إهتمامات ماكرون لم تقتصر على المتابعة، فلأن الرئيس الفرنسي الثامن في الجمهورية الخامسة يراقب عن كثب ويتحفظ حراك النائب جبران باسيل صهر الرئيس ميشال عون الذي يتطلع إلى أن يكون رئيساً مثله بمعنى أن وصول ماكرون إلى الرئاسة كان معجزة وتجديده الرئاسة كان أعجوبة. وثمة أوجه شبه عدا عامل السن بين إطلاقات الإثنين ماكرون وباسيل كل على جمهوره.. هذا عدا الشكل والملاح.

نعود إلى موضوع هدية "الأوتوبيسات" التي بدت كما لو أنها لمناسبة الفوز الماكروني المبين بدورة رئاسية ثانية، لنقول إن هذه الهدية في أشد الحاجة إلى المهادة إليه، أي الدولة اللبنانية. فإذا كانت ستتوزع على مناطق العاصمة بيروت وبعض المناطق الأخرى من دون تأهيل مسبق، فإن ذلك سيسبب صدمة للهادي.

زيادة في التوضيح لجهة التأهيل نقول إن السائد في وسائل النقل اللبنانية من "أوتوبيسات" و"باصات" مدعاة

إلى الأسف. ولذا فثمة خشية أن يصيب "أوتوبيسات" ماكرون ما هي عليه حالة التخلف التي تعيشها وسائل النقل الراهنة.

وأما التأهيل المأمول فهو تثبيت محطات لـ "الأوتوبيسات" ذلك أن ما هو حاصل أن لا محطات كما سائر دول العالم، وحظر التدخين في هذه "الأوتوبيسات" وكذلك حظر بث الأغاني عشوائياً وبالصوت العالي وكما يختار السائق ذلك. وإلى هذا الحظر الحفاظ على نظافة الحافلات فلا تبدو وكما لو أنها جزء من شارع فيها أوساخ، والتقيّد بالأوقات المحددة لسير هذه "الأوتوبيسات". في فرنسا يستعمل الجميع وضمن الأصول "الأوتوبيسات" التي وصل عشرات منها إلى لبنان هدية من فرنسا الرئيس ماكرون أحدث الأبناء الرؤساء لـ "الأم الحنون" وأكثرهم تعاطفاً مع لبنان المكسور الخاطر من بني مسؤوليه وأحزابه وتياره و"حركته". قد نجد الوزير ومدير المصرف وعامل المقهى وناظر المدرسة وتلميذ الجامعة وسائر خلق الناس جالسين في "الأوتوبيس" بكامل نظافتهم وتأديبهم وكتبهم وصحفهم إلى جانب الأمر الواقع الإلكتروني الرفيق الذي لا يُستغنى عنه كل متوجه إلى عمله أو مدرسته أو جامعته. الجميع سواسية ومطمئنون إلى سلاسة النقل ورفقي الوسيلة التي يستعملونها. وكما يدخلون "الأوتوبيس" أو عربة "المترو" وهي في منتهى النظافة فإنهم يغادرون وقد تركوا الحافلة في أنقى نظافة. لا أوراق ترمى ولا تدخين. الإحترام واجب للأصول والممتلكات.

إذا كان لا بد من خدمة تسدى إلى المسؤولين اللبنانيين عن تسيير "الأوتوبيسات" المهداة، فهي الإشتراط عليهم أن يكون التعامل بمثل ما هو عليه في فرنسا. وإذا كان ذلك مستحيلاً تعاد هذه "الأوتوبيسات" من حيث جرى شحنها وليبقى لبنان في جاهليته على أنواعها ومنها وسائل النقل فيه التي يزداد التخلف رسوخاً في مقوماتها، حيث لا يريد أو لا يجرؤ مسؤول على تثبيت مواقف لوسائل النقل على أنواعها وبالذات "الباصات" و"الأوتوبيسات" وعلى منع التدخين في هذه الوسائل وما هب ودب من الأغاني وبالصوت العالي.

لقد مارس الرئيس ماكرون من كرم المؤازرة وصدق الإهتمام ما يستوجب الشكر. وعندما لا يكفي بالتفقد ميدانياً ويقرن ذلك التفقد بلفتة غير مسبوقة إزاء الكوكب الثاني في الشرق فيروز المسحور وزوجته بأغانيها بعد

الكوكب الأول أم كلثوم الذي سحر شجن أغانيها الجنرال ديغول، فهذا تثبيت للصفة الراسخة في ضمير اللبنانيين عن فرنسا بأنها "الأم الحنون" والتي تتأكد مشاعرهما في الساعات الصعبة التي يعيشها الوليد اللبناني الذي تزداد بنيته ضموراً فيما "العم سام" المعاقب يطره وعوداً وعقوبات وبعض ما يتيسر من السلاح لمناسبة زيارة قائد الجيش الجنرال جوزف عون إلى واشنطن ومحادثات أجراها في البنتاغون بدت كما لو أنها من موجبات التحضير لمن سيكون الرئيس الرابع عشر لـ لبنان "دولة الشيعية وسائر الطوائف الأخرى المتناثرة" .. مع ملاحظة أن هدية "العم سام" تبقى دون أهمية وفعالية سلاح "حزب الله" الذي يتطلع اللبنانيون إلى أن ينتهي أمره في ثكنات جيش البلاد. وعندها، أي في حال حدوث هذه المعجزة، لا يعود التنافر على ما هو عليه وتنحسر المفردات التي باتت مدعاة خشية لدى اللبنانيين من فقدان خصوصيته كشعب في لبنان واحد لا لبنانان. رحمة الله على الرئيس صائب سلام.

ويبقى أن هذه مجرد خواطر تتوارد في مرحلة الأشهر الخمسة الأخيرة المتبقية على إنقضاء حقبة بالغة المرارة جاوز فيها الظالمون من أولي الأمر المدى واجهها اللبناني بالصببر الجميل في إنتظار غروب الحقبة الصادمة وشروق شمس الأمل المنشود بلبنان العربي الذي تكون صيغته الطوائفية إستعادت توازنها وإستقرت على وفاق .. لبنان السائر وإن طال المدى على طريق الحياد. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 14 يونيو (حزيران) 2022

نقدة سياحية سعودية خليجية..

فتطمئن النفوس

يعيش اللبنانيون ظروفاً معيشية بالغة القساوة بينما رموز الحكم في القصرين والسراي الواحدة ومعهم رموز الحكم غير المعلن رسمياً وسائر الأطياف المرفرفة زعاماتها في فضاءات خارجية على أنواع مشاربها وتؤدي فروض الولاء لأصحاب الأجندات، غير متحسسة ما

الذي أصاب الناس من مفاعيل هذه الأجندات ينعمون بأطياب مغنم السُّلطة وودائع المغلوب على أمرهم من الشعب المستولى على حقوقه.

ولكم يبعث الأسى في النفس إلى درجة الحزن حتى الشعور باليأس هذا الذي تكابده ألوف العائلات التي كانت حتى قبل خمس عشرة سنة مضت على درجة من الطمأنينة تحققت بفعل وقفة تتسم بالنخوة والقلق الصادق على وطن له في أولويات أهل الحُكم السعودي حيز رسم معالمه الملك عبدالعزيز وقرأه أولياء الأمر من بعد رحيله بالكثير من الحرص مضافاً إلى ذلك أن نعمة الله على المملكة التي كرمها الله بالحرمين الشريفين قبل نعمة ثروة النفط رفعت نسبة الاهتمام من جانب الملوك الأبناء وتعزز بفعل ذلك الدور الذي أوصى المؤسس بإعتماده، وعناوينه الرئيسية توجزها عبارة "إمح زلهم وأقل عثرتهم وإنصح لهم وإقض لوازمهم بقدر إمكانك".

في سنوات السبعينات والثمانينات السالفة التي عاشها لبنان الذي غاب فيه الوعي عن العقول وحلت الغرائز الشريرة بامتياز وإلى درجة أن الوطن الذي له في نفوس أولياء الأمور في المملكة مكانة تتجاوز الغرض السياسي، كاد يتلاشى كصيغة هي عملياً حافظة وجوده، نجد القيادة السعودية تبتكر مسعى غير مسبوق في مدار الصراعات السياسية العربية. وهذا المسعى إكتسب الترحيب منذ اللحظة الأولى على طريق إعتماده أن المملكة لم تكن طرفاً عربياً كما أطراف أنظمة ثورية عربية تواصل ضخ المال والسلاح في الأنون لكي تتواصل الحرب الأهلية فلا ينطفئ اللهب. ثم جاء المسعى السعودي بمثابة الماء الذي يطفئ والذي كان الترحيب الشعبي الرحب بمثابة إستفتاء عليه مقرون بالأدعية أن يبلغ مداه، وبذلك تطمئن النفوس وتلتئم الجراح وتبدأ حقبة الهداية تطوي حقبة أقرب إلى الكفر منها إلى الضرورة الوطنية على نحو ما كانت عليه الأيديولوجيات من جانب أطراف الإقتتال تتطير في سماء وطن يعيش حالات من الإحتراق.

وعندما إنتهى المسعى السعودي الخير إلى "إتفاق الطائف" بعد شهر من الحوار الرحب الذي تم في ظل رعاية أخوية لا ضغوط فيها ولا شروط ولخص الملك فهد بإسم المملكة القيادة والشعب جوهر الإنجاز بعبارة "إذا كان الشعب اللبناني في خير وبحبوة إنعكس ذلك على المملكة، كما العكس صحيح"، فإن الجموع اللبنانية التي كانت ترنو إلى سماع النبأ الذي يثلج الصدور ويطفئ

بشكل نهائي جمرات الحرب، حمدت رب العالمين وشكرت أريحية المملكة ونخوتها، فليس هنالك إنجاز بمستوى إنقاذ وطن ونجاة شعب من شرور ألاعيب آخرين خارج الحدود بمقاديره.

ما كان يُخشى على لبنان في حقبة النصف الثاني من السبعينات وما تلا ذلك من سنوات الثمانينات وإلى حين إنجاز إتفاق الطائف (أكتوبر 1989)، يُخشى عليه في الزمن الحاضر أكثر، ذلك أن ألاعيب ومشاريع الأغراب راهناً أشد وطأة من ألاعيب السبعينات. وعندما كانت خشية اللبنانيين المعيشية في مستوى التحمل، ها هي بدأت تتساوى مع الخشية على وقوع الوطن الكيان بعد الصيغة في براثن لا قدرة له من دون السند العربي الذي ينجد كما نجدة الماضي في الثمانينات علاجاً لمحنة الحرب فيه بفعل تنشيط خارجي للخارج فيه على أن يزدادوا تعصباً ويضيفون المزيد من الأعمال والعمليات المكروهة خلافاً للإرادة الإلهية حول أنفس حرم الله قتلها.

ما يعيشه الوطن الصغير والمستصغر والمستضعف يفوق الوصف. ما كان بالأمس غير ما هي عليه الحال منذ خمس سنوات وعلى مدى أيام. ذبول ما بعده ذبول. ويأس لا يشبهه يأس. ولا أمل يرتجى من الذين يمسون بمقاليد السُّلطة. لا الكهرباء متوفرة ولا المياه نظيفة ولا الإدارات تعمل. ولا من يجد سبيلاً إلى عمل. والأهل على درجة من القلق إذ كيف ومن أين سيسددون أقساط الأولاد للمدارس. وأما ظاهرة الدواء المفقود والرغيف المنشود فإنها سطور متكررة في صفحات كتاب المحنة اللبنانية.

وأما الذين خطفوا الوطن الطبيعي ويستمترون في إحتجازه كرهينة، فإنهم في عالم مشاريعهم التي تدخل في بند مستحيلة التنفيذ ولا ينهي هذا الإحتجاز ما دام لبنان في غربة عربية يوظفها الراهن الطامع، علماً بأنه توظيف على حساب الناس ولمصلحة أطراف تقترب من أن المرح في الأرض يحقق لها بلوغ قمة الجبال طوياً.

قد تكون صيغة نجدة عربية للبنان المتقطع الأنفاس بمستوى نجدة أكتوبر العام 1989 (إتفاق الطائف) غير متوافرة المقومات بسبب حالة التخبط الذي تعيشه الدول الكبرى. ولكن النجدة الآن وإن كانت صغرى تمهيداً للكبرى التي لا نجدة غيرها وإن طال المدى، ربما تُبعد عن لبنان ما يمكن أن يخشاه من أن يأخذ التطلع الإيراني طريقه إلى التنفيذ وهو أمر لم يتكتم عليه النظام الثوري الإيراني عندما ردد مكنونه الجغرافي حول أن لبنان آخر

الرئيس بايدن كإنجاز يحقق له ما يرنو إليه وهو تجديد الولاية الرئاسية، وتنتهي حسده لما حظي به سلفه الرئيس ترامب. ولا بد سيكون مصير لبنان الدولة والكيان وارداً في مضمون تلك الخارطة، لجهة إستدراك وقوع لبنان الكيان والإنسان في الهاوية. هذا إلى جانب تحريك جمود حالات معلقة وبالذات موضوع إعتقاد الرؤية المتعلقة والعدالة للقضية الفلسطينية وبما يحقق قيام الدولتين المتساومتين المتعاونتين المرحب بهما عربياً.

ما يرنو إليه اللبنانيون في إنتظار الآمال المنشودة نجدة سياحية صيفية كأن يوحى من أولي الأمر لأبناء الشعب السعودي بأن قضاء بعض الأيام سياحة في لبنان هو أمر مستحب، فضلاً عن أنه يثلج الصدور اللبنانية التي تكاد الخشية تنقطع الأنفاس فيها. ومن شأن تقاطر الإشفاء السعوديين والخليجيين إلى الربوع اللبنانية التي طالما أحبها أجدادهم وآباؤهم ولا بد سيحبونها بمثل شغفهم بالسياحات الأوروبية والتركية والمصرية، تزامناً مع تقاطر أفواج اللبنانيين الآتين من الإغتراب الأجنبي والخليجي، ليس فقط إنقاذ مصالح ومشاريع وإبعاد كوابيس من القلق تصل أحياناً إلى درجة الخوف. فما هو أهم من ذلك أن الأمل يتجدد في عودة أيام من الزمن اللبناني _ السعودي _ الخليجي لا يريد الشعب اللبناني بأكثرية أن يكون مجرد ذكريات جميلة وإنما حالة تتجدد.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 19 يونيو (حزيران) 2022

أفعال صغيرة من حكام كبار

إنطلاقاً من وجود أفراد قلائل من المصريين الشيعة، بدأ النظام الثوري الإيراني الديني وضمن مضمون مشروعه الإحتوائي إنشاء مدارس في بعض المناطق المصرية حيث في التربة شتول شيعية. كما بدأ يعمل على خطة تشييع يستكمل بها خطة مماثلة بدأها في السودان وقطعت شوطاً بعيداً على طريق الإنجاز ثم إنحسرت.

كانت عيون القيمين على المشروع الإحتوائي في ما يخص مصر شاخصة على رمزین يعناني للجمهور المصري الكثير: حي السيدة زينب ومسجد الإمام

حدوده لجهة الأبيض المتوسط وصولاً إليه من العراق المرحب إيرانياً (المركز والأذرع) بدور أميركا إسقاط نظامه الصدامي وبذلك يسهل وضع اليد عليه وصولاً إلى سوريا التي تم نسبياً وضع اليد على قرارها وإن كان الرئيس بشار الأسد إفترض أنه باليد الروسية يمكنه كبح تطلعات إيران وبهذا بات أسير اليدين اللتين تشعلان الأزمات على أنواعها: يد بوتين المتقصر ويد إيران التي لا موقف حاسماً لديها عدا التنديد بالضربات الجوية المتكررة من جانب إسرائيل عبر المجال الجوي اللبناني على مواقع في سوريا فلا ترف بذلك عين بوتين عدا التنديد الذي لا يوقف تحرشاً، ولا يثلج النظام كما الروس ولو مرة واحدة صدور مريديهما بعملية تنهي التعرض الإسرائيلي في سورياهما. معادلة عصية على التهم الموضوعي لها. كما العصية المماثلة بأن الأمين العام لـ "حزب الله" في لبنان هدد اليونان بأعظم أمور مستنداً في ذلك إلى عشرات الألوف من ترسانته الصاروخية الإيرانية الموزعة على أرجاء من الوطن المستصغر المستضعف لبنان. ومع أن التهديد لليونان ليس فقط لدواعي ترسيم الحدود البحرية مع إسرائيل مقدمة لإكتشاف هائل من الغاز وإنما مساندة واجبة من جانب "لبنان الإيراني الهوى" ممثلاً بـ "حزب الله وسيدته" للنظام الإيراني ولمرشدته الغاضب أشد الغضب على اليونان المتشابك معها بعد مصادرة ناقلة نفط إيراني وتسليم المحتوى للولايات المتحدة. واللافت أن المرشد خامنئي الذي شخصياً برر في خطاب يوم السبت 4 يونيو/ حزيران عند ضريح الإمام الخميني، الإستيلاء على ناقلتين يونانيتين، حفز نصرالله على أن يرفد تهديد المرشد لليونان بتهديد بالمستوى نفسه من دون أن يستوقفه أن تهديد الرئيس أردوغان من قبل لليونان لم يحقق له مردوداً عملياً، لكي يتحقق للتهديد من جانب نصرالله ما يفيد في إرباك عملية تداخلت فيها القوى الكبرى.

في أي حال تتدرج مفردات تحذير اليونان مرفقة بمواقف أكثر حدة كمحصلة نهائية في بند إبقاء يوسف، أي الشعب اللبناني بأكثرية، في الجب على أمل أن ينتظره مارة يخرجونه منه وتعرض جانباً من حالات التخبط في المواقف.

في إنتظار أن تتبدل خارطة طريق على أهبة رسم معالمها في ضوء إستضافة المملكة للقمة السعودية _ الأميركية _ الخليجية _ العربية التي طالما يتناهاها

الحسين. وخطوة بعد خطوة بعد خطوات كثرت العروض والإقتراحات الإيرانية حول وضع لمسات شيعية على الرمزين. وساعد على ذلك أن زيارات عادية ثم رسمية تمت من جانب شخصيات إيرانية.

فجأة حدث نوع من التبدل في المسار المصري _ الإيراني. ثم جاءت الإستضافة الكريمة وذات البعد الإنساني من جانب الرئيس أنور السادات للشاه محمد رضا بهلوي المريض الفاقد عرشه الأمبراطوري. والأكثر غرابة من ذلك أن الصديق الأميركي تركه طريدة لرجل الدين الخميني الذي كانت حتى عودته بترتيب أمني وجوي خطوة حاسمة على طريق أن يكون الخيار الديني نظاماً لإيران من أجل إستحداث نظام إسلامي شيعي يشكل حالة تنبيه إلى النظام الإسلامي السني، مع الأخذ في الاعتبار أن إيران في نظر راسمي ومنفذي هذا السيناريو هي مركز القلب بين الجار السني العربي والجار السني الآخر من أفغانستان وباكستان إلى أندونيسيا وماليزيا وتلك التي يتقاسم فيها الإسلام السني مع طوائف أخرى. ومن هذه الفرضية يجوز القول إن الولايات المتحدة لزمت التأمل إزاء إقتحام النظام الإيراني للعراق، بل قد يجوز الافتراض أن جزئية من الحرب الأميركية _ البريطانية على العراق الصدامي كان الغرض منها تدبيل الشأن السني العراقي الذي كان متسيداً بإمتهان على أكثرية المفاصل وإنعاش الشأن الشيعي بإعتبار أن الكفة الشيعية في الميزان السكاني هي بمعدل الثالثة أرباع مقابل الربع الذي كان أصلاً مغطى بستائر العقيدة البعثية التي إستمرت علمانية حتى العام 1993 عندما قرر الرئيس صدام حسين الذي يكابد نظامه الفاقد الرهانات وطأة حربه مع إيران وغزوه للكويت ثم تداعيات الحصار والعقوبات التي تلت حرب تحرير الكويت، تدريس القرآن الكريم لتلاميذ وطلاب المدارس كافة وتخصيصه 105 ملايين دينار لوضع كتاب الله بين يدي كل تلميذ وطالب. كما قرر إدخال مادة القرآن الكريم في الإمتحانات العامة للمرحلتين المتوسطة والإعدادية. هذه المبادرة العائدة إلى الحالة النفسية التي يعيشها الرئيس الذي تراكمت الصدمات لديه تفسر كيف أنه كان حتى لحظة شنقه دائم الحرص على نسخة من المصحف لا تفارقه ويرفض أن يأخذها سجانوه منه.

بعدما إستقر المقام نسبياً بالخميني وتحديدًا بعد بضعة أشهر من نقله من منفاه المدروس في فرنسا (يوم 1

فبراير/ شباط 1979) كما من غرائب الصدف المنفى المدروس الآخر للجنرال ميشال عون وكيف أن كلاً منهما عاد لإشغال المنطقة حرباً وقلقاً وصراعاً وإنهياراً في معيشة العباد وأحوال البلاد.. بعد ما إستقر المقام بالخميني الذي كان عند عودته في السابعة والسبعين ويضغط عليه عامل السن لكي يستعجل تنفيذ مشروعه لبناء أمبراطورية دينية شيعية، بدأ التصوير على مصر منطلقاً في ذلك من الصفحة الفاطمية لمصر على مدى مئتي سنة، وعلى نحو ما إستتسخه الرئيس رجب طيب أردوغان لجهة العثمينة التاريخية لدول عربية أكثرها تحفيزاً له لبيبا التي جرب فيها ورقة المرتزقة فالقوى النظامية فالدخول طرفاً فاعلاً في التركيبة السياسية. وإلى الصفحة الفاطمية رأى الخميني تفعيل المليونى مصري شيعي بحيث يتم تنشيطهم وجعل النخبة فيهم من مثقفين ورجال دين وسيلة تشييع في المحيط الذي يتواجدون فيه. وإلى ذلك الإنصهار مع الطرق الصوفية والجماعات الإسلامية التي رحبت بالثورة الإيرانية ما دام رمزها رجل الدين المتقدم آية الله الخميني بما يعني أن لهذه الأطياف فرصة لكي تحكم هي الأخرى بدليل ما حدث في إيران. وهذا الترحيب بات واضح المعالم في ضوء تظاهرات جرت ورفع المشاركون فيها صور الخميني ولافتات الإشادة به.. هذا فضلاً عن إستغراب الخميني والصفوة المحيطة به من شيوخ وعلماء، كيف أن المصريين هم من السنة لكن المكانة التي في نفوسهم لمقام السيدة زينب في قلب كل مصري، ولمسجد الإمام الحسين تتجاوز التصنيف الطائفي. وبدل أن يشكّل هذا حالة إعتزاز في النفس الخمينية فإنه كان تكفيراً بما يضره ويتعلق بمشروعه.

في ضوء هذه الأجواء التي عززتها تقديرات أهل الأمن نجد الرئيس السادات يجعل من تداعيات إسقاط نظام الشاه وبالذات من الجانب الإنساني للدراما الشاهانية، ورقة أراد منها القول ضمناً لأهل النظام الثوري الإيراني ما مضمونه إن مصر ليست بل ولا يمكن أن تكون، ملعباً لمبارياتكم الطائفية. وكانت الورقة عبارة عن تصرّف إنساني لائق ويحفظ الكرامة لمن عصف بهم الزمن فباتوا في السفح عليين مخذولين بعدما كانوا في أعلى القمة أباطرة طاووسيين.

قرر الرئيس السادات وقد رأى الحليف الأميركي يتناسى زمن الشاه محمد رضا بهلوي الذي كانت مدافع جيشه مصوبة بإتجاه واحد هو الإتحاد السوفياتي أن يفعل

ما من الأصول أن تقوم به الإدارة الأميركية لكنها في وقت الضيق الأشد للصدى لا عين ترى ولا مشاعر ترأف. تلك طبيعة من يقدس المصالح على حساب أصول يوصى بها الأسلاف من أهل الحكمة.

تمثل قرار الرئيس وقد صدمه أن الباب الأميركي وبوابات أخرى في القارتين الأميركية والأوروبية تمنعت عن استقبال الشاه الذي زاده المرض إكتئاباً نتيجة إسقاط عرشه، بأن يعامل الأمبراطور التائه بأعلى درجة من التعامل الكريم. استقبال بحفاوة. إبلاغه أنه بين أهله ليس فقط كصهر لحقبة زمنية وإنما كصديق لم يكن النظام الثوري عند حُسن أصول التعامل. تأمّن له أفضل علاج من جانب أطباء مصريين وأجانب. أبلغه الرئيس المنتشي بإنتصار السادس من أكتوبر أن "في إستطاعتك الإقامة في قصر القبة" رمز أمجاد حقبة مضيئة من الحكم في مصر. رد الشاه الذي يتفاهم المرض في جسمه شاكرًا. يكفيه هذا التكرم.

لم يصمد طويلاً. أسلم الشاه الروح ممتناً للسادات الذي آمنه من خوف إستهدافه من إخواني مصري أو إيراني حرسى ثوري وافد بحجة السياحة، إلى جانب التعامل معه وكأنه سيد سراي عابدين في حالة إستقبال لسيد عرش الطاووس زائراً كما سائر الزوار من القادة لإجراء محادثات.

لم يكتف السادات بذلك. أجرى جنازة ملوكية رسمية للشاه إنطلقت من مقر الرئاسة (قصر عابدين). كان بوده أن يتقدم المشاركين في الجنازة لكنه لدواعي الأمن والبروتوكول أوكل الأمر إلى زوجته جيهان المتعاطفة بنسبة تعاطف زوجها مع عائلة الشاه، زوجته وأفراد عائلته. كان الموكب مهيباً. النعش على عربة عسكرية تجرها ثمانية خيول عربية. عشرات أكاليل من الورد على النعش الملفوف بعلم إيران الأمبراطورية. يتقدم المشيعون العشرات من طلاب الأكاديمية العسكرية بأزياء بيضاء وصفراء وسوداء. حتى لحظة مواراة الجثمان في مسجد الرفاعي في القاهرة بلغ التكرم مذه. في مسجد الرفاعي نفسه كان دُفن والد الشاه. لكن الإبن الوريث وقد إستقر حكمه نقل الرفاة إلى إيران.

هذا الذي أداه الرئيس السادات نحو الشاه ولم يكن موضع إرتياح الإدارة الأميركية أشعل غضباً في النفس الإيرانية. وهنا دخلت لعبة تسميات الشوارع ورفع الصور و"البوسترات" كما الحال لاحقاً وراهنياً في لبنان والعراق،

في بند الصراعات السياسية. ولمجرد إغتيال الرئيس السادات وهو يتابع العرض العسكري من على المنصة (6 أكتوبر 1981) إحتفالاً بذكرى الإنتصار على إسرائيل، أخذ النظام الإيراني بـ "ثأره" من الذي فعله السادات خصوصاً أن الفعل الساداتي قوبل بإمتنان صامت من جموع إيرانية كثيرة كانت تتمنى أن يفعل نظامها ما فعله السادات، فيتم دفن الشاه كحاكم سابق وبإحترام من جانب حكام حاليين في الطريق إلى أن يصبحوا سابقين.

مثل هذا التكرم للشاه لقيه دون سائر المغضوب عليهم من أنظمة حلت محل أنظمة بفعل إنقلاب أو ثورات، مؤسس حزب "البعث" ميشال عفلق. رئيس وطنه حافظ الأسد حكم عليه وأبعده ومنع دفنه في وطنه سوريا. صدام حسين إحتضنه وأكرمه وسار في جنازته وواراه الثرى في ساحة "مبنى القيادة القومية للحزب الحاكم" نبش القبر أفدح نبش الحاكم الأميركي بريمر والمحلقين من خصوم الحقبة الصدامية في فضاء ذاك الحاكم.

عندما باتت هنالك حاجة إيرانية لإسترضاء مصر فضلاً عن شعور ضمني بصوابية ما فعله الرئيس السادات أعلنت بلدية طهران أنها بتوجيه من المرشد خامنئي والحكومة إستبدلت يوم 25 مايو/ أيار 2001 (بعد رحيل الخميني بـ 12 سنة) إسم الإسلامبولي الذي إغتال السادات على الشارع الذي سموه "شارع الإسلامبولي" بغرض إغاضة مصر. يصعب إعتبار هذا الفعل (تسمية شارع باسم قاتل رئيس) رصيناً. كما يصعب تفسير التسمية البديلة شارع محمد الدرة بأنها نوع من التكرم للمعاناة الفلسطينية.

مثل هذه التسميات ومعها الصور والبوسترات الضخمة وبالذات في لبنان والعراق وسوريا واليمن تعتمدها إيران نوعاً من أنواع سلاح معركتها على طريق بناء الأمبراطورية الشيعية تقارع بها ومن قبل إكتمالها المستحيل الأمبراطورية السنية. هذا ما أرادت أميركا وحليفاتها. وهذا ما قرأه الرئيس السادات في التعامل الأميركي مع الشاه محمد رضا بهلوي. ولربما إستحضر كذلك في الرد عليه وعلى النظام الإيراني الثوري قول الأعمى العينين المضيء البصيرة أبو العلاء المعري: لا تظلموا الموتى وإن طال المدى.. إني أخاف عليكم أن تلتقوا.

عسى ولعل يكون هناك بعض التأمل والتبصر

الأميركي في العقاب الإيراني والثواب الساداتي. كما عسى يترجم القول المعري لإدارة الرئيس بايدن أحد مستشاريه. كما عسى لا تعود تسميات الشوارع ورفع الصور المجسمة والبوسترز والأعلام غير الرسمية، وبالذات في لبنان بنداً في موجبات التطلع إلى الحكم. فالأفعال الصغيرة لا تليق بالحكام الكبار.. وإن كانت تدغدغ أحاسيس غيظهم أو أحلامهم بالسلطة ينالها المتطلعون إلى وهجها. ومن الإشارة يفهم اللبيب علّه يتعظ. والله الحكيم والهادي.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 22 يونيو (حزيران) 2022

تأملات وخواطر حول الجولة والقمة

أضاف الرئيس عبدالفتاح السيسي إلى كتاب التعبير عن جوهر العلاقة المصرية مع المملكة العربية السعودية صفحة جديدة لافتة المحتوى شكلاً وقولاً وتتمثل في أنه كان وبالنيابة عن شعب المحروسة في إستقبال وليّ العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز في مطار القاهرة يوم الإثنين 20 يونيو/ حزيران 2022، والذي بدأ منها جولة شملت الأردن التي لقي فيها إستقبالاً في المطار من جانب الملك عبدالله الثاني بأبهة الإستقبال الذي لقيه في مطار القاهرة من الرئيس السيسي. في الحالتين كانت رموز الحكم مدنياً وعسكرياً إلى جانب كل من الرئيس المصري والعاقل الأردني.

في جانب من هذا الإستقبال ومثله قبل أحدث زيارات الأمير محمد الإستقبال الذي لقيه من السلطان طارق في زيارته الأولى لسلطنة عُمان، ومن رئيس دولة الإمارات الشيخ محمد بن زايد عندما زار معزياً برحيل الشيخ خليفة، تعبير عن مكنون التقدير للدور السعودي وكيف أن مصر والمملكة الأردنية حاضرتان في البال السعودي عموماً وتاريخياً مع دفق من الاهتمام الوجداني من جانب الملك سلمان بن عبدالعزيز الذاكرة الوقادة لمسيرة العلاقات العربية في سائر درجاتها. وفي جانب آخر فإن طقوس الإستقبال كانت إذا جاز القول بيعة عربية مصرية وأردنية وقبل ذلك عُمانية وإماراتية للأمير محمد بن سلمان تنطلق من قراءة موضوعية لواقع الحال العربي

وللأفق الإستراتيجي للعلاقات بين الأشقاء وهذا ما إنطبعت خطوطه العريضة على مفاهيم ورؤى أطلقها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان في محطات متميزة على مدى أربع سنوات مضت وراوحت بين إستعادة الصفاء إلى أجواء العلاقات السياسية بعدما شابتها توعكات عابرة وبين إنطلاقة نوعية على طريق التطوير وإعادة نظر جذرية في صياغة مفاهيم وتقاليد. وفي السياق نفسه إضفاء مرونة على ثوابت بما يتعلق بأواصر العلاقة مع الدول الكبرى وبحيث بات التنوع يؤهل المملكة مستقبلاً لكي تكون العضو الذي يمثل الأمتين العربية والإسلامية في مجلس الأمن. ولطالما كان هذا المطلوب يتردد الحديث في شأنه لكن حالة عدم إكمال التوافق والمقومات كانت تُضعف المطالبة به.

ما يلفت الإنتباه إلى جانب هذا الذي لقيه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان من مصر السيسي ومملكة عبدالله بن الحسين ومن تركيا أردوغان ثم من السلطان طارق والشيخ الرئيس محمد بن زايد، أنه حدد مستوى معدياً للبروتوكول المتعارف عليه في عالم تبادل أهل الحكم للزيارات الرسمية، بدءاً من مستوى نوعية الإستقبال وصولاً إلى مستوى التوديع وبينهما نوعية التوسيم ومضمون البيان المشترك حول طبيعة المحادثات. كما الذي يلفت الإنتباه أن الرئيس بايدن لا بد سيضع في الإعتبار وعلى نحو ما إستبق الرئيس أردوغان ذلك، أن الأخذ بما سبق وأوجزه الملك سلمان في عبارة "علاقة الرياض بواشنطن مفيدة للعالم" التي سمعها منه الرئيس باراك أوباما عندما إجتمعا يوم الجمعة 2 سبتمبر/ أيلول 2015 تحتاج إلى المزيد من الصفاء في الرؤية من جانب الرئيس جو بايدن (الذي كان نائب أوباما) عندما سيلتقي في المملكة قادة دول الخليج ومعهم رئيس مصر وملك الأردن ورئيس وزراء العراق مصطفى الكاظمي "صقر السلام" المأمول في المنطقة، أن العلاقة القائمة على الثقة التي تربط هؤلاء بالمملكة والتي لقي أمر تثبيت مفاهيمها جهاداً مضافاً من جانب وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان هدياً برؤى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان، أفادت العالم بالفعل يشهد على ذلك الإستقرار في المواقف والتنوع في الخيارات مع دول العالم وبالذات مع كبرياتها الصين وروسيا وفرنسا وبريطانيا والهند. وعندما باغت الرئيس بوتين العالم بمقامرته الأوكرانية، وبدا العالم على شفير تفجيرين: (تفجير على مدى شهرين متواصلين

للبنان والترات في دولة جارة، وتفجير وطأة الجوع وشدة الصقيع وعمة الليل وما يستتبع ذلك من ويلات سببها الغاز الروسي المحجوب والقمح الأوكراني المتقطعة سبل تصديره مع سائر أنواع الحبوب والأسمدة) فإن تعاطي المملكة الذي يتسم بالحكمة وإحترام كبيرات دول العالم لهذا التعاطي من واشنطن إلى بطرسبرغ وموسكو إلى لندن وباريس، مثل نوعاً من التبريد للحريق قبل أن يمتد خارج الأرض المعتدى عليها، هذا إلى أن أجواء التعاون التي نشرتها المملكة أفادت في طمأنة الخائفين الباحثين عن بدائل تستيق حدوث ما هو أعظم.

في أي حال ستتضح الأمور عندما يرى الرئيس بايدن نفسه أمام نصف العالم العربي كجغرافيا ومجمله كرمز للموقف العربي عموماً للطرف المشارك في القمة الموعودة أو من يرى أن القادة العرب المجتمعين بالرئيس الأميركي يمثلون موقفاً متجانساً إزاء الأساسيات وبالذات إزاء الموضوع الفلسطيني الذي كان يفترض بعد إتفاقية السلام المصرية _ الإسرائيلية أن يبدأ شق الطريق نحو تطويره موضوعياً وكذلك بعد إتفاقية السلام الأردنية _ الإسرائيلية وإتفاقية أوصلو، وأن يحتضن الجمع الدولي بكثير من الإمتتان والدعم والمؤازرة مبادرة السلام العربية، ذلك أن أي إشارة إليها وبالذات من الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية من دون تفعيل إنما هو رفع عتب يصل التأجيل في التبنّي العملي للمبادرة إلى التسوييف فتدويب ما أجمع عليه القادة العرب في الأسيد الصهيوني. وبعد تطور نوعي حدث على صعيد التطبيع الإستتسابي من جانب دول باغتت خطوتها في هذا الشأن تقاليد التشاور الرسمي في رحاب الجامعة العربية، فإن الرئيس بايدن لا بد سيمسح من الجمع العربي الحاضر من التقييم والنصح في هذا الشأن وبما سبق وإستحضرناه من الذاكرة، عبارة الملك سلمان للرئيس كلنتون الذي بات أحد المراجع الإستشارية للرئيس بايدن "علاقة الرياض بواشنطن مفيدة للعالم" وإفادتها نوعية إزاء وضع المبادرة العربية للسلام موضع التنفيذ.

في أي حال إن الجولة التي قام بها الأمير محمد بن سلمان تبدو إضافة إلى عمق رسوخ علاقة المملكة العربية السعودية مع مصر، كما لو أنها بند في جدول أعمال جديد من نوعه للقمة العربية _ الأميركية التي تستضيفها المملكة، أي بما معناه إنها ليست للتباحث وإنما لتبادل المطالب، مطلباً مقابل مطلب، وبحيث يكون الإستحقاق

مقابل إستحقاق.

ويبقى التذكير بأن اللهفة المصرية وبالذات من جانب الرئيس عبدالفتاح السيسي ليست مفاجئة. وبالنسبة لمتابعي مسيرة العلاقة المصرية _ السعودية مثل حالي، لا بد يتذكر تلك اللفتة الإستثنائية السابقة ومن جانب الرئيس السيسي نفسه. ومن باب المصادفة فإنه في اليوم (الإثنين 20 يونيو 2022) الذي كان الرئيس السيسي يتقدم مستقبلي وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان في مطار القاهرة، كان في موعد متقارب (الأربعاء 19 يونيو/ حزيران 2014) قبل ثماني سنوات يسجل مبادرة غير مسبقة حيث أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) العائد من إجازة في قصره المغربي وكان ما زال في حالة من التوعك بعد العلاج لمدة ثلاثة أشهر في الولايات المتحدة (ديسمبر _ يناير _ وفبراير 2014) إرتأى أن يتوقف في القاهرة. وكان السيسي المتسلم حديثاً رئاسة مصر على درجة عالية من الفطنة وقرارة الوضع فذهب بنفسه وبصحبه أركان الدولة من مدنيين وعسكريين إلى مقابلة الملك وهو في مقصورته داخل الطائرة. ولم يكتفِ بالسلام يداً وإنما بشعور الوالد قبّل رأس الملك رغم محاولة العاهل السعودي ثنيه عن ذلك. ولقد بدت وقفة الملك عبدالله غير المخطط لها رسمياً من قبل ونوعية إستقبال الرئيس السيسي وسائر تفاصيل الإستقبال، كما لو أنها بمثابة زيارة وداعية لمصر، فقد إنتقل إلى رحمة الله فجر يوم الجمعة 23 يناير 2015. وهذا التميز من جانب الرئيس السيسي إزاء أولي الأمر في المملكة يعكس طبيعة العلاقة وعمق العاطفة الأخوية المقرونة بالدور الذي سيكمله في البعد الإستراتيجي للعلاقة محمد بن سلمان بن عبدالعزيز ولياً للعهد وبداً مستقبلاً حقبة الملوك الأحفاد. حفظ الله للمملكة وللاُمتين خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 2 يوليو (تموز) 2022

فرصة ضاعت على لبنان المجل بالشدائد

منذ أن بدأت صيغة الإجتماعات العربية وفق الترتيب الأبجدي وذلك كي لا يبقى الإنطباع السائد بأن الإنعقاد

حكر على مصر بحكم أن مقر الجامعة العربية في القاهرة، باتت كل دولة عضو تنتظر بلهفة وصول دور الإنعقاد إليها فتتأهب للحدث المستضاف وتجري لهذا الغرض عمليات تأهيل لمقرات الإستضافة وتجميل للشوارع. والتأكد من أن كمية أعلام الدول الأعضاء متوفرة لديها. ولهذه الورشة كثير من الفعاليات وكل ذلك بغرض التباهي بأن إستضافة هذه الدولة للإجتماع العربي كانت الأفضل وأن المضيف إكتسب سمعة طيبة تجد صداها في نفوس الأشقاء العرب. وهذا الصدى ينعكس على الإرتياح تعزيزاً للمصالح على أنواعها.

والأهم من هذا التبرج، أن يتأمل المضيف في طبيعة علاقات الدولة مع الأشقاء المستضافين الذين يشاركون في المؤتمر الذي ينعقد بموجب الصيغة الأبجدية، والذي في حال لم يأت الإنعقاد على أكمل وجه، فهذا يعني أنه سينتظر سنوات لكي يكون من حقه أبجدياً إستضافة المؤتمر. وبالنسبة إلى ما يخص العلاقات فإن واجب المضيف تصحيح مواقف عاتية أو خلافية وإستباق يوم الإنعقاد ببضعة أسابيع بزيارات وتصريحات وخطوات ترتاح لها هذه الدول الشقيقة العاتية أو تلك. كما تكون على هامش الزيارات والتصريحات إتفاقة على مواقف حافلة بالمفردات غير المستحبة والتي من شأنها إلحاق الأذى بالسمعة، وإطلاق أوصاف على ممثلي دول شقيقة أو صديقة لا تليق بقائلها فضلاً عن أنها تتساوى مع قذيفة تطلق على روح حرم الله قتلها. ونحن لو أحصينا عشرات العبارات التي تندرج في هذا المنحى المتجني، لرأينا أنها ألحقت الأذى المتعمد بالوطن الكيان والشعب على حد سواء، وأضرت بشخص مطلقاً خصوصاً إذا هو من المعممين.

مثل هذا السعي لتصحيح الصفحة اللبنانية الحافلة بالتجني على دول الإقتدار العربي بالذات لم يحدث. وبذلك بدا إنعقاد الاجتماع التشاوري لوزراء الخارجية العرب في بيروت يوم السبت 2 يونيو/ حزيران 2022 خالي الحيوية فلا التجنيت التي تنطلق من لبنان عولجت ولا العائد من التصريحات الشكلية والمرتجفة كان مثمراً، وبدا المأمول من الاجتماع لا يتجاوز عبارات منقوصة الدفء عكس ما هو المأمول من اجتماع يعقده رموز الدبلوماسية العربية الذين هم في العادة يعكسون مواقف أهل الحكم كل في دولته. وكان من شأن مشاركة وزراء خارجية كل الدول الأعضاء وليس الإستعاضة عن

التمثيل الرفيع بتمثيل يعكس طبيعة التحفظ على لبنان الرسمي، أن يشكل الاجتماع دعماً كثير الفعالية للبنان الذي يعيش منذ خمس سنوات أكثر سنوات الحكم خروجاً على الأصول والواجبات مع تغريب ممنهج بالعلاقة ذات العائد الإنقاذي سياسياً وإغاثياً. لكن الإجتماع تنطبق عليه تسمية اللقاء الموسع وذلك لأن نسبة عدم مشاركة وزراء خارجية بعض الدول تفوق نسبة المشاركين. وهكذا بدا الذين حطوا رحالهم في بيروت يوم السبت 2 يونيو 2022 وكما لو أنهم مثل الذين يشاركون في مأتم أو سياح خمس نجوم وبضغ هلالات ليومين في بيروت المكشوفة. ومن الجائز القول إن وزراء الخارجية الذين شاركوا لو كانوا على إحاطة بأن تمثيل دول مثل مصر والسعودية والإمارات والبحرين لن يكون على مستوى وزراء الخارجية لكانوا ربما أثروا المشاركة بالمستوى التمثيلي نفسه. وهنا وفي السياق نفسه يجد المرء نفسه يتصور أي مردود معنوي وعملي كان سيجنيه لبنان لو أن الدول المشار إليها تمثلت في المؤتمر على مستوى وزراء الخارجية وتحمل كل وزير من الخطوات والنوايا ما تجعل اللبناني الغارق في جحيم إدارة للحكم غير مسبوقه يتفاعل بأطياف الطمأنينة تبدد سوء حياته ومساوئ حاكمين بجناحيهم جناح القابض الحليف المقاوم وجناح المقبوض على قراره في إنتظار تسديد آخر إستحقاق عليه بعد شهرين. مع ملاحظة أن هذا الجناح يتطلع حالماً إلى تجديد صيغة تقاسم الحكم. ومن شأن القمة العربية الدورية التي تتأهب الجزائر لإستضافتها أن تكون طبيعة مصير الحكم في لبنان إما موضوع تشاور وإما من البنود في جدول الأعمال التي تتطلب الحسم كي لا ينتهي الأمر ببلدان خارج الجمع العربي كما حال سوريا التي كان أمراً لافتاً أن الإجتماع التشاوري الدبلوماسي العربي ينعقد في بيروت التي كانت ذات يوم "هونغ كونغها" على مسافة سبعين كيلومتراً من عاصمة الأمويين سابقاً الأسديين راهناً ومع ذلك فإنه محرم عليها المشاركة في الإجتماعات والمؤتمرات العربية إلى حين.

كما يبقى ما هو الألف وتنعني بذلك أنه في الوقت الذي كانت الدولة الرسمية للبنان حائرة في أمرها وماذا ستقول للأشقاء الوافدين إلى الاجتماع في بيروت، كانت الدولة غير الرسمية تنجز إنعقاداً وتوصيات ولقاءات وزيارات بروتوكولية إطلالة على مستوى القمة الثورية الفلسطينية متمثلة بزعيم "حماس" إسماعيل هنية وطاقم

قيادة التنظيم الثوري ويقول الضيف ومضيفه "حزب الله" من التعابير التي ذُكرت بعض اللبنانيين بما كان يقوله الرئيس ياسر عرفات. وفيما كان الاجتماع الدبلوماسي العربي باهتاً بدءاً وختاماً فإن القمة الثورية (حزب الله - حماس) كانت على درجة من التحدي الذي لا رُفُض ولا تحفُظ ولا إعتراض عليه من رئيس الدولة الذي لو أحيط مسبقاً بطبيعة إطلالة إسماعيل هنية ورفاق حركتهم الثورية على لبنان، لكان تمنى على شريكه في حكم لبنان بحاله الحاضرة، إرجاء زيارة الأشقاء الفلسطينيين وفعاليات زيارتهم إلى ما بعد إنقضاء الاجتماع العربي. ولكن سبق السيف الثوري العذل العوني - الباسيلي. في هذا يجاز التساؤل: هل لو أن مرجعية سياسية لبنانية حزبية وجهت الدعوة إلى زعيمة المعارضة الإيرانية مريم رجوي كي تزور بيروت وتعد فيها بإعتبارها عاصمة مباحة أو مستباحة أو ذات خصوصية ديمقراطية مؤتمراً صحافياً كان سيتم إستقبالها في صالة الشرف في المطار وتزور بحكم شأنها الإيراني المهم الرؤساء ميشال عون، نبيه بري، نجيب ميقاتي؟

في أي حال ليست جديدة فرصة أن اللبّان يضيّع فرصة عربية فضية، هذا للّبّان المجلل بالأوزار والأحزان والشدائد على أنواعها والفاقد بالترج ملامح خصوصيته ورونق معالمه كدولة كانت حجزت كرسياً لها في المشهد المتنامي والمتطور فقد ضيَّعت الفرصة تلك طبيعة الإمساك بالدولة من طرفين غير مقتنع كل منهما بمفهوم الآخر ومشروعه، لكن التحالف كان رفقة طريق دفع المواطن اللبناني أثمناً لا حصر لها وربما لن يكون هناك علاج للنوائب على أنواعها في المدى المنظور. ولن يغيّر الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وبولاءاتهم. والله الشاهد.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 9 يوليو (تموز) 2022

بوليصة نصرالله.. ووصفة سريلانكا

تُحسب للبنانيين ظاهرة ترجمة الإحتقان من شدة سوء الحال والغضب على أهل الحكم إلى فعل تغيير. ومنذ أن أثمر حشدهم غير المسبوق في قلب عاصمتهم (ساحة

شهداء لبنان حقبة الحكم العثماني) تعبيراً عن غضبهم على عملية إغتيال غير مسبوقة درجة الحقد فيها لزعيم أمكنه جمع الأشمال الطوائفية على طريق إعادة بناء لبنان متجدد، عائداً بالغ الأهمية، فإن أنظار الشعوب الغاضبة وبالذات الطبقات المحرومة المحكومة من طبقات حارمة كانت شاخصة على الحراك اللبناني ويحاول الغاضبون تقليد اللبنانيين في ما فعلوه.

لقد أثمر الحراك اللبناني خروجاً للوجود العسكري السوري في لبنان وياتت مفردات السيادة تحل محل مفردات الوصاية والقرار المصادر. لكن توظيف ذلك الحراك كان نقيض ما هو المأمول منه. فقد اضطربت أحوال لبنان من جديد. تم إخراج الوجود الأمني السوري من الباب ليدخل الوجود الإيراني - السوري من النوافذ. ونتيجة للتناقضات التي أحدثها هذا الدخول وما إستتبعه من تحالفات تبعث الإستغراب في النفوس كون أبرزها المتمثل بتحالف "حزب الله" مع التيار الحزبي الذي يتزعمه الجنرال ميشال عون ليس مسبقاً، خصوصاً أن هذا التحالف أثمر إنقساماً في عمق الطائفة المارونية التي حصتها بموجب الدستور رئاسة الجمهورية. وبعدما كانت مرجعية هذه الطائفة أي بطريركها هو الشريك الثالث في إختيار من يكون رئيس جمهورية لبنان، إلى جانب الشريك الثاني (الإدارة الأميركية) والشريك الثالث (الطائفة السنية) فإن تحالف "حزب الله" - التيار العوني أحدث ما يشبهه التقويض لهذه المعادلة، فبات رئيس الجمهورية، بعد التهميش السني، من حصّة النظام الإيراني متمثلاً بـ "حزب الله" والنظام البشاري متمثلاً بولاءات شيعية ومارونية لرموزها حضور في الطائفتين. وتشكل تجربة ترئس الجنرال عون أول إختبار للمعادلة المشار إليها.

تحت وطأة الأوضاع المعيشية الصعبة والإنحدار المتدرج في الأحوال اللبنانية، وما كثر الكلام في شأن الفساد وإستشراء المحسوبيات، ثم ما بدأ يقال عن زلزال مالي على أهبة الحدوث، إستعاد اللبنانيون حراكهم الغاضب الأول وتلازمت مع الجولة الجديدة من الحراك مفردة جديدة في قاموس الغضب هي "عبارة كلن يعني كلن" أي بالتعبير الفصحوي جميع الذين في الحكم والزعماء السياسيين والحزبيين دون إستثناء من الذين على رأس السُلطة في الدولة إلى سائر الحلقات نزولاً.

كان مدعاة للإستغراب أن الحراك الثاني لم يؤت نتائج مرجوة. ما هو سيء إزداد سوءاً. وما بقي من الخيرات

جرى نهبه. ونسي الناس أمام مذلة العيش من دون الكهرباء ومستلزمات أبسط مطالب ديمومة الحياة من الوقود إلى الدواء إلى الرغيف، الخشية من مخاطر الإصابة بـ "كورونا". وعندما زلزلت المصارف زلزالها وبات المتوفر من المال المودع في هذه المصارف للإنفاق في الحالات الطارئة وفي مرحلة الشيخوخة، في مهب الريح إلى أن تحدث أعجوبة ما، فإن الحراك المأمول حدوثه لم يشق طريقه إلى نقطة الحسم الذي لا بد منه مع الحكم بكل رموزه أو ببعض من إكتملت النظرة إلى أنهم هم العلة وأن الحسم معهم لا بد منه.

ربما التنوع المذهبي وطغيان الوجود المؤثر من جانب دول خطوطها سالكة في المجتمع اللبناني هما السبب في أن الحراك الشعبي إستمر منقطعاً وبالتالي لم يثمر على نحو ما حصل للحراك الشعبي في مصر الذي أسقط بصرخة "الشعب يريد إسقاط النظام" المدوية نظام ربع قرن من الحكم. وربما أيضاً أن الحراك الشعبي لم يثمر في لبنان لأن الجيش بقي يراقب لا يتدخل وعلى نحو ما حصل في مصر عندما حسم المشير ططاوي الأمر، ممهداً السبيل أمام الجنرال المقدم عبدالفتاح السيسي رمز الحسم الأهم الذي أثمرت خطوته العسكرية رئاسة مصر الحالية.

كما ربما إن فوضى التناقضات الحزبية في السودان الذي إقتبست جماهير الغضب فيه حراكها مما جرى في لبنان ثم في مصر هي أيضاً السبب في أن الحراكين اللبناني المتجدد والسوداني المقتبس والمتردد ما أن يحدثا حتى تذبل الإنذاعة لدى كل منهما.

وما يجعلنا نستحضر ظاهرة الحراك اللبناني ومروراً على حراك مصري تلاه حراك سوداني حدثا بإقتباس وإن بدرجة متفاوتة من الذي قام به اللبنانيون ولم يكملوه، هو أن الأحوال في كل من لبنان والسودان سائرة نحو ما ربما يتجاوز التظاهر إلى الإقتتال. ولقد ألمح إلى ذلك الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله في إطلالة تلفزيونية مساء يوم الأربعاء (19 يوليو/ تموز 2022). وليس مستبعداً أن تكون الوصفة السريلاكية هي الدافع أو نسبة من الدافع إلى ما قاله. فالذي فعله الغاضبون في سريلانكا يمكن أن يفعله اللبنانيون، خصوصاً أنهم سبق أن أوحوا من خلال إقتحام جلسات طعام وشراب لمسؤولين في مطاعم بالرغبة إلى إقتراف فعل مشابه للفعل السريلانكي. وهم إذا كانوا يترددون في الإقدام على ذلك

فربما تحسباً من عوائد بوليصة التأمين على السلامة الممنوحة من "حزب الله" للعمود الثالث في تركيبة النظام اللبناني من ست سنوات. وبفضل هذه البوليصة أمضى الحكم سنواته الست لا يخشى تعكير صفوه ولا تقليص فترة بقائه حتى اليوم الأخير. لكن أحياناً تجري الأمور بما لا يشتهي ساكن القصر وصاحب بوليصة التأمين على كل ما تستوجبه مقتضيات بقاء الحكم وعدم الإخلال بما هو متفق عليه. وإذا تبدل مجرى الرياح في حال تجديد بوليصة التأمين على ولاية ثانية لو سنتين إضافيتين أو توريث على قاعدة لا بد من الذي لا بد منه، فقد يتم الإقتباس المعاكس. اللبنانيون هنا في هذه الحال ربما يقتبسون الوصفة السريلاكية. وفي هذه الحال يختلط الحابل الرئاسي بالنابل الغازي والنفطي الموعود. ويصبح قول الأمين العام لـ "حزب الله" عن احتمالات الآتي الأعظم نوعاً من التنبيه وفق مقولة: اللهم إني قد بلغت. ... وربك الغفور ذو الرحمة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 18 يوليو (تموز) 2022

جنرال رابع على الدرب.. ربما يصل

في مثل هذه الأيام التمييزية الكثيرة القساوة على حياة اللبنانيين وكرامتهم ولقمة عيشهم وعملتهم المتهاكة وعافيتهم التي لا أدوية تخفف من آلام الأبدان على أنواعها وأحلامهم الجميلة التي أمست كوابيس وطموحاتهم التي أصبحت إحباطات... في مثل هذه الأيام التمييزية قبل أربعة وستين عاماً حدث في لبنان ما كان مستبعداً حدوثه وإقتحم المجتمع السياسي قائد جيش الوطن الجنرال فؤاد شهاب مسجلاً بأنه أول عسكري يتراًس الجمهورية اللبنانية في عهدها الإستقلالي، والذي كان ما زال في ربع عهده، وجرى التفاهم على ترؤسه بتوافق من أميركا ومصر عبدالناصر وبكركي.

بعد إرتياح اللبنانيين لتوافق المثلث الأميركي _ المصري _ البطريركي المتقهم وإختيارهم قائد الجيش ليكون الرئيس الثالث للجمهورية اللبنانية، فإنه بالقدر نفسه سادت لدى أهل السياسة والتحزب مشاعر من الخشية والحذر لعدة إعتبارات أبرزها أن ترئس قائد الجيش

سيصبح بعد الآن من أصول العملية الانتخابية.. أي بما معناه إن جنراً لسيورث جنراً، أو في أهدأ الصيغ جنرال يرث سياسياً بعد أن يكون المجتمع السياسي إستعداد حظوته الترويسية وفق تعديلات ترؤس على صيغة إختيار رئيس جمهورية لبنان.

إرتياح اللبنانيين لإختيار قائد الجيش الجنرال فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية يوم 31 يوليو/ تموز عام 1958، عائد لدوافع عدة أبرزها أنهم ذاقوا مرارة الإحتراب الأهلي على مدى بضعة أشهر من العام 1957 والعام 1958، وكان الجيش بقيادة الجنرال فؤاد شهاب متماسكاً أي بما معناه لم ينقسم جيوشاً على نحو ما حدث لاحقاً في السنتين الأخيرتين من رئاسة المدني سليمان فرنجية. وهذا التماسك طمأن اللبنانيين إلى أن رئيسهم لن يحكم بعقلية أهل الثكنات وأنه في حكم أهل السرايات سيكون على توازنه. وهذا بالفعل ما حدث حيث أن الجنرال فؤاد شهاب مارس ست سنوات رئيساً للجمهورية وهاجسه تصحيح المسارات وجعل أهل السياسة يعيدون النظر في ما إعتادوا عليه حيث أنهم كانوا يتصرفون على أساس أن الوطن ميدان وأنهم اللاعبون أو المتلاعبون لا فرق فيما الشعب متفرجون ومشجعون على نحو ما هي عليه طقوس مباريات كرة القدم، ويوظف أهل السياسة هؤلاء الأطفاف الشعبية بما يعود على سلطانهم بالتعاطف. ولقد حقق الجنرال الرئيس في أربع سنوات ما لم يحدث أن وجده اللبنانيون في سنوات الرئيسين بشارة الخوري يليه كميل شمعون وريثاً بعد أزمة كادت تكتم الأنفاس. والذي جعله ينجز ما أفاد لبنان الوطن والشعب ثقة المواطن به والحرص من جانبه على إحترام الآخرين وبالذات كبار الشأن العربي والدولي للبنان فلا يكون صغر مساحته مدعاة لإستصغاره. وفي هذا المنحى كان اللقاء التاريخي بالرئيس جمال عبدالناصر في خيمة نُصبت في نقطة مشتركة من الحدود اللبنانية _ السورية وتلك لفظة جاءت من رئيس الجمهورية العربية المتحدة أضفت مسحة على السيادة اللبنانية لم تحدث من قبل، ثم حدث الأسوأ في زمن إطباق يد النظام السوري على الإرادة السياسية اللبنانية طوال ثلاث سنوات أمنية أفرزت ثلاثاً أخرى قهرية مغلقة بتركيبات حكم ثم بمعاهدة لم تصمد لأنها غير متكافئة ومن نوعية معاهدة الترويك السوفياتية مع مصر الساداتية لمجرد أن ووري جثمان عبدالناصر الثرى.

وبصرف النظر عما إذا كان عبدالناصر إرتأى صيغة

اللقاء دعماً من جانبه لزميله في الجنرالية وتأكيداً راسخاً للسيادة اللبنانية، أو إنه رأى في صيغة لقاء الحدود ما يعفيه من زيارة لبنان وذلك لأن الزيارة ستتحول إلى مبايعة شعبية لبنانية له تأخذ من هيبة رئيس البلاد الذي هو فؤاد شهاب... بصرف النظر عن التعمق في إبتكار صيغة اللقاء فإن ما حدث أخذ مكاناً ومكانة في سجل أحداث الزمن العربي المبهر.. زمن الستينات وما بعدها بثلاثة عقود. وكان يمكن للحدث المشار إليه أن يؤسس لما هو أكثر تثبيتاً للكيان اللبناني لو أن إنفصال سوريا لم يحدث ويصيب كرامة عبدالناصر في العمق وبذلك بات غير مستحب قيام الرئيس فؤاد شهاب بزيارة دمشق أو القاهرة، وهما العاصمتان اللتان كانتا بمثابة محجة الشخصيات السياسية اللبنانية إليهما، وكانت زيارات هؤلاء في جانب منها تأخذ من رونق السيادة الوطنية.

لم يكن العهد الشهابي ملائكياً بالمطلق. ومع أن الرئيس فؤاد شهاب لا صهر عنده لكي يورثه أو إبناً ليكون وريثاً ذات ظروف مواتية، وذلك لأنه لم ينجب وبذلك نجا عهده من أوزار صهر يتزوج إبنته، إلا أن ذلك لا يعني أن سنوات عهده خلت من الحاشية التي في حال لا يتم ضبطها فإنها تمنى صاحب العهد بالويلات. لكن حاشية العهد الشهابي كانت عسكرية أمنية مخبراتية مطعمة ببعض رموز النخبة المثقفة الواعدة القادرين على التحليل والنأي عن المعاصي وبذلك تبقى الأكف نظيفة. وفي ظل هذه الأجواء والمساعدين من أمنيين ومثقفين وخبراء بنى ما إستطاع تشييده فبات لبنان دولة مأمونة الشبهة مهياً لتسجيل نقاط في ماراتون التطور والتنمية. وهذه النقطة شكلت نوعاً من الحافز الشعبي لمطالبة الرئيس الجنرال بتجديد الرئاسة دورة ثانية وإلتف سياسيون وزعامات حزبية حول الدعوة إلى التجديد لكن الرئيس الجنرال الذي أآلمته المحاولة الإثقابية الفاشلة من جانب ضباط الحزب السوري القومي متمثلاً بإثنين من ضباط الجيش جعلته إلى جانب إستحضار الذي أصاب الرئيس بشارة الخوري يرفض الإستجابة إلى التجديد وكيف أن الشيخ بشارة الذي أصاب مجدداً سياسياً كأول رئيس للبنان المستقل أضعف بشبهة التجديد ذلك المجد السياسي وأصابه الذبول المتدرج جزأً التأكد من رغبة التجديد فكان الحراك السياسي والشعبي الماروني والسني والدرزي الذي أودى بذلك المجد. وعندما إستحضر الرئيس الجنرال فؤاد شهاب ما جرى للرئيس بشارة الخوري وكيف كانت حاله

عندما اضطربت الأحوال فاستدعاه لكي يشكل حكومة فإنه أبلغ الملحين عليه لتجديد الرئاسة قرار عدم التجاوب وطوى الصفحة التي بقيت مطوية حتى رحيله عزيز النفس والمقام.

ومناسبة هذا الإستحضار لما حدث للجنرال الأول رئيساً أن ترئيس قائد الجيش أمست صيغة كما لو أنها بند غير مدون في الدستور، لكن عدم تدوينه لا يلغي إدراجه لحل عندما تتعثر أحوال البلاد وعندما يقترب موعد الإستحقاق الرئاسي ولا يكون هنالك وضوح رؤية في مَنْ سيكون الرئيس.

ترئيس قائد الجيش الجنرال فؤاد شهاب كان فعل إرادة لبنانية موضع ترحيب أميركي - بطريكي - سُني وإن كان السياسي الماروني المقتدر ريمون إده المستحق المحروم ترؤس الجمهورية إعتبر في حينه أن إنتخاب قائد الجيش الجنرال فؤاد شهاب تم في ظل الأسطول السادس الأميركي. أما أن يقول ريمون إده ذلك فمن باب المغتاز من إستمرار "الفيتو" عليه.

صيغة ترئيس الجنرالات لم تثمر إستقراراً بإستثناء رئاسة فؤاد شهاب. هذا عائد إلى أن إرادة التعيين لم تكن لبنانية، أو فلنقل إنها كانت لبنانية بغلاف سوري مع الجنرالات الثلاثة الذين ترأسوا البلاد بعد الجنرال فؤاد شهاب: الجنرال اميل لحود ترأس بقرار من الرئيس بشار الأسد ولو كره ذلك الزعيم السُني رفيق الحريري. الجنرال ميشال سليمان بتزكية الرئيس بشار الأسد له. الجنرال ميشال عون ترأس بعد طول إنتظار بتوليفة طرفاها: إيران والرئيس بشار الأسد، وإحتضان بصيغة بوليصة تأمين مهمورة التوقيع من الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله، على الصمود بأمل تصنيع الرئيس التالي صهراً تكريماً لأول رئيس من الطائفة المارونية إصطف إلى جانب المشروع الإيراني كما إصطفاف الرئيس بشار وبقي الإصطفاف حتى الدقيقة الأخيرة من سادس سنوات الرئاسة في لبنان. ومثل هذا الأمر لم يحدث من قبل فهل سيترسخ كتقليد.

والعلم عند الولي الفقيه المرشد الأعلى وعند الرئيس بشار لاحقاً.. وصولاً إلى الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصرالله. ولا مجال للإعتراض.

وسط هذا الغموض الذي يكتنف إستحقاقاً يعيش تلاعبات في شأنه، كان الحديث حول ترئيس قائد الجيش وعلى نحو ما كان عليه عنصر الضرورة في زمن إختيار

أول جنرال لترؤس الجمهورية، أي فؤاد شهاب. من حيث الظروف السياسية والأزمة الاقتصادية والهواجس السيادية هنالك بعض أوجه الشبه في أمر حدث قبل أربع وستين سنة وإحتمال تكراره بعد بضعة أسابيع هذا في حال كان هنالك إلتزام بالدستور وما ينص عليه بالنسبة إلى إنتخاب الرئيس الجديد للبلاد.

ما يتحلى به قائد الجيش الحالي الذي بات إسمه ضمن بضعة موارد برسم ترؤس الجمهورية يؤهله ليكون الرئيس الحادي عشر للجمهورية اللبنانية منذ الإستقلال عام 1943 (إثنان إنتخبا وإغتيل بعدما كان أقسما وهما رينيه معوض وبشير الجميل).

لكن ترؤسه يحمل في جانب من المفارقات التي لا تريحه ولا يرتاح لها اللبنانيون ولا حتى الأشقاء العرب وتتعلق بمصادفة إسم العائلة، حيث سيقال على مدار الساعة الرئيس عون وكأنما ليس مَنْ ترأس هو الجنرال جوزف وإنما الرئيس المنصرف الجنرال ميشال وستكون السنوات الست الآتية عونية كما الست العونية المتوارية. المهم أن يبقى لبنان كما البقاء لله.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 27 يوليو (تموز) 2022

هيئات من الصدرية الذلة المالكية

قد يكون السيد مقتدى الصدر إختار لإشعال فتيل وثبته أن تكون متزامنة مع الأيام العاشورائية بما تعنيه هذه الذكرى للشيعية عموماً وما تُحدثه في النفس من شجن مقرون بالعبرة الحسينية التي هي رمز الذكرى. وهكذا بدت الوثبة كمن يقول السيد مقتدى الصدر للجمع المليونى المشارك فيها "هيئات أيضاً مني ومنكم الذلة المالكية...". ونحن عندما نصنف الحراك الصدري المباغت بأنه وثبة، فعلى أساس أنها الخطوة التي يعبر فيها الصدر الممسك بالناصيتين: ناصية التراث الديني وما أصاب هذا التراث من نكبات وإعدامات. وناصية التراث السياسي الذي تحقق بعد فوز مبهر للصدرية في الإنتخابات البرلمانية. ولقد جاءت هذه الوثبة بعد غضبة على إستهانة لحقت به من رئيس الحكومة السابق نوري المالكي السياسي الملتحف بدعم النظام الإيراني وصلت إلى حد التلفظ بما أشعل

الغضب في النفس الصدرية.

وقبل الغضبة التي تبعثها الوثبة كانت للسيد مقتدى وقفة من المالكي عبر عنها كلامياً. ونتذكر بشكل خاص عبارات قالها في مؤتمر صحافي عقده يوم الخميس 3 أبريل/ نيسان 2014 في النجف، وكانت إذا جاز التصنيف المطلقة الأولى لإنطلاق "ماراتون" المنافسة بين الصدر المنفتح على سائر القوى وكذلك على المحيط العربي وبين المالكي المستقوي بالنظام الإيراني الذي وجه تنظيماته الميليشيوية إلى الإلتفاف حول المالكي دون غيره من سائر الرعويين.

ومن جملة ما قاله السيد مقتدى في ذلك المؤتمر وتفسير دواعي وثبته العاشورائية التي لم تشبهها وثبة من قبل "ما زلت بعيداً عن السياسة كونها، ما عدا المخلصين، عملية أطفال وأنا لست طفلاً وقد اعتزلت ما هو خطأ. ولكن إذا إستدعى شيء التقويم وكانت هناك مصلحة سأدخل، وأنا الآن لا أتكلم بالواعز الديني والوطني والإسلامي...". وقال أيضاً: "صوت الانتخابات قادم وأنا على يقين من أن صوت الدكتاتور لن يفلح. إن الشعب هو الذي سينتصر لا الولاية الثالثة للمالكي ولا غيرها. أحب أن أوجه نصيحة إلى الأخ المالكي إذا كان يظن نفسه أنه خدم العراق فليسترح أربع سنوات...".

هذا التقييم من جانب الصدر قبل ثماني سنوات للمالكي أنتج في ضوء ترتيبات سياسية من بينها عودة المالكي كقوة من خلال محمد شياح السوداني كرئيس حكومة تخلف حكومة مصطفى الكاظمي، الغضب المتدرج الذي أنتج بعد التسجيل المتضمن عبارات اعتبرت مهينة وعدائية في نظر الصدرين الذين ما أن أطلق سيدهم النفير حتى كانوا عند حُسْن تقدير مقتدى الصدر للموقف. أدوا صلاة جمعة لا صلاة بحجمها وبمشاعر المصلين من قبل. لكن القراءة المالكية للخطوة لم تأخذ قدرها من التهيب وبقي تعامل المالكي ومن حوله ووراءه مع موضوع ترئيس السوداني، بمثل ذلك الذي حدث في لبنان والمعروف بمأزق توزيع الإعلامي جورج قرداحي. ومثلما كان المأزق نتيجة كلام مسجل لقرداحي فإن المأزق العراقي كان متصلاً بكلام مسجل للمالكي الذي يحتضن مشروع إستعادة الشأن من خلال ترئيس محمد مشاع السوداني مع ملاحظة أن هذا الأخير مكتمل الكفاءة للعمل الحكومي رئيساً للوزراء كما كفاءة جورج قرداحي وزيراً للإعلام. ولكنها البغضاء والولاءات التي تحول الآمال إلى نكسات.

ومع أن الأعمال في النيات وفي القدرة على الإنجاز وليست في التسميات، إلا أن تردد عبارة الرئيس السوداني كرئيس للحكومة العراقية وترداد العبارة كعناوين في الصحف أو عبر الأثير ومن خلال نشرات الأخبار في الفضائيات مثل "الرئيس السوداني يقر موازنة العراق" أو "الرئيس السوداني يتحادث مع الرئيس الإيراني لضبط حراك الميليشيات في العراق"... إن ترداد تلك العبارة وغيرها كثير ستخرج رئيس الحكومة نفسه وبني قومه العراقيين الذي قبل أن يعتادوا على الأمر سيحتارون هل إن القائل هو رئيسهم أم رئيس السودان.

قد تبدو الملاحظة من جانبنا على درجة من الخشونة، ولكن واقع الحال يفرض ذلك؟

ويبقى في شأن الوثبة الصدرية في حال بلغت آخر المحطات إنها ستدخل التاريخ جنباً إلى جنب. وإن اختلفت الصفحات، مع الثورة البلشفية والثورة الفرنسية، فهي سجلت سابقة تحمّل هجير الصيف العراقي حيث الحرارة تصل إلى الدرجة الخمسين. ولولا إقتحام مبنى البرلمان وإستيطاقه فيما مكفيات الهواء تعمل الأمر الذي خفف من وطأة الحر الشديد على المقتحمين، لكانت ربما حدثت إغماءات بالألوف وربما ما هو أكثر من الإغماءات.

في إنتظار المزيد من الهوامش والمفاجآت الصاعقة في المشهد العراقي، نجد الرئيس الأميركي بايدن طريح الفراش من دون أن يأخذ في الإعتبار أن هذا الذي يجري هو نتاج الحرب الأميركية على العراق ثم إلغاء جيشه فإحتلاله فتركه صريع الرهانات الأميركية والمراهنين من لاعبين ومتلاعبين. وهذا قدر العراق الغاضب والمغضوب منه والمغضوب عليه.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 4 أغسطس (آب) 2022

وداعيتان وإستقبالان في زمن لبنان الدولتين

إعتاد عدد من السفراء العرب والأجانب الذين يعملون في لبنان على أن يكون ختام سنواتهم رسالة وداعية تجمع بين الإعجاب بالبلد بطبيعة وطعاماً وتنتهي بالتمنيات

الطبية. ويخرج أحياناً بعض هؤلاء عن النسق التقليدي حيث يضيفون في رسائلهم الداعية ما يحمل في طيات الكلام نوعاً من النقد المحبب والنصح مع لمسة من التحذير.

وحدهما دون سائر السفراء غادرا لبنان وفي القلب تعاطف لا مثيل له حيث لم تقتصر وداعية كل منهما على عبارات حادبة وتمنيات تقليدية، وإنما بقيا وهما في إغترابهما عنه مشغولي البال بكلام المحبين شعراً من الدكتور عبدالعزيز خوجة ونثراً من الدكتور علي عسيري، وكلاهما شغلا منصب سفير المملكة العربية السعودية في زمن كان أهل السياسة والحزبية في لبنان لا يدرون أي إساءة تلحقها أهواءهم بالوطن وتلك مصيبة أو يدرون وفي هذه الحال المصيبة أعظم. أعان الله السفير الحالي وليد البخاري الساعي بقدر المستطاع لإحلال السكنة في النفوس على أمل أن تحل الكلمة الطبية محل المفردات التي تتعارض والقول الكريم "ألا بذكر الله تطمئن القلوب". في زمن لبنان الدولتين كانت هنالك وداعيتان تعكس كل واحدة منهما نظرة السفير الأجنبي عندما يكون ممثلاً لبلاده في الدولة اللبنانية الرسمية ذات الميثاق والدستور والمعترف بها دولياً والتي لها حيز في صياغة ميثاق الأمم المتحدة (هذا بالنسبة إلى سفير بريطانيا ايان كولارد)، ونظرة السفير الأجنبي والأخوي وهو هنا تحديداً سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمد جلال فيروزنيا لدى الدولة اللبنانية بجناحيها: جناح الدولة الرسمية التي تتبادل معها العلاقات الدبلوماسية وتختار في استمرار سفيراً له باعه وشأنه لكي يمثلها. وجناح الدولة التي هي من حيث الارتباط والولاء المطلق للنظام الذي أرسله، ونعني بذلك "دولة لبنان حزب الله".

في الرسالتين الداعيتين والموجهتين في فترة زمنية متقاربة (أقل من شهر) نقرأ في الداعية البريطانية قول السفير كولارد "إنني حزين لترك لبنان بلدكم الجميل بمناظره الطبيعية الخلابة والتعمق في تاريخكم الأثري وتذوق طعامكم اللذيذ ومقابلة الكثير منكم في رحلاتي من الشمال إلى الجنوب والبقاع والترحيب بي بأذرع مفتوحة ومشاركة معي ثقافتكم ومشورتكم وحكمتمكم...".

لكن ماذا عن الموقف السياسي، بمعنى كيف ترى بريطانيا العظمى لبنان الذي عندما أرف الرحيل بات الوطن الصغير بالكاد يتنفس. يقول السفير "إن لبنان قد يكون صغيراً لكنه مكتمل التكوين من نواح عدة ويتمتع

بالعديد من المقومات الضرورية للنجاح. والإصلاح اليوم هو المفتاح لحل مشاكل كل لبنان الإقتصادية. الآن ليس وقت السياسة". ثم من باب التركيز كي لا يقال إن فرنسا وحدها كانت "أماً حنوناً" بالفعل وأكثر كرمًا على لبنان المتخن بجراح ناشئة عن السياسيين والحزبيين والحكم بمثلثة الرئاسة وبشريكة الفاعل في إتخاذ المواقف وإلى درجة أن حال لبنان مثل حال العراق عندما كان فيصل الثاني ملكاً لا قدرة له على إتخاذ القرار فيما الأمير عبدالإله وصياً بدرجة ملك كامل الصلاحية وأما الحليف القوي الشأن الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله فإن حاله من حيث الشأن والإقتدار مثل حالة الأمير عبدالإله. ولا عجب أن النظام العراقي الملكي سقط بضربة قاضية من بضعة ضباط يقودهم عبدالكريم قاسم في مثل هذا الشهر من العام 1958.

يقول السفير البريطاني "إن أولويات المملكة المتحدة واضحة، وأن الحكومة البريطانية ملتزمة بدعم إستقرار لبنان وأمنه". كما يستحضر قول الملكة اليزابيث الثانية "إن لبنان كان رمزاً للتنوع والتسامح والصمود ونأمل في إستمرار أواصر الصداقة القوية بين بلدينا لسنوات عديدة". وربطاً من جانبه بما تراه الملكة التي في رحاب تاجها لقي اللبنانيون المستقيمون التصرف أمنياً وضرائبياً تعاطفاً وتسهيلات وتأميناً صحياً شاملاً الدواء المفقود في بلادهم، يضيف السفير "واليوم عند مغادرتي لبنان بصفتي سفير جلالة الملكة أشاطرها طموحها، وأنا فخور بأننا المملكة المتحدة، نواصل أداء دورنا كصديق ثابت لكم. صديق للشعب اللبناني".

تلك كانت إضاءة على وداعية سفير أجنبي لم يؤذ نظام بلاده لبنان ووقف إلى جانبه في حدود محسوبة بدقة خلال أزماته وصراعاته وحروبه الأهلية ومنها الأزمة المتواصلة، والتي كان سيبدأ العلاج لها لو أن رؤوس النظام حذت حذو الرئيس البريطاني بوريس جونسون، علماً أن ما إقترفه من تجاوزات ليس وزراً كما الأوزار المتراكمة لدى أطراف النظام اللبناني، الحالي منه بشكل خاص.

وأما وداعية السفير الإيراني الدكتور محمد جلال فيروزنيا فإنها تعكس كنه نظريته التي هي من نظرة الجمهورية الإيرانية للبنان. وبعض مفردات وداعيته دليل على ذلك حيث يقول "إن العمل في لبنان له نكهة مختلفة عن العمل الدبلوماسي في أي بلد من بلدان العالم. فمن

الناحية الوجدانية يشعر المرء أنه في وطنه الثاني نظراً للمحبة التي يشعر أنه محاط بها سواء على مستوى التعاطي مع أبناء هذا الشعب الشريف أو من خلال التواصل مع معظم النخب السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية وتنوع المرجعيات السياسية والروحية والأحزاب على إختلاف مشاربها وتوجهاتها وإنتماءاتها...".

ولا تشمل وداعية السفير الإيراني النصح والتمنيات، وهذا لأنه يمثل دولة هي من خلال "حزب الله" لا توكل إلى السفير الذي تختاره مهمة إسداء النصح وإبلاغ التوجيهات والمطالب، عدا السفير الذي يتم تعيينه في دمشق ويكون صاحب دور كما الدور الذي أداه في لبنان كل من غازي كنعان ورستم غزالي للنظام الأسدي أباً ثم إبناً، ولم يكن مجرد شاغل وظيفة أمنية رفيعة الشأن نسبياً.

لم يتسن للسفير العراقي (الإيراني الهوى) حيدر البراك أن تكون له وداعية، ذلك أنه تعجل في إظهار هواه الثوري الإيراني زائداً الشعور أن لبنان حزب الله يتيح له التعبير عن ذلك الهوى غير آخذ في الإعتبار أي حساسية أو مقتضيات، فقام بزيارة إلى منطقة شيعية في لبنان البقاع أبهجه المناخ الثوري الإيراني الهوى المتأصل في نفوس محازبي الطيف الشيعي بجناحيه (حزب الله وحركة أمل) فأمسك بالرشاش وأطلق بضع قذائف لم يتصور بعدما باتت مادة على وسائل التواصل الاجتماعي أنها ستجعل مرجعه وزير الخارجية العراقية فؤاد حسين يصدر قراراً بنقله من مقر عمله سفيراً لدى لبنان إلى مقر لن يكون قادراً فيه على إستعمال رشاش. على نفسها جنت عدم دبلوماسيته الذي منصبه رمز للعمل الدبلوماسي.

وعلى قاعدة الشيء بالشيء يُذكر كما يقارن تشبيهاً، فإن مقابل الوداعيتين اللتين أضأنا عليهما هنالك إستقبالان يحтар المراقب مثل حالنا في المسارب والمسالك التي إتسم كل منهما به. ومن المصادفة اللافتة أن فلسطين هي مرجع الإستقبالين. إستقبال من جانب دولة "حزب الله" لزعيم "حركة حماس" إسماعيل هنية الآتي من "دولة غزة" في مهمة وليس في زيارة رسمية من الدولة اللبنانية. وقد لقي بدءاً من المطار وحتى القصرين قصر الرئاسة الأولى ثم الرئاسة الثانية، تليها سراي الرئاسة الثالثة غير الثابتة والمستقرة إستقبلاً بالغ التميز، ولسان حال الداعين والمستقبلين "يا ضيفنا لو زرتنا...".

لوجدتُنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل".

وأما الإستقبال الثاني للآتي من فلسطين المطران موسى الحاج فلم يكن فقط غير رسمي على مركز الحدود البرية مع فلسطين المحتلة وإنما كان، إذا لم يتم إحتواء الموقف وتكميم التصريحات، إستقبلاً أشبه بجمرة تلقى على أكوام شجرة الأحوال اللبنانية التي كانت وارفة وباتت أغصاناً متيبسة. ولقد إنطبق على نوعية الإستقبال وإجراءاته الأمنية والقضائية مطلع الأغنية الشعبية "شو جابك عاديرتنا" أي لماذا أتيت إلى ديارنا من إسرائيل!

عسى ولعل لا تكون خواتيم واقعة التصرف المنقوصة بُعد النظر ما قد يشعل البيت ناراً على نحو ما أشعلت جمرة إبعاد الخميني من ملاذ لجوئه النجفي إلى فرنسا بعد رفض دولة الكويت إستقباله نار الحرب الإيرانية _ العراقية ومغادرة قائد الثورة والحرب (الإمام الخميني) الحياة مصطحباً في نفسه الغضب على صدام وعراقه البعثي الذي أبعدته... وكل من أزره قولاً وفعلًا.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 9 أغسطس (آب) 2022

أم الدورات الأممية.. والتي بعدها

إقترب موعد إنعقاد "أم الدورات الأممية" .. الدورة السنوية العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة، وبدأ الرجال من جانب المئة وأربع وتسعين دولة الأعضاء في منظمة كل العالم، للمشاركة في أعمال الدورة التي شهرا إنعقادها سبتمبر / أيلول وأكتوبر / تشرين الأول.

جرت العادة أن تكون المشاركة تكون من الرجل الأول في الدولة أو نائبه أو وزير خارجيته. المسألة هنا إستثنائية وتبعاً لظروف وضرورات. وهنالك رؤساء كانوا ينتظرون بشوق إنعقاد الدورة لكي يشاركوا شخصياً حيث أن المشاركة تتيح لهم الإلتقاء برؤساء لا يتزاورون معهم وتقتضي المصلحة بأن يتم التلاقي بهم وما يتبع هذا التلاقي في رحاب المنظمة الأممية من تفاهات أو تصفية معاتبات أو الإتفاق على إبرام صفقات. كما ثمة بعض حكام يعينهم كثيراً إلقاء كلمة من على منبر المنظمة الأممية فيدهم داخلياً وتساعد في إدراج قضايا بلادهم خارجياً وبين هذا الداعي وذاك هنالك قادة

ينتظرون بفارغ الصبر مناسبة إنعقاد الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة لكي يقولوا من على المنبر ما في خاطر من أفكار أو في الصدر من إحتقان. ولنا على سبيل المثال لا الحصر وقفات كلامية كثيرة الحدة من جانب الزعيم السوفيياتي نيكيتا خروتشوف والرئيس الليبي معمر القذافي والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

في أي حال أبهجت القادة الثلاثة الوقفة والكلام الذي قيل، إلا أنها لم تحقق المبتغى وبقيت المفردات مندرجة ضمن صفحات المواقف التي تعكس جوانب من فريدة الفكر السياسي لدى نماذج من أهل الحكم.

هذه الدورة الآتي إنعقادها، تبقى الأكثر أهمية في سجل دورات الجمعية العمومية. وإستباق تصنيفها بأنها "أم الدورات الأهمية" على أساس أن مردود ما بعد إلتزام الشمل المشارك من قادة أو من يمثلهم ليس كما نتاج الدورات السابقة. فالعالم الآن من القطب إلى القطب على مشارف صواعق قد تنتهي حروباً من أجل تثبيت الشأن الدولي أو من أجل قطع الطريق على المجاعة. وقبل أن تبدأ روسيا بوتين حربها ضد أوكرانيا كان هنالك إشغال بال دولي بالمناخ ثم بالجائحة الكورونية التي ما زالت هاجساً لدى الحكومات والشعوب على حد سواء. وعلى هامش هذا الإنشغال محاولات لترق الثوب الدولي من خلال تصحيح مسار صراعات معلقة الحسم من نوع الصراع العربي _ الإسرائيلي والذي لم تثمر خطوات نوعية عربية على طريق التطبيع في ترويض إسرائيل بحيث تنهج مسار الدولة التي تجاور دولة فلسطين ويطوي الطرفان الإسرائيلي بجناحيه الصهيوني الحائد واليهودي التائه، والفلسطيني الحائر المتعدد المشارب الثورية بتعدد الطبقات، العقود السبعة الحافلة بالعدوان والمباشرة بالعيش على قاعدة ما للفلسطينيين لهم وما لليهود لهم وبذلك تطمئن النفوس العربية ولا يعود هنالك مبرر لإستعمال الموضوع الفلسطيني ورقة إيرانية يدفع الطيف الغزاوي من الشعب الفلسطيني الثمن بشراً وحجراً، ويوظفها الطيف الإيراني في لبنان متمثلاً بـ "حزب الله" تعقيداً إثر تعقيد للأحوال.

بعد أن أشعل بوتين ناراً في أوكرانيا إفترض وهو القابض على سلاحين بأهمية السلاح النووي، وهما سلاح الغاز والغذاء قمحاً وسائر أنواع الحبوب، أن الأمور لن تتطور وأن كبيرات دول العالم وكذلك الدول التي تحلق

في فضائها ستسارع الخطى السياسية بعد الإكثار من التمنيات، لكي تستدرك روسيا ما بدأته ويصغي رئيسها لما هو من الواجب الإنساني الإصغاء إليه والأخذ به. لكن عناده من جهة وملاقاة الغرب الأطلسي بعناد مقابل جعل السيناريو البوتيني يتعثر ويتحول بوتين من حاكم يبغي بالتخويف محاولة إستعادة دولة إستقلت عن الإتحاد السوفيياتي، أو في الحد الأدنى تحييدها بحيث لا تكون أطلسية تتأصب روسيا التحدي وربما مع الوقت تهيتها لتكون إفترافاً نقطة إنطلاق لغزوة أطلسية لروسيا بنكهة نابوليونية.

وهكذا إستقرت الحال على تأرجح أفرز مخاوف، وتطورت الحرب لأن التحدي على مستوى أهل القمة إستمر يتقدم على مساع خجولة للتهدة وتحت صيغة حفظ ماء الوجه وبحيث أن ما كان يُفترض حسمه في أسابيع ها هو يتنقل من شهر إلى آخر. وبات الرهان البوتيني مأزقاً لا تنفع فيه المساعي الثنائية أردوغانية كانت أم ماكرونية، كما لا تُقدم كثيراً تلك القمة التي إستضافها المرشد خامنئي في طهران يوم الثلاثاء 19 يوليو/ تموز 2022 رداً بالغ السرعة والتوقيت بحيث أن الإنعقاد تم بعد ثلاثة أيام من إنعقاد القمة العربية _ الأميركية في جدة (السبت 16 يوليو) وتميزت بإعادة الرئيس بايدن القراءة في رؤيته وفي سيناريو رهاناته، وكانت صورة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي ممسكاً بقبضة يده اليمنى بيد الرئيس أردوغان وبقبضته اليد اليسرى بيد الرئيس بوتين وهو مبتسم بينما كل من الرئيس التركي والروسي مقطبي القسمات، من نوع اللقطات التي برسم التسويق الداخلي ولدى الأطياف العربية المرفقة في الفضاء الإيراني وتحديداً "حزب الله" في لبنان والجزء الحوثي في اليمن وكذلك الجزء الجهادي _ الحمساوي من الصف الفلسطيني. ومع هؤلاء هنالك الأطياف العراقية التي ما زالت على الرفرة نفسها. كما أن الصورة نفسها كانت رداً على الصورة التذكارية التسجيلية البعيدة عن الإفتعال للقادة العرب المرتاحي التعبير يتوسطهم الرئيس بايدن وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز وكلاهما ممسك الكفين فيما الآخرون رئيس وزراء العراق مصطفى الكاظمي وولي عهد الكويت الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني وملك الأردن عبدالله بن الحسين (إلى يسار الأمير محمد بن سلمان). أما إلى يمين الرئيس الأمريكي

فإنهم ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي ورئيس دولة الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ورئيس وزراء سلطنة عمان أسعد بن طارق آل سعيد.

وهؤلاء لم يعقدوا قمة رد فعل، ذلك أن القمة متفق عليها وعلى جدول أعمالها. ومن أجل ذلك إنتهت قمة عمل لترويض معضلات تحتاج إلى عين عربية _ أميركية بصيرة تعزز دور اليد القصيرة الفعل أو التفعيل المرجأ إلى أحيان من جانب الإدارة الأميركية.

هاتان القمتان.. قمة الفعل في جدة التي كانت قبضتا اليد الترحيبية بالرئيس الأميركي ذات مفعول أكثر من قبضتي يدي الرئيس الإيراني بيمنى يد الرئيس بوتين وبيسى يد الرئيس أردوغان، ربما نلاحظ لهما مفاعيل عند إنعقاد الدورة السابعة والسبعين للجمعية العمومية للأمم المتحدة والتي تفرض التطورات التي تعيشها دول العالم كبيراتها وصغيراتها على حد سواء وكل دولة في إطار ما يتعلق بالدور والتصرف، أن يشارك فيها الجميع على مستوى القادة الرؤساء وليس من ينوب عنهم. وإذا كانت الدورة الماضية (السادسة والسبعون) لم تشهد هذا المستوى من الحضور حيث إقتصرت على مئة رئيس دولة وإثنين وخمسين رئيس حكومة وأربعة وثلاثين وزير خارجية، ربما لأن إحجام سائر الرؤساء عن المشاركة على أساس أن الموضوع الأساسي للدورة هو "بناء القدرة على الصمود بالأمل للتعافي من جائحة كورونا وإعادة بناء الإستدامة والإستجابة لإحتياجات الكوكب وإحترام حقوق الإنسان وتنشيط الأمم المتحدة"، فإن الدورة السابعة والسبعين تستوجب مشاركة على مستوى القمة، إلا في حالات بالغة الإستثناء. وتستوجب حضوراً ليس بغرض إلقاء كلمة أو خطبة من خلال المنبر الأممي، وإنما المشاركة بنية السعي لتوافق الكبار مع بعضهم البعض على درء مخاطر الحروب التي لا تكتفي بما فعله بوتين وأوكرانيا وإسرائيل وقطاع غزة ومدن وبلدات في السلطة الوطنية الفلسطينية وما سبق أن فعلته الحرب الأميركية بوشاً بعد بوش بالعراق وبما تفعله إيران مباشرة أو من خلال ميليشياتها في اليمن وكذلك ما تفعله تركيا أردوغان إلى جانب روسيا بوتين وإيران خامنئي بسوريا، وإنما ستقرز حروب الكبار جولات من الحروب الأهلية في دول كثيرة لعل الظاهر منها في المشهد الراهن ليبيا والعراق والسودان ولبنان.

وشمة فوارق كثيرة بين أن يجتمع على هامش الدورة

السابعة والسبعين رؤساء روسيا والصين والهند وتركيا وإيران وفرنسا وبريطانيا وألمانيا مع رئيس أميركا وسائر الرؤساء المبتلين بأزمات وصراعات ناشئة عن إشتهاءات روسية وأميركية وصينية وإيرانية لوضع اليد على أراضي آخرين، وأن تتعقد الدورة في غياب هؤلاء أو بعضهم كما شمة فوارق كبيرة بين أن يقف رئيس الدولة شخصياً يلقي كلمة وتحوي مطلباً أو تسجل موقفاً، وبين أن تُبث هذه الكلمة المسجلة عبر فيديو، أو يلقي الكلمة من يمثله.. وهذا ليس مضموناً بقاءه وزيراً للخارجية على سبيل المثال.

الدورة السابعة والسبعون هي في واقع الحال إفتراضاً دورة الكوكب المرتعش وشعوب دوله من القطب إلى القطب الخائفة من كوارث الصراعات والحروب. ولعلها تؤسس لدورة حاسمة لا تكتفي ببلسم الجراح وترويض النفوس وترميم الخراب وإنما لبناء صروح من العيش الهادئ والتنمية وتصفير الأسباب والمشاريع والعقائد والفتاوى والتهبؤات والسير على طريق الهداية وإعتماد جوهر "وأما بنعمة ربك فحدث" بدل التباهي بتدمير هذه النعمة. وقياساً بروحية قمم عربية _ إسلامية _ دولية على مدى خمس سنوات دون كلل أنتجت إستضافة المملكة العربية السعودية لها ملامح خير في العلاقات الدولية والرؤى التنموية التي يثابر على إنجاحها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان رمز جيل الأحفاد في المملكة وعلى نحو ما يتمنى وجاهد وأسس جده الملك عبدالعزيز، فإن إستضافة دورة أممية وبالذات الدورة الثامنة والسبعون للجمعية العمومية للأمم المتحدة في المملكة وبمشاركة المئة وأربعة وتسعين رئيس دولة دون إستثناء تبدو تجربة تستحق الأخذ بها. ومثل هذا الإنعقاد ليس مستغرباً. فإنعقاد الدورة ليس فرضاً إنعقادها في نيويورك وإنما حيث هنالك ظروف تحقق لها النجاح. هذا فضلاً عن أن الإنعقاد الأول للجمعية العامة للأمم المتحدة تم قبل خمسة وسبعين سنة في لندن وبمشاركة 51 دولة كما أن الدورة الثالثة (بعد الثانية في نيويورك) عُقدت في باريس ليتم الإنعقاد السنوي تثبيتاً في مقر المنظمة الدولية في نيويورك.

ونحن عندما نرى أن فرضية الدورة الثامنة والسبعين في جدة أو الرياض أو العلا فلأن مثل هذا الإنعقاد ينهي تحفظات كثيرة ويحقق إنجازات أكثر، فضلاً عن أن التحفظات أوجبت قبل أربع وثلاثين سنة وبدافع ضرورة

أن يلقي الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات كلمة لا يجاز أو يتاح له توجيهها من على منبر منظمة الأمم المتحدة من نيويورك، تم التوافق على عقد دورة في مقر الأمم المتحدة في جنيف (ديسمبر/ كانون الأول 1988) وألقى عرفات كلمته التي مع الأسف ما زال التفاعل الأممي فاتراً مع روحيتها التسالمية والعقلانية والتي يسرت أمر المبادرة العربية للسلام.

لعل السابعة والسبعين التي بدأ شد الرجال لها تضفي جدية على المنظمة التي هي للأمم شكلاً وللكبار واقعاً. وهذا ما تتطلع الشعوب إلى تبدل نوعي في الرؤية وفي العمل. كما لعل الدورة السابعة والسبعين التي تبدأ بعد أيام تكون بالفعل "أم الدورات الأممية" وتؤسس للدورة الدورة الثامنة والسبعين التي نطمح إلى أن نشهد إنعقادها في السعودية. والله المعين... والمنجي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 16 أغسطس (آب) 2022

اليد المغربية.. للمصافحة الجزائرية

على نحو ما كان والده الملك الحسن الثاني رحمة الله عليه يحول القمم العربية التي إستضافها في الدار البيضاء والرباط وفاس من ساحة تبلغ التناقضات بين مواقف قادة بعض الدول الأعضاء مداها إلى ما يجعل البغضاء تتراجع لدى أطراف عربية وتحل محلها أجواء من الود.. هكذا نهج الملك محمد السادس.

ولكم شارك البعض من القادة في تلك القمم ونفوسهم ملأى بالتحدي تجاه بعض آخر، ثم بكياسة وعبارات سياسية وروحية يدخل الجميع قاعة إنعقاد المؤتمر وقد حلت المودة وطويت لدى البعض مشاعر وصلت إلى درجة العداوة.

ولقد تسنى لي كصحافي غطى أجواء القمم العربية وما حفلت به جلساتها السرية وأيضاً ما كان يجري في الكواليس، الوقوف على تخريجات الملك الحسن الثاني ومنها ما رواه لي محمد أحمد نعمان رحمه الله ما أحوج الضائقة الراهنة في اليمن إلى حذاقة تخريجاته، من أن العاهل المغربي وفي محاولة منه لترويض مواقف بين أطراف تصل أحيانا إلى درجة العداوة ومنها على سبيل

المثال لا الحصر ما بين مصر السادات وسوريا حافظ الأسد وما بين هذه الأخيرة وعراق صدام حسين، كان يستحضر من كتاب الله من القول ما يخفف وطأة الحدة حتى أن الآية الكريمة "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم" كثيراً ما إستحضرها قولاً في سعيه.

وإلى ذلك كان يحرص بعد كل قمة من الخمس التي إستضافها على أن يستبق عبارة الشكر على الإستضافة التي يتضمنها البيان الصادر بإسم الملوك والرؤساء بالقول في كلمة الختام التقليدية ما يجعل خطوات التوفيق التي أنتجت سعيه تزداد ثباتاً. وفي ذاكرتي قوله على سبيل المثال في هذا الشأن مخاطباً القادة المشاركين: "أود أن تطيلوا المكوث معنا أكثر من هذا حتى نتمتع بكم ويتمتع شعبنا بكم وحتى ننير أذهاننا أكثر بأرائكم ومناقشتكم للمستقبل فالبعد والنوى هنا لا يزيدون إلا تقارباً وتضامناً وإيماناً بالله وإنما بقضيتنا...".

وأما إعتراف أهل القمة بسعيه فإنهم بدورهم كانوا يحرصون على أن يتضمن بيانهم الختامي الإعتراف بنهج الحسن الثاني وحنكته في تحليل التعقيدات المستحكمة في علاقات البعض من بينها ما سجلوه في بيان ختام قمة قمم الحسن الثاني الخمس (القمة العربية في الرباط أكتوبر 1974) حيث وردت فيه عبارة "عظيم التقدير لما بذله صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية من جهد صادق قبل عقد المؤتمر وأثناء إنعقاده ولرئاسة جلالته الحكيمة التي هبأت للمؤتمر التغلب على جميع الصعاب والوصول إلى قرارات تاريخية...". وما يقوله القادة المشاركون وليس من باب المجاملة فقد كان جهد الحسن الثاني كبيراً وأثمر توافقات ومن دون أن يلقي تحفظات من طرف.

وحيث أن دول العالم على موعد مع الدورة السابعة والسبعين للجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد أيام، فإن من جملة القرارات التاريخية كان إعتقاد القمة العربية السابقة زمن إنعقادها قبل 48 سنة في الرباط الأخذ بإقتراح الحسن الثاني "أن يحضر في الجمعية العمومية أثناء مناقشة قضية فلسطين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية ورئيس مؤتمر القمة العربي السابع وصاحب الفخامة الأستاذ سليمان فرنجية رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس مجلس جامعة الدول العربية في دورتها الحالية (محمود رياض) وذلك تأكيداً

للتضامن العربي في قضية فلسطين".

مناسبة هذا الاستحضار لنهج الحسن الثاني وتخرجاته في ترويض الأزمات العربية وإغتنام إنعقاد القمم العربية في ديار مملكته لتقريب ذات البين وتلبيح الحدة المستحكمة في العلاقات بين البعض، أن الملك محمد السادس على خطى هذا النهج. وهو إستباقاً لتعطيل القمة العربية الدورية في الجزائر وبحيث لا تُمنى بتأجيل ثان، نتيجة أزمة حادة إستحكمت في العلاقات الغربية _ الجزائرية إلى جانب عدم حسم المشاركة السورية، سجل ليل الجمعة 29 يوليو/ تموز 2022 في خطاب ألقاه لمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لعيد العرش (عيد الجلوس) خطوة حَسَنِيَّة بمعنى أنها من إضاءات الوالد الراحل في ليالي الخلافات والعداوات العربية الظلماء، وتمثلت وبما لم يتوقع الشقيق والجار الجزائري حدوثه حيث تضمنت خطابه عبارات من نوعية تلك التي سمعناها أو قرأناها في الستينات من الشاعر المصري حافظ إبراهيم مع بعض التعديلات (هذي يدي من بني مصر تخاطبك فصافحوا تصافح نفسها العرب. لولا رجال تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لُمنّا ولا عتبوا).

من جملة ما قاله الملك محمد السادس "إننا نتطلع للعمل مع الرئاسة الجزائرية لأن يضع المغرب والجزائر يداً في يد لإقامة علاقات طبيعية بين شعبين شقيقين تجمعهما روابط تاريخية وإنسانية والمصير المشترك، ونحن حريصون على الخروج من هذا الوضع وتعزيز التقارب والتواصل والتفاهم بين الشعبين، فالحدود التي تفرق بين الشعبين الشقيقين المغربي والجزائري لن تكون أبداً حدوداً تغلق أجواء التواصل والتفاهم بينهما. إن ما يقال عن العلاقات المغربية _ الجزائرية غير معقول ويحز في النفس، وأكد أن أشقاءنا الجزائريين سيجدون دائماً المغرب والمغاربة دائماً إلى جانبهم في كل الظروف والأحوال....".

مثل هكذا توجه من جانب الملك محمد السادس سيقلق أطرافاً في البلدين أمعنّت إتهامات وتطبيقات وتدوين أحقاد في كتاب علاقات الجيرة، لكن التوجه هذا هو ما نتطلع إليه الأكثرية من الشعبين في كل من الجزائر والمغرب، ذلك أن تجربة الخصام لم تحقق سوى تعميق الأزمة التي كادت لولا مبادرة الملك محمد السادس تصبح نتيجة عدم العلاج الحاسم فتنة. والفتنة أشد من القتل.

وإلى ذلك فإن الاعاصير السياسية التي تعصف بدول

العالم كبيرها وصغيرها مع إختلاف الدواعي المسببة لها، باتت تفرض على الأنظمة عموماً التبصر وعدم ترك الأمور الخلافية عالقاً وتقديم ما تريده الرعية من حاكمها على ما عدا ذلك من تطلعات وطموحات. وبالنسبة إلى ما يخص المغرب والجزائر فإن التطلعات في السبعينات في شأن إتحاد المغرب العربي ينقاسمها القادة الثلاثة الذين باتوا في ذمة الله مترحمين عليهم (الملك الحسن الثاني والرئيس هواري بومدين والرئيس معمر القذافي) حول من يترأس وأين المقر وتثبيت دورية الأمين العام هذا عدا التباين حول مسائل دفاعية وتنمية.. إن تلك التطلعات باتت من ذكريات الماضي. كما باتت من ذكريات الماضي تخريجة تم التوافق على مضض من جانب القادة الثلاثة، وهي أن يكون المقر تونس، وهي الصيغة التي بقيت تنتظر قيام الإتحاد إلى أن تحققت عندما قررت القمة العربية الإستثنائية تجميد عضوية مصر الساداتية في الجامعة العربية ونقل مقر الأمانة إلى تونس وإختيار الشاذلي القليبي أميناً عاماً للجامعة ثم إستعادت مصر ما تعتبره إرثاً قرره عموم العرب.

ولكي لا يؤثر إستحضاري كمتابع لتلك المحاولة (التي لم يُكتب لها السعي والصبر لكي تستقر فلا تُطوى مع سائر الأحلام القومية) وعلى الكثير من خفايا الإجتماعات وما حفلت به الكواليس من تباينات، على التوجه الطيب من جانب الملك محمد السادس لرأب التصدع الذي ألم بالعلاقات المغربية _ الجزائرية، فإن الذي يمكن قوله إن ظاهرة صراع القادة الثلاثة، وطموح كل منهم للتسيّد طويت بإنتقالهم تبعاً إلى دنيا الآخرة، وأن هموم الزمن الحاضر يفرض على أهل الحكم في كل من المغرب والجزائر وموريتانيا وتونس وأهل الحكومتين في ليبيا هي كيف تستقر الحال وينصرف الجميع إلى الأخذ بخيارات مرجأة من بينها إختبار نوايا إسرائيل التي يتضح أن حكومتها تتفاعل مع موضوع التطبيع كأنه سلعة أو صفقة كسبتها وليس مسألة مبدأ للسلام والسلامة. كما أن الهموم في جناحي العالم العربي مشرقاً ومغرباً هي في مداواة العثرات المتواصلة والتي كما حال دول عربية أخرى شقيقة (لبنان وسوريا والعراق واليمنان التبعين والسودان والفلسطينان "فلسطين رام الله" و "فلسطين غزة") تنحصر في كيف يستطيعون تأمين الحد الأدنى من مطالب الناس سبيلاً لتأمين الحد المماثل في إستقرار مؤسسات الحكم.

يبقى القول إن مبادرة الملك محمد السادس تأتي في

تحت وطأة ما توجزه الآية الكريمة: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ".

كُتِبَتْ لِصَحِيفَةِ «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 24 أغسطس (آب) 2022

* * *

حزن بكل صدق..

وإنتظار إنصراف بفارغ الصبر

هنالك ظاهرتان لافتتان في المشهد السياسي الراهن وتشكلان لمن يحكمون راهناً أو يحلمون بالسلطة لاحقاً. الظاهرة الأولى متصلة بعهد الرئيس ميشال عون ولم تك معالمها بهذه الحدة في عهود العشرة الذين سبقوه كما في العهدين اللذين قُضي عليهما تفجيراً منذ أن أديا القسم وهما الرئيسان رينيه معوض والرئيس بشير الجميل.

في عهود العشرة السابقون بدءاً بالرئيس بشارة الخوري فالذين خلفوه (كميل شمعون، الجنرال فؤاد شهاب، شارل حلو، سليمان فرنجية، أمين الجميل، الياس سركيس، الياس الهراوي، الجنرال إميل لحود، الجنرال ميشال سليمان) لم يحدث أن رئيس البلاد بات موضع شتائم وسخرية من جانب الناس كما الذي حدث مع الرئيس الجنرال عون.

في تلك العهود كانت عبارات النقد لهذا الرئيس أو ذاك بالغة القساوة إلا أن المواطنين كانوا عموماً في منأى عن رمي الرئيس بالنقد، وهذا لا يعني أن أحاديث مجالس الناس لم تشهد من النقد لأهل السلطة من أعلاها إلى سفحها اللاذع من العبارات، إنما ضمن أصول التعبير وإحترام ما يتعلق بالخصوصيات. وحيث أن وسائل الإعلام كانت الصحف إضافة إلى محطة الإذاعة ثم لاحقاً محطة التلفزيون وكلتاها رسميتان، فإن تعميم المواقف يخضع إلى ما لا يتخطى الحدود والأصول وإحترام المقامات.

في عهد الرئيس ميشال عون حدث ما لم يحدث من جانب الناس وبالأذات تلك الأطياف المكتوبة بتداعيات الإخفاقات. وحيث أن وسائل التواصل الإلكتروني المتوفرة عموماً لدى الجميع ونادراً ما تجد مواطناً أو مواطنة لا

الوقت العربي البالغ الحساسية إذ أن القمة العربية الدورية المقرر إنعقادها في الجزائر يومي 1 و2 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022 (تزامن الموعد مع ذكرى ثورة الجزائر ضد الإستعمار الفرنسي) لن تكون عادية في حال إنعقادها، إذ سيرى القادة على ما يجوز التمني طي صفحة تغييب سوريا وعلى نحو طي تغييب مصر سابقاً، هدياً بالخطوة الخليجية التي قضت بإستئناف دولة قطر مشاركة ومؤازرة في مجلس التعاون الخليجي. هذا إلى أن هذه القمة على موعد مع قرار حازم في ما يتعلق بتفعيل المبادرة العربية بحيث يصار إلى تخيير إسرائيل بين جدولة من تنفيذ بنود المبادرة وبما يعطي الخطوات التي تم إتخاذها على صعيد التطبيع تدعياً لهذه المبادرة، وإلا تخيير إسرائيل بين جدولة بنود المبادرة أو تجميد تلك الخطوات التطبيعية إلى حين وضوح النوايا.

كما أن القمة العربية الدورية في الجزائر على موعد آخر يتعلق بتصويب العلاقات العربية _ الإيرانية وهو تصويب من شأن مردوده إطفاء نيران كثيرة مشتعلة ومحاصرة حالات ربما تنتهي حرائق. وليس لبنان بعيداً عن هذا الإحتمال.

خلاصة القول أيضاً إن مبادرة الملك محمد السادس تجعلنا نستحضر مبادرة ملكية هي الأخرى وكأنا المبادرات الطيبة لرأب الصدع تأتي دائماً من الملوك العرب. ونعني بتلك المبادرة وقفة الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمة الله عليه في القمة الإقتصادية في الكويت يوم 19 يناير/ كانون الثاني 2009 وقوله على الملأ فيما الأذى الكلامي البشاري الأسدي كان على أشد الفذاعة في حق المملكة ومصر "إننا تجاوزنا مرحلة الخلاف وفتحنا باب الأخوة العربية والوحدة لكل العرب دون إستثناء أو تحفّظ وإننا سنواجه بالمستقبل بإذن الله خلافتنا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص مستشهدين بقوله تعالى (ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...).

في ذات لقاء مع طارق عزيز (رحمه الله) أحد القامات الدبلوماسية العربية حول أجواء القمم العربية عموماً وبالذات التي كانت تستضيفها المملكة المغربية قال إن الملك الحسن الثاني "هو جامع الأضداد على كلمة سواء". وها هو الملك الإبن محمد السادس على الصراط المستقيم نفسه. عسى ولعل تلاقي اليد الجزائرية اليد المغربية وعلى قاعدة التحية بمثلها أو بأحسن منها من جانب الرئيس عبدالمجيد تبون خصوصاً أن الأمة تعيش

يملكون "الموبيل" هذا إلى جانب المستحدثات من مواقع تتيج لأصحابها بث الكلام على نحو ما يريدون من دون التوقف عند أصول التخاطب، فإن ما بدأ يقال عن العهد رئيساً وحاشيات شكّل ظاهرة عزز بشاعتها ما كان يُكتب على جدران المباني في المنطقة التجارية من العاصمة التي تم إستحداثها خلال ست سنوات حريية وبدا الإستحداث العصري وكأنما هذه المنطقة تؤام أزهى المناطق التجارية في لندن وباريس ونيويورك والرياض ودبي.

في بداية الأمر قيل إن هذه الكتابات التي تتضح إهانة شخصية وعامة لرئيس البلاد ولمن حوله هي من فعل غلاة الثوريين والشيوعيين، إلا أن ما كان يقال ويُبث صوراً ورسوماً وأغاني مركبة وأشعاراً من خلال رسائل التواصل الاجتماعي، كان يعكس إنطباعاً بأن البغضاء تجاه رئيس البلاد لا تقتصر على قلة وإنما تشمل حتى أولئك المندرجين في بند التحزب لرئيس البلاد، وهذا عائد إلى ضيق العيش فضلاً عن الضيق من التحالفات السياسية وما يتسبب به العهد من أذى للبنان المقيم وللبنان المغترب في الدول العربية من تأثير على حياته العملية ومحيطه الاجتماعي.

رغم ذلك كانت ظاهرة الكلام عن العهد وعن الرئيس والحاشيات على أنواعها لا تلقى وقفة تأمل من جانب الرئيس. بطبيعة الحال ليس لأنه ديمقراطي ويحترم الرأي لدى الآخر أو الآخرين علماً أنه كعسكري ليس كذلك من حيث المبدأ، كما لم يكن كذلك وهو رئيس حزب بدليل أنه أورثه تعييناً لمن إصطفاه، وبما يعني أنه لم يترك الأمر في عهدة عملية إنتخاب ديمقراطي لا تتأثر بسلطته المستجدة كرئيس للجمهورية. وأما لماذا لم تحدث وقفة التأمل المشار إليها فلأن وقائع ما كان السبب في الكلام المسيء في حق الرئيس شاهدة على ما أحدثه العهد وكيف أن الدولة تفقد مقوماتها إضافة إلى أن أساسيات خصوصية الوطن بدأت تهتز. وإزاء ذلك ليس أمامه إلا الإنتفاض على الذات وعلى التحالفات وعلى الحاشية وعلى الذين من حوله وإعادة النظر في حظوة الأقربين والظهور بما بقي من مدة العهد بمظهر المصلح. لکه لم يفعل وربما لا يريد، وبقي أسير رئاسة باتت قفصاً فقد بریق أهمية من فيه ولمعان ذهبه.

ربما تحدثت صحوه مفاجئة ويقرر الرئيس عون إفتعال مناسبة يُلقى فيها خطبة وداع يعتذر في بعض عباراتها

عن ظلم وتظلم ألحقه عهده بالشعب اللبناني، ومن الأطراف العربية التي أسيء لها في سنوات رئاسته. وإن هو فعل ذلك فسيلقى التقهم الدولي والعربي كما الثناء ومن الشعب اللبناني الصفح شبه الجميل.

تلك إضاءة عابرة على الظاهرة الأولى لكن الظاهرة العونية التي دونت في تاريخ الأحوال السياسية والحزبية كأكثر التحالفات غرابية والمتمثلة بتحالف أكثرية تمثل الشيعة مع تمثيل لبعض الطائفة المارونية. ووجه الغرابية أن الحليف الأول (حزب الله) مقاوم ومسلح والثاني (التيار الوطني الحر) غير مؤمن بالمقاومة ولا سلاح لديه. ولكن حبات عقد هذا التحالف إلى إنفراط وارد الإحتمال لمجرد إنصراف الجنرال ميشال عون.

أما الظاهرة الثانية فتتمثل بالنصح الأسبوعي وأحياناً في مناسبات من جانب امرأة شاءت الأقدار أن تكون ملكة مملكة متعددة الدول، أي على نحو ما هو عليه مجلس التعاون الخليجي، وهي في بداية سن الشباب فتاة في السادسة والعشرين ورثت عرش والدها من دون أن تتوقع ذلك.. ولكنها الأقدار.

وطوال سنوات تاجيتها السبعين زوجة وأماً عاشت حريصة أن تكون ملكة الشعب بكل أطيافه وليست ملكة عائلتها فوضعت كل أمير أو أميرة ضمن حدود تمارس على كل منهم من النصيح ومن التحذير ومن الإجراءات ما يبقى التاج والرأس الذي عليه هذا التاج في مدار إحترام الشعب. وفي السياق نفسه كان التواضع أحد شمائلها الكثيرة كما كانت إبتسامتها عند مناسبة أو خلال زيارة تبعث في نفوس الناس وبالذات في أزمان الأزمات، وما أكثرها، إرتياحاً ما بعده إرتياح. كان الصدق حليفها وبشكل خاص عند الحزن على رحيل رفيق عمرها فيليب.

باتت اليزابيت الثانية الأم الفخرية لعشرات الألوف من الأحفاد المزدوجي الجنسية من العربي إلى الباكستاني إلى الهندي إلى الأفريقي. هؤلاء وعلى مدى سبعين سنة اليزابيتية ولدوا في بريطانيا التي إحتضنت الأجداد فالآباء الذين وجدوا فيها ما لم يجدوه في دولهم وهؤلاء إكتسبوا الجنسية وصدقوا مع رفاقهم الإنكليز في مدارس بريطانية النشيد الوطني وقالوا كما أهاليهم بكل عفوية وصدق "حفظ الله الملكة". ولا بد أن اليزابيت الثانية كانت تشعر بذلك، فلطالما أوصت أن من دخل بيت المملكة المتحدة، ونقصد بذلك بيت اليزابيت الثانية إبنة جورج السادس الذي تُوفي في سن مبكرة، يكون آمناً ومستقراً ما دام

الأمثولات في العالم العربي والتي حرص على الشعب والعدل والغوث أبرز عناوينها، وبالذات عنوان اليوم الوطني للمملكة الذي ذكره الـ 92 بعد أيام والتي يحتفل بها الشعب السعودي المحفوظ بقيادة تستلهم تلك الأمثولات ومعه شعوب عربية وإسلامية هدأت من روعها كوارث أملت بدولها، من خلال إغاثات خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي ينم على خطة برسم الإستحداث ويصحو على خطة قاربت الإنجاز. والله المعين والهادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 سبتمبر (أيلول) 2022

* * *

الوعد الصادق في ذكرى اليوم الوطني

في ظل هذه العتمة السياسية والضميرية التي عممتها تركيبة حكم لا يعتبر سيادة الوطن وطمأنينة الشعب من واجباته، ويقاسي اللبناني مختلف أنواع المعاناة، حلت مناسبة العيد الوطني للمملكة العربية السعودية في ذكره الثانية والتسعين، تحرك في النفوس التي زادت إحباطاً ممارسات أهل الحكم بدولتيه، الدولة الرسمية والدولة الحزبية الرديفة نبعا وروافد، بعض التقاؤل بأن ما هو حاصل في السلوك السياسي من أهل الحكم أولئك إلى زوال طال زمن العناد أم قصر دور الإستترهان وأن الصراط المستقيم هو في نهاية الرهانات ما من الخير السير عليه إلى أن يستعيد لبنان ما هو واجب الأخذ به، تجاه الدولة التي تسعى أكثرية دول العالم إلى أفضل العلاقة الإستراتيجية ومعها الدول العربية بإستثناء الإثنيتين المعطلتين سوريا ولبنان وقعتا في القبضة الإيرانية التي تعطي من طرف اللسان شحناً ثورياً وطائفاً ومن اليد شحنات، سلاحاً وصواريخ ومسيّرات، فيما حاجة الناس في هاتين الدولتين وفي النصف الخارج على الشرعية من الدولة اليمنية، إلى العيش الكريم والجوار الأكرم، وما تتطلبه عادات الأيام من نجدات لا يتأخر أمر إرسالها بكل كرم النجدة وسرعة تأمين الوصول.

طوال سنوات العهد اللبناني الذي قاربت شمسه المكسوفة عموماً على الغروب كانت المملكة من خلال الإحتفاليات الرمزية من جانب سفارتها لدى لبنان تبعث

يحترم الأصول والواجبات بدءاً بالأمن فالضريبة شأنه في ذلك شأن البريطاني. ولو أعطى المرء بعض التأمل لخارطة المجتمع البريطاني على مدى السنوات الاليزابيتية السبعين لرأى كم بلغ مدى حصول جيل أبناء وأحفاد من سائر أقطار العالم الثالث باتوا حاصلين على طمأنينة مغيبة في بلاد الأجداد، وإستقرار لا يحققه الذين يتراسون أو يتم ترئيسهم وفي معزل عن الإرادة الشعبية، ولوجد التفسير لهذا الحزن العفوي على رحيل اليزابيت الثانية. وعندما تجد سيدات عربيات ومسلمات يسارعن عند إعلان نبأ الرحيل إلى قراءة سورة الفاتحة على روح الملكة التي حققت لهنّ ولأبنائهنّ وبناتهنّ ولكوكبة من الأحفاد ما لم يتحقق لهم في لبنان أو الهند أو السودان أو العراق أو فلسطين أو مصر أو باكستان أو في معظم دول القارة الأفريقية، فإن هذا يعكس عمق الظاهرة الثانية التي أشرنا إليها بداية مقالنا هذا مقارنة بالظاهرة الأولى حيث أطياف الشعب في لبنان حتى البعض المستتر في الإفصاح عما يجول في خاطره، تحصي بالدقائق المدة المتبقية لرحيل رئيس وعدهم بالجهنم وقد كان حريصاً طوال السنوات الست العجاف على تفعيل هذا الوعد.. تماماً كما حرص جايمل بيكر وزير خارجية أميركا بوش الأب على وعده طارق عزيز وبرزان التكريتي معاً خلال جلسة محادثات جرت في جنيف بأن أميركا البوشية يمكنها أن تعيد العراق إلى العصر الحجري. وعملياً فإن بعض ملامح الحال الجهنمية في لبنان تبدو تؤام ملامح الحال الحجرية في العراق.

حزن دفين بمستويات دولية على ملكة بريطانيا التي كان التحسر عليها كما لو أنها ليست في السادسة والتسعين ولم تحمل التاج بكل الإعتزاز يليق بها وتليق به طوال سبعين سنة. وهذا حزن عفوي على من هم من الصالحين والمصلحين. وإستعجال شعبي ما بعده إستعجال لإنصراف الرئيس في لبنان لأنه إنشغل طوال ست سنوات بالحاشية ونشر الحذر العربي والدولي والفاثيكاني من لبنان، نقيض ما عايشناه في سنوات ملكة بريطانيا التي إعتبرت أفراد العائلة جزءاً من المجتمع ينطبق عليهم إصلاحاً وتاديباً ما ينطبق على سائر الناس. وبذلك أرضت الشعب بعد ربها. ورحلت فيما أمثولاتها على الصعيد البريطاني والدولي تأخذ مكانها في التاريخ.

... ورحمة الله على الملك عبدالعزيز بادىء كتابة

بإشارات مفادها أنها دائماً مع هذا الوطن في زمن الضراء وتزداد طمأنينة عليه عندما تطرق مباحج السراء أحواله، وكل ذلك من دون أي مطالب بإستثناء ما يصاغ بالتمنيات من نوع أن لا يكون لبنان ساحة إيداء لها ولسائر دول العالم ما دامت هذه لا تريد له شراً. ومثل هذه التمنيات لمصلحة إستقراره وطمأنينة شعبه وثبات صيغته، بل إنها محطة في خارطة طريق يضفي عليها المزيد من التثبيت والتطوير وبحيث يبنى مع الدول التي تريد لها الخير علاقة إستراتيجية. وهنا يجد المرء مثل حالي كواحد من الأكثرية اللبنانية وبكل التلون المذهبي والطوائفي، حائراً في أمر سلوك القابعين في مواقع القرار إزاء هذا التناسي وأحياناً العبث بجوهر الوقفة الطبية.

وعندما كان لا بد من خارطة طريق أشبه بأفكار دستورية فإن المملكة وبدافع ما في النفس من الخشية على لبنان والكيان كانت صيغة "مؤتمر الطائف" الذي أهميته أنه وضع الوطن في دائرة السلامة ورمى على رموز سياسيين وحرزيبه مسؤولية أن يكونوا عند حسن صياغة الإنجاز والإلتزام به وإعتباره بمثابة ميثاق يبلور ميثاقاً سبق الأخذ به. ولقد أثبتت أحوال عقدتين عاشهما لبنان مصاناً بجوهر صيغة مؤتمر الطائف، كم أنها صيغة مثالية للوطن يحتاج إلى صمود والمواطن يحتاج إلى إستقرار. ومن هنا فإن الأطراف التي درجت على رمي تلك الصيغة بكل ما في مفردات التعبير من سوء الظن وإساءة التصرف هذا تؤكد على أنها ما دامت ليست من الأطياف التي شاركت في جلسات الحوار في الطائف في مثل هذه الأيام من العام 1988 كونها عارضت السعي ومن يعارض لا يدعى بطبيعة الحال، فإن دورها هو في رمي صيغة مؤتمر الطائف بالكلام المقرون بمطالب ليست لمصلحة إستقرار البلاد وطمأنينة المواطن إلى غده بعد يومه. وحتى بعض رموز هذه الأطياف لم يتأملوا بحسن النية في كلامه الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) للنواب اللبنانيين الذين أنهوا مشاوراتهم في الطائف وجاءوا إلى مدينة جدة لتحية الملك على سعيه ولسماع وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل الذي بذل رحمه الله من السعي العربي والدولي كثير الجهد والتقل من عاصمة إلى عواصم بغرض التوضيح ودعم السعي لإضفاء مسحة شاملة على إتفاق الطائف، يقرأ يوم الثلاثاء 24 أكتوبر/ تشرين الأول الإعلان الرسمي عن إتفاق متوازن يراعي الصيغة اللبنانية ولا يترك حروفاً منقوصة النقاط. ولأن النفس السعودية ومنذ أيام المؤسس الملك عبدالعزيز رحمة

الله عليه أمارة بالحرص فإن الملك فهد إرتأى إرفاق إرتياحه لما تم إنجازه بالتأكيد على أن نجاح مؤتمر الطائف كان سعودياً _ عربياً _ دولياً سواء لجهة المشاركة الفعلية من جانب ملك المغرب الحسن الثاني ورئيس الجزائر الشاذلي بن جديد رحمهما الله ومباركة الجهود وتشجيع السعي لتذليل العقبات وترويض الشروط فلا تعود تعجيزية من جانب مرجعيات دولية كما إرتأى الملك فهد، وهو هنا يتكلم بلسان كل الشعب السعودي، القول بما يجمع بين النصح والتبويه المغلفتين بمشاعر الحرص الشديد "علاقتي بلبنان قائمة منذ العام 1951 وكانت علاقة متصلة دائماً. نحن لا نكن للشعب اللبناني إلا المحبة والصادقة. كما أنه ليس من المستحسن ولا أعتقد أنه من عادة المملكة العربية السعودية أن تأتي وتقول لقد عملت كذا وعملت كذا لأن هذا يصبح منة. ومنة على من؟ على الشعب اللبناني وهو والشعب السعودي شعب واحد، حتى إذا كان الشعب اللبناني في خير وفي بحبوحة من العيش إنعكس ذلك على المملكة العربية السعودية كما أن العكس الصحيح..."

كان الملك فهد يقول الذي قاله إرتجالاً، وفي ذلك منتهى الصدق والعفوية. ولم يحدث أن قيلت مثل هكذا مفردات من مرجعيات عربية أو دولية. وهذا يوجب من لبنان الدولة بعد الشعب الرد على صدق المشاعر بمثلها تماماً كما الرد على التحية بمثلها أو بأحسن منها، لا أن تُرمى الدولة المتعاطفة مع لبنان والمحترمة مع التقدير عقلاء الحكم فيه والقلقة على صيغته عندما تباغت مكاره ونوايا غير سليمة هذه الصيغة ويقول المبالغون وبالفم الملآن وبعد الضخ المتواصل للسلاح إن لبنان هو بعد سوريا آخر الحدود الأمبراطورية النووية على ضفاف المتوسط كما حدودها من خلال العراق على الكيان السعودي الذي يقترب ثباته من القرن الأول عمراً، وكما حدودها على البحر الأحمر من خلال حوثيها الذي فيما المملكة تحيي الذكرى الثانية والتسعين ليومها الوطني نرى خاطفي السيادة اليمنية متبهجين بالذكرى الثامنة لسلب اليمن هذه السيادة ويهال الطيف الإعلامي اللبناني حليف الجماعة الحوثية من خلال وسائله الإعلامية لهذا الفعل الإيراني جملة وتفصيلاً تخطيطاً وتسليحاً.

عسى ولعل يستعاد الوعي وتستقر بذلك أحوال المحلقين في أجواء الحالين بالأمبراطورية الآتية على الجناح النووي. كما عسى ولعل تستعاد القراءة ويتمعن من جانب أطراف لبنانية مع مقارنة في حال لبنان قبل صيغة مؤتمر الطائف وفي حال اللبنانيين السعيدة وعيشهم الكريم بعد سريان

مفعول تلك الصيغة. وبذلك ربما يسلك التائهون العابثون الصراط المستقيم.

مع الأمل بأن تحل الذكرى الثالثة والتسعين لليوم الوطني وقد إستعاد الزمن السعودي _ اللبناني ذلك الكبرياء المشترك الذي كان عليه وكيف أن مؤسس المملكة عبدالعزيز صاحب العيد الوطني خاطب الرئيس بشارة الخوري أول رئيس لليوم الوطني اللبناني مخاطبة أخ حادب على أخ يقدر العلاقة ويحترم الأصول ويهمه أمر الوطن والشعب. ففي رسالة من الرئيس بشارة الخوري (يوليو/ تموز 1952) يقول "إن الضرورة تقتضي أن تتعاون المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان على تركيز الحالة في الشرق خصوصاً وأن العالم يرتقب أحداثاً خطيرة للغاية...". ويأتيه الرد من الملك عبدالعزيز متضمناً الآتي: "تقرر لفخامته بُعد نظره وحكمته السياسية ونشترك معه تماماً في خطورة الموقف والمستقبل المليء بالمفاجآت...". كأنما الملك المؤسس والرئيس كانا يقرآن قبل سبعين سنة ما يعيشه العالم الآن عموماً ولبنان بشكل خاص. ولقد إفتقد لبنان في شخص سيد الحكم أو بالأحرى في سياده وفي سادته هذه الشمائل، فكان الذي بات عليه لبنان يحتاج إلى تثبيت صيغة مؤتمر الطائف وبذلك لا يعود الوطن المستضعف على الحال التي هو عليها وإنما يصبح مثل كوكبة دول عربية وكذلك دول كبرى تريد خيراً للمملكة وعلاقة إستراتيجية معها والكتابة في صفحة جديدة تعيد في زمن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ووليّ العهد الأمير محمد بن سلمان ما كانت عليه بدءاً بصاحب اليوم الوطني الملك عبدالعزيز وبالأسلاف من بعده الذين زادوا لبنان حذباً عند الحاجة ومداداً نواب عند الإبتلاء. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 25 سبتمبر (أيلول) 2022

جنرال للمرة الأخيرة بعد القمة العربية

في حال إستقر أمر السودان وتم بالتراضي المأمول إقتسام السُلطة، فإن الفريق عبدالفتاح البرهان سيشترك للمرة الأولى في مؤتمر عربي على مستوى القمة وتكون هذه المشاركة مناسبة لكي يتعرف على قادة لم يسبق أن يتعرفوا به، ذلك أنه على مدى سنتين تولى فيهما، وما

زال، رئاسة مجلس السيادة زار مصر والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ولقي من المساندة والنصح ما جعل صيغة الحكم الإنتقالي في السودان تتماسك ولا تعصف بها جولات وصولات الحراك الشعبي الذي رأى محركوه أنهم بالتظاهرات وببعض الهتافات المستفزة يمكنهم إستبدال صيغة المشاركة العسكرية _ المدنية بصيغة يكون الطيف العسكري مجرد مؤسسة من مؤسسات الحكم وليست الحكم الذي يحتوي المؤسسات.

في القمة العربية الدورية العادية المأمول إنعقادها في الجزائر يومي 1 و 2 نوفمبر/ تشرين الثاني الجاري سيجد الفريق البرهان أنه العسكري الوحيد بين الجمع الملكي والأميري والسلطاني والرئاسي، وهذا سيجعله يتأمل بعمق في نعمة إستقرار الحكم الذي ثبتت هؤلاء القادة أساساته، وفي أهمية الأخذ بالصيغة التي تجعل الاستقرار هذا يشق طريقه وبخطوات مدروسة. وهذا على سبيل المثال والحصص، كون التجربة فريدة، ما إعتداه الرئيس عبدالفتاح السيسي في مصر الذي رؤى قبضته العسكرية خطوة تليها خطوات، وإبتكر صيغة شراكة الحكم على قاعدة التتمية وبكافة مستوياتها تؤدي بموجبها المؤسسة العسكرية إلى جانب الدور الأساسي لجهة صيانة الوطن وكيانه وكذلك الأمن المجتمعي، مهمات في مشاريع متعددة الغرض ومتنوعة الإنتاج من الغذاء إلى الدواء إلى التصنيع الخفيف، وبهذه الصيغة بات المواطن المصري مطمئناً إلى أن الحكم بالمعادلة التي بلور معالمها رئيس البلاد يحقق المطالب بقدر المستطاع وإنتهج سياسة متوازنة، وبات في ضوء ذلك أيضاً لا يرى أنه يحتاج إلى الحزب السياسي الذي يتبنى المطالب ويمارس الضغط على مؤسسات الحكم لتأمين الإحتياجات. بل حتى أن صيغة "الحزب الوطني" الذي رأى فيه الرئيس الراحل أنور السادات سياجاً يحمي النظام من كثرة الأحزاب، لم تعد واردة في حقبة الحكم الحالي الذي يرى في الحوار الوطني الرغب خير بديل عن الحزب والمتحزبين.

وبالنسبة إلى السودان الذي يعيش منذ إسقاط نظام ذهب بعيداً في إقتباس حالة الحكم في مصر في ظل تجربة الإخوان المسلمين، حالة عدم الإستقرار على ما يحقق طمأنينة شعبية كتلك التي أمكن الرئيس عبدالفتاح السيسي العسكري بصيغة الشراكة المدنية _ العسكرية تحقيق خطوات على طريق تثبيتها، فإن الصيغة المشار إليها هي الخيار الذي يبقى أفضل من أي صيغة قد تكون

واردة في بال الثنائي البرهاني _ الحميدتي القابض على الحكم منذ سنتين حفلت أيامهما الساخنة عموماً بالإجتهادات التي كانت تحتاج إلى الكثير من ترتيب الأولويات.

وإذا جاز الإفتراض فإن العالم العربي على موعد مع تغيير جذري في السودان بعد القمة العربية ومشراكة البرهان فيها بالزي المدني غير تلك البدلة الجنرالية التي رأيناه مع أبناء الشعب السوداني المتلهف إلى رئيس مدني، يتعمد إرتدائها لدى تسلمه يوم الخميس أول سبتمبر/ أيلول 2022 أوراق إعتقاد جون غودفري الذي هو أول سفير للولايات المتحدة لدى السودان بعد قطيعة دامت ربع قرن. وكان لافتاً أن غودفري ومن قبل أن يقدم أوراق إعتداده إلى البرهان حدد وباللغة العربية التي إكتسبها من سنوات عمل دبلوماسي _ أمني في سوريا وليبيا والعراق والسعودية خارطة طريق مهمته كسفير للولايات المتحدة لدى السودان غير المستقر على حال، وبدا بذلك قاطعاً الطريق أو مستتباً خطوة نوعية يعمل الثنائي البرهاني _ الحميدتي على إنضاجها وبحيث يتم حسم أمرها بعد أن يكون رموز العمل الحزبي والحراك الشعبي إستقروا على حال، مقتنعين بأن مرحلة الشراكة العسكرية _ المدنية هي الصيغة التي يمكن الأخذ بها وقد إكتملت مقوماتها، حكومة على قاعدة التراضي والإرضاء أو برلماناً يكون نتاج انتخابات لا ضغوط عليها، أو برنامج عمل في ضوء خطة تنفذ السودان فلا يصيبه ما أصاب ليبيا على سبيل المثال لا الحصر حيث إنتهى أمرها، وحتى أعجوبة تحدث أو تُستحدث أفغانستان بطبعة فريدة من نوعها.

وأما خارطة الطريق التي بگّر السفير الأميركي في طرح ملامحها على الملاء السوداني وكان بذلك سفير إخراج أكثر منه سفير لأمر جراح معنوية أتعبت الطيف العسكري المستحوذ على السُلطة ورموز الحراك الشعبي الذين أنهكهم الصد العسكري لمطالبهم، فإنها تتمثل في الإيحاء بأنه جاء سفيراً ليحقق مطالب المطالبين بالحكم المدني وإن هو إعتد الصياغة الملطفة المتمثلة بقوله لرموز في الحراك الشعبي ضد الثنائي العسكري القابض على السلطة البرهان وحميدتي، كمثال عبارته "إن السودان يجب أن يستأنف التحول الديمقراطي تحت قيادة مدنية...".

هنالك من دواعي الخشية ما يجعل الإدارة الأميركية

تختار لمن يمثلها في السودان بلغتهم ويتضمن كلامه ما يراه الطيف العسكري الممسك بمقاليد السلطة إلى حين يجتمع رموز الطيف المدني على كلمة تحقق توافقاً ثابتاً على صيغة حكم بديلة، ليست تلك التي تعكسها بياناتهم وبداية تصريحات السفير الأميركي وعلى نحو ما أشرنا إلى نموذج منه في سطور سابقة وبالذات كلمة "يجب". وأما الدواعي فإنها الخشية من أن الطيف العسكري وتحديد الجناح الذي يمثله جنرال التدخل السريع حميدتي قد يرى تحت وطأة الإلتفاف على ما هو قائم _ ومن أجل ذلك يأتي السفير جون غودفري _ إبرام معاهدة فاعلة المضمون مع الرئيس بوتين، خصوصاً أنه سبق لجنرال التدخل السريع أن باغت الإدارة الأميركية وزار موسكو وأبرم إتفاقاً مع الرئيس الروسي ما زال طي الكتمان وإن قيل في حينه أن ذهب السودان كان من ضمن التباحث بين الإثنين وكذلك حسم مسألة القاعدة البحرية الروسية.. إنما بعد إستباب الأمور وإمساك الثنائي العسكري بكامل خيوط المعادلة.

من شمائل أهل السودان عموماً أنهم صوفيون حتى إذا لم يكونوا في مجملهم تابعين لهذه الطريقة أو تلك. وهذه الصوفية تجعلهم أكثر قدرة على التحمل. ولكن يبدو أنهم في ضوء الدور الأميركي الذي رسم السفير بعض ملامحه على موعد ربما تكون التطورات فيه درامية. لكن في إستطاعة البرهان في ضوء المشهد الوفاقي في القمة العربية الدورية المستضافة في الجزائر التي عانى شعبها على مدى ثلاث سنوات بمثل معاناة الشعب السوداني، يستخلص المتيسر من العبر التي تقطع الطريق على العبرات في حال حدثت المفاجأة الدرامية الواردة الحدوث في أي لحظة.

ويبقى أنه لو أُجيز لمتابع مثل حالي قضايا السودان ماضياً وحاضراً ودائماً تسجيل نقطة نظام، لكنك أوجزتها بالإستغراب لمطالبة البرهان يوم الثلاثاء 6 سبتمبر 2022 بريطانيا بالإعتذار عن جرائم مرحلة إستعمار السودان، فيما المملكة المتحدة ومعها العالم من أقصاه إلى أقصاه في حالة من التأسّي لرحيل الملكة إليزابيث الثانية التي كانت ذات ثلاثة أيام من الخمسينات زائرة مرحباً بها كل الترحيب للسودان بدءاً بعاصمته المثلة وإنتقالاً إلى مناطق أخرى. وبعد إنقضاء الأيام الحزينة فلتكن مطالبة الملك تشارلز بالإعتذار عن مرحلة إستعمار السودان وإرفاق المطالبة بالإعتذار عن وعد بلفور وبذلك يخفف

البرهان من بقايا دهشة السودانيين والعرب لمسارحته في إعتبار إسرائيل دولة يمكن التعامل معها تطبيقاً جواً وأمنياً.

أعان الله السودان وفرّج كرب أهله الطيبين في ضوء القمة العربية في الجزائر وخصوصاً إذا شارك فيها البرهان كرئيس سلطة عسكرية وعاد منها إلى السودان جنراً للمرة الأخيرة وبدءاً لرئيس سلطة مدنية _ عسكرية تعطي لكل طيف حقه ودوره. وعندها تستعيد ميادين العاصمة المثلة هدوءها وصفاءها.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أكتوبر (ت) 2022

فرصة تعوّض فرصة ضاعت

في مسلسل تضییع الفرص حيث تخفف المفردات العاقلة من خشونة التصريحات والمواقف المجنونة لبعض القادة الذين يتشاركون أزمات بعضها على مشارف العداوات التي تجر حروباً، ضاعت على العالم من أقصاه إلى أقصاه والذي يمضي أيامه مسكوناً بالخوف من الآتي الأعظم، فرصة كان يمكن الإستفادة منها لو إكتمل العقد بمشاركة قادة الدول، وبالذات المرتبط سلطان حكم الواحد منهم بحالات عالقة وعلى درجة من أن تفرز حروباً طاحنة، في الدورة العادية الـ 77 للجمعية العامة للأمم المتحدة وليس إرسال من يمثلهم ويكون حضور هؤلاء لإلقاء كلمة تقليدية وإجراء مشاورات شكلية... كان يمكن لو إكتمل العقد وجاء الكبار لكان هؤلاء باللقاءات المباشرة بعضهم لبعض ما قد يهدى كل منهم روع الآخر. وبالمفردات الودودة وهادئة الكلام عند التحدث بعد ذكر الله وإستحضار الحكمة والضمير والتواضع، تطمئن القلوب. الفرصة التي ضاعت في حال صفاء النيات تعويضها من خلال إنعقاد قمة العشرين في أندونيسيا يوم 15 _ 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022.

وللمرء أن يتصور أهمية إنعقاد الدورة وقد إلتقى رئيس الولايات المتحدة جو بايدن والرئيس المحارب فلاديمير بوتين والرئيس الصيني شي جينبينغ والرئيس الفرنسي مانويل ماكرون ورئيس الحكومة البريطانية (قبل إنصرافه)

بوريس جونسون حول مآدبة عشاء يقيمها لهم الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش كمضيف وشاهد على اللقاء في جلسة تاريخية يكون طبق التهدة فيها هو حلوى هذا العشاء.

ومثل هذا اللقاء من شأنه أن يفيض أهمية في حال إرتأى الأمين العام المضيف وبعد إستمزاغ آراء الخمسة إنضمام قادة، لدولهم التأثير الفاعل في معالجة محنة المصير التي يواجهها العالم جرّاء موضوع فلسطين المرجأ حسم أمر علاجه عقداً بعد عقود وحرب بوتين المستهجنة على أكرانيا، ونعني بذلك وليّ العهد السعودي رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي والرئيس الإماراتي محمد بن زايد والرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس الحكومة الإسرائيلية بائير لبيد. وخلال أحاديث جلسات تناول القادة الأحد عشر قهوتهم يضاف ولا بد المزيد من المساندة والتفهم لما إرتأه الخمسة الكبار الحائرين في أمر معالجة أمور حربية إستجذبت وتهدد التوازن الدولي.

ما نقوله هنا ليس من باب الإستحالات، بل لعله من الضرورات التي تلغي المحظورات، وهو ما يتطلبه واقع الحال الدولي بقاراته الخمس التي تعيش إهتزازات متقطعة قد تنتهي زلازل ماحقة في أي لحظة.

وفي هذا العشاء السري كونه يقتصر على رموز الحرب والسلام الممسكين كل بيمينه مفتاح الحل إن هو أراد، أو بالأحرى إنه يريد بل وبكامل إرادة الإستعداد حيث لا أحد من المتعشّين إلى المائدة الأممية ويريد الحرب، ومن بادر بها أو سعى إليها فإنه تواق إلى سبيل إنهاؤها بفعل أدق إحتياج. الرئيس بايدن يتطلع حالماً إلى دورة رئاسية لا يخطفها منه الرئيس اللدود ترمب أو جمهوري متوازن. بوتين السبعيني يتطلع إلى ولاية رئاسية جديدة وهذه لن تحققها له حربته الذي إفترض أنها ورقة تريح فإذا بها بعد خمسة أشهر ملامح ورطة. وهي إذا كانت العقوبات المتبادلة لن تحسم أمرها فإن النووي لا يحقق حلاً ولا حتى دخولاً مكللاً بكوارث النووي وفواجهه على العالم فضلاً عن أن النووي المضاد سيحرق الأمجاد المأمولة والعباد المستسلمين لقرار لا رأي لهم فيه. والرئيس الصيني الحليف شي جينبينغ المكتفي بمسيرة لفظية لا أكثر يتطلع إلى رئاسة مديدة ويرى أن وقفة إستراتيجية مع الصديق بوتين ستلقي ظلالاً على التطلع

الذي من أجله عدّل الدستور وهو عوض أن يشارك بوتين في ما يدمر، فإنه يفضل الإطالة على العالم بإنجازات داخلية تبدأ بنسائم ديمقراطية ومواجهة الفساد وإنعانة تكتيكية في الموضوع التايواني بحيث لا يتجاوز التحدي عروضات جوية وتصريحات أقل حدة تجاه أميركا من حيث المفردات من تصريحات بوتين، كما يفضل الإطالة من خلال هدايا رمزية لبعض دول العالم التي تعاني مثل هدية مبنى أوبرا الذي أهداه قبل أيام إلى لبنان الذي بات على مقربة من اللحظة التي هي بين النقطة التي تحدد بعد بضعة أيام إما بداية خروج من النفق المظلم والظالم وإما الهلاك صدمة تليها صدمات. ومثل هذا الإهداء ليس جديداً على هبات الصديق الصيني للرؤساء العالم فهو سبق قبل أربعة عقود أن أهدى السودان الذي كانت حاله ماضياً شبه سيئة وقد أصبح حاضراً مثل حالة لبنان وسوريا والعراق واليمن، مبنى يحمل اسم "قاعة الصداقة" كان مبهرًا للنظر وقصراً جمهورياً آخر للرؤساء إلى جانب القصر الأساسي الذي لم يهنا أي من الرؤساء الذين سكنوه بنعمة الاستقرار. ومع تلك القاعة إرسال طواقم طبية أفادت في تعليم مئات السودانيين فنون الطب الصيني بدءاً بوخز الإبرة تليه فنون طبية طبيعية أتقنها سودانيون خير إتقان. وهذا ليس كل شيء فلخبراء الصينيين أفضل في مرحلة من مراحل اكتشاف النفط الذي لسوء الحظ انعكس إنشطار السودان إثنين حتى الآن، وبات الإستخراج والتسويق يمثل حال النفط العراقي رهنًا وحال النفط اللبناني المأمول إستخراجه إلى جانب الغاز ثروة قد تقسم لبنان إثنين كما إنقسم السودان شمالاً وجنوباً، والعراق عرباً وكرداً فيما أهل كركوك يرنون بالبصر نحو أردوغان الشغوف بالتدخل في أكثر من سيادة عربية وبالذات السيادة السورية والعراقية بعد الليبية، عسى ولعل يخص أولئك الأهل بالنصيب الوافر من خيرات آبار كركوكهم التركمانية.

وقد نجد من يستغرب حدوث ذلك العشاء السري وكيف سيلتقي بعض الأضداد مع بعضهم. والجواب إن الذين نفترض إجتماعهم هم ضيوف عشاء أممي. فكما أن سقف قاعة الدورة العادية للجمعية العادية للأمم المتحدة يظل الجميع، فإن لذلك العشاء السري تلك الصفة الأممية بمعنى أن الجميع حاضرون كضيوف بدعوة من مضيف أندونيسي تكمن أهمية صفاته بأنه شريك دور تاريخي شعاره عدم الإنحياز، كما أنه مع كل

العالم وليس مع أحد في وجه أحد أو أكثر. والأهم من ذلك إن ذلك العشاء السري قصراً على الأقطاب الخمسة بمشاركة القادة الستة الآخرين، قد يكون المدخل لكل من هؤلاء يمتشق مفتاح الحل الذي في عهده وتبدأ عملية إقتحام الأبواب الموصدة للأزمات العالقة ويتم ذلك ضمن نهج جديد وفق قاعدة روحية تقوم على أن الله مالك السموات والأرض وأنها لمعصية لرب العالمين أي حرب تحدث أو إحتلال يستمر... أو إستعمال الغذاء والثروة الطبيعية من نفط وغاز ومياه التي هي نعمة المولى للناس، ورقة للتجوع وإفناء العباد برداً وإظلام منازل وتعطيل مدارس الأجيال وشبكة التواصل والإتصالات.

الفرصة الأهم ضاعت، أو بالأحرى أضيقت. الكبار الذين يملكون القرار والمبادرة لم يحضروا الدورة الـ 77 للجمعية العامة للأمم المتحدة. معظمهم أرسلوا من يملأ المقعد ويقول بعض الكلام من على المنبر. بقيت إمكانية إجتراح الأمل المنشود في رحاب رموز بعضها يرفد ولي الأمر فيها دولته والأمم بما يرضي الله بالجديد من التطور والتحديث. وبعضها دائم الحضور في غرفة عمليات حرب إختلط فيها الحابل التوسيعي بالنابل النووي تلويحاً وليس للإستعمال.

ما زال الأمل منشوداً بأن تعوض قمة العشرين في أندونيسيا ما لم يتحقق في رحاب الجمعية العامة للأمم المتحدة. يلتقي العشرون ويقررون مبدأ السلام على الأرض وفي الناس المحبة.. وليس على الدنيا السلام بكسبات أزرار من أصابع أيادي مرتجفة. والله الهادي إلى سواء السبيل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 13 أكتوبر (ت) 2022

شاطئ جديد للسفينة الفلسطينية الحائرة

تحت تأثير حالة إحباط إستقرت في النفس العربية عموماً وفي النفس الفلسطينية بوجه خاص، ناشئة عن أن فلسطين تتراجع كقضية وباتت مجرد موضوع من الموضوعات العالقة المرجأ حسم أمرها، جاءت المحاولة الجزائرية التي إستهدفت تحقيق مصالح فلسطينية تنشر

القليل من التفاوض في مواجهة ما يعيشه الزمان العربي الحافل بالصددمات والكوابيس والرهانات غير المتناسبة مع التوقعات حتى بين الذين تجمعهم صداقات تاريخية. ولنا في إفتعال بعض الأوساط الإستغزازية في "اللوبي الديمقراطي الأميركي" المثال على ذلك. وإذا جاز تشخيص الدوافع من جانب أعضاء فيه لرأينا أن في الجو بداية غيوم بايدينية تتحسس من الإنطلاقة النوعية في اتجاه إكتمال عملية تطوير وعلى قواعد علمية تشهدها المملكة العربية السعودية ودول الخليج عموماً، ويتم ذلك على عكس ما تراه السياسة الأميركية بمعنى أن الشأن الأميركي يجد قبولاً له في حال أن الدولة غير متقدمة لا تجاري العصر ومنطلقة في عملية تطوير نوعية. ثم تكتشف تلك السياسة، وتحديداً بعض المنظرين فيها أن الذي يطور يملك إرادة صلبة إضافة إلى فضاء رحب من العلاقات الإستراتيجية مع دول كبرى كثيرة تقدر مسار سياسته ورؤاه في مسألة التعامل وأنه كلما ازداد تطويراً كلما تراجعت الحاجة التقليدية إلى من يزود عنه في ساعة الحاجة إلى الذود. ولذا فمن مصلحة الذين إعتادوا على مكاسب علاقة إستثنائية أن تتأهب الخشية حتى إذا كانت حقاً طبيعياً ومن الثوابت يمارسه الصديق الحليف وفق رؤاه متكاملاً في ما يمارس على ثقة في النفس وثقة مضافة به من بني قومه.

كابدت الرئاسة الجزائرية الكثير من أجل الإنجاز الفلسطيني الذي لا يخرج عن كونه محاولة تأتي بعد محاولة أكثر أهمية. في البداية حدثت لقاءات لقيادات فلسطينية في الجزائر تزامنت مع إتساع مساحة التطبيع من جانب بعض الدول العربية مع إسرائيل. إرتأت الجزائر التي هي على موعد مع القمة العربية الدورية أن تؤدي دوراً تراه واجباً يمارسه الرئيس عبدالمجيد تبون ويكون من نوعية أدوار سبق أن أداها الرئيس (الراحل) هواري بومدين أو الذي كان في زمنه شريكاً في صياغة هذا الدور، بدءاً بما حققته دبلوماسية هذا الشريك عبدالعزيز بوتفليقة في القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم (سبتمبر 1967) وبما حققه هو شخصياً خلال حرب مصر السادات عام 1973 ومثل ذلك في حرب عبدالناصر عام 1967.

الذي إرتأه الرئيس عبدالمجيد تبون هو السعي لإستعادة سوريا حضورها في القمة ومنه تستعيد سيادتها بأمل إستعادة مكانها ودورها وعندما لم يثمر سعيه هذا إرتأت أن تجرب الجزائر ما سبق أن كانت المملكة العربية السعودية أيام قيادة الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) قامت به وتمثل

بدور سيبقى على فريدة غير مطروقة في دنيا محاولات لتحقيق المصالحات. ففي ذروة الخلاف السياسي بين "فتح" و "حماس" وبعد التشاور مع المملكة العربية السعودية إلتقت القيادتان الفلسطينيتان في مكة المكرمة من 6 إلى 8 فبراير/ شباط 2007. وأثمر الحرص على القضية إتفاقاً باركت المملكة مضامينه وبثت الفضائيات مشهد لقاء تاريخي بدا فيه الملك عبدالله بن عبدالعزيز محاطاً بالقادة الفلسطينيين (فتح وحماس) مجدداً أمامهم إلى جانب التمنيات بالثبات على ما تم الإتفاق حوله القول "لا تضيقونا وتضيقوا أنفسكم يا إخواننا أبناء القضية الفلسطينية...".

غادر الركب الفلسطيني وقد وصل الإبتهاج في الديار المحتلة والمخيمات في دول عربية وحيث هنالك فلسطينيون في بلاد الإغتراب إلى حد ذرف الدموع فرحاً وبالذات عند سماعهم أو قراءاتهم كلام خالد مشعل قائلاً بإسم "حماس" التي باتت رقماً صعباً في المعادلة وبالذات للعلاقة الوطنية له وللحركة مع الرئيس بشّار الأسد "إلى الذين يتخوفون ويقلقون من أن تعود الأمور إلى الوراء أقول إننا عاهدنا الله وعاهدنا الأمة من هذه الأرض المقدسة أن الإلتزام بهذا الإتفاق سيكون كاملاً...".

مع كثير الأسف لم يصمد التفاهم. وسنة بعد سنة وصل إلى مشارف العداوة وتعززت سياسة الإلتحاق أحياناً بالإيراني وأحياناً بالتركي على حساب العربي، مع أن الجانبين قرءا الفاتحة في لقاء مكة. دخلت إيران على الخط بإجتهدات وإغراءات إنتهت إلى أن حركة "حماس" غدت ضيفاً على المجموعة الممانعة، ومن دون أن يتوقف النصح السعودي الذي تمثل لاحقاً ببرقية بعد سنتين من الملك عبدالله إلى "فتح" لكي تسمع مضمونها "حماس" وسائر الفصائل الفلسطينية هي الأولى من نوعها حيث جاءت في حدود خمسمئة كلمة متضمنة في ثناياها الكثير من النصح والتحذير مثل قوله "لو أجمع العالم كله على إقامة دولة فلسطينية مستقلة ولو حشد لها كل وسائل الدعم والمساندة لما قامت هذه الدولة والبيت الفلسطيني منقسم على نفسه شيعاً وطوائف كل حزب بما لديها فرحون. إن العدو المتكبر المجرم لم يستطع عبّر سنوات طويلة من العدوان المستمر أن يلحق من الأذى بالقضية الفلسطينية ما ألحقه الفلسطينيون أنفسهم بقضيتهم من أذى في شهور قليلة...".

خلاصة القول إن السعي الجزائري الذي جاء أيضاً على خلفية سعي مصري تولاه الرئيس عبدالفتاح السيسي وتواصل لقاءات وزيارات على المستوى الدبلوماسي والمخابراتي،

يحقق المبتغى في حال قرر رموز الموضوع الفلسطيني أن يكونوا فلسطينيين أولاً وثانياً وأخيراً وأن يجربوا صيغة الصف الواحد. وبذلك ترسو السفينة الفلسطينية الحائرة كونها تصارع الأمواج بأكثر من قبطان على شاطئ الأمان. وفي حال كُتب للمبادرة الجزائرية بـ "مؤتمر لم الشمل من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية"، فإن هذا الإنجاز خير وبركة وتعويض على خمس عشرة سنة من الضياع والتضييع.

نقول ذلك على أساس أن الالتزام بإتفاق مكة عام 2007 من خلال أجوائه الروحانية خصوصاً أن الطرفين أقسما اليمين على التنفيذ، كان من شأنه أن يكون الصف الفلسطيني غير مشنت على ما هي حاله طوال أربع عشرة سنة تلت ذلك الاتفاق، وكانت تصريحات الرئيس بايدن ورئيس وزراء إسرائيل لبيد من نوع "يستحق الشعب الفلسطيني أن تكون له دولة" لا تعود مثل فقاكات تتطاير في الهواء، كما لا تعود وقفة الرئيس الفلسطيني محمود عباس من على منبر الأمم المتحدة قبل أيام وقفة من يستعطي وإنما من يتحدث من موقع قوة، ثم يباغته لاحقاً الرئيس بايدن بعتب الغاضب على لقائه بالرئيس بوتين وكأنما للرئيس الغاضب في ذمة الرئاسة الفلسطينية موقف منقذ لمصلحة القضية التي لو أرادت أميركا حلاً عادلاً لها لما كان هذا التعسير المتواصل لها.

لعل المبادرة الجزائرية تشق طريقها نحو الثبات وتلقى من القمة العربية الدورية "قمة فلسطين" بتسمية الجزائر لها، بعد أيام ما من شأنه تحقيق المزيد من التدعيم لصيغة المبادرة العربية التي لا يعود هنالك مبرر للإدارة الأميركية على التعامل معها من خلال مواقف باهتة يتم التعبير عنها بمفردات يبدو مفعولها أشبه بعلاج غير فعال بقرارات حاسمة وليس بعبارات غير ذي جدوى لخمس وسبعين عاماً من الظلم وبات لا بد من التكفير عن الذنوب. والله الحق والتواب.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 18 أكتوبر (ت) 2022

الكلام الروحي الأصديق من السياسي

الآن وقد بات لبنان الوطن والدولة والشعب في أتعس مثلث وكما لم تواجه دولة في العالم الثالث المصنف

أصلاً تعيساً ببعض أنظمة مدنية وعسكرية، سوء حال كالتى يعيشها منذ ست سنوات، فإنني وقد قاربت عقارب الساعة الرئاسية على منتصف ليل الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر على الإلتقاء، إيذاناً ببداية يوم جديد مأمول الإشرار صباحاً مضيئاً على اللبنانيين المحجور على طمأنينتهم كما على ودائعهم كما على أدويتهم كما على إحساسهم بالطمأنينة.. الآن ولهذه المناسبة سأطوي إلى حين الإهتمام مع التحليل بالكلام السياسي الذي طالما صدر عن مسؤولين وفي جميع المستويات الرسمية والحزبية وألحق فادح الضرر بالسمعة وأمعن إحباطاً في نفوس الناس، وسأختار عبارات قالها رموز مرجعيات روحية كون هذه العبارات وبالعبوية الأفصح حققت الصبر الجميل والتقاؤل بالخير بأمل حصوله، إلى جانب تضمين العظات يوم الأحد والخطبة في صلاة الجمعة مفردات فولاذية في حق الذين في مواقع رسمية وحزبية وتيارية وحركية هم عن واجبهم الوطني ساهون أو مقصرون أو متعمدون. وفي كلا الحالات إستهانة ما بعدها بالأصول والقيم.

طوال ست سنوات كان اللبناني المضام يرنو سماعاً للعة التي يلقيها في رحاب الكنيسة البطريرك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي والمطران غفرانيل الصليبي وكلاهما في حالة أسى كما أكثرية الشعب اللبناني على الذي أصاب الوطن الذي إنتهى بين مستعط أو متسول أو في إنتظار نجدات تأتيه مع أن الله وهب هذا الوطن من مقومات العيش الكريم ما تجعله في منأى عن عاديات الزمن. لكن ذلك يستوجب أن يكون المسؤول صاحب ضمير فلا تكون ممارسة إدارة البلاد على النحو الذي جعل الوطن كما المواطن رمزاً للبؤس الشديد فضلاً عن سمعة تسببت في نفور عربي ودولي غير مسبوق منه.

وكما عظات قدايس الأحاد، كانت بالروحانية نفسها خطبة منابر صلاة الجمعة. الهدف نفسه والتحذير إياه والنصح أولاً وأخيراً. وهذا الدور الروحاني أحدث سكينه في النفوس وربما لولاها لكانت جماهير الناس خرجت على أهل الحكم شاهرة ما هو أقسى من التظاهرات المقموعة وأكثر سوءاً من الكلام الذي قيل في ساعات ثقيلة الوطأة من الشدة في حق أهل السلطة من دون إستثناء الذين يثبّون دعائم مراكزهم، وطمأنه هؤلاء بأن لا خوف عليهم ولا ضرورة لأن يحزنوا لأن مثبتي الدعائم يصونون

الأخطاء في مواجهة الكثرة من الناس الذين لا يغفرون ما يتم ارتكابه ووصل في حالات كثيرة إلى درجة الإثم. لقد كانت تجربة الحكم من جانب الذين تعاقبوا على إشغال مراكز السلطات وإدارتها بالغة المرارة. وكان المكتوبون بإساءات تلك التجربة يأملون تصحيحاً للأخطاء على أساس أن مثل هذا التصحيح بمثابة تبرئة من الإساءات والآثام. ولكن ما تمناه المكتوبون وهم الأكثرية من الشعب لم ينالوه. ويوماً بعد يوم ثم إسبوعاً بعد آخر وشهراً بعد شهر ثم سنة سادسة بعد الأولى تبعاً والحال من السوء إلى الأكثر سوءاً. وها هي شمس عهد إتصف بالظلم والتظلم على أهبة الانتقال إلى سواد الليل. عسى ولعل يكون الشروق عهداً يعوض الناس ما أفقدوهم نعمة الطمأنينة. وعسى الآتي ولو بعد التعسير الممنهج يتأمل في ما كانت رموز المرجعيات تقوله على مدار ست سنوات من العسر يعيشه الناس. ففي التمعن فيه ما يجعل العهد الجديد موضع القبول العفوي وليس عكس ذلك، فضلاً عن أن مفردات قداديس الأحاد وخطبة صلاة الجمعة ستكون بما يعوض ما فات، وستكثر كلمات الطمأنينة بعد التحذير... وبالعبية الأفصح نقيض ما حفلت به تصريحات أهل السلطة والحكم والأحزاب على أنواعها وكانت في معظمها حافلة بالأحقاد والكراهية ولا علاقة للوطن والوطنية بها.

ويبقى على سبيل المثال إستحضار بضع عبارات قالها رموز المرجعيات الروحية (موارنة. أرثوذكس. شيعة. سنة. موحدين) في رحاب الكنائس والمساجد لعل الآتي ومن معه يناون عما أوجب قوله للأسلاف ذوي الشأن كباراً وصغاراً الذين إنصرفوا وبانت المحاسبة لدى رب العالمين. وحيث أن الأمر الأكثر عسراً هو في من يكون رئيس الجمهورية، وأن المرجعية الروحية لهذا الرئيس هو بطريرك الطائفة الحالي مار بشارة بطرس الراعي فإن غبطته كان البادئ في النصح والتحذير ومن هنا وجوب التركيز أكثر على مضامين عظاته التي هي من رئيس الطائفة إلى رئيس الدولة أحد أبناء هذه الطائفة.

والأقوال التي إختارناها بأمل أن تقي بما أوجب هذه الوداعية من قلم مواطن يمتن الكتابة لرئيس وطنه المنصرف هي الآتية:

• البطريرك الماروني بشارة الراعي:

"ينتظر الشعب رئيساً واعداً ينتشل لبنان من الفقر الذي أوصلته إليه الجماعة السياسية أكانت حاملة أم

متفرجة".

"إن قوى الأمر الواقع إنقلبت على هوية لبنان ودستوره ورهنت الأرض والشعب والدولة إلى مشاريع خارجية...".
"تعمد شغور منصب الرئاسة مؤامرة بل خيانة. ندعو الجميع إلى الكف عن المظاهرات والمساومات ونأمل في صحوه وطنية لدى الأحزاب والكتل اللبنانية فتبادر إلى فعل الانتخاب وتقي نفسها عار التاريخ والمستقبل ونعمة الأجيال...".

"على الحياد يتعلق مصير الوجود اللبناني ومن غير الممكن أن يعيش لبنان هويته وطبيعته ورسالته إذا لم يستعد حياده الناشط...".

"لا نستطيع أن ننادي بحياد لبنان ونختار رئيساً منحازاً للمحاور وعاجزاً بالتالي عن تطبيق الحياد. والرئيس الذي لا يشكل تحدياً ليس بالطبع رئيساً لا يمثل أحداً ولا رئيساً يخضع لموزين القوى...".

"لا نسكت بل نرفض منع إنتخاب رئيس جديد للجمهورية. لا نسكت بل نرفض فرض الشغور الرئاسي. لا نسكت بل نرفض إستباحة رئاسة الجمهورية. لا نسكت بل نرفض الإجتهااد على دولة لبنان وميزاتها ونموذجيتها ورسالتها في هذا الشرق وفي العالم...".

"إذا كان البعض يعتبر الحياد حلاً صعباً، فإننا نرى فيه، الحل الوحيد لإنقاذ لبنان. لقد بات متعذراً إنقاذ الشراكة الوطنية من دون الحياد...".

"لن نوفر جهداً داخلياً وعربياً ودولياً لإنقاذ لبنان. ما عاد الإنتظار مرادفاً للثاني، بل لإضاعة الفرص وضياح لبنان، ولن ندعه يضيع مهما كانت التضحيات والمبادرات التي قد نضطر لإتخاذها".

"أداء الجماعة السياسية يثير إشمئزاز الشعب والعالم إذ يعطي الدليل يومياً على فقدان المسؤولية والإستهتار بالأم الشعب ومصير لبنان...".

• مفتي الجمهورية اللبنانية عبد اللطيف دريان:

"الشعب مغلوب على أمره ومن غير المسموح أن ينحدر به المسؤولون من جزاء مواقفهم إلى واد سحيق في أودية جهنم التي يكتوي بنارها السواد الأعظم من اللبنانيين الذين فقدوا ما جنوه سحابة أعمارهم وهجر أبناءهم الذين خسرهم الوطن ثروة بشرية عليها يقوم مستقبل لبنان الذي أرنداه واعداً...".

"بعض المسؤولين اللبنانيين في غيبوبة وربما يعانون من قصور ولا يتحملون مسؤولياتهم الوطنية لحماية الدولة

ومؤسساتها من الأزمات الصعبة التي يواجهها والتي تشكل خطراً على مستقبله ووجوده..."

"الوطن مهدد من الداخل والخارج، والشعب اللبناني في حال ضاع وتشتت بسبب أوهم الغلبة والإنقسامات مثلما هو مهدد من العدو الإسرائيلي..."

• **المطران الياس عودة (متروبوليت بيروت وتوابعها للروم الارثوذكس):**

"لبنان ليس فقط مساحة وحدوداً. إنه شعب عريق حر، مبدع جعله الساعة مطية لأطماعهم وأحقادهم..."
"بقاء لبنان واستعادة عافيته أهم من المسؤولين ومن كل الأطراف الداخلية والخارجية ومن كل النزاعات والتسويات..."

• **المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان:**

"تصالحوا (الكلام موجّه إلى السياسيين) مع الشعب ولا تخونوا من إئتمنكم على مصيره فمصير بلدنا في فم التتين. الدولة كمؤسسة وطنية مهددة جداً ووجود لبنان على المحك. كل مصائب هذا البلد (لبنان) من فساد السياسيين ولا حل للكارثة التي تعصف بالبلد من دون تضامن سياسي كبير..."

• **شيخ عقل طائفة الموحّدين الدروز الدكتور سامي أبي المنى:**

"يواجه لبنان مصيراً صعباً. ورسالتنا كرؤساء روحيين أخلاقية وروحية ووطنية واحدة. قوة الوطن تبدأ بأبنائه عبر التضامن وعدم الإنكفاء. ونقول كفى إستهتاراً بالبلد وقد وصل إلى الحضيض..."
"ليكن شعارنا في هذه المرحلة الحساسة من تاريخنا الحياد عن كل ما يفرّق والإنحياز إلى كل ما يجمع..."

خلاصة القول إن الكلام الروحي كان الأصدق من السياسي. لعلهما يتساويان في العهد الجديد.. هذا إذا لم تكن الولادة عسيرة. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 أكتوبر (ت) 2022

رئيس ولّى.. فمن سيتولّى

أخذاً بقاعدة التعويض عن أفدح الضرر السياسي

والعائلي، فإن الطرف المصاب بالضرر إلى درجة الفاجعة أحق بالمنصب الذي خسره العائلة بفعل إجرامي. وعملاً بهذه القاعدة فإن النائب في البرلمان اللبناني ميشال معوض أحق من غيره في أن يكون رئيساً للجمهورية اللبنانية بعد إنصراف رئيسها في اليوم الأخير من هذا الشهر الغازي، بإعتبار أن المكسب الوحيد الذي سيناله اللبنانيون بعد الآن وبموجب إتفاق تم إبرامه برعاية أميركية بدل أن تكون الأمم المتحدة هي الراعي والضامن لتطبيع غير مكتمل النمو، أن الغاز سيتواصل نفثاً من تحت مياه البحر مع كثير الأمل بأن يأتي يوم ويبدأ إستخراج الغاز وكذلك النفط من باطن أرض في منطقة سهل البقاع ومناطق أخرى. والعلم عندالله.

ليس اللبنانيون الآن في كنه سر هذا التوافق اللبناني _ الإسرائيلي على مسألة غازية. فقد كثرت الإدعاءات ومعها الإفتراضات كما كانت هنالك حالة إبتهاج من جانب رئيس العهد المنصرف ميشال عون الذي كان جنراً بالفعل في موضوع الكنز الغازي المأمول وكان توقيعه على وثيقة الإتفاق "الجنرال عون" وليس "الرئيس عون"، وأنه كثير الإعتزاز بأن تاريخ لبنان في سنواته العونية سيتضمن ما معناه أن ترسيم الحدود البحرية مع إسرائيل وأياً كان سيناريو الترسيم تفاوضاً وتوقيعاً ومشاورات سبقت ولا أي توضيح عنها، كان بحذاقة إدارة الرئيس عون ودبلوماسية الحليف المقاوم الذي دعا إلى طي الصفحة الجهادية بالسلاح والمسيرات، وهذا يمحو ما سبق إقترافه من تعطيل لمصالح العباد ووضع البلاد على مشارف أسحق الهاويات.

أحقية ميشال معوض لا ترتبط بحضوره غير المستقر كما حضور آخر أو آخرين. ولا بكفاءته وسمعته وثقافته، وإنما لأنه الصورة الحية الناطقة للأب الذي كانت الآمال معقودة عليه بأن رئاسته للجمهورية ستحقق لـ "إتفاق الطائف" إستقراراً وتُبعد عنه محاولات إفتراس كالتى تكاثرت على مدى ست سنوات لم يصد العهد العوني الغوائل عنها. وكانت كثرة التتظير السلبي والإفتراء على هذا الاتفاق ستتزايد، لولا أن رئيس البرلمان نبيه بري قال في اللحظة الأخيرة أو في لحظة الإستدراك أنه، كما الرئيس السلف السيد حسين الحسيني، يرى ضرورة التمسك بـ "إتفاق الطائف" وليكيف المشاغبون على هذا الاتفاق عن حراكهم الذي ينتج أجواء شعبية إنما لا يحقق زعامة وطنية.

ولكم كان أمراً بالغ الأهمية لو أن الذي قاله الرئيس بري لدرء الخطر يلحق بالإتفاق من خلال تصريح برسم الطرف الذي رعى الاتفاق، جاء في بيان صادر عن الثنائي الشيعي، وبذلك يفتح مثل هكذا بيان ثغرة في جدار زادت صلابته وبات لا بد من تعامل معه قريب الشبه بالتعامل التاريخي مع جدار برلين.

القول بأحقية الإبن ميشال معوض للرؤس بعدما أصاب إرهاب الدولة إمكانية بناء لبنان مستقر وقوي، وذلك بإغتيال الوالد رينيه معوض تقجيراً، بدا كمن هو تدشين للتعامل تباعاً رأساً بعد رأس مع الأخيار من رموز العمل السياسي، سبقته محاولة شقت طريقها بسلاسة ملحوظة وتمثلت في أن الدية (أي التعويضات) التي كانت بعد تقجير مماثل للرئيس الراحل بشير الجميل جاءت من نصيب شقيقه أمين الذي ترأس البلاد في زمن عاصف حاول جاهداً تخفيف حدة إعصاراته على أنواعها. وإذا جرى ترئس النائب ميشال معوض، لا يعود الأمر على درجة من الإستغراب.

في تاريخ الرئاسة السابقة لم يحدث أن كانت هنالك فواجع تستوجب أن يرث الإبن أو الإبنة والدها الذي قضى صريع تقجير. الرئيس الأول بشار الخوري لم يورث أحد الإبنين. والرئيس الثاني كميل شمعون لم يهنا بما فيه الكفاية لكي يفكر بالتوريث. والرئيس الثالث فؤاد شهاب لم يرزقه الله إبناً وهو حتى أبى أن يجدد الرئاسة. والرئيس الرابع شارل حلو رحل ولا ذرية له لكي يفكر بالتوريث أو بتبني رئيس. والرئيس الخامس سليمان فرنجية فجع بما هو الأكثر إبلاماً على النفس وهو أن يقضي ولي عهده مقتولاً. ثم يربي الحفيد لكي يكون الذي سيشفّي الجرح المعنوي في نفس الجد. ولقد سعى الحفيد أشطر سعي وكان للرئاسة أن تحط في رحابه لولا أنه أسير توازنات لا ترحم. والرئيس السادس الياس سركيس أحب الرئاسة بتسلمها وعندما أمسك بمفاتيح دهاليزها بات يرى أن كرسي رئاسة البنك المركزي كانت أكثر طمأنينة لنفس جالسها من كرسي رئاسة الجمهورية وغادر وهو الذي حاله لا زوجة ولا بنين أو بنات معتل الصحة ثم شاء القدر أن يقضي خارج الوطن، فيما أمين الجميل يصبح ثامنهما مترسلاً بالتوافق إنما من دون أن يواصل من حيث مضمون القسم الذي أداه الشقيق الذي بعدما كان الرئيس السابع الذي عليه الكم الكبير من الآمال، لكن برنامج مقصلة الرؤوس الواعدة شملته ولم يبق من بشير الجميل

إلاً بالأحلام بوطن لن تحققه الصيغة الطائفية، ونماذج من البشيريين يحاول كل منهم الإحياء أنه بشير الثاني، ولكنه لبنان الذي بات غير ما في البال... وفي التطلعات والأحلام.

لم يكتب للرئيس الراحل رينيه معوض أن يكون التاسع الذي على يديه تتساوى كفتا المعادلة الطائفية حيث أردوه تقجيراً، ليتسلم الرئاسة العاشرة الياس الهراوي حليفاً لسوريا الأسدية كما حال الرئيس الحادي عشر الجنرال اميل لحود. وأما الرئيس ميشال سليمان فإنه تنبه قبل فوات الأوان، وقرر من أجل أن يكون منسجماً مع حسه السيادي والتوافقي الإنصراف محمود السيرة حامداً شاكرًا.. وطبعاً لا تفكير بأي توريث.

مضى الرئيس الثالث عشر ميشال عون من دون أن ينعم بما كان يتطلع إليه وهو التمديد كالذي ناله الياس الهراوي وإميل لحود. ولكن سوريا الأسدية التي حققت للإثنين تمديداً هي غير سوريا التي باتت في حال لا تحسد عليه ولا أوراق تلعبها أكثر من الإحتفاظ بالورقة الإيرانية زائداً الورقة الروسية مضمومة إليهما ورقة "حماس" ونصيب من ورقة "حزب الله" ... هذا إلى ما قبل الترسيم وطيف ثروة الغاز بعد أحيان، ومعهما قدرة رفض مطلب اللحظة الأخيرة (لترسيم الحدود بحراً وبراً) يتقدم به الرئيس ميشال عون المنصرف ويرفضه الرئيس الصامد بشار الأسد.

تكون الرئاسة دية تعويض لهم عما فقدوا كثيرون. هنالك السفيرة المتألقة تريسي شمعون التي فقدت والدها داني الذي كان قرة عين الجد كميل، وهنالك كاروس إده أو أحد الإديين الذين لهم في ذمة لبنان الكثير لأنهم لم يبسروا أمر ترئس عميدهم ريمون الذي كان خير من يتراًس وإنتهى محزوناً في غربة فرنسية أشبه بغربة الجنرال عون الذي وظفها لاحقاً فترأس.

وحتى اللحظة ما قبل الأخيرة من إنقضاء الفترة الزمنية للرئاسة (منتصف ليل 31 أكتوبر 2022) كانت الساحات السياسية حافلة بالتكهنات وبالأسماء والمناوبات حول من سيتولى. وهذا أمر يتقرد به لبنان دون غيره من الدول الرئاسية، حيث أن كل ماروني ذي شأن أو ثروة أو إنتماء لطرف خارجي ولو على حساب وطنه، يعتبر نفسه الأكثر أحقية بمنصب رئاسة الجمهورية.

حمى الله هذا الوطن الذي جعلوه أشبه بلعبة وهم المتلاعبون. وأما الشعب فصريع التحزب إلى أن يهديه

الله إلى صواب إختيار الحياد صيغة دستورية للوطن
تنتشر الطمأنينة على الجميع.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 نوفمبر (ت) 2022

المأمول من الجزائر على طريق "لم الشمل"

جاء إنعقاد القمة العربية الواحدة والثلاثين في الجزائر (1 و2 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022) تُبْهَج في الدرجة الأولى نفوس إخواننا الجزائريين كون الإنعقاد يتزامن مع الذكرى الثامنة والسنتين لذكرى حرب التحرير التي كان أبناء الأمتين العربية والإسلامية في الخمسينات وقوداً معنوياً لها. وليس مبالغة القول إن الوقفة الشعبية والحكومية العربية وبالذات في مصر والسعودية ولبنان وسوريا والعراق مع حرب التحرير التي بدأها المناضلون الجزائريون ساهمت بنسبة ملحوظة في إنتعاش الإحساس بالعروبة بعدما أمعن الإستعمار الفرنسي شراسة في إطفاء جذوتها. بل يمكن القول إن للوقفة العربية المشار إليها حيزاً بارزاً في ظاهرة التعريب التي نشطت بعد نيل الإستقلال وبدء التخلص بالتدرج من كوابيس الفرنسية.

ومن محاسن الصدق أن القمة النوفمبرية كما يفضل بعض إخواننا الجزائريين تسميتها إلى جانب التسمية الرسمية "قمة لم الشمل" جاءت على خلفية كسب نوعي من الدولة الفرنسية التي ظلمت الجزائريين قرناً كاملاً وجاء رئيسها الحالي مانويل ماكرون ثم رئيسة وزراء الحكومة الحالية يحاولان من خلال خطوات تتصل بتتقية الذاكرة وتبطوير التعامل بين الدولتين ، وهو إنجاز يُذكر بالتقدير الشعبي الجزائري للرئيس عبدالمجيد تبون، الذي أراد وقد تزامن دور إنعقاد القمة العربية المرجأ إنعقادها طويلاً، مع رئاسته للدولة أن يضيف إلى شأن الجزائر المزيد مما إرتبطت به من مبادرات ملحوظة على طريق العمل العربي المشترك. ومثل هذه الإضافة تشكل تحدياً له كأحد الضيوف الجدد من حيث المشاركة في مؤسسة القمة العربية بنوعيتها الإستثنائي أو الدوري كونه حديث التروؤس للبلاد، شأنه في ذلك شأن آخرين من الضيوف أبرزهم الرئيس التونسي قيس بن سعيد والرئيس العراقي عبداللطيف رشيد والرئيس السوداني العسكري _ المدني

عبدالفتاح البرهان إلى جانب آخرين يمثلون دولهم نيابة عن أهل الحكم. وتلك تجربة مفيدة للجدد عليهم يضيفون إلى مؤسسة القمة ما من شأنه التفعيل الأكثر ضرورة والتقليل من الأكثر ضرراً، وبالذات ما يتعلق بقضايا خلافية تتصل بالتدخلات التي تؤدي العمل العربي وتتسبب في إنشغالات بال حكومات تسعى لتحقيق نهوض نوعي في البلاد. وهنا تحديداً يمكن القول إن التدخلات كما هو ظاهر ونشط ينحصر في دولتين جارتين تشاء الصدق أن الإثنتين غير عربيتين وأن لكل منهما "أجندة" تتضمن بنود مراحلها خطاً عسكرية وإقتصادية وكلها بهدف زعزعة الإستقرار في دول عربية. وما يراد قوله هنا إن أهل الحكم الجزائري الذين بذلوا جهداً مشكوراً في محاولة محفوفة بعدم الثبات لكن خيراً حدثت، لتحقيق مصالح فلسطينية، كانوا من أجل تحقيق نقلة نوعية في العمل العربي المشترك وبحيث يكون "لم الشمل" حاصلاً، مطالبين بمحاولة لدى كل من النظام الإيراني والنظام التركي لكي يعيد الطرفان ترتيب علاقات كل منهما مع الدول العربية، إذ أن ما يفعلانه في العراق واليمن ولبنان وسوريا وغزة الخارجة عن السلطة الفلسطينية، هو تفرقة العرب عن بعضهم. أو تناغماً مع تسمية الجزائر للقمة إنهم ضد لم الشمل العربي. وليس خافياً على الرئيس الجزائري الباذل كثير الجهد من أجل إعادة ترتيب البيت وتتقية شوائبه ولا على الرمز الحالي للدبلوماسية الجزائرية والمدى الرحب في تخريجات رمضان العمامرة لما يتعلق بالغياب السوري فضلاً عن عدم تسميات المتدخلين والإفاضة في مخاطر التدخل.. ليس خافياً على كلاهما أن جارهما الليبي لن يلتئم شمله ما دام التدخل التركي في شأنه على ما حدث ويتواصل حدوثاً، فضلاً عن أن المتدخل في ليبيا يتطلع إلى التدخل في الجزائر وفي تونس وفي موريتانيا وفي المغرب، إلى جانب تطلعات لا يخفيها وإن كان أخفق أكثر من مرة تجاه مصر. فالرئيس أردوغان صاحب مشروع إحتواء دول إسلامية، يمثل المشروع الإيراني الذي سبقه. وهو في بعض مفردات كلام يقوله ولا يأخذ طريقه للنشر يقوم بالتظير المستند إلى أن المشروع الشيعي الذي تنتشط إيران الخمينية _ الخامنئية في سبيله يتطلب مواجهته بالمشروع السني الذي لا قدرة لدولة على السير فيه إلا بعد وضْع اليد على مصر الزاهية بأزهرها وتراثها. وما الخطوات التي إتخذها لجهة الحملة الإخوانية على مصر

تقودها عناصر مستضافة، وكذلك توسيع رقعة التغلغل في ليبيا، سوى مرحلة من حملة مراحل تحقيق ما يتطلع إليه.

من هنا فإن "سلاح" العلاقة الاقتصادية المتطورة بين الجزائر وكل من الجمهورية الخامنئية والجمهورية الأردوغانية الذي أوجب بعض الخفر اللفظي في التعبير خلال القمة النوفمبرية والتي هي أيضاً قمة ربيع الأول"، عن حقيقة الدور الإيراني وصنوه التركي في ثلاثة أرباع الدول العربية، لا يحقق عدم تنقيحه أي سعي من أجل "لم الشمل". ومن حق الذين شاركوا في القمة وبالذات السعودية والعراق ولبنان والإمارات والسودان وفلسطين، أن يأملوا من الجزائر حراكاً لدى كل من الجارتين المتدخلتين وأحياناً إلى درجة التهديدات كما حصل حديثاً تجاه السعودية، كي يسلكا سواء السبيل الذي يحقق حُسن جوار قائم على أفضل العلاقات، وأن يكون الجهد الذي يُبذل في هذا الشأن جُهد من يريد فعلاً تحويل "لم الشمل" إلى حقيقة وليس مجرد مفردة تستند إلى مشاعر الحرص.

وما من الواجب سعيه لدى كل من جمهوريتي التدخل الإيرانية الخمينية _ الخامنئية والتركية الأردوغانية، من المهم إستكمال سعي لدى روسيا البوتينية التي ذرفت حرصاً على القمة كلمات بدا فيها بوتين الذي يواصل حرباً عبثية على دولة جارة كانت مطمئنة، أنه مفعم حباً بالعرب والعروبة. فالثلاثة ومعهم الولايات المتحدة التي تُضَيِّع البوصلة في مسار علاقاتها مع المنطقة يتحملون ما هو حاصل في المنطقة وبالذات في سوريا التي يلملم نظامها البشّاري جراح عقدين فقدت فيهما سوريا الدور والطمأنينة والتطور والمكانة وبحيث بات اليباب هو السمة لها كما للبنان الذي أتخمته بالنازحين. وعندما ينحسر الإطباق الإيراني _ التركي _ الروسي _ الأميركي عن سوريا، يسهل عنده إستعادة سوريا إلى الخيمة العربية جنباً إلى جنب مع سائر الأشقاء. والإستعادة مرتبطة بقرار شجاع يتخذه النظام البشّاري لجهة تخلّصه بالحُسن (على طريقة تخلّص الرئيس السادات من العبء السوفيّاتي) من وطأة الذين أتوا لدور عابر وطاب لهم البقاء سنوات. وفي ضوء الخيار الجديد تحدث الإستعادة كما إستعادة مصر ماضياً في زمن الرئيس مبارك إلى الخيمة العربية ومحو مقولة الرئيس السابق أنور السادات (رحمة الله على الوارث والموروث) عن الجامعة العربية "خزوها مش عايزينها". من كتاب أدبيات التعامل.

خلاصة التأمل في القمة العربية التي إستضافتها الجزائر وكانت إستضافة مشهودة من حيث التوق إلى العروبة، أنها أبقت مسألة منصب الأمين العام للجامعة على حالها أي لا

مداورة إنسجاماً مع مداورة إنعقاد القمة، وأنها زرعت شتلة "التوافق" بأمل حدوث الوفاق من الآن وحتى إنعقاد القمة الثانية والثلاثين في الرياض.. والتي مقارنة بنتائج قمم خليجية وعربية ودولية أستضيفت في الرياض والعلّا وجدة ومكة وكلها ناجحة بنسب متفاوتة، مع ملاحظة أن ما يتعلق بموضوع العضوية الكاملة لفلسطين في الأمم المتحدة يبدو في ضوء نمو الدور الفاعل دولياً الذي بات مرتبطاً بالمملكة العربية السعودية ودول الخليج ربما يكون الإنجاز الذي تبدو القضية الفلسطينية على موعد لحدوثه بسعي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان. فما كان ماضياً هو غير ما بدأ يتسع على خارطة العلاقة السعودية مع دول العالم كبرى وغيرها وبالذات دول متوسطة الحال طالما ضغطت عليها الإدارة الأميركية وأغوتها إسرائيل كي لا يكون هنالك تصويت على قبول كامل لفلسطين عضواً في الأمم المتحدة. وما بعد القبول تأخذ المبادرة العربية للسلام الطريق بالترجّح نحو التنفيذ، وتدخل دول المنطقة مدار الطمأنينة ورغد العيش بعد فقدان لهما طال وإستشّرى ووصل إلى حد أن رئيس الحكومة اللبنانية المسلوقة كامل الصلاحيات نجيب ميقاتي وقف من على منبر القمة خطيباً معلناً إنطفاء لبنان المنارة وهو في ما قاله لا يبالغ. لعل الإضاءة تستعد بعد القمة العربية المأمولة خيراً للأمة تستضيفها المملكة وتشهد المنطقة بداية مرحلة خسوف شريعة التدخل، تؤام شريعة الغاب، في الشؤون الداخلية بعد أن يكون رئيس الجزائر والقمة الواحدة والثلاثين حقق للأمتين ما هو مأمول تحقيقه وسلم الأمانة إلى اليد الأمينة. والله الولي والكريم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 16 نوفمبر (ت) 2022

تأملات في قمم المنتجات

عند التأمل في أجواء القمم الأُممية المتلاحقة من قمة المناخ "كوب 27" التي إستضافها الرئيس عبدالفتاح السيسي في شرم الشيخ (6 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022) إلى قمة العشرين التي إستضافها الرئيس الأندونيسي جوكو ويدودو في "بالي" (الثلاثاء 15 نوفمبر)، قبل أن تزلزل الأرض زلزالها في إحدى مناطقها، وبعدما كان

القوم العشروني غادروا، إلى قمة "أبيك" في بانكوك (الجمعة 18 نوفمبر) إلى القمة الفرنكوفونية في دورتها الـ 18 في "جربة" (السبت 19 نوفمبر) فإن المتابع لأجواء هذه القمم مثل حالنا، يجد ذاكرته تستحضر أجواء الستينات ذلك الزمن الذي نشأت فيه حركة عدم الإنحياز ونمت وأخذت حقها من الالتفاف الشعبي حولها، قبل أن يزعزع كبار الشأن الدولي بصراعاتهم وشغفهم في سباق التسلح والمناكفات التي تؤسس لحروب بنيان تلك الرحلة مستغلين في ذلك الرحيل المفاجئ والمتتابع لكل رموزها.

في القمم النوفمبرية الأربع إنحسار ملحوظ لمفردات الصراع وتشاؤف الكبار على من دونهم. ربما يكون المكان أحد العوامل في ذلك حيث القمم إستُضيفت في منتجعات بدءاً بالساحل الذي يبعث البهجة فيه بعدما حولت مصر شرم الشيخ إلى ريفيرا مصرية خلبت أبواب الذين قصدوها وبالذات الروس الذين كانوا قاصدين دفء شواطئها وأطايب مطاعمها لولا أن رئيسهم فلاديمير بوتين رماهم في حرب لا يريدونها مفضلين أن تبقى الحال على ما هي عليه ومن دون كابوس إستعادة الفرع الأوكراني إلى الأصل الروسي بحرب ظالمة تكراراً مريباً للكابوس الصّدّامي الذي حاول بمقتضاه العراق الصّدّامي إلتهم الكويت لكن الأمر إنتهى أن تحالفاً دولياً بقيادة أميركية - بريطانية إلتهم العراق وحقق للثورة الإيرانية الفاعرة الأنباب ما تبغيه إنتقاماً من هزيمة ألحقها عراق صّدّام بها، ثم البدء بقضم سيادة العراق وعروبته وشأنه كرقم بالغ الأهمية في المعادلة العربية - الإقليمية - الدواية.

وكما أجواء منتجع "شرم الشيخ" جعلت التطلعات السياسية تتراجع نسبياً أمام الضرورات الإنسانية، فإن الإنعقاد في "بالي" إحدى الجزر الأندونيسية الساحرة جعل بعض الذين في نفوسهم هوس السيطرة وإعتماد القبضة عنصر قوة لهم، يتأملون في جماليات المكان الذي هو هبة من رب العالمين إلى بني البشر لكي ينعموا فيه ويجددون الشكر لله سبحانه وتعالى مع إشراقة شمس اليوم. وبطبيعة الحال فإن سحر الطبيعة في مكان مثل ساحل "شرم الشيخ" في مصر وجزيرة "بالي" في أندونيسيا له تأثيره البالغ خلاف ما كان الإنعقاد سيتم في قاعات مُحْكَمَة الإغلاق في عواصم تكاد تختنق من تكدس البشر والسيارات والمناخ الذي يكتم الأنفاس كما هي الحال في القاهرة وجاكرتا على سبيل المثال لا الحصر حول العواصم والمدن التي تجاوز الإكتظاظ السكاني فيها نقطة

الإختناق في إنتظار أن يشق السعي المناخي طريقه فيعالج ما يتوجب العلاج. وللمناسبة يا ليت المسربل بنوازع الحرب وتدمير البنى التحتية ومحطات توليد الكهرباء وتشريد الناس في الشوارع مذعورين من أهوال القصف المجنون، ونعني بذلك الرئيس بوتين، أتى إلى "بالي" كما الآخرين ولم يرسل وزير خارجيته الذي كان حضوره موضع تهميش من الجمع المشاركون، وحاول بالحسنى وليس بالمفردات النووية، تهدئة خواطر الجمع الدولي الغاضب على ما فعله حرباً وتدميراً وحجباً للغاز إستباقاً للبرد القارس عن مجتمعات في أكثرية دول العالم ترى أن السلام على الأرض والمحبة بين الناس والحمد والشكر على نعم الله على عباده وإعتبار الهوس النووي إنتهى في هيروشيما ولا سماح لإستعماله من جانب مالكيه تنبيهاً للجنوح الإيراني نحو إمتلاك هذا السلاح وعدم التأمّل في مطالب الناس التي هي الحد الأدنى والإمعان تصويماً بالغ الخشونة لحالات الغضب الشعبي ومعالجة هذه الحالات بتوسيع منسوب العقاب من دون الأخذ في الإعتبار أن هذا العقاب قد يردع إلى حين لكنه يسرّع في تينيع الثورة الخمينية ويقرّب حين قطاف نظام مرشدها الخائني. ومع التصحيح الموجب إتخاذ خطوة في شأنه من جانب بوتين، توضيحاً يلقي القبول وليس إعتذاراً يصعب الإفصاح عنه، دعوة الحاضرين إلى مضافة لهم على شواطئ البحر الأسود يكون فيها فلاديمير الآخر (الأوكراني) حاضراً وممدودة اليد الروسية إلى اليد الأوكرانية. وهذا ما يريده الناس بدءاً بالرأي العام الروسي فالأوكراني فسائر بني البشر في القارات الخمس التي باتت عاديات المناخ تقض المضاجع وتخطف الطمأنينة من النفوس.

لم تكن بانكوك منتجعاً سياحياً وإنما عاصمة رمز تجربة مشهودة في التنمية، رحبت خير ترحيب بزائرها ولي العهد السعودي ورئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان المتميز مكانة ودوراً طموحاً في إدارته لسياسة المملكة والتعامل مع دول العالم وبالذات الكبار الذين ترتبط الصراعات بهم، كما فيه بعض الشبه من بناء الذين قادوا في زمن الستينات حركة عدم الإنحياز جمال عبدالناصر وجواهر لال نهرو وأحمد سوكارنو والماريشال تيتو وشو ان لاي. فقد إنتهج الأمير محمد نهجاً من العلاقة المتوازنة مع كل من الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا جعلته يبدو رائد نهج لمفهوم جديد لتجربة عدم الإنحياز،

الشيخ تميم ووالده وشعب الدولة التي تسعى إلى جمع الرؤوس _ الرئاسات على قاعدة أن أول الحل للآزمات هو النية وثانيهما وضع اليد باليد فثالثهما المباشرة بالحوار وعلى قاعدة (يا جاري أنت بحالك وأنا بحالي)، وأي إضافة تعاون بالتفهم والتفاهم والنوايا الحسنة تكون خيراً وبركة.

وباستعادة المصالحة التي تمت سابقاً بين الرئيس السيسي والشيخ تميم وأثمرت زيارتين متبادلتين شهدتهما القاهرة والدوحة ومزیداً من التفهم لأهمية الاستقرار في العلاقة بين دولتين تجمعهما أواصر كثيرة لمصالحة الشعبين، فإن المأمول هو المزيد من السعي التيمي لكي تكتمل اللوحة المنقوصة الزهو للعلاقات المصرية _ التركية. ومن الطبيعي في الذي بدأ مسعى أثمر خطوة أولية أن يواصل لإنجاز المزيد من الخطوات.

لكن السعي لن يشق طريقه في حال أن الرئيس أردوغان سيواصل السير في مشروعه الليبي معتبراً أن ما كان يشكّل إقلاقاً من جانب تركيا للحكم المصري قد أخذ طريقه بالتدرج نحو التلاشي من باب إبداء حُسن النية وبما يحقق السعي التيمي لمصافحة تنتهي بمصالحة، فلا كرم إستضافة للإخوان المسلمين الساعين إلى إستعادة عرشهم المفقود في المحروسة ولا مراكز إعلامية فضائية وورقية ومواقعية تنتشط على مدار الساعة من إسطنبول ضد النظام الذي يقوده الرئيس السيسي. لكن هنا التعامل المفاجئ من الرئيس أردوغان مع "إخوانه" المصريين يبدو في رد الفعل المصري المتحفظ كما لو أنه سيناريو لمقتضيات ما هو أهم، وهو تحفّظ في مكانه ذلك أن الرئيس التركي يطوي مؤقتاً صفحة رعاية "إخوانه" المصريين للتركيز على مشروعه الليبي، أي بمعنى آخر تقديم الأهم على المهم، مع ملاحظة أن مصر السيسي شديدة الإرتياب من هذا المشروع. فإذا كان العامل الجغرافي لمصر من تركيا يجعلها مطمئنة، فإن هذا العامل يقلقها لجهة إمتداد الأرض المصرية بالأرض الليبية ولكون المشروع الأردغاني يزداد رسوخاً في ليبيا، وإلى درجة أن تركيا باتت الدولة المنفردة إستحواذاً بنسبة ملحوظة على القرار في ليبيا، وهذا يعني أن ما لم يحققه الرئيس أردوغان بالورقة الإخوانية وجعل تركيا مستقراً للإخوان المصريين يرجمون النظام في مصر بأثقل الكلام وينشطون سراً بدعم تركي سخي في أوساط الرأي العام المصري، يمكن أن يحققه بـ "الحلفاء" الليبيين. وعلى مدى

بمعنى أن لا خوف من هذه الدول الكبرى أو تلك ولا الحاجة إلى أميركا وروسيا كما في الماضي غير البعيد وإلى الدول الثلاث الباقيات، وإنما بناء الدولة المتماسكة القادرة أن تبقى في منأى عن طلب الحاجة الماسة، وفي الوقت نفسه النأي عن تقضيل دولة كبرى عن دولة سواء بداعي الخشية أو بداعي ضرورة مراعاة موقعها وإلى درجة الإصطفاف، صراعاً بارداً كان الموقف أو حرباً طاحنة. ولنا في التعامل السعودي _ الإماراتي عموماً مع الحرب الروسية ضد أوكرانيا الدليل على الموقف المتوازن مع دول الـ "تيتو" وكيف كان الموقف متميزاً بنكهة من سياسة عدم الإنحياز بالنظرة المعدلة لهذه السياسة قياساً بسياسة تجربة عدم الإنحياز في الستينات.

خلاصة القول إن إهتمامات الشعوب بعد الآن هي حول العيش الهانئ والسلام السائد والمناخ الصحي والماء النقي. ما عدا ذلك لا مكان له في النفوس. وما أفرزته قمم المنتجعات تشكل أحد معالم الزمن الآتي.. زمن الإنحياز إلى ما ينشر الطمأنينة في النفوس والخير على الأرض.. والدعوة مستمرة لهداية الذين في أشد الحاجة إلى الهداية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 24 نوفمبر (ت) 2022

الأعمال بالنيات بعد المصافحة الفاترة

عند التأمل في الصورة التي إعتمدتها للنشر الرئاسة المصرية عن لقاء المصالحة الفاترة يوم الإثنين 21 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022 بين الرئيسين عبدالفتاح السيسي ورجب طيب أردوغان بتمنيات من راعي المصالحة والساعي إليها أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني يخرج المتابع مثل حالنا لمسيرة العلاقات المصرية _ التركية بدءاً من الحقبة التي شكّل عهد الرئيس (الراحل) محمد مرسي إزدهاراً لصالح تركيا الأردغانية وصولاً إلى ما بعد إزالة العهد والشرع المستمر في إبتلاع جذوره الإخوانية منذ أن باتت مصر في عهدة الرئيس العسكري _ المدني عبدالفتاح السيسي ويلوغ العلاقة مع تركيا ذروة التأزم، بإنطباع أن الحذر ما يزال سيد الموقف وأن مسامرة الرئيسين اللدودين لمضيفهما أمير قطر ومونديالها المبهر الذي تشارك الأمتان بالتقدير

سنتين متتاليتين لم يهدأ تنشيط التأثير التركي على القرار في ليبيا كما لم يتوقف الإستحواذ بالتدرج للشأن الأمني وجديده قيام قائد القوات التركية في ليبيا عثمان إيتاج ومحمد الحداد رئيس أركان القوات الموالية لحكومة الرئيس عبدالحميد الدبيبة مساء يوم الخميس 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022 بحضور حفل تخريج دفعة جديدة من ضباط مدرسة المشاة والمدفعية والمدركات بعد تلقيهم تدريبات على أيدي ضباط من الجيش التركي. يا لخبية العروبة ببعض بنيتها.

ومع أن من الطبيعي أن يكون هنالك تعاون عسكري بين دولتين ويقوم الجيشان أو الأفرع فيهما بين حين وآخر بمناورات لإختبار القدرات، إلا أن ذلك يستوجب إستقلالية كل من الدولتين، وهذا متوفر لتركيا إلا أنه منعدم إلى حد ما بالنسبة إلى ليبيا حيث جيشها جيوش وحكومتها حكومتان ومؤسساتها منقسمة وميليشياتها بالعشرات وإلى تزايد. هنا واجب القول إن الطبيعي هو أن تقوم المؤسسة العسكرية المصرية بمثل هذا الدور القومي والوطني كما الحال سابقاً وحيث اللغة واحدة ولا حاجة للترجمة، كما حيث المشاعر أيضاً واحدة. ولكن اللافت أن إحدى حكوماتها، أي الحكومة الليبية تتحسس على ما يجوز الإعتقاد من مصر وتفضل الجار البعيد على الأخ القريب. ووسط هذه الحال يستقر المشروع الأردوغاني الذي يشكّل وجوده في ليبيا المحاذة لمصر الخطر الواردة معالمه في بال الرئيس السيسي والذي لمسه بكثير من التبصر من خلال قول أردوغان له وهو يشد بيساره على الكف الأيمن للرئيس المصري وعلى سمع من الشيخ تميم وبصره "إن طلب أنقرة الوحيد من مصر هو تغيير أسلوبها تجاه وضع تركيا في البحر المتوسط". وما يخفيه الطلب، ولا بد فهمه الرئيس السيسي خير فهم هو أن تترك مصر للمشروع الأردوغاني في ليبيا ما دام هو الأكثر تأثيراً، أن يستكمل محطات هذا المشروع. ولا ريب في أن إحداها لاحقاً هي إستعادة العرش الإخواني المنزوع. ومثل هذا الإحتمال إفترض الرئيس السيسي حدوثه ومن أجل هذا كان قبل سنتين ذلك المشهد العسكري البالغ الأهمية من حيث العدد ونوعية الأسلحة براً وجواً على الحدود مع ليبيا الذي عايشه المصريون الذين يوجسون خشية من المشروع الأردوغاني بحيث وبعد أن يحقق مبتغاه عسكرياً وإستحواذاً سياسياً وإقتصادياً في ليبيا يبدأ التعامل مع مصر على نحو ما هو تعامله منذ

بضع سنوات، وبلغ مداه حديثاً مع العراق وسوريا وتحت مقولة الرئيس أردوغان بين الحين والآخر "لا نطلب إذناً من أهل الحكم في سوريا ولا في العراق عندما نقرر القيام بعملية عسكرية". وأحدث مقولاته يوم الجمعة 25 نوفمبر 2022 في رسالة موجهة إلى رجال الأعمال الترك وأيضاً برسم إدارة إدارة الرئيس جو بايدن وكذلك برسم الكرد الثائرين في بعض كل من سوريا والعراق وتركيا نفسها وبعض دول الغرب الأميركي والأوروبي وكل من يحتفظ على العمليات العسكرية التركية في سوريا والعراق "سنواصل بكل عزيمة ودون توقّف نضالنا حتى نبني تركيا العظيمة والقوية...". تماماً كالمنطق الإيراني.

وهكذا يبقى المشروع التركي تؤام المشروع الإيراني في سباق الهيمنة على بعض المنطقة العربية. ويا ويلة لبنانها وليبياها وسورياها وعراقها ويمنها وبعض فلسطينها إذا كان لن يسلك أصحاب المشروعين صراط الجوار الحضاري والتأمل بعمق في ما ينتج عن مشاريع الهيمنة والتطاول.. كما الحاصل من جانب روسيا بوتين مع جاره الأوكراني... مع ملاحظة أن ما في الكتب السماوية من الكلام الطيّب ما يجعل الهداية تغمر القلوب وتنقذ النفوس من الندامة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 3 ديسمبر (كانون الأول) 2022

الرئاسة بهدوء المطران مكاريوس.. وغضب المرشد خامنئي

هذه الحدة في العبارات الغاضبة التي تصدر في ساعات الشدة أو التحدي من جانب بعض رجال الدين في إيران وبالذات من كبير القوم المرشد الحاكم المرشد آية الله علي خامنئي، تجعلني أستحضر من الذاكرة مناسبة شاء الواجب الصحافي أن أعرف أحد رموزها عن قرب، ويستوقفني مع الإستحضار هذا كيف أن هناك نموذجين من رجال الدين إذا هم إنتقلوا إلى كرسي السلطة السياسية المطلقة من كرسي الإمامة أو المرجعية المذهبية مسلمين أو مسيحيين إما يتقمصون شخصية متجبرة لا تتسجم وجوهر العقيدة الدينية وإما يحرصون على ذلك

الجوهر ويغادرون كرسي السُلطة إلى رحاب الأجواء الروحية حامدين شاكرين متعبدين مرفقين ذلك بطلب المغفرة عن خطوات إتخذوها.

في الستينات حظيت بلقاء المرجعية الدينية الأولى التي إنتقلت في رحاب الكنيسة إلى ديوان السُلطة السياسية. كنتُ أحد كوكبة من زملاء المهنة في الصحف اللبنانية التي بلغت زمنذاك ذروة إزدهار لم يسبق أن حظيت به الصحافة العربية من قبل، توجهنا إلى نيقوسيا لمقابلة المطران مكاريوس بعدما بات رئيساً للجزيرة وأول رجل دين في الجمهوريات الدولية يتبوأ هذا المنصب. ولقد أفادنا اللقاء الذي تم إلى جانب الإحاطة بظروف تسلّم المطران الآتي من كوكب روحاني أرثوذكسي إلى كوكب أرضي حافل بالصراعات السياسية والتي في نهاية المطاف جعلت قبرص إثنيتين.

ما سمعناه من المطران _ الرئيس كان مفردات نصوحة في معظمها حول أن يسود السلام بين الناس ويصغي المسؤول كبير الشأن كان أو ركناً من أركان الدولة إلى الناس، وأن يكون حب الوطن رديفاً لطاعة الله الذي وهب. وأفاض في الحديث عن بعض محطات في حياته طفلاً لعائلة تعمل في الزراعة وطالبا في الثالثة عشرة من عمره في دير فمتابعة بعد المرحلة الثانوية دراسة اللاهوت في إحدى جامعات أثينا، وبعدها سيم كاهناً إلحق بكلية اللاهوت في جامعة بوسطن (الولايات المتحدة) لينتهي به المقام وقد بات أسقفاً ثم كبيراً لأساقفة الكنيسة القبرصية الأرثوذكسية في الجزيرة التي تحتلها قوات بريطانية، رمزاً لمقاومة سلمية غاندية الجوهر تدعو إلى أن تكون هنالك وحدة بين قبرص واليونان. وبقي على حراكه هذا إلى أن تم إختيار ميخائيل خرسنتو دولوس موسكوس (وهذا إسمه العائلي) ليكون الرئيس الأول للجزيرة عام 1955 التي باتت مستقلة وموضع مساندة معنوية لافقة من مصر الناصرية وإرتياح مكاريوس إلى سياسة عبدالناصر عدم الإنحياز وتعامله المنزه عن التعصب مع مصر القبطية الأرثوذكسية وبحكم مشاعر المصريين الإسكندريين بوجه خاص إزاء اليونانيين ومنهم القبارصة الذين سكنوا الإسكندرية عقوداً من الزمن وشاركوا في بهجتها وإزدهار السياحة وموسم الإصطياف فيها. كما تطرّق إلى ما يجري في دول المنطقة في جانب من الحديث مع الصحافيين الآتين من لبنان التي إزدهرت فيه لبعض الزمن الحزبي مناداة الحزب السوري القومي

باعتبار قبرص نجمة الهلال الخصيب. تلاشت الدعوة وبات الحزب أحزاباً. وأما قبرص فتحوّلت إلى واحد من الملاذات لأطياف من اللبنانيين مسلمين ومسيحيين الهاجرين وطنهم في سنوات الحرب في السبعينات والثمانينات بين بعض ضد بعض ثم في السنوات الجهنمية بخلطتها السورية _ الإيرانية وخيمتها المارونية الجنزالية التي أثبتت قدرتها على تعطيل الدور الماروني التقليدي في موضوع رئاسة لبنان دون حرص على البلاد وعدم التحسس بأحوال العباد مسيحيين ومسلمين شيعة وسنة وآخرين على السواء..

يطول تدوين ما سمعناه من المطران مكاريوس، هذا إسمه منذ أن بات أسقفاً وهو في الخامسة والثلاثين من العمر ثم بعدما بات في الثانية والأربعين وفي كامل حيويته ونضاله التوحيدي أول رئيس لجزيرة قبرص التي إستقلت عام 1955. ومثلما هو أول رجل دين يتبوأ منصب رئاسة دولة، فإنه أول أيضاً في إحاطة نفسه بالأخبار الذين إذا نصّحوا أخلصوا وأول في إعتداد الإستفتاء الشعبي علاجاً للأزمات خصوصاً إذا إستحكمت وتزايدت تعقيداً، كما أنه أول في مواجهة سلمية وحكيمة مع عملية إنقلابية إستهدفت رئاسته التي كانت بلغت 22 سنة فغادر بنصح النصحاء المخلصين وبكامل الإختيار الجزيرة مطمئناً إلى أن رئاسته التي تجاوزت العقدين متروكة للإرادة الشعبية. وكان في تقديره هذا حكيماً ذلك أن أجواء تلك الإرادة أوجبت عودة مكاريوسها بعد غربة وبقائه في سدة الرئاسة إلى أن أسلم الروح في الثالث من أغسطس/ آب 1977 عن أربعة وستين عاماً، وهي سن شبابية نسبياً. ولقد غادر تاركاً في مشهد الحُكم والحكام أمثلة أن رجل الدين إذا حكم عليه أن يحكم بالعدل وأن يعزز شأن الوطن وينشر الطمأنينة في النفوس والعدالة في التعامل وعدم الإستغراق في أحلام مشاريع التدخل في ديار الآخرين والتباهي بمشروع تصدير الثورة التي أصلاً شُحبت خضرتها وإكتسبت إحمراراً يولد ضحايا وأحزاناً، وإعتقاد المسألة الدينية وسيلة طمأنينة للعباد وليست أداة ذات حد مذهبي وحد سلاحي صاروخي ومسيراتي وإستعراضات عسكرية في وضح النهار وإنخراط مجندين في حروب تخاض دون وجه حق في دول أخرى، والإشادة بقطاعات أمنية محددة مشهود من جانبه لها بالشراسة إزاء من يعارضون ذكوراً كانوا أو أناساً، والولاء إلى أبعد الحدود لشخصه.

البشائر السياسية بعد البشري الكروية

وسط هذه العتمة الدولية بشقيها النفسي والتظليمي وفيما نحن على مسافة أيام من إنقضاء عام تلك العتمة، غمرت النفس العربية بعض نسائم الأمل المنشود بما يضيء ويبهج ويبدد هذا الشعور بفقدان الطمأنينة والود. ولكم أفرح الشعب في لبنان المحجور على إرادته من جهة والمتواصلة ألعيب المرجعيات الحزبية والحركية والتيارية في مصائره فتناست ذكرى اليوم الوطني وجعلت المواطن بالتالي محروم الإبتهاج بهذه الذكرى، أن يرى بعض الأشقاء العرب يستقبلون ذكرى اليوم الوطني في دولهم بالبهجة والطمأنينة فترتفع السيارات حاملات الأعلام ويصافح أبناء الوطن بعضهم بعضاً وبشعور أن العيد الوطني هو عيد كل منهم.. عيد الأجداد والآباء والأمهات والبنين والبنات، بل حتى عيد الأطفال الذين أبصروا نور الحياة ولا خشية على مستقبلهم ما دامت الدولة على هدي مسيرة التنمية والتطوير وإنشغال البال بالمواطن، بحيث لا يصاب بما أصاب، على سبيل المثال، اللبناني في عيشه وكرامته طوال سنوات كان أهل الحكم والسياسة والأحزاب عن قضايا الناس ساهين وعابثين ومنشغلين.

ومن الطبيعي عندما حلت ذكرى اليوم الوطني الذي هو 22 نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام بدءاً من إعلان الإستقلال عام 1943، ويرى المواطن اللبناني التعامل السياسي والحزبي والحركي والتيارية معها، وكأنما هذه المناسبة من الأمور الثانوية التي لا موجب لتضييع الوقت في إحيائها، أن يقول المواطن بينه وبين نفسه: يا لهذا الإنعدام في الحس الوطني. ولا بد أن متابعتة عبر الفضائيات كيف إحتفل المواطن السعودي بالعيد الوطني للمملكة التي وضع حجر الأساس لها الملك عبدالعزيز وزاد الأبناء الصرح درجات بلغت المرحلة الأكثر إبهاراً وصلابة في ظل رمز ذاكرة المملكة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان ورمز حقبة التأسيس الثاني في جيل الأحفاد ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان... لا بد أن متابعتة تلك عززت إيمانه بأهمية اليوم الوطني بالنسبة إلى المواطن وزداته توقاً إلى لحظة فرح تحدث في الذكرى الآتية بعد سنة وقد إستعاد الوطن (لبنان المستباح) سيادته ودوره العربي إلى جانب

ويبقى أن مناسبة هذا الإستحضار لرئيس ديني النشأة والتطوير وسياسي الممارسة بحكمة ومغادرة كريمة بعد عقدتين من التربع رئيساً على دولة تسيح آمنة فوق بحر، أننا نعيش منذ ثلاثة عقود تداعيات تجربة حُكم ديني أمعن إهتزازاً في أربع كيانات عربية وخارج مفاهيم العلاقة التقليدية بمعنى عدم تجزئة كل من هذه الكيانات. وهذه الكيانات هي العراق الذي رَحَلَ آية الله الخميني الذي له ثارات على ثلث العراقيين رداً على جرحين: جُرح من جانب صدام حسين وهو نائب الرئيس لإبعاده خارج العراق تجاوباً مع رغبة الشاه محمد رضا بهلوي وهو الإبعاد الذي أوصله إلى ملأه المؤقت فرنسا محاطاً برعاية المراهن عليهم من جانب الحُكم الفرنسي كورقة لعلاقات مستقبلية. وأما الجرح الثاني فيتصل بخروج إيران مهزومة ومن هنا جاءت مقولة إمامها إنه يوافق على وقف القتال كمن يتجرع السم. وإلى الجرحين ثالث ما زال غائراً يتمثل بالتصميم على وضْع اليد على العراق بكامله. وهذا حتى إشعار آخر على درجة من الإستحالة وبمثل إستحالة وضْع اليد على سائر الكيانات المثبتة أسماؤها في خارطة طريق المشروع الإيراني.

ويبقى من هذه المقارنة بين رمزين أوصلتهما الظروف من رحاب المؤسسة الدينية كل من مذهبه إلى الجلوس على كرسي رئاسة الدولة مع إختلاف دور مكاريوس المطران في قبرص وخامنئي المرشد في إيران، تسجيل نقطة نظام إزاء خامنئي لإعتباره الصخرة الشعبية المتدرجة المراحل مجرد أعمال شريرة بدل إستيعاب غضب الغاضبين بالحسن وإضفاء كثير النقهم على مطالبهم ومشاعرهم. وهو في تصنيفه للتظاهرات العفوية بأنها عمل شرير يساوي بين هذه الأعمال وبين مثيلتها التي حدثت من جانب التيار الذي قاده خميني وورثه خامنئي وجعلت عرش الطاووس يهتز، كما إهتزاز الثورات عندما لا تستوعب مطالب الشعوب وتطلعاتها. ومثل هذا الإستيعاب حققه المطران مكاريوس في قبرص فأخذ بذلك مكاناً لائقاً في تاريخ الحُكم والحكام في العالم. وأما المرشد خامنئي فأمامه الفرصة لكي يقلب الصفحة وبذلك يرضي ربه ويكرم شعب إيران ويترك دول "المجموعة الإيرانية" في العالم العربي تداوي بمهارة أبنائها جراح تدخلات زرعت في النفوس بذوراً من العتب والغضب. والله القوي والرافع والمُعز.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 5 ديسمبر (كانون الأول) 2022

الطمأنينة.

ما يقال عن جوهر علاقة المواطن السعودي ب اليوم الوطني يقال أيضاً عن ذلك الجوهر في علاقة المواطن الإماراتي وكذلك المواطن القطري كل مع العيد الوطني للدولة التي بنوها لا يشعرون بالخوف ومطمئنين إلى أن شبح احتمالات الجوع لا يمكن أن يطرق أبوابهم. ولكم هو فرح يملأ القلوب أن العيد الوطني الإماراتي وكذلك القطري تزامنا مع إنجاز شبابي تاريخي أمني يتمثل في أن دورة الألعاب الأولمبية التي إستضافتها الدوحة كانت الأكثر لفتاً للأنظار ومدعاة للإعجاب بين الدورات السابقة، فضلاً عن أنه على هامش الدورة الأولمبية في رحاب دولة قطر حقق الشيخ تميم بن حمد آل ثاني بداية مصالحة يتمنى المرء تفعيلها من جانب المتصافحين الرئيس عبدالفتاح السيسي والرئيس رجب طيب أردوغان. وبالتمني نفسه للمصالحة المتمثلة بزيارة رئيس دولة الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان مصحوباً ببعض إخوانه إلى الدوحة طاوياً بذلك صفحة جفاء بين إثنين من رموز القيادة الشبابية في الخليج دامت أربع سنوات، لكن الصفحة بقيت على خط أن الخليجي للخليجي ولا بد من تبديد الجفوة وإن هي طالت أربع سنوات.

وتبقى من نسائم الأمل المنشود التي غمرت النفس العربية وبذلك يُختتم العام 2022 على ملامح طمأنينة، هي تلك الخطوة التي تمثلت بتطور لافت وإيجابي في الأزمة السودانية التي ضاقت سنتين من التشبث بالمواقف الراضية أي صيغة لا غلبة فيها للعسكري على المدني ولا وصاية للقوى الثورية المختلطة المشارب والأهواء والإنتماءات الحزبية والولاءات ذات النواذب إلى خارج الوطن. وبعدما إستحكمت الأزمة ودخل الشقيقان العربيان الحادبان والمساندان والمغيثان عند الشدة (المملكة السعودية ودولة الإمارات) والمتطلع البريطاني والأوروبي وتمنيات كبيرة الشقيقات مصر على خط الأزمة يرفقون التمنيات بجرعات من الضغوط الإيجابية الغرض... بعدما إستحكمت تعقيدات الأزمة فإنها إنفجرت نسبياً ورأينا الكفة العسكرية تخفف من الأثقال والشروط يقابل ذلك تخفيف مماثل من الكفة المدنية الثورية التي غاب عن بال أقطابها أن سنتين من التظاهرات من جانب رموز الأزمة أتعبت السودانين وأن السعي العربي _ الدولي _ الأفريقي أتى في الوقت الذي يُبعد عن السودان مخاطر صراعات تؤسس لوضع لا يعود فيه الندم، كما لا

تعود مساعي الأصدقاء حاضرة في ساحة الصراع تحاول ما إستطاعت تضميد الجراح بنوعها الضميري والجسدي. فالقول إن الصديق عند الضيق صحيح، إنما بتلبية الصديق نداء التعاطف عندما يكون المصاب من الذين لا يتركون للعناد حيزاً في تصرفهم كما في خطابهم ومفرداتهم وبياناتهم وعبارات هتافاتهم في الميادين.

في أي حال يحتاج الإنجاز السوداني إلى قراءة متأنية، إنما في ضوء الإلتزام بما تم إنجازه. ونقل ذلك على أساس أن هنالك في إستمرار جمرات تحت الرماد في العلاقة بين عسكر السودان ومدنييه، وثمة تجارب صادمة في شأن هذه العلاقة. لكن خيراً ملحوظاً أن يندرج التوافق السوداني المأمول إكمال فصوله في لوحة إنجازات مبهجة حفلت بها الأسابيع الأخيرة من العام 2022. وأما إشراقة الشمس الصينية من الرياض متمثلة بقم تظللها الموضوعية وبعد النظر والتخفيف بعض الشيء من أثقال علاقات لم يحسن الصديق الأمريكي التقليدي على مدى عقود إبقاء خصوصيتها في منأى عن التعالي والتصنيف والتنظير مكتفياً بالحرص على الأخذ أكثر من العطاء مواقف متهممة، فإنها ستبقى اللون الأكثر سطوعاً في المشهد الذي يؤسس لطبعة جديدة ويتدوين مقن. لعل الرئيس الصيني يتأمل في المشهد الذي صاغه الملك سلمان بن عبدالعزيز وأوكل إلى ولي عهده رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان أمر إخراج بهما هو أفضل بحيث تكون القمة المثلثة السعودية _ الصينية _ والخليجية الصينية والعربية _ الصينية في الرياض هي القمة الثالثة الأكثر إبهاراً في تاريخ القمم العربية الدولية بعد الأولى بين الملك عبدالعزيز والرئيس الأميركي روزفلت على متن طراد في البحيرات المرة (قناة السويس) يوم 15 فبراير/ شباط 1945 والقمة الثانية الأميركية _ الخليجية - الآسيوية في الرياض على مدى يومي 20 و 21 مايو/ أيار 2017 هدية لـ دونالد ترامب في بداية ولايته وبما يعزز شأنه الذي لم ينله خلفه المتعالي من العرب وبالذات من القيادة السعودية وقادة دول الخليج ومعهم عدد من الدول الإسلامية، ثم ها هي القمة الخليجية _ العربية _ الصينية تحقق للرئيس المجدد رئاسته المديدة للصين شي جينينغ مجدداً عربياً خليجياً يأمل المرء أن يكون الرد عليه أفضل بكثير من عدم رد ترمب الذي لم يكن عند حُسن الظن لأنه أخذ الكثير من دون أن يرد على العطاء المعنوي والمالي بما يوازيه موقفاً

ما نغنيه بالحوارات من شأن السطور الآتية توضيح المعالم والمقاصد.

المتعارف عليه حزبياً في الدولة التي يحقق الاستقرار والطمأنينة للشعب هو أن يكون هنالك حزبان رئيسيان وحزب ثالث أو بضعة أحزاب صغيرة، وتكون قضية كل من هؤلاء الأحزاب مع تنوع الرؤى هي الحرص على الكيان والتمسك بالسيادة وعدم الإرتهان إلى دول أو أحزاب أو مشاريع خارجية. وهذا على سبيل المثال لا الحصر ما هو سائد في دول أنظمتها ديمقراطية. ففي الولايات المتحدة يمارس كل من الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) الدور الوطني بإمتهان كما هي التجربة المماثلة في بريطانيا حيث يمارس الحزبان (المحافظون والعمال) الدور نفسه وما هو مأخوذ به في الدول الأنفة الذكر موجود في سائر الدول الأوروبية ودول العالم التي يحترم الشعب فيها وإلى درجة التقديس الوطن كياناً وواجباً وحرصاً.

كما متعارف عليه أن يكون داخل الحزب الواحد ما إصطُح على تسميتها أجنحة، وبحيث يقال الجناح اليميني في هذا الحزب والجناح اليساري والجناح المستقل. ولكنها أجنحة وطنية بإمتهان وينحصر دور هذا الجناح أو ذلك أو ذاك في إبداء وجهة نظر في مسألة مطروحة للنقاش أو للتصويت. وبهذا التنوع البعيد عن التناقض تتم صياغة الموقف الرسمي والتصويت على قرارات إنما بعد أن تكون معالم المواقف واضحة ومعلنة ولا تنشأ عن ذلك أزمة تستغرق أسابيع أو أشهر وتتزايد تبعاً لهذه الخطوة طمأنينة الشعب ومثانة إستقرار الإدارة الحكومية للدولة دون تقصير طيف على أطراف ودون تعطيل المصالح. مثل هذا الأمر تفتقده معظم دول العالم الثالث بسبب طبيعة الأنظمة حيث البعض منها أتى إما بفعل إنقلابات عسكرية وإما بفعل فاعل ثوري خارج الحدود. لكن الصيت الذائع عن لبنان بأنه دولة ديمقراطية يفرض عليه واجب الممارسة الصحيحة للأسلوب الديمقراطي في كل مناحيه. وعندما لا يلاحظ المرء وجود هذه الممارسة من الطبيعي أن تكون حاله على هذه الدرجة المخزية سياسياً والمحنة شعبياً. وعند التأمل في خرائط طريق الأحزاب اللبنانية نفقد المنحى الديمقراطي في ما تتخذه من مواقف. وهذا عائد إلى أن الزعامة حديدية في كل من هذه الأحزاب حيث لا مناقشات تحدث ولا أجنحة تتكون ولا فرصة أمام تنوع في معالجة المسائل التي تستوجب إتخاذ مواقف أو

أميركياً واضحاً من موضوع الدولة الفلسطينية ومن مبادرة السلام العربية وكذلك من موضوع ترك إيران على نحو ما هي عليه من الإيذاء للمملكة ولدول عربية كانت أحوالها أفضل بكثير قبل أن تقتحم إيران أبوابها بأجندات أفقدت هذه الدول من لبنان إلى سوريا إلى العراق إلى اليمن إلى فلسطين الخصوصية والإستقلال وحرية إتخاذ القرار ووضعتها رهن مصائر الإنقسام الذي يؤدي إلى التقسيم.

خلاصة القول، إن العام 2022 كان بشري كروية مثلثة سعودية _تونسية _ مغربية تجدد العزيمة، وبشائر علاقة عربية _ صينية على قاعدة الإحترام والنهيم والتعامل بالمثل أولاً وثانياً ودائماً. والله المجيب والكريم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 18 ديسمبر (كانون الأول) 2022

أجنحة حان وقت رفرقتها

ليس هنالك ما هو أجدى من الحوار بالنسبة إلى الأزمات عندما تعصف بدولة تعددت فيها الأحزاب والمشارب السياسية، ويصل النزاع بين رموز الأحزاب وتنوع طبيعة الرموز بين صقور وطحالب لجهة التخاطب وطبيعة موضوعات الأزمة، في حال لم يأخذ هؤلاء بالحوار بهدف الإلتقاء على نقاط مشتركة ثم تقليل الحدة شيئاً فشيئاً لترك النقاط تنتهي صيغة توافق تليها صيغة حل.. ثم تشق التسوية المأمولة طريقها.

وفي لبنان دون غيره من دول الأمة يكاد لا يمر تعقيد أزمة طارئة أو حتى أزمة مستديمة، من دون أن تتكاثر الدعوات إلى الحوار. لكن اللافت أن هذا الحوار لا يتم. وأما إذا حدثت أعجوبة وتمت جولة أو جولات حوار فإنها تتم على قاعدة عدم حُسن النية، وأن الحوار هو لرفع العتب وللتهرب من وضع الإصبع على الجرح.

لكن قبل إجتراح معجزة الحوار الذي يجدي حلاً ثابتاً وغير مهدد بأنواء سياسية من خارج الحدود، هنالك حوارات لا بد منها في المجمعات الكثيرة التي أمعن عناداً فتعطيلاً لأي بادرة حل ثابت تنقذ لبنان من وهدهته التي شكّلت أنواعاً من المآسي للشعب مقابل تخمة في المكاسب لأهل لبنان الحزبي والتياري والحركي ومعها الأطياف المحلقة في فضاءات دولية وإقليمية.

قرارات في شأنها.

وإذا جاز القول فإن إفساح المجال أمام جمهور هذا الحزب أو الحركة أو التيار لكي يناقش من دون إملاءات أو ضغوط أو إichاءات، قضية من تلك القضايا العالقة ومنها إفتراضاً تشكيل حكومة أو إنتخاب رئيس جمهورية، كفيل بنشوء أجنحة من دون أن يفقد الصقر مخالفته بالكامل، وإنما يجعله يتبصر أكثر في الأمور ويرى أن ما يقوله عن هذه القضية أو تلك أو الهجوم الكلامي على هذا الطرف أو ذاك أو هذه الحدة في المواقف الذي هو غير قابل للنقاش، ما كان ليقال على نحو ما قيل لو أن هذا الجناح أو ذاك داخل هذا الكيان الحزبي أو الحركي أو التياري أمكنه المناقشة وإبداء الرأي.

وإذا كانت صيغة تشجيع ظاهرة تعدد الأجنحة داخل الكيان الحزبي مستبعدة خشية محاذيرها على القيادة التي تنحصر في الشخص الواحد، فإن الأخذ بالتقليد المألوف يصبح مطلوباً ودليلاً على إحترام من هم في الأعالي لمن هم في السفوح، وهو التشاور وبحيث يكون في رحاب رئيس هذا الحزب أو الحركة أو التيار نخبة من إذا نصحوا فمن الخير الأخذ بنصيحهم، وإذا إنتقدوا فمن الخير الأخذ بنصحهم، وإذا إنتقدوا فمن المجدي تشجيعهم على الإنتقاد عند الوجوب، وإذا إقترحوا أفكاراً غير تلك التي أسمعهم إياها رئيس الحزب أو الحركة أو التيار، فإن ضمير الواحد منهم يرتاح لأنه إقترح وأن ضمير رئيس الحزب لا بد سيتعب عندما يمر الوقت ويتم تنفيذ خطوة ما لم يأخذ بإقتراح من إقترح حولها.

ربما هنالك خشية من فُتح النوافذ الزعامية بحيث أن الأخذ مرة بإقتراح هذا المستشار أو ذاك وإتباع الإقتراح أو وجهة النظر حتى بمناقشة أكثر رحابة ومن جانب الحلقات المتدرجة داخل الحزب أو الحركة أو التيار، ستجعل صيغة التشاور الأكثر رحابة تتطور إلى أن يصبح أقل معارضة وأكثر من مجرد إبداء وجهة نظر. وهذا شيئاً فشيئاً في نظر الزعامة لدى هذه الكيانات سيؤسس إلى ما قد ينتهي تصدعاً والتفكير بتغيير لا بد منه حرصاً على ديمومة الكيان الحزبي أو الحركي.

خلاصة القول إنه لو كان هنالك مجال لتعدد الأجنحة داخل هذه الكيانات الحزبية التي أوردنا إشارات عنها لكانت الأمور ستختلف عما إنتهت إليه أحوال لبنان في ظل هذه الكيانات الحزبية التي أربكت أحوال كيان الوطن. وعلى سبيل المثال لا الحصر كنا سنرى جناح الحمايم

داخل حزب الله يبدي إستغراباً أمام جناح الصقور لهذا التحالف الذي تم مع كيان حزبي لا يرى ما يراه الأمين العام للحزب والذين يرتادون مجلسه، وأن خط سير هذا التحالف تعطيل متدرج للبنان الدولة ومصالح الناس.

ولقد أثبتت نهايات غير سعيدة للتحالف بأن الإستعمال من جانب الطرفين لبعضهما البعض مآله فراق متدرج وعلى قاعدة حفظ ماء وجه التحالف. ولو كان متاحاً وجود جناح يتحفظ ومن باب إحترام العقل وكانت هناك مناقشات رحبة في صفوف كل من الحليفين لما كان للبنانيين أن يعيشوا أربع سنوات عجاف مقموعين بمعادلة لم يثبت صوابها، وكيف ستكون واقعية تلك المعادلة القائمة على صيغة تحالف غير مكتمل صفاء النوايا ظاهراً أهمية العلاقة بين لبنان الشيعي بنسبة عالية ولبنان الماروني بنسبة الربع أو الثلث، أما باطن العلاقة فعبارة عن مجرد عملية بيع وشراء سياسي حقق تأجيلاً لطلاق آت وتضييعاً لبضع سنوات أثبتت نهاياتها أن الحليف العوني غير مؤمن بنسبة تسعين في المئة بما أنشئ "حزب الله" من أجله وأن الحليف الشيعي غير قادر على تعديل النظرة غير الودية من جانب جمهور حليفه لما يتطلع إليه الحزب. وإذا ربح الطرفان وقتاً لكنهما ألحقا المعاناة الأكثر قساوة بلبنان الشعب كما الكيان.

بعد الآن لن يكون من المتيسر قيام تحالف بين "حزب الله" وكيان حزبي ماروني. وبعد الآن لن يكون من السهل إجراء الحوار الذي يجدي. لكن المشهد قابل لبعض التعديل في حال قرر الطيف الشيعي السياسي متمثلاً برئيس حركة "أمل" تحويل الحركة إلى جناح من يتحفظ داخل الثنائي الشيعي، وهو موقف يريده ضمناً رئيس الحركة إلا أنه لا يفصح عنه وهو لو فعل ماضياً لما كان الذي حدث حاضراً... وسيحدث على ما يجوز التوقع أجلاً، مع ملاحظة أن الألوفاات السائرة وراء أسياد كُبراء الكيانات الحزبية الثلاثة (حزب الله. حركة أمل. التيار الوطني الحر) كانت وبقيت ترى أن العلاقة كانت بين الرؤوس الثلاثة في معزل عن المحازبين الذين لا يرون أي جوامع مشتركة تبرر هذا التحالف والذين يؤخذ رأيهم عند عقد التحالفات وإنما عليهم القبول بما أراده الذين في الأعلى.

وأما الأكثر سلامة فهو الكتابة في صفحة جديدة وناصعة البياض. وربما الأكثر جدوى هو أن يتاح

للأجنحة اليمين منها واليسار والوسط فرصة الرفرفة آمنة في فضاء الكيانات. والله الهادي والوالي والباقي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 24 ديسمبر (ك) 2022

مبادرة التمني على أمل التبني

بإستثناء عظات وتمنيات تصدر من معظم رجال الدين في لبنان من أجل إخراج "يوسف" من البئر الذي رماه فيه رموز العمل الحزبي والحركي والنيابي ومعهم لاحقاً رموز التمثيل الشعبي النسبي، بإعتبار أن نواب البرلمان يمثلون فقط من إنتخبهم وليسوا ممثلي الشعب كما التعريف، فإن هذا الرمز الذي يمعن أولئك الحاسدون العابثون في إهانة كبريائه قابع في البئر في إنتظار من ينتشله.

زيادة في التوضيح إن هذا الـ "يوسف" هو لبنان الذي يتعاطف الأغراب مع الذي أصابه أكثر بكثير من إهتمام القيادات والزعامات السياسية والحزبية. وأحدث هؤلاء الأغراب الدبلوماسي العريق أحمد أبو الغيط، صديق محب للبنان ومتعاطف معه يوم كان وزيراً للخارجية ثم بعدما هو يشغل منصب الأمين العام للجامعة العربية. وهذا التعاطف الجزئي يندرج ضمن التعاطف الأشمل من جانب مصر التي على مدى رئاستها الجمهورية وقبل ذلك في عهد الملك فاروق وقمته العربية الأولى في إنشاص (28 _ 29 مايو/ أيار 1946) وما كان يرويه لنا الرئيس اللبناني الشيخ بشارة الخوري بعدما كان بات من السابقين بادئاً التحبير في سرد مذكراته عن التعاطف الملكي الذي لقيه خلال مشاركته في القمة الفاروقية، هو الدليل على ما نقول.

في الوقت الذي كان أكثر قارعي جرس التنبيه والنصح وأحياناً التحذير في أبعد مدى البطريق الماروني بشارة الراعي يقول في عظة الميلاد "إن الكبرياء تمنع السياسيين من التلاقي والتحاور من أجل الخروج من أزمة إنتخاب رئيس فيما أنين الشعب الجائع والمقهور لا يبلغ آذان قلوبهم وضمايرهم، أين هم من وجه الرحمة الذي إنكشف لنا في الميلاد"... في الوقت نفسه كان الكلام الطيب الذي صدر عن الأمين العام للجامعة العربية أحمد أبو

الغيط ما زال حاضراً في المشهد اللبناني المتزايد تعاسة. وكانت هنالك تمنيات بأن تتم ترجمة إعلان الأمين العام إستعداد الجامعة العربية لتسهيل الحوار بين مفتعلي الأزمة والتهاون إلى درجة الإستهانة بإنتخاب رئيس تزامناً مع تشكيل حكومة تدير شؤون البلاد ومصالح العباد.

ومن جانبه وضع الأمين العام أحمد أبو الغيط الحريص وبما يمثل وكذلك بما هي مشاعره ما يشبه موجبات الحوار يتم في رحاب الجامعة، وذلك من خلال كلمات من نوع ما قل ودل وهو في بيروت على مقربة أمتار جنوبية حيث مقر الأمين العام الآخر ومثلها شرقية وشمالية حيث شأن الزعامتين المارونيتين أهم لجهة التعطيل من شأن الزعامة الراعية الروحية الساعية لإنقاذ لبنان بالتفاهم على ما يرضي الله ويترجم قول السيد المسيح "من إحترم أباه طالت أيامه فإن بركة الأبوة توطن بيوت بيوت البنين" (الأب هنا هو الوطن لبنان). وموجبات الحوار كما أوجزها أبو الغيط هي: إن الظرف الدولي المضطرب يفرض على مختلف القيادات السياسية اللبنانية تجاوز كل الإنقسامات وإحتواءها. كما أن الحفاظ على السلم الأهلي واجب على كل لبناني في هذه الظروف الدقيقة. ويتعين أن تبقى قنوات الحوار مفتوحة ومباشرة بين جميع القوى والتيارات السياسية مع إستعداد الجامعة أتم الإستعداد للقيام بما يطلب منها في هذا الصدد....".

حتى إذا كانت المبادرة الكلامية إلى إشعار آخر من جانب الأمين العام للجامعة العربية موقفاً شخصياً، فإن مصلحة أطراف التعطيل إنقاط هذه اللحظة قبل أن تتطير في سماء العلاقات العربية المتأزمة وعلى نحو ما هو حاصل في تونس التي لا يتقي المعارضون الله ويتم تسهيل الأمور أمام رئيس يريد إصلاح الحال، وكذلك على ما هو حاصل في السودان حيث تحولت الأزمة إلى ما يجوز تشبيهه بالمشهد الكارتوني المتمثل بـ "مطاردة توم وجيري" مع حفظ مقامات أهل الحكم العسكريين وأهل المعارضة (المدنيين)، وعلى ما هي لا تتوقف محاولة تعطيل لكل تصحيح في التوجه السياسي في العراق لجهة إضفاء المزيد من الملمح العربي على العلاقة مع الدول العربية وبما لا يجعل كفة موقف الميليشيات الإيرانية الهوى والعقيدة والتسلح هي الأعلى. حدث هذا مع رئيس الحكومة السابق مصطفى الكاظمي فكان تعطيل سعيه، وهذه في المشهد محاولة مماثلة لوقف توجه الرئيس محمد

اللبنانية على الحوار إلى التبنّي من مجلس الجامعة وبتوجيه من الملوك والرؤساء والشيوخ وبذلك تأخذ المنحى الرسمي، كما بذلك تطوى صفحة من كتاب الأزمات المستعصية وتستقيم الأحوال ربما في العام 2023 بعدما لم ننعم بهذه الإستقامة في العام 2022. وعلى الله الإتكال لتيسير الأمور.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 31 ديسمبر (ك) 2022

المأمول للبنان من المرشد...

وبما يُرضي الله

وسط هذه العتمة البرلمانية في لبنان وعقوق الذين لا يحسمون الأمر إنتخاباً لرئيس يبدد الإنطباع السائد بأن لبنان "يتيم الرئيس" كما حال يتيم الأهل فيصبح بالتالي يرسم من يتبناه، لا يملك المرء سوى التقدير لمفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبداللطيف دريان الذي أنجزت كياسته وتواضعه وحنكته أمراً كان عموماً موضع تعثرات نتيجة تدخلات أهل السياسة في شؤون أهل الإفتاء، وجاء المفتي دريان يؤكد أن ما إستعصى على البرلمان اللبناني رئيساً وأعضاء إنجازهم، وبقي "لبنان يتيم الرئيس" يوماً.. بعد يوم.. بعد أسابيع مرشحة لتكون بضعة أشهر، حققه ضمن أصول العملية الإنتخابية الديمقراطية. ويوم الأحد 18 ديسمبر/ كانون الأول من عام الذبول اللبناني تمت مصادقته على نتائج إنتخاب ستة مفتين للمناطق اللبنانية: الشيخ محمد طارق إمام مفتي طرابلس 66.40 في المئة. الشيخ زيد محمد بكار زكريا مفتي عكار بنسبة 45.56 في المئة. الشيخ علي الغزاوي مفتي زحلة بنسبة 56.60 في المئة. الشيخ وفيق حجازي مفتي راشيا بنسبة 85.70 في المئة. الشيخ أيمن الرفاعي مفتي بعلبك _ الهرمل بنسبة 65 في المئة. الشيخ حسن دلي مفتي حاصبيا _ مرجعيون بنسبة 80.95 في المئة.

جاءت العملية الإنتخابية للمفتين الستة بمثابة أمثلة مقرونة بالتمنيات. الأمثلة هي في أن العملية الانتخابية ما دامت لملء منصب له تأثيره في المسيرة الوطنية سياسياً كان هذا المنصب أو دينياً فمن الواجب أن تتم

شيعا السودانى نحو تعزيز الإنفتاح على الأشقاء العرب ومحاولة ترويض الموقف الأمريكى من العراق، فضلاً عن إعادة إحياء محاولة ترطيب الأجواء السعودية _ الإيرانية، وهذا حدث سعي في شأنه خلال "مؤتمر بغداد 2 للتعاون والشراكة" بنسخته الثانية (الثلاثاء 20 ديسمبر/ كانون الأول 2022) بمشاركة الرئيس الفرنسى مانويل ماكرون الذى إستضافه الأردن وتم التأكيد فيه على دعم العراق في مواجهة جميع التحديات، فضلاً عن تمنيات فرنسية على العراق للإبتعاد عن التدخلات الإيرانية.

ولكم كان مدعاة للأسى أن سوريا البشارية المحاددة أكثر من غيرها من دول المنطقة للأردن مغيبة عن المؤتمر. وهذا التغيب بمثابة لفت إنتباه للرئيس السوري بأنه قد آن الأوان لكي يخطو على الأقل كما الخطو العراقي في موضوع العلاقة مع إيران وبما يجعل الأشقاء العرب يساعدون على إعادة سوريا بالتدرج إلى سابق عهدا أو بعض هذا العهد، بحيث لا تعود سياستها رهن إرادتين إيرانية ثم روسية أودتا بسوريا الرقم الفاعل في النهج العربى إلى سوريا غير المرحب بالتعامل معها. وفي هذا الصدد لا بد أن المواطن السوري الذى إصطف بؤساً إلى جانب المواطن اللبناني يتساءل في لحظات الإكتئاب: لماذا يمكن لرئيس حكومة العراق إكتساب ثقة الدول العربية وبالذات دول الخليج ويعبر عن ذلك بمواقف لا تريدها إيران فيما لا يفعل ذلك الرئيس بشار، والذي لو هو فعل لكان إصطف في مؤتمر "بغداد 2" في عمان إلى جانب الملك حسين والرئيس عبدالفتاح السياسى والرئيس ماكرون وولي عهد الأردن الأمير الحسين بن عبدالله وممثلي قادة دول الخليج وكان حضوره سيبدو بمثابة تأشير للعودة إلى الخيمة العربية يؤدي في جلسات مؤتمراتها وفي زيارات متبادلة ما يعيد سوريا إلى سابق رونقها.

هنا يجوز القول إن الأمين العام في مبادرته لمساعدة لبنان على إستضافة رموز تعطيل أحواله ومنها إنتخاب رئيس جمهورية وتأليف حكومة، إنما يرى أيضاً حاجة سوريا إلى حوار بين أطراف قواها التي جعلت الوطن الواحد أوطاناً متناثرة، فشلت جولات المحادثات في جنيف على حسمها، ربما لأن الذين يشرفون على الحوار لا يريدون نهاية ترضي الجميع.

وكما يجوز القول، فإنه يجوز التمني بتحويل مبادرة الأمين العام للجامعة أحمد أبو الغيط لمساعدة الأطراف

بالخيار المنزه عن التدخل، والتسليم بالنتيجة أياً جاءت ما دام الانتخاب جرى وفق الأصول. وأما التمنيات فإن المفتي (لفظة دريان بالعامية معناها أنه يدري بما يجري ويحاك سرّاً) المحيط بحكم منصبه والدور الذي أداه في سبيل التوافق السياسي من أجل إنجاز انتخاب رئيس الجمهورية وأدى ذلك الدور حتى قبل إنتهاء ولاية الرئيس ميشال عون إحساساً من جانبه بخطورة ملعوب التبعيث المتعمد لمنصب رئاسة الجمهورية وملعوب التبعيث لمنصب رئيس الحكومة فيما المتتمة بالإستقرار هي رئاسة البرلمان الذي بتعاطي أكثر أعضائه مع حالة الرئاسة يتبعون من الفراغ أمراً واقعاً، وتلك ذروة الإستهانة وعدم تأدية الواجب الوطني.

كانت تمنيات المفتي متمثلة بقوله وقد أنجز أرقى عملية إنتخابية لم تترك مجالاً للفراغ الإفتائي في المناطق اللبنانية الست "ما حصل اليوم (أي الأحد 12.18.2022) من انتخابات للمفتين رسالة واضحة إلى كل القوى السياسية في لبنان لكي تسارع إلى انتخاب رئيس الجمهورية يجمع بين اللبنانيين ويلتزم الدستور والميثاق الوطني وبخاصة وثيقة الوفاق الوطني المعروفة بـ "إتفاق الطائف" التي أخرجت لبنان من نفق النزاعات إلى رحاب الوطن...". ثم زاد التمنيات تحذيراً وتنبيهاً بعبارة "الشغور الرئاسي أمر مرفوض وخطير ويهدد المسلمين والمسيحيين في وطنهم المبني على أسس ثقافة المواطنة...". وهو في تحذيره هذا يلتقي مع فيض التنبيهات والتمنيات من جانب المرجعيات الدينية اللبنانية الحرص والهوى وبالذات البطريرك بشارة الراعي الذي أوجز في آخر عظاته للعام 2022 الهوية السياسية للرئيس المأمول إنتخابه بعبارة "رئيس يحمي ظهر لبنان وصدرة لا ظهر هذا أو ذاك".

هذه التحذيرات والتنبيهات كان من شأن إستكمالها بعبارات بالروحانية نفسها من جانب الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله حدوث إنفراج مغيب أو فلنقل مقفل عليه كما السجين في زنزانة المستهينين بمصائر الأوطان وآمال المواطنين ومطالبهم المحقة. وكان اللبنانيون المكتوون بما آلت إليه الأحوال في الوطن من سوء إدارة الأزمة يتوقعون في ضوء ما آلت إليه التحالفات المرحلة أن يغتنم السيد حسن مناسبة إحتفالية حزه بذكرى الإغتيال الأميركي الجنرال الثوري الإيراني قاسم سليمان ويقول في خطابه (عصر الثلاثاء 3 يناير 2022) من العبارات ما يساعد على تحقيق نسبة من

التفاؤل بإمكانية التلاقي مع التمنيات التي أشرنا إليها صدرت عن المفتي دريان والبطيرك الراعي وبذلك تتلاشى إحتمالات الفراغ الرئاسي بالإتفاق الوطني على رئيس لكل اللبنانيين لا يكون يمثل الرئيس الذي صدمت خطط الإتيان به تليها سنوات أربع، الشعب اللبناني بمن في ذلك جمهور شعبويته المارونية والشيوعية. لكن ما تمناه اللبنانيون لم يحصل ذلك أن معادلة الشعب والجيش والمقاومة وإن كان التحديد لها صيغ بمفردات جديدة في خطاب الإحتفالية السليمانية، ما زالت على حالها شرطاً لا جدال في مطلب أي إعادة نظر في المعادلة كما هي منذ رئاسات الياس الهراوي واميل لحود وميشال عون مع تعديل طفيف متأخر من رئاسة ميشال سليمان. ومع أن السيد حسن لم يردد المعادلة المثلثة في خطابه (عصر الثلاثاء 3 يناير 2023) إلا أن ما لم يرد على اللسان بصريح القول ما زال حاضراً وبقوة في النهج. وبسبب إستمرار هذا الحضور لا يبدو تيسير الأمور وارداً إلا إذا وجّه النظام الإيراني بذلك تحت وطأة الأحداث الإحتجاجية في مناطق من إيران ووصول الترويض الترغبي الإماراتي للرئيس بشار الأسد وتحت تأثير وطأة الظروف البالغة القساوة التي تعيشها سوريا معيشياً وإقتصادياً ومالياً، إلى إستعادة هوية سوريا العربية من هوية سوريا الإيرانية، أو تمنى السيد حسن على مرجعيته الإيرانية بشقيها المرشد وقيادة العمليات الثورية خارج إيران، أي فيلق القدس مركز القوة الأكثر فعالية الذي شغله الجنرال قاسم سليمان حتى تصفيته مع ركنه العراقي أبو مهدي المهندس، تيسير الأمور بإعطاء "حزب الله" هامش حرية إبداء المرونة في التعامل مع الأزمة اللبنانية التي تزداد تعقيداً، وإعطاء الحرية نفسها إلى حوثي اليمن بأن يخلدوا إلى قبولة من التفكير والتبصر في واقع الحال غير قبيلولات أوقات العصر من النهارات وهي القبيلولات التي تنتج تهيوّات من بينها الإمساك بالعاصمة صنعاء رهينة وبعض العمليات الثورية تبقى إلى حين مجرد عملية إستيلاء على حقوق وطنية ألحقت الأذى بالكيان والشعب وتلحق الضرر أحياناً بالجار السعودي الذي هو السند في الشدائد ماضياً والمغيث حاضراً في أزمان الولايات كما الويل الزاهن غذائياً وصحياً. لكن مآل الإستيلاء إلى التلاشي وإن طال العناد. ومثل هذا الإستيلاء يجاهد الحُكم العراقي إلى تجفيف تأثيره من خلال إبقاء اليد العراقية الرسمية كما الشعبية تصافح اليد العربية من دون

التحسس من هذا الأخ المشارقي وذاك الأخ المغاربي. وما يقال في شأن مصير الإستيلاء الحاصل في اليمن ومثيله في لبنان أنهما على طريق الذبول لمجرد إستعادة التبصر إلى الحكم السوري.

وتكراراً يجدد اللبناني التمني بالنسبة إلى موضوع الحوار المفقود والمأمول إنجازاً على وجه السرعة كعلاج للحالة اللبنانية التي تزداد تعقيداً، بأن تكون الإطلالة الآتية للسيد حسن نصرالله عبارة عن بشرى بأنه طلب من المرشد خامنئي ومن جنرال إدارة الرموز الإيرانية الهوى خارج إيران وبالذات "حزب الله" وزعيمه السيد حسن نصرالله فك الإحتفاظ بالقبضة الإيرانية ممسكة بالقرار المناسب لها في لبنان وأن صفحة ناصعة البياض سيطر عليها الجميع الولاء للبنان السيد والصادق للجميع ومن بينهم إيران الجديدة التي يمكن أن ترى قيادتها بأن عليها أن تريح شعبها وشعوب المنطقة. وعندها ترتاح نفس الرئيس نبيه بري الذي أرهقت تعقيدات الثنائية ووطأة المسائرة مهابة مشاعره العروبية، وينتخب برلمانه رئيس البلاد بجلسة قصيرة وشكلية.

والله مع الذين يرون أن الهداية هي السبيل إلى مرضاته جلّت قدرته.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 7 يناير (كانون الثاني) 2023

حسين وحسيني وأبو علي...

الراحل مظلوماً

بات نوعاً من التقليد المستحب ويثري في الوقت نفسه معرفة أو توضيحاً لأمر سياسي ملتبسة، أن ألتقي إثنين من أهل العمل السياسي المتجردين عن الطمع بعوائد التروؤس وأطايب ترف المترئسين قانعين حامدين شاكرين راضين الله والنفس.

وفي كل لقاء مع الرئيس سليم الحص وكذلك مع الرئيس حسين الحسيني كنت أعود غانماً المزيد من الأمثولات التي تشكل في مجملها ما يقلل من الشعور بفقدان الأمل في شروق متكامل للبنان الحلم بعد الإشرافة الواعدة المتمثلة بـ "التوافق" الذي أوقف إلى حين إحتراباً

لكنه لم يمه إحتقاناً ترجمه المحتقنون أزمات وصراعات وإستحالات وشبه إحتلالات، بعد سنوات تلت ما إستقرت عليه صيغة التوافق التي نشير إليها والتي ما كانت أصلاً لتتم لو أن المملكة العربية السعودية قيادة ودبلوماسية مقرونيتين بتمنيات شعبية ومساندة عربية وإقتناع دولي، لم تبذل من السعي والنصح، وليست فقط من رعى ذلك الجمع البرلماني في الطائف ثم في جدة وينتهي الشهر الحافل بالمناقشات من جانب النواب المشاركين في الجلسات إلى توافق أثمر ما سُمي "إتفاق الطائف". وتحضرنا هنا تمنيات الملك فهد بن عبدالعزيز رحمة الله عليه عند إفتتاح المؤتمر يوم الأول من أكتوبر/ تشرين الأول 1989 ومخاطبته وجدان المشاركين بعبارة "إن وطناً مثل لبنان عاش في كنفه اللبنانيون جنباً إلى جنب عبر تاريخ طويل من الوئام والتآخي وكان مثلاً يُحتذى للتعايش والوفاق، لا يجوز أن يتحول لأي سبب من الأسباب إلى معترك يتقاتل فيه الأشقاء. لقد طال ليل المأساة اللبنانية حتى أصبحت كل النزاعات والخلافات مهما كبرت وعظمت لا تساوي دمعة في عين طفل فقد أمه أو صرخة من فم ثكلى فقدت ولدها أو معيها. وبالتالي فإن إنتهاء هذه المأساة هو الهدف الذي يجب أن يتقدم على كل الأهداف..."

مشاعر الملك فهد هذه ترجمها بدوره الأمير سعود الفيصل (رحمه الله) الذي كان يتبادل المساندة والرؤى وتنقية الأجواء عند إشتداد نبرات التخاطب من جانب بعض المشاركين مع الرئيس حسين الحسيني كونه جمع خرائط طرق الأطراف المشاركة في خريطة طريق واحدة هي تلك التي ساعدت في إنضاج صيغة التوافق، والتي أوجز مضمونها بمخاطبته المشاركين في جلسة إفتتاح مؤتمر الطائف بالقول "كلنا أمل بأن الفرصة قريبة من بلدنا لبنان لكي يعود إلى دوره العربي. نجاحنا يؤكد ما سعيئنا إليه. يفتح الطريق إلى الوحدة والإستقلال. فشلنا يفتح الطريق إلى الجحيم. نجاحنا يحفظ أصدقاء لبنان إلى جانبنا. فشلنا لا يحفظ حقاً ولا يؤدي أمانة ولا شيء فيه إلا الخسران..."

لم يعد على الوتيرة نفسها اللقاء التقليدي من جانبي كصحافي وكاتب ينشد من الرئيسين سليم الحص وحسين الحسيني إثراء معرفة سياسية أو توضيحاً لأمر ملتبسة أو تفسيراً لكلام مسؤولين يحتمل الإيجابية والسلبية في الوقت نفسه. فالجار الرئيس الحص الذي كنت أصعد

بضع درجات من سلم البناية التي كلانا من سكانها، للقاء به في مجلسه الذي لا تواضع بمثل تواضعه، بات في الوضع الصحي الذي يفرض علينا مراعاة ظروفه ونكتفي بما قل ودل من كلام يقوله رداً على إستفسار عابر من جانبي. ثم غادر إلى منزله الآخر في "الدوحة" الحاملة إسمه _ (دوحة الحص) حيث هنالك حديقة وأزهار وهواء ينجيه من تلوث المولدات العاملة على مدار الأربع والعشرين ساعة في معظم مناطق العاصمة نتيجة إنقطاع دائم للكهرباء.

وأما الرئيس حسين الحسيني فإن التقليد الشخصي المشار إليه بقي على حاله، وباتت الأوضاع التي يعيشها المجتمع الشيعي اللبناني بنداً أساسياً في التحادث معه، فكلانا من أبناء هذه الطائفة، الجامع المشترك بيننا نبذ التعصب المذهبي وعدم إستساغة التحزب حلاً وتوطيد ما أمكن توطيد العلاقة مع العرب من الجار السوري حتى الجار الموريتاني مروراً بمصر والعراق والأردن والسودان في إنتظار المرور بفلسطين الدولة وتبركاً بمسجدها الأقصى المستباح من بن غفير وزير نتياهو وقرة عينه، وصولاً إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب مع تركيز على السند الخليجي متمثلاً بدوله الخمس. كما كلانا من أبناء منطقة واحدة كانت رائدة في التوجه نحو التغيير ومع ذلك محرومة الإنماء عكس أحوال مناطق جنوبية. وكثيراً ما كان الإنعطاف الحاد من جانب الطائفة في إتجاه زاوية واحدة من البوصلة هي الزاوية الإيرانية يأخذ من جلسة الثبات في الأحوال اللبنانية الحيز الأكثر من علامات الإستفهام والإستغراب والتعجب. الإستفهام لماذا هذه الحدة في الخطاب الشيعي ولماذا هذا الإحتقان الذي لا مبرر له ولماذا هذا التخاطب للأشقاء العرب وكأننا لسنا عرباً. بل ولماذا هذه الإستضافات الثورية التي تروم أذى بدول شقيقة. والإستغراب والتعجب لأن المرونة مغيبة دائماً.

هنا أجيز لنفسني القول إن رؤى الرئيس حسين الحسيني كانت كفيلة بإحداث تعديلات إيجابية في الخطاب الشيعي عموماً، لو أن ميدان التخاطب كان أكثر إتساعاً وصدر صاحب الميدان أكثر إنشراحاً. ولو حدث هذا الأمر لما كان المجتمع الشيعي سيشعر آجلاً، وإن كان ذلك بعد فوات الأوان، أنه خذل من هو حسين إسماً وحسيني عائلة وأبو علي كنية، وأن حامل هذه التسميات ذات المعنى الروحي رحل مظلوماً من بني قومه، وأن

رحيله حدث في أحلك الليالي اللبنانية بمعنى الأحوال العامة ظلاماً وتظليماً. وكان يمكن لهذه الحلاكة أن تكون أخف قليلاً على الطائفة التي تتزايد الغيوم تليداً في الفضاء اللبناني نتيجة أن لغة الكلام بين مرجعيتها وسائر المرجعيات اللبنانية ليست على النحو الذي ييسر الأمور، لو أن "الحسين البقاعي _ البعلبكي _ الشمسطاري الحسيني أبو علي" ذي الجذور الكسروانية وصاحب الدور التوفيقى الذي أبعد إلى حين الإنهيار الكامل للبنان من خلال دوره المنزه عن التعصب وجاء إتفاق الطائف مثلاً على ذلك، لم يكن في دائرة الإقصاء الممنهج عن القرار الذي يتخذه الثنائي الشيعي ومن دون أي فرصة للحوار أو حتى الإستتناس بالرأي. هذا ما فعله أكثرية الموارنة مع الغائب الحاضر ريمون اده. خذلاناً ما بعده خذلان. وهذا أيضاً فعله أهل القرار السوري معه في بعض سنوات الهيمنة عندما كانوا يحبذون الإصغاء إليهم ويصمون الأذان عن سماع رؤى الذين يرومون علاقة لبنانية _ أسيدي مستقيمة.

بعد الحراك المتميز للسفير السعودي لدى لبنان وليد البخاري والمتمثل بلقاء جامع وغير مسبوق عُقد في قصر اليونيسكو بهدف إرواء شجرة إتفاق الطائف كي لا تقوى عليها إعتراضات لا تخلو من النكران لمكاسب ذلك الاتفاق، كان لافتاً أن الرئيس الحسيني لم يكن حاضراً. وعندما إتصلتُ كما التقليد الذي أشرتُ إليه مطلع مقالتي هذه لزيارته في مقر سكنه المتواضع والإستماع إلى المزيد منه في شأن ما يمكن أن يوضح أو يزيد معرفة، قالت لي مديرة مكتبه إنه حالياً لا يحدد مواعيد. وعندما كررتُ الإتصال بعد أسبوع وتكرر الرد أدركتُ أن الصديق العزيز والكريم الذي طالما لاحظتُ في لقاءات سابقة ملامح في شخصه غير مألوفة لا بد هو في وضع صحي دقيق. ثم جاء النبأ الناعي ووجدتُ حالي أعزى نفسي وأترحم على الذي سيظل اللبنانيون الحريصون على لبنان العربي الصدري يذكرون بالخير شمانله.

وفي ما أقوله إن حالي من حال الصديق الآخر لكلينا الرئيس سليم الحص الذي أدعو له بطول العمر تواقاً إلى مجلسه العامر دائماً بالكلام الذي من شأن الأخذ به بقاء لبنان في دائرة السلامة. والله الكريم والمعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 13 يناير (كانون الثاني) 2023

الدولار.. ذلك السيد الآخر في لبنان

المقاومة أبو عمار عن سقوط أحد المقاومين شهيداً، فإن أجراس بعض الكنائس كانت تُقرع كبادرة مشاركة في الحزن.

جاءت الحرب المزدوجة في لبنان في السبعينات، حرب لبنانيين ضد لبنانيين وحرب لبنانيين ضد الضيوف المقاومين الذين نضبت بنسبة غير متوقعة النجيدات الدولارية لهم، تفتح بازار الدخول الليبي والعراقي كفرسان في الميدان اللبناني. وحيث أن الله أعطى الجانبين الثوريين البترولين وزاد العطاء، فإن الدولار بدأ يشق الطريق إلى جيوب القيادات الحزبية والسياسية، غير سائلين هؤلاء ضمايرهم لما هذا الفعل المبعوض الذي يوفر في نهاية الأمر توتير علاقات بين أبناء الوطن الواحد وقد يتسبب كذلك مع إرتفاع منسوب التوتر في إحتراب وتدمير وقتلى.

غلبت بهرجة الدولارات التي كانت تأخذ طريقها إلى المصارف بفعل فتوى "سرية المصارف" فإنتخت هذه إلى درجة التورم والإكثار من التوسع وإنشاء فروع في بعض عواصم الله الواسعة. ها هي الآن تدفع ثمن الإكتناز والجشع من سمعتها ويشمل الثمن المودعين وبالذات النظيفي السلوك والذمة منهم.

راقت حالة الإزدهار هذه للشقيق السوري فقرّر أن يأخذ النصيب الأوفر من هذا الإزدهار الدولار، فوظف نفوساً سياسية وحزبية لبنانية أمارة بالتطلع إلى حظوة زعامة (وزارة، نائباً، محافظاً، قائمقاماً).. أي مكسب من هذه المكاسب جيد، وكان الدور السوري إنقاذاً شكلاً من أجل وقف إقتتالات يضرهم من جانبه وبتنوع أساليبه ودهاء أجهزة مخابراته ناراً وتحفيزاً. وإنتهت المكاسب وفيرة جداً وإلى درجة أن البعض من ذوي الشأن السياسي السوري لهم في لبنان الكثير من الأملاك إنما بأسماء مقامات لبنانية ذات شأن، وعلى أساس أنها برسم الأمانة تُسترد في حالات طارئة كأن تتغير طبيعة الحُكم. كنه هذا في علم الغيب كما في ذاكرة المقامات ذات الشأن.

جاءت لاحقاً التطورات الدرامية السورية التي أودت ببضعة ملايين سوري إلى التهجير لتشمل لبنان بمليون ونصف المليون سوري باتوا في حُكم التوالد النشط مليونين. ربما الرقم ليس دقيقاً بما فيه الكفاية. بقدر ما إن هؤلاء تسببوا بأزمة خلل معيشي لقطاعات عريضة من اللبنانيين، فإنهم أفادوا من جهة أخرى من خلال

لا حديث سوى عن الدولار بين اللبنانيين من كبراء القوم إلى صغار الشأن وبينهم ما تبقى من الطبقة الوسطى في الدولة، التي كانت من خلال عناصر خلاقة في ميادين العلم والتجارة والطبابة والبناء ومن ذوي الشرائع المحترمة سياسياً تشكّل توازناً بين غيلان الثروة وغيلان اليسار بمختلف تنظيماته وأحزابه. كانت الليرة اللبنانية بالقليل منها تطمئن المواطن وموضع الرضا. وحتى بعدما صارت الورقة هذه تحمل ثلاثة أصفار وبانت بالتالي الورقة ذات الألف ومعها ورقة بخمس مئة فإنها تقف بمهابة أمام الدولار وكما لو أنها تقول إن دولارك لا يتجاوز ورقة الألف وخمس مئة ليرة، فلا تتشاور كثيراً علينا.

دارت الدوائر الصعبة على لبنان مناكفات ثم صراعات ثم إستضافات ثورية بدءاً بالمقاومة العرفاتية والمسلحين الفلسطينيين جاءوا بموجب صفقة الواجب الوطني القومي وتعويضاً من جانب لبنان عن دور لم يؤده كما يجب مع الجمع الذي حارب من أجل فلسطين. ولقد تقبّل اللبنانيون الإستضافة بداية بالترحيب إكراماً للخطر الناصري خصوصاً أن رئيسهم الماروني بإمتياز وقائد جيشهم الذي يندرج في التميز الماروني نفسه كانا على درجة من المسايرة لزعيم تلك المرحلة من العالم العربي جمال عبدالناصر، فقابلوا تمنياته بإستضافة المقاومة الفلسطينية بنسبة من الترحاب قضت مضاجع بعض ذوي الشأن السياسي الماروني الذين ما لبثوا أن سلّموا بالأمر الواقع الذي بعد بضع سنوات صار فيها الضيف يمارس دور الشريك المضارب في القرار السياسي اللبناني، وأدى دوره هذا إلى بداية داحس وغبراء _ طبعة لبنانية قابلة للتجدد في أي جولة سوء تصرف.

ما جعل الإستضافة موضع قبول مقرون بالمضض المستتر، أن الوجود الفلسطيني المقاوم بدأ ينفق في لبنان دولارات أميركية تأتيه من مساعدات خليجية. وهذه الألوفا من الدولارات تحولت إلى ورقة في اليد العرفاتية التي كانت سخية مع زعامات حزبية من كل الأنواع. بل إن مرجعيات حزبية نالت حصتها من هذا السخاء فسايرت وإلى درجة أنها عندما كان يعلن سيد

المعونة الأممية بالدولار. في البداية أنفقوا العائد الدولارى الآتى من "نعمة التهجير" في لبنان فكان السكوت على وجودهم. وبعدما بدأت دولارات هؤلاء أو النسبة الآملة بالعودة إلى الديار تذهب إلى سوريا من أجل ترميم بيوت تهدمت أو عوائل بقيت متحملة الضيم، فإن صرخة المطالبة بترحيل السوريين إلى من حيث أتوا بدأت تُسمع من خلال تصريحات ومقابلات في وسائل الإعلام المرئى والمكتوب تركز على الخشية من تجنيس يتم خفية أو إستقرار بفعل تمديد الإقامة يتحول مع الوقت إلى خلل سكاني مذهبي، أوجبت التضحية بالألوف الدولارية فلا يحدث خلل بالتركيبة السكانية.

هذه التضحية عوّضها الدولار الأمريكى الآتى من ديار إيرانية خفف من عبء إلتزامات "حزب الله" إزاء جيشه المقاوم وإدارته ومسؤوليه. ومن هنا إن الضاحية الجنوبية التي هي "جمهورية الحزب" منتعشة دولارياً وبقيت على هذه الحال إلى أن بدأ الحديث الأمريكى حول ظاهرة التبييض يأخذ مداه الرحب ما يعني أن محاصرة الظاهرة لا بد ستحدث خلاً وفي هذه الحال لا يعود في إستطاعة الحزب نجدة الحليف السوري في المحنة المعيشية التي بدأ يواجهها النظام وتأمين رفده بحقائب منتخفة بالدولارات. هذا مع تواصل الشحن العدائى من سيد "حزب الله" للولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها من الدول العربية.

من المألوف أن التحادث بين اللبنانيين حول الأمور المعيشية لم يعد كما المألوف. هنالك دائماً حضور للدولار في الحديث بعدما باتت السلع تُحسب بالدولار وبعدما باتت الليرة اللبنانية كما حال شقيقتها السورية وشقيقتها الجنيه المصري وصولاً إلى الشقيق الجنيه السودانى والبقية آتية من العملات التي ذبل شأنها. حتى فنجان القهوة في المقهى الشعبى بات يُحسب بالدولار وكذلك الخبز المهدد بالتقير والسندويش ومنقوشة الزعتر. كل أسعار هذه تُحسب بالدولار. الدواء كذلك هذا في حال وُجد.

الإزدهار اللافت هو إزدهار الصرافين. وفي الضاحية الجنوبية حيث "جمهورية حزب الله" أعدادهم تتزايد. كما تزايدت أعدادهم في مناطق الجنوب وذلك لأن القوات الأممية تتفق ما يمكن إنفاقه بالدولار. وبهذا الإنفاق لا تنتكس ظاهرة الإنتعاش في القرى والبلدات الجنوبية الحدودية. وهذا الإنتعاش سيتأثر إذا لا سمح الله أنشأ "حزب الله" ظروفاً تجعل القوات الأممية تغادر لبنان. لكن مصلحة "دولة الحزب" قبل حتى مصلحة الدولة الرسمية

تقتضى بقاء هذه القوات عنصر حماية للثروة الغازية والنفطية المأمولة من بحر الجنوب والتي لا بد سيكون عائدها بالدولار وإن كان سيد الحزب بدأ التلميح إلى التعاون مع شركات متنوعة.

كل هذه الظواهر في المشهد اللبناني تحدت فيما لا قدرة لكل الأطراف الزعامية على إختيار رئيس للجمهورية. وتلك ظاهرة غير محترمة في نظر العالم شأنها شأن ظاهرة أن رئيس الجمهورية الذي إنقضى ترئيسه كان يُشتم من بني قومه ومع ذلك لا يعيد النظر، كما شأن أن رئيس الدولة وأطراف زعامات سياسية وحزبية كانت تشتم من بيده قرار جعل الدولار يحترم الليرة اللبنانية وإستمر المشهد إلى أن بات مقام مدير البنك المركزى عرضة للشتم من جانب من يريد. منتهى قلة الإحترام كما أنه إبتدال ما بعده إبتدال كتابة عبارات شتائمية مهينة وبالمفردات غير المستحب ذكرها تملأ جدران شوارع بيروت بما في ذلك شارع مطارها وجدران مبنى البنك المركزى المؤسسة التي إستقرار الدولة والشعب من إستقرارها.

في ظل هذه الحالة المبكية وفيما الوضع من السوء إلى الأسوأ فالأكثر سوءاً، ولا أمل يرتجى إلا إذا إستعادت العملة اللبنانية قيمتها وإستعاد أهل الحل والربط شيئاً من القيم، سيبقى الدولار حديث الناس ومصدر همومهم. ولا يستبعد المرء أن يكون تعليق الناس هؤلاء في مجالسهم على الحملة المتواصلة من جانب "سيد حزب الله" على أميركا صاحبة الدولار سيد العملات المتحكمة بطبعه كما بطباع المتعاملين به هو: إذا كانت تلك هي الحقيقة، فلماذا لا يؤتى برئيس للجمهورية يكون لصاحبة الدولار دور أو كلمة في إختياره؟ وبذلك لا يعود مستمراً هذا التضبيع لإنجاز إستحقاق واجب.

هدى الله خلقه وبالذات اللبناني من هذا الخلق.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 21 يناير (كانون الثاني) 2023

التغييرون يعتصمون ...

ورثة أمثلة الإمام ساهون

جاز إفتراضى كما حال كثيرين عايشوا محنة

السبعينات وما فعله العاشر من سياسيين وحزبيين وميليشياويين بلبنان الذين حولوا عاصمته بيروت المتباهية بدورها العلمي والثقافي والطبي والعمراني والتجاري والمصرفي إلى ساحة إحتراب وتدمير، أن النواب المنضوين تحت راية الثنائي الشيعي، سيبادرون لمجرد أن قرر أربعة نواب تغييرين الإعتصام يوم الخميس 9.1.2023 داخل مبنى مجلس النواب كورقة ضغط لحمل زملائهم ورئيس البرلمان على حسم إنتخاب رئيس الجمهورية إلى أن يكونوا مؤازرين بعدما لم يكونوا سباقين ... لكن ما خطر في البال لم يتحقق وإستمر النواب الأربعة على إعتصامهم يتعاطف معهم البعض من زملائهم من دون تفعيل قوي لمشاعر التعاطف بمعنى أنهم لم ينضموا إليهم وبقي ملحم خلف ونجاة صليبا وفراس حمدان وسينتيا زراير في قاعة "السجن البرلماني" وعلى العتمة مع إطفاء التيار الكهربائي بعد الظهر! هذا ما قالوه غير نادمين.

جاء إعتصام النواب الأربعة بعدما كانت الجلسة التي يعقدها البرلمان بغرض وطني بإمتياز هو إنتخاب رئيس للجمهورية سجلت الرقم 11 ومن دون أن تصدر عن الجلسات العشر السابقة أي تباشير، بل إنه بدل أن يمارس النواب الواجب الذي من مقتضياته عند إنتهاء عهد رئاسي المبادرة وعلى نحو ما ينص عليه الدستور إنتخاب رئيس جديد وبحيث لا يحدث فراغ ويبقى الوطن ضمن دائرة الأوطان المحترمة، فإن التأجيل أفرز عُدّ إحدى عشرة جلسة ولا بشائر طيبة.

لم يمهّد الرباعي البرلماني للخطوة التي أقدم عليها. نفّذها بصيغة المباغثة بما يعني أن رئيس البرلمان نبيه بري لا بد إمتعض ليس فقط بفعل عدم التشاور معه، وإنما لأنه بصفته الحزبية رئيساً لـ "حركة أمل" يرى أن مثل هذه القذيفة التي تستهدف الإحتجاج والضغط معاً، هي تراث محسوب على الحركة التي بات وريث زعامتها. وما نقصده بالتراث هو أننا عشنا في السبعينات ما أشرنا إليه مطلع هذا المقال حيث أن الإمام موسى الصدر كان يرصد ما يحدث منذ إندلاع شرارة يوم الأحد 4.13.1975 بإستهداف مدبر لأحد "الأوتوبيسات" كان يُقل عدداً من الفلسطينيين الآتين من إحتفالية وطنية ثورية في طريقهم إلى مخيم "تل الزعتر" المخصص _ كما مخيمات أخرى شملت جميع المحافظات _ منذ

لجؤهم إلى لبنان لسكناهم بموجب إتفاق موثق رسمياً وبموافقة كهنوتية (كون المنطقة مسيحية). ولقد رأى في ضوء هذا الرصد أن لبنان الذي جاءه بغرض تعزيز شأن الطائفة الشيعية، وتوحيد جناحيه (الجنوبي والبلعكي) بات على مقربة من الهاوية نتيجة الصراعات السياسية التي أسست إحترابات وميليشيات ودخول أغراب على الميدان، وهذا مآله ضياع صيغة التوازن الطوائفي. ولقد بذل من السعي لإبقاء لبنان وعاصمته بالذات بعيدة عن اللهب الطائفي والحزبي ووقف خطيباً ذات مناسبة من على منبر كنيسة. وعندما قبل السعي بالخدلان فإنه إستحضر الصيغة الغاندية لمواجهة الموقف إنما بنكهة غير هندوسية. قرر الإعتصام وودع والدته وزوجته وأبناءه وحمل بيده حقيبة فيها حاجياته وفي اليد الأخرى عباءته وطلب من أربعة من المساعدين التوجه برفقته. إلى أين؟ لم يحدد... إلى أن وجد هؤلاء أنفسهم في رحاب مسجد الكلية العاملة التي كانت ملاذ الطائفة الشيعية في المناسبات الوطنية والأيام العاشورائية ومن قبل أن تنشأ ملاذات الضاحية الجنوبية على أيدي رموز "حزب الله" وقادة علمائين آخرين أبرزهم محمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين.

الإعتصام الذي لم يحظَ بالتفعيل وبالتالي لم يلقَ التفاعل المطلوب ونعني به إعتصام النواب الأربعة لقيه الإعتصام الصدري قبل 48 سنة. فقد أحدث بداية ما يشبه الصدمة الإيجابية وإلى درجة أن رئيس الجمهورية الذي تمحورت المواجهات حول ضرورة إستقالته ومن قبل إنتهاء مدة الولاية، ونعني بذلك الرئيس (الراحل) سليمان فرنجية قال عندما بلغه نبأ الإعتصام "إني أعتبر أن قرار الإمام موسى الصدر هو إنقاذ للبنان..". وإلى ذلك فإنه عندما يكون القطب الماروني المحترم ريمون اده (رحمة الله عليه) من القلة التي لم تشارك في المواجهة المسيحية المسلحة ومن دون أن يتخلى عن تحفظاته على التنازلات اللبنانية للمقاومة الفلسطينية مما شكّل ذلك خطباً على الجمر، وجاء إلى مجلس الصدر المعتمم مؤازراً خطوته، فهذا دليل على صوابية الخيار الصدري للإحتجاج والضغط السلمي. ومع أن المفاعيل تباطأت وتأخرت إلا أن بصمة ذلك الإعتصام أخذت مكانها في كتاب الحراك العربي _ الدولي لاحقاً لتحقيق

تسوية أدت بعد عشر سنين صبغ الدم الكثير من أيامها إلى التسوية المتمثلة بـ "إنفاق الطائف" الذي بدل أن يرعاه أبناء وأحفاد الحرب في السبعينات نراهم بعد ثمانين وأربعين سنة غير مكترئين بهذا التراث الإحتجاجي، مرغمين على ذلك إلتراماً بمقتضيات جوهر الثنائية، أو لإن لكل زعامة رؤيتها وظروفها وزمانها وأن ما كان يراه رمز "حركة أمل" ماضياً ليس بالضرورة أن يراه رمزها الوارث، ولو كان من الرؤى إياها لكان طلب من نواب الحركة المشاركة كما نسق في الوقت نفسه مع نواب الشريك الشيعي الآخر (حزب الله) لكي ينضم نوابه إلى نواب "أمل" ويحوّلوا الإعتصام إلى أداة ضغط، أو فلنقل إعادة نظر تجعل العسير من الأمور على درجة من اليسر الذي ينهي ظاهرة جلسات تأخير إنتخاب رئيس الجمهورية التي هي على أهبة التبعثر.

عندما إرتأى الإمام موسى الصدر إشهار ورقة الإعتصام في مسجد وليس في أحد الحصون، فإنه أوجز الدواعي الموجبة وهو جالس في أحد زوايا المسجد بعبارة "طوال يوم الخميس وليله كنت أتلقي شكاوى الرجال وأسمع بكاء الأرامل واليتامى. وعلى رغم أنني سعت جهدي ولم أدق طعم النوم فإن القصف لم يهدأ والأوضاع تزداد سوءاً فقررت في الثانية بعد ظهر اليوم أن أعتصم وأصوم حتى الشهادة أو حتى تعود البلاد إلى حالها الطبيعية. وقد ودعت والدتي وزوجتي وأطفالي وجئت أصلي إلى الله أن ينقذ هذا الوطن...". ثم أضاف وهو يستقبل ريمون اده في مجلسه حيث يفتش الأرض وجمعاً من عقلاء الوطن "لا أستطيع وأنا في اليوم الثالث من إعتصامي الإفاضة في الكلام ولكننا لم نقبل بأن يشترك في الحكومة من هم مهتمون بالمسؤولية عن الأحداث ونطالب بمحاكمة المتسببين بها أياً كانوا ويجب أن يكشف التحقيق ذلك بكل وضوح. إن صلاتنا أقوى من جرائمهم ومآثمهم وصيامنا أقوى من تعطشهم إلى الدم وسنستمر في مسيرتنا وهي أقوى من كل سلاح...".

يا ليت يقال مثل هذا الكلام بالنسبة إلى جريمة المرفأ التي أيقظ السعي من أجل كشف ما يمكن كشفه من خباياها القاضي طارق البيطار، فيما الإعتصام الرباعي على حاله من الصمود.

قد لا يكون الإعتصام الصدري حسم الأمور على

الفور بدليل أن الكر والفر والتحفيزات المخابراتية السورية وغيرها نشطت ومن مفاعيلها عملية خطف مثيرة إستهدفت وليد جنبلاط لبعض الوقت ثم يعيده الأخوان دوري وداني كميل شمعون. ها هو أبو تيمور بات بعد أربعة عقود يمسك راهناً بأحد مفتاحي الحل الحاسم وتسهيل أمر إنتخاب رئيس الجمهورية. لكن الإعتصام حمل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات على أن يتلبن بعض الشيء ويقول في فقرات من بيان تاريخي أصدره (يوم الأربعاء 6.25.1975) من مقره الرئاسي في محلة الفاكهاني إحدى قلاع "الضاحية السنية" (طريق الجديدة) التي باتت إحدى القلاع الحيرية "إن الثورة الفلسطينية تحترم السيادة اللبنانية ولا رأي لها في ما يرتضيه لبنان لنفسه نظاماً وإقتصاداً سوى التمني له الإزدهار المطرد والمزيد من الفلاح والتوثيق. كما إن المقاومة الفلسطينية في لبنان ليست فئة سياسية تنتمي إلى هذه الجهة أو تلك ولا تريد أن تكون كذلك. كما أن إستقرار لبنان وطمأنينته هو إستقرار الثورة الفلسطينية وطمأنينتها...".

يطول الكلام في الموضوع اللبناني _ الفلسطيني التي كانت المقاومة وجوداً مسلحاً حتى في المقاهي. لكن السؤال: هل تبدل الحال بعدما أخذ الدور الإيراني المجال مضاعفاً قياساً بالذي أخذه الوجود الفلسطيني، والذي برغم ترحيله بحراً وبراً وجواً لم تطو صفحة الحضور المسلح الغريب في الحياة اللبنانية والذي يشكل عدم إستقرار فضلاً عن إرتباك في حسم الأمور السيادية ومنها إنتخاب رئيس جديد للجمهورية عندما تنتهي الولاية. وهذا حصل على مدى خمسة رؤساء ماضين ويتكرر راهناً حدوثه وبشكل أكثر تعقيداً. وكان في الإمكان تخفيف نسبة التعقيد لو أن هامش الضغط لإنجاز الأمور كان أكثر فعالية لكن الأمر إنتهى جلسات إنتخاب لا تتسم بالجدية والإحساس بالمسؤولية الوطنية... وهذا لأن بعض نواب التغيير هم الذين يعتصمون وأن النواب ورثة رمز أمثلة الإعتصام الإمام موسى الصدر عن إحياء الأمثلة هم ساهون.. أو حتى المشاركة في من بادر.

وفي إنتظار نتائج جولة الترويض المتبادل من جانب حزب الله وجبران باسيل، وكذلك أعجوبة الخطة ب والتي بشر بها عبر "الشرق الأوسط" وسيط التجارب التصالحية غير الثابتة الوزير السابق ملحم

الرياشي مطلع هذا الشهر (يناير) وقال إنها ستعلن أواخر الشهر وعلى أساس أنها الحل لمسألة لأم الإستعصاءات السياسية اللبنانية: إنتخاب رئيس الجمهورية... إننا في إنتظار النتائج والأعجوبة ندعو رب العالمين كي ينير القلوب ويشرح الصدور فتتيسر الأمور.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 24 يناير (كانون الثاني) 2023

كأنما سيناريو الرئيس سيعيد نفسه

قد يستغرب البعض من بني الأهل (اللبنانيون) وبني القوم (العرب) الذين يتشاطرون متابعة تطورات الأزمة الرئاسية في لبنان، إذا أنا الآن بعد قرابة نصف قرن على تلك المحنة طوال سنوات السبعينات أرى في ضوء ما يحدث في المشهد اللبناني وتحديداً في ما يتعلق بأزمة إنتخاب رئيس للجمهورية، أن سيناريو إنتخاب الياس سركيس (رحمة الله عليه) يوم السبت 8 مايو/ أيار 1976 ربما يتكرر وبِحيث يتم مثيلاً له، وذلك لأن مقتضيات التنفيذ متوفرة وإن تبدلت الوجوه ومراكز القوى والتأثير. وأقول ذلك لأنني كنتُ من بين الذين عايشوا سنوات الحرب اللبنانية وكابدوا إلى الحد الذي باتت الهجرة سبيل إنقاذ حاملاً إلى ملاذي المصري ثم الفرنسي فالبريطاني إلى جانب الألم النفسي عشرات الإضبارات التي تحوي من أوراق يوميات مراحل تلك المحنة الوطنية ما من الواجب علينا العودة إليها عند الدواهي السياسية التي تفتح الملامح الديمقراطية للبنان على ما كان عليه في زمن مضى تتم ممارسة هذه الديمقراطية من دون أثقال السلاح والثورة والثوريين عليها. وأيضاً من حق أجيال الحاضر من الأبناء والأحفاد أن تلم بتلك المراحل.

وإلى بعض ما في الإضبارات من أوراق ومقارنة ما تحويه من وقائع إستند في ما أفترض حدوثه، إلى أن التاريخ الرئاسي اللبناني حافل بالمباغطات، وأن مباغثة ترئيس أحدهم على الجمهورية المبتلاة بكل أنواع الفيروسات الحزبية والطائفية واللاحقية وضعف الولاء للوطن، يمكن أن تتكرر على نحو ما حدث بالنسبة إلى ترئيس سابع الرؤساء في زمن الإستقلال الذي كان يحتاج

إلى أجيال تصونه لا أن تمنع توظيفه وكأنه بضاعة برسم من يشتريها.

سابع الرؤساء هو (الراحل) الياس سركيس الذي إنصافاً لتاريخه وعصاميته وثقافته وأمانته، لم يسع إلى المنصب. وتلك الأزمة المستعصية التي عصفت بلبنان كما حال بعض محطاتها في أيامنا هذه، حملت الذين في أيديهم السيطرة على القرار في لبنان إختياره دون غيره من أهل السياسية خشية أن تصبح الحرب الأهلية المتقطعة حرباً دائمة تجرف كل ما في طريقها حجراً كان أو بشراً.

في تلك الحقبة كانت جولات الإحتراب الأهلي الطائفي بلغت ذروة التوحش متزامناً مع مناكفات أهل السياسة قيل فيها من العبارات السيئة ما جعل سوق البيع والشراء للقيم الوطنية في إزدهار. ثم كثرت المتاريس وكثرت معها الزيارات إلى سوريا بهدف المساعدة بضبط الأمور. بعدها بدأ الكلام يأخذ مده الذي يفرز مواقف حول صلاحيات رئيس الجمهورية وحصص الطوائف ثم لا تلبث الأمور أن هدأت بعض الشيء في ضوء خطوة لافتة ما أحوج لبنان إليها في الزمن الراهن، وتتمثل في قمة مسيحية _ إسلامية بدأت في بكركي قبل ظهر يوم السبت 4 أكتوبر/ تشرين الأول 1975 (عند الظهر خلع الإمام موسى الصدر عباءته وأدى الصلاة في قاعة الإجتماعات الكبرى في الصرح البطريركي) وإستُكمِلت في دار الفتوى بعد الظهر ثم صدر بيان يؤكد على "السيادة الوطنية والحرص على سلطان القانون على الجميع وإعتماد لغة العقل في الحوار والتخاطب والتمسك بصيغة التعايش الفريد في العالم على أرضه ورفضه التقسيم وتحذير اللبنانيين عامة والمقيمين على أرض لبنان (تحديداً الفلسطينيين) من عواقب التدهور في البلاد وما قد يجره ويلات على الوحدة الوطنية وإستقلال لبنان وسلامة أراضيه وما ينجم عنه من أخطار على القضية الفلسطينية وعلى القضية العربية في شكل عام...".

لم تثمر التمنيات من جانب المرجعيات الروحية. بدأت الجامعات تقفل الأبواب ويفعل الشيء نفسه أصحاب المتاجر والمؤسسات وإزدادت حدة كلام مرجعيات مسيحية ضد الفلسطينيين وكثرت حالات العنف والخطف والحواجز التي قضى فيها كثيرون من المسلمين والمسيحيين. وباتت الدعوة إلى الإجهاز على الفلسطينيين تزيد النار إشتعالاً وتصل الحال بإثنين من المسيحيين المستتيرين إلى قول ما هو حبيس الصدور، أولهما ريمون

اده (الماروني) الذي قال في ضوء زيارة قام بها إلى واشنطن "إن الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض الدول العربية تريد جعل لبنان مقبرة الثورة الفلسطينية على أن يغتالها المسيحيون والمسلمون"، وثانيهما غسان تويني (الأرثوذكسي) الذي قال "إن اللبنانيين وصلوا إلى نهاية الطريق فيما أن يقتسموا الحكم وذلك يكون بالديمقراطية والمشاركة، أو أن يقتسموا الوطن وذلك يكون الإنتحار...".

في ظل هذه الأجواء وما تبادلته زعماء سياسيون ومنها قول صائب سلام عن الرئيس سليمان فرنجية وكميل شمعون "كان لبنان برأس واحد غير مسؤول في القصور العالية فأصبح اليوم برأسين غير مسؤولين في تلك القصور يتطلعون إلى روما من فوق وهي تحترق. لقد فاوض شمعون إخواننا السوريين على إقامة كيان كونفدرالي بين لبنان وسوريا ولولا الوزير خدام لما كان كميل شمعون اليوم في وزارة الداخلية...". ويرد شمعون "كنت ولا أزال أقول إن السيد صائب سلام مصاب بمرض عضال.. هذا المرض العقلي الذي يصيب الإنسان عندما يفقد أعصابه وينهار معنوياً...". وعندما يتعمد شمعون كوزير للداخلية في الحكومة تذكر رئيسها رشيد كرامي بأنه كان رئيساً للوزراء في عهد فؤاد شهاب وفي الوقت نفسه تحت إمرة دائرة الإستخبارات يرد عليه كرامي بالقول "كيف يعقل أن يأمر وزير الداخلية قوى الأمن بضرب المسلحين وهو الذي يعلم أن النمر فالتة في الشوارع وهو كبيرها. إنني أشفق عليه نظراً إلى كبر سنه وإنني رئيسه على كل حال ولذلك فالعفو من شيم الكرام ويرد شمعون على الرد بعبارة "إنها إسطوانة نشأ وترعرع عليها السيد رشيد كرامي وهذا يعود إلى حداثة سنه في السياسة".

لكن ما هو أخطر من كلام أهل السياسة اللبنانيين على نحو الأقوال التي أوردناها على سبيل المثال والتزاماً بمراجعة المشاعر لم نأت على ذكر عبارات أكثر حدة، كان كلام وزارة الخارجية المصرية التي دخلت بإندفاع ملحوظة على خط الأزمة وبتصريح قالت فيه "إن لإسرائيل دوراً في ما يجري في لبنان وإن أميركا مهتمة بمساعدة المسيحيين وأن قوى خارجية تمد لبنان أسبوعياً وبواسطة المصارف السويسرية بخمسة عشر مليون دولار...". فيما السعودية وقطر تبديان القلق بعد تلقيهما برقيات من الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات تطلب التدخل لمنع هجمة شاملة على المخيمات.

وأما بداية مخاطر الإنهيار فتمثلت بعد تكاثر عمليات النهب والسلب والإستيلاء من جانب قوات فلسطينية على مناطق مسيحية. لقد بدأ الصراع مسيحياً - إسلامياً على جميع الأوجه. رئيس الحكومة رشيد كرامي يستقيل لأن رئيس الجمهورية سليمان فرنجية بدأ يصدر أوامر هي من صلاحية رئيس الحكومة، ومنها الأمر إلى الجيش بإغلاق مطار بيروت. المعلومات تتوالى عن تحركات سياسية سورية داخل مناطق لبنانية وعن بدء إنقسام داخل المؤسسة العسكرية فيما الزعيم الدرزي كمال جنبلاط يقول "بات يلزمننا في مواجهة أعمال النهب والسلب والإجتياحات حُكم دكتاتوري ليخلصنا من الأوساخ التي علقت بالكثير منا. إننا في حاجة إلى جيش لبنان أكثر مما يتصور ضباطه وجنوده". أما رئيس الجمهورية فكان ومعه أفكار لصيغة حل ينقذ ما يمكن إنقاذه، توجه إلى دمشق يرافقه رشيد كرامي ليجتمع بالرئيس حافظ الأسد ويطلعه على مسودة ثم يعود ويبحثها نصاً "وثيقة دستورية" من الإذاعة والتلفزيون ليلة السبت 14 فبراير/ شباط 1976 ومطلعها أشعل مشاعر الصف المسيحي ناراً حيث قال "لم تكن مصادفة هذه البادرة التي طلعت علينا من دمشق يوم إشتد الخطب وتسعرت النار في لبنان. فمنذ القديم عين من لبنان على سوريا الشقيقة وعين من سوريا على لبنان الشقيق، وهي عين ود وصفاء...".

كان فرنجية يروم هدوء رئاسته وإستقرارها بعد هذه الوثيقة التي شكّلت عملياً إنخراطاً نوعياً للدور السوري سياسياً وعسكرياً في لبنان. لكن التطورات جاءت تثبط عزيمته. قام العميد عزيز الأحذب بحركة إنقلابية هي الأولى منذ العام 1943. لقيت الحركة في بداية الأمر ترحيباً لمجرد أنها إنقلاب وكان لافتاً تأييد ثلاثة صقور موارنة لها هم الشاعر سعيد عقل وفؤاد الشمالي وأبو أرز. بدأ التصدع في المؤسسة العسكرية وكثرت حالات سقوط الثكنات في أيادي ما سمي "جيش لبنان العربي" يقوده الملازم أول أحمد الخطيب ثم نهب السراي الحكومي وإشعال حريق في مبنى مجلس النواب. وأما الشارع اللبناني فمستباح كما السيادة.

بات لا بد من إستقالة رئيس الجمهورية ما دامت ثمانون كذيفة مدفع إستهدفت القصر وغرفاً محددة فيه. كان الرئيس فرنجية قبل ذلك متمسكاً بالبقاء حتى آخر يوم من السنة السادسة ويقول بعدما تم إعداد عريضة تحمل توقيع 66 نائباً تطالبه بالإستقالة "إذا كانوا يذكرونني

بالشيخ بشارة الخوري فهو إستقال في السنة التاسعة لولايته وليس في السنة السادسة وأنا سأكمل السنة السادسة ولن أسمح لهم أن يدوسوا الدستور بسبب أهواء ركبت بعض الرؤوس". وقيل هذا كان إتصل بالرئيس حافظ الأسد وبعد الإتصال راح يردد "إذا أرادوا إخراجي فلن يكون ذلك إلا جثة...".

لكن الفعل نقيض القول. في البداية غادر الرئيس فرنجية القصر بعد القصف المدفعي عليه. ثم كان التعديل الدستوري الذي بموجبه غادر نهائياً لتبدأ أكثر عمليات الترتيب إثارة في تاريخ الرئاسة.

بداية كانت سوريا الأسدية التي تمكنت بما فيه الكفاية بلبنان نظرت في أمر ثلاثة لإختيار أحدهم بعد إستبعاد ريمون إده هم: ميشال الخوري، جان عزيز، الياس سركيس. ثم كان إختيار الثالث الذي كان يقيم في فندق "كارلتون" منذ إشتعال الحرب، فضلاً عن أنه غير متزوج لكي يكون له السكن العائلي.

لكن كيف الإنتخاب والدنيا قياماً وقعوداً ولا أمل في بضع ساعات إستقرار. هنا جاءت فكرة الإنعقاد الإجباري، أي بالقوة تأمين إحضار النواب. لكن من سيتولى إحضارهم. لقد أعلن الياس سركيس بعد إشارات وصلته وهو في الفندق المقيم فيه بإختياره ليكون الرئيس ولو كره المسيحيون وغيرهم هذا الإختيار غير الواضحة حيثياته، وباتت المعضلة تأمين النواب قسراً أو بالرضى حضورهم وإنتخابه، إذ ليس في لبنان أجواء طبيعية. إجتزح عقل المخطط الإستراتيجي للحياة السياسية في لبنان خطة لا مثيل لها في تاريخ لبنان وربما الدول الديمقراطية النهج: قوات منظمة "الصاعقة" التنظيم الفلسطيني التابع للنظام السوري تتولى الأمر.

ما حصل "يوم الياس سركيس" أي يوم إنتخابه رئيساً للجمهورية (السبت 8 مايو/ أيار 1976) كان حدثاً لا مثيل له في تاريخ الديمقراطية على أنواعها. في التاسعة صباحاً تمركزت قوات التنظيم الفلسطيني _ السوري أمام فندق "البريستول" حيث يقيم عدد من النواب وأبلغهم قائدها أنها ستتولى تأمين إيصالهم إلى حيث تقرر أن يكون عقد الجلسة في "فيللا" يملكها النائب المصري حسين منصور. تولت فرق أخرى من "الصاعقة" تأمين توصيل نواب آخرين من فنادق سُكناهم. كل خطوط الهاتف مقطوعة تقادياً لإتصالات تعطيل الوصول أو عدم الحضور. عند الأولى والربع بعد الظهر قرع رئيس المجلس كامل الأسد الجرس.

إكتمل سيناريو الإقتراع. نال الياس سركيس 66 صوتاً. وجدت 3 أوراق بيضاء. إنفجرت الأساير. تلي المحضر ثم بدأ الرئيس السابع المهمة الأكثر مشقة وشقاء في حياته والتي عجلت برحيله مريضاً في باريس بعدما أمكنه تسليم المقاليد إلى أمين بيار الجميل لأن شقيقه الرئيس بشير كان قضى تفجيراً بتدبير من الحزب القومي السوري.

ما يمكن قوله في ضوء هذا المشهد الدرامي الذي أضأت على بعض محطاته، أن لبنان الحاضر يعيش ظروفاً قريبة الشبه من الظروف التي عاشها لبنان في السبعينات وكان تأمين إختيار رئيس للجمهورية يشكل لحظة فاصلة بين إختيار الوطن والصيغة.

ومن هنا فإنه عند التأمل في أحوال الحاضر نرى مؤسسات الدولة تنهوى وأحدثها سلطة القضاء. يبقى الأمل في صمود المؤسسة العسكرية، ولكن تجربة إنقسام الجيش في السبعينات حاضرة في البال فيما العالم منهمك في أن تنتهي التحديات حرباً عالمية ثالثة (حرب الدبابات) الأطلسية لأوكرانيا يواجه الغرب بها الرئيس بوتين الملتزم بوعده للروس بأن روسيا ستنتصر مع أن الحرب طالت وكلمة طال أمدها لا يعود هنالك سوى الخاسرون. إذاً من سيهتم بأمر الجنون اللبناني.

إن التأمل في الذي عاشه لبنان في السبعينات وما يعيشه اللبنانيون الآن، يفترض أن "حزب الله" ربما يعتمد كطلقة أخيرة في المسدس الصيغة نفسها التي جرى إعتمادها في إنتخاب الياس سركيس، بحيث يتولى عناصره إحضار النواب لإنتخاب الرئيس الذي يراه الحزب، مستنداً في ذلك إلى باعه العسكري وضعف شأن الآخرين. وبذلك تتأمن صيغة الرئيس الحليف كما كانت مع الرئيس ميشال عون. والقول بأن محطات في التاريخ تتكرر بفعل التطورات تؤكد حال الراهنة للمعادلة: فراغ رئاسي. أما التبدل ففي الأدوار لفرض رئيس أمر واقع. سوريا وذراعها منظمة "الصاعقة" ماضياً. إيران وشأنها العسكري المستتر منه والظاهر حاضراً خصوصاً تحت وطأة مضاعفات الوضع الداخلي المرتبك وحرب العقوبات على كياناتها الثورية والمالية. وأما الذراع فإنها "عناصر حزب الله" الأكثر إلتراماً وقدرة من "صاعقة" زهير محسن.

حفظ الله لبنان العربي وسان المولى صيغته وسيادته.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 28 يناير (كانون الثاني) 2023

السلام قضية .. والسلامة مكيدة

العربية للسلام حلاً ولا أفضل منه للصراع العربي _ الإسرائيلي.

ومن جانبيها وظفت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة الموقف الدولي وتحديدًا المثلث الأمريكي _ الروسي _ البريطاني أسوأ توظيف وفي أشكال من العدوان وتوسيع رقعة الاحتلال والزج بمئات المعترضين من الفلسطينيين في السجون، ووصلت ظاهرة "الأسرى المعمرين" إلى حد أن أحدهم أمضى أربعة عقود أسيراً.. هذا فضلاً عن الألوف الذين بينهم نساء سجينات وأسرى منذ سنوات، ويتطور سوء المعاملة لهم إلى حد حرمانهم خبز فرن يستعملونه وأطعمة يطهونها (في سجون الاحتلال 14700 أسير فلسطيني بينهم 29 امرأة و150 طفلاً وقاصراً).

من الرئيس بوش الأب إلى الرئيس بايدن لا جدية من الجانب الأمريكي في موضوع مبادرة السلام العربية. تصريحات بين الحين والآخر بعضها يتسم بالغرابة ومنها على سبيل المثال لا الحصر قول الرئيس بوش الابن الذي أكمل مهمة بدأها والده وقضت بالحرب على العراق وإنهاء دوره كرقم في معادلات إقليمية كثيرة "إن نهاية نظام صدام حسين ستوفر فرصة لإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية...".

بدل أن يسجل نتائجه موقفاً إيجابياً هو بحاجة إلى إتخاذ كونه ربما يحو بعض الشيء الملاحقة القضائية له والتي وصلت في ما قبل ترؤسه إلى حد أن عقوبات شديدة القساوة بسمعته يمكن صدورها، فإنه إنتهز فرصة زيارة وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن ليتصرف كما لو أنه ملاك شكلاً بمخالب ضمناً. وهذا تمثل بقوله ومن قبل أن يحط وزير الخارجية الأميركية رحاله في تل أبيب "إن السلام مع الفلسطينيين يتحقق بعد السلام الشامل مع الدول العربية...". وفي هذا الإشتراط إستند إلى مكسبين لم يخطرا في البال العربي _ الإسلامي حدثاً في فترة زمنية متقاربة حيث أن رئيس تشاد محمد ديبي سار على خطى والده ادريس الذي زار إسرائيل قبل أربع سنوات (2018) وجاء مباغتاً أمته الإسلامية إلى تل أبيب يلقي من نتائجه ترحيباً ما بعده ترحيب ما دام يزيد في شق الموقف العربي _ الإسلامي _ الأفريقي من الصراع مع إسرائيل. كان ذلك يوم الأربعاء أول فبراير/ شباط 2023. وفي اليوم نفسه (الخميس 2 فبراير) كان الرئيس السوداني الجنرال عبدالفتاح البرهان الذي لا يحسم

بعدما عاد بنيامين نتنياهو رئيساً للحكومة في إسرائيل إفترض كثيرون من الذين سجلوا خطوة نوعية على طريق السلام الذي لا تنتج له إسرائيل حكومة إثر أخرى فرصة التحقق، أن يطوي الرجل صفحة المعادي للتسوية الموضوعية وتصدر من الجانب الإسرائيلي ما يبعث في النفس العربية نسبة من الشعور بأن إسرائيل الاحتلال والعدوان في الطريق نحو إسرائيل الراضية بكيان لا يخشاه العرب من المحيط إلى الخليج ما دام سيأخذ بعد طول تردد لا مبرر له بأقل صيغة تسوية للصراع العربي _ الإسرائيلي متمثلاً بـ "مبادرة السلام العربية" التي أهم مدلولاتها من حيث مضمونها والطرف الذي طرحها ونال موافقة عربية على مستوى القمة عليها، إن تلك الموافقة في القمة العربية التي إستضافها رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمة الله عليه) في بيروت كانت بمثابة تفويض لصاحب المبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) لكي يواصل السعي من أجل وضع المبادرة موضع التنفيذ. وللتذكير بالنسبة إلى مسألة الإستضافة نشير إلى أن دور إنعقاد تلك القمة كان لدولة الإمارات، لكن حنكة الشيخ زايد وحكمته إنقذتا حول أن يتم تجيير القمة إلى "لبنان رفيق الحريري" بحيث تعزز شأنه السياسي والمعيشي واكتمال عمرانه زمنذاك، فضلاً عن أن إطلاق المبادرة من بيروت رسالة إلى كثيرين يهمهم الأمر بأن لبنان لن يكون أحد أذرع الثورة الإيرانية من خلال "حزب الله" الذي كان زمنذاك في بدايات النمو عسكرياً وتعبئته مذهبية.

بدل أن تتلقف مراكز القرار في الدول الكبرى وبالذات كرملين روسيا التي كانت تاريخياً الدولة الأولى التي إعترفت بإسرائيل دولة من دول الأمم المتحدة، والبيت الأبيض الذي إبتهج ساكنه ترومان كما لم يبتهج اليهود أنفسهم بالدولة الجديدة مسجلاً أن أميركا ثاني دول الإعتراف، و10 داوننغ ستريت الرمز لوعدهم بلفور الذي كان تأشيرة الولادة والإعتراف.. إن مراكز القرار تلك التي كان مأمولاً منها تلقف المبادرة وتسويقها بحيث تشق الطريق إلى القبول بمضمونها كأمر واقع، غضت الطرف وتركت لعناصر في دواوينها ذوي ثقافة سياسية يهودية تضع العراقيل أمام أي موقف يؤدي إلى إعتقاد المبادرة

أمر التسوية النهائية المدنية للحكم في السودان وفي علم الغيب متى تحقيق ذلك، يستقبل في قصر الحكم في الخرطوم، ومن دون توقعات من جانب رموز السلطة العسكرية التي هي على أبواب دخولها العام الثالث ولا حسم في الأفق، وزير الخارجية الإسرائيلية وتستغرق الزيارة الأولى لهذا الحديث التوزير إلي كوهين إلى السودان بضع ساعات وكأنما جاء ليبلغ ويتبلغ، وتقول الخارجية السودانية إنه "تم الاتفاق خلال هذه الزيارة على المضي قدماً في سبيل تطبيع العلاقات بين البلدين". ثم تزيد السلطة البرهانية الحدث أهمية والرد على الزيارة بأهم منها وذلك بإرسال وفد وزاري جنرالي إلى تل أبيب التي أخرجت الخرطوم بإستباق الإعلان عنها. هنا يتساءل المرء ما الذي إستفاده السودان العسكري في شخص الفريق أول ركن عبدالفتاح البرهان منذ أن فتح بوابة التطبيع مع إسرائيل عام 2021 وهل حظيت هذه الخطوة بالرضى المزجج: الرضى العسكري والرضى المدني. ونقول ذلك على أساس أن القوى المدنية في معظمها إعتزضت وبعضها إستتكر. كما أنه كان لافتاً التبرؤ الضمني من جانب الرقم الصعب في المجلس العسكري محمد حمدان دقلو (حميدتي) وقوله بمفردات النفي القاطع أن لا علاقة له بل لا علم له بزيارة الوزير الإسرائيلي. هل هذا يعني أن السيناريو يقضي بأن البرهان يستقبل وحميدتي يتبرأ، أم أن حميدتي يروم بموقفه هذا إستقطاب الطيف المدني المتحفظ على التطبيع إلى جانبه لأمر يخطط له وطبيعته في علم الغيب. في كلا الأحوال نتذكر بكثير من الوجدانية السودان اللات الثلاث في "أمم القمم العربية" في سبتمبر 1967.

المهم أن وزير الخارجية الأميركية لم يصف ما يدعو إلى التوقع بأن أميركا بايدين ستكون بالنسبة إلى الصراع العربي _ الإسرائيلي أفضل من إدارات مضت وكانت تتعامل مع الصراع العربي _ الإسرائيلي بأنها دائماً تتقهم إسرائيل وتغفر خطاياها ولا تفهم رؤى الأمتين العربية والإسلامية، إلا عند نزوع البعض إلى التطبيع بهدف تحفيز إسرائيل للسير خطوة مقابل الخطوات. ولن تتحقق هذه الخطوة ما دام الموقف الأميركي ومعه البريطاني وعلى مقربة منهما الموقف الروسي وسائر المواقف المتثابرة لا تقرر إستصدار قرار من الأمم المتحدة يتبنى مبادرة السلام العربية مع تحديد سقف زمنية لتحقيق ذلك.

قبل زيارة إسرائيل ثم لقاء الرئيس الفلسطيني محمود عباس في مقر سلطته المتصارع ضمناً عليها من جانب

صقور وحمائم ترفرف في فضاء رام الله على أمل توحيد الصف الفلسطيني المتشردم وتلك أعماق الثقوب في جدار القضية، كان رئيس الدبلوماسية الأميركية سمع في القاهرة من الرئيس عبدالفتاح السيسي حول الصراع العربي _ الإسرائيلي وتعامل إسرائيل مع أهل فلسطين، ما من شأنه تنبيه الإدارة الأميركية إلى أن عدم تفعيل كلامها حول صيغة حل الدولتين من شأنه حدوث ما هو أشد خطورة من تلك الإنتفاضة المحتملة التي ألمح إليها بكثير الوضوح رئيس المخابرات المركزية الأميركية بعدما كان وقف في ضوء لقاءات له مع صانعي القرارات في العالم العربي أبرزهم الرئيس السيسي الذي إستقبل زيارة بليكن بقمه في القاهرة مع الملك عبدالله الثاني والرئيس عباس، على مخاطر الوضع في الأراضي المحتلة، وكذلك في ضوء ما قاله الملك عبدالله الثاني في البيت الأبيض (يوم الجمعة 3 فبراير 2023) ثم خلال لقاءات أعضاء من الكونغرس ومن منطلق الحرص على العلاقة الإستراتيجية مع الولايات المتحدة للرئيس بايدين عندما إلتقى به.

خلاصة القول إن الإدارة ماضياً ليس بعيداً وحاضراً كثير الوضوح، تتعامل مع الصراع العربي _ الفلسطيني بما يعطي العرب وإخوانهم الفلسطينيين من طرف لسان العم سام حلاوة لا أكثر، ولأنها كذلك فإن الدول الأخرى أصحاب القرار الدولي الفاشل تتحمل وزر الاحتلال وبالذات بريطانيا وفرنسا بنسبة صريحة وروسيا والصين بنسبة خجولة. وما دام التعامل سيبقى على هذا النحو فإن نتائجه المتباهي بالتطبيع يرى أن حل الدولتين يأتي بعد كامل التطبيع مع الدول العربية.. أي بإختصار إنه يريد السلامة فيما الدول العربية متمسكة بالمبادرة التي جوهرها سلام كامل على الأرض العربية من لبنان إلى نواكشوط بعد الرباط مروراً بسائر الدول العربية. عدا ذلك تكون السلامة لإسرائيل مجرد مكيدة صهيونية وسلعة يشتري التاجر اليهودي الشاطر بموجبها بضاعة السلام الكامل مقابل الثمن الزهيد الذي هو إدارة حكم ذاتي للفلسطينيين كما الحال الآن إنما شرط أن يتوقف نضالهم وعملياتهم الصاروخية والداهسية والإستشهادية والإنتحارية وكذلك حلمهم بالوطن الذي إحتله عملياً الغرب وآخرون معه ما داموا إرتضوا إسرائيل دولة على أرض شعب، وكل ذلك بموجب وعد صاغه البريطاني البلفوري في زمن كانت سيادة الإستعمار هي القائمة.

بدعة السلامة لإسرائيل بموجب التطبيع العربي هي

محاولة نسف مبرمج لمبادرة السلام العربية التي هي الصيغة المتوازنة لعلاج العقدة المستعصية. وعندما لا يؤخذ بها وتقرأ إسرائيل ننتيا هو كما الذي قبله وربما الذين بعده الأمر على هذا النحو، فإن تجربة التطبيع ليست فقط لن تتواصل الحدث، وإنما قد يحدث فجأة ما يفيد بأن التجربة ستتوقف. بل لا يُستبعد كورقة ضغط ثابت على إسرائيل بعد تنبيه مستمر للغرب الأميركي والأوروبي وللشرق الروسي والصيني، تعليق خطوات تطبيعية تمت وعلى نحو تعليق العلاقات الدبلوماسية... وربما قطعها عند الضرورة.

وهذا يبقى إلى أن يأتي الحق العربي ويزهق الباطل الإسرائيلي. ومن يصبر يظفر.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الأربعاء 1 فبراير (شباط) 2023

الفساد المتنقل بين المحيط والخليج

بات الحديث عن الفساد ونهب أموال الدولة والعبث بالقضاء وعلو شأن التنظيمات ذات الطابع الميليشياوي وإزدهار الشعبوية وعلو سقف المشاعر الطائفية وإنخفاض سقف المشاعر الوطنية، يتقدم على التخاطب الرصين وعلى الحديث حول أهمية التنمية وبناء الدولة المتطورة والتخطيط البعيد المدى وتقوية المؤسسة العسكرية. هذه ظاهرة تعيشها عدة دول عربية يتصدرها لبنان والعراق واليمن والسودان وعلى أهبّة إنتساب سوريا إلى هذه الظاهرة.

قبل أن يأخذ الدور الإيراني الثوري مداه وتصبح أصابع اليد الإيرانية حاضرة في مفاصل القرار في الدول المشار إليها، كانت الأحوال في تلك الدول مستقرة نسبياً من دون أن يعني ذلك أن الأنظمة والحكومات التي إما وليدة إنقلابات عسكرية _ حزبية وإما وليدة عملية ديمقراطية شكلاً، غير منزهة عن الفساد ضمناً، ثم يأتي الدور الإيراني يؤسس واقعاً جديداً غير مألوف في دول العالم، وهو إنماء أحزاب سياسياً ومذهبياً وعسكرياً وبحيث تتحول إلى كيان داخل الدولة الرسمية قادر على التفعيل لمصلحته وعلى التعطيل إذا أوجبت ذلك سياسة المرجعية التي أنشأت ومولت ودربت ورسمت قيامه بالدور

التعطيلي. ولنا في وقائع كثيرة حدثت في الدول الثلاث ما يعطي فكرة عما نشير إليه. ففي لبنان تقاسم "حزب الله" وحليفه "حركة أمل" وبعد إستيلاء حليف ذو شأن في الطائفة المارونية متمثلة بالجنرال ميشال عون، الحكم عملياً مع الحليف المسيحي. وفي العراق تقاسمت التنظيمات التي أنشأتها إيران مفاصل السلطة وسياستها. وأما في اليمن فكان هناك أسلوب جديد وهو الإستيلاء بالكامل على الشرعية عاصمة ومقرات وتكريساً لظاهرة اليمن المزدوج، يمن الشرعية السيادية ويمن الأمر الواقع الثوري الحوثي الإيراني الساعد والمساعدة.

هذا الذي تحقق على مدى بضع سنوات لإيران بدأ يتحلل بالتدرج وتحاول الدويلات التي تنتمي فكرياً إلى جانب الولاء الذي لا يحتمل تشاوراً تثبت أعمدة بنيانها الذي تصدّع بعض الشيء في ضوء الأحداث الاحتجاجية المتكاثرة في إيران والتي شكل إحراق بعض المنشآت وصور مقامات سياسية وثورية رسالة إلى كبار القوم في النظام الإيراني بأن السلامة هي في إعادة النظر، وعدم الإستهانة بالذين يحتجون سواء الذين يواصلون النضال أو الذين من أقارب أهل النظام، فضلاً عن بعض الذين يرون أن السلامة هي في الإصغاء إلى الهدير الاحتجاجي خشية أن يصيب النظام الثوري ما أصاب النظام الشاهاني. وهذا الطيف من الإيرانيين لا بد يتساءل: ما دام النظام الحالي قام بعد إحتجاجات شعبية حافلة بالممارسات السافاكية وليس بفعل عملية إنتخابية ديمقراطية، فلماذا يواجه بالعنف وعمليات الإعدام أطيافاً من المحتجين ويرميهم بالعمالة على نحو ما كان نظام الشاه يرمي المحتجين بالعمالة الشيوعية السوفياتية.

في ظل حالة التصدع الذي أصاب مهابة النظام في إيران وإن كان رموز الحكم على درجة من التماسك، تشهد الدويلات تطورات تتصدى لها بدل التفاعل معها وبما يخفف من تساؤلات البعض حول دور هذه الدولة أو تلك. ففي لبنان وعلى سبيل المثال لا الحصر يتصدى "حزب الله" وبعض من يحالفه لمهمة قضائية من شأن السير فيها إلى نهاية الطريق التوصل إلى السر المتعلق بـ "أم الجرائم" في حق لبنان وهي تفجير المرفأ الذي هو العصب التجاري للوطن وما نشأ عن التفجير من ضحايا ودمار شمل تصدّع المئات من المباني. واللافت أن التصدي للمهمة القضائية حالة ملتبسة كما أن حملته الإعلامية على طارق البيطار قاضي (ابن بلاد الأرز)

بهدف التشويه وإغلاق الملف عكست إنطباعاً بأنه ضد القضاء، وهذه في أي حال إحدى رؤى الثوريين عموماً الذين لا يحبذون القضاء والعدالة بالمفهوم المتعارف عليه ويؤثرون القضاء الثوري على ذلك، وهذا القضاء لا يتطلب قضاة ولا جلسات ولا محامين وإنما قرار إدانة وتنفيذ فوري بعد محاكمة ثورية شكلية على نحو ما فعله نظام الرئيس صدام حسين مع الصحافي البريطاني الإيراني الأصل فرزاد بازوفت الذي أعدموه لأنه إنقط صورة مصنع عسكري من دون التصريح له بذلك، وكان حرياً بالرئيس صدام التجاوب مع مناشدة رئيسة الحكومة البريطانية (الراحلة) مارغريت تاتشر عدم إعدام الصحافي، ولكنه القضاء الثوري العاجل والمتعجل الذي لا يتحمل التبصر، وعلى نحو صنوه الإيراني الذي لم يتجاوب مع مناشدة رئيس الحكومة البريطانية الحالي ريشي سوناك عدم إعدام علي رضا أكبري. في الحالتين الصدامية والخامنئية نرى الإستعلاء يتقدم على التبصر. كذلك حال تعامل "حزب الله" مع قاضي ابن بلاد الأرز طارق البيطار وإلى حد تصويره بأنه هو المتهم الذي يستحق الإدانة والعقاب من جانب القضاء الثوري.

في العراق وكما في لبنان هنالك طيف المخاوف يلقي بثقله على القضاء وعلى خلفية "سرقة القرن" تؤام "أم الجرائم". في الأولى سرقة مال الشعب وبالمليارات وفي الثانية تتجسد الجرائم على أنواعها حجراً وبشراً وما لا وسمعة وخراباً.

عندما يحقق الحكم العراقي متمثلاً بركنه الفاعل رئيس الحكومة محمد شياح السوداني خطوة بالغة بالغة الأهمية عنوانها في كشف "سرقة القرن" ويتولى القاضي ضياء جعفر مهمة عدلية كفيفة بكشف المستور من الحقائق والأشخاص والمسلوب من المليارات، فإن عيون الذين شاركوا بتلك السرقة سارعت إلى الإشخاص عليه وفي نواياهم ما يقدح الشرر، وبحيث ينال منهم "ابن بلاد الرافدين" القاضي ضياء جعفر ما سبق أن أصاب "ابن بلاد الأرز" طارق البيطار من قذائف كلامية تحمل في ثناياها مخاوف مما قد ينتهي أعظم.

ما حدث في لبنان للقضاء يترك إنطباعاً بأن تصنيفاً جديداً لعبارة "العدل أساس الملك" بمعنى القضاء المنزه عن الأهواء والتدخل وإخضاعه لنوي الحالات الميليشيوية حاضراً المافيوية ماضياً، هو ما قد يسود في حال لم تسلك الأنظمة الصراطات المستقيمة وتقديس الأوطان وبما يرضي العباد بعد الله. كما أن الذي حدث في العراق بعد لبنان يوحي بأن

الظاهرة مرشحة لأن تكون جرثومة تنتقل كما "الكورونا" من دولة إلى دولة. وعند التأمل في ما يحدث من إكتشافات فسادية وعلى مستويات كثيرة من بينها كبار رفيعي علو المقام في الجزائر والسودان وموريتانيا وتونس، يتأكد لنا كم أن الحاجة ضرورية إلى ما هو أشد تأثيراً من العلاج التقليدي.

ربما يهتدي معطلو إبحار سفينة القضاء العادل تواصل في عهدة القاضيين ابن بلاد الأرز طارق البيطار وابن بلاد الرافدين ضياء جعفر وسائر قضاة عرب يحترمون أنفسهم، إلى رسوها على شاطئ العدالة، إذا هم تأملوا في الحكمة النبوية "عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة" وفي الحكمة البلاغية للإمام علي عليه السلام "يوم المظلوم على الظالم أشد وطأة من يوم الظالم على المظلوم" وفي خير الكلام الذي طالما أخذ حيزاً في ثقافتنا وحوته سطور في "سفر الحكمة" وهو "سر متفاهم في كل موضع، الدم والقتل والسرقة والمكر والفساد والخيانة والفتنة والحنث وقلق الأبرار" إلى جانب القول الإنجيلي الطيب "من أحب الذهب لا يُزكى ومن إتبع الفساد يشبع منه".

وعندما لا يعود الفاسدون هم الذين يديرون شؤون الحكم يستقر الوطن ويطمئن المواطن. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 4 فبراير (شباط) 2023

حربهم لا تتوقف.. وحربنا قد تبدأ

عندما حدثت الحرب العراقية _ الإيرانية كان بادأها ظاهريتين غير مألوفتين في عالم الحكم في العالم الثالث وبالذات الجناح الخليجي من هذا العالم. ونقول بادأها على أساس أن كلاً من الرمزتين كان يريد لهذه الحرب أن تحدث وتوافقاً إلى أن يطلق رصاصة البدء كي لا يصل الآخر إلى تحقيق مرامه ويكون ذلك بغتة فلا تعود الفرصة مناسبة له على نحو ما يأمل. كما أن كلاً من البادئين كان أعد العدة لها بالتدرج وبحيث ما أن يحدد ساعة الإنقضاض يواصل سريعاً تنفيذ برنامجه.

الحرب وبادأها تمت على قاعدة الشراة في السلطة وتحقيق أحلام سلطانية يكون الواحد منهما ليس فقط سلطان وطنه وشعبه وإنما سلطان كما في الأيام الخالية أو سيد أمبراطورية مترامية الأطراف إذا جاز التحديد. كما

أن البادئين إفترض كل منهما أن الأمر لن يستغرق أكثر من بضعة أيام ويتحقق المبتغى. يحقق الرئيس صدام الحلم رافعاً ورقة ردع المشروع الإيراني وبذلك يستقر مقامه رئيساً إلى آخر العمر لا منازع له فضلاً عن علو مقامه عربياً وإسلامياً ودولياً. وأما الإمام الخميني فإنه بالضربة المباشرة للعراق يحقق الإنجاز الأساسي في مشروعه وهو أن تصبح المراقدة في كل من النجف وكربلاء رهن إرادته وذلك لأنه من دونها يكون فاقد الورقة الروحية وبفقدانها لا تعود طريقه سالكة نحو الورقة الأكثر أهمية في مشروعه وهي أن يكون المسجد الأقصى في عهدة مشروعه. ومن هنا إستحوذه على طيف رموز العمل الثوري الفلسطيني الذين أورثهم إلى خليفته المرشد الأعلى علي خامنئي يمارس من خلالهم دور المزايدة على العرب في موضوع الحق الفلسطيني.

ما ظنه بادئاً الحرب العراقية _ الإيرانية أتى عكس الحسابات. فالذي يشعل الحرب لا قدرة له على محاصرة نارها على النحو الذي يتطلع إليه. ومن هنا فإن هذه الحرب التي ظناها بضعة أيام ويلزم كل من الطرفين حدوده مرتضياً بما لا يؤدي البلاد والعباد، دامت ثماني سنوات ومن دون أن يتهاون البادئان عند حلول مناسبات روحانية رمضانية أو عاشورائية. وعلى رغم الأقدح من الخسائر في كل المجالات فإن الجانبين لم يأخذوا العبرة وإستمر طيف الإحتراب وإعتماد القوة أسلوب تعامل. البادئ العراقي وظف المكسب النوعي من المواجهة في أبغض توظيف وكانت النتيجة أن ما لحق به وبمحطات درامية في معظمها، كان ما يتمنى البادئ الإيراني هو إلحاقه بها، وتعويضاً عما أصابه وأوجزه الإمام الخميني بعبارة خلاصتها أن قبوله بوقف إطلاق النار كمن يتجرع السم. ولتعويض الهزيمة والرهان الذي أفشله له صدام بدأ خامنئي من خلال حرسه الثوري يؤسس لحروب صغيرة وفي حسابه أن مردودها هو إبقاء المشروع الذي بدأه الخميني قيد الحياة. وفي هذا السياق إصطيد النظام السوري البشاري وإستيلاد "النظام الحوثي اليمني" وتنشئة كيان في لبنان من خلال "حزب الله" يتطور إلى حالة يصبح فيها الوطن الصغير وطنين أحدهما مثل قبرص التركية لا إعتراف به سوى من إيران على نحو إعتراف تركيا دون غيرها بتلك القبرص التي فصلوها عن الأم.

مناسبة هذا الإستحضار للتجربة العراقية _ الإيرانية المبررة وكيف أن الحرب التي حدثت خرجت من أيدي

البادئين صدام والخميني حيث إفترضا كل منهما القدرة على حسمها في بضعة أيام، أن الحرب التي بدأها الرئيس فلاديمير بوتين ضد أوكرانيا وفي حسابه أنها لن تستغرق أكثر من شهر وسيسارع الغرب من أجل وقفها إلى تطيب خاطرها هي على أهبة إكتمال سنة وتؤسس لسنة جديدة... فإلى ربما سنوات.

لقد دامت حرب صدام _ الخميني ثماني سنوات هي في عمر المنطقة بمثابة ثمانين، فضلاً عن أن التدايات مستمرة، وهنالك في الأفق إحتتمالات كثيرة في هذا الشأن. وليس بالنسبة لحرب بوتين ما يشير إلى أنها لن تكون مثل حرب صدام _ الخميني. فالرئيس الروسي بدأ حربه لأنه يتطلع إلى رئاسة دائمة وربما هاجسه قيصة زعامته. وحاله هنا من حال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي هو الآخر من نسيج الحكام الشرهين الذين لا يتحملون وقوع الرئاسة الطريدة في أيدي صياد جديد ويعمل جاهداً لإبقائها بين يديه، مع ملاحظة أنه في دوره العسكري في ليبيا وفي العراق وسوريا وكاد يكون بحرياً مع اليونان ومعظم الأطالس، كان يريد إبلاغ الشعب التركي والشعوب العربية أنه هو سلطان الزمن الراهن.. الآتي، ثم يأتي الزلزال بما أفرزه من خراب وضحايا ومشاكل ليس بالأمر السهل حلها لتكون بمثابة وقفة تأمل في أن أي أحلام حتى إذا كانت سلطانية تتحول إلى كوابيس "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها...".

وكما إفترض بوتين ومن قبله أردوغان (بحروب من نوعية مختلفة من معالمها تجنيد مرتزقة) ومن قبلهما صدام والخميني، فإن الرئيس الأميركي وحلفائه الأوروبيين كانوا هم أيضاً البادئون بأسلوب مختلف أي الحرب ضد بوتين الذي بدأ الحرب، إنما بمساعدتهم المالية والسلاحية والإعلامية للرئيس الأوكراني فلاديمير زيلينسكي، حتى أن الرئيس بايدن قال على الملأ وأمام الكونغرس (يوم الأربعاء 8 فبراير/ شباط 2023) مخاطباً سفيرة أوكرانيا لدى الولايات المتحدة التي كانت حاضرة "إننا سنقف إلى جانب دعم أوكرانيا مهما إستغرق الأمر". وفي اليوم نفسه يقول مستشار ألمانيا (حيث فيها مليون لاجئ أوكراني كما حال لبنان على سبيل المثال حيث فيه مليون لاجئ سوري) أولاف شولتس "ما يمكننا ملاحظته بعد عام من الحرب أن بوتين لن يحقق أهدافه لا في ساحة المعركة ولا من خلال فرض معاهدة سلام. تنتمي أوكرانيا إلى أوروبا، مستقبلها

ثلاثية بدل ثلاثية.. ويسلم الجميع

المألوف إتخاذه عندما تكون هنالك حالة على درجة من التعقيد ويتأثر بتداعيات مفاعيلها وأفعال ممّن في حوزتهم فائض قوة وسلاح أولئك الذين في حوزتهم حقوق وطنية مشروعة مقرونة بمخاوف على هذه الحقوق، أن يصار إلى جولات من الحوار في شأن هذه الحالة، إنما لتحقيق ذلك يتجرد المسلح من سلاحه ما دام الطرف الآخر غير مزترّ خاصرته بجناد فيه من القذائف ما يحشو بها مسدساً أو بندقية أو رشاشاً. وعندما يتوافر هذا المشهد تصبح تجربة الحوار قابلة للتنفيذ ويسجل الذي في يديه ورقة السلاح على أنواعه النية الطيبة إزاء البدء بجولات من الأخذ والرد وتبادل الرؤى والإقتراحات وماذا سيأخذ هذا الطرف مقابل ما سيحصل عليه الطرف الآخر.

وحيث أن الحالة متعثرة في لبنان، فإن الحوار الذي دائمة المطالبة به من جانب الذين هم مستملكو السلطة ضمناً ومكاسبها على أنواعها المعلن منها والمستور، لا يلقي التجاوب لأن كفة من يملك شأن القوة العسكرية تبقى هي الراجحة من دون أن تكون في نهاية المطاف هي المرجحة عند صياغة الحلول. وهذا يتبدل إذا إرتأى الممسك بورقة السلاح تسجيل وقفة نوعية تكتسب تلقائياً عند التنفيذ صيغة الموقف. أما الوقفة فهي إذا هو أعلن أنه من أجل مصلحة الجميع تتقدم على مصلحة طيف دون سائر الأطياف يعلّق شرط الإقرار بثلاثية "الشعب والحيش والمقاومة" ويستبدلها بثلاثية "الوطن والشعب والتنمية" وإرفاق ذلك بعهد لا مجال لإخترق جوهره ومضمونه أن سلاح "حزب الله" ليس للاستعمال ولا للخروج من مخازنه إلا عندما يدهم الخطر حدود الوطن وما بعد الحدود من محاولة إجتياح ويتطلب جيش البلاد مساندة من أفراد الشعب قاطبة يؤدي فيها الجميع الواجب الوطني كل في حدود خبرته وإمكاناته إلى جانب من هو القادر على استعمال السلاح.

وأما إذا كان الوطن في منأى عن التهديد فإن هوية المقاومة هنا تكون مجتمعية إلى جانب ممارسة مهمات أمنية داخلية بتكليف أو تنسيق من السلطة الرسمية. هنا نستحضر على سبيل المثال لا الحصر حالات في إستطاعة المقاومة وتحديداً المقاومة التي أنشأها "حزب

في الإتحاد الأوروبي وهذا وعد من جانبنا مهم...". خلاصة القول إن الرئاسة وكذلك الزعامة التي لا معارضة لها والتي هي مثل طريدة يتلهف لها الصيادون الشرهون تبقى بمثابة فتيل يشعل حروباً تتفجر كالبراكين أو تؤسس لأوضاع قابلة للتفجر كتلك التي يعيشها معظم غرب العالم مع شرقه الروسي.. إلا إذا تكررت واقعة علاج أزمة الصواريخ السوفياتية إلى كوبا قبل سنتين سنة. ولقد دفع الثمن زمنذاك الزعيم الذي بقي لا إعتراض على قراراته (نكيتا خروشوف)، إلى أن حدثت الأزمة الصاروخية من أجل خاطر كاسترو التي كادت تؤسس للحرب العالمية الثالثة فكانت الخشية السوفياتية من ذلك ثم إسقاط خروشوف.

وربما لتفادي نهاية تفجيرية عالمية كما الحال من جانب روسيا بوتين مع أوكرانيا، أن تصبح روسيا التسوية من دون بوتين بخيار من جانبه أو برغبة ودية من جانب الجنرالات، الذين بعد إنقضاء سنة على حرب كانوا فيها تنفيذيين وليسوا أصحاب القرار، يفضلون لملة تداعيات ما حدث والمساعدة على أن تكون روسيا مثل الصين وليست مثل كوريا الشمالية ذات الشغف الصاروخي؟

وبعد مجربات تطورات الصراع البارد حتى الآن بين دول العالم الغربي والأوروبي وفي جزئية منه إسرائيل يبدو النظام الثوري الإيراني حاضراً بقوة ضمن احتمالات حرب تخوضها إيران من لبنان فإذا ربحها تتبناها وتقطف ثمارها أما إذا جاءت النتيجة خسراناً فإنها تداوي المصاب الذي ينوب عنها في المواجهة المحتملة مع إسرائيل وتبقى السلطة في إيران سالمة... إلى حين. وبعد الذي سمعناه في خطاب الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله يوم الخميس 16 شباط/فبراير 2023 من تلويح بحرب ممكنة تكون ترجمة للفوضى المستشرية في لبنان، تتضح ظاهرة إستعمال القوي للضعيف قريباً أو خروفاً يُنحر كما في مناسبة عيد الأضحى، وعلى نحو ما يفعل الغرب الأميركي _ الأوروبي بالورقة الأوكرانية يسعى من خلالها إلى أن يبقى الشرق الروسي كما الصيني شرقاً ولن يتحاربوا. والوضع في ما نعيش مفتوح على بدل الإحتمال الواحد عدة احتمالات. ومن يعيش يرى ويتعظ. والله أكبر على المقترين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 18 فبراير (شباط) 2023

الله" تأدية المهمة الناجحة في حال القيام بها. ونجزم القول على أساس أن منطقة البقاع _ بعلبك _ الهرمل وبالذات بعض البلدات والجروود تشهد في استمرار نشاطاً بالغ الخطورة أحياناً على صعيد الإستيلاء على السيارات ونزع أرقامها ثم المتاجرة بها ومن دون أن يكون في استطاعة الأمن الرسمي وضع حد لهذه الظاهرة البشعة. كما هنالك تجارة المخدرات إلى جانب زراعة الحشيش الذي قننت الدولة إجازة إستثمار زراعية له. وما يعزز إنتشار الظاهرة البشعة أن لا تنمية من جانب الدولة لهذه المنطقة المترامية الأطراف من لبنان مع أنها صالحة للإستثمارات على أنواعها. وفي غياب تنمية الدولة فإن "حزب الله" شق الطريق إلى معظم مفاصل المنطقة وبات مسؤولاً عنها في نظر الدولة، فضلاً عن أنها باتت بمثابة الخزان للحزب عند الحاجة إلى مجندين وليست بعيدة عن المشهد المأساوي حالات التدخل عند الطلب في القتال السوري _ السوري إلى جانب النظام، بل إن وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب لـ "حزب الله" تعلن بين الحين والآخر وبالصورة أسماء شبان بقاعيين وبعلبكيين وجنوبيين، ذهبوا للقتال في سوريا نصرة للنظام. ثم جاءت كارثة الزلزال تعطي فكرة عما نشير إليه وهي أهمية أن تكون المقاومة مجتمعية. قبل بضعة أيام حدثت واقعة مؤلمة وتتمثل في أن ثلاثة من أفراد الجيش اللبناني إستشهدوا في عملية مdahمة لمطلوبين يمارسون العمل غير القانوني وغير الحضاري والمحرم دينياً. وهؤلاء ما كانوا لينشطوا وتصل بهم الحال إلى حد إطلاق الرصاص من أسلحتهم الرشاشة ضد جنود الوطن لو أنهم ليسوا في جمى وإن غير معلن من "حزب الله". وإذا جاز القول فإن المهمة التي قام بها الجنود المأسوف عليهم كان من واجب "حزب الله" لو أنه يعتمد "المقاومة المجتمعية" القيام بها. وهو في ذلك يسجل مآثرة تحسب له عند رب العالمين ذلك أن المخدرات التي هي أحد الهنات غير الهيئات التي يمارس تجارتها أولئك الذين طاردهم جنود الوطن، تمنع أفدح الأذى بأطياف من أبناء الأمة وخصوصاً إخواننا الخليجيين الذين يتم تهريب المخدرات لهم. وإلى ذلك إن إعتقاد المقاومة المجتمعية تتيح المجال أمام إنشاء صناعات صغيرة على أنواعها في تلك المنطقة التي جرت المطاردة فيها. وهذه الصناعات تغني عن البطالة المستشرية، كما أنها إضافة إلى

تنشيط الزراعة ستجعل المنطقة التي يتباهى "حزب الله" بأنها نوع من الإقطاع الإيماني له، مزدهرة. وإلى ذلك أيضاً إن الأخذ بالمقاومة المجتمعية بحيث تترسخ وتكتسب مع الوقت صيغة التجربة الرائدة، تشكل حالة إستباقية في التعامل مع مفاجآت ستحدث ولو بعد حين ليس دهرياً. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن ما هو قائم في سوريا لن يدوم وبالتالي لن تعود الخاصرة السورية على ما هي عليه منذ أن وضعت الثورة الإيرانية بعض أصابع يديها على الصدر السوري بحيث بات بعد ست سنوات بشرية يشكو من ضيق تنفس إفتراض أن إشراك أصابع مماثلة بوتينية كفيفة بتخفيف الوطأة. لكن النظام البشاري في الطريق إلى إعادة نظر ينتهي بموجبها النظام بعد العودة إلى الحضن العربي وفق النصح العماني واللهفة المصرية والإماراتية والجزائرية والأردنية إلى صيغة الحكم بالمشاركة، وهذه المرة على قاعدة النسبة السكانية المذهبية كما الأحوال التي إنتهى إليها الوضع في العراق. وفي ضوء ذلك تُطوى صفحة الإحتضان الذي بلغ أدق درجات التحالف، بل حتى إن تحالف "حزب الله" على مدى السنوات البشارية والذي أثمر تحالف "حزب الله" مع الطيف المسيحي الماروني الذي يتزعمه الجنرال ميشال عون كان عبئاً غير معلن عنه من النظام البشاري وكان في المقابل قطعاً لزرع لم يتمكن النظام الإيراني من جنيه على النحو المأمول بدليل التعامل من جانبه مع الغارات الإسرائيلية ضد مواقعه ومخابيء أسلحته وصواريخه وذخائره في سوريا المرسلّة إلى "حزب الله" في لبنان، حيث أنه لا يرد على هذه الغارات ويجاريه النظام البشاري في عدم الرد ولا يطلب من "حزب الله" الرد والإكتفاء بالإحتجاج مرفقاً في استمرار بكيل القدح والذم بأميركا وتعبئة جمهوره في هذا المنحى.

وأهمية المقاومة المجتمعية في حال التغيير الآتي في سوريا أن من سيتولون المناصب السيادية (أي السنة في أكثر المناصب السياسية والأمنية) ربما يفضلون من الطيف الشيعي اللبناني أن لا يكون كالذي هو عليه خصوصاً من أجل الزيارات المقامية.

يطول التأمل في تداعيات ما هو آت من مفاجآت صاعقة. لكن صيغة المقاومة المجتمعية قد تكون سفينة مثل سفينة نوح ينجي الصعود إليها كما كان طوال سنوات لبنانية _ سورية يتمنى المرء عدم حدوثه.. وفي

التبصر السلامة للبنان الرئاسي والمصرفي إلى جانب الإزدهار المتواري. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 26 فبراير (شباط) 2023

فضاء العرب.. من سلطان إلى سلطان

عندما أهدت المملكة العربية السعودية قبل ثمانية وثلاثين عاماً الأمتين تلك الخطوة المتمثلة بإنتساب أحد الواعدين من الجيل الشاب الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز إلى أهم المشاريع العلمية التي بدأت بريادة الفضاء، فإنها بتلك الهدية رسمت في الأفق مؤشرات إلى أن التطوير سيكون متواصلاً محطة تليها محطة إلى أن رسم الأمير محمد بن سلمان كولي للعهد ورئيس مجلس الوزراء في المشهد العربي خارطة تطوير وفي زمن قياسي لما ستكون عليه المملكة بعد سبع سنوات من الآن (رؤية السعودية 2030).

رائدان لوالد كان وهو الأمير للعاصمة نموذجاً للريادة التي تتواصل، في ظل دوره الإنساني والقومي الوطني ملكاً وخادماً للحرمين الشريفين خطوات إكمال وضعها على خارطة العواصم الأكثر تميزاً وأصالة في العالم في زمن التحضير لرحلة الأمير سلطان إلى الفضاء ومن قبل أن يبدأ العد العكسي لإنطلاق المركبة التي تقله مع آخرين توجئنا عدد يوم الخامس عشر من يونيو/ حزيران 1985 من مجلة "التضامن" الأسبوعية التي كنت بدأت إصدارها مطلع الثمانينات من لندن بمقابلة خصنا بها زميلنا عبدالرحمن الراشد أجراها معه وكان كلام الأمير الراحل هو الأخير بقوله قبل الإنطلاق الذي جرى يوم الأحد 17 يونيو 1985، كان لافتاً فيها قوله "إن اختياري لم يتم لأنني من الأسرة المالكة، كما كان هنالك تردد من جانب الدولة في الموافقة على ترشيحي"، وقوله أيضاً إنه ما زال موظفاً بالمرتبة السابعة في وزارة الإعلام وأنه يأمل أن تحقق مشاركته في الرحلة الفضائية نوعاً من الحماسة لدى الشباب العربي لكي يتجه نحو البحث العلمي.

هذا التمني شق طريقه منذ عودة الراحل الأمير سلطان من رحلة الفضاء. ذلك أن الرحلة أحدثت حالة من التتبع

والحماسة والرغبة لدى كثيرين يتطلعون إلى مثل تلك الريادة.

موعد الريادة العربية خلال أسابيع مع إنطلاق رائد ورائدة إلى محطة الفضاء الدولية. الراحل هو علي القرني وأما الرائدة فإنها ريانة برناوي. وإشراك المرأة السعودية في هذه الرحلة الفضائية تأتي في سياق نقلة نوعية لها في المجالات العلمية والدبلوماسية والرياضية والمجتمعية والثقافية تمشياً مع "رؤية السعودية 2030".

كما هذا الإنجاز يأتي متلازماً مع خطوة علمية فضائية جديدة لدولة الإمارات وتشاء الصدف أن يكون إمارتياً وأن يحمل اسم سلطان النياضي. شاب في الواحدة والأربعين من العمر ومن كثرة من الشباب العرب تأثروا بما عبر الأمير سلطان عن الأمل بحدوثه في شأن توجه الجيل العربي نحو البحث العلمي.

الجديد في رحلة سلطان الثاني ابن دولة الإمارات التي يتسع مدار إهتمامها في المجال العلمي والقمر الصناعي، أن رحلته الفضائية ستكون طويلة ولمدة ستة أشهر تبدأ يوم 26 فبراير/ شباط الجاري وتنتهي كما هو مقرر مع التمني بنجاحها في أواخر الصيف وتحديدًا يوم 26 سبتمبر/ أيلول.

مثل هكذا بقاء داخل محطة فضائية، بمعنى أنه إنسان معلق بين السماء والأرض وداخل محطة ليست مثل محطات الأرض ذات نوافذ وأبواب للدخول والخروج، مؤشر إلى أن الراحل الجديد بإسم الأمتين العربية والإسلامية يملك إرادة قوية إلى جانب العزيمة قد تكون تجربته العسكرية مثلت حافزاً لها، فهو أمضى عقدين في القوات المسلحة الإماراتية كما أنه على درجة من الثقافة العلمية كونه يحمل درجة الدكتوراه في تكنولوجيا منع تسرب البيانات. وإلى جانب الإرادة القوية هنالك التطلع في أن يقدم إنجازاً لأمتين تتباهى بذلك دولة الإمارات التي يتطلع رئيسها الشيخ محمد بن زايد إلى أن تكون ذات ريادة وشريكة فاعلة في عملية ترويض الأزمات وتهدة الصراعات في المنطقة ورفد خطوات التنمية العربية والإسلامية بما يساهم في علاج أوضاع إقتصادية غير مستقرة.

بين السادس والعشرين من فبراير والسادس والعشرين من سبتمبر وهي المدة التي ستستغرقها رحلة سلطان الإماراتي إلى الفضاء ستكون في التاريخ العلمي الفضائي صفحة يعتز بها العربي والمسلم. وسترانا

لخادم الحرمين الشريفين. إذ لا بد مفاعيل هذه الهيئة ستكون مواكبة للإنجازات المتتالية والتي موعدها (رؤية السعودية 2030). ومن يزرع يحصد.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» - الإثنين 27 فبراير (شباط) 2023

من سيفوز بالجوهرة السوداء

هنالك نوع من المنافسة، أو لعله السباق، من جانب أطراف دولية وعربية للفوز بالجوهرة السوداء أفريقيا. في حقبة الستينات كانت مصر عبدالناصر البائدة بوضع أفريقيا على جدول إهتمامات الحقبة الناصرية، فمصر جزء من هذه القارة وأحد ملامح قسّمات الوجه العربي - الأفريقي إلى جانب دولة الجوار الأقرب السودان وبعض الدول العربية ذات المسحة الأفريقية.. دول المغرب العربي.

إستطاع عبد الناصر أن يوقظ في نفوس بعض القادة الأفارقة وبالذات باتريس لومومبا وسيكوتوري إحساساً عميقاً بالوطنية الأفريقية. كما صوّب الاهتمام غير الثوري في اتجاه أثيوبيا وبما لا يسبب هواجس لأمبراطورها هيل سيلاسي. لكن من جهة أخرى حقّزت الناصرية ذات الثوب العسكري ضباطاً في عدة دول أفريقية لكي ينفذوا إنقلابات ودخلت القارة السوداء في متاهات وصراعات جاءت على حساب التنمية، وبذلك إزدادت بعض الدول فقراً. يضاف إلى ذلك أن فرنسا التي لها حضور فاعل على بعض دول القارة لم تساعد في التنمية شأنها في ذلك شأن بريطانيا، مع فارق أن بعض دول الكومنولث البريطاني قادرة على تنمية إقتصاداتها، فيما دول "الكومنولث" الفرنسي نقیض ذلك.

هذا الإهتمام من جانب فرنسا ثم عدم إدراج هموم دول القارة في خرائط الطريق الرئاسية، جعل الولايات المتحدة تسجل إهتماماً متأخراً بالدول الأفريقية، ثم يقرر الرئيس ماكرون إحياء الاهتمام خصوصاً بعد حدوث إستغناء دولتين (مالي وبوركينا فاسو) عن وجود بضعة ألوف من الجنود والخبراء العسكريين الفرنسيين في الدولتين والطلب منهما سحب الجنود والخبراء وعلى نحو ما فعل الرئيس المصري (الراحل) أنور السادات حين

نستحضر إعتزازاً شعرنا به وللمرة الأولى من حيث طبيعة الإعتزاز، ونعني بذلك رحلة الفضاء الأولى ورائدها الأمير سلطان بن سلمان الذي كان زمناً في التاسعة والعشرين من العمر فيما يقوم سلطان الإماراتي بالرحلة الأكثر تطوراً وإستغراقاً زمنياً وهو في العقد الرابع من العمر.

ويبقى من هذه الإضاءة على عرب الفضاء المتمثلين بإثنين من رموز التطلع نحو مواكبة النهوض العلمي الدولي الإشارة إلى عفوية الحديث عند كل من السلطانين. فالرائد الأمير سلطان وعندما إتصل به وزير الإعلام علي الشاعر (الراحل) ليقول له وهو داخل المركبة الفضائية أرجوك أن تبقى لأن الملك فهد (رحمة الله عليه) يريد أن يتحدث إليك ويطمئن عليك، أجاب: تطلب مني أن أبقى! وإلى أين يمكن أن يذهب الجالس على كرسي داخل مركبة في الفضاء. وأما سلطان الإماراتي فإنه وهو داخل المركبة الفضائية سيصوم شهر رمضان بكامل أيامه وسيكون دائماً يتأمل في صور أفراد عائلته الصغيرة التي سيحملها مع بعض ألعابهم. إنها منتهى العفوية لرائد فضاء عربي جديد ندعو الله بأن يكون التوفيق والإنجاز والعودة الميمونة مصير هذه الخطوة العربية النوعية على طريق التطور العلمي الفضائي.

وما دام الحديث فضائياً فإن ختامه رومانسي بإمتياز ذلك أن باز ألدوين رائد الفضاء الأميركي الشهير (ثاني إنسان تطأ قدمه سطح القمر) أعلن يوم الأحد 22 يناير/كانون الثاني 2023 أنه تزوج يوم الجمعة 20 يناير وهو في الثالثة والتسعين ولمناسبة عيد ميلاده حبيبة قديمة له هي الدكتورة انكافور (63 سنة) وتبديداً لأي إستهجان كتب مغرداً "لقد توحدنا في روابط الزواج ونحن متحمسان مثل مراهقين". هذا ثالث زواج له. للفضاء على ما يبدو مفاعيل غير مألوفة.

وتبقى نقطة نظام تستوجب التسجيل وهي أنه فيما تخطو دولة الإمارات هذه الخطوة العلمية فإن مدارس وجامعات في لبنان عرضة للإقفال لأن أهل السياسة والأحزاب في غيبوبة يواصلون نزوات السلطة على حساب الناس ومستقبل الأجيال.

لكن يبقى الأمل معقوداً على ما أنجزه الأمير سلطان عندما ترأس مجلس إدارة الهيئة السعودية للفضاء، وذلك قبل أن يصار إلى تعيينه مستشاراً خاصاً بمرتبة وزير

باغت الكرملين وفي خطاب جماهيري ماثوث إذاعياً وتلفزيونياً يوم الثلاثاء 8 يوليو/ تموز 1972) بإنهاء الوجود العسكري السوفياتي في مصر وتسفير ما سُمي "الخبراء السوفييات" على وجه السرعة الأمر الذي حمل أول "ترويكاً" الزمن السوفياتي الغابر (ليونيد بريجنيف) على إيفاد ثالث "الترويكاً" نيكولاي بودغورني) إلى القاهرة وفي حقيته نص معاهدة باللغتين الروسية والعربية لكي يوقعها الرئيس السادات أولاً ثم يعود بها بودغورني الذي وقّع عليها إلى موسكو عودة غير مظفّرة بأي حال للمهابة السوفياتية، بل إن هذه المعاهدة كانت توصيفاً مجرد حبر على ورق، لأن السادات سلّم لاحقاً الأمور بنسبة تقلق الكرملين أشد القلق إلى أميركا جيمي كارتر (الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة الراقدة منذ فترة في العناية الإستشفائية) الذي حقق إدارته أول إختطاف للدولة العربية الأكبر "جمهورية مصر العربية" أنور السادات حيث أبرم مع رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن وتحت رعاية الرئيس كارتر معاهدة "كامب ديفيد" التي لم تتجب سلاماً ثابتاً مع إسرائيل وإنما عادت الطريق بعد مثلتها الأردنية _ الإسرائيلية لمحطات من التطبيع مجهولة مصير الثبات في حال لم تقرر إسرائيل نتتها هو طي صفحة التلاعب والأخذ بخطوة تكون مشابهة من حيث الإقدام لتلك التي إتخذها السادات، وهذا يكون بالإعلان عن قبول مبادرة السلام العربية... وكفى الإبراهيميين بدءاً بمعاهدة كامب ديفيد (26 مارس/ آذار 1979) فالمعاهدة الشقيقة الأردنية _ الإسرائيلية فبدعة أوصلو بين الرئيس الفلسطيني (الراحل) تسميماً من جانب إسرائيل والرئيس الإسرائيلي الراحل الآخر إغتيالاً من بني قومه إسحق رابين، ثم ما تلا المعاهدتين غير المنزهتين عن التلاعب الإسرائيلي من خطوات تطبيعية إماراتية _ بحرينية _ عمانية _ سودانية _ مغربية _ موريتانية... كفى الإبراهيميين جميعاً شرور هوس بعض المسؤولين الإسرائيليين وبالذات الأحداث فيهم بن غفير وأمثاله، بكل ما يؤدي الفلسطينيون ومعنويات أبناء الأمتين العربية والإسلامية في موضوع الحرم الثالث المسجد الأقصى.. وبالذات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي ذهب أبعد من أي طرف عربي في تصديق الإسرائيليين ومصادقتهم.

وبالعودة إلى مبتدى هذا المقال، فإن الرئيس ماكرون وجد خير فرصة لعلاج الندبة الأفريقية في الجبين الفرنسي قرر أن يجرب حذاقته بعدما لاحظ محاولة إختطاف الرئيس بايدن للورقة الأفريقية وإستضافته قمة أميركية _ أفريقية في

البيت الأبيض، ثم تلاه الرئيس بوتين بإيفاد رُسله إلى ديار القارة السمراء وفي حقائبهم ما يغري إستقطاب رؤساء أفارقة أخلّت بهم الدول الكبرى وتركت القارة في أشد الحاجة كما لبنان في هذه الأيام السود إلى إنتخاب من يملأ كرسي الرئاسة ويكون نظيف الكف لا أبناء ولا أصهرة ولا أخوة يرفرفون في فضاء رئاسة البلاد ويمعن أحدهم جنياً للغنائم والمكانة السياسية بفضل الحليف الذي أعطاه ما من الصعب أن يناله من دونه.

قد يحقق الرئيس ماكرون مبتغاه وبذلك يقول للفرنسيين إنه أعاد شأن جمهوريتهم إلى أفريقيا وأنهم بإنتخابهم له ولاية رئاسية ثانية كانوا على موعد بما هو أهم من تقليص مدة التقاعد الوظيفي. كما أن الرئيس بايدن قد يحقق هو الآخر إنتخاباً ولاية رئاسية ثانية على أساس أن ورقة السود في الولايات المتحدة ستكون لمصلحته معززة ما في الأصل سبق وبدأه بإختيار نائبته ثم وزير دفاع الدولة فتعيينات وإحياء مناسبات تذكارية لمن هم من ذوي البشرة السوداء. لكن ما الذي في مخطط الرئيس بوتين من إهتمامه بالمباغت بالقارة السمراء وفي وقت دخلت حربه ضد أوكرانيا الأيام الأولى من السنة الثانية وليس في الأفق ما يخفف من وطأتها سوى تمنيات أطراف عربية وإسلامية بأن يضع نهاية لحربه خشية أن تختلط الحوابل بالنوابل على كثرة أنواعها وأطماعها، وهذا يوجب عليه التأمل في وثيقة التسوية الصينية (12 نقطة) وبالذات في أولها التي تشدد على "ضرورة التمسك بشكل فعال بسيادة جميع الأوطان وإستقلالها وسلامتها الإقليمية" وكأنما تريد الزعامة الصينية القول للرئيس الروسي ما خلاصته أنك إذا كنت ستستمر على ما فعلت فالعالم ليس معك ونحن منه، وليست تايوان بالنسبة للصين العظيمة أقل أهمية من أوكرانيا بالنسبة لروسيا العظمى، ولكننا نقادى شر الحروب ونسعى بالدبلوماسية وبالتصريحات النارية أحياناً إلى وأد أي محاولة تجعلنا نقرب من شفير المواجهات الحربية.

وبالعودة مرة أخرى إلى المسألة الأفريقية ذات الارتباط الوثيق بإستراتيجية أميركا كما روسيا كما فرنسا كما الصين وقبلهما إسرائيل التي تمددت وإستحوذت على مواقع وصداقات ومشاريع في بعض دول القارة السمراء، ربما لأنها قارة الخيرات في زمن الجذب الدولي التي تلوح مظاهره في أكثر من دولة، يبقى الجبران العرب الأفارقة هم الأولى بالإنصهار في واقع الحال الأفريقي، ومن هنا أهمية القمة الأفريقية التي إستضافتها أديس أبابا يوم السبت 18 فبراير/

شباط الماضي وبمشاركة 36 من رؤساء دول وحكومات الاتحاد الأفريقي. ولقد أضاع رئيس وزراء أثيوبيا أبي أحمد فرصة تاريخية كانت تسجل له لو أنه إغتتم إنعقاد هذه القمة وأعلن نهاية سعيدة تأخرت كثيراً لأزمة "سد النهضة" التي ضغط الرئيس عبدالفتاح السيسي الكثير على خيار المواجهة بالقوة لأن رئيس الحكومة الأثيوبية يحتفل مرة بعد أخرى بتشغيل مرحلة جديدة من ملء السد وسط إنشغال بال مصري متزايد من حالة أزمة مائية بالغة الخطورة تعانيتها مصر نتيجة أن تشغيل السد الأثيوبي سيكون على حساب نسبة مياه النيل الذي يروي مصر الإنسان والأرض.

ولو أن الرئيس الأثيوبي وقف معلناً من على منبر قمة 36 دولة أفريقية أن التعطيش أهم بكثير من علو شأن الزعامة التي تحققت له من تشغيل السد وعلى بعض حساب مصر والسودان، لكان بذلك جعل الموقف العربي _ الأفريقي أكثر صلابة.

خلاصة القول إن أفريقيا تلك الجوهرة السوداء، في ما هو آت من الزمن الدولي والإقليمي والتي تقتقد الرئيس (الراحل) معمر القذافي الوحيد بين القادة العرب الذي إستوعب طموحاتها وعمق العلاقة الإستراتيجية مع معظم دولها، ستأخذ مكاناً حيوياً في إنشغال البال خصوصاً أنها أرض المعادن والذهب والغابات والأنهر والنفط وتحتاج إلى إصطفاف دولي وعربي حولها بدل الإستهداف لأغراض سياسية عابرة. والله الهادي وبالذات لأولئك الذين في أشد الحاجة إلى الهداية من عرب ومسلمين أفارقة ومن دول كبرى أدرجت حديثاً أفريقيا في أجندة الأطماع وتوظيفها لغايات في النفوس الأمارة بالإستئثار بما فوق الأرض وما تحتها.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 1 مارس (آذار) 2023

إستحقاقات رئاسية... ومسعى سعودي

مأمول ومقبول

من أجل ولاية رئاسية ثانية تحدى الرئيس جو بايدن وقد رأى أن عقوده الثمانية لا تشكّل حاجزاً أمام قطع الطريق على حلم دونالد ترامب بالعودة، وخوض الغمار

دورة ثانية في البيت الأبيض، الدولة العظمى الصين متحراً بها من خلال تعزيز التجارة مع تايوان غير هياب حساسية الصين الشعبية من بقاء الصين الأخرى (تايوان) منفصلة عنها. ولقد مارس التحرش من خلال زيارات لمسؤولين أميركيين من بينهم رئيسة مجلس النواب نانسي بيلوسي الصعبة المراس التي لا تضبط مفردات كلامها عندما تتحدى. هذا عدا جوانب ذات طابع حربي، بارد حتى إشعار آخر والذي لم يصل إلى درجة اللعب الأكثر إلهاباً بالنار التي تحرق المتحرش الأميركي. واللافت أنه قبل إيفاد بيلوسي وبطائرة عسكرية خاصة (الثلاثاء 2. 8. 2022) ببضعة أيام كان بايدن أجرى (الخميس 28. 7. 2022) محادثات هاتفية معمقة مع الرئيس الصيني شي جينبنغ المتطلع مثله إلى ولاية رئاسية تتوجه الأطول ترؤساً منذ عقود خصوصاً أنه من حيث السن ما زال في أواخر ستينياته. ولقد إستمرت محادثات بايدن مع الزعيم الصيني ساعتين حذر خلالها نظيره الأميركي بعبارة "إن من يلعبون بالنار سيحرقون أنفسهم...".

ثم أتبع بايدن التحرش بالصين بوقفة متدرجة القوة إلى جانب أوكرانيا ضد روسيا التي يخطط فلاديميرها بوتين لرئاسة غير محددة الزمن ورأى في ضم "الفرع" أوكرانيا إلى الأصل (روسيا) والإنقضاض بغائض القوة عليها وكأنما كانت تجربة الرئيس (الراحل) صدام حسين مع الكويت مثمرة لكي يقتدي بها.

إتسع مدى التحرش وفي حساب مستشاري بايدن أن رفع نسبة التحدي لنظيره الروسي بعدما لاحظ أن الصين تميل إلى التبريد وليس رمي حطب في النار الروسية _ الأوكرانية، من شأنه تعزيز ضرورة التوافق الأميركي على أن يكون الرئيس لدورة ثانية ولتعزيز ما يراه من هذا التوجه عياً دول الأطلسي إلى درجة باتت كل دولة مع فارق النسبة ترى ما يراه الرئيس بايدن وخلاصته إستنزاف روسيا والتركيز على إحراجها وهذا يكون بتعزيز الشأن الأوكراني عسكرياً ومالياً وعلى أساس أن في صمود أوكرانيا ما يحقق غرض الإستنزاف وإظهار مشروع بوتين بأنه غير ذي فرصة للإنجاز وعلى هذا الأساس يبدأ التتظير بأن بايدن مؤهل لدورة رئاسية ثانية وذلك لتعزيز الوضع الذي آلت إليه المواجهة الروسية _ الأوكرانية وبحيث أن نتائجها إنتهت عكس ما كان ينبغي الرئيس بوتين منها عندما بدأها وما كان يخطط له كبير الحلف الأطلسي جو بايدن عندما إعتبر أن حدود أميركا ودول

وكونغرسيو العهد البوشي الثاني بأن العقاب للعراق
وصدّام حسين هو من أهداف الحرب إستكمالاً لهدف
حرب العهد البوشي الأول.

لكن في نهاية المطاف لن يتحقق الغرض الأميركي _
الأطلسي ولا الإصرار عناداً الروسي. وفي الحالة الظلماء
لكل من الطرفين سيدان عن ضرورة أو إقتناع لا فرق
أن الإصغاء إلى دعاة التهدة والتسوية المحقة
والموضوعية خير علاج لما بدأه الرئيس بوتين حرباً بالغة
الشراسة وأكمّله الرئيس بايدن متسلحاً بخشية من احتمال
يثير القلق في حال لم يتم ردع بوتين وإنقاذ أوكرانيا من
نوازعه أن يتمدد الغزو الروسي بحيث يصل إلى سائر
الدول الأوروبية، وعلى نحو ما كانت عليه الحال في
الزمن الروسي الستاليني. وما نعينه بالتهدة والتسوية
الموضوعية هي ملامح تلك الزيارة المفاجئة التي قام بها
وزير الخارجية السعودية الأمير فيصل بن فرحان يوم
الأحد 26 فبراير/ شباط 2023 إلى كييف مازجاً بين
المساعدة الإنسانية والتمني بحل سلمي لحرب دخلت
سنتها الثانية من دون أن تتوقف نيرانها بين الدولتين
الجارتين، وأما المساعدة فإنها مليونية (400 مليون
دولار) مساندة من جانب المملكة العربية السعودية
للتخفيف من تداعيات الحرب على الشعب الأوكراني.
ومن حيث الدور السعودي الذي يوجه به خادم الحرمين
الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ويتجسد في مبادرات
النجدة في ساعات الشدة التي باتت برنامج إغاثة يحمل
إسم الملك، فإن النجدة هي لشعب دولة تعرضت للحرب
عليها. لكن ثمة أهمية نوعية للمبادرة السعودية وهي أن
العلاقة كثيرة التميز بين السعودية وروسيا كما بين
السعودية وأميركا وكذلك بين السعودية والصين وبين
السعودية ودول حلف الأطلسي، أي بين الدول المتشابهة
بشكل أو آخر في معضلة الحرب الروسية _ الأوكرانية.
وهذه العلاقة التي ثبتت فرادتها لجهة التوازن والبعد
الإستراتيجي والتقدير المتبادل من الجانبين وتقدير نوعي
من الأمم المتحدة وبما يحقق المصالح المشتركة وعلى
قاعدة من الإستقلالية وإحترام الشأن، ولي العهد الأمير
محمد بن سلمان قادرة على تصفير متدرج للشغرات التي
جعلت الأزمة تتطور إلى خلاف فإلى مواجهات. لذا لا
يستبعد المرء أن يتولى _ مبادراً أو تجاوباً مع طلب أممي
منه _ طرف عربي وهو هنا السعودية القيام بمسعى يبدأ
بمحاولة إطفاء نار الحرب والتقريب بين وجهات النظر

الحلف هي في أوكرانيا التي نال منها بوتين من خلال
التدمير والتشريد لمئات الألوف من سكان بعض مدنها
وبلداتها، إلا أن النظام الذي يتأسسه فلاديمير زيلينسكي ما
زال قائماً يحيطه الحلف الأطلسي بالإهتمام السياسي
والعسكري والمالي فضلاً عن أن أكثرية دول العالم خارج
المنظومة الأطلسية، هي بين رافضة مبدأ التعرض من
جانب دولة لسيادة دول أخرى جارة أو حتى بعيدة على
نحو ما هي حال الدولة السورية المثخنة بظلال فقدان
السيادة بسبب الثقل الروسي والتركي على أراضيها وعلى
قرارها.

قبل حوالي سنتين من الحرب البوتينية على أوكرانيا
وتحديداً يوم 26 يونيو/ حزيران 2021 كان الرئيسان
بايدن وبوتين يعقدان في جنيف في فيلا أعدتها لهما
الحكومة السويسرية وتطل على البحيرة التي تبعث
السكينة في النفوس وبالذات في زمن الأزمات العاصفة.
كانت أجواء اللقاء طيبة. كلاهما في أشد الحرص على
سنوات رئاسية مستقرة. وكان أقصى تأزم بينهما إنحصر
على خلفية هجمات إلكترونية ومجرد مشاعر قلق من
الجانبين في موضوع التسليح الذي أجريه خلال محادثات
وأظهرت صورة اللقاء بينهما عدا المصافحة الودودة مدى
طمأنينة بايدن إلى أن ولايته الرئاسية الأولى ستكون خالية
من التوتر مع روسيا، وكان الشعور نفسه لدى بوتين
الباحث عن قبول دولي مطمئن من نظامه. ومنذ ذلك
اللقاء كان كل منهما ومن دون الإفصاح يخطط لولاية
رئاسية تالية. وبالنسبة إلى بوتين بالذات كان يهيمه كثيراً
تعزيز إقتصاد الدولة الروسية وميزانيتها التي أحدثت
العقوبات خللاً كبيراً فيها، نتيجة الحظر النفطي والعقوبات
الأميركية والأوروبية على شركات ومصارف. كما يهيمه
أكثر تعزيز دور لها في المياه الدافئة موزع بين السودان
والجزائر وسوريا وسعي من أجل موطئ قطع أسطول
في شواطئ مصر وليبيا.

ما تمناه كل من الرئيسين بايدن وبوتين ربما لن ينالاه
على النحو المأمول. فالشعب الأميركي لا يحبذ ما توحى
بعض التصريحات والدراسات أن يتم إقتطاع لمليارات
الدولارات من ميزانية بلده ثمن إنجاز حربي للرئيس يجدد
بمقتضاه الرئاسة، وهو إنجاز تمثّل بثنايا تصريحات يذلي
بها وزير الخارجية انطوني بلينكن وتتضمن عبارات من
نوع الرغبة العارمة بـ "إخضاع روسيا" وهي مفردات تعيد
إلى الأذهان ما كان يردده جنرالات ودبلوماسيو

الروسية _ الأوكرانية ومعها أطراف الأزمة التي بدأت بفعل ورقة حربية المفردات تنفع في تجديد رئاسة وأبدية رئاسة.. رئاسة بايدن لدورة ثانية وأبدية رئاسة بوتين، وإلتحق بها في شبه إلتزام الأطلسي والصيني كل لغرض في النفس. وفي حال حدث ذلك المسعى فإنه سيشكل إطفاء نار حريق حرب عالمية ثالثة كما ولا بد سينعكس بالتالي على تداعيات مستجدة للصراع الإرعابي الفلسطيني _ الإسرائيلي.

والإستحقاقات الرئاسية العاصفة بقية كلام. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 مارس (آذار) 2023

النصح بمفردات البلاغ رقم واحد الروحي

كانت بمثابة صاعقة نزلت قبل أيام على أدبيات التخاطب بين رموز العمل السياسي في لبنان، كون أطراف هذا التخاطب يشغلون المكانات السياسية والدينية والمجتمعية. ولقد أظهرت أنواع التخاطب بين هؤلاء الرموز أن كلاً منهم ليس في الحرص الكافي على إخراج الوطن من الهوة السحيقة التي بات عليها معيشياً ووطنياً، وإنما الذي يعنيه مقامه حتى إذا كان على حساب كرامات الآخرين.

وعندم تكون هذه أدبيات التخاطب وبالصوت الأعلى مقروءاً في صحيفة أو ميثوثاً عبر الأثير أو الشاشة أو مواقع التواصل، لا يعود مستغرباً أن الأزمة التي يعيشها لبنان طالت وتعقدت نتيجة مواقف تتسم بعض كلماتها بالتجريح وأن كثرة التلاوم المتبادل حيث هذا يلوم ذاك وأولئك يلومون هذا لا تجدي نفعا. كما أن كثرة التذكير في مناسبات خطابية أو من خلال تصريحات بفائض القوة تتسبب بتباعد المشاعر الوطنية. ونجد أنفسنا نرى أنه لولا الكلام الذي يقال بعضه أسبوعياً وبعضه الآخر في مناسبات من المرجعيات الروحية لكان الميدان السياسي بات أشبه بحلقات مصارعة كلامية. ومع أن ما نسمعه من رموز المرجعيات الروحية يتسم بالنصح والحكمة والقول اللين إلا أن هذه المرجعيات باتت وقد

تجاوز التعطيل المتعمد من جانب رموز العمل السياسي والحزبي حده ترى على ما تجوز قراءة النوايا إتخاذ وقفة تتجاوز النصح إلى الحزم، بل وما هو أكثر من ذلك، أي بما يجوز إفتراضه تتعقد قمة روحية جامعة حاسمة تنتهي بما يشبه البلاغ رقم واحد في ظاهرة الانقلابات العسكرية، ويستتبع هذا البلاغ الحامل تواقيع المرجعيات ما دام يطالب بتأدية الواجب وإنتخاب الرئيس الجديد للجمهورية إستيلاء رئيس لها. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن بعض العبارات جاءت حازمة مثل تلك التي صدرت من هذه المرجعيات على مدى أشهر سبقت خلو الرئاسة من شاغل ثم بعد أن إنصرف الرئيس الجنرال ميشال عون خاسراً التطلع إلى تمديد لرئاسته يحقق فيها مبتغاه بترئيس صهره الذي إستمر يعيش أربع سنوات رئاسية في حلم أنه هو من سيزكيه "حزب الله" وليس سليمان فرنجية. ومن العبارات تلك قول البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي في عظة قداس يوم الأحد 19 فبراير/ شباط 2023 وبما يمكن إعتبار الكلمات بمثابة مفردات بلاغ روعي رقم واحد "أيها المسؤولين السياسيون والنواب والناقدون والمعتطلون بوجه أو بآخر لقد حولتم عرس لبنان وشعبه وجمال طبيعته وغنى موارده إلى مأتم كبير ووشحتموه برداء أسود من الفقر والجوع والحرمان والتهجير تهجرونها من وطنه وتفتحون أبوابه لمليونين وثلاث مئة ألف نازح سوري ما بدا يفوق نصف الشعب اللبناني. ترفضون أي نصيحة من الدول الصديقة والحريصة على إستقرار لبنان وإستعادة قواه وكل دعوة ملحة لإنتخاب رئيس للجمهورية فتدعون ذلك تدخلاً ومساً بكرامتكم. إنهم يريدون حماية لبنان منكم، من كل عدو له يأتيه من الداخل وإنتشال الشعب من براثن أنانيتكم وكبريائكم ومشاريحكم الهدامة. فلا لبنان خاصتكم، بل خاصة شعبه ولا الشعب غنيمة بين أيديكم بل غنى لوطنه لبنان، فإرفعوا أيديكم عن لبنان وشعبه. هذه الصرخة نستودعها رحمة الله.. الإله العادل...".

ويندرج الكلام الجديد من حيث التحذير والخشية مع لاءات أطلقها البطريرك الراعي قبل بضعة أشهر (قداس يوم الأحد 11 سبتمبر/ أيلول 2022 في مقره الصيفي _ الديمان) وبدت من حيث الضغط النفسي الموجب لإعلانها بالصوت الأعلى كثرة الشبه بلاءات القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم (أواخر سبتمبر 1967).

وإضراراً بلاغها الأول بالبلاغ الرقم الثاني مسمى
التعطيل بمسببه الممانع والمعادن. والسلام على من إتبع
الهدى.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 16 مارس (آذار) 2023

سواء السبيل في إعادة النظر

لا بد من إعادة النظر بعدما طال أمد التأجيل وعدم
وضع الأمور في مدارها المستقيم. وإعادة النظر لا
تتنقص من كبرياء رموز الأزمات وإنما تضيف ملامح
صفات محمودة بحيث يقال عن هذا الرمز أو ذاك إنه
بعيد النظر بدليل أنه في نهاية الأمر ترك كفة خيار
الاستقرار ورفع منسوب طمأنينة الشعب هي الراجحة في
ميزان إدارة أمور الدولة على كفة استمرار التمسك بمشروع
هيمنة يتجاوز حدود الوطن وينعكس إرتباكات متواصلة
ومتعددة في أوساط الشعب الذي هو في الأصل لم يؤخذ
رأيه في هذه التطلعات من جانب رئيس الدولة ولا بادر
هذا الأخير إلى توسيع مجال التشاور وتحت سقف النقاش
بنسبة من الحرية والطمأنينة قبل أن يتخذ قراراته مبتهجاً
بإصدار القرار متجاهلاً مفاعيل ما بعد خطوته. ولنا على
سبيل المثال لا الحصر كيف أن إعادة النظر في قرارات
وخطوات لم يتم إتخاذها أودت بنهايات مأساوية ليس فقط
لمن لم يأخذ بها، وإنما للوطن الشعب والسيادة الوطنية.
فلو أن الرئيس صدام حسين رحمة الله عليه إكتفى بما
حققه من نصر نسبي في الحرب مع إيران وكان للمؤازرة
الخليجية والشعبية العربية مساحة في هذا النصر، لكان
العراق الآن في أحسن حال وربما كان هو شخصياً ما
زال يحكم أو مؤثراً في صيغة الحكم، خصوصاً أنه قبل
إقترافه إثم غزوة الكويت كان على نحو ما قاله في سياق
مقابلة أجريتها معه في صدد إعادة نظر متدرجة في
مؤسسة الحكم عموماً بحيث يصبح "مجلس قيادة الثورة"
مجلس حكماء تتمثل فيه الأطياف الواعدة في الدولة، كما
تكون هنالك إنتخابات مجلس نواب فاعل ومتفاعل. كما
أيضاً يكون هنالك إنتخاب لرئيس الجمهورية على نحو
الحال في أنظمة دول أخرى. وقال إنه في خطوة على هذا
المنحى كانت صياغة دستور جديد، لاحظت ككاتب

وأما اللاءات الراعية التي إنتهت صرخة في واد عكس
لاءات القمة التي أبقت الوضع السياسي العربي على
درجة من التماسك فإنها "لا نسكت بل نرفض شل
البلاد. لا نسكت بل نرفض تعطيل الدستور. لا نسكت
بل نرفض إستباحة رئاسة الجمهورية. لا نسكت بل
نرفض الإجهاز على دولة لبنان وميزاتها ونمذجيتها
ورسالتها في هذا الشرق وفي العالم...".

ما يجوز قوله إن الرمز الروحي للطائفة المارونية..
طائفة رئيس الجمهورية جعلت من عظات القدايس في
معظمها موقفاً سياسياً حازماً، وذلك نتيجة أن سياسيي
الطائفة وزعماء أحزابها يغردون على أغصان أشجار
حدائق تطلعاتهم الحافلة بكل أنواع ثمرات التحدي غير
هيايين أي حال بات عليها لبنان والتي أوجزها مفتي
الجمهورية الشيخ عبداللطيف دريان (ومصادفة في اليوم
السابق للبلاغ رقم واحد الروحي للبطيريك الراعي)
ولمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بعبارة "كل خدمات
الدولة الوطنية وميزاتها سقطت في الأعوام الثلاثة
الأخيرة. لقد صرنا أعجوبة العالم وفضيحتة...". كما
مصادفة قول متروبوليت بيروت للروم الأرثوذكس
المطران الياس عودة قبل ذلك "ما نشهده تنازع على
السلطة يتبادلون الاتهامات والكل متهم والكل بريء".

كما ما يجوز قوله إن سياسيي الطائفة وزعماء
أحزابها يطرقون أبواب الصرح البطيركي من أجل الإنقاذ
صورة مع سيد الصرح يوظفونها في أوساط جمهورهم أو
تمييزهم بتناول الغداء إلى مائدته وهذا توظيف مضاف
من جانبهم لمكانتهم الانتخابية. وحتى أن حضورهم
القدايس موسمية. وعندما بدأ رمز المرجعية الروحية
للطائفة يوجه النصح تلو النصح والتحذير تلو التحذير
فإنهم لم يقفوا إلى جانبه معتبرين أنه فقط يستهدف
بتحذيراته وتنبيهاته من الأعظم الآتي الطيف اللبناني
الذي يوالي إيران وفي الوقت نفسه يعكر العلاقة مع
الدول العربية، مع أن مضمون التحذير يشمل رموز
الطيف السياسي الماروني الذين في بقاء تحديات
بعضهم لبعض فإرتهان بعض آخر لمشاريع لا تقتصر
على الإستحقاق الرئاسي، ما يجعل الأزمة تزداد تعقيداً.
وعلى هذا الأساس فإن مضمون ما حوته مفردات ما
يُعتبر البلاغ رقم واحد الروحي، قد ينتهي إما إلى أن
يأخذ الطيف السياسي والحزبي الماروني برؤى المرجعية
الروحية فيسلم لبنان وإما سترفد المرجعية واجباً

وصحافي يتابع الشأن العراقي أن منسوب الإعتدال في سبك مواده كان أعلى مما هو عليه المنسوب الثوري. هل كان الرئيس صدام في صدد المباشرة بإعادة النظر ثم جاءت السفارة ابريل غلاسبي تشجع في نفسه نشوة التوظيف غير المبدئي وغير الضميري للنصر النسبي في الحرب مع إيران، فيتجاوز الوقفة الخليجية معه ويوجه بغزوة لدولة الكويت التي كان من الواجب القومي عليه أن تكون، بدل الغزو والتمثيل بتجربتها الديمقراطية، محطة في جولة إمتنان لدول الخليج على مساندتها له بعدما تحقّق النصر النسبي المتمثل بإعلان الإمام الخميني رحمة الله عليه وقف القتال معللاً إعلانه بأنه كمن يتجرع السم. وحتى رغم بشاعة الغزوة كان من شأن الإصغاء إلى تمنيات صدرت عن أكثر من طرف عربي ودولي حريص على العراق أن يحمله على إعادة النظر في ما فعله وذلك بأن يسحب القوات التي أرسلها إلى الكويت، ويقطع بذلك الطريق على حرب دولية إقليمية عليه أمعنت مفاعيلها تحويل العراق إلى وطن لا يستقر على حال. وهذا واضح عند التأمل في عقدين من سوء الحال لوطن كان سيبدو أكثر ازدهاراً وشعبه أكثر طمأنينة وجيرانه أكثر ثقة لو أن إعادة النظر تتقدم على التهيؤات ثورية كانت أو شغفاً بالهيمنة المتعددة والسلطة المطلقة.

وفي ضوء ذلك يبدو أمامنا الأخذ بإعادة النظر في حالة إنبعاث متدرج. وفي المشهد الراهن هنالك أكثر من رموز مشاريع هيمنة أو تطلعات لممارسة السلطة المطلقة، في أشد الحاجة إلى الإقتداء بما بدأ يأخذ به رموز المشروع الثوري الإيراني الذي بعد عقدين مماثلين لمثيلهما العراقي وجدوا إن في إعادة النظر السلامة والطمأنينة فكان الإكتاء على الكتف الصيني يشجع رئيسه سعيهم من منطلق التقدير الحاصل عليه من أهل الحكم السعودي. وعندما ستكتمل محطات الوفاق بين إيران المرشد علي خامنئي وحلفاء محيطه الثوري والسعودية الذي يستلهم ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز صفاء الحكمة والرؤية المستقبلية، فإن أطرافاً كثيرة لا بد ستبادر وربما إستباقاً للطلب منها إلى إعادة النظر. فالأذرع الإيرانية ستبادر حتى إذا هي تمهلت بعض الشيء على نحو ما هو ملحوظ لدى "حزب الله" في لبنان الذي بات مأمولاً من سيده حسن نصرالله البدء بصفحة لبننة الحزب تنموياً وتربوياً، كما بات من السيد

اليميني الحوثي يمنة طيفه الإيراني الهوى. وأما السودان الذي يعيش منذ سنتين حالة إرتباك لا مثيل لها لأن الجنرال عبدالفتاح البرهان يرفض أن يكون محمد نجيب "ثورة الإنقلاب" على نظام الرئيس عمر البشير، وأن رفيق الصيغة الإنقلابية الثورية الجنرال محمد حمدان دقلو إستمر يتمسك ضمناً بأنه هو عبدالناصر تلك "الثورة" ونتيجة هذه التطلعات السلطوية ضاعت من عمر السودان سنتين إختلط فيهما الحلو مع المر. ولن يصفو الطعم إلا بعد أن تأخذ إعادة النظر التي تلوح في أفق العاصمة المثلة مداها الجدي فلا يفاجأ السودانيون بما لا يريدون حصوله إنقلاباً من جانب العسكر على العسكر أو من جانب العسكر على المدنيين. وفي ضوء التأمل في المسيرة السودانية على مدى ثلاثة أرباع القرن، فإن كل ذلك وارد.. وإن هو إلى حين.

وأما إعادة النظر التي ستشكل ولادة إستقامة الأحوال السياسية فإنها المأمول حدوثها مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بحيث يداوي في حال إعادة النظر وأوقف حربه لتوأم غزوة صدام للكويت، بناء ما دمره وإطفاء ما أحدثته حرب "الأصل" الروسي على "الفرع" الأوكراني وعندها لا يعود "قيصر" الزمن الحاضر برسم "انتربول" القضاء الأطلسي الذي رغم إستغراب قرار الإدانة الذي أصدره الأطالسنة بتحفيظ أميركي بغرض إحراج بوتين وزائره الحضيف الرئيس الصيني فإن نتائج زعمي الشرق البعيد توافقا بما من شأنه تهدئة صيحات التحدي الروسية _ الأطلسية والخلود إلى قيلولة من التعقل. كما هنالك المأمول إعادة نظر أيضاً من الرئيس بشار الأسد بحيث يقرأ تباشير الود العربي المتدرج من مستتر إلى ملء السمع والبصر نحوه بتفهم لواقع الحال السوري بحيث لا تعود أحوال الأكثرية السنية في سوريا على النحو التي هي عليه خصوصاً أن الغطاء البعثي لا يلغي أن نصيب السنة في الحكم على مدى أربعة عقود متواصلة لا يتناسب وثقل الطائفة. وعندما تتم إعادة النظر يهدأ البال البشاري وتتلأشى بالتدرج ويلات الإنقسام والتدخل الحربي في شؤون سوريا، فضلاً عن أن مطالبة الحكم البشاري بإنسحاب القوات التركية وكذلك الأميركية تصبح موضوعية نقيض ما هي عليه عند قوله حولها وهو يزور موسكو. ذلك أن المطالبة بإنسحاب القوات التركية وأيضاً القوات الأميركية تصبح حقاً وطنياً مشروعاً.. إنما في حال تلازمت مع المطالبة بإنسحاب القوات الروسية

والقوات الإيرانية والمقاتلين التابعين لـ "حزب الله" الذين أدوا مهمة غير مستحبة من أخ يقاتل أخيه تمثلت بعمليات "جهادية" حيث أمكنهم ضد السوريين المعارضين للنظام. وأما إعادة النظر التي تعيد الوهج إلى وطن مسلوب الإرادة وحافل بكل أنواع الميليشيات فإنها المأمول حدوثها في ليبيا بحيث تعود فيافي عمر المختار ذات شأن عربي وأفريقي ودولي كما حالها في بعض سنوات العقيد معمر القذافي رحمة الله عليه وليست ممراً ومستقراً للعابثين باستقرار البلاد والعباد من مرتزقة وميليشيات. أما كيف العودة فيوحدة الحال ووحددة الوطن وحكومة الشعب الواحد وبرلمان الأمة الواحدة. والأهم من ذلك طي صفحة "الإلغاء" توأم "الإجثاث" و "الإستئصال" مع عميق التأمل في نتائجهما الفاشلة في كل من العراق والسودان. وكلتاهما بند في جدول أعمال إعادة النظر إذا كان يراد لكل من الدولتين و لليبيا معهما الأمان والإستقرار. وكل رمضان والأحوال الإسلامية على موعد مع الأفضل حالاً.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 23 مارس (آذار) 2023

لو يحذو بوتين حذو عبدالناصر

الآن وقد إزداد سعيير نار حرب الرئيس فلاديمير بوتين على الغرب الأطلسي في صيغة صواريخ كلامية أوكل أمر إطلاقها إلى حليفه دميري ميدفيديف الحالم ضمناً (ما دام يشغل منصباً أمنياً شديداً التأثير _ نائب رئيس مجلس الأمن القومي) بوراثنة بوتين في حال حدوث طارئ ما وعلى قاعدة أن الأشد ولاءً بين حلفاء الرئيس هم الأولى بحق التوريت، فقد بات جلياً أن قذيفة المحكمة الجنائية الدولية أمست تقض مضجع قيصر الكرملين ولا يخفف سوى خطوة بالغة الأهمية من الأثر الإهاني على زعامته رغم كون روسيا ليست من الجمع الذي وقّع على إنشاء هذه المحكمة قبل 21 سنة كان ضابط المخابرات زمناً ما زال رقماً أمنياً مغمور الشأن في ظل رئيسين عابرين توارثا السلطة بعد تناثر الدولة العظمى الإتحاد السوفيياتي وهما غورباتشوف و يلتسين. فالإهانة حاصلة من حيث أنها فعلٌ أوروبي بطلب من إدارة الرئيس بايدن

الذي عطلّ عملياً خطة بوتين في أن حربه على أوكرانيا لن تستغرق أكثر من أيام ويحسم أمرها إخضاعاً لرئيسها فولوديمير زيلينسكي بعدما رمى نظامه بتهمة الفاشية والنازية معتبراً أن تذكير الأوروبيين بالفعل الهتلري يجعلهم يغضون الطرف عن الفعل البوتيني.. هذا من دون أن يندرج في الإحتمال أن الخصم الأميركي _ الأوروبي أضمر من خلال إدراج أوكرانيا في المجمع الأطلسي إختبار مدى القدرات وطبيعة الإستراتيجيات الروسية وهذا يتحقق من خلال إغتنام توك بوتين إلى إقتسام الشأن الدولي. وهكذا تحوّل الخيار الروسي حرباً على أوكرانيا فرصة للإختبار المشار إليه ولإستنزافه وكشف كامل أوراقه وتطلعاته التي لم يفصح عنها ثم جاء ميدفيديف ليتولى التذكير بما معناه "إن أغلب أوكرانيا الحالية كان جزءاً من الإمبراطورية الروسية القيصرية" وكذلك الإيحاء بأن مخطط بوتين هو على المدى غير البعيد في حال إستعداد أوكرانيا أن تشمل الإستعادة بالتدرج دول "أوروبا الشرقية" التي كانت أطرافاً في صيغة أنظمة شيوعية ثم شقت رومانيا والنصف الشرقي من ألمانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا الطريق نحو مجتمع الدول المستقلة وذات النظام الديمقراطي لينتهي بها الأمر أعضاء في الحلف الأطلسي وكذلك في المحكمة الجنائية الدولية التي رغم عدم إنتساب الولايات المتحدة لها كما روسيا والصين والهند، إلا أنها من مقرها الهولندي سلاح معنوي بالغ الأهمية حيث مجرد إتخاذها قراراً بإدانة رئيس دولة كبرى مثل بوتين فإن ذلك يشكل إخراجاً بالغ الحساسية لزعامته بمعنى أن بوتين عرضة لتطبيق العقاب عليه في 121 دولة أعضاء في الأمم المتحدة. وبذلك لن يكون في الإمكان زيارتها.

ورغم جسارة حليفه الطموح ميدفيديف وقوله وبصيغة المتخيل لمجرد توقيع أوكرانيا إتفاقاً مع المحكمة لإنشاء مكتب لها في كييف "لن يحدث أبداً لكن إذا تم إعتقال بوتين سيكون ذلك إعلان حرب على روسيا الإتحادية وفي تلك الحالة كل أصولنا الحربية وكل صواريخنا ستحلّق صوب مكتب المستشارية ومبنى البوندستاغ (أي برلمان ألمانيا). إن المحكمة الجنائية الدولية كيان قانوني لا قيمة له...". وهذه النبوة من ميدفيديف لا تخدم ما يضمره في أن يخلف بوتين، مع الأخذ في الإعتبار أنه بما قاله أزاح من لسان صديقه الرئيس المبتلى بالحرب التي دخلت سنتها الثانية ولا بواذر في الأفق لحسمها،

إضطراره للإدلاء بكلام يزيد الإرتباك إرتباكاً.

وهكذا فإن الكلام التهديدي غير المرغَّب به دولياً حتى من الحليف المتعقل (الصين) يتوجب من جانب بوتين إطفاء غليل كلام حليفه، والبحث في ما يجعل الدعوة إلى اعتقاله للمثول أمام المحكمة الجنائية وكأنما هي مجرد خاتمة إستنزائية كان من الحكمة بمكان عدم إصدارها لأن المستهدف ليس من رؤساء دول على قد الحال مثل أوغندا والكونغو والسودان وأفريقيا الوسطى وإنما رئيس دولة عظمى يستطيع في لحظة عزم غاضب أن يضغط على أحد أزرار حقيقته النووية فتتحول المدن المزدهرة في أوروبا إلى ركام.

هنا يجد المتابع مثل حالي ككاتب وصحافي ومحلل للتطورات الراهنة رطباً بظروف غابرة أتساءل: لماذا على سبيل المثال لا الحصر لا يأخذ الرئيس بوتين في العام 2023 ما سبق أن أقدم عليه قبل 62 سنة رئيس عربي لا تقل زعامته في محيطه الإقليمي عن زعامة بوتين مع إختلافات طفيفة في الحالة الموجبة لكل منهما.

في الأيام الأولى من شهر يناير/كانون الثاني 1958 فوجئ الرئيس عبدالناصر وهو في الأقصى زائراً مع ضيف مصر صديقه رئيس أندونيسيا أحمد سوكانو، الذي كان ركناً من حركة عدم الإنحياز التي ضمت شو ان لاي ونكروما وجواهر لال نهرو، بإتصال من مكتبه في مقر الرئاسة لإبلاغه أن طائرة سورية حطت في مطار القاهرة وتحمل عشرين ضابطاً أتوا لإبلاغه ضرورة إقامة وحدة مع سوريا خشية سقوطها في أيدي أحد ثلاثة أحزاب (الحزب الشيوعي. الحزب السوري القومي الاجتماعي. حزب البعث العربي الاشتراكي). فقد إستقطبت الأحزاب ضابطاً في المؤسسة العسكرية وباتت سوريا تبعاً لذلك على مشارف السقوط في أيدي أحد هذه الأحزاب مما سبترتب على ذلك حرب أهلية.

إستساغ عبدالناصر بعد التأمل في المطالب وإصرار الرئيس السوري شكري القوتلي المهّد كرسيه من جانب الحراك الحزبي، والذي حضر بدوره إلى القاهرة مع نخبة من رموز العمل السياسي، على إعلان خطوة وحدوية الغرض منها إنقاذ سوريا. وخلال أسبوعين وتحديداً يوم 1 فبراير/ شباط من العام نفسه 1958 تم التوقيع على ميثاق يعلن قيام وحدة بين القطرين بتسمية "الجمهورية العربية المتحدة". بعد ذلك زار عبدالناصر دمشق وكان الترحيب الشعبي لافتاً الأمر الذي يعني أن هذه الوحدة

"لن يغلبها غلاب" على نحو ما صدحت به حنجره مطربي إحدى الأغاني الوجدية.

هذه الخطوة أضافت إلى قرار تأميم قناة السويس المزيد من الشأن لعبدالناصر الذي بات رئيساً لدولة كبرى على كتف أفريقيا ودولة على كتف فلسطين التي باتت محتلة وله فيها ذكريات خلال المشاركة في حرب 1948 التي لم تثمر تحريراً لها وباتت هنالك دولة إسرائيل.

لكن ما كان مأمولاً في حساب زعامته لم يكتمل، ذلك إن مجموعة من الضباط نفّذت يوم 28 سبتمبر/أيلول 1961 إنقلاباً قوّض الوحدة. وباتت مصر في عهد الرئيس (الراحل) أنور السادات تحمل تسمية "جمهورية مصر العربية" وعادت سوريا القطر الشمالي تحمل تسمية "الجمهورية العربية السورية".

كان في إستطاعة عبدالناصر ضرب العملية الانقلابية ولقد خطرت الفكرة في باله، مستنداً في ذلك إلى أن سوريا كانت فرعاً أو قطراً في دولة هو رئيسها ومن حقه بموجب الدستور والقوانين المتبعة قمع الإنقلاب. ولكنه إعتبر الفعل الحربي، أي إرسال طائرات تقصف الإنقلابيين وتشل حركتهم وتعود سوريا كما كانت على مدى سنتين وبضعة أشهر قطراً شامالياً شقيقاً للقطر الجنوبي محتضنين في دولة "الجمهورية العربية المتحدة" خياراً مأساوياً.

بما إرتأه عبدالناصر صان مصر وسوريا في الوقت نفسه ولم يورط الدولتين في عداوات لا تنتهي. كما أنه إحترم إرادة الشعب الذي رحب خير ترحيب به عند قيام الوحدة ثم إرتأى الأخذ بالتغيير بعد إخفاقات في تيسير أمور التجربة الوجدية.

من هنا يأتي التساؤل: لو يحذو بوتين حذو عبدالناصر أما كان ذلك طوق تخفيف إستهانات به وصلت إلى حد مطاردته بدعة محكمة جنائية وكأنما الأمر بهذه البساطة.

لعل القمة العربية الدورية التي ستعقد في الرياض بعد العيد تكون خير مناسبة لإستضافة فلاديمير الروسي وفولوديمير الأوكراني وكذلك الأمين العام للأمم المتحدة غوتيريش، علماً بأن حضور قامات دولية كضيوف شرف في مؤتمرات عربية تقليد مألوف ومستحب. وبالنسبة إلى بوتين منجاة له من العبث الأطلسي _الأميركي_. وعلى الله إتكال المضيف ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان صاحب المبادرات الإستثنائية. وهذا ما

عنيانه في بداية مقالنا حول الخطوة البالغة الأهمية التي
تزيل الإهانة الإستخفافية من جانب كبار لكبير في عالم
الحكم والحكام.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 26 مارس (آذار) 2023

للإحتجاج وجهان .. الحضاري والمتوحش

يسجل اللبنانيين أنهم باتوا قدوة لشعوب كثيرة مغلوب
على أمرها من أوضاع غير راضين عنها فإنتنض
عشرات الألوف بغرض وضع الأمور في نصابها وحققوا
بعض ما يأملون تحقيقه. ونعني باللبنانيين هؤلاء أنهم
الذين نزلوا يوم 14 آذار 2005 إلى ساحة الشهداء في
العاصمة اللبنانية حاملاً كل منهم العلم اللبناني. وفي
خلال بضع ساعات إكتمل مشهد لم يعيشه لبنان ولا حتى
سائر عواصم عربية من قبل. ثم بات هذا المشهد بمثابة
أنموذج لإشهار الغضب من جانب المواطن ضد وضع
يجمع بين الظلم والإستهانة بكرامة الوطن والمواطن
وكذلك ضد إجراءات يتجاوز فيها أهل السُلطة.. وبالذات
البعض منهم حدود الواجب الرسمي ويتصرف على أنه
الأمر الناهي.

في ذلك الإنتفاض التاريخي شكّل عشرات الألوف
الذين إنلقوا وكان كلاً منهم صديق للآخر دون سابق
معرفة يحمل علم الوطن في يمينه ويهتف بما يختص
بالحرية والكرامة والسيادة. وبعد يوم لا مثيل له في تاريخ
الإحتجاج وإعلان الغضب الساطع عاد كل إلى حيث أتى
من ديار قريبة من العاصمة أو بعيدة عنها. وخلت ساحة
الحشد التاريخي من ألوفها ومن دون أن يحدث ما حصل
في إنتفاضة السنتين الأخيرتين من حُكم الرئيس
المنصرف منذ شهرين للبنان الجنرال ميشال عون حيث
أن الإنتفاضة الثانية التي إنطلقت في الأيام الأولى من
شهر أكتوبر/ تشرين الأول 2019 بدأت ضمن الأصول
مستوحية من إنتفاضة 14 آذار 2005 مظاهرها
الحضارية، لكنها بدأت تتوحش يوماً بعد آخر وترجمت
مشاعر غير مستحبة في نفوس كثيرين إلى شتائم
وبعبارات تقال في تظاهرة تم تُكتب على جدران المباني
والمكاتب، كما أن إحراق الإطارات أخذ دوره في هذه

التحركات الإحتجاجية التي لم تثمر نتائج كنتك الإنتفاضة
الحضارية.. إنتفاضة عشرات الألوف الذين بتلويح كل
منهم علم الوطن وبالهتاف الخالي من العبارات غير
اللائقة جعلوا من هذه الإنتفاضة التي أثمرت دفعاً حثيثاً
خارج الحدود للقوات السورية التي بسطت نفوذها لسنوات
في لبنان وإلى درجة أن القرار اللبناني بات عملياً نتاجاً
سورياً. ثم شيئاً فشيئاً وبعد مفاعيل إنتفاضة الأعلام
اللبنانية تبدلت الأحوال وبات القرار اللبناني يسترد بعض
إستقلالته.

كانت الإنتفاضة اللبنانية تلك مصدر إلهام لإخواننا
المصريين الذين إستحضروا في ميدان التحرير قلب
العاصمة المصرية الأسلوب الذي إعتمه عشرات ألوف
اللبنانيين في ساحة الشهداء. وكانوا مثلهم حضاريين في
التعبير عن الغضب الساطع ومن دون إحداث أي تخريب
أو إحراق عجالات السيارات في الشوارع. هتفوا وعقدوا
حلقات وحققوا الكثير من مطالبهم. بدأ نظام الرئيس
حسني مبارك يتفكك ثم أكملت المؤسسة العسكرية ما
عليها القيام به وضمن معادلة موضوعية. ثم خطوة تلتها
خطوات تبدلت الأحوال إلى أن بات الرئيس الذي حكم
أكثر من سلفه أنور السادات ومن السلف الساداتي (جمال
عبدالناصر) قيد الإعتقال. وتطورت الأمور بحيث بات
هناك محاكمة وبات منبر ثورة 23 يوليو 1952 (صحيفة
"الجمهورية" تصدر يوم الخميس 4 رمضان 1432
الموافق 4 أغسطس/ آب 2011 وصفحها الأولى كاملة
للرئيس مبارك متهماً وبِعنوان رئيسي "بأمر الثورة.. مبارك
في الققص" وعناوين فرعية "القاضي نادى المتهم محمد
حسني السيد مبارك.. فرداً أفندم" و "يوم لا ينفع مال ولا
بنون. الحابس يُحبس ولو بعد حين").

بعد إخواننا المصريين جاء إخواننا السودانيون ليس
فقط يستحضرون الإنتفاضة المصرية الحضارية
المستلهمة إنتفاضة اللبنانيين التي عُرِفَتْ بإنتفاضة أعلام
الوطن ولا أعلام آخرين من أحزاب وتيارات وحركات
وجمعيات كما بات مألوفاً وضاراً كثير الضرر بعد ذلك
في سنوات الرئيس ميشال عون، وإنما طوّر عشرات
الألوف من شبان وشابات السودان ومن معظم ولايات
الوطن الإحتجاج أفضل تطوير وبحيث باتت العاصمة
المثلثة الخرطوم رمزاً مضيئاً للإحتجاج الحضاري،
خصوصاً بعدما حدثت مفاجأة ليست في الحسبان وهي
أن صحوة داخل مؤسسة الجيش ترجمها عدد من كبار

الضباط إلى فعل غير مسبوق حيث بات الاحتجاج بإلتفاف العساكر حول الجماهير الغاضبة وليس الإلتفاف عليهم، يسبغ على ما حدث صفة "انتفاضة الجنرالات الشعبية" بمعنى المشاركة الفاعلة بين الجانبين وبذلك دخل الاحتجاج بنداً متطوراً في مشهد الغضب وهو أن الاحتجاج الشعبي وحده لا يثمر فيما الاحتجاج المشترك يحقق وإن على المدى البعيد خروج الوطن من نفق المغامرات الانقلابية على أنواع بياناتها وجزالاتها.

ما كان لافتاً للانتباه أن الإسرائيليين كانوا في تظاهرات الاحتجاج التي هزت عنفوان رئيس حكومتهم نتنياهو مستلهمين في احتجاجهم انتفاضة اللبنانيين حملة أعلام الوطن ومن دون إشعال حرائق عجلات السيارات وكما حققت الانتفاضة اللبنانية الغرض أي الجلاء العسكري مع بقاء التأثير السياسي وهو النصف الثاني في عهدة "حزب الله" و "حركة أمل" و "التيار الوطني الحر" و "الحزب القومي الاجتماعي" و "البعث اللبناني" وجمعيات مستترة إحترام الغير لفعلهم الحضاري، فإن الانتفاضة الإسرائيلية وهي أيضاً انتفاضة الأعلام كما تابع العالم أيامها حققت نصف الغرض مستلهمة هنا انتفاضة جنرالات وضباط عسكري السودان وقبل ذلك عسكري مصر مع انتفاضة ميدان التحرير، حيث أن بنيامينهم العنيد المتقمص أسلوب دونالد ترمب، تراجع عما أراده في شأن ثوابت قانونية كما تراجع حكومة لبنان برئاسة نجيب ميقاتي عن قرار موحى له ويتجاوز إعتماده الكثير من الأصول ويتعلق بما عُرف بتقديم الساعة. أما النصف المتبقي من عائد الاحتجاج الإسرائيلي الحضاري فيتمثل في أن نتنياهو باق إلى حين عصفه احتجاجية لاحقة أو تفعيل القضاء في حقه بحيث قد ينتهي مستقيلاً وقيد المحاسبة والمحاكمة.. أيضاً كما حال ملهمه دونالد ترمب.

وأما الانتفاضة التي تدعو إلى الكثير من الدهشة لجهة أدوات تعبير المنتفضين فإنها الانتفاضة الفرنسية التي تابع العالم بدهشة حدوثها، كون بعض محطاتها من إشعال حرائق في أهم شوارع ومناطق العاصمة الفرنسية وحرائق فرع مصرف وما تسببت به مكبات وأكياس الزباله المتراكمة في الشوارع هي توصيفاً من أساليب الإعتراض التدميري والانتفاض المتوحش، علماً بأن دواعي إطالة سُن التقاعد سنتين كانت للمصلحة العامة على المدى القصير في كثير من مقتضياتها. وإذا قيس فقدان موارد

السياحة طوال أيام الانتفاضة كما بعض مراحل الانتفاضة في العهد العوني المدعوم من "حزب الله"، بسبب الفوضى والحرائق وتعطل المصالح الخاصة والرسومية، فإن تصنيف هذه الانتفاضة بأنها على درجة من التوحش وفي بلد شعاره الحرية والمساواة والأخوة وموصوف بأنه بلد النور، يصبح التصنيف الموضوعي. كما يصبح التمني لو أن هذه كانت تمثل الانتفاضة اللبنانية.. انتفاضة الأعلام الوطنية والانتفاضة المصرية وبعدها السودانية فالإسرائيلية. والثلاث من النوع نفسه.

ويا ليت الحكومة في كل دولة عربية بالذات تغني المواطنين عن ضرورة الأخذ بالانتفاضة لتحقيق ما يُستلب منهم دون أوجه حق.. والله الحفيظ والمغيث.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 29 مارس (آذار) 2023

خطوة مهمة في انتظار الأهم

في الوقت الذي كان مسلسل تعطيل انتخاب رئيس للجمهورية في لبنان ودخول الفراغ الرئاسي شهره الخامس ولا ما يشير إلى أن الفراغ سيُملأ، كان هنالك من يتأمل في كيف أن بعضاً من اللبنانيين في بلاد الإغتراب الأميركي ومن دون التعقيدات كالتّي يعيشها أولياء الأمور الحزبية والحركية والتيارية في لبنان، وصلوا إلى المناصب الأعلى وعلى سبيل المثال ميشال تامر الذي ترأس البرازيل ذات دورة وعبدالله بوكرم الذي نال رئاسة جمهورية الأكوادور. كما تتوأ كثيرون مناصب وزارية متقدمة ومناصب إستشارية وإدارية، ومن دون أي تعقيدات. وقد تم ذلك ليس على قاعدة الهوى والهوية وإنما على قاعدة ماذا قدّم هذا لكي يستحق المنصب وما هو المطلوب منه تقديمه في المنصب الجديد.

وحتى عندما إختير ابن بلدة الكفير إحدى قرى جبل حرمون فارس الخوري المسيحي البروتستاني الأرثوذكسي الجذور رئيساً للحكومة في سوريا قبل 69 سنة بعد عدة مناصب حكومية تولّاها، وينجح في جمع الأضداد من الزعامات الحزبية التقليدية حوله، فإن إختياره تم على أساس قدرته أن يثري العمل السياسي الوطني العروبي. هذا الذي نشير إليه حدث قبل عقود من ترؤس إثنين

من الأسبويي الأصل الحكومة في كل من بريطانيا (ريشي سوناك) واسكتلندا (حمزة يوسف). وتم الترتيب على قاعدة الكفاءة وليس هذا مسيحي وهذا مسلم وهذا هندوسي وهذا يهودي. المهم في الأمر هو ما الذي سينجزه وهل سيكون في خدمة الشعب والولاء للوطن والتمسك بالسيادة وعدم ركوب المخاطر وإعتبار الأوطان أوراقاً في اليد تُستعمل مالياً أو حزبياً لتحقيق أهواء ذاتية.

هل إن المزيد من الأشهر سيعيشها اللبنانيون ومن دون رئيس للجمهورية وفي ظل قضاء متعطل وحكومة غير مكتملة الشأن والثقة الشعبية بها، وفي المقابل تصدع متواصل مؤسسة تلو أخرى وكياناً إقتصادياً وتجارياً ومصرفياً تلو كيان، وإحتمالات صادمة من بينها أن تغلق المدارس الأبواب ويفرط العقد الأمني.

الإجابة عن ذلك واردة، وإن كانت هنالك ملامح إعادة نظر من جانب من إستقرت التسمية لها بأنها "الدولة داخل الدولة" يمكن في حال توسيع مدارها تحقيق الانفراجات المأمولة. فقد حدث في لبنان الذي كان على موعد مع شهر الصوم رمضان المبارك والفصح المجيد، أن تمت عملية خارج الأصول المتبعة في ما يخص أملاك الدولة ومؤسساتها. وفي غمضة عين أبرم نجيب ميقاتي رئيس الحكومة غير المكتملة المقومات والمقتصرة على تصريف أعمال روتينية بالتعاون مع أحد وزراء حكومته (وزير الأشغال علي حمية) عقد تلزيم مبنى جديد في مطار الدولة. ثم بعد حملة إعلامية تلفزيونية وعبر وسائل التواصل التي أخذت مداها الرحب في تحديد الأرقام والتسميات، أصابت العقد المبرم في الصميم بحيث أظهرته أنه صفقة رابحة لمن عقدها خاسرة للوطن مالياً وما هو أكثر من ذلك، خرج الوزير الذي يمثل "حزب الله" في الحكومة ليعلن إلغاء العقد وكأن ذلك لم يتم.

المهم في الخطوة أن الوزير قال إنه يلغي بطلب أو بنصيحة من "حزب الله" الذي يمثل. معنى هذا أن العائد المجزي من الصفقة كان لمصلحة الحزب وحليفه "حركة أمل" أو بما هي التسمية المتداولة "الثنائي الشيعي".

وأما الأمر الأكثر أهمية فهو أن الوزير الذي يمثل "حزب الله" وقال إنه يلغي ما سبق أن إعتبره إنجازاً، طرح في ساحة الوضع السياسي البالغ التعقيد احتمال أو إفتراض أن الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله على أهبة أن يكون غيره المتمسك بالرؤى التي يطرحها، أي بما معناه إنه ما دام أعاد النظر وبالعن، وأن ذلك

كان بالطلب من الوزير التراجع عن قرار إتخذه أو أجازته، فهذا يعني أن من الممكن إعادة النظر في مواقف وطروحات من بينها ما يتعلق بإنتخاب رئيس للجمهورية شخصاً ومواصفات.

كما يعني في ضوء إنفراجة في العلاقة السعودية _ الإيرانية لم تكتمل فصلاً بعد، يمكنه تعديل الموقف من أجل أن تأخذ الإنفراجة مداها، أي بما معناه لا يعود السلاح ورقة والمقاومة شرطاً وإستضافة الثوريين في أرض لبنان وفضائه مستدامة.

ومثل هذه الأمور كانت تحتاج إلى بداية إعادة نظر على طريقة خلط الأوراق، أو القراءة المتأنية في المشهد الإقليمي _ الدولي الذي تضاف يوماً بعد آخر مفاجأة إليه.. أحياناً سارة وأحياناً تستوجب التأمل.. وقبل أن يفوت الأوان.

... وهكذا فإن إلغاء وزير "حزب الله" ما أقدم عليه هو خطوة محمودة شأنه في ما فعل شأن العودة عن الخطأ فضيلة. والله التواب والهادي إلى ما فيه الخير والسلامة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 4 أبريل (نيسان) 2023

الوفاق الذي لن يبقى مستعصياً

كأنما لا يكفي لبنان ما يكابده شعبه من أحوال تخطت السوء وعلى أهبة أن تصبح كارثة إجتماعية لا تحلها الصناديق الأممية، حتى يصبح فجأة منصة صاروخية ملتبسة الدوافع، وبالذات في وقت يأخذ التشاور الأمني والدبلوماسي لتوسيع هامش العلاقات المستقرة بين دول المنطقة مداه الرحب. ولنا كدليل على أهمية دور المضيف وصدق سعيه الخطوة التي إنتهى إليها لقاء بكين يوم الخميس 6 أبريل/ نيسان 2023 بين وزير الخارجية السعودية الأمير فيصل بن فرحان ونظيره الإيراني حسين أمير عبداللهيان، وكيف باتت سمة لافتة اليد الدبلوماسية الصينية اللامسة اليدين السعودية والإيرانية المتصافحتين بعد توقيع إتفاق متقن مضموناً ولا يتسم بالتنفيذ بالعجلة وإنما لكي تصفو النوايا تماماً كما صفاء الماء في الوعاء بعد أن تكون حبات الرمل إستقرت في القاع. وهذه اليد اللامسة وُضع رمز الأمن الصيني يده على يدي رمزي

الأمن السعودي والإيراني بعد إنتهاء محادثات التوافق في بكين يوم الجمعة 10 مارس من العام نفسه، وكان قبل بدء التحادث أمسك بيده اليمنى يد الرمز الأمني السعودي الدكتور مساعد العيبان وبيده اليسرى الرمز الأمني الإيراني علي شمخاني. وهذا المشهد الأمني فالمشهد التالي الدبلوماسي بعد 27 يوماً يعكسان مدى الجدية في التوافقات ضمن قاعدة متينة البنيان تمثلت بروحية القمتين (الخليجية _ الصينية والعربية _ الصينية في الرياض يوم الجمعة 9 ديسمبر/ كانون الأول 2022) مسجلاً راعيها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ومضيفهما ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان أن هذه القمة الثنائية هي حدث العام 2022 وأنها ستكون حاضرة على مدى عقود آتية في "أجندات" دولية وإقليمية كون الصدق حاضراً في خطواتها والإلتزام دقيقاً في المواعيد والبنود التي تتضمنها المحاضر.

وليس مبالغة القول إن ما بعد قمة الرياض (الجمعة 9 ديسمبر 2022) والإجتماعين التاليين (الأمني التأسيسي والدبلوماسي التنفيذي) لن تكون الأحوال على هذا العصف الذي تعيشه المنطقة والتي تشكّل الواقعة الصاروخية المباغطة من جانب طرف في لبنان (إحدى إفرازات ذلك العصف، مع ملاحظة أن حدوث تلك الواقعة يجمع بين الظن بأن طرفاً غير سليم النية وغير سوي الحس الوطني المسؤول إفتعل الفعل الصاروخي بتكليف لأغراض كثيرة في النفس ربما يكون أحدها لوضع معوقات أمام قطار التسوية الموضوعية المؤمل إكمالها بعد الخطوات الجدية التي حدثت ومن شأنها إزالة الكثير من الثغرات وتوضيح الأكثر من علامات الإستفهام. ولولا أن التعامل الشرس من جانب جموع إسرائيلية تجاوزت في ما أقدمت عليه في المسجد الأقصى يوجب تأديباً ما للفعل الإسرائيلي ومن هنا إندرج العملية الصاروخية من منصة في لبنان ضمن هذا الواجب، لكان موضع تفهم إكتفاء الولايات المتحدة وأطراف دولية وأممية بالإستتكار والدعوة إلى ضبط النفس. وهذا موقف باهت وتقليدي من جانب الغرب الأميركي والأوروبي بنسب متفاوتة إزاء قضية العصر... القضية الفلسطينية التي لم تثمر صيغة معاهدة "كامب ديفيد" في مثل هذا الفصل الربيعي قبل أربع وخمسين سنة (26 مارس/ آذار 1979) وطوال هذا النصف من القرن سوى المماثلة وإغداق الوعود التي لا تلقى التنفيذ في شأن الدولتين، وبذلك بقيت التسويات على حالها. وهذا بالمقارنة مع التفاعل العربي _

الصيني يترك إنطباعاً بأن ما بينى على صفاء نية ووجه حق يتم تنفيذه بدليل ما نراه يتحقق منذ شروق شمس العهد السعودي _ العربي _ الخليجي _ الصيني الجديد يوم 9 ديسمبر 2022 من الرياض. وفي الله هذه الشمس من غيوم كثيفة متعمدة قد تكون العملية الصاروخية من منصة في لبنان على الحدود مع الأرض الفلسطينية المحتلة إحدى هذه الغيوم.

وأما الأمل المعقود على القمة العربية الشهر المقبل في الرياض، فهو إكمال تألف الصف العربي وتوافق أولياء الأمور على ما يمكن توظيفه في علاقات جديدة وقد أمكن تنقيتها من إختيارات وإصطفافات.

وما إستعصى وفاق وراءه الساعي إليه بصدق والحادب عليه حذب أخ صاحب رؤية وعائد العزم على إحقاق واجب قومي على أخ مرتبك وقضية كثر التلاعب بها. وهذا المأمول إنجازها من صاحب السعي الدائم الأمير محمد بن سلمان. فذلك هو الواجب الآخر الذي بإنجازه تأخذ رؤيته بعدها القومي... وقبل العام 2030. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2023

بتوافر حُسن النية تطمئن النفوس

لو كان حُسن النية متوافراً لدى أهل الحكم في أثيوبيا وبالذات كبيرهم رئيس الحكومة أبي أحمد، لما كُتب للأزمة الناشئة عن "سد النهضة" الذي فاجأت به أثيوبيا الجار السوداني فالجار المصري أن تطول وتصبح على ما هي عليه تنذر بمخاطر تتعكس على العلاقات.. وربما مواجهة في حال تغلب العناد على التبرص والحكمة وأخذ الأمور بالتي هي أحسن، وذلك بإحتواء مضاعفات ما ينتج عن التشغيل، للسودان بنسبة يمكن أن يتحملها فيما ستتأثر مصر بالغ التأثير عندما تبدأ كمية حصتها من مياه نهر النيل بالتناقص بفعل التشغيل الكامل للسد وهي التي في الأصل بدأت عملية ترشيد لإستعمال المياه. لقد نبهت مصر مراراً ومنذ تجربة التشغيل الأولى للسد، ودخلت على خط الأزمة دول عربية وأجنبية من بينها الولايات المتحدة وحكماء دول القارة الأفريقية. وكانت المناشدات في معظمها تنحصر في أن يكون

التعامل بالتفاهم والتبصر مع موضوع "سد النهضة" بعدما بات أزمة ونشوء أجواء متوترة في العلاقات مصحوبة بكتابات كثيرة الحدة أحياناً وتصريحات لا تخلو مفرداتها هي الأخرى من الحدة، وهذا ناشئ عن إستباق مصر للمضاعفات.. بل للمخاطر التي ستتساقط عن تشغيل السد. ونشير في هذا الصدد إلى أن التشغيل سيولد الطاقة التي تستفيد منها دول أفريقية عدة تحتاج إلى ما ينقصها من الكهرباء، لكن مزارعي مصر سيجدون حقولهم تقعد بعض خضرتها وربما ستتيسر مشاريع زراعية كثيرة نتيجة إقتطاع نسبة من المياه عند تشغيل السد. وبإختصار فإن المعادلة ستصبح: كهرباء بنسبة كبيرة جداً لصاحبة السد دولة أثيوبيا عوائد تسويقها للدول الأفريقية بالمليارات. وكساد بنسبة كبيرة في مصر للمواسم الزراعية، وخسارة تبعاً لذلك بالمليارات. وهنا لا تعود الأزمة عادية بل يصبح الحل بالقوة لمن إستطاع إليه السبيل. ومن حيث المقارنة النسبية فإن مصر مثل روسيا شأنها سياسياً وعسكرياً وأن أثيوبيا بالمقارنة نفسها مثل أوكرانيا، ويا ويل القارة إذا ساد منطق الحدة فالمواجهة بدل الأخذ بالتالي هي أسلم وأكثر إفادة للطرفين.

والذي يلفت الإنتباه أن الجانب الأثيوبي لا يبدي الإصغاء الكافي لما يصدر من حكومات أجنبية وأفريقية مع أن لفت إنتباه يأتي من دول كبرى (أميركا) أو من مجتمعات دولية مثل التجمع الأفريقي يشكّل خير غطاء لممارسة الليونة من الجانب الأثيوبي، أي بما معناه يقول أهل الحكم في أثيوبيا أنهم عند تمنيات المجتمع الدولي – العربي – الإقليمي زانداً التقهّم الموضوعي لظروف دول الجوار ستأخذ الحكومة الأثيوبية بصيغة التشاور مع كل من مصر والسودان وتحت خيمة الأمم المتحدة بما يعطي كل ذي حق حقه، وأما إذا أرادت دولة تسليف جزء من حصتها فإنها تفعل ذلك بكامل الرضى وطيب خاطر. أليس الجار للجار. وأليس الرسول (ص) أوصى بسابع جار.

وتبقى الإشارة إلى أن مناسبة هذه الإضاءة على أزمة "سد النهضة" هي أن الكلام المصري الأحدث حولها، يركز على إستباق المخاطر، وصادر عن وزير الخارجية سامح شكري الذي إغتتم مناسبة إنعقاد أعمال المجلس الوزاري العربي (وزراء الخارجية) يوم الأربعاء 8 مارس/ آذار 2003 في مقر الأمانة العامة للجامعة ليدعو الدول العربية إلى التمني أو الضغط كل دولة، وفق تقييمها

للحالة، على أثيوبيا من أجل الأخذ بأي من الحلول الوسط التي على حد ما تراه مصر تحقق مصالح أثيوبيا الاقتصادية من دون الإفتئات على مصائر شعوب دولتي المصب مصر والسودان، موضحاً ما سبق أن أوضحته مصر في شخص رئيسها ووزير الري فيها وأولي الخبرة في قضايا المياه والزراعة "أن هذه القضية محورية ذات أولوية ولها تبعات مصيرية على أمن مصر القومي وأن للممارسات الأحادية على أحواض الأنهار المشتركة مخاطر ويُعد بناء السد الأثيوبي أبرز تجلياتها الراهنة في ضوء الإستمرار في عملية ملء وبناء السد دون التوصل إلى إتفاق قانوني ملزم مع دولتي المصب ويُعد ذلك إنتهاكاً لقواعد القانون الدولي وعدم إلتزام بالبيان الرئاسي الصادر عن مجلس الأمن في سبتمبر/ أيلول 2021".

كان من شأن إغتنام قمة الإتحاد الأفريقي يوم الجمعة 17 فبراير/ شباط في أديس أبابا أن يغتتم الرجل القوي في النظام الأثيوبي رئيس الحكومة أبي أحمد، الذي هو رمز أزمة "سد النهضة"، إنعقاد القمة ويضع أمام القادة المشاركين (35 بين رئيس دولة ورئيس حكومة) تلك الأزمة ويطلب منهم تسوية أفريقية ثابتة للأزمة. وبذلك كان سيبدو حريصاً على أن تأخذ كل من الدول الثلاث: دولة السد (أثيوبيا) ودولتا الجوار (السودان ومصر) نصيبها وفي إطار قانوني (القانون الدولي المكتوب. وقانون الجوار الأخوي).

على مدى ثلاث سنوات والحال على ما هي عليه من التسويف. تتمنى مصر على أثيوبيا أن تستدرك مفاعيل أزمة قد تفرز متاعب ومواجهات وتطلب ثم تطالب أطرافاً إقليمية ودولية ببذل المسعى الذي يضع الأمور في نصابها وبحيث لا يكون هنالك الأمر الواقع. وشمل السعي الإدارة الأميركية في زمن الرئيس ترمب ونظيرتها الروسية وحالياً الزعامة الصينية في شخص رمزها شي جينبينغ. وفي البداية ساد إفتراض بأن رجل أثيوبيا القوي أبي أحمد لا يتجاوب مع أي مسعى يحقق تسوية موضوعية لأنه سيخوض إنتخابات تحقق نتائجها تجديد رئاسته في حال وظف ملء "سد النهضة" وبدأت العوائد تغذي الميزانية الأثيوبية التي أرهقها الصراع العسكري مع الإقليم الخارج على الطوع (تيغراي). ولقد حقق المبتغى لأن نتائج الإنتخابات جاءت لمصلحته وإعتبرها تاريخية. وساد شعور لدى أهل الحكم في كل من مصر والسودان أن روسيا التي واصلت شق الطريق نحو أفريقيا يمكنها بذل مسعى،

وبدأ الرئيس عبدالفتاح السيسي يحذر من مواصلة أثيوبيا عدم حسم الأمور والتجاوب مع إرادات دولية نادرة الالتقاء على موقف موحد تمت ترجمته في بيان أصدره مجلس الأمن الدولي (سبتمبر/ أيلول 2021) يشجع مصر وأثيوبيا والسودان على إبرام إتفاق ملزم وتحديد فترة زمنية لإنجاز ذلك خشية أن يكون هنالك ماطلة.

عند الملء الأول سجلت مصر موقفاً احتجاجياً مقروناً بالتمنيات أن يكون الملء تجربة تشجع على الشروع في عقد الاتفاق. لم يحدث ذلك. وبدأت أثيوبيا في ذلك كمن تريد القول: ألم تحقق مصر عبدالناصر في الخمسينات _ الستينات مكاسب من مياه النيل الذي ينبع من بلدنا وشيدت سد اسوان العالي، وهل كانت تلك الإستفادة موضع إعتراض من أثيوبيا. ولكن سكان مصر قبل نصف قرن كانوا في حدود الأربعين مليون نسمة بينما العدد الآن يتجاوز المئة مليون. وما يصدر من مصر عن إنشغال بال في ما يتعلق بالمياه يوضح كم أن المسألة بالغة الأهمية ليس للزراعة فقط وإنما للإستهلاك اليومي البشري.

خلاصة القول إنه بتوافر حُسن النية تطمئن نفس الجار من جاره كما إطمئنان القلوب بذكر الله.. وما ضاع حق وراءه مطالب مثل مصر ورئيسها عبدالفتاح السيسي الذي خطواته دائماً محسوبة داخلياً وعربياً وخليجياً وإقليمياً ودولياً. كتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 أبريل (نيسان) 2023

جيش واحد.. لا جيشين كما لا "جيوش"

ما هو طبيعي أن يكون لكل دولة جيشها الوطني بتعدد أفرعه أرضاً وجواً وبحراً، وأن يكون هذا الجيش حامي الوطن والذود عن الأخطار الطارئة وأن يكون جاهزاً عند إعلان النفير لكي يؤدي الواجب على الوجه الأكمل، كما يكون تسليحه بالأحدث والمتطور في صناعة السلاح إذا توافرت القدرات المالية.

وعندما يكون الجيش على النحو الذي نشير إليه فإن إستقرار الدولة يتأمن وطمأنينة الشعب تتحقق. ولا تقتصر هذه الطمأنينة على طيف دون آخر وذلك لأن المؤسسة العسكرية مثال على وحدة الوطن حيث الأفراد من كل المناطق وإن كانت هنالك نسبة منطقة تزيد أو تقل عن

أخرى. المهم أن التمثيل شامل، وبذلك تبدو المؤسسة العسكرية وكأنما هي البرلمان الثاني للوطن مع خصوصية تتعلق بالجيش وهي أن الفرد ينفذ أمر القيادة فيما البرلمان ينفذ أمر المناقشة أكثر. أما الذي ليس طبيعياً فهو أن يكون في الدولة الواحدة أكثر من جيش، أو على وجه التحديد "جيش" ثان أو "جيوش" وفي هذه الحال تصبح الدولة في إرتباك ما بعده إرتباك، وينتهي الأمر بالوطن عرضة للمخاطر على أنواعها. كما أن "الجيش" الآخر أو "الجيوش" بتنوع تسمياتها لا تؤدي الدور الوطني المتعارف عليه، وإنما تصبح وسيلة من وسائل الذي يتزعمها للعبور إلى مفاصل الدولة بغرض الكسب أو تحقيق طموحات سياسية، أي بتحديد أكثر دقة يمارس ذلك المتزعم الدور كلاعب سياسي ببدلة عسكرية وقبضة سلاحية وإبتكار "عقيدة" و "مبادئ" نضالية.

ما نشير بالنسبة إلى "الجيش الثاني"، أو "الجيش الآخر" كانت هنالك تجربة لم تكتمل وتتمثل في السبعينات بما سمي "سرايا الدفاع" إبتكرها الرجل الثاني القوي في النظام السوري رفعت الأسد شقيق الرئيس (الراحل) حافظ الأسد، الذي أنشأ هذا "الجيش" بالتسمية المشار إليها على أساس أنها للدفاع عن نظام شقيقه. وخطوة تلو خطوة بات هذا "الجيش" بالمئات ثم بعشرات المئات وصولاً إلى أنه أصبح يتجاوز الخمسين ألف فرد، كما بات مجهزاً بأحدث أنواع السلاح، ويتخذ من الإجراءات والمواقف ما توحي بأن ما يرمي إليه الشقيق رفعت الأسد هو أن يرث شقيقه حافظ بعدما وقف على الحالة الصحية الدقيقة للرئيس الشقيق غير المعلن عنها، وفي ذلك يقتدي بصيغة كاسترو (فيدل) وشقيقه (راؤول) الذي بعد إشتداد مرض شقيقه الرئيس التاريخي تولى الحُكم وبقي يترأس كوبا الدولة والجيش والحزب من العام 2008 وحتى العام 2018، مع ملاحظة أن كرسي رئاسته بدأت تهتز بعد رحيل الشقيق فيديل يوم 25 نوفمبر/ تشرين الثاني 2016 والذي كان السند له الداعم لشرعيته.

لكن ما سعى إليه الشقيق رفعت وخطط لم يثمر وذلك لأن الرئيس الشقيق ولمجرد أن بات الإبن البكر (باسل) في الوضع الذي يؤهله لكي يرث الوالد حافظ قام بخطوة كتلك التي يحاولون حديثاً الأخذ بها في العراق كعلاج لإزدهار "الجيوش" التابعة لتجمعات "ميليشاوية" تملك كل أنواع السلاح وذلك في إدماجها بالجيش الرسمي (الذي جنى على العراق حاكمه الأميركي بريمر بإلغاء هذا

الجيش) مع ما في الدمج من تعقيدات حيث أن عقيدة الجيش الرسمي الوطني تتناقض مع عقيدة "الجيش" الميليشياوية بتنوع تسمياتها وأغراض إنشائها ومن هو المنشئ ومبتغاه.

ولقد تمثلت خطوة إحتواء الرئيس الشقيق (حافظ) لـ "جيش" شقيقه رفعت بأنه أصدر قراراً في العام 1984 وبعدما كان "جيش رفعت" المسمى "سرايا الدفاع" الذي أنشأه عام 1971 بلغ من الشأن درجة المحاذير، يقضي بدمجه في الجيش الرسمي وتحت تسمية "الفرقة الرابعة" التي هي الحرس الجمهوري. وعملياً بات الرجل القوي الثاني في النظام منزوع الشأن كرقم طموح وصعب المراس باحثاً عن شأن جديد له في الحياة العامة. ومن هنا تصويبه نحو التطلعات المدنية كرجل أعمال خارج سوريا. وبقي النظام كما أراده صانعه الرئيس الأب حافظ يورثه إلى الابن الثاني الرئيس بشّار بعد رحيل الابن البكر بآسل في حادث مأساوي وهو في طريقه إلى المطار مسافراً. ومثل هذا التوريث كان ضمن "أجندة" الرئيس (الراحل) صدام حسين وكان الابن البكر عدي إقتبس صيغة "سرايا الدفاع" تحت تسمية "فدائيو صدام" لكن الأقدار كانت مأساوية هي الأخرى حيث عصفت الريح بالصدّامية أباً وابنين (عدي وقصي) ونظاماً كاملاً، وبدرجة أكثر قساوة بكثير من العصف الذي أصاب رفعت الأسد وسراياه.

بعد أكثر من ثلاثة عقود تتجدد الحالة في لوحة السُلطة في العالم العربي، ونجد في هذه اللوحة مشهدين بالغني التعقيد تهدأ أحوال المنطقة العربية في حال إستتباب صيغة جذرية لهما. المشهد الأول يتمثل في أن "الجيش الثاني" في لبنان ونعني بذلك قوات "حزب الله" ذات السلاح والتدريب المتوازي وربما بأهمية ما لدى الجيش الوطني، بدأ كحركة مقاومة في ظروف أوجبها العدوان الإسرائيلي على لبنان، لكنه بات ورقة في يد رمز قيادته تزيد نسبة التعقيد للأمور السيادية عند إستعمالها. وحيث أن هنالك إنفراجاً ملحوظاً في العلاقات السعودية – الإيرانية لا بد سترك مفاعيله على "حزب الله" في لبنان و "جيش" هذا الحزب فإن الآمال معقودة على الأخذ بصيغة الدمج الذي إعتدها الرئيس حافظ الأسد لإحتواء "جيش" شقيقه رفعت، وبذلك يطوي لبنان الإرتباك الذي يعيشه وينطلق من جديد في إتجاه القبول به وطناً مستكيناً بدل إحتوائه وطناً مسكيناً. هنا تستوقفنا المفردات المعدلة

واللافتة في إطلاقات السيد حسن نصرالله ما بعد الإنفراج المتقدم بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية في إيران.

وأما المشهد الثاني فيتمثل في الذي يعيشه السودان منذ سنتين، وهو مشهد قريب الشبه بالذي حدث في سوريا، مع الأخذ في الإعتبار أن الحسم الذي جرى في سوريا وقضى بإحتواء "جيش" الشقيق في الجيش الوطني ليس من اليسير بمكان الأخذ به في السودان الراهن. وعلى هذا الأساس فإن صيغة حُكم الفريقين (بمعنى الرتبة العسكرية) عبدالفتاح البرهان رئيس المجلس العسكري الإنتقالي والفريق محمد حمدان (دقلو) قائد "الجيش الآخر" المسمى "قوات الدعم السريع" سائرة إلى مواجهة هي الأولى من نوعها في السودان الذي أتعبته المغامرات الانقلابية. وهنا تكون ورقة السودان المدني الواقف بثبات وإجماع وصمود إلى جانب شرعية الجيش الرسمي للدولة هي التي تحول دون الصدام الذي في حال حدوثه ستكون حرب الجيشين في السودان جيش الدولة الرسمي والعريق وجيش الظروف الطارئة المسمى "الدعم السريع" كثيرة الشبه بحرب داحس والغبراء في الحد الأقصى وحرب السودان الجنرال جعفر نميري ضد السودان الجنرال جون قرنق في الحد المقلق. ويكون السودان عرضة لما هو أعظم من إنفصال جنوبه عن شماله. والله الولي والمالك والمنع والهادي.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 16 أبريل (نيسان) 2023

مسلسل رمضاني حربي غير مستحب

فاجأ عسكر السودان بجناحيه: التقليدي الجيش الرسمي العريق للدولة، والمساند في ساعات الشدة "قوات الدعم السريع" شعب الدولة شبه القارة وشعوب دول الجوار الأفريقي والخليجي وحكوماتها وكذلك حكومات الدول الكبرى الخمس دون إستثناء، بصراع حربي أكثر ضراوة من تلك الجولات التي شهدتها في الأشهر الماضية أثيوبيا التي خاض جيشها غمار معارك مع الخارجين في إقليم تيغراي على الطوع السيادي للدولة، وإنتهت برجحان كفة الجيش الوطني على "الجيش الأثيوبي التيغراي" الآخر. كما

ثمة بعض التشابه بـ "حرب الجيشين" في ليبيا.

وفق منطق الأمور فإن ما ستنتهي إليه حرب الأشقاء العساكر في السودان هو ما إنتهت إليه الحرب في أثيوبيا.. إلا إذا حدث ما يعكسه التعبير السائد: لكل قاعدة إستثناء.

حدثت "حرب عسكر السودان" بين بعضه الأهم على بعضه المهم في الأيام العشرة الأواخر من الشهر الفضيل (رمضان) وفيما عيون المليار مسلم في شتى ديار الأمتين شاخصة نحو الكعبة المشرفة وساعات الطواف المليونى المبهر ونحو المدينة المنورة التي بات رونق التبرك بزيارة المسجد النبوي الشريف فيها بمثل رونق تأدية العمرة كما فريضة الحج في أجواء من التطوير والتيسير الذي يسجله المرء بإعتزاز للدولة السعودية التي تضيف سنة بعد سنة من التطوير ما يجعل المسلم يؤدي الفريضة هانئاً وشاكراً وحامداً.

وحدثت الحرب في الشهر الذي يصوم فيه المسلم عن حتى الكلام المسمي، وينتظر لحظة غروب الشمس لكي يهناً بيوم الصوم ويخُذ بعد الصلاة والإفطار إلى الترويح عن النفس بمتابعة مسلسلات رمضان ييسرتها له الفضائيات على أنواعها ثم يحمد ويشكر نعمة الله إستعداداً لصوم يوم جديد. وإذا ببني جيشه النظامي من جهة والسريع التدخل من الجهة الأخرى، يقتحمان أجواء المسلسلات بـ "مسلسل حربي" هم الممثلون والمخرجون وأما الشعب الصابر منذ سنتين على ضيم التسويف والتأجيل والمماحكات والوعود التي لا تلقى تنفيذاً فإنه وجد نفسه محاصراً ويتابع بدل حلقات مسلسله التروحي للنفس، جولات من القصف المتبادل بين "جيشي" الوطن الواحد، ولقطات تبثها كل من فضائية "العربية" وفضائية "الجزيرة" ويتملكه الهلع في أعلى درجاته وهو يرى بعض السلاح الجوي للوطن يدخل في المواجهة ثم يستبد عمق الحزن في النفس وهو يرى كيف بات المطار من دون طائرات مدنية ومدرجاته تعرضت للقصف.

يا لهذا المسلسل الذي بطله جنرالان كان الأمل معلقاً عليهما بأنهما وقد طال زمن الأخذ والرد وكثرت جولات التحادث مع "الطيف الثوري المدني" بكل أحزابه ونقاباته وشيوخ قبائل مناطق الدولة المترامية الأطراف، على أنهما سيتخليان عن تطلعات كل منهما إلى الإستئثار بـقمة السُلطة وسيعتمد الجنرال عبدالفتاح البرهان بالذات ما سبق وإن بعد تفكّر بمصائر البلاد والعباد، أن أخذ به

الجنرال الطيب الذكر عبدالرحمن سوار الذهب الذي كان عند حُسْن تقدير الجميع له بعدما سجل كعسكري أمثلة غير مسبوقة، وهي تفضيل رضى الشعب بعد الله على نشوة الإمساك بالسلطة التي تنتهي بالجنرال الذي ينالها سعيّاً أو نتيجة مباحكات السياسيين والحزبيين إما مهاناً أو سجيناً أو قيد المحاكمة. ولنا في المثال على ذلك نهاية تجارب الجنرالات السابقين (المرحومان إبراهيم عبود وجعفر نميري وعمر حسن البشير النزيل في السجن). كما لنا في النهاية المأساوية لعسكريين سعوا جاهدين لتبؤ مواقع في قمة السُلطة خاطروا لتحقيق مبتغاهم ومبتغى حزبهم الشيوعي وزعيمه عبدالخالق محبوب وإنتهى بهم الأمر جميعهم إعداماً (بابكر النور. هاشم العطا. فاروق حمدالله).

من المبكر الوقوف على خفايا أوجبت حدوث هذه الحرب. لكن بعض التأمل في مواقف عربية ودولية إضافة إلى تصريحات من الجانبين، يعطي بداية تفسير لهذه الجولات الحربية، التي ليست جديدة على إخفاق النقايم المدني _ العسكري على مسائل تتعلق بالسلطة والإدارة السياسية للدولة وخصوصاً منها ظاهرة المحاصصة التي تنتهي إلى الصراعات والإحتراب. وهذا حدث على مدى بضعة سنوات في لبنان خلال السبعينات وكانت هنالك جولات من القتال بعدما إنقسم الجيش جيشين ثم جيوشاً، وإنتهى الأمر بلبنان إلى دولة تتطلع إلى نعمة الاستقرار حتى الآن ولا تتأله.

ما يمكن قوله في إنتظار الوقوف على الأسباب الحقيقية والموجبة لإنفجار الموقف حرباً، وفي ضوء ردود الفعل العربية والدولية فضلاً عن موقف أهل السودان، يمكن إيجازه بالنقاط الآتية:

• لقد بالغ الطيف الثوري المدني السياسي في الإكثار من الكلام غير المستحب عن الطيف العسكري وبالذات المطالبة بتسليم السُلطة إلى الحُكم المدني. وهذه الحدة جعلت الطيف العسكري المتمثل بقيادة الجيش يزداد تمسكاً بالسلطة. وقد تكون مجموعة من ضباط الصف الثاني وجنرالات ليسوا في المشهد تشاوروا في الأمر وإطمأنوا إلى أن السلاح الجوي يمكن أن يحسم الأمر في ساعات قليلة إنما بعد التخلص من عبء "قوات التدخل السريع" وأن قائد هذه القوات (حميدتي) عرف بالأمر فقرّر إشعال الموقف حرباً مطمئناً إلى أن علاقاته العربية والدولية تؤهله في حال كسب الجولات، إلى أن يكون هو

الرجل الأول في الحكم.

• اللافت أن الطيف السياسي بكامل أحزابه ونقاباته وقف متابعاً محتاراً ومندهشاً كما أن المناشدات العربية والدولية والأفريقية خاطبت الطرفين بمفردات التكافؤ، أي ليس إقراراً منهم بأن ما يمثلته البرهان يوجب التخاطب فالتحدث معه فقط بحكم منصبه العسكري _ مدني. وهذا جلي في عبارة "تناشد الطرفين وقف الحرب وإعتماد الحوار".

• تجدر الإشارة إلى أنه طوال سنتين بعد إسقاط نظام الرئيس عمر البشير كانت زيارات قائد "قوات التدخل السريع" إلى دواوين عربية ودولية ذات شأن في صناعة القرار أكثر حيوية وكان موضع إستقبال وتحدث في العمق.. وربما وعود وتطمينات مع قادة وحكام زارهم ومنهم الرئيس فلاديمير بوتين الذي لم يزره البرهان.

• من المهم الأخذ في الاعتبار أن العقيدة العسكرية قتالاً وسلوكاً لدى "الجيش النظامي" تختلف عن عقيدة "الجيش المساند". وهذا يتسبب في نشوء حساسيات تؤدي إلى مواجهات أحياناً.

• في الإطار نفسه ربما يكون حميدتي شخصياً أو بإيحاء طرف دولي فاعل له تأثير بالتذكير بأن هنالك تجربة فيديل كاسترو وساعده الأيمن تشي غيفارا حقاً بـ "الجيش غير النظامي" ثورة في المعادلات الحربية. ألم ينتصر "الرفيق" فيديل بدعم رفاق الكرملين في الستينات وحتى تساقط الترويكما بأهون السبل على جيش البلاد وحكم كوبا طويلاً وأورث شقيقه راوول وصدر تجربة تغيير في بعض دول أميركا الجنوبية. وألم يحقق ثوار "هوشي منه" في فيتنام إنتصاراً نسبياً على قوات من جيش الدولة العظمى أميركا؟

• يملك قائد قوات التدخل السريع ورقنتين مهمتين. الأولى إن له سنداً عميقاً من قبائل سودانية. والثانية أنه قادر على أن يقول للطيف السياسي الثوري إن وقفته إلى جانب الثورة ضد النظام ومساندة القيادة العسكرية متمثلة بالجنرال البرهان هما اللتان حسمتا أمر إسقاط البشير، أي إنه من دون "تدخله السريع" كان النظام البشيري "الإنقاذي" سيبتلع الثورة الشعبية ضده.

نختم كإطالة أولى على مفاجأة "الحرب السودانية" (بدأت السبت 24 رمضان. الخامس عشر من أبريل/ نيسان 2023) بالقول إن هذا المسلسل المدمر طوال آخر أيام رمضان، كان ندبة في جبين الوطنية السودانية لعقود من الزمن. وأما حرب رمضان المصرية فكانت نجمة في

تاريخ العسكرية المصرية (العاشر من رمضان. السادس من أكتوبر 1973) تضيء سماء الأمة إلى الآن... وعلى مدى سنوات الصراع العربي _ الفلسطيني المأمول من القمة العربية في الرياض بعد أيام ما هو أكثر من خطوة تقليدية في شأنه.

أعان الله السودان وحماه وهدى عسكريه... وبالذات جنراله السريع ورفيقه الجنرال المتسرع... أو الصفة معكوسة. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 21 أبريل (نيسان) 2023

قراءة في فئان حُرْبِة الجنرالين

رغم مضي بضعة أيام على حُرْبِة الجنرالين (مصغر حرب كبرى كتلك التي يخوضها بوتين للسنة الثانية على التوالي ضد أوكرانيا) كأنها شهر، يواصل الجانبان المنازل ثم يستأنفان بعد هدنة هشة إشعال أجواء الخرطوم وبعض المدن دخاناً يفعل أنواع من القذائف يطلقونها. وما يحفزهما على مواصلة الإحتراب ليس إشتداد السواعد التي تعبت وإنما لأن أهل القرار العربي والدولي لم يحسما الأمر وما زالوا في مواقفهم يطمنون فقط على الجيشين المحتاربين وقف الإقتتال وهذا قرار ضمني بأن المسألة ليست تمرداً أو عصياناً من جانب طيف عسكري مستحدث على طيف عسكري عريق. وحتى رغم ملامسة الإقتتال مخاطر على أجانب ورعايا عرب أمكن إجلاء العشرات منهم في طوافات عسكرية أميركية وألمانية بعد إجلاء في باخرة سعودية إلى جدة ولقي فيها المجلون من عدة جنسيات حفاوة ورعاية وطمأنينة، فإن المواقف العربية والأفريقية والدولية لم تتجاوز التمنيات في إنتظار النتيجة الحاسمة. وفي هذا يبدو أصحاب المواقف مثل الطبيب الذي لم يكتشف علة مريضه عند الفحص الأولي وأرسله إلى المختبر والتصوير الشعاعي بأمل معرفة الداء فيصف الدواء.

والى المواقف الخارجية المشار إليها نجد رموز الطيف السياسي والحزبي في السودان يلتزمون الصمت والإكتفاء بالمتابعة كما سائر العرب والأجانب، من خلال الفضائيات في حال إستقرار التيار الكهربائي على حال

لوقوف على ما يعلنه كل من "الجيشين" عن إنجازاته أو تبثه الفضائيات من صور لجنرالي الحُرْبَة وللمواطنين التائهين الباحثين عن ملاذ آمن، فلا يتداعى الرموز أولئك إلى مؤتمر ينعقد على وجه السرعة ويتخذ هؤلاء موقفاً يشكّل ملامح حل للأزمة التي شاركوا أصلاً في صنعها وأدى ضعف الظروف التي سجلوها والإستهانات بالطيف العسكري إلى ما وصلت إليه الأمور راهناً، والأرجح أن تصل لاحقاً إلى أن مجموعة من ضباط الجيش وبينهم بعض أعضاء المجلس العسكري الواقفين إلى جانب الفريق أول عبدالفتاح البرهان سيخترقون جدار التخطيط الحاصل وتبدأ معهم تجربة إنقلابية جديدة. وهنا يكون رموز الطيف السياسي فوتوا بعدم التعاون في بداية الأزمة فرصة مع المجلس السيادي عدم صمود صيغة المجلس العسكري الإنتقالي ورئيسه الجنرال أحمد عوض بن عوف وإستبدال الصيغة بمجلس يترأسه البرهان ويرتاج الصف المتقدم من ضباط الجيش إلى هذه الصيغة.

إلى ذلك من المهم العودة إلى كلام قيل ماضياً ويساعد في التفسير حاضراً، ونحن كما القراءة في الفئجان نحاول العثور على تفسير لما هو حاصل في السودان على مدى أشهر بالغة القساوة على شعب يكابد بكل أنواع التحمل، بدءاً بـ 19 ديسمبر / كانون الأول عند حدوث شرارة الإنتفاضة على نظام الرئيس عمر البشير إحتجاجات وتظاهرات في العاصمة وسائر الولايات وصولاً إلى يوم الأربعاء 19 أبريل / نيسان 2023 (ما هذه المصادفة للرقم 19) الذي هو يوم إحتراب الجيشين بصيغتيه الرسمية والإنسانية وبرأسيه الجنرال البرهان والجنرال محمد حمدان دقلو (حميدتي). ولقد إستوقفني كمتابع لما يحدث في السودان ماضياً وحاضراً ودائماً وكنت أنجزت كتاباً جديداً لي (صدر في يونيو / حزيران 2020) عن الذي حدث وتحت عنوان "الحاكم إذا إستبد والشعب إذا إنتفض. مشهدة السودان الخائر.. الثائر.. الحائر. من الجهاد الميداني إلى الإجهاد البرهاني"، كلام نقله عن الجنرال حميدتي الذي إستقر التسليم بدوره كشريك للجنرال البرهان وذلك بتسميته "نائب رئيس المجلس السيادي"، زميلنا مراسل "الشرق الأوسط" من الخرطوم أحمد يونس ونشرته الصحيفة في عددها الصادر يوم الثلاثاء 28 يوليو / تموز 2020. كان حميدتي وبصفته التي كانت غير ظاهرة لنا كمراقبين رئيس لجنة الطوارئ الاقتصادية" يعاونه فيها رئيس

الحكومة عبدالله حمدوك (رئيس بالنيابة لها) وتضم في عضويتها عدداً من كبار المسؤولين والوزراء ومهمتها على نحو ما قرأناه في رسالة الزميل أحمد يونس "إستعادة عافية إقتصاد البلاد وإتخاذ إجراءات حاسمة عاجلة لمعالجة إختلالات الإقتصاد". ولقد إستقال الجنرال حميدتي بعد إنتقادات بعض السياسيين لترؤسه هذا المنصب الحساس لجهة فاعليته بإعتبار أنه يعادل في تأثيره محلياً وعربياً وإقليمياً ودولياً التأثير الذي لرئيس المجلس السيادي، بل إن تأثير المال والإقتصاد يتساوى مع تأثير القدرات العسكرية ذلك أنها مستقرة بفعل الاهتمام المالي والإقتصادي بها. لكن حميدتي ما لبث أن إستعاد منصبه البالغ الحساسية عندما يتزامن مع منصبه الآخر قائداً لـ "قوات الدعم السريع".

هذه المكانة للجنرال حميدتي مستمكناً المنصيين المؤثرين نيابة رئاسة المجلس العسكري السيادي ورئاسة سلطة إقتصادية لا يملك البرهان سلطتها كما أنها فوق سلطة رئيس الحكومة حمدوك الذي باعه الإقتصادي الأكاديمي يؤهله ليكون هو المرجع الأعلى لـ رئاسة "لجنة الطوارئ الاقتصادية"... هذه المكانة تعني أنه بات الرجل القوي في المرحلة غير المحسوم مصيرها، وهذا يشعل نفوس بقية أعضاء المجلس السيادي وبالذات كبار الرتبة منهم غيظاً وحسداً مكتومين إلى حين.

ما قاله الجنرال حميدتي في كلمة ألقاها أثناء حفل لبدء تصدير طنين من الذهب وتتشين "بورصة الذهب السودانية" يفسر في ثنايا بعض العبارات لمحات من "حُرْبَة الجيشين" بدءاً من الأربعاء 19 أبريل 2023 والمتواصلة نيران أسلحتها الخفيفة والثقيلة.

في الآتي عبارات وردت في الكلمة التي ألقاها الفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي) بالصفينتين المزدوجتين: نائب رئيس المجلس السيادي ورئيس "لجنة الطوارئ الاقتصادية" مع ملاحظة أن هذه اللجنة إنشئت بعد إنقضاء بضعة أشهر على تسلّم الثنائي العسكري "الجيش" برئاسة البرهان و"قوات الدعم السريع" برئاسة حميدتي. وهذا يعني أنه بورقة شأنه في عملية التغيير ووفق المحاصصة في المسؤوليات _ المناصب طلب أن يكون مركز الشأن الإقتصادي للدولة في يده وبكامل الصلاحيات ما دام رئيس الحكومة تحت إمرته وبتسمية "رئيس مناب" وهي تسمية منتقاة بدقة بمعنى أن لا نيابة له وإنما مجرد تكليف.

ما قاله الفريق أول العسكري _ الاقتصادي حميدتي
بالفصحى والعامية:

• "البلد تسيطر عليها "مافيا" بل عصابة كبيرة جداً.
ويجب أن نحاربها لأن البلد لن يتقدم. هم عاملين فيها
أشراف ونظيفين لكنهم حرامية ومجرمين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 أبريل (نيسان) 2023

موسم النزوح من السودان

أفرز حجم المواجهة المستمرة في السودان الملتبسة
الدوافع حتى إلى حين بين الجنرالين المتحالفين بداية
المتحاربين لاحقاً عبدالفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو
(حميدتي) محطات وأمثولات ينطبق عليها القول "رب
ضارة نافعة" فقد عكست المواجهات النوايا الشخصية
لكليهما بعدما كان الإنطباع الذي ساد أنهما بإنحيازهما
إلى ثورة الإحتجاج المدني ضد نظام البشير يضحيان
لمصلحة الشعب. وأما بالنسبة إلى الطيفين المدني
والعسكري على حد سواء فإن ما حصل نتيجة التشبث
بالرأي والعناد إلى جانب الشراة عند سرد المطالب
وكذلك التسوية وعدم الإلتزام بالوعد من هذا الطيف مرة
ومن ذاك مرات، فإن ما ينطبق عليهما أوجزه في الزمن
الغابر الشاعر بالقول "رب يوم بكيت منه فلما صرت في
غيره بكيت عليه".

كان عدم الإصغاء إلى تمنيات عربية ودولية وإقليمية
بالجنوح إلى التهدئة عوض مواصلة القصف والتسبب في
قتلى وجرحى وتدمير، هو أبرز المحطات، وبالذات بعدما
بات جلياً للعيان إن هنالك ضحايا بفعل قذائف من طيف
هذا الجنرال ضد طيف الجنرال الآخر وكما لو أن كلاً
منهما ليس سودانياً إبناً عن أب عن جد، وكما لو أن
الذي إنتهى جثة على طريق ليس من أبناء الوطن الواحد،
مع أن مجرد كشف هذه الحقيقة المؤلمة من جانب
فضائيات سجلت مشاهد لها توجب على كل من الجنرالين
ما دام مسلماً أن يوقف مغامرته العبثية ولا يترك جثثاً
تتغفن تحت وطأة شمس حارقة وصلت درجة الحرارة إلى
ما دون الأربعين بقليل. كما يستوجب الأخذ بإستراحة
محارب أن عشرات المراكز الصحية والمشافي باتت

عاجزة عن مداواة الجرحى ثم أقفل البعض الباب أمام
مصابين كثيرين تجمعوا أمام مباني هذه المشافي أملاً
بالمداواة.

الدواعي الموجبة للأخذ بالهدنة تلو الهدنة كثيرة، وهي
تعكس ثقة المقاتل بنفسه لمن يأخذ بها في حين أن
التهاون في شأنها يعني أن الطرفين في خشية أن يوقع
الأحد منهما بالآخر، وهذه ليست من شيم الجنرالات التي
تليق الأوسمة بصدورهم والنجوم على أكتافهم.

كثيرة هي المحطات المأساوية التي عصفت بالسودان
منذ أن ضاقت الصدور قبل أربع سنوات بنظام بدأ متأثراً
إلى حد بتجربة الإمام الخميني في إيران وإعتمد "إمامه"
الشيخ الدكتور حسن الترابي على ضباط في المؤسسة
العسكرية لتثبيت دعائم هذا النظام وترئيس عمر البشير
الذي تخلص مبكراً من عبء الوصاية الترابية عليه.
وإعتمد الجنرال البشير صفة "الإنقاذ" طوال سنوات ترؤسه
نافضاً باليد العسكرية القابضة الترابية الإستراتيجية، وفي
ظنه أنه بـ "الإنقاذ" شعاراً دائماً للحكم يوم رئيساً مدنياً
عسكرياً في الحكم بأكثر مما دام السابقان (الراحلان)
جعفر نميري بعد إبراهيم عبود: جنرالان إعتبر كل منهما
الطيف السياسي المدني ورقة في شجرة النظام وليس
شريكاً يستأنس برأيه ويناصفه القرار. وتلك شرعة
الجنرالات عموماً عندما يحكمون مستأثرين. في أي حال
جاء الإختبار البرهاني _ الحميدتي بمثابة أمثلة من
مصلحة الطيف المدني السياسي الأخذ بها فلا يبقى هذا
التباغض فالتنافر فالإقتتال على النحو الذي إفترض
كثيرون أنه سيكون مجرد جولة إختبار للشأن فإذا به
يتحول إلى إحتراب دام أيام وليس واضحاً في الأفق كيف
ستكون النهاية. كما ليس واضحاً بعد أمر القطبة
الإسرائيلية المخفية.. والمخيفة في هذا الذي حدث وما
زال.

وأما أبرز الأمثولات فهي أن صراع الجنرالين غير
المبرر وغير المطالبين أصلاً بخوضه من جانب الشعب
السوداني أفرغ السودان في أسبوعين من عشرات الألوف
من أشقاء وأجانب لم نكن نعتقد بأن هذا البلد العزيز على
بني أمتيه بات مقصد مئات الألوف العرب من المحيط
إلى الخليج ومقصد عشرات الألوف من شرق العالم وغربه
وصولاً إلى روسيا والصين والهند قِمَوا إليه من أجل
تطويره وتعويضه بالتالي إنفصلاً حقه نظام البشير
"الإنقاذي" حيث بات هنالك سودانان أحدهما في الجنوب

أنها هبة أرادها المولى لعباده وليس لأحد الحق التلاعب بها... وبالذات إذا كان جنراً تفكيره مغيب وإصبعه على الزناد.

لو كان الطبيب صالح ما زال بيننا يترأى كل منا في رحاب مكاتب "الشركة السعودية للأبحاث والتسويق" في حي "هولبورن" - لندن وعلى هامش لقاءاتنا في مكتبي في مجلة "التضامن" المجلة التي كنت أصدرها في لندن، وفي رحاب الجندارية في الرياض ورحاب مجلس الغائب الحاضر الشيخ عبدالعزيز التويجري رحمة الله عليه.. إن الطبيب لو كان لم يرحل مأسوفاً عليه إنساناً راقياً وكاتباً روائياً متميزاً لكان رفد دنيا الثقافة العربية برواية جديدة بتسمية "موسم النزوح من السودان" إلى سابقتها "موسم الهجرة إلى الشمال" يستوحىها مما حدث.. بل ربما لو صوّف إنه كان في زيارة إلى الأهل والأحباب في السودان عند حدوث مواجهة الجنرالين، لكان هو الآخر أحد النازحين على متن باخرة سعودية في الطريق إلى مدينة جدة التي لها في خاطره ما للعاصمة الرياض من ذكريات وجدانية عميقة.

والله الحكم والعدل.

صحيفة «الشرق الأوسط» - الثلاثاء 2 مايو (أيار) 2023

موعد مع قمة التيسير

ثمة ملامح حراك إيراني تجاه الجار العربي الودود وأيضاً تجاه المستقر الأميركي اللدود توحى بأن أهل الثورة الإيرانية على أهبة البدء بعملية إعادة نظر متدرجة للرؤى وطبيعة التعامل مع القضايا الشائكة والمفاجآت التي تتوالى وتكرر الصفو الذي كانت عليه في حقبة عقدين من السنوات الحافلة بالتحديات. ولا بد أن واقعة 2 مايو التجبيرية على قباب الكرملين تندرج ضمن ذلك الحراك والتي رغم بساطة تأثيرها المادي تبقى قريبة الشبه من حيث التحدي بواقعة 11 سبتمبر التي هزت كبرياء رئاسة جورج بوش الابن وإلى درجة إبقائه في عزلة أمنية لكثير من الوقت خشية أن تصيبه ورموز رئاسته وحزبه الجمهوري مكاره وإغتيالات.

وقد تبدو الواقعة التي أصابت الكرملين في الرأس

استقر بعد صراع قبلي وآخر من شأن الاستقرار تثبيت تماسكه وعدم بعثرة سائر المناطق.. وبالذات غربه الذي لا يستقر على حال.

ومن الأمثولات التي تعكس مدى أهمية الشهامة في تطبيب خواطر الخائفين النازحين هي تلك التي شاهدنا عبر الفضائيات نماذج منها وتتمثل في ملامح الفرع على وجوه الألوف من النازحين ومن كل الجنسيات الذين نقلتهم بواخر سعودية من ميناء ميناء بور سودان، ووجدوا إستقبلاً في ميناء جدة خففت من الهلع في النفوس تلك الوفاة الطبية المقرونة بعبارة الحمد لله على السلامة وبالوردة لكل نازح مع قطعة حلوى وإستراحة لبعض الوقت في فندق تمهيداً للمغادرة جواً كل إلى وطنه. ولقد إعتدنا على الميناء الجوي (مطار جدة) يستقبل في مواسم الحج والعمرة عشرات الألوف من ذوي البشترات المتنوعة البيضاء والسمراء والسوداء والصفراء. ثم هذا الميناء البحري للمدينة إلى جانب الميناء الجوي يكتسبان صفة مينائي الأمن والطمأنينة للنازحين.

ولقد كنا نتمنى ألا تصل الأمور لدى الجنرالين إلى ما وصلت إليه فلا يرتبط إسماهما وصفتهما العسكرية بأتهما السبب في إفراغ السودان ليس فقط من أجانب وأشقاء يساعدون في تدميره وإنما أيضاً من عشرات الألوف من بني قومه بدليل هذا النزوح الألوفي لسودانيين إلى جانب أشقائهم المصريين العاملين في السودان، والترحيب بهم في وطنهم الثاني مصر المحروسة.

يصعب القول عما إذا كانت الجراح ستتدمل ويأخذ الجنرالان الحالمان بالسلطة التي ذاق كل منهما طعمها على مدى سنين بالحكمة القائلة "ما دامت لغيرك حتى تدوم لك".

كما يصعب الإفتراض بأن الذين نزحوا سيعودون. فالعودة رهن بالثقة التي أصابتها شظايا الرصاصات الجنرالية. ونقول ذلك في ضوء تجربة قاسية عاشها اللبنانيون قبل نصف قرن دام الإحتراب المشابه لجزئية من الإحتراب السوداني الراهن بضع سنوات وتسبب في أن النزوح حدث لعشرات الألوف. وها هو لبنان ضائع حتى الآن منذ ذلك الإحتراب وذلك النزوح.. تماماً كضياح سوريا وضياح ليبيا وضياح العراق وضياح أخواننا الفلسطينيين في "وطنهم" أو "دولتهم" غزة ورام الله، في إنتظار النزوح المعاكس بدءاً بالسودان أي التعامل مع سلامة الوطن على أنه القضية ومع سلامة المواطن على

التخاطب بدأ الحوادث وسيستطوّر. فالرئيس الإيراني ومن قبل زيارة سوريا بأسبوعين (الثلاثاء 18 أبريل 2023) هدد إسرائيل بـ "تدمير حيفا وتل أبيب رداً على أدنى تحرك ضد إيران" وطالب في الوقت نفسه "القوات الأجنبية خصوصاً القوات الأميركية بمغادرة المنطقة على وجه السرعة". لكنه تفادى مثل هذه المفردات خلال زيارة سوريا مع أن على الأرض السورية قوات أميركية وروسية وكذلك هناك إستهداف متكرر من جانب الطيران الإسرائيلي لمراكز عسكرية إيرانية ولا يرد عليها على نحو تحذير الرئيس الإيراني.

ما يجاز قوله إن رؤى الحكم الإيراني بعد اللقاء التاريخي الأمني الثلاثي في بكين ثم الدبلوماسي الثلاثي الذي تلاه في بكين أيضاً لم تعد كما طبيعتها ماضياً. كما أن الخطوتين السعودية _ الإيرانية _ الصينية أمنياً ثم دبلوماسياً أفرزتا مستويات من المحادثات واللقاءات أحدثت التطورات السودانية المستهجنة بعض الإرتباك فيها. لكن الأساس ما زال قوياً. وما دامت هذه حاله فإن المنطقة العربية _ الإيرانية على موعد مع ملامح بداية فجر جديد يبرز من القمة العربية الواعدة في الرياض بعد أيام والتي قد يرى راعيها ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ومضيفها وراسم رؤاها المستقبلية ولي العهد الأمير محمد بن سلمان أن تكون قمة العرب إسماعاً وهدفاً وأول قمة عربية ترسم خارطة طريق لتسع وخمسين سنة آتية تبلور مسيرة عمل عربي مشترك بدأ في قمة 1964 وما كانت لتتوقف وتطفئ الأمة بعض الثمار الطيبة منها لولا أن المبادر كان من الذي، كما الأمير محمد بن سلمان، ينطبق عليهم القول الشعري "على قدر أهل العزم تأتي العزائم" والذين هم من حافضي قول الرسول صلى الله عليه وسلم "يَسْرُوا وَلَا تَعْسِرُوا وَيَسْرُوا وَلَا تَتَعَسَّرُوا.... والله خير سند لأصحاب الرؤى المستقبلية والنوايا الطيبة.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 11 مايو (أيار) 2023

الإبن ياسر سر أبيه هاشم

عادت بي الذاكرة وأنا أقرأ بكثير من التمعن إجابات الفريق ياسر العطا في المقابلة المتميزة التي أجراها معه من لندن الزميل عيدروس عبدالعزيز إلى حالة واكبث

شكلاً مثل هزة أرضية خفيفة لم تصل إلى مستوى الزلازل التي عصفت بتركيا وسوريا فأحدثت تشققات بالذات في أجندة مخططات الرئيس أردوغان الحالم بدورة رئاسية جديدة يحقق فيها ما صعب عليه تحقيقه لجهة قضم الإرادة الليبية وثبتت إستحواده على بعض أرض سوريا وإستعادة موطىء تأثير لورقته "الإخوانية" يعتمد عليها بنداً ضاغطاً على أهل الحكم في مصر، وهو تأثير كاد يناله في زمن إمسالك اليد الإخوانية برئاسة مصر وسائر مؤسساتها ثم إذا بالسر ينقلب أسوأ منقلب على الساحر وتتجو مصر من مصير كان من شأن عدم تهاوي تلك التجربة أن يصيب المحروسة ماضياً ما أصاب راهناً الجار السوداني السيء الحظوظ والذي كُتب عليه أن لا يستقر ولا ينعم بذهبه وبعوائد قطنه وسمسمه ولا يرتوي بما فيه الكفاية ويروي زراعته من مياه نيليه.

ولا بد أن الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي عدل في مفردات تخاطبه مع الرئيس بشار الأسد بعد المفاجأة التي أصابت حليفهما الدولي، فهما يتبادلان الخشية من علو سقف رد الرئيس بوتين متجاوباً مع تحريضات سلفه ميديفيد، على هذا التحدي الذي أصاب كبرياهه بضرر يفوق بكثير الضرر المادي الذي شاهده المملأ الروسي والدولي. وبصرف النظر عما إذا كان الفاعل والأمر بتوجيه المسيرتين تعمّد إختيارهما من صنع صيني لتبتهيت دور متعدد الأهداف والأقطاب ويريد بنسبة أكبر إظهار الزعامة الروسية بأنها ليست محصنة ويمكن إهانتها معنوياً على أهون حال، فإن خشيتهما (رئيسي والأسد) واردة على أساس أن الرئيس بوتين بإفتعاله رداً على إهانة إستهداف الكرملين بالمسيرتين يكون بثقل الإهانة نفسها، سيُخرج حليفه السوري والإيراني لأنهما في هذه الحال مطالبان بموقف مؤازر له. وهذا لا يتناسب مع ما يبدو أن سوريا وإيران على أهبة البدء بعملية إعادة نظر ترتاح لها الولايات المتحدة ودول أوروبا عموماً.

ولعل المفردات التي وردت في مخاطبة الرئيس الإيراني لحليفه الرئيس بشار الأسد وبالذات التتويه بالخطوات التي يتم إتخاذها من جانب الدول العربية بهدف إستئناف سوريا المكان والمكانة في محيطها العربي، من أبرز المؤشرات إلى أن أهل الحكم الإيراني يريدان من خلال لقاء سيادي جرى في طهران بين رئيس الجمهورية العراقية ورئيس الجمهورية الإيرانية سبق لقاء الرئيس الإيراني بالرئيس بشار الأسد في دمشق، التأكيد بأن تعديلاً جوهرياً في مفردات

ظروفها في الخرطوم قبل أربع وأربعين سنة وتحديداً في يونيو/ حزيران من العام 1973.

ولاستفادة من الذاكرة دواعيها، ذلك أن موضوع الحالة متشابه من حيث الرابط العائلي ومن حيث الرؤية السياسية. ف "العطا" أي الفريق ياسر عضو مجلس السيادة السوداني هو والد "العطا" الآخر أي الرائد هاشم العطا المنقلب على نظام الرئيس (الراحل) جعفر نميري الذي قاد إنقلاباً بمجموعة من الضباط (برتبة رائد) كلاهما الوالد ماضياً والإبن راهناً متعاطفان مع اليسار السوداني وبالذات مع الحزب الشيوعي الذي كان ماضياً ولاحقاً ما زال حاضراً دون سائر الأحزاب الشيوعية في العالم العربي دائم التحليق في أجواء الوطنية السودانية ورحاب المسائل الإيمانية الدينية العميقة الجذور في ثقافة الإنسان السوداني.

أبدأ بالراهن من دواعي الإستحضار وأضع خطوطاً تحت إجابة الفريق ياسر العطا عن أسئلة طرحها بكثير من الحسبان زميلنا عيدروس في المقابلة المنشورة في عدد يوم الخميس 11 مايو/ أيار 2023 من "الشرق الأوسط" (التي باتت أكثر زهواً وبات شعارها "صحيفة العرب الأولى" من دون إنتفاء حضورها الدولي الرحب مكاناً ومكانة) وهو اليوم الذي كانت الحداقة الدبلوماسية الأخوية السعودية تبلغ مدى ملحوظاً في الحرص من جانب أخ مستقر نحو أخ إبنثلي بصراع جنرالين، تمثلت بالمشهد الذي ينشر أجواء من الطمأنينة ويمثل نائب وزير الخارجية السعودية يتلو بياناً حول خطوات أولية تحققت في إجتماع مدينة جدة بين من يمثل "الجيش السوداني" ومن يمثل "قوات الدعم السريع" وكل منهما متباعد وباللباس المدني. وكان الحادبون على السودان كما شعب السودان الذي ما زال يكابد لظى إحتراب الطرفين يتمنون لو أن محادثات الإجتماع الطيب نسبياً إختتمت بمصافحة على الطريقة السودانية.. أو حتى مصافحة فاترة تبشر بما هو مدعاة للطمأنينة. ليت الإثنان إستحضرا تلك المصافحة السعودية _ الإيرانية _ الصينية الأولى ثم الثانية في بكين وماتلا اللقائين والتصافح من نتائج وفاقية مرجوة.

في إجابات لافئة قال الفريق ياسر العطا عند التطرق إلى دور الأطياف السياسية وتحييد "الحزب الشيوعي" و "حزب البعث" عن بقية سائر القوى الحزبية والسياسية: "الحزب الشيوعي كان على حق عندما أطلق عليهم (أي

"قوات الدعم السريع") إسم قوى الهبوط الناعم. وأما الاتفاق الإطاري فإنه أتى لخدمة المجلس المركزي (للحرية والتغيير) لإقصاء الآخرين والسيطرة عليهم والإفراد بالسلطة. بعد الحرب، بإذن الله سندعو المجلس المركزي والكتلة الديمقراطية والحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الإشتراكي والشعبي والإتحاديين وأصحاب الإتفاقيات السابقة للتشاور معهم فإن إتفقوا دون إقصاء ودون تلاعب بالوطن وأمنه فمرحباً وإن لن يتفقوا فسنعين حكومة تصريف أعمال مقتدرة لمدة سنتين وسنطلب بعثة رباعية مشتركة من الأمم المتحدة والإتحاد الأفريقي ومنظمة إيقاد والجامعة العربية لإدارة وتنظيم انتخابات عامة في البلاد....".

هل ما قاله الفريق العطا هو موقف المجلس السيادي؟ وهل هذا التركيز على أطياف حزبية يعينها يعني تهميش بقية الأطياف الحزبية العريقة وبالذات الأحزاب التي ذات عمق شعبي وبمسحة تدينية وتحديداً "حزب الأمة" و "الحزب الإتحادي" الذي له عدا طائفته (الختمية) عمقه المصري ومن دون أن تتأثر أعمدة بنيانه بالعهود الرئاسية في مصر. هذا إلى الحركة الإسلامية التي لم يؤثر بشكل عملي تهاوي سلطانها البشري بسقوط رئيسها.

من المبكر الإجابة الجازمة. كما من المبكر الإفتراض أن الفريق العطا يعد العدة المتأنية لمرحلة ما بعد حسم الصراع الراهن وأنه بما يقوله يمثل رفاقاً له في مجلس السيادة الراهن وفي المؤسسة العسكرية عموماً. وهو عندما لا يترك قذيفة كلامية موجعة لا يقولها في رده على بعض أسئلة في المقابلة معه وتستهدف الخصم المعارك الفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي) وتشمل القذائف المشار إليها أوصافاً ندر أن قالها ضد بعضهما من هما بالرتبة العسكرية نفسها (الفريق) ومن كان حتى الأمس القريب أحد رأسي مواجهة حاسمة، فهذا مؤشر إلى أن في أفق الصراع الحربي جولات سيأخذ تيار آخر في المؤسسة العسكرية دخول الميدان قوة ثالثة عسكرية مدنية أوجز رمز هذا التيار (الفريق ياسر العطا) ملامح هذا الصراع مستتداً في ما هو طي النوايا حتى إشعار آخر، إلى المساندة الشعبية الثورية (الحزب الشيوعي وحزب البعث) والحركة الناصرية والأطياف الشبابية التي أبنعت رؤاها في سنتي الحراك الذي إنتهى بإسقاط نظام الرئيس عمر البشير من دون التمكن من إجتثاث كامل لقواعده وخلايا قواعده الشعبية والعسكرية الإسلامية العقيدة. ومثل هذا

الإحتمال التحالفي العسكري _ المدني الذي أُلحح إليه الفريق العطا سبق أن إعتدده نظام الرئيس نميري في سنته الأولى عندما إختار شخصيات من اليسار والناصرية شركاء لجعل لوحة ثورته تلقى القبول الشعبي، لكن سرعان ما هبت الريح ثم عصفت، وكان الذي كان على أيدي زعامة الحزب الشيوعي (عبدالخالق محبوب) ورفاق سلاح منهم الرائد هاشم العطا أحد ضباط "ثورة 25 مايو 1969" ومعظمهم برتبة رائد فيما رئيسهم نميري برتبة عقيد.

وهنا تأتي الإضاءة على العطا الأول الرائد هاشم الذي إعتبر العون الشيوعي ييسر أمر الإمساك بالسلطة وهذا ما قرأناه بعد إثنين وخمسين عاماً بين سطور إجابات الفريق ياسر العطا.

في ذلك الزمان الغابر حدثت محاولة إنقلابية ضد نظام مايو قام بها بتخطيط من الحزب الشيوعي وقائده عبدالخالق محبوب مجموعة من الضباط كان الرائد هاشم العطا أحدهم. ضابط في الخامسة والثلاثين من العمر تدرج عسكرياً وأكاديمياً في دورات في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا. وفي الأخيرة شغل منصب ملحق عسكري. وشاءت الظروف أن تجمعني بهذا العسكري المقدم جلسة نقاش رحب شارك فيها زملاء له هم خالد حسن عباس وأبو القاسم هاشم وزين العابدين عبدالقادر وأبو القاسم محمد إبراهيم ومأمون عوض أبو زيد (جميعنا متقاربون سناً) سبقت لقاءاً بالرئيس نميري روى لي ما كان مجهولاً بالنسبة لي كصحافي أخذ الموضوع السوداني الكثير من إهتمامه ومتابعة موجات الصعود والهبوط في مساره السياسي وعهوده المدنية ثم المدنية _ العسكرية، كإعلاميين عن الحركة الإنقلابية بمعاونة الضباط المشار إليهم ومن بينهم الرائد هاشم العطا، ومن دون أن يخطر في بال أحد أن رفيق السلاح سيحتجزه في القصر الرئاسي بعد سنة وبضعة أشهر.

كان العطا الأب وثيق الصلة بالحزب الشيوعي وزعيمه عبدالخالق محبوب، وحاول مع ضباط آخرين يلتقون معه في تعاطفهم مع الحزب وأبرزهم المقدم بابكر النور والرائد فاروق حمدالله تنفيذ حركة إنقلابية كادت تنجح لولا أن حراكاً مفاجئاً لمصلحة نميري الذي كان قيد الإحتجاز في القصر الجمهوري أثمر فك الحجز الذي فرضه عليه "رفيق ثورته" الرائد هاشم العطا، والتقى مع إحتجاز العقيد معمر القذافي الركنين الآخرين الأتيين

من أوروبا فاروق حمدالله وبابكر النور. وللأسف الشديد طغت نوازح الإنتقام لدى نميري على سماحة الترفق بالثلاثة الذين هم من خيرة الضباط في الجيش السوداني وتم إعدامهم، فيما رموز الأحزاب السودانية التقليدية تتصرف بصفة المتفرجة وليس المعترضة مسجلاً في كتاب المؤسسة العسكرية نوعاً من الشغف بالإحتراب والثأر والضغينة على نحو ما عشناه ماضياً ونشهده حالياً ويتوالى إستيلاداً.

وفي هذا الإطار نتساءل: هل إن ما قرأناه في بعض فقرات إجابة العطا الإبن (الفريق ياسر) مشاعر ثأر دفين وينتظر الفرصة المناسبة لتحقيقه، وبذلك يبرأ جرح اللوعة في نفسه على والده هاشم الذي ما كان للرئيس (العقيد جعفر نميري) أن ينفذ فيه حُكم الإعدام، لأنه أي نميري كان هو الآخر متأمرراً على نظام حُكم قائم، والذي أيضاً كان من الواجب ضميرياً وإنسانياً أن تتحرك الزعامات لعدم تنفيذ إعدام قيادات عسكرية وسياسية ونقابية كانت سنداً وشريكاً لهذه الزعامات في إسقاط الفريق إبراهيم عبود عام 1964 (كان يومها ياسر العطا طفلاً بعمر سنتين).

في ماضي أيام السودان العسكري تجارب كثيرة، لكنها تبقى بسيطة أمام تجربة الإقتتال الذي ما زال يتوالى فصولاً وإشكالاً بين جنرالين لن يكون في إستطاعة أي منهما قطف ثمار ما فعلاه. وهذا في إنتظار إقتحام الميدان من جانب طرف ثالث. وعند قراءة ما بين سطور إجابات الفريق ياسر العطا (الذي هو سر أبيه هاشم) تخطر عند التأمل في المشهد العبثي احتمالية إفتراض حدوثة.

لهذه التأملات والقراءة في سطور راهنة وسطور مضت بقية كلام. أعان الله السودانين الصامدين الصابرين وأعاد النازحين منهم إلى ديارهم.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الأحد 14 مايو (أيار) 2023

بداية عهد جديد لصيغة القمة العربية

سبعة وسبعون عاماً متخمة بالتحديات عاشتها الأمة بين 1946 عام أولى القمم العربية التي كان قص شريط الإفتتاح

والإستضافة والمكان لها ملكياً بإمتياز ، وأحدث هذه القمم يوم الجمعة 19 مايو/ أيار 2023 التي الإستضافة ملكية مقرونة بالحرص على إستعادة المشهد العربي وقد خلا من معوقات بفضل رحابة صدر المضيف الدائمة دعواته إلى التآلف وتصفير النزاعات وإعتبار الغوث واجباً من غير طالبيين له.

في رحاب سلمان بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين والملك المغيث لكل نازلة (أحدثها سوداني) تصيب شعباً جزاء مغامرة إنقلابية غير مبررة أو صراعات على سُلمة بفعل عراك بعد كثرة تخاطب وفق ما يوجزه القول المأثور "الحرب أولها كلام" إلنقى أولياء الأمور في الأمة المثقلة بالهموم والتحديات على أنواعها، مطمئنين إلى أن القمة العربية الثانية والثلاثين هي دورية وتقليدية من حيث التوافق ماضياً على إنعقادها دورية (مرة في ربيع كل عام) لكنها إستثنائية بإمتياز من حيث دورة مكان الإنعقاد ومضيف الجمع الأخوي. وهي إستثنائية بمعنى أن تجربة رؤى الملك سلمان لمثل هكذا مناسبة وإسناد الأحمال الثقيلة إلى ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان كانت في إستمرار لافتة من حيث أن القمم جرى إنعقادها في رحاب المملكة العربية السعودية بين الرياض والعللا وجدة أثمرت خطوات نوعية على طريق تصفير متدرج لتوقعات في بعض الأحيان عاشتها دول في الأمة، وأيضاً على طريق إبهار الدول العظمى بأن القرن الواحد والعشرين لم يكن حكرأ عليها جهة لجهة وضع الإستراتيجيات وتنفيذها وإنما لا بد من المشاركة في تبادل الرؤى وفي تحديد معالم الطريق.

ومثلما أن مايو/ أيار من العام 1946 كان شهر وضع حجر الأساس لبناء كيان عربي يلتقي في رحابه أولو الأمر يتشاورون ويتكاتفون فلا يعود التغريد أحادياً وإنما موحداً، فإن مايو/ أيار من العام 2023 يأخذ المنحى نفسه وتلك في أي حال مسألة لافتة من حيث مصادفة إنعقاد القمة الأولى المتمثلة بملكين (فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان ودارفور، وعبدالله ملك شرق الأردن) وثلاثة أمراء: عبدالإله الوصي على عرش العراق وسعود ولي عهد السعودية وعبدالله نجل ملك اليمن الإمام يحيى، ورئيسان شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وبشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية). وإنعقاد القمة الأحدث في الشهر نفسه 19 مايو 2023.

وفي السياق نفسه لجهة أهمية قمة جدة في تنقية الأجواء

وإعادة النظر في عشر سنوات ضاقت فيها النفس العربية بندرة التشاور ونزوع البعض إلى إتخاذ خطوات أضرت أكثر مما حققت لمتخذيها ما يضمره من مكائدات، أن هذه القمة بمستضيفها غير التقليدي رأى ما سبق أن رآه الرئيس (الراحل) جمال عبدالناصر قبل 59 سنة عندما وجد أن من واجب رئيس الدولة العربية الكبرى النظر ملياً في أحوال الأمة وإذا كانت هنالك عثرات أو إجتهدات تحتاج إلى إعتداد كتم العتب أو حتى تصويب مسار فليكن ذلك على نحو ما يكمل ما سبق أن بدأه الملك فاروق. ومن هنا جاءت قمة القاهرة (13 _ 17 يناير 1964) بدعوة من الرئيس عبدالناصر تتلج بعد إنعقادها على مرحلتين الأولى في القاهرة (13 يناير 1964) والثانية في الإسكندرية (5 سبتمبر 1964) بمثابة تثبيت صيغة القمة العربية لكل الدواعي من العتاب إلى المصالحة إلى التشاور فالتعهد فالإتفاق فنجدة عثرات الكرام عند حصول كوارث من الطبيعة أو نتيجة نوائب أنتجت خيارات غير محسوبة وتفتقد إلى التشاور من دون أن يمنع ذلك تقديم العون وبصيغة الواجب الوطني على نحو ما عشناه في قمة الخرطوم سبتمبر 1967 التي كانت بداية إستنهاض لعثرات أصابت الأمة في الصميم.

بات الملوك والأمراء والشيوخ والرؤساء من مدنيين وجنرالات من العهدين الأول الملكي ثم المصري لمؤسسي صيغة القمة العربية في ذمة الله: الملك فاروق. الملك عبدالله. الأمير عبدالإله. الأمير سعود. الأمير عبدالله يحيى. شكري القوتلي. بشارة الخوري. جمال عبدالناصر. أحمد بن بيللا. عبدالسلام عارف. الحبيب بورقيبة. الفريق إبراهيم عبود. الفريق أمين الحافظ. الأمير فيصل بن عبدالعزيز. المشير عبدالله السلال. الأمير الشيخ عبدالله السالم الصباح. شارل حلو. الملك إدريس الأول. الأمير عبدالله شقيق الملك الحسن الثاني. أحمد الشقيري. كان الزرع عموماً جيداً. بعض التأمل في البداية ثم إبتكار الصيغة وتطويرها وفق أحوال الأمة دولة دولة.

ما بعد الجبل الذي أسس كان الجبل الذي واصل. وها هي الأمة بدءاً من القمة الثانية والثلاثين تريد القول للعالم وبالذات للدول الكبرى بأن للأمة رب يرعاها وقيادات إذا عزمت توكلت. ولها كبير الأمل بالملك المغيث وولي العهد الماثب. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 20 مايو (أيار) 2023

خارج النص.. والأصول.. وبُعد النظر

ما أن غمرت النفوس العربية نسائم الطمأنينة بعد الذي حققته قمة جدة يوم الجمعة 19 مايو/ أيار 2023، وبالذات نفوس المبطلين بالصراعات والخلافات والشراهة لدى بعض أقطاب السلطة إزاء جمع الثروات أو حتى نهبها والإقطاعات الحزبية التي توالي الغريب على حساب الوطن، حتى إرتسمت في الأفق حالتان خارج النص وخارج الأصول وخارج قواعد بُعد النظر.

في البداية كان التصرف الإسرائيلي لجهة إقتحام المسجد الأقصى مدعاة للإستهجان، ذلك أنه تزامن مع إنعقاد القمة فضلاً عن أن وزراء في الحكومة الإسرائيلية التي يرأسها نتنياهو الممتلئ حقداً على دول عربية لم ترحب ماضياً ولا ترحب بعد ترؤسه الجديد للحكومة بزيارة لها. وإلى ذلك إن الإقتحام حدث بغطاء من الحماية الأمنية وتقدم المستبشرين ووزراء في الحكومة منقوصي بُعد النظر لا يدرون أن أي شعبية يحصلون عليها كفيلة بإحداث عثرات في طريق السلام الدائم الذي حسمت قمة جدة ملامحه من خلال إستهلال إعلان القمة الذي هو عادة ميثاق الدول الأعضاء المشاركة يصدر متوجاً ما جرى خلال الإجتماع الشامل واللقاءات الثنائية قبل الإنعقاد وبعده، بعبارة "التأكيد على مركزية القضية الفلسطينية وعلى أهمية تكثيف الجهود للتوصل إلى تسوية شاملة وعادلة للقضية الفلسطينية وإيجاد مناخ حقيقي لتحقيق السلام على أساس حل الدولتين وفقاً للمرجعيات الدولية وعلى رأسها "مبادرة السلام العربية" والقرارات الدولية ذات الصلة ومبادئ القانون الدولي...". في أي حال لن تلغي الكرنفالات الشعبية مقرونة بعدم إدراك الحكومة الإسرائيلية الحالية تحديداً كما بالذات بعض وزرائها حقيقة ثابتة وهي أن مصير القدس الشرقية هو إما عاصمة للدولة الفلسطينية التي لا تلتزم الإدارات الأميركية وكذلك الأطلسية عموماً بما تصرح به وبالذات في ساعة الإحتياج إلى تلبية مصالح من أن السلام يتحقق بـ "صيغة الدولتين" وإما عاصمة روحية حيادية منزوعة السلاح وموحدة تمثل الديانات الثلاث أي بما معناه تكون "فاتيكاً آخر" في المنطقة العربية محروساً بالإقتناع أن السلامة هي في تحقيق السلام الشامل.

كانت التصرفات الإسرائيلية التي إختلط فيها الرعاع

بالوزراء مسيئة لأصحابها خصوصاً أن هؤلاء من واجبهم التنبه لما تعنيه الإساءة إلى الرسول، فيسجلون إنسحاباً من التظاهرة الهمجية وإعتذاراً، وأظهرت كم أن ثلاثة أرباع القرن من الغرس الدولي لدولة لليهود في فلسطين، لم تحقق القبول العربي والإسلامي الثابت رسمياً وشعبياً لهذه الدولة في إنتظار صحوة يهودية شاملة ترى أن "مبادرة السلام العربية" هي الفرصة التي لا ذهبية مثلها، وأن همجية المستوطنين وغزو غزة بأربعين طائفة لا تنهي صراعاً.

حالة ثانية خارج النص حدثت فيما نسائم الطمأنينة مما إنتهى إليه رموز القرار العربي في قمة جدة، والتي أضيف إليها نسيم أتى من إيران وتمثل في عبارة من نوع ما قل ودل صدرت عن المرشد علي خامنئي بعد ساعات من إرفضاض أعمال القمة مخاطباً الجهاز الدبلوماسي وهي "ضرورة التعامل الحكيم والمرونة مع حفظ المبادئ". إن سياسة التواصل مع الدول الإسلامية حتى لو كانت بعيدة بالإضافة إلى الدول ذات التوجه المشترك والمؤيدة لإيران تحظى بأهمية بالغة. إن سياسة الحكومة الحالية لإقامة العلاقات مع الجيران مهمة وصحيحة للغاية. إن المصلحة تعني إمتلاك المرونة في الحالات اللازمة لتجاوز العقبات الصعبة...".

والحالة الثانية خارج النص وخارج بُعد النظر وخارج القراءة بعمق لواقع الأحوال عامة تتمثل بعرض حربي لـ "حزب الله" بدا للذين تابعوه عبر الشاشات الفضائية أنه مشروع مواجهة جديدة وأنه رسالة إلى من يهمهم أمر لبنان في القمة العربية بأن فقرة في "إعلان جدة" لا تعنيهم أو إنها إذا كانت العبارة تشملهم فإن "حزب الله" غير ملتزم بها وهذا يعني أن إختيار وإنتخاب رئيس للجمهورية ما زال من المستعصيات كما يعني تعارضاً مع روحية كلام المرشد خامنئي الذي أوردناه. والعبارة هي "يشدد إعلان جدة على وقف التدخلات الخارجية في الشؤون الداخلية للدول العربية والرفض التام لدعم تشكيل الجماعات والمليشيات المسلحة الخارجة على نطاق مؤسسات الدولة".

وبدلاً من المناورة الضخمة التي أجراها "حزب الله" على الحدود مع فلسطين حيث هنالك إستنفار إسرائيلي ضخ، وحرص على إظهارها إعلامياً متميزاً وإرفاق المشاهد الحربية التي لم يسبق للبنانيين أن رأوها في مناورات جيشهم النظامي.. إنه بدلاً من هذه المناورة

وتناغماً مع قمة عربية أعطت الموضوع الفلسطيني حقبة وأعطاه المرشد خامنئي من جانبه تفهماً واضح المضمون رغم رمزيته، كان من الأهدأ إقامة إحتفالية خطابية غير حربية ومن نوع المجالس العاشورائية يقال فيها من الكلام إزاء واقع الحال لبنانياً وتشديداً على النصيح أو التحذير الكلامي لإسرائيل ما يفي بالغرض ولا يترك ذريعة للخوف المبالغ به من "حزب الله" وبذلك لا تطفو على مياه البحيرة السياسية الراكدة ملامح مجادلات محتملة الحدوث.

و"حزب الله" في ما فعل، كان بمثل ما فعله طرفا الإحتراب في السودان اللذان لم يحترما بما يكفي الإرادة الجماعية العربية حلاً دوائياً مهدئاً في شكل جرعات لصراع الرابع فيه خاسر بإمتياز. وهنا نقول إن مسارعة الجنرال عبدالفتاح البرهان لفض غير كريم للشاركة مع الجنرال محمد حمدان دقلو (حميدتي) شكلت إحراجاً لما إستقر عليه تقييم الوضع في السودان، والتأكيد على أن سعي الحوار الذي رعته المملكة ولقي مباركة عربية ودولية، كان العلاج الذي من شأنه في حال الإلتزام بجرعته السياسية والإغائية إنتاج الحل الثابت. عسى ولعل يعيد الجنرالان النظر في الصولات والجولات وبذلك تستعاد التهدئة وتنتشر الطمأنينة نسائهما في النفوس.

وما خسر من إهتدى إلى سواء السبيل وإلى الإعتبار بأن الأخذ بمضامين "إعلان جدة" هو ما يحتاجه الذين خرجوا عن النص ولم يلتزموا بالأصول ولم يكونوا بعيدي النظر. والله الغافر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 24 مايو (أيار) 2023

كيسينجر.. ويا لتلك الثغرة (1)

أمضيت السنوات الأولى من الحقبة الساداتية بحكم متابعتي الدؤوبة للتطورات السياسية العربية في صحيفة "النهار" اللبنانية، كثير الاهتمام بتعاطي وزير الخارجية الأميركية الدكتور هنري كيسينجر الذي بلغ أوج تخطيطه في إقناع الرئيس أنور السادات إبرام إتفاقية السلام مع رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن التي تمت في كامب ديفيد برعاية الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة

جيمي كارتر حملت يوم 26 مارس/ آذار 1979 _ 27 ربيع الثاني 1399 هـ تاريخاً للتوقيع الثلاثي عليها. وللتذكير فإن الإتفاقية التي تدعو الأطراف الأخرى للنزاع (سوريا. الأردن) إلى الإشتراك في العملية، تنص في موادها الأولى والثانية والثالثة على "إنهاء حالة الحرب بين الطرفين وإقامة السلام بينهما وسحب إسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الإنتداب، وعند إتمام الانسحاب المحلي يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما...".

ليس هنا المجال للإفاضة في الإضاءة عما تلا التوقيع من جانب إعتراض معظم الدول العربية على هذا الصلح المنفرد وتطور الإعتراض إلى تجميد عضوية مصر في الجامعة لبضع سنوات في أواخر عهد السادات ثم في بعض سنوات الرئيس حسني مبارك، وإستعادة مصر العضوية لاحقاً وبالروحية نفسها لإستعادة الرئيس بشار الأسد مكانة في قمة راب التصدعات التي عُقدت في جدة يوم الجمعة 14 مايو/ أيار 2023 وأصدرت بياناً هو بمثابة خارطة للعمل العربي التشاركي في رسم معالم الطريق وفي فترة زمنية تحقيق إستعادة سوريا الدور ولم شمل النزوح واللجوء.

كانت السنوات الثلاث المصرية كيسينجرية في بعض ملامح العمل السياسي. فقد خاض الرئيس السادات الحرب وحقق الجيش المصري مفاجأة وأثلجت الصدور عملية العبور التاريخية. وفيما الفرح يسود الأجواء العربية في ضوء النتائج الأولية لحرب 6 أكتوبر 1973، وفيما الفرح يسود الأجواء العربية نتيجة الإنجازات الأولية لحرب 6 أكتوبر 1973 ومباهج العبور والإنتشار العسكري المصري في سيناء تغمر النفوس، دخل كيسينجر خفية على المشهد الحربي محفزاً إسرائيل على إحداث إختراق إسرائيلي باتت تسميته "ثغرة الدفرسوار". ومنذ تلك الواقعة باتت الثغرة محور الاتصالات والتصريحات والمتابعة من جانبنا كمراسلين عرب وأجانب. ومن دون أن تخطر في البال أن الثغرة فعل كيسينجري الغرض منه الإنتقال إلى مسالمة مصرية _ إسرائيلية وهذا ما إنتهى إليه الحراك الكيسينجري مفاوضات سلام بين السادات وبيغن (17 سبتمبر/ أيلول 1978) مهّد لتوقيع المعاهدة التي أشرنا إليها في سطور سابقة.

بداية دور كيسينجر يعكسه قوله عند حدوث الواقعة "إن حرب أكتوبر فاجأنا على نحو لم نكن نتوقعه".

هل كان صعباً على مصر إنهاء الثغرة وإكمال الانتصار. وهل في هذه الحال لا يتم إبرام إتفاقية السلام وإنشاء العلاقات بالضغط الأميركية.

أستحضر كإجابة من المرجعية الحربية المشير أحمد إسماعيل أوردتها في مقابلة (أرادها مسجلة محتفظاً بنسخة من التسجيل) أجريتها معه في مكتبه ليلة الخميس 3 أكتوبر 1974 وبحضور مساعده وقائد الجيش الثاني خلال الحرب اللواء سعد مأمون، ومما قاله: "أمس كنت أتحدث مع أحمد بهاء الدين في أمر الثغرة. ولقد أكدت له وأريد أن أؤكد أيضاً لك أن موضوع الثغرة لم يكن مسألة صعبة بالنسبة إلينا كعسكريين" ولتقت المشير إسماعيل إلى اللواء سعد مأمون وقال: اللواء سعد يجلس إلى جانبك. لقد عينته ليصفي أمر الثغرة". ومن جانبي قلت للواء سعد مأمون: ليتك أنهيت موضوع الثغرة فلو إنتهت ماذا كان سيبقى لإسرائيل؟ ثم تذكرت الإنذار الذي وجهه الرئيس ريتشارد نيكسون وحمله كيسيenger إلى السادات في أسوان. وأضاف المشير إسماعيل: "وضعنا خطة بالفعل لضرب الثغرة وأنا واثق من أننا كنا سننهيها ونشتت الجنود الإسرائيليين. وفي اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة عُقد في القناطر الخيرية يوم 24 ديسمبر/ كانون الأول 1973 عرضتُ الخطة على الرئيس السادات وأنا مقتنع بأن العدو فضل أن ينسحب بعدما أدرك أن الوضع ليس لمصلحته أبداً...".

كان كلام المشير إسماعيل يوحي بأن الموضوع سياسي وكذلك القرار. ومن أجل ذلك ترك الأمر للرئيس السادات الذي بات صديقاً للداهية كيسيenger.

ومن هنا وجدت نفسي تواقاً لإكتشاف هذه الظاهرة الكثيرة التميز في التخطيط السياسي والدبلوماسي لمناسبة مئوية الرجل.. وكان السعي حثيثاً من أجل ذلك. وهذا ما سنتبين دواعيه في مقالة لاحقة. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 31 مايو (أيار) 2023

مشاركة لبنانية مصرية

لإستكشاف كيسيenger (2)

بعد تغطية رحبة للحرب التي خاضتها مصر الساداتية

(6 أكتوبر/ تشرين الأول 1973) تعويضاً عن هزيمة 5 يونيو/ حزيران 1967، وما أثمرته العلاقة لاحقاً في ضوء "ثغرة الدفرسوار" بين الرئيس أنور السادات والدكتور هنري كيسيenger من جنوح مصري نحو إبرام المسالمة الأولى العربية _ الإسرائيلية المتمثلة بـ "إتفاقية كامب ديفيد" إقترح على ناشر صحيفة "النهار" غسان تويني التي كنتُ أعطي ميدانياً التطورات العربية وبإهتمام إستثنائي التطورات المصرية ونشرت "دار النهار" بعض المؤلفات والأبحاث لي وأبرزها "أين أصبح عبدالناصر في جمهورية السادات" و "الحزب الشيوعي السوداني نحروه أم إنتحر" إستحداث سلسلة من المؤلفات تصدر عن الصحيفة وتختص بالإضاءة على أولي الأفكار والنظريات التي يعتمد عليها كبار الحكام في العالم على نحو ما فعلت الإدارة الأميركية عندما أخذ بعض رؤسائها برؤى الدكتور هنري كيسيenger عند صياغة مواقف ومبادرات إستثنائية ومنها "إتفاقية كامب ديفيد" بين مصر وإسرائيل على سبيل المثال لا الحصر. وعندما وصلنا في تبادل التشاور في الفكرة إلى إنشاء دار نشر مستقلة عن "دار النهار" ويكون هنالك تعاون معها في مجال الطباعة والترويج والتسويق نصح غسان تويني بأن تكون التسمية "دار القضايا" بدل "دار القضية" لأن التسمية الأخيرة من جانبي تعني حصاراً للاهتمام بما هو متعارف عليه أي القضية الفلسطينية.

خلاصة الأمر تم إنشاء الدار بالتسمية إياها (دار القضايا) وبدأت سلسلة "أفكار ونظريات العصر" بكتاب صدر عن مؤسسة نشر عريقة في الولايات المتحدة ومؤلفه ج. وإرن يحمل عنوان "مخطط كيسيenger" تولى الزميل نبيل أبو حمد تصميم غلافه، وأحد زملاء حقبة الستينات في الصحافة باللغة الإنكليزية جهاد الخازن ترجمته وتولى مراجعته الزميل يوسف صباغ أحد الزملاء الضليعين باللغة الإنكليزية والمتابع الدقيق في صحيفة "الأهرام" للسياسة الدولية. وبحكم علاقتي الطيبة بمؤسسة "الأهرام" من كبيرها محمد حسنين هيكل إلى عشرات الزملاء والكتاب الذين أعتز بهم تولى الدكتور سعدالدين إبراهيم كتابة تقديم إستثنائي من حيث العمق والإحاطة الفكرية والأكاديمية برؤى كيسيenger.

ما جمعني بالزملاء الثلاثة جهاد الخازن ويوسف صباغ وسعد الدين إبراهيم إلى جانب تزكية غسان تويني هو ضرورة إستكشاف كيسيenger المفكر السياسي والإستراتيجي الذي أمكنه ومن وراء أستار أصحاب القرار

وقوع الحادث.

_ "رجل السياسة الذي يفرط في التغاضي عن خبرة شعبه يفشل في تحقيق الإجماع المحلي مهما بلغت حكمته وسياساته.

_ "على مخطط السياسة أن يهتم بأفضل ما يمكن تحقيقه. ويجب أن يعلم أنه مسؤول عن عواقب الكارثة، وعن فوائد النجاح، وقد يكون عليه تعديل بعض الأهداف، لا لأنها قد تكون غير مرغوبة إذا ما تم التوصل إليها، بل لأن مخاطر الفشل تطغى على المكاسب المحتملة...".
(إنتهت أقوال كيسينجر).

خلاصة القول إن هذه المقالة هي محاولة لظروف إكتشاف أفكار رمز إستثنائي من رموز العمل السياسي والدبلوماسي الدولي الذي له أثره المباشر وغير المباشر في قضايا عشنا محاذيرها في العالم العربي. وإذا جاز النصح أو فلنقل الإقتراح فهو أن يقرأ أصحاب القرار العرب وأهل الدبلوماسية والسياسة العرب بعمق وبالكثير من التأمل ما كان يدور في خاطر كيسينجر قبل عقود من بلوغه المحطة الماسية من العمر. ففي القراءة إفادة.. وفي إعادة القراءة إفادة أكثر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 13 يونيو (حزيران) 2023

ملاح إستراحات من ضجيج الصراعات

في الأفق الذي طالما حفل بكوابيس من الأزمات والصراعات والانشغال بما لا يحقق طمأنينة مستدامة، ملاح إستراحات قد تطول وتكون ثابتة وليست مثل الهدنة التي أرادها ساعيا الخير للسودان لكن الجنرالين الممعين شروراً للوطن كما للشعب الذي إستكان بعد حركة إحتجاج مبهرة لا يلتزمان وبذلك أدرجا إسميهما في لائحة الذين لا يلتزمون بالعهود والوعود.

كانت القمم التي إستضافتها الرياض والعلا وجدة وبأبغادها الخليجية والدولية والعربية والرموز المشاركين فضلاً عن مضامين البيانات الصادرة عنها، بمثابة قص شريط البدء بترجمة روحية تلك القمم وهذا ما بدا مدعاة للإعجاب بالإدارة الصينية للأزمات في اللقاء السعودي _ الإيراني الذي إستضافته العاصمة الصينية وبدأ العمل

الأميركي _ المصري _ الإسرائيلي تحقيق التسوية الأولى في الصراع العربي _ الإسرائيلي بدءاً بالحلقة الأعلى مصر تمدداً إلى سائر الحلقات. وها هو كيسينجر وقد أنجز قرناً من العمر يتأمل في ما فعله. كما ها أنا أروي كيف إكتشفنا للمرة الأولى "مخطط كيسينجر" من خلال عباراته التي تعكس أفكاره ورؤاه التي أسجل في الآتي ومن الكتاب إياه بعضها:

_ "الدبلوماسية يستعاض عنها إما بالحرب أو بالسباق على التسليح.

_ "لا تقتصر مسؤولياتنا على رفُع مستوى معيشة الدول الحديثة العهد بل تتناول إعتقادنا بالحرية والكرامة الإنسانية مرتبطاً بالظروف الخاصة لهذه الدول.

_ "إن التصنيع بدلاً من أن يولد الديمقراطية فقد يزيل الحافز الاقتصادي لها.

_ "لا يمكن تسوية الخلافات بين الدول ذات السيادة إلاّ عن طريق التفاوض أو القوة بالحلول الوسط أو بفرض الحل فرضاً.

_ "لم يكن محض مصادفة أن تنتظر عدة دول بما فيها دولتنا إلى الساحة الدولية وكأنها منتدى تُنسف فيه الفضائل بأساليب المكر من قبل الأجانب.

_ "إذا كان العالم أفضل من مخاوفنا فإنه لا يزال أدنى بكثير من أملنا فيه.

_ "الزعماء الباهرون في الدول الجديدة هم أشبه شيء بالبهلوان الذي يسير فوق حبل مشدود، إذا أخطأ في نقلة واحدة سقط ودُقت عنقه.

_ "علينا أن نشيد نظاماً دولياً قبل أن نُفرض علينا أزمة ما كأمر محتم.

_ "الإستخدام السياسي للقدر المتوفر من القوة مهما بلغ قد تغير.

_ إن السلام يجب أن يكون أكثر من مجرد غياب الصدام.

_ "نقطة الضعف الرئيسية في دبلوماسية الولايات المتحدة هي عدم إعارة الاهتمام الكافي للناحية الرمزية في السياسة الخارجية.

_ "إذا كان السلام يعتمد في نهاية المطاف على الشخصيات، فيبدو أن النية الحسنة المجردة أهم من البرنامج المحسوس. والحقيقة هي أن محاولة إحراز تسويات معينة تظهر وكأنها تعوق السلام ولا تساعد.

_ "إن محك الحنكة السياسية هو كفاية تقييمها قبل

الجدي من أجل التنفيذ. ومن هنا يمكن القول إن الذي حفّز الدبلوماسية الصينية على خوض الغمار هو النهج الذي إتسمت به تلك القمم فضلاً عن أهمية المكان الذي تم فيه الإنعقاد. ففي هذه القمم تبلورت حكمة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وسلاسة تسيير القضايا الشائكة بغرض تيسير أمر نقلها من التأزم إلى التحفظ والتوافق على ما يطوي بالتدرج القضايا العالقة الأكثر تعقيداً. وزيادة في القول إن القيادة الصينية ربما كانت لن تبادر إلى السعي التوفيقى لولا أن المملكة كانت من بادر من خلال تلك القمم التي أريد لها الإنعقاد لتتجح بإمتياز، وأن لا تكون فقط في العاصمة وإنما يكون غرب المملكة وشرقها ووسطها المكان للإنعقاد وتلك تجربة سبق أن أخذت بها مصر التي إستضافت القمم في انشاص والقاهرة والإسكندرية وشم الشيخ.

من ملامح الإستراتيجيات التي المنطقة من تركيا وإيران إلى سوريا ولبنان وما بين هذه من حالات عالقة على موعد مأمول معها، أن العَلم السعودي عاد يرفرف في سماء طهران كما رفرقة العَلم الإيراني في سماء الرياض.. والعَلم السوري على أهبة الرفرقة التي إكتملت خليجياً ومثلت كل من سلطنة عُمان ودولة قطر دوراً محموداً في هذا السبيل، تشكل إيداناً للمباشرة بإعادة قراءة في الملفات وإعادة نظر في الأساليب وإعتبار ما كان يشكل حالات من منغصات العلاقات، تدخلاً أمنياً أو إفتراءات كلامية، ستتوارى بالتدرج من أجل صفاء التعايش ووضع العلاقة في حالة من التطوير بما يحقق الطمأنينة. عسى ولعل الأذرع الإيرانية في أكثر من دولة عربية وبالذات لبنان.. فأميركا إحتمالاً بعد المسعى العُماني الطيّب تعتمد ميدانياً وإعلامياً ما لا يسبب عثرات لهذه الإستراحة. وهذه الخطوة تواصل تركيا الأردوغانية في عهداها الجديد الأخذ بها ضمن حسابات. بل ما يجوز إفتراضه أن تركيا ما بعد انتخابات الرئاسة لن تكون كما تركيا من قبل، وأن الرئيس رجب طيب أردوغان ربما يرى أن ظروف الفوز المبهر تجعله يأخذ في الإعتبار أنه بمنظار العملية الديمقراطية حقق الفوز أما بمنظار الواقع الإنتخابي فإن نصف الشعب التركي بزيادة بسيطة إختاره في حين أن الذين صوتوا لمنافسه المعارض كانوا أقل من النصف بنسبة بسيطة. هذا يعني أن يستحضر شعار "تصغير الأزمات" الذي سبق أن سوقت له الدبلوماسية التركية قبل خمس سنوات فيعيد النظر في خيارات كثيرة من بينها مساعدة

الليبيين، وذلك من خلال طي ورقة العسكرية والتدخل السياسي _ المخابراتي في شؤونهم، وطمأنة مصر بما يجعل العلاقات معها خالية من الحذر، والتعاون مع الدول العربية بمفهوم الجار السابغ الذي طالما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجارة إيران في نهج التعامل المتدرج الذي طالما بدأ دبلوماسياً فلا بد أن يتطور لكي يصبح أخوياً. وعندما يقتبس الرئيس أردوغان طموح "تركيا القرن" و "تركيا النجم الصاعد" من طموح "رؤية 2030" التي يضفي عليها رمزها الأمير محمد بن سلمان المزيد من الخطوات الواعدة في ضوء الحفاوة الدولية الإستثنائية في باريس بعد المحادثات المعول على نتائجها لبنانياً في الدرجة الأولى، فإن ذلك مدعاة للتوقع خيراً في السنوات الأردوغانية الخمس الآتية التي هي الولاية الثالثة له التي تمنّاها ونالها بعد جولات من التحدي وطموحه أن يكون ختامها إعتبار تركيا برأسين تاريخيين: أتاتورك _ أردوغان وليست فقط ب الرأس الأتاتوركي.

ومن ملامح الإستراتيجيات أن الإعتبار المحترم والموضوعي من جانب الصين للقيادة السعودية بدءاً بالزيارة التاريخية من الرئيس شي جين بينغ إلى المملكة (الأربعاء 7 ديسمبر/ كانون الأول 2022) وعقدته تلك القمة التاريخية مع ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان، حفّز الرئيس الفنزويلي الثوري نيكولاس مادورو على أن يقوم الثلاثاء 6 يونيو/ حزيران 2023 بزيارة مماثلة ليست فقط بدوافع الورقة النفطية التي يملكها البلدان وإنما لأن خليفة الثوري الراحل هيغو تشافيز قرأ في المشهد السعودي التنموي وأهمية توظيف الثروة النفطية من جهة والتوازن في العلاقات مع الأقطاب في العالم ما هو الأمثل كنهج سياسي فكانت الزيارة التي تدرج من حيث الدواعي والتطلعات ضمن مناخ زيارة الرئيس الصيني للمملكة ثم إشتراك الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلينسكي في جانب من القمة العربية في جدة يوم الجمعة 14 مايو/ أيار 2023، هذا إلى جانب التناغم الموضوعي بين ولي العهد والرئيس الروسي فلاديمير بوتين وبما من شأنه تحقيق تسوية موضوعية للحرب الروسية التي لا نهاية لها في المدى المنظور على ما تشير التطورات بعد إزدهار سلاح المسيرات وإغراق السهول والبيوت جراء سلاح نسف الجسور والسدود. عسى ولعل تأخذ أثيوبيا هذه الكارثة في الإعتبار بما يصون "سد النهضة". ومن الإشارة لا بد يفهم اللبيب

الأثيوبي أبي أحمد ما نقول. وأما إطلالة وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن للتحادث مع ولي العهد في اليوم نفسه لإطلالة الرئيس الفنزويلي وبما تكنه الإدارة الأميركية لنظامه، فإنهما تشكّلان المزيد من الثبات للحكمة والحنكة في العلاقات سواء مع الأشقاء ومع الأضداد. ولا بد أن الرئيس السوري بشار الأسد المستعاد إلى ربه الأشقاء العرب وخيمتهم الجامعة العربية سيأخذ في الاعتبار ضرورة تعديل حالة التوطين المزدوج الإيراني ثم الروسي، كما تستوجب منه الدواعي العربية والحالة الإيرانية كما العراقية واللبنانية فتح نافذة أولية للم شمل الملايين النازح المتناثر في خيم على مد النظر بين لبنان والأردن والعراق وتركيا والسودان ودول أخرى، بأمل الإكثار من النوافذ وصولاً إلى فتح باب إستعادة سوريا النازحة على مصراعيه كما إستعادة الجامعة العربية لها. والله الهادي إلى سواء السبيل والإستفادة من ملامح الإستراحت.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 20 يونيو (حزيران) 2023

تأملات في الليل الحزبي.. وشمس الطمأنينة

ونحن نتأمل في القرار الذي إتخذه الرئيس رجب طيب أردوغان يوم الجمعة 9 مايو/ أيار 2023 وقضى بتعيين الخبرة الاقتصادية الشابّة (مواليد إسطنبول 1982) حفيظة غاية أركان رئيسة لـ "البنك المركزي" وذلك بهدف إنتشال الليرة التركية من وهدة قاسية يكابد الشعب التركي تأثيراتها منذ أن ضرب الزلزال ضربته الماحقة، نشعر ببعض الأسى لما يعيشه البنك المركزي اللبناني منذ ثلاث سنوات وكيف أن أسوأ الكلام والإهانات رماها مسؤولون وقطاعات حزبية على رئيسه رياض سلامة زادت تفاعلات ووصلت إلى حد أن هذا المسؤول المالي الحساس بات يرسم المطاردة والمحاكمة والتحقيقات الدولية معه وبات ممنوعاً من مغادرة بلده فضلاً عن مصادرة جواز سفره الفرنسي برسم التعليق. كما أن رئيس البنك المركزي هذا يواظب في عرينه المالي المسوّر والذي حفلت جدرانه

بكتابات مهينة لشخصه وبعضها يتجاوز الشتائم. في تركيا صراعات سياسية وحزبية على مد الساحة العريضة وأشدّ ضراوة من الصراعات التي يشهدها لبنان، لكن الفرق بين السلوك السياسي والحزبي التركي وبين نظيره اللبناني أنهم في تركيا حريصون على وطنهم وإستقرار مؤسساتهم الدستورية والمالية وأهمها رئاسة الدولة ورئاسة البنك المركزي فيما نراهم في لبنان على درجة عالية من الإستهانة بالرئاستين، وإلاّ فما معنى التسوية في حسم أمر الإستحقاق المتعلق بممارسة واجب إنتخاب رئيس للجمهورية وإرتضاء فراغ طويل للكرسي الرئاسي من دون جالس عليه. وما معنى التهجّم الممنهج وعلى قاعدة السوء بالرئاسة الأخرى التي إستقرارها من إستقرار البلاد وطمأنينة العباد.

وفي السياق نفسه نقول إن ورقة مؤهلات وخبرة حفيظة غاية أركان وتخصصها في الولايات المتحدة بعد إسطنبول وثباتها على أن الجني المعرفي والخبرة التي إكتسبتها ليسا من أجل خوض مغامرة الإثراء مستقبلاً، وإنما لإثبات الدور الذي يمكن من خلال ممارسة مداخله ومخارجه نيل المنصب الذي تطمح إليه وتمارس الدور فيه بما يصون السمعة ولا يتجاوز حدوداً يتغلب فيها الطمع بالثورة إكتنازاً على حساب بريق السمعة.

مناسبة هذا الكلام أن رئيس البنك المركزي اللبناني رياض سلامة الذي سيغادر المنصب مجلباً بالإتهامات غير المحسوم أمر أحقيتها حتى إشعار آخر كما حال الإتهامات التي تركت تطلعات دونالد ترمب لخوض غمار رئاسة الولايات المتحدة، كان مؤهلاً لكي يكون الأوفر حظاً لترؤس الجمهورية على نحو ما حصل مع الياس سركيس (الراحل) الذي حرص في سنوات ترؤسه البنك المركزي أن يبقى في منأى عن الغرق في جشع المال ما دام يطّلع بحكم مسؤولياته على ما تحويه التقارير التي تُرفع إليه من الإدارات المختصة في البنك المركزي من مليارات العملات بدءاً بالدولار والليرة ومن ألوف السبائك الذهبية التي تشكّل الدعم والإستقرار والطمأنينة للوطن والشعب. كما بقي في منأى عن توظيف المنصب مع مؤسسات مصرفية وشركات تتاجر وبورصات تنحصر إهتماماتها بكل ما له علاقة بالشركات والإستثمار. ومثل هذا النأي من جانب الياس سركيس والإكتفاء بما هو عائد عليه كموظف في الدولة بمنصب حاكم البنك المركزي، كان بمثابة نقطة من جملة نقاط أخرى في سجله لمصلحة

القبول به من حيث المبدأ مرشحاً لرئاسة الجمهورية مع أنه لا حزب له ولا تيار ولا حركة. وحدها السلوكيات في شتى مناحيها مع الأخذ في الاعتبار الأمثلة التي إكتسبها من الجنرال فؤاد شهاب بعدما ترأس الجمهورية اللبنانية وهي رئاسة لم يسع إليها وإنما جاءته بفعل التوافق عليه مسجلاً أنه كان الرئيس العسكري الأول للجمهورية مفسحاً في المجال أمام إعتقاد صيغة الجنرال الرئيس حلاً بالتراضي إنما على قاعدة الهوى السوري، وهذا ما عاشه لبنان مع أربعة جنرالات ترأسوا وهم بالتوالي إميل لحود وميشال سليمان وميشال عون، مع ملاحظة أن الأخير لم يتم ترئيسه كقائد للجيش إنتقالاً من قيادة الجيش إلى رئاسة الجمهورية وإنما كرئيس حزب عارض النظام السوري إلى أن إحتضنه هذا النظام من خلال إنقاف "حزب الله" و "حركة أمل" أي الثنائي الشيعي حوله وإضطراب الثنائي الآخر في شخص رئيس الحكومة (زمناك) سعد الدين رفيق الحريري ورئيس "حزب القوات اللبنانية" سمير جعجع إلى التسليم برؤسه الجمهورية. وتلك مرحلة إمتزجت فيها المبدئيات بالضغط بالرهانات وأثمرت عوائدها خيبة شاملة ووضعاً بالغ التعقيد في الممارسة السياسية أوصلت لبنان الشعب والدولة إلى أنه بات في مهبط التحديات التي لا تنتج رئاسة تضع الوطن على الصراط المستقيم، ولا تنقذ إقتصاداً بات على شفير الإنهيار، ولا شعوراً لدى الناس بأن ثمة بصيص أمل في أن الليل الحزبي والحركي والقيادي والقواتي وما يستأويه من مئات الأحزاب الصغيرة والمعلبة وذات مشاعر طائفية ولا تخدم الوطن في شيء، لا بد سينجلي في المدى القريب وتعاود شمس الطمأنينة إشراقها تغمر النفوس وتبدد أجواء التئيس الممنهج. ولولا هذا الحرص المستجد _ كما لم يلاحظ من قبل في العلاقة بين دولتين _ من جانب الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون والحفاوة السياسية العفوية والصادقة بولي العهد السعودي رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان، لكانت ظلمة الليل اللبناني ستزداد سواداً. ولكن القمة السعودية _ الفرنسية بددت الكثير من تلك الظلمة ورسمت ملامح تفاؤل للبنان الذي يزداد ضموراً في شتى المناحي ومنها الخشية أن ينتهي العسف بأصول منصب الرئاسة، بأنه على موعد بما قد يبعث التفاؤل بالخير مع إنحسار متدرج للمماثلة وتصحيح الشوائب التي طليت ودمغت بها سمعة البنك المركزي وذلك بإختيار من لا يضعف أمام كنز المال

وبريق سبائك الذهب. ونقول إن القمة السعودية _ الفرنسية يوم الجمعة 16 يونيو 2023 التي تلت القمة بين البطريرك الراعي والرئيس ماكرون تشكل البلمس للمحنة التي يعيشها لبنان الوطن والشعب.. عدا الأكثرية من أهل السياسة والأحزاب والتيارات والحركات الذين عن ممارسة الواجب الوطني ساهون.

ولهذه التأملات في واقع الحال بقية كلام وإطلاقات ومقاربات حول الليل الحزبي والتفاؤل بشمس الطمأنينة المرجأ عن سابق تصميم إلى حين إستنفاد الغرض. وكان الله في عون شعب يجازي ووطن لا يستحق مثل هذه الإستهانة به.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 27 يونيو (حزيران) 2023

... ولماذا لا تكون إعادة مقايضة

يتساءل المتأمل مثل حالنا الذين ضاقت صدورهم بممارسة الذين لا يؤدون الواجب تجاه الدولة من نواب ورؤساء أحزاب متنوعة المشارب والولاءات: لماذا لا تكون هنالك إعادة مقايضة للأزمة المستعصية في شأن إختيار من يملأ كرسي رئاسة الجمهورية وعلى نحو صيغة تعتمد الجيوش، وهي إعادة الإنتشار عندما يُستعصى أمر حسم معركة وبذلك لا يظهر الجانب الذي إعتد الصيغة تلك بأنه ضعيف وغير قادر على الحسم. ومثل هذه الصيغة نلحظها في الحرب الروسية _ الأوكرانية والحرب اليمنية _ اليمنية واردة الحدوث في حرب جنرالي السودان المغلوب على أمر شعبه عبدالفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو (حميدي).

ما نقصده بصيغة إعادة مقايضة هو أن يأخذ "حزب الله" أفعال طرف قابض على الإرادة الواقعية للدولة اللبنانية، في الإعتبار أن ما يرومه رئيساً جديداً مارونياً بنكهة كتلك التي إتسم بها بشكل صارخ الرئيس الجنرال ميشال عون، أمر غير ممكن التكرار وذلك لأنه غير مستحب من جانب أكثرية طائفة الرئيس التي إستيقظت فيها متأخرة مشاعر الطرف المستباح حقه بموجب المعادلة التي على رغم عدم إستقرارها تبقى من الحقوق التي لا جدال في أمر التمسك بها. والدليل على إستحالة

ما نشير إليه أن حسم مسألة من الذي يتأسس ما زال على إستصاء لا مثيل له في المجتمعات السياسية في معظم الدول الجمهورية.

إزاء ذلك وضمن صيغة إعادة المقايضة في حال الأخذ بها فإن التوافق على أن تكون الحكومة وبالذات في شخص من يتأسسها موضع إطمئنان "حزب الله" وسوريا البشّارية وبنسبة الطمأنينة التي حظي بها الطرفان على مدى أربعة رؤساء جمهورية: مدني واحد (الياس الهراوي) وثلاثة جنرالات (إميل لحود، ميشال سليمان، ميشال عون). وبالمقابل يختار فرسان الساحة المارونية بعدما باتوا بنسبة ثمانين في المئة متفهمين أن الحقوق تستعاد بوفاقهم وبالذات بالنسبة إلى الرئاسة الأولى، الفارس الذي يرتاح له حليفهم السني، والقادر على الصولات والجولات في الميدان اللبناني وبما تؤكد فروسيته هذه أن التخاطب على ما كان عليه يثمر إتقافاً شعبياً إلى حين فيما الوطن بأمس الحاجة إلى إستقامة العملية السياسية وتأمين دائم للإحتياجات المعيشية وقبل أن تأخذ المكاره مداها في المجتمع وتصل الدولة إلى وضع يتجاوز بكثير الإضطراب إلى تقليص وظائف في الإدارات الأساسية ومنها على سبيل المثال لا الحصر وزارة الخارجية. وما هو آت ربما أعظم.. ناهيك بالكهرباء والانترنت.

وسواء إرتأى فرسان الساحة السياسية المتوزعين على أحزاب تقتقد إلى العقيدة الموضوعية، أن يصار إلى أن يكون جهاد أزور الذي إختاروه مرشحاً لهم لرئاسة الجمهورية هو، ومن باب حفظ المقام، رئيساً للبنك المركزي يحل محل رياض سلامة الذي يودّع المنصب إلى الإستراحة المطمئنة أو إلى القضاء المجازي.. الله أعلم، وبذلك تنوي سمعة الثلاثة عقود التي أمضاها رئيساً للبنك حارساً لعملته غاضاً النظر عمداً وليس سهواً عن أرقام عمليات حيتان من كل صنف سياسي وحزبي وتحزبي... سواء إرتأى أولئك الفرسان ذلك فإن في شخص جهاد أزور من الخبرة الاقتصادية والكفاءة العلمية والسمعة التي لم تتأثر بالأرقام من عوائد منصبه الأممي، ما يجعله الشخص المؤهل والمناسب ليس فقط لإدارة البنك المركزي وإنما لإنقاذ ما يمكن إنقاذه لعملة باتت لا تحظى بالتهيب من حاملها مقارنة بمهابة الدولار الذي باتت حتى ربطة الفجل يتم تسعيرها بسنتاته. لا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالعودة إلى صيغة المقايضة يبدو إسناد رئاسة الحكومة إلى النائب فيصل كرامي من المستحسنات المرضيات لـ

"حزب الله" فهو من رموز العمل السياسي في الطائفة السنية الذي تربطه علاقة بـ"حزب الله" وسوريا البشّارية قريبة الشبه بعلاقة سليمان فرنجية بالحزب وسوريا. ومع أن الجانب العقائدي هامشي بعض الشيء في هذه العلاقة، إلا أن ما جمع الجنرال المسيحي الماروني ميشال عون بالزعيم الشيعي الديني _ سياسي السيد حسن نصرالله هو ما يجمع حفيد الزعيم السني (الراحل) عبد الحميد كرامي بالسيد وحزبه كلاهما الهدف واحد. نال الجنرال عون ما تمناه وبات رئيساً للجمهورية طاوياً إلى درجة المحو كل ما قاله سابقاً عن الحليف السوري المستجد. كذلك فيصل كرامي من أجل أن ينال المبتغى رئيساً للحكومة وبذلك يواصل الحفيد من حيث بدأ الجد عبد الحميد (مرة واحدة عام 1945) العم رشيد (8 مرات الأولى عام 1955) الوالد عمر (مرتان الأولى عام 1990).

وبترئيس فيصل كرامي القريب الشبه بترئيس تمام صائب سلام وترئيس تقي الدين الصلح ليكون الصلحي الثاني والأخير بعد الرئيس رياض (رحمة الله على الإثنين) لا تطمئن فقط نفس السيد حسن وبالتالي نفس الرئيس بشّار وإستطراداً نفس الزعيم الشيعي الثاني الرئيس نبيه بري، وإنما يتاح لـ"حزب الله" أن يتمنى على (الرئيس فيصل كرامي) تعيين حليف الجانبين (سليمان فرنجية) وزيراً للدفاع وبذلك يتناغم هنا الإختيار الذي هو تعويض عن إستحالة ترئيس فرنجية للجمهورية، مع إختيار من كان البادئ بالترشح ميشال معوض وزيراً للخارجية في حكومة يتأسسها صديقه اللدود فيصل كرامي. وللتذكير فإن علاقة العم (الراحل) رشيد كرامي بالرئيس (الراحل) رينيه معوض كانت دائماً ودية وكثيرة الرقي.

قد تبدو هذه الإحتمالات بعيدة وشائكة، هذا في حال أن ما أخذ بالقوة يستعاد بالقوة في نظر الطيف الذي يروم كسراً لـ"حزب الله" وهذا يعني أننا أمام جدار من الإرادات الصلبة التي تُبقي لبنان عرضة لحالات مستعصية العلاج. كما تصبح الإحتمالات قريبة وغير شائكة في حال أخذ الثلث اللبناني المستحوذ حتى إشعار آخر، أي الثنائي الشيعي بقطبیه المقاوم "حزب الله" والحليف الثابت "حركة أمل"، بصيغة إعادة المقايضة مقرونة بخطوة يتطلع الإستقرار إلى إعتماها كفرصة يستعيد من خلالها لبنان الوطن والشعب الطمأنينة ولا يتحفظ عليها أصدقاء لبنان الدوليين والأشقاء العرب ذلك أن مهابة إتفاق الطائف هنا محفوظة، وبالذات في إسناد وزارات المال

ورجل النزاهة والخُلق ومساهمته في دعم المؤسسات التعليمية".

في زيارته مصر يوم الأحد 25 يونيو/ حزيران 2023 حرص الرئيس الهندي على أن يكون ختام المحادثات مع الرئيس عبدالفتاح السيسي التي أثمرت رفع العلاقات المتطورة إقتصادياً وصناعياً وعلمياً ودوائياً وسياحياً والمستقرة منذ النصف الثاني من الخمسينات إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية، تمضية بعض الوقت في منطقة الأهرامات والنقاط الصور التذكارية وعلى نحو ما حرصت عليه زوجة الرئيس جو بايدن قبل ثلاثة أسابيع عندما زارت هي الأخرى القاهرة بعد مشاركتها في الزفاف المبهر لولي عهد الأردن الأمير حسين بن عبدالله بن حسين بن عبدالله، تمضية فسحة سياحية في منطقة الإهرامات، وغادرت مصر بمجموعة من اللقطات لها بجوار آثار تاريخ عريق تفتقده الولايات المتحدة.

كانت زيارة البانديت نهرو إلى مصر بمثابة وضع حجر الأساس ليس فقط على صعيد العلاقات بمختلف مجالاتها بين دولتين، وإنما بدت بمثابة إنصهار زعامتين في قالب واحد وتمثل ذلك في أن جمال عبدالناصر، التواق إلى دور يتجاوز مصر ويضعه في لائحة الزعامات الفاعلة في السياسات الإقليمية والأبعد من ذلك، وجد ما يتطلع إليه في نهرو الذي كان هو الآخر مسكوناً بالتطلعات نفسها. ولقد إكتشف الإثنان ما يدور في الخاطر عندما إقتبس عبدالناصر صيغة اللقاء الأول الذي على متن طراد في البحيرات المرة (قناة السويس) منتصف فبراير/ شباط 1945 بين رمز شأن الولايات المتحدة في الأربعينيات الرئيس (الـ 32) فرانكلين روزفلت ورمز تأسيس الدولة التي أسست حاضراً الرمز الواعد للشأن العربي في القرار الإقليمي والدولي الملك عبدالعزيز. ومثلما كان عائد اللقاء في الطراد الراسي على مياه القناة التي شكّل تأميم عبدالناصر لها مجداً لم يكتمل على نحو ما يصبو إليه، وضّع بداية خارطة مسيرة علاقات متوازنة ومستقرة بين بلاد العم سام ومملكة عبدالعزيز وإن أساء بعض أبناء العم تفسير جوهر روحيتها وبالذات إدارة الإبن الحالي الرئيس جو بايدن، فإن محادثات عبدالناصر _ نهرو التي أرادها الرئيس المصري أن تتم على متن باخرة تتساب فوق مياه النيل الذي لا تموجات فيه وتتجه نحو ضاحية القناطر الخيرية التي طالما رسم فيها ملامح بعض خطواته، وحذا في إستراتيجتها الرئاسية الرئيس الخلف أنور السادات حذو السلف الراحل ومن بينها صياغة

والإقتصاد والداخلية إلى شخصيات سنية تتفهم ولا بد صيغة إعادة المقايضة. ويرى هؤلاء بمن فيهم معنوياً المفتي دريان أن الرئيس نجيب ميقاتي والذين سبقوه في التروؤس ليسوا أكثر حرصاً من فيصل كرامي. وهذه الخطوة تتمثل في تعليق ثلاثية "الشعب والجيش والمقاومة" بحيث تكون على مدى السنوات العشر الآتية مستبدلة بـ "تنمية لبنان. دعم قدراته. تصحيح مساراته المتعثرة". وأما جيش الدولة فكفيل بعد دعم قدراته وبالذات في ضوء إفاضة الثروة من النفط والغاز على صناديق الدولة، بأداء الواجب على أكمل وجه. ولنتأمل ملياً في ما تفعله "قوات الدعم السريع" في السودان داعين الله أن لا تتحول صيغة الجيش الرسمي و"الجيش الحزبي" إلى ما لا يتمنى المرء حدوثه في لبنان، كما في السودان. وفي حال التوافق على الجنرال جوزف عون رئيساً للجمهورية وفق صيغة إعادة المقايضة، وهذا أمر محتمل الحدوث هو الآخر، فإن لبنان المبتلى بالصراعات سينتقل نحو الأفضل. لعل أولى تعقيد الأمور يتأملون في قول الرسول (صلّى عليه وسلّم): "يَسْرُوا وَلَا تَعْسِرُوا.. وبشروا ولا تَنْفَرُوا".

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 30 يونيو (حزيران) 2023

العرب والهند.. سر العلاقة المتوازنة

عادت بي الذاكرة وأنا أتابع الزيارة الأولى لرئيس وزراء الهند ناريندا مودي إلى مصر عشية عيد الأضحى المبارك إلى الزيارة الأولى لرئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو قبل ثماني وستين سنة إلى مصر والتي أسست لما آلت إليه هذه العلاقة من دون إهتزاز. كما عادت بي الذاكرة إلى زيارة بمستوى الإهتمام والتقدير من جانب الهند لقيها سلمان بن عبدالعزيز (كان زمناً أمير الرياض). وفي تلك الزيارة (الثلاثاء 24 يناير/ كانون الثاني 2006) كان لافتاً من حيث حرص سلمان بن عبدالعزيز على أن يتعرف الأبناء على الهند التي على أهبة أن تكون القارة السادسة، فأصطحب معه من الأبناء فيصل ومحمد وتركى ونايف وبندر الذين عايشوا نوعية التكريم الهندي لوالدهم ليس فقط لجهة مستوى الدعوة وإنما عند منحه الدكتوراه الفخرية وتحديد حيثيات منحها ومنها "إنه المعروف دولياً بأعمال الخير

قرار إبهات العلاقة بالتدرج مع الإتحاد السوفياتي بدءاً بإلغاء المعاهدة التي هو نفسه وقّع عليها.

وفي الساعات التي أمضاها الإثنان في لقائهما الذي كان إقتباساً للقاء الملك عبدالعزيز _ فرانكلين روزفلت، تم التفاهم على أن تكون سياسة عدم الإنحياز قضية كل منهما والسعي لإشراك زعامات من آسيا وأفريقيا صمدت لبعض الوقت قبل أن ينال منها وإلى درجة الإقتراس كبار الشأن العالمي وبالذات الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي.

خلاصة القول إن العلاقة المتوازنة مع رموز الدول ذات التأثير الدولي والحضور الإقليمي وعلى سبيل المثال هنا العلاقة العربية _ الهندية المتوازنة تتحقق برموزها. هذا ما نعيشه في الجيل الثالث من الرؤساء في مصر عبدالفتاح السيسي بعد الرئيسين الراحلين أنور السادات وحسني مبارك بعد الجيل الأول برمزه البعيد النظر جمال عبدالناصر. وهذا ما عشناه في العلاقة السعودية _ الهندية التي قرأت الهند في تكريمها للملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمة الله عليه الذي زارها عام 2006 ضمن جولة أسيوية ثم ل سلمان بن عبدالعزيز أن العالم العربي على موعد مع حقبة في عهده تكون فيها المملكة رمز ريادات على المستويين الإقليمي والدولي. ومثل هذه الريادات يأخذ ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان وباستحضار دائم من جانبه لمكانة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز على عاتق إنجاز رؤاه التطويرية. وهذا ضمن المفاهيم التي ترى أن المسؤولية أمانة وأن الاستقرار هو ما يحقق العلاقة المتوازنة ويجعلها راسخة. ودليلاً على ذلك النموذج العربي _ الهندي الذي ثباته هو في السير دائماً على الصراط المستقيم.. صراط التوازن. عسى ولعل بعض الساهين من محترفي سياسة التدخل في شؤون الآخرين يأخذون ذلك في الإعتبار.. فيهتدون.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 6 يوليو (تموز) 2023

لا إغضاب... فلا غضب

ها هي صيغة الوفاق السعودي _ الإيراني تصبح أمثلة بعد خطوات دبلوماسية متأنية ووفق رؤية واقعية رسمت معالمها القيادتان في كل من الرياض وطهران

وعيناً صينية ساهرة تقابلها عين بايدينية جاحظة. وهذه الصيغة إياها تأخذ في الإعتبار أن الحكم المستقر هو في الحاكم المتطلع إلى نهوض للدولة في معظم المجالات وعلاقة متوازنة مع دول العالم وبشكل خاص مع دول الجوار والإقليم عموماً. وبمعنى أكثر وضوحاً أن يتقاضي هذا الحاكم غضب الآخر بتقاضي إغضابه تدخلات مستترة وعلى الملأ السياسي والحزبي أحياناً.

وبقدر ما نتمناه للأمثلة بأن تتكرس ويأخذ بها الذين أخذت الخلافات والأزمات المستحكمة من واجبات أهل الحكم تجاه الوطن والشعب، فإننا نتمنى أن يكون لدى الرئاسة الإيرانية الكثير من التأمل بواقعية للأجواء الناشئة عن ذلك الوفاق الذي تتواصل خطواته فلا يرمي مسؤول إيراني من هنا وآخر من هناك في ساحة التوافق المستجد الرحب ألغماً كلامية على نحو ما فعل ذلك وزير العمل الإيراني سيد صولت مرتضوي الذي قال في تصريح "إن لبنان جزء من الأمة الإسلامية والدفاع عنه بمثابة الدفاع عنها...". وتلك نظرة تتجاوز واقع الصيغة اللبنانية الطوائفية الإسلامية _ المسيحية المسلم بها من الدول العربية والإسلامية بما في ذلك الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. كما نتمنى ألا تحوّل مسألة الحقل البحري الغني بالغاز والمسمى حقل "الدرّة" إلى أزمة في حال عدم الإقرار بأحقية كويتية _ سعودية لهذا الحقل والتمسك بتصريحات تتسم بالتلويح أكثر من الجزم من جانب مسؤول إيراني سمى الحقل بالفارسية (أرش) بدل التسمية العربية (الدرّة) بمعناها الذي أشبهه بالجوهر. وهذه الخطوة التي هي بمثابة التأهب لموقف أكثر تشدداً يجعلنا أمام حالة عالقة مضافة إلى حالة الجزر الإماراتية الثلاث، التي تتمسك الجمهورية الإيرانية بإحتلال تلك الجزر رغم كثرة التمني المتعدد الأصوات عليها بالجلاء عنها وتركها لأصحاب الحق فيها.

ربما الذي يغري إيران في موضوع هذا الحقل ثروة الغاز التي تحقّق للدولة عوائد تخفف من وطأة الإلتزامات الثورية المتعددة الأذرع، وربما ترى في عوائد "الدرّة" ورقة في جولات الأخذ والرد غير المحسومة في الشأن النووي، بمعنى أن تخفف الدول الأوروبية مساهمتها للإدارة الأميركية في موضوع العقوبات والأرصدة المحتجزة.

لكن أياً كانت الإعتبارات فإن عدم إنتهاج المرونة من جانب أهل الحكم الإيراني في موضوع حقل "الدرّة" الذي ما زال في بداية المخاوف، من شأنه التأثير السلبي على

أجواء وفاق خليجي _ إيراني ما زال طري العود.

ويحضرنا هنا للمناسبة ومن باب التذكير تلك الزيارة التي قام بها إلى إيران في مثل هذه الأيام (أول يونيو/ حزيران) من العام 2014 أمير الكويت (الراحل) الشيخ صباح الأحمد الصباح وإرتياح أهل الحكم الإيراني لهذه الزيارة وقول الشيخ صباح للرئيس حسن روحاني تديلاً لصديق النوايا "إننا في الكويت نأمل بتعزيز الشراكة معكم". ولقد إستقرت هذه الشراكة إلى أن عكّر الصفو توتر دبلوماسي عابر حدث إحتجاجاً على إحتضان الكويت "مؤتمراً للمعارضة الأخوانية وتقديم درع مجسم لمجلس الأمة لرئيس الوفد المترئس مؤتمر المعارضة تلك، وهو الدرع الأول يتم تقديمه من مجلس الأمة الكويتي المنتخب منذ أيام. لكن بالحكمة والتفهم أمكن تجاوز الإشكال الذي لم يأت من الحكومة وإنما من برلمان مشاكس بطبعه. لعل ذلك يصيب الأزمة المحتملة الحدوث.. أزمة حقل الدرة".

في السياق نفسه تأخذ الخطوات المتدرجة بين مصر السيسي وتركيا أردوغان المنحى المشابه لخطوات الوفاق السعودي _ الإيراني. ومع أن التباعد الذي ساد العلاقة بين النظامين كان كثير التعقيد، إلا أن الأخذ بالتفهم من جهة وإنحسار الجنوح الأردوغاني نحو أدوار تمس سيادات دول أخرى أهمها مصر فسوريا والعراق، جعل أسباب التباعد تتراجع.. إنما على قاعدة التأكد من نتائج إختبار النوايا. ثم جاء ترويضات الجماعات الإخوانية التي بدت على مدى خمس سنوات أردوغانية إستضافة ورعاية وإعاشة كما لو أنها "الجمهورية الإخوانية المستعادة"، لـ "جمهورية مصر العربية"، تشجع على مقابلة خطوة من جانب الرئيس أردوغان بمثابة لها من جانب الرئيس عبدالفتاح السيسي. وهكذا خطوة تلي خطوة مع تأكيد للنوايا الطيبة إستؤنفت العلاقات الدبلوماسية على مستوى سفير بعد قطيعة دامت عشر سنين وربما يمهّد تتويج حالة التوافق المستجدة لقمة مصرية _ تركية تتبادلها العاصمتان القاهرة وأنقرة. وباتت أبواب الدولتين سياحياً وتجارياً مفتوحة أمام مواطني البلدين.. إنما لا يلغي ذلك بقاء الحذر المصري على درجة من اليقظة لأن تجربة التعامل مع "الإخوان" من مهجرهم التركي تتطلب على ما تؤكد الصدمات ذلك، التنبه في أقصى درجاته.

ولا ينحصر الأمر عند هذا الحد، ذلك أن إنشغال البال المصري من الإندفاع التركي في ليبيا ما زال قائماً

وهو سيبقى في حالة التنبه إلى أن تتأكد مصر أن برنامج التعاطي الأردوغاني مع ليبيا قبل فوز الرئيس رجب بولاية رئاسية جديدة وأخيرة (إذا إقتنع) هو غيره ما بعد الفوز. بل من الجائز القول إن الهموم التركية الناشئة عن مضاعفات كارثة الزلزال من جهة والضنك الذي يواصل انخفاضاً في سعر الليرة مقابل الدولار من جراء سياسات إقتصادية تستوجب التصحيح، باتت أو هي في الطريق تتقدم على إهتمامات ما قبل ذلك، يوم كانت تركيا الملاذ والمعين لأطراف حزبية تروم إستعادة الحكم في مصر والإمسك بالإرادة السياسية في ليبيا. كما أن حالة صفاء مستجدة في العلاقة من جانب الإدارة الأميركية ودول الحلف الأطلسي يشكل إكمال رسم اللوحة الجديدة لتركيا بطبعها الأردوغانية.

خلاصة القول، إن العالم العربي يقبضه المصري والخليجي أمام حالتين غير محسومتين، وبحيث تسود الطمأنينة النفوس فلا يعكر الصفو تعكير متعمد من جانب معكرين. وأما الحسم فمن خلال إثراء قاعدة لا إغصاب... ولا غضب وإعتمادها خطأ ثابتاً للتعامل. مع الأخذ بالمثل السائد: القناعة كنز لا يفنى.. في المال والسلطة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 14 يوليو (تموز) 2023

المنطقة ذات المسلسلين

الآن ونحن نقرأ بين سطور رد الفعل الباهت من جانب الرئيس الأميركي جو بايدن، ومثله بهوتاً رد الفعل الأوروبي، على إقتحام ألفين من قوات النخبة في الجيش الإسرائيلي لمخيم جنين الذي لا تزيد مساحته عن نصف كيلومتر مربع ويرتضي سكانه البالغ عددهم حوالي خمسة عشر ألفاً من مختلف الأعمار هذا العيش القهري.. الآن ونحن نقرأ بين السطور ننسأل:

هل أطفال أرييل شارون شعلة النضال الفلسطيني بما إقترفه في حق المنتظرين في مخيم صبرا وشاتيلا في العاصمة بيروت وغيره من المخيمات الفلسطينية الموزعة على مناطق سنية وشيعية ومارونية وأرثوذكسية ودرزية، إحقاق بعض العدالة الإنسانية والأمنية وذلك بإرضائهم

عوض دولة من النهر إلى البحر، دولة عاصمتها القدس الشرقية إلى جانب الدولة التي إحتلتها أطياف من سائر دول العالم هدية من المملكة العظمى في زمن بلفوري إستعماري مسكون بالأميراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

الجواب عن هذا التساؤل هو أن الشعلة لم تنطفئ وأفرزت المزيد وباتت أجيال الحاضر الفلسطيني أكثر إصراراً على نيل المطالب غالباً ما دامت لا تؤخذ بالتمني فقط وبالوعود الأميركية والأوروبية التي تمالئ أكثر منها إلزاماً بالمبدئية.

إستحضار الفعل الشاروني هو للقول ما معناه إن الذي إقترفه بنيامين نتتياهو في مخيم جنين بإقتحام هو الأشد ضراوة منذ إقتحام سابق للمخيم نفسه في العام 2002 وبحدد مضاعف من ذلك الحقد الشاروني، لن يطفئ شعلة النضال الفلسطيني وأن جيل الأحفاد في هذا المخيم الذي إستملجه أجدادهم وأباؤهم منذ إقامته عام 1948 باتوا أكثر توقفاً للنضال بالحجارة أو بالإستشهاد عند الضرورة بفعل عمليات نوعية كذلك التي حدثت في تل أبيب وأخرجت نتتياهو فزادته خروجاً على الأصول، ومن جانب آخر حملت السلطة الفلسطينية وقد قارب صبرها على الهوس المستحكم في الحكومة الإسرائيلية على التفكير بقص الشريط الرخو أصلاً الذي يشد أواصر الدور الأمني والسياسي لسلطة الرئيس محمود عباس المعترف به إسرائيلياً ودولياً. وهذا يعني أن جيل الأحفاد من حركة "فتح" المستأثرة بالسلطة الفلسطينية الرسمية سيغدو في ذروة غضبه من الذي يجري مثل جيل الأحفاد في "فلسطين الغزاوية" وفلسطين المخيمات المنتشرة في بعض الربوع العربية.

بدل أن يحاسب شارون من قبل العقلاء في المجتمع الإسرائيلي على ما فعله في مخيم صبرا وشاتيلا ومناطق أخرى فإنه كوفئ بتعيينه رئيساً للحكومة في إسرائيل. مثل هذه المكافأة لا يحتاجها نتتياهو الذي مارس فعله التدميري في مخيم جنين وهو رئيس للحكومة التي بعض أعضائها من النسيج التدميري نفسه. هنا يجوز الإفتراض أن نتتياهو رفع سقف الإنتقام بأمل أن تطوي السلطة القضائية ملف الإتهام المعلق والذي في حال إنسيابه يمثل أمام المحكمة وقد تصدر الأحكام بسجنه على نحو ما سبق لرئيس الحكومة السابق إيهود أولمرت. كما أن نتتياهو إقترف الإثم العدواني في مخيم جنين لأن الدول

العربية التي طبعت دبلوماسياً وإقتصادياً مع إسرائيل لا تلبي رغبته في زيارتها وزاده هذا الموقف غضباً ترجمه بالإثم الذي إقترفه في مخيم جنين مفترضاً أن القادة العرب غير المرحبين بزيارته لعواصم بلادهم سيعذبون كون موقفهم ويستقبلون نتتياهو للقول له إن عليه بعد الآن عدم تكرار آثامه العدوانية والتفكير بصيغة العيش المشترك وعلى نحو ما تنص عليه المبادرة العربية للسلام.

هذه الضراوة عسكرياً وكلامياً من جانب رموز الاحتلال الذي على أبواب دخول الربع المتبقي من القرن تأخذ مداها، وفي كل مرة بسلوك أكثر تسفيهاً للواجب الأميركي _ الأوروبي الخجول عموماً وذلك من خلال تعامل الرئاسات والحكومات في كل من الولايات المتحدة وحليفاتها الأوروبية مع القضية الفلسطينية المعلق حسمها. وعندما لا يصدر من تلك الرئاسات والحكومات ما هو أكثر من الدعوة إلى التهذئة والتذكير العابر بصيغة الدولتين من دون تفعيل لهذه الصيغة فهذا في حد ذاته يجعل أهل الحُكم الإسرائيلي.. وبالذات الراهن في شخص نتتياهو وبعض الذين حوله الذين يضيفون رمي المزيد من الحطب على نار عدوانيته وتجعله يصل في إهانتته للشرعية الدولية إلى حد الدعوة إلى إجتثاث صيغة الدولة الفلسطينية.

لقد إكتفى الرئيس بايدن في اللقاء التلفزيوني معه (شبكة سي. إن. إن _ الأحد 10 يوليو/ تموز 2023) بالقول ما معناه إن وجود متطرفين في حكومة نتتياهو سبب المشكلة وأن نتتياهو يذكره بغولدا مؤثراً. وأما الحل في نظره فأوجزه بعبارة "إن حل الدولتين لا يزال هو الطريق الصحيح لوضع حد للصراع الفلسطيني _ الإسرائيلي" مع التأكيد بأن إلترام الإدارة الأميركية ثابت بأمن إسرائيل...".

لو أن الرئيس بايدن حريص على صيغة الدولتين لكان سمي "مبادرة السلام العربية". بل إن الرؤساء الذين سبقوه من كارتر ونيكسون إلى بوش الأب وكلينتون ثم بوش الابن يليه أوباما ثم ترمب فالرئيس الحالي حصلوا على فرص عربية كفيلة بتحقيق التسوية الثابتة والمقبولة التي تغني الشعوب عن جولات متواصلة من الصراع. ولكن الرؤساء أولئك لم يوظفوا عملية السلام المتبادل بين مصر السادات وإسرائيل مناحيم بيغن وعملية لاحقة بين الأردن وإسرائيل. كما لم يجعلوا من مبادرة السلام العربية

بوابة أمنة لحل ثابت. ولأن سلوك تعاملهم كان على هذا النحو فإن الدول الأوروبية حذت حذوهم. وها هو الإتحاد الأوروبي لا يرى في الذي فعله التطرف الإسرائيلي في مخيم جنين سوى "أنه مؤلم وانتهاك للقانون الدولي".

خلاصة القول إنه بدل التملق الأميركي _ الأوروبي لإسرائيل ومسايرة التطرف من الأجدى مؤازرة بيد الطيف العاقل من الإسرائيليين الذين يريدون العيش الهادئ كما الذي يريده الفلسطينيون الذين ضاقوا درعاً بالعيش المذل على أرض أجدادهم وآبائهم ويتطلعون إلى دولة إقامة أمنة تعويضاً عن كامل الوطن، عدا ذلك يعني أن المسلسلين سيستمران على الوتيرة نفسها مسلسل الإقرار الأميركي _ الأوروبي بأن الحل في دولتين من دون تفعيل لهذا الحل. ومسلسل النضال من جانب الجيل الفلسطيني الثالث جيل الأحفاد وتصعيد العنف التطرف الإسرائيلي لإطفاء جذوة هذا النضال. وفي نهاية الأمر ينتصر الحق الفلسطيني على السالب الإسرائيلي وعلى الراعي الأميركي _ الأوروبي لهذا السلب. والله القادر.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 17 يوليو (تموز) 2023

التقريع الفرنسي لـ اللبناني المبتلي

يتترك العمل الدبلوماسي في لبنان من جانب سفراء عرب وأجانب مشاعر وجدانية عموماً يعبرون عنها في مناسبة إنقضاء سنوات عملهم في الدولة التي هي بمساحة إحدى الولايات أو المحافظات في بعض الدول، لكنها من حيث الحيوية السياسية والتركيبية الحزبية والطوائفية تبدو وكما لو أنها من الدول الكبرى. وإعتاد معظم هؤلاء السفراء على تسجيل مشاعرهم في صيغة رسالة وداعية إلى جانب تصريحات في مناسبات عابرة.

وتترك وداعيات هؤلاء التي هي من نوعية الرباعيات الوجدانية لدى بعض الشعراء شعوراً طيباً في نفوس سامعيها أو قارئها. كما يكون هنالك حرص على التفاؤل خيراً وإهتماماً لاحقاً من جانب الدولة التي يمثلها السفير.

كان هذا هو ما يحدث إلى أن خرجت السفارة الفرنسية أن غريو يوم الجمعة 14 يوليو/ تموز 2023 على المؤلف كما على الكياسة إذا جاز التحديد، وجعلت من

كلمتها في إحتفال السفارة في القصر التاريخي الذي يعود إلى زمن الإنتداب ما يشبه المطالعة من جانب المدعي العام في محكمة يحاول من خلالها إثبات التهمة على المدعي عليه وإنزال العقوبة التي تجعله لا يكرر فعله المبعوض.

وفي حضور رحب تمثلت فيه الدولة والأحزاب وهيئات من المجتمع المدني اللبناني وممثلين عن قيادات أمنية، إغتتمت السفارة مناسبة العيد الوطني (14 يوليو من العام) المتزامنة مع إنتهاء عملها سفيرة لدى لبنان لتفاجيء الجميع بما دونته في وداعيتها التي تضمنت من العبارات البالغة الخشونة ما يتناقض مع رومانسية المرأة الفرنسية عند التخاطب علماً بأن الأحوال العامة التي يعيشها اللبنانيون وبالذات منذ السنوات الخمس العجاف تؤكد ما قالتها السفيرة ربما بداعي ذروة الأسى على لبنان وربما لأن التقريع بات لا بد منه ما دام السعي من جانب حكومتها لحل الأزمة لا يلقى التفعيل المطلوب. ومن عباراتها التقريعية "ما كان ليصبح عليه وضع لبنان اليوم لو أن فرنسا إستسلمت ولو أن إلتزامها إلى جانبكم بمساعدة دول صديقة تلاشى وتوقّف؟" ومن نماذج الأسئلة التي طرحتها "أين كنتم لو أن فرنسا لم تحتضن مع شركائها قواكم الأمنية وأين كنتم لو أن فرنسا لم تحشد جهود المجتمع الدولي ثلاث مرات متتالية لتجنبكم إنهيئاراً عنيفاً تحت وطأة الإفلاس المالي والإنفجار في مرفأ بيروت.. ولو لم تهّب لدعم مدارسكم كي لا تغلق أبوابها.. ولو أن الشركات الفرنسية قلصت أعمالها وتخلت عن فرق العمل المحلية فيها". ثم تناولت غريو مهمة لودريان وأعلنت أن وساطته "خطوة تهدف إلى جمع بلدان المنطقة والمجتمع الدولي التي ما زالت تهتم بمستقبل لبنان وقد أصبح وجودها نادراً كما ترمي إلى توفير الظروف الضرورية لإقامة حوار هادئ بين أفرقاء لا يتحدثون مع بعضهم البعض علماً أنه يقع عليهم جميعاً إنتخاب رئيس للجمهورية...".

عبارات التقريع من جانب السفيرة المغادرة جعلتني أستحضر وداعيات تخلو من هذه الخشونة من بينها وداعية السفير الفرنسي السلف برونو فوشيه قبل ثلاث سنوات الذي أوجز وداعيته في تغريدة جاء فيها "أحمل معي بعد ثلاث سنوات في بلد مثير ذكرى المواهب التي واجهتها. هذا البلد يجب أن ينجح إنه يستحق ذلك. أيها السادة السياسيون، إنسوا مشاجراتكم. 6000 عام من

التاريخ يراقبكم ويحكم عليكم! وداعاً للجميع. أحبكم".

كما أستحضر من باب المقارنة عبارات للتدليل على طبيعة المشاعر وعلى ما في النفوس وداعية أحد سفراء الدولة الجارة لفرنسا كذلك وداعية سفير الصين الدولة الأبعد التي باتت شاغلة بال الكبار موضع طمأنينة وإهتمام العالم العربي بعد التوافق المحترم في الرؤى. فالسفير البريطاني أيان كولارد قال في وداعيته "أنا حزين لرحيلي إذ إستمتعت كثيراً بتجاريبي اللبنانية. قد يكون قد يكون لبنان صغيراً، لكنه مكتمل التكوين من نواح عدة. يتمتع لبنان بالعديد من المقومات الضرورية للنجاح، ولا سيما الأساس الراسخ في تاريخه الغني والعميق، تستكملة حيوية حديثة وريادة أعمال وقدرة بشرية لا يمكن التغاضي عنها. ومع ذلك، فإن جوهرة شرق البحر الأبيض المتوسط لا ترقى إلى مستوى إمكاناتها. يعاني الكثيرون منكم في ظل استمرار فشل أصحاب النفوذ في لبنان في خدمة مصالحكم _ مصالح الشعب اللبناني. تظل أولويات المملكة المتحدة واضحة. الحكومة البريطانية ملتزمة بدعم استقرار لبنان وأمنه. لقد عمّقنا ووسّعنا شراكاتنا مع الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي. ساعد دُعماً لقطاع التعليم في بناء مستقبل أفضل لشباب لبنان، أولئك الذين سيكونون جيل المستقبل من القادة اللبنانيين. سنستمر في دعم الفئات الأكثر ضعفاً، والدفاع عن حقوقهم، والدفاع عن أولئك المعرضين لخطر التحيز والإضطهاد. لبنان مهم وفي عام 2019، قالت جلالة الملكة إليزابيث الثانية إن لبنان كان "رمزاً للتنوع والتسامح والصمود". وأعربت عن أملها في استمرار أواصر الصداقة القوية بين بلدينا لسنوات عديدة. واليوم عند مغادرتي لبنان بصفتي سفير جلالة الملكة، أشاطرها طموحها. أنا فخور بأننا، المملكة المتحدة، نواصل أداء دورنا كصديق ثابت لكم _ صديق للشعب اللبناني...".

وأما السفير الصيني وانغ كيجان فأوجز مشاعره في الوداعية المطولة والتي كانت بمثابة كشف حساب بالعبارات الآتية: "لم أشعر بأيّ غربة على رغم وجودي في بلد أجنبي، لأنه خلال فترة إقامتي هنا على مدى ثلاث سنوات، أعيش دائماً في جوٍّ ودي، إذ قُوبلت بترحيب حار وحفاوة كريمة أينما ذهبت، وكثير من اللبنانيين يحيونني بالكلمة الصينية «ني حاو» (يعني أهلاً وسهلاً بك). قضيتُ فترة إقامتي في لبنان بسعادة وفرح، وقد أُرست هذه المشاعر الصادقة والودية حجر الزاوية بثبات أكبر وبقوة دافعة

للعلاقات قوامها الديمومة بين البلدين، وهي تجسّد أفضل تفسير للقول الصيني بأنّ العلاقات بين البلدان أساسها المودة بين الشعوب. على رغم أنني على وشك مغادرة لبنان، ستكون السنوات الثلاث الماضية خلال إقامتي في لبنان ربيعاً دائماً في ذاكرتي. أينما أكن، سأهتمّ بلبنان باستمرار وسأواصل جهودي لتطوير العلاقات بين البلدين. وأتمنى مزيداً من الجمال للبنان في المستقبل وأن يأتي نسيم المحبة بين الصين ولبنان بمزيد من الفوائد لمصلحة الشعبين الصديقين!".

قد تكون السفيرة في وداعيتها إستحضرت تلك البادرة الطيبة من جانب الرئيس ماكرون الذي زار لبنان موسماً في كارثة مرفأ بيروت، وكذلك تقمصت التوصيف السائد لدى اللبنانيين وتحديداً جيل أجداد وآباء الحاضر وهو أن فرنسا هي "الأم الحنون" وبحيث تصرفت ضمناً وهي تدون وداعيتها وتلقاها أمام ضيوف حفل اليوم الوطني على أنها هي "السفيرة الحنون". ومن كان حائناً أو حانية فإن حنوها يجيز لها ما يتجاوز المفردات الرومانسية وإعتماد العبارات الكثيرة الخشونة بغرض المحب الذي يريد لشعب بلد أحبه أن يهتدي إلى سواء السبيل. لكن مفردات التوقيع رمت بتقلها على المشاعر.

ومن حقنا التساؤل: هل هذا ما يراه الرئيس ماكرون الإبن البار لـ "الأم الحنون" تجاه الإبن الوطن لبنان. أم أن للإبنة السفيرة تقيماً مغايراً عبّرت عنه بوداعيتها التقريرية. والإجابة ستنتضح معالمها في ما ستسفر عنه مساعي الدبلوماسية الفرنسي العريق جان إيف لودريان في محطات حراكه بين جدة وبيروت والدوحة. ومثلما أن من يتقاعل بالخير يجده، فإن اللبناني المبتي الذي يكابد ويلات العناد السياسي والحزبي يتقاعل بالحل بأمل أن يتحقق.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 20 يوليو (تموز) 2023

حكمة العقلاء.. ونزوات الحروب

في الوقت الذي كان رئيس الصين شي جينينغ يتجاوز قواعد البروتوكول ويخص يوم الخميس 20 يوليو/ تموز 2023 الدكتور هنري كيسينجر الزائر، غير مبال بحساسية مؤنيته، بما يشبه التوسيم كلامياً بعبارة "لن ننسى أبداً مساهمتك التاريخية في تطوير العلاقات الصينية _ الأميركية"، كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يفضل

المشاركة نظرياً وهو في الكرملين في قمة "بريكس" المقرر إنعقادها في جوهانسبرغ لتقادي إحراج حكومة جنوب أفريقيا من تنفيذ قرار محكمة الجنايات الدولية بإلقاء القبض على الرئيس الذي بدأ حرباً لا يبدو أنها قريبة الإنتهاء على نحو ما يرضي كبريائه المجروح من بعض عسكريه إلى جانب جرح "فاغنر". فهو إذا واصل الحرب فإن الإستنزاف سيأخذ من قدرات روسيا العسكرية والمالية. وإذا هو أوقفها فإن مهابته التي أصيبت في العمق من جرّاء إنتفاضة "جيش الرديف" المعروف بـ "فاغنر" والشبيه بعض الشيء بـ "قوات الدعم السريع" في السودان، ستتتهي بمن ينقلب عليه. والحال على ما هي عليه إلى أن يلهمه الله الأخذ بالنصح السعودي والتمنيات الخليجية والإقتراحات التركية إلى جانب التردد الصيني في المؤازرة الفاعلة، وبذلك لن ينقطع الخيط الرفيع الذي يربط أواصر العلاقات. وإلى ذلك الأخذ بالحكمة الصينية التي أحدثت تجلياتها ما أبداه رئيس الدولة جينبينغ من خلال ترحيبه المتميز بـ الزائر الصيني هنري كيسينجر، وبإطرائه المبتوث على الهواء لما سبق أن قام به هذا الزائر الإستثنائي يوم كان مستشاراً للأمن القومي في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون قبل 52 سنة، أظهر الرئيس الصيني عمق أهمية ما أحدثته الزيارة الأولى لهذا المستشار البعيد النظر ومدى أهمية الاستقرار النسبي في العلاقة بين الولايات المتحدة والصين التي كانت في حالة من العزلة قبل نصف قرن ثم ها هي الآن صنو الولايات المتحدة في رسم خرائط التعامل بين دول العالم فيما تبدو مرشحة للخبو المتدرج شلعة الرئيس بوتين التي سبق أن أضيئت بإفتتاح عربي متدرج عليه إنسجاماً بتطوير علاقة رسم معالمها ولي عهد المملكة العربية السعودية رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز وباتت ذات بُعد إستراتيجي.

كأنما الرئيس الصيني بالحفاوة التي أسبغها على ذي القرن يريد كذلك عدا الحرص على تقديم الروية على الإنفعال وإعتماد المرونة بدل التصلب من جانب إدارة الرئيس جو بايدن القول لبعض أهل الحُكم وبالذات لمن علا شأنهم وتكاثر عوائد وعاديات تطلعاتهم، في حاضر هذا الزمن الحافل بالآزمات والتعقيدات، خذوا الحكمة من عقلاء بني قومكم، حتى بعدما لم يعودوا أصحاب مناصب رسمية عند إشتداد أزمة حُكم كما الحال على سبيل المثال في لبنان وليبيا، أو حالة إحتراب جاهلية كما الحال في سوريا والسودان، أو إفتعال حرب من دون الأخذ في الإعتبار مفاعيل أذاها التي تفوق بكثير مفاعيل كبرياء بادئها كما

الذي حدث من جانب الرئيس بوتين ضد دولة إستقرت وباتت مستقلة كما سائر الجمهوريات في الزمن السوفياتي ثم ها نحن نراه بدل الإصغاء إلى عقلاء والإستعانة برؤاهم يوحى بحرب ينطبق عليها القول "علي وعلى الأوكرانيين ومن يقف معهم..."، وينشر في نفوس بني ديانتة أرثوذكسيي العالم المسيحي بالغ الأسى لتدميره إحدى كاتدرائية اوديسا التي سبق أن إستهدفها ستالين في زمن إلحادي بتدمير مماثل.

وفي الإطار نفسه يحتاج إلى مثل هذه الإستعانة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي خطأ، بعدما تأمّن مبتغاه في حقبة رئاسية جديدة، خطوات أولية على صعيد معالجة حالات متوترة في العلاقات بين تركيا والدول ذات المكانة المتميزة في خارطة العربية. وبصرف النظر عما إذا كانت الظروف الاقتصادية والإرتباك المالي الذي ترك حالة من عدم الاستقرار للعملة التركية، هي الدافع الأساس وراء الجولة التي قام بها وشملت السعودية ودولة الإمارات وقطر، تشكّل جانباً من هذه الجولة التي أثمرت عقوداً مليارية يرد بتوظيفاتها كيد المعارضة المتأهبة للثأر من فوزه بالرئاسة من خلال مسائلة برلمانية في العمق للوضع الإقتصادي البالغ سوء. من هنا القول إن إعادة النظر في سياسة عشر سنين أردوغانية تحتاج إلى رؤى عقلاء ومستثمرين ينصحون بأن الدور التركي في المنطقة يحتاج إلى نوع من الإستكانة شأنه شأن الدور الإيراني، خصوصاً بعدما بات جلياً أن تطلعات كل من رمزي هذا الدور مآلها الذبول المتدرج لأن الإرواء للغرسة بالتعصب والبغضاء و"الجيش" الرديفة مآله ثماراً بالغة المرارة. ونقول ذلك على أساس أن كلاً من الرئيس أردوغان والمرشد خامنئي نشر أشرعة سفينة التدخل في سيادات بعض دول الأمة وخصوصياتها بغرض أن يتقاسم الإثنان الإسلام أو الأنظمة الإسلامية فكانت التدخلات التي عطلت أحوالاً في دول عربية مثل سوريا والعراق واليمن وليبيا ومصر والسودان.. وفلسطين المنقسمة الزعامة.

ثمة ما يشير إلى أن الرئيس أردوغان بعد عوائد الجولة السعودية _ الإماراتية _ القطرية والإيحاء بأنه من خلال صيغة الإستضافة سيُنفع المعتدي _ المحتل الإسرائيلي ننتياهو ورمز المعتدى عليه الفلسطيني محمود عباس، سيجني لرئاسته المجددة عائداً وطنياً عربياً _ إسلامياً مجهول الملامح إلى حين اللقاء الإسرائيلي _ الفلسطيني في الرحاب الأردنية. إذا كان مثل هذا العائد سيعود بالرضى

على الطرف الفلسطيني المعتدى عليه منذ ثلاثة أرباع القرن، فإن حقبة جديدة من الإستراحة تعيشها المنطقة بالتدرج ويحاكي فيها التبصر خطوات نوعية على طريق بناء عالم عربي _ إسلامي جديد ترى الجمهورية الإسلامية في إيران أن سلامة نظامها وإستقراره وكذلك سلامة "دويلاتها" في بعض دول المنطقة هو في تصغير الأزمات. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 24 يوليو (تموز) 2023

الضارة التي نفعت

وفق قاعدة "رب ضارة نافعة" فإن المئوية يوم الأولى لحرب الجنرالين التي أوصلت بلاد النيلين وخيرات الأرض على أنواعها إلى مشارف الذل والحاجة إلى الرغيف، أنتجت ملامح نفع لأزمة عالقة منذ خمس عشر سنة طرفاها أثيوبيا من جهة ومصر والسودان من جهة ثانية. ما نقصده بحالة النفع تتصل بلقاء ثنائي بين الرئيس عبدالفتاح السيسي ورئيس الحكومة الأثيوبية أبي أحمد كان وفقاً للبيان الصادر عن الإجتماع مدعاة تقاؤل بإيجاد تسوية للأزمة المعلقة في شأن "سد النهضة". ولقد جرى اللقاء على هامش "قمة دول جوار السودان" التي دعا إليها الرئيس السيسي وإستضافها يوم الخميس 13 يوليو/ تموز 2023 وبدأ في الصورة التذكارية محاطاً برؤساء دول وحكومات دول جوار السودان (مصر. تشاد. أثيوبيا. جنوب السودان. ليبيا. إريتريا. أفريقيا الوسطى) ورئيس مفوضية "الإتحاد الأفريقي" والأمين العام للجامعة العربية، كمن يريد القول إن دول الجوار أولى من خلال التفاهم بعد التفهم بمعالجة أزماتها مهما عظم شأن هذه الأزمات على نحو ما هو حاصل في السودان وإستدراك ما قد يحصل في حال بقي الموقف الأثيوبي من موضوع قد يشعل عدم حسمه حرباً لا قدر الله. ونقول ذلك على أساس أن مفردات التمنيات وأحياناً التحذيرات كما أحياناً محاولات دولية خجولة، من بينها مسعى أميركي، لم تُحقق إنفراجاً في الأزمة. ثم تأتي موجة الجفاف والظاهرة الحرارية وإحتمال إنحسار في مياه النيل المصري والخشية من إندلاع حرائق كتك التي يأكل لهيبها غابات وأشجار

ومحاصيل في بعض دول العالم وبالذات في إيطاليا واليونان، لتأخذ المسألة مناخ كثيرة الخطورة. فما يشهده العالم من كوارث يوجب المسارعة إلى عدم التسويف في أزمات طال كثيراً أمر البت فيها.

في البيان الذي أصدره الرئيسان المصري والأثيوبي عن لقائهما يوم الخميس 14 يوليو "تأكيد إرادتهما السياسية المتبادلة لتعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين سياسياً وإقتصادياً وثقافياً إنطلاقاً من الرغبة المشتركة في تحقيق مصالحهما المشتركة، بما يسهم أيضاً بشكل فعال في تحقيق الإستقرار والسلام والأمن في المنطقة وقدرة الدولتين على التعامل مع التحديات المشتركة..."

تلك عناوين تقليدية لطبيعة المحادثات بين الدول التي لا تعيش خلافات بعضها بالغ الحساسية مثل الخلاف المستديم في "سد النهضة" الأثيوبي وإحتمال تداعياته على مصر. لكن اللافت في البيان هي الفقرة اللاحقة والمتضمنة إتفاق الرئيسين على "تجاوز الجمود الحالي في مفاوضات "سد النهضة" من خلال الشروع في مفاوضات عاجلة للإنتهاء من الإتفاق بين مصر وأثيوبيا والسودان لملء السد وقواعد تشغيله. كما إتفقا على بذل جميع الجهود الضرورية للإنتهاء منه خلال أربعة أشهر وإلتزام أثيوبيا خلال فترة المفاوضات وأثناء ملء السد خلال العام الهيدرولوجي 2023 _ 2024 عدم إلحاق ضرر ذي شأن بمصر والسودان بما يوفر الإحتياجات المائية لكلا البلدين..."

اللافت أنه قبل التحادث وإصدار البيان كان رئيس الحكومة الأثيوبية حسم الأمر بإعلانه عزم أثيوبيا على إجراء الملء الرابع لخزان السد خلال موسم الفيضان الحالي. هذا يعني أن التشغيل النهائي سيتم وسيبدأ إنتاج الكهرباء التي تعول أثيوبيا على تسويقها لدول الجوار الأفريقي وبالذات تلك التي حالها كهربائياً مثل حال لبنان وسوريا منذ خمس سنوات. والتسويق المشار إليه وتعول أثيوبيا على عوائده التي هي مثل عوائد القمح الأوكراني الذي عطلت حرب الرئيس فلاديمير بوتين تسويقه على الوجه الأكمل. وفي هذه الحال ستبدأ ملامح مخاطر التشغيل على حصة مصر من مياه النهر. وفي ما نبه إليه خبراء مياه ومسؤولون مصريون فإن بداية التشغيل من جانب أثيوبيا لمجرد إنتهاء الملء الرابع، هو بداية الأزمة المائية التي طالما شغلت بال أهل الحكم وبذلت الحكومة المصرية من المسعى الدبلوماسي الكثير تفادياً

لمعالجة غير ودية لأزمة مصيرية.

هنا نتساءل: هل إن أثيوبيا ستعوض على مصر كهربائياً أو من خلال تسويق الكهرباء ما يطوي ملف الخشية المصرية؟ وهل إن أثيوبيا ستري في الحرب التي لا تتوقف في السودان أنه إضعاف للموقف المصري _ السوداني الموحد من أزمة "سد النهضة" فتواصل التعبير عن الرغبة في بذل "جميع الجهود الضرورية" من دون إغلاق نهائي لصفحة أزمة بدأت في عهد الرئيس حسني مبارك والرئيس عمر البشير وما هي قائمة... إلى حين. والله الهادي إلى ترجيح الوفاق والتصرف بحكمة أمام الأزمات العالقة كي لا تنتهي مواجهة أشبه بحرائق.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 27 يوليو (تموز) 2023

نعيم الاستقرار من نعمة التجدد

على مدى سنتين والرئيس عبدالمجيد بتون يبذل من السعي الأشبه بالسباح الذي يتعامل مع أمواج عاتية تحتاج إلى من يواجه محاذيرها وبحيث يصل بسلامة إلى الشاطئ.

لقد ورث الرئيس بتون جزائر متوعكة. رئيسها يكابد متاعب صحية دقيقة. وفيما المتاعب تشتد وتفرض على المتوَعك علاجاً بين سويسرا وفرنسا، فإن بعض المحلقين في فضاء الحكم وظفوا مكانتهم وإنشغال كبير الدولة في حاله الصحية، فأثرى من أثرى وخالف ما هو مؤتمن عليه من خالف. وهكذا رأى الرئيس بتون أن فتح ملف الفساد هو المدخل إلى إستعادة الجزائر إنضباطها، يلي ذلك إعادة قراءة في ثانيا جوهر العلاقات بدول العالم مع تقديم العلاقة بالأشقاء العرب عن بقية العلاقات مع بعض دول العالم، الكبرى منها بوجه خاص. وكذلك التأمل بعمق في الحالات الوطنية العالقة وإعطاء الجانب الإقتصادي والإستثماري عناية فائقة.

خطا الرئيس بتون خطوات لافتة على طريق تصويب العلاقة مع فرنسا وبإدله رئيسها ماكرون الحرص على التصويب وبالذات مع ما من شأنه التصحيح الحاسم لسنوات إستعمار أنتج عداوة في نفوس ثلاثة أجيال من الشعب الجزائري خصوصاً أن هذه الأجيال وجدت روحها

تتناقض لسانها. الروح عربية إسلامية لكن اللسان عبارة عن خطة من الكلمات الفرنسية عسوية على التعبير الواضح. ومن هنا كانت إنتفاضة التعريب التي شقت طريقها بإندفاع وطينة ملحوظة. وجاءت إنتفاضة المشاعر العروبية من خلال مواقف بدأها الرئيس أحمد بن بيللا ولم تكتمل وعززها العقيد الرئيس هواري بومدين وكان لها أن تقاسم المكانة التي حققتها ليبيا العقيد الرئيس الآخر معمر القذافي لولا أن وطأة المرض كانت شديدة على بومدين ثم يأتي الرئيس بوتفليقة يحاول تميمتها لكن الحالة الصحية حالت دون تحقيق السعي. ورحل سي عبدالعزيز (كما كانت تطيب له المنادة هكذا) ليترك إرثاً بالغ الشبابك وليبدأ الرئيس عبدالمجيد مداواة إرث الرئيس عبدالعزيز داخلياً وجواريماً مغاربياً وأفريقياً مع إعطاء العلاقة مع الأشقاء العرب زخماً بمفهوم العلاقة المستقرة التي تمتزج فيها العاطفة الأخوية بالرؤى الإستراتيجية، مع إبقاء هامش رحب في موضوع القضية الفلسطينية التي تعني للشعب الجزائري الكثير ويرى فيها أن صنو محنة الجزائريين مع فرنسا التي سبق أن استعمرت قرناً كاملاً وما هي تحاول أن تحمي من الذاكرة الجزائرية بقايا أوزار ذلك الزمن الذي كان فيه الإستعمار الفرنسي للجزائر على نحو إستعماره لبعض دول القارة الأفريقية. وفي ضوء الذي حدث في النيجر يبدو من مصلحة فرنسا الحاضر الماكروني التصرف بالتفهم وبالتواضع. وهي إذا كانت لن تعيد النظر فتعالج الأمور بغير زمجرة الصوت والتلويح بالسوط الحديدي، فإن الإنتفاضة الأفريقية في بداية الإنضاج وصولاً إلى ما يشبه الغليان الذي هو من غليان أحوال المناخ الذي نبه منه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش يوم الخميس 27 يوليو/ تموز 2023 من خلال عبارة "إنتهى عصر الإحتباس الحراري.. حل عصر الغليان. التغيير الحراري مرعب. هذه مجرد البداية". وإذا جاز الإفتراض فإن الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة الآتي إنعقادها بعد أيام ستكون دورة عصر الغليان بمعظم درجاته: الحراري والروسي والفلسطيني. ثلاثة من الغليانات التي سيندم الذين يوقدون مراحلها بأنهم ليسوا القادة الذين يحسنون من خلال التبصر والآخذ بالروية تبريد الغليانات على أنواعها. وإذا جاز التوقع فإن دوراً قيد إستكمال ملامحه ستقوم به جزائر عبدالمجيد بتون في ضوء تعليق آمال روسية وصينية تبلورت بعد المحادثات التي أجراها الرئيس في

عن الطاعة أو في الحد الأدنى عن النص بلغة الممثلين في المسرحيات. بداية جرى إستهداف للكرملين رمز عنفوان بوتين وبعض الذين سبقوه تلت إستهداف برج تجاري "موسكو سيتي" سيجعل السكن فيه وتسويق المواطنين في محلاته عرضة للمخاطر، بمعنى أن من أصاب البرج للمرة الأولى يمكنه تكرار فعلته وتعدد الأهداف مزيداً من الأبراج والمناطق والأسواق وحتى الإضطراب إلى معاودة إغلاق المطار الرئيسي في العاصمة موسكو.

وأما الحالة الأخرى التي توجب عميق التأمل فيها فتتمثل في المفاجأة التي حدثت في جمهورية مالي والتي فيها من ضيق صدر الجنرالات بالحكم المدني لا فرق كان ضمن الأصول المتبعة ديمقراطياً على النحو التي في ظلها وفي إطار الاختيار الحر والإقتراع الخالي من الضغوط، ما يشيع ضيق الجنرالين في السودان (عبدالفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو/ حميدتي) من الطيف المدني بمختلف أحزابه وهيئاته ونقابات. وبصرف النظر عما إذا كان الجنرال النيجري المؤتمن على سلامة رئيس البلاد أدى عكس الواجب الذي هو أدق الحراسة للرئيس، إستنسخ صيغة جنرالي السودان، أو أنه لغم روسي جرى زرعه مع إهتزازات متقطعة في مهابة الرئيس بوتين، فإنه إنقلاب منقوص الشعبية يؤكد ذلك إنطباع شعب السودان عما فعله جنرالهما ومن حولهما من ضباط، وهو إنطباع صادم مماثل للإنطباع الشعبي الروسي بنسبة لافتة إزاء الحرب التي بدأها ضد أوكرانيا وإفترض أنها لن تدوم أكثر من بضعة أسابيع وتتوج بإنصياح أوكرانيا للقبضة البوتينية وإذا بها تتحول إلى حرب إستنزاف للهيبة وللخزينة فضلاً عن إمتعاض من شعوب في دول العالم نتيجة إستعمال القمح وسيلة ضغط طالما قاسى منه ملايين تأثرت إحتياجاتهم إلى الأرزفة. ولقد كان مدعاة للتعجب كيف أن الرئيس بوتين الآتي إلى السُلطة من خلفية مخابراتية إقترب مثل هذا الحرمان لإحتياج أولئك الملايين الذين تأثر رغبتهم جودة وسعراً ووزناً. وفي أي حال إن رفع العلم الروسي في عاصمة النيجر من جانب هتافين قاذفين بالحجارة إلى جانب إشعال حرائق في محيط سفارة فرنسا الدولة الخارجة من وطأة هيجان شعبي مردوده خسائر مادية ومعنوية ومن دون مكاسب، لن يعيد إلى مهابة الرئيس ما منيت به على مدى صولات وجولات كان في غنى عنها لو هو

موسكو وبكين وكانت موضع الرصد الدقيق من جانب الإدارة الأميركية التي لا هو زارها ولا الإدارة وجهت حتى الآن الدعوة. ومثل هذا الدور سيكون من أولويات رئاسته الثانية التي يتواصل التمهيد لها وبلورة معالمها سواء لجهة رسم إطار ثابت للعلاقة مع فرنسا وتعزيز لتوظيف طمأنينة الأوروبيين لموضوع الغاز الذي عوضهم الغاز الروسي في بناء علاقة ندية، وتطوير العلاقة مع كل من روسيا والصين وبما لا يجعل الإدارة الأميركية على تربص مستديم للخطوات الجزائرية وبحيث يتم إدراجها إلى جانب ترويض الوضع في ليبيا في بند الترقب بغرض وضع اليد عليه.

خلاصة القول إن رئاسة عبدالمجيد تبون الثانية _ بإحتمال ما هو وارد الحدوث _ هي المحك بل هي رئاسة أنجزت التصحيح والتعديل في خرائط مسيرة العلاقات لجزائر متجددة قوية بساحتها الأوروبية ومسندة بثنائية القطب الشرقي (روسيا والصين) ومرغوب ودها من الإدارة الأميركية ديمقراطية الرئاسة لدورة ثانية أو جمهورية تستعيد الرئاسة من خاطفها.

هل سيأخذ التجدد مداه. ويعوض الجناح المغربي من الأمة بعض ما يفقده من الإستقرار في إنتظار هداية ليبيا إلى إستقرار يتطور إلى تجدد. والله الهادي إلى الصراط المستقيم الذي يؤكد أن نعيم الاستقرار هو من نعمة التجدد.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 2 أغسطس (آب) 2023

أرصف الغليان وسماء المسيرات

فيما حيوية ظاهرة المسيرات في ظل وطأة درجات مرتفعة من الحرارة تؤسس لحقبة من الغليان نيراناً وسيولاً وأعاصير تصبح جزء من متطلبات الميدان، ثمة ثلاث حالات تقرض عميق التأمل. الأولى إستهداف مسيرات متكرر للعاصمة موسكو من جانب أوكرانيا التي زادها الأطلالة قوة تتسم بالرشوة أو بالتعويض عن رفض قبول عضويتها تقادياً لعلو منسوب الإستفزاز للرئيس بوتين الذي ما زال يعالج بإجراءات تدميرية غير مستحبة ندبة الخروج من جانب جنرال المهمات الملتبسة صديقه فاغنر

إقتنع بأن يمضي ولاية رئاسية هائلة ويغادر مذكوراً بالخير من شعبه، أي إذا جاز أيضاً القول لا يقتبس إقتراف الرئيس صدام حسين بغزوة الكويت التي عصفت به وبالعراق الذي ما زال إلى الحاضر يعالج ندوب محنة الغزو.

وأما ثالث الحالات المدعاة للتأمل فإنها تلك التي تمت يوم الإثنين 31 يوليو/ تموز 2023 والمتمثلة بجولة من المحادثات في العمق وعلى قاعدة الود وإزالة المحاذير أجراها في بغداد الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي جاسم البديوي مع المسؤولين أصحاب القرار في العراق ومحادثات في اليوم نفسه وفي بغداد بين وزيرٍ خارجية العراق والكويت (فؤاد حسين والشيخ سالم عبدالله الجابر الصباح) أثمرت تشكيل لجنة لإعادة ترسيم الحدود.

عسى ولعل هذا التوافق يُستتبع بإتفاق إيران والكويت ويمسعى العراق على موضوع حقل "الدرة" الذي تكرر المملكة العربية السعودية والكويت أحقيتهما في هذا الحقل وبأمل أن يثني التكرار الصديق المستجد (الحكم الإيراني) عن إعتبار الحقل من ممتلكاته كما إدعاه في موضوع الجزر الإماراتية الثلاث. وعندما يقول الشيخ سالم (الحامل إسم الجد المؤسس) في تصريح مقتضب "إن أمن المنطقة يعد أمناً جماعياً. العراق بلد جار وتربطنا معه علاقات تاريخية متجذرة وقوية. كما أشعر بأنني مع أهلي في بغداد" فإن المرء الذي يأمل تفهماً إيرانياً لا يعكر الصفو السعودي _ الإيراني الحديث الإستيلاد يتمنى للعراق إنتقالاً من أحوال تنوع الارتباك فيها إلى إستقرار مستديم تكون الكلمة الفصل فيه لأبناء الرافدين وليس لآخرين تنوعت مشاربهم وأطماعهم بوسائل منع العراق من أن يعود ركناً في المعادلة الوطنية.

والله المعين للجميع في عصر الغليان الحراري على الأرض والسلاح المسيراتي في سماوات خلقها الله لتبقى ملأى بالنجوم ولتستقبل القمر العملاق. أنار الله البصائر.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 4 أغسطس (آب) 2023

من باندونغ إلى جدة

ثمة إعادات نظر في الرؤى وفي المواقف تثير الدهشة

وترسم في الأفق ملامح خرائط وعلاقات جديدة. من كان يتصور أن ايمانويل ماكرون ولمجرد أن إستقرت كرسي رئاسته الأولى يرمي في الحلبة السياسية الدولية فكرة الجيش الأوروبي مفترضاً وإن كان لم يفصح على النحو الكافي أن حرباً عالمية ثالثة لا بد ستحدث بين أميركا وروسيا. وفي هذه الحال من مصلحة أوروبا إنتهاج الحياد وتقوية دفاعات جيش أوروبي يرد الضيم عن القارة العجوز. وتأتي رؤية الرئيس ماكرون هذه قريبة الشبه من رؤية بناء حركة عدم الإنحياز في الخمسينات البانديت نهرو، جمال عبدالناصر، الماريشال تيتو، كوامي نكروما، أحمد سوكارنو. وهؤلاء رأوا أن خير موقف يمكن إتخاذه إزاء الصراع الذي بات على أهبة الإنتقال من البارد إلى الساخن بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، هو إستنباط صيغة بعيدة عن معسكر الناتو وعن معسكر وارسو، هذان الحلفان اللذان يعتمدان التحدي أسلوباً والمواجهة هدفاً.

ولقد تشاطر البناء، أو فلنقل تحاذقوا بإيحاءهم أنهم في حركتهم ليسوا ضد أميركا وحلفها الأطلسي ولا ضد الإتحاد السوفياتي وحلفه الشيوعي، وأن مبتغاهم السلامة أي تركهم في حالهم.

إزدادت حركة عدم الإنحياز إنتفاخاً وباتت ملاذ الذين لا حول لهم يرون في الحركة أنها نادي المستضعفين إنما العقلاء في الوقت نفسه.. هذا إلى أن مبادئ الحركة جذابة وتصون العضو المنتسب من الأذى في حال إلترم بمضمون المبادئ. ونقول ذلك من منطلق أن ما دونه القادة المؤسسون بصيغة مبادرة أو فلنقل دستور الحركة قبل 63 سنة في باندونغ لم يمنع المستقوين من الأعضاء من تجاوز المبادئ ومنها على سبيل المثال ذلك المبدأ الذي ينص على عدم التدخل في شؤون الآخرين.

الآن بعد ستة عقود تأخذ المملكة العربية السعودية زمام مبادرة تستهدف ما كانت روح حركة عدم الإنحياز تواقه إليه، ويضيف ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان إلى إبتكارات رؤية إرتبطت بشخصه، ما واكبنا حدوثه في جدة يوم السبت 5 أغسطس/ آب 2023 ويتمثل بمؤتمر تشاوري أمني دولي غير مسبوق ويكتسب أهمية كون المشاركين هم الأقرب إلى الذين في القمة وموضع ثقة محسوبة بدقة، فضلاً عن أن تجربة العلاج المتدرج للآزمات والخلاقات العاصفة التي أداها هؤلاء وعلى سبيل المثال لا الحصر ما حدث في بكين وحقق بداية إنفراج متدرج في العلاقة السعودية _ الإيرانية يتمنى المرء المزيد من التفعيل

لبنان التدشير.. والمدثرون.. والمتدثرون

ينفرد لبنان دون غيره من الدول العربية ذات النهج الديمقراطي بظاهرة التدشير (الغطاء الذي يستر) حيث المتطلعون إلى مكانات عالية في فضاء السياسة يسعون وبمختلف وسائل الترغيب وأحياناً الممالة إلى من يدثرهم، أي بما معناه تبسيطاً، تأمين الغطاء لهم. وحيث أن التركيبة اللبنانية طوائفية فإن التدشير الذي يتطلع إليه يكون من الطائفة التي تُحقق له المبتغى.

أحدث حالات التدشير تمثلت في الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة غير المكتملة القوام، بمعنى أنها فقط لتصريف الأعمال التي هي عموماً معطلة، إلى الرمز الروحي للطائفة المارونية التي بلغ التنافر مداه المقلق في شأن الموقف من إختيار رئيس للجمهورية الذي هو بموجب التوافق ثم الدستور ثم تكريساً للأمرين معاً في وثيقة إتفاق الطائف من أبناء الطائفة. ولقد حقق رئيس الحكومة من التدشير البطريكي له ما خفف من أُنقال المستهينين به من الطيف المسيحي الماروني المتمثل بـ "التيار الوطني الحر" ذلك أن الرئيس ميقاتي المستضعف توجه إلى اللقاء المصنّف من جانبه تشاورياً والمقبول هذا التصنيف من جانب الجناح الحيوي روحياً وسياسياً للطائفة المارونية وبما يعوّض العطب المتعمد للجناح الآخر أي خلو رئاسة الجمهورية من شاعر منصبها.

ولقد بدا الجمع الوزاري الذي سجل ميقاتي به سابقة إيجابية رغم تحفظات الكياديين له أي "التيار الوطني" وبالذات رئيسه المتطلع إلى التدشير هو الآخر من رمزي الطيف الشيعي المقاوم "حزب الله" و"حركة أمل"، وكما لو أنه حالة مستحدثة من جلسات مجلس الوزراء وأن إنعقاد هذه الجلسة في رحاب البطريك الماروني بالذات وليس في رحاب بطاركة آخرين ولا حتى في دار الفتوى، ليس فقط الإنعقاد الذي يروم تدشيراً مارونياً للحكومة يشد من عضدها فلا يتداعى حتى غرض تصريف الأعمال ويصعب عندئذ إختيار بديل، وفي هذه الحال تصبح الرئاسة الوحيدة المكتملة دستورياً هي رئاسة مجلس النواب التي يشغلها الثاني في الثنائي الشيعي الرئيس نبيه بري المدعو حديثاً إلى زيارة رسمية إلى إيران الرمز الأمني والروحي الفاعل لمن في حاجة إلى التدشير. ولقد ناله في زيارة إلى طهران خطب فيها يوم السبت أول أكتوبر/

من جانب أهل القرار في الجمهورية الإسلامية لها وبذلك قد تشق الإنفراجة طريقها في لبنان وتأخذ الهداية سبيلها بما لا يضطر الخليجيون الحادبون على لبنان في أزماته الصعبة يتخذون من القرارات القابلة العودة عنها كون المحب يعتب ويغضب لكنه يترك لإستعادة الود سبيلاً.

كانت المعالجة الأطلسية _ الأميركية _ الروسية _ الأوكرانية دخلت نفق الإستعصاء وكانت تحتاج إلى من يرفد التعقيدات الدولية والعناد بما لا يجعل الحرائق تواصل الإشتعال. وجاءت المبادرة السعودية توكل إلى الذين يحوزون ثقة الذين في القمة التشاور. فما يقوله هؤلاء بعضاً لبعض يتقادم عادة الذين في القمة من قوله. وما ينتهي إليه هؤلاء في ضوء التشاور لا يتحقق عادة في لقاءات أهل القمة لحرص هؤلاء على خصوصية المقامات.

بعد الآن باتت صيغة التشاور الأمني كما واكبنا نتائجها المعلنة والمرفقة بالترحيب، علاجاً مهدئاً شافياً في حال تم أخذ الأمور بالروية. مثل هذه الخطوة النوعية ستعكس إيجاباً على الدورة السنوية العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد أيام. ومثل هذه الخطوة تحققت ملامحها بعدما تبلورت رؤية الوفاق الدولي _ الإقليمي كما رسم معالمها بُد نظر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ووضعه موضع التطبيق ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي لولا التوازن في العلاقة مع الدول الكبرى ومبادرات التهدة للحرب الروسية _ الأوكرانية لما باتت جدة من خلال مؤتمرها رمز إمكانية العلاج للصراعات التي تضع حداً لحروب وتمهد الطريق أمام نهاية المواجهات التي تحرق الأرض وتقتل البشر.

وبعد الآن سيقال إن دورين محوريين إرتبطا بالعرب لمصلحة العالم. دور الرئيس جمال عبدالناصر من خلال علاقة نوعية مع قيادات أممية في الستينات أثمرت ولادة حركة عدم الإنحياز في بانونغ. ودور بالغ التميز من أجل سلام العالم رسمه الملك سلمان وترجمه خير ترجمة وأدق تنفيذ ولي عهده وبحيث سيقال إن طبيعة الصراعات ما بعد مؤتمر جدة هي غيرها عما كانت عليه.

ومن عمل خيراً خيراً يره يا خادم الحرمين الشريفين.. ويا ولي العهد.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 10 أغسطس (آب) 2023

تشيرين الأول 2011 قائلاً ومتسائلاً بعد تهنئة إيران رئيساً وحكومة وشعباً على مفاعل بوشهر الذي كان العمل متواصلاً لإنجازه "إن لبنان يزداد صلابة خلف مثلث الشعب والجيش والمقاومة وأين هي المقاطعة العربية لإسرائيل بدلاً من سوريا".

ما أراده رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي تدثيراً له من رأس السلطة الروحية المارونية ناله وبالرضى الضمني من جانب المرجعية الروحية السنية مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان. وفيما يحقق ميقاتي لمقامه الرئاسي مساندة معنوية، فإنه إرتياعاً إلى رضى المفتي دريان، أو فلنقل عدم تحفظه كون الزيارة سبقها ولا بد التشاور، دُكر ومن دون إعلان ذلك بعض المتحفظين على الزيارة بذريعة أنها إنتقاص من مكانة السراي، أن الرئيس سعد الحريري سبق أن أرسل ما يجوز إعتباره "مجلس وزاري حريري خاص" يتألف من قياديين في "تيار المستقبل" وبرئاسة النائب بهية الحريري إلى بكركي بغرض التشاور مع البطريك الراعي في الواقع الرئاسي الحكومي المتأزم وبأمل أن يحظى الرئيس سعد الحريري بتدثير بطريركي يعزز شأن مهمة ترؤسه حكومة. وهذا اللقاء من جانب وفد "تيار المستقبل" والمستوى القيادي الذي كان عليه جرى يوم الإثنين 1 مارس/ آذار 2021 وكان صداه طيباً.

الحالة الأكثر حدة لظاهرة التدثير بدأها النائب جبران باسيل من قبل إنصراف عمه (والد زوجته) الرئيس ميشال عون وخلوده إلى طمأنينة منزلية وعائلية تخفف عنه وطأة رئاسة منقوصة وحافلة بأنقال التدثير، الذي حقق لرئاسته إستقراراً شكلياً مقابل تحفظات أطراف سياسية من جانب فعاليات من مختلف الطوائف اللبنانية بمن في ذلك السائرين من الشيعة في فلك قطبي الطائفة (السيد حسن نصرالله والرئيس نبيه بري). وإلى جانب تحفظات من جانب رموز حزبية وسياسية ومجتمعية وإقتصادية صدرت في صيغة تصريحات منهم، كانت العظات الكنسية في قداديس الأحاد من جانب البطريك الراعي وصنوه الأرثوذكسي المطران عودة بمثابة تدكير ضمني بالذي أصاب لبنان واللبنانيين من غلبة الرئاسة وفق قاعدة التدثير ومن الطائفة الشيعية المتمكنة، عوض أن يتم التوافق على رئاسة لا تشكل تحديات وتنتج حساسيات تتعكس خصومات وإهتزازات في الصيغة التقليدية اللبنانية. لكن ما أثمر رئاسة للجنرال عون بفعل التدثير

الشيوعي المدثر هو الآخر من سوريا البشّارية وإيران الخامنئية وروسيا البوتينية، من الصعب تكراره مع الصهر جبران باسيل، إذ لا بد من دم خال من أي إختراقات كولوسترولية أو خلاف ذلك، فضلاً عن أن قوانين اللعبة السياسية تتضمن النصح بعدم الرهان على الآتي وهو إمتداد للمنصرف. هنا كانت الخطوة النشطة والمتمثلة بالتدثير ترشيحاً وتمسكاً بالشخص الذي لا أحد غيره وهو سليمان فرنجية.

في ضوء ذلك باتت المناشدة للتدثير الشيوعي متمثلة في شخص النائب جبران باسيل المتطلع إلى التعويض عن نزوع للترؤس منقوص التدثير بإقتسام عوائد ما بعد الترؤس.. إنما في صيغة تدثيرية وليس بمجرد تصاريح بعد لقاءات لا تشمل من إذا أوصى بالتدثير فإن الرد يكون سمعاً وطاعة.

هذا الذي نكتبه مع تقادي المفردات المزدهرة في سوق التدثير والمدثرين تعطي فكرة عن المناخ الديمقراطي السياسي في لبنان الذي كان بنسبة ما حاصل في زمن مضى، وكيف أنه على أهبة أن تذروه رياح لعبة التدثر والمدثرين والمدثرين. وهؤلاء كلهم ليسوا للوطن. ولا للعلم.. ولا لسيفنا والقلم.. ولا لسهلنا والجبل.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 14 أغسطس (آب) 2023

نوم على أزمة وإستيقاظ على محنة

نوم على أزمة سياسية مفتعلة لأغراض في نفوس يعقوبها.. وإستيقاظ على محنة بغرض أن يسود الباطل ويهزم الحق في حال أثمر سعي ساعة الخير إتيانه..

هكذا حال اللبناني المغلوب على أمره من بعض بني قومه من سياسيين ورؤساء أحزاب وتيارات وحركات ومعهم الذين تم إستيلاء جمعيات وهيئات لهم.

هكذا حال هذا اللبناني الذي يريد أن يكون مواطناً صالحاً فخوراً براية الوطن ولا رايات سواها وبالصيغة التي تعكس إرادة الله في تعايش مذاهب بشّر بها الأنبياء وسقاها رعاية الصحابة وشهود الحق في زمن الجهاد ضد الجاهلية وضد سافكي الروح المقدسة على خشبة. هكذا حال هذا اللبناني الذي يخشى نفرة لا عودة عنها لدول

عربية وأجنبية تريد للوطن الصغير أن يستمر كبيراً بصيغته الوطنية والمذهبية وتريد له من خلال المحادثات والاتصالات والمساعدات إستقراراً وطمأنينة مستدامة في ميادين عمل المؤسسات الرسمية والخاصة التربوية والصحية والأمنية بشكل خاص.

كانت تحققت هناة عيش مستقر وتنمية نوعية في عهد الرئيس الراحل رفيق الحريري الذي رأى في إتفاق الطائف أنه ليس مجرد مصالحة سعى أهل الحكم السعودي لإنجازها درءاً لأهوال الحرب ولوضع لبنان في مدار السلامة وإنما هو خارطة هداية من شأن تنفيذ بنود الإتفاق الذي دعم معالمها حادبون عرب وأجانب أن يكون لبنان خلال عقدين من الزمن الوطن الذي هو موضع إهتمام ورعاية الأشقاء العرب له ومن دون أن تكون هنالك محاذير كنتك التي حفلت بها الأجواء السياسية اللبنانية على مدى عشر سنوات وأوجبت في بعض الحالات كثيراً من العتب أحياناً وقليلاً من الإجراءات الإضطرارية عند خروج التصرفات الحزبية والتصريحات غير المسؤولة على أصول العلاقات .

قبل أن يصحو اللبناني على محنة شاحنة تنقل مئات صناديق ذخيرة لأسلحة وصواريخ مرسلة من إيران إلى "حزب الله" بتسهيل أمر إرسالها من جانب السلطة الرسمية السورية، كان نام وكما بين حين وآخر على أزمة تعامل مريب من جانب الحكومة القائمة شكلاً عاجزة فعلاً، مع حاكم البنك المركزي، وعلى ضجيج سياسي لا مبرر له نشأ عن خطوة لافتة إبتكرها رئيس الحكومة المستضعف الشأن أو هي جاءت بإيحاءة من جانب الذين يشورون عليه وتتمثل بلقاء غير مفاجئ _ كونه أعلن عنه قبل يومين من حدوثه _ في المقر الصيفي لبطريك الطائفة المارونية بطرس الراعي. وبدل أن يُرشد اللقاء بترحيب من جانب بعض سياسيين الطائفة فإن هؤلاء صبوا جام الغضب على رئيس الحكومة الزائر وحجتهم أن الزيارة إضعاف للمعادلة الوطنية ولنظرتهم إلى مستقبل الإمساك بروافد السلطة المنقوصة رئيساً للجمهورية وقائداً للجيش على أهبة إنتهاء ولايته مع إحتمال إختصارها دستورياً لترئيسه الجمهورية وهذا يرتبط بموقفه من خفايا واقعة شاحنة المقاومة وهي خفايا تتصل بمرورها الهاديء عبر الحدود، أو غير الهاديء بمعنى أن أحد العسكريين الذين في سلطة الحدود أبلغ بعض أهل ما سُمي "كوع الكحالة" بالطريدة السمينة، كما أن أحداً آخر في تلك السلطة أبلغ من جانبه قيادة مخبرات

المؤسسة العسكرية فكان الحضور الجيشي في ساحة إنقلاب الشاحنة التي لم يخطر في بال مستوردها حزب الله أنه سيحدث وسيكشف المخبوء هذه المرة، أي ما معناه إن شاحنات مماثلة مرت آمنة ولم يتدخل القضاء والقدر للإنقلاب الذي كشف على الملأ وفي ليلة شديدة الحرارة ما تنقله بعض الشاحنات المرسلة من النظام البشّاري أو بإرتضاء منه إلى الذراع الإيرانية المستقوية بالعطاء من جانب الجمهورية الإسلامية وبرحابة الصدر من جانب النظام المستعاد من جانب الأشقاء العرب. وفي إنتظار الإستعادة من جانب الجار التركي الذي لا يبدو أنه سيجلو ولا من جانب الأميركي الذي لا مؤشر إلى أنه سيجلو هو الآخر ربما في إنتظار أن يجلو الروسي في الوقت نفسه، تتواصل الهجمات الإسرائيلية الجوية مروراً بالأجواء اللبنانية وبعضها أجواء الضاحية الجنوبية عرين "حزب الله" على مواقع ومستودعات في دمشق وغيرها يقال إنها تخص إيران التي تستوطن حرسياً ثورياً في سوريا وربما من أجل ذلك تنشط عملية نقل الأسلحة والذخائر وقطع الغيار إلى "حزب الله" في لبنان على أساس أن الحرب عليه غير واردة في أجندة حكومة ننتيا هو أو هي مرجأة إلى حين والإكتفاء حتى حدوثها بالتصريحات وعلى مستوى الكبار (السيد حسن نصرالله ووزير الدفاع الإسرائيلي). ومن هذه التصريحات تهديد الأخير بإعادة لبنان إلى العصر الحجري، علماً بأن مثل هذه المحاولة وفي ضوء ترسانة "حزب الله" يمكن إعادة يهود فلسطين إلى من حيث أتوا عام 1948. وفي علم الغيب ما قد يحصل للبنان في ما هو حاصل. عسانا في قراءة لاحقة نزيد المخاوف والهواجس توضيحاً.

والله مع الصابرين، والذين أهل لبنان منهم، إذا صبروا.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 17 أغسطس (آب) 2023

أزمة أينعت.. وحن أمر حسمها

مصادفة لافتة ومدعاة للتأمل وهي أنه في اليوم (21 أغسطس/ آب 1969) الذي تعرّض المسجد الأقصى ثالث المساجد المباركة الذي صنّعه الرسول (ص) من خلال عبارة "لا تُشد الرحال إلّا في ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى". لعملية إحراق متعمد من جانب صهاينة، والتمثيل بمنبره وممارسة

طقوس تلمودية داخل رحابه فيما النار مشتعلة وأهل الحكم الإسرائيلي بين مبتهجين ومشجعين هذا الفعل الإجرامي... مصادفة لافتة أنه في الذكرى الرابعة والخمسين لهذا الإحراق شُلت أيدي من أحرق ومن إبتهج ومن شجع جريمة الإحراق هذه لتوأم المسجد الحرام تصنيفاً قرانياً لهذه التوأمة " سبجان الذي أسرى بعبدته ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير" يعلن الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد العيسى وهو في أديس أبابا على هامش لقاءات ذات طابع علماني وأكاديمي إنشاء "مسجد النجاشي" في العاصمة أديس أبابا. كما إستهدف منها الإضاءة على حال إسلامي أثيوبيا (ثلث سكان أثيوبيا 35 مليوناً وثلثان 65 مسيحيون) مستحضراً في مهمته قول الرسول عن النجاشي ملك الغابر الحبشي "لو خرجتم ألى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق..."

ليس واضحاً ما إذا كان الدكتور محمد العيسى إغتتم المناسبة وأسدى بعض النصح والتمنيات في شأن أزمة " سد النهضة" التي ما تزال حتى الآن مجرد حالة عالقة بعد مضي 12 عاماً على بدئها حيث أن أهل الحكم الأثيوبي على تصميمهم تشغيل السد بالكامل ومن دون الأخذ في الاعتبار تحفظات أهل الحكيم المصري المقرون بخشيتهم المتزايدة من تأثير التشغيل الأثيوبي على ما عرضته مصر من إحتياجات وكذلك من محاذير وأوجب الحذر المصري تدخلات أميركية وأفريقية لم توت نتائج حتى الآن.

إنما لا بد أبلغ علماء أثيوبيا بما يتطلع إليه كمرجعية إسلامية.

لكن من المؤكد إستناداً إلى معطيات كثيرة، أن رئيس دولة الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان الذي زار أديس أبابا فيما الدكتور العيسى كان ما زال يواصل سعيه، أبدى لدى رجل أثيوبيا القوي أبي أحمد من التمنيات في شأن أن تتم التسوية المائية مع كل من مصر والسودان وفق قاعدة لكل ذي حق حقه هدياً بحكمة الرسول الذي أوصى بسابع جار يبارك من يأخذ بهذه الهداية والتجاوب. وحيث أن الحالة الإقتصادية في أثيوبيا على درجة من العسر كون الحكومة تخوض إحتراباً متتلاً، فإن من شأن تعزيز الإستثمار الإماراتي فيها

وعلى نحو الإستثمار في دول أخرى من بينها بنسبة متميزة مصر وتركيا، أن تقلل من منسوب التمسك الأثيوبي بتشغيل " سد النهضة" على نحو ما هي خطتها. والذي يعزز فرصة حسم هذه الأزمة التي ورثها نظام الرئيس عبدالفتاح السيسي عن الرئيسين (الراحلين) محمد مرسي بعد محمد حسني مبارك أن العلاقة بين الرئيس السيسي والرئيس الشيخ محمد بن زايد قوية ومتجذرة وبحيث يمكن القول إن أزمة " سد النهضة" إذا كانت لا تنتهي وفق ما يتمناه الرئيس الإماراتي ووفق قاعدة أينعت وحن قطافها حلاً عادلاً ومراعياً وبالتراضي، فهذا يعني أنها برسم التوريث هي الأخرى كما هي قابلة للتفجر لا سمح الله... كفى أفريقيا محنة إحتراب وإنقلابات لا مبرر لها وإزهاقاً لأرواح بريئة وإحراقاً لسهول خضراء ورفقاً بملايين شردتهم الحرب المزاجية للجنرالين في السودان شريك مصر وأثيوبيا في أزمة "سد النهضة" التي يمكن أن ينتج التشبث في مواقف معاندة حالة إقتتال جديدة، وبذلك يصبح المشردون بالملايين كما تصبح الأخبار عن الجثث في الطرقات ووفاة ملايين من الأطفال وكبار السن من سوء التغذية وندرة الدواء وإقفال المستشفيات وهجرة الأطباء من الأخبار العادية.

هدى المعاندين من صناع الأزمات المستعصية والحروب إلى سواء السبيل.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 22 أغسطس (آب) 2023

الفرصة منجاة لمن يلتقطها

في إستمرار هنالك في عالم اليوم كما في الأزمان الغابرة، أزمات وخلافات وصراعات كما هنالك حالات تتجاوز تبادل الإتهامات وتصل إلى حافة المواجهات.. فإلى حالة من الإحتراب كما الحال ما هو حاصل بين أوكرانيا الملتحفة بسخاء الغرب الأطلسي وروسيا البوتينية المبتهجة (منذ عصر يوم الأربعاء 23.8.2023) بنهاية "جنرالها" بريغوجين الذي سبق أن قال عنه ولي أمره الرئيس بوتين "إنه لا يغفر لمن يخون" تعليقاً على إنشقاقه الملتبس والذي جعل روسيا بعاصمتها ورمز شأنها (الكرملين) على مدى بضعة أيام في مهب التساؤلات

والتفسيرات والإحتمالات.

ثم تأتي المسيرات بين الحين والآخر تقض المضاجع والمهابة وتُثقل المؤسسة العسكرية الروسية ذات الشأن والتي حفلت ساعات ما قبل واقعة طائرة نهاية أو إنهاء يفغيني بريغوجين بتفسيرات مقرونة بالغاز عن تغيير قائد السلاح الجوي الروسي سيرغي سوروفيكيين الملقب بإسم "الجنرال هر مجدون" (جنرال يوم القيامة).. هذا مع الأخذ في الاعتبار موجبات التغيير الطبيعي وكذلك التنقلات ورغد المؤسسات الأمنية بالدعم الجديد والولاء الأكثر ثباتاً. ولقد تأمنت للرئيس بوتين بدل الفرصة الواحدة عدة فرص تنوعت الأطراف والزعامات القائمة بها. ومع أن المساعي الحميدة لمعظم هؤلاء كانت تأخذ في الاعتبار مكانة روسيا والرغبة الصادقة في أن تكون في منأى عن الذبول المتنقل في مسارها الحربي، إلا أن الرئيس بوتين لم يلتقط على النحو المأمول الفرصة المحمودة، كما لم يحذف من أجدنته ورقة القمح بعد الغاز التي لم تبق دولة صديقة وبالذات فقراء دول العالم الثالث إلا وتأثرت بمفاعيل إستعمال تلك الورقة. وها هو الصراع على حاله والتلويح بما هو أكثر خطورة أي الخيار النووي قائم. وأما الفرص بالذات فمن جانب الأكثر مبدئية وحرصاً على حالة دولية تأخذ التنمية والتطوير فيها مداها.

هنالك أيضاً تلك الحرب الفريدة من نوعها الحاصلة والمتواصلة بين جنرال رسمي من بني المؤسسة العسكرية السودانية العريقة وجنرال "كيان عسكري" جرى إستحداثه في زمن كان الحكم يراه العضد القوي وإنتهى في غير غمضة عين إلى أنه بات "الجيش الآخر" في السودان يتعامل المجتمع السياسي الإقليمي والدولي معه على أنه أمر واقع كما ثمة بعض الأطراف تراهن عليه.

هذه الحرب، أو فلنقل "الحربية" لأنها تجري حصاراً داخل الوطن الواحد هي شكلاً حاصلة بين جنرالين كانا حليفين ضد الطيف المدني ثم باتت عملياً حرباً ضد الكيانين: المؤسسة العسكرية والشعب من دون تمييز بين ختمي وأنصاري أو بين بعثي أو ناصري أو إسلاموي أو شيوعي. ويصعب تفسير هذا النمط الجديد على ظاهرة الإحتراب حيث الطائرات تقصف وطنها وقنوات "الجنرالين" تتباهى بأنها تدمر آليات ومدرعات دفع السودانيون أثمانها من قوتهم وعوائد قطنهم وسمسمهم وتحويلات مغنريتهم ونجدات بعض أشقائهم الخليجيين إلى جانب الصديقين الصيني الثابت والروسي المستجد.

كما يصعب كيف أن "الجنرالين" لا يتأملان في قوافل الذين يهاجرون ويفترشون الأرض ولا يجد الكثيرون منهم ما يستر الجسد ويسد الرمق. وحتى الآن ليس هنالك ما يبرر هذا الإقتتال وماذا سيقال للناس عندما سيستسلم الجنرالان بعضاً لبعض. كما يصعب كيف لا يتأمل الإثنان أو أحدهما قبل الآخر فيحذو حذوه تأملاً، في ما نصح به في زمن الفروسية ألحقه أبو الطيب المتنبي بالقول: "أخا الحرب قد أتعبتها فأله ساعة... ليغمد نصل أو يُفك حزام". والتأمل موصول بعد الترجمة إلى الروسية للرئيس بوتين وجاره اللود الرئيس فولوديمير زيلينسكي.

لقد أضاع الجنرالان فرصة كان من شأنها إختصار هذه الولايات التي ما زال يعيشها الشعب السوداني الذي كان أكثر صدقاً في موقفه عندما رفض طوعاً أن يوالي جنراً ضد جنرال معتبراً أن ما فعلاه ليس لمصلحة الوطن فضلاً عن أنه لا يرضي الله. ورغم ذلك ما زالت الفرصة حاضرة أو واردة في إنتظار من يحسن إلنقاطها. وكان السفير السعودي لدى السودان علي بن حسن جعفر أحدث المؤكدين.

لعل وعسى يأخذ عسكريو الإنقلاب على الشرعية في النيجر المتأرجحة بين الحل السياسي الواقعي والتدخل العسكري الذي قد يشعل القارة ناراً لا تطفئها مياه، العبرة من عدم إلنقاط سيد الكرملين الذي أصابت المسيرات سطحه، الفرصة التي كانت أعقل صيغة للتسوية ومن جنرالي الحرب السودانية اللذين لم يلتقطا المبادرة السودانية _ الأميركية التي كانت بمثابة الساتر للحرب بين عساكر على أرض الوطن وليست على الحدود صدأ لعدوان خارجي. والله الهادي إلى سواء السبيل.

قُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الخميس 24 أغسطس (آب) 2023

قراءة في مخاطرة نجلاء بنگازي

إذا نحن لم نأخذ بالإحتمال الذي يفيد بأن المسؤول في الدولة مستشاراً كان أو وزيراً لا يمكنه الإقدام على خطوة أشواكها كثيرة القساوة، إلا إذا كان مطمئناً إلى أن مرجعيته ستغطي مهمته، أو كان هو شخصياً مسكوناً بالحصول على مكانة أعلى في النظام... إذا نحن لن نأخذ بهذا الإحتمال فإن الذي حصل لوزارة الخارجية

الليبية ابنة بنغازي الدكتور نجلاء المنقوش كان دعة ناقصة على نحو التشبيه المعروف يشار إليه لمن يتصرف _ أو تتصرف _ من دون حساب دقيق للمحاذير. وقبل الكشف المريب والمتعمد من الجانب الإسرائيلي عن الواقعة التي أنتجت وقية للوزيرة الليبية، ثمة واقعة قريبة الشبه من حيث التسرع في تسجيل موقف أو إتخاذ خطوة يحتاج أمر الأخذ بها إلى جلسات نقاش مستفيض وأحياناً على نحو ما يعيشه العالم العربي من خلال قمم أهل الحكم منذ قمة انشاص إلى القمم المتتالية عربية وإسلامية. وما نقصده بالموقف هو ما يوجب الإجماع في الحد الأقصى والتوافق في حدود المنطق الذي يراعي ظروف هذه الدولة أو تلك.

ونحن عندما نتأمل في الخطوة المنقوشية التي أحدثت ما لم يتوقعه المعنيون وكذلك المنخرطون في ترتيب البيت الليبي السياسي والنفطي، نرى كم هي مصادفة لافقة أن الفريق محمد حمدان دقلو (وهو نائب رئيس مجلس السيادة في السودان المنقلب على نظام الرئيس عمر البشير) كان الشاهد الميداني على لحظة إعلان الرئيس فلاديمير بوتين الحرب على أوكرانيا الخميس 24 فبراير/ شباط 2022. وفي الوقت الذي كان حميدتي الذي يقوم بزيارة إلى موسكو على رأس وفد يعقد محادثات مع وزير الخارجية سيرغي لافروف كان الرئيس بوتين يعلن في خطاب تلفزيوني مطول خياره الحربي على أوكرانيا محذراً الولايات المتحدة ودول أوروبا التي يجمعها معها الحلف الأطلسي من التدخل الخارجي موجزاً وبمفردات رمزية ما يمكن فعله التحذير بأنها "عواقب لم تختبروها في تاريخكم...". ولقد بدأ للتو ترجمة تحذيره من خلال تدمير مبرمج لمواقع ومدن في أوكرانيا بدءاً بالعاصمة كييف.

كان من شأن المناسبة التي لم يتوقعها بطبيعة الحال حميدتي أن تشكل وقفة تأمل من جانب المسؤول السوداني الذي يقود "جيشاً" رديفاً للجيش التقليدي الذي يقوده الفريق عبدالفتاح البرهان وبذلك يتقاسم الإثنان بالتراضي الشأن السياسي كما العسكري للسودان. وما نغنيه بوقفة التأمل هي عدم تسجيل موقف من الإعلان البوتيني المباغت للحرب وترك أمر هذا الإعلان إلى ما بعد عودته إلى الخرطوم والتشاور مع شريكه. كذلك يتشاور الإثنان مع رموز من الطيف المدني المتناغم مع الثنائية العسكرية التي إنفردت بمقاليد السلطة. ثم هنالك الشأن الأمريكي والأوروبي عموماً في المسألة السودانية

ماضياً وحاضراً الذي يستوجب المراعاة، وفي الحد الأدنى تلافي الإستفزاز أو التسبب بالحذر.

ما فعله الفريق حميدتي تمثل بتصريح أدلى به وهو ممثلي إرتياحاً من نتائج محادثاته التي أجراها مع وزير الخارجية الروسية لافروف، وكانت أصداء إعلان الرئيس بوتين بدء حربه على أوكرانيا تتوالى إستغراباً من جانب أطراف في شرق العالم وغربه وحتى من دول الخليج التي تتسارع فيها خطوات التطوير والتسويات وجمع الصف وتفسير الصراعات والخلافات. وجاء في تصريحه "إن من حق روسيا الدفاع عن مواطنيها بما يكفلها لها القانون والدستور...". وحتى عبارة لاحقة في التصريح "نتمنى أن يكون الحل سلمياً ودبلوماسياً لتجنب الحروب" لم تشفع لمفردة إعتباره أحقية حرب بوتين.

وهذا التسرع أوجب نوعاً من التدارك لمواقف ليست لمصلحة الإجماع السوداني العسكري _ المدني، وتمثل بتشذيب وزارة الخارجية في الخرطوم، فيما حميدتي ما زال يواصل زيارته الروسية، عبارة تأييده للحرب التي أعلنها الرئيس بوتين. وجاء التشذيب كالاتي: "إن التصريح المنسوب لنائب رئيس مجلس السيادة تشويه متعمد أخرج عن سياقه في محاولة رخيصة للإصطياد في الماء العكر...".

لا التأييد الحميدتي أفاد ولا التدارك الدبلوماسي أدى الغرض. واصل الرئيس بوتين حربه التي ليس في الأفق ما يشير إلى أن شمسها الداكنة ستغرب ويتاح لشمس غير حارقة فرصة الشروق.

ما حدث قبل ثمانية عشر شهراً، ها هو يتكرر راهناً إنما برموز مختلفة في المشهد، حيث أن وزارة الخارجية الإسرائيلية فاجأت بما ليس في البال ليبيا التائهة والمنقسمة على نفسها والكاظم الرئيس رجب طيب أردوغان على بعض أنفاس أهل الشأن السياسي والاسلامي والعسكري فيها وإلى حد أن وزير الدفاع التركي صرح بأعلى تصميم (الأحد 13. 8. 2023) على الموقف إن تركيا (التي في أحسن العلاقات مع إسرائيل) ستواصل وجودها العسكري في ليبيا ولن يكون هنالك حل من دون تركيا. كما أن القوات التركية لن تغادر سوريا دون ضمان أمن حدودها...". وما نقصده بـ "ما ليس في البال" هو أن وزارة الخارجية الإسرائيلية أعلنت الأحد 28. 8. 2023 في بيان أن وزير الخارجية الإسرائيلية عقد في روما بواسطة وزير الخارجية الإيطالية أنطونيو تاتيانيني إجتماعاً

بوزيرة الخارجية الليبية نجلاء المنقوش.

ما يشفع للوزيرة الليبية أنها قرأت وبكثير من التأمل والإحاطة بالمواقف طبيعة المواقف العربية والإسلامية من موضوع التطبيع مع إسرائيل. كذلك حفّزها على الخطوة غير المحسوبة بما يوجب التحسب كونها ليست من الجيل الليبي الذي أشعل فيه العقيد معمر القذافي الحماسة الثورية إزاء القضية الفلسطينية، كونها كانت طفلة في الثالثة من العمر زمنذاك، ولا هي بطبيعة الحال تحيط وجدانياً بموقف وطني عروبي بإمتياز إتخذته ليبيا الملك إدريس السنوسي في القمة العربية الإستثنائية في الخرطوم (سبتمبر 1967) زمن كانت عاصمة السودان الواحد إتخذته بالنخوة ذاتها كل من الملك فيصل بن عبدالعزيز والشيخ صباح السالم الصباح (رحمة الله على الجميع) في تلك القمة التي كان عنوانها "إزالة آثار عدوان 5 يونيو 1967" وقضيتها الأساسية "لا صلح ولا تفاوض ولا إعتراف بإسرائيل". كما الذي يشفع بالدكتورة نجلاء أن رؤاها بحكم دراستها خارج ليبيا وتخصصها الجامعي في بريطانيا في القانون وطبيعة الصراع والسلم، تجعلها محصنة أمام الرؤى الثورية والعاطفية الوطنية. هذا فضلاً عن أن حالة إنسجام في الرؤى السياسية بينها وبين الخيارات التركية ومنها التعاون الأردوغاني _ الإسرائيلي تجعلها عند دخول رئاسة الحكومة الإيطالية على حلبة محاولة التطبيع من جانب ليبيا مع إسرائيل وتولي وزير الخارجية الإيطالية المهمة، لا ترى في الإقدام على ما حدث إثماً وطنياً وإنما مجرد الكتابة في ملف من ضمن الإضرابات السرية في وزارة الخارجية.

وسط هذا الذي يعيشه العالم العربي ليس واضحاً ما إذا كانت ليبيا لن تصطف إلى جانب المغرب وموريتانيا في التطبيع مع إسرائيل وخصوصاً أن لا غبار على مثل هذه الحالة من جانب الدولة الكبرى مصر. مع الأخذ في الاعتبار أن ليس كل من خاطر سَلِم وليس كل من سار على درب التطبيع وصل.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 30 أغسطس (آب) 2023

رهان البرهان.. وما بعده

يشكّل الحضور المفاجئ جواً لرئيس مجلس السيادة

في السودان الفريق أول عبدالفتاح البرهان إلى مصر ولقائه وتحادثه مع الرئيس عبدالفتاح السيسي تعديلاً مهماً في المشهد السوداني المحزن. وهذا بصرف النظر عن إدعاءات كل من طرفي الإحتراب غير الإنساني بينهما على السودان البشر والحجر وكيف أن هذا الوطن تبعثر كما لم تتبعثر أوطان وأسئتهنت كرامات وإنتهكت أعراض وانتشرت غيمات حارقة وسوداء (كتلك التي شاهدها العالم في سماء العاصمة اللبنانية جرّاء تفجير معلوم _ مجهول الدواعي والفاعلين) في فضاء العاصمة المثلثة الخرطوم ذات التراث العريق في مقارعة الإنكليز والإستضافة الأخوية قبل 56 سنة للملوك والرؤساء العرب في مثل هذا الأيلول الأفريقي الانقلابي وممارسة دبلوماسية محمد أحمد محجوب وعفوية إسماعيل الأزهرى (رحمة الله عليهما) التي تشد من عزيمة الثبات على مواصلة الصمود المصري _ الأردني _ السوري فلا تكون هزيمة الخامس من يونيو أكثر من مجرد صدمة بالغة المرارة، لكن عندما يضيق الصدر فإن التسبيح بحمد الرب هو خير علاج. وفي تلك القمة كان التسبيح في أصفى درجاته. وكان عطاء المقتردين بمثابة رُفد الشريان العربي بما يجعل القلب أقوى والهمم أنشط. وهذا ما حدث.

لم تنطلق طائرة البرهان من مطار الخرطوم لأن صواريخ طيران جنرال المؤسسة العسكرية (البرهان) وقذائف مدرعات جنرال الدعم السريع (حميدتي) أمعنّت تعطيلاً بعد قصفات لحركة الطيران منه وإليه. وللمرء أن يتصور حالة عاصمة يقصف طيارون أنفق الشعب من قوته على مؤسستهم العسكرية لكي يكون فيها سلاح جوي يحمي سماءهم وليس قصف مناطق من بينها مطار العاصمة، وكما حال هذه العاصمة تتعرض مناطق فيها إلى القصف من مدرعات وآليات عساكر من النخبة تدريباً لا سامح الله هذا ولا غفر الله لأولئك.

بدل الإنطلاق من مطار العاصمة توجه الفريق أول عبدالفتاح البرهان إلى بور سودان بعد خمس سنوات إقتتال وبدا في ذلك يوحى بأنها قد تكون العاصمة البديل للخرطوم، كما بدا في ما فعل مثل سائر النازحين الذين غادروا السودان هلعين عبّر سفن سعودية إلى جدة. وهذا معناه أنها مغادرة المضطر وليس الحاسم أمر المواجهة مع رفيق السلاح الآخر شريكه بداية خصمه لاحقاً وإرفاق الخصومة بصفات تمحو سمو الشراكة في إدارة الأزمة قبل بدء الحرب شكلاً ضد بعضهما، وأما النتائج فكارثة

متدرجة للسودان البشر والحجر .

جاء البرهان إلى العلمين المنطقة الساحلية الجميلة التي لزميله في الجنرالية رومل الهتلري بصمة تاريخية فيها، وأما اليوم فإنها المكان السياحي الجميل الذي تصدح فيه حناجر المطربين والمطربات فضلاً عن فعاليات ترفيهية ورياضية، وجاء البرهان خالماً ثياب الميدان مرتدياً البذلة الأنيقة متحدثاً مع الرئيس السيسي الذي طالما بذل من السعي المشكور المضاف إلى بداية السعي السعودي ثم السعودي _ الأميركي لاحقاً، من أجل إحلال التعقل محل التحدي وبذلك لا تستمر الحرب المكروهة دينياً المستكثرة شعبياً المرفوضة عربياً وأفريقياً ودولياً، وجاء فيما الأمم المتحدة ترى في معرض التحذير أن الحرب والجوع يهددان بتدمير السودان، وفيما دعوات ومرجعيات عربية ودولية إلى اعتماد الحكمة في التصرف وإستبدال المواجهة بهدنة طويلة تنتهي إلى وفاق .

من الجائز الإفتراض أن الفريق أول البرهان إختار مصر محطة أولى بأمل أن تمهد للترحيب به في ثلاث محطات خليجية للإيحاء بأنه يحذو في ما فعل حذو الرئيس السيسي، أي بما معناه أنه مثلما أن السيسي أنجز حلاً وإستقراراً بعدما وجه الضربة شبه القاضية لتنظيم الإخوان المسلمين ولرئيسهم الذي عيّنوه (الراحل محمد مرسى) فإن البرهان سيوجه بالمساندة المصرية والخليجية (في حال نالها) للمؤسسة العسكرية التي يترأسها الضربة القاضية لـ "قوات الدعم السريع" وقائدها الفريق أول محمد دقلو (حميدتي) على أساس أن هذا الأخير (في نظر البرهان) هو مثل محمد مرسى (في نظر السيسي يوم كان وزيراً للدفاع في نظام الرئيس الإخواني وقد أسلم الروح فيما هو قابع في السجن). لكن المقارنة هنا تقتصر إلى عنصر مهم وهو أن السيسي كان مطمئناً إلى عمق شعبي مناصر له في حسم الأمر مع الإخوان وقيادتهم بتنوع مستوياتهم. وهذا ما حدث بالفعل. في حين أن هنالك جفوة عميقة من جانب الطيف المدني السوداني من البرهان وذلك لأنه وفي مرحلة من صفاء الشراكة مع حميدتي أسقط من أجندة التسوية دور الجناح المدني من خلال الأحزاب والنقابات والعائلات السياسية التقليدية العريقة في أن يكون الحكم بالتساوي، مع ملاحظة أن بعض رموز الطيف المدني ساعدوا بإحداث حالة نفور جنرالية عندما دأب كثيرون منهم على المطالبة بالحكم المدني وإنصراف الجيش ومعه قوات الدعم السريع إلى

الثكنات، وذلك كان خطأ أدى إلى ما إنتهت إليه الحال التي وضعت السودان الشعب والكيان في مهيب المغامرات الجنرالية.

وحيث أن للطرف الآخر من الحرب (أي قائد قوات الدعم السريع) خطوطاً سالكة إقليمياً ودولياً وحضوراً قبائلياً ومصالح تجارية إلى جانب الشأن العسكري والإقتدار القتالي، فإن بقاء حميدتي في السودان غير مغادر لا من بوره ولا من منفذ حدودي سالك له يضيف عليه صفة الواثق من نفسه ومن أهمية رقمه في أي تسوية في حال صمد مطمئناً إلى إستمرار بعض الدعم الإقليمي والدولي له.

ويبقى في إنتظار ما تحمله الأيام من تطورات القول إن مصر تقليدياً هي مع السودان الكيان ومشاعرها مع الشعب. هكذا منذ الشعار التاريخي "السودان لمصر ومصر للسودان" وكذلك منذ التعبير الشعبي المتداول جيلاً بعد جيل "مصر والسودان حنة واحدة". ومعنى قولنا هنا أن رهان البرهان على موقف مصر من خلال مساندة الرئيس السيسي له المنشغل منذ أيام بالتحضير لولاية رئاسية جديدة كفيل بإحياء السعي الذي بدأ في جدة وكان بمثابة مدخل إلى فرصة ليس جائزاً بعد هذه المراهنة العثنية على من يكسر شوكة من: البرهان أم حميدتي، عدم النقاط الفرصة وتطوير المسعى بحيث يضم الطيف المدني وعلى نحو ما كان عليه هذا الطيف قبل أن يتبادل الجنرالان إظهار السيوف.

وخير ختام يمكن قوله للجنرال العائد أكثر عناداً من العلمين إلى "العاصمة" المؤقتة للبلاد (بورسودان) في هذا الصدد هو قول للمتنبئ ينطبق تماماً على الشقيقتين الجنراليتين اللودين وهو: أخوا الحرب قد أتعبتها فأله ساعة.. ليغمد نصل أو يفك حزام.

والله الغافر لمن يهتديان.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 1 سبتمبر (أيلول) 2023

ولادة رئاسية... ولو جاءت قصيرة

قبل أن يختار الرئيس الفرنسي مانويل ماكرون الدبلوماسي العريق جان إيف لودريان على مدى عشر

سنوات بإحاطة رحبة في ضرورات أن تكون المؤسسة العسكرية إحدى نقاط الحسم إزاء أوضاع سياسية مرتبكة، وهي إحاطة توفرت له بعدما شغل منصب وزير الدفاع، أكثر المهمات السياسية اللبنانية غرابة، كانت مهابة الرئيس الفرنسي الشاب إهتزت بعض الشيء بفعل تظاهرات أشعل في بعض ساعاتها متظاهرون حرائق في باريس ومدن عدة ثم إتسع مدى إهتزاز المهابة نتيجة حادثة قتل شاب جزائري على يد ضابط شرطة مندفع أشعلت فتيل إنتفاضة الضواحي التي كانت ستنتهي كوارث متتلة لولا حكمة جدة الشاب القتل بمناشدتها عدم توظيف واقعة حفيدها ورقة بيد الطيف الثوري واليساري والنقابي عموماً المنتفض على النظام وحكومته.

هذه التطورات رمت بما يشبه عدم الرهان على الدور الفرنسي في أن تكون له حصّة وازنة في علاج الأزمة اللبنانية التي بدأت تأخذ شكل المحنة الاجتماعية. وهذا الدور إكتسب لمحة من التألق بعدما إنفرد الرئيس ماكرون دون سائر قادة أصدقاء للبنان بتلك الزيارة التفقدية على إثر التفجير النووي (أي مصغّر نووي) لمرفأ بيروت، وأضفت زيارته وتجوّاله في مناطق تأثرت بشراً وحجراً بالتفجير المحجور الكشف القضائي عنه لغاية في نفوس الفاعلين أو العارفين.

والذي زاد المهابة إهتزازاً لم يخطر في البال وحدث فيما الوسيط لودريان المكلف جمع لبنان الممانع مع لبنان المعارض بما يدحض المقولة الشعبية "يرضى القتل وليس يرضى القاتل". ونحن هنا لسنا في معرض التحديد من القاتل ومن هو القاتل وبالعكس. وفي الوقت الذي بات الوسيط الفرنسي متأهباً للجولة الحاسمة يخوضها في ميدان العراك السياسي والحزبي اللبناني وسلاحه هذه المرة رسالة موجهة ومطبوعة إلى أعضاء مجلس النواب اللبناني. وفي وقت التأهب هذا الذي إكتسب بعض الثقة بمهمته بعدما شمل في إتصالاته، التي أنهى بها جولة إستقصاء رحبة غادر بعدها لبنان، أحد رموز الصف الثاني في "حزب الله" النائب محمد رعد، حدث للمهابة الفرنسية التصدع النيجري الذي لم يخطر في البال وبطبيعة الحال ترك تأثيره على رموز العراك الرئاسي اللبناني بدليل أن الطيف المطمئنة فرنسا إلى إصطفافه معها سجل من التحفظات على رسالة الوسيط لودريان الممسك بالورقة اللبنانية ما قد يجعلها تُطوى في إنتظار محاولة طرف غيور على لبنان ويريد إنقاذه من وهدهته

الرئاسية أو التريسية.

بصرف النظر عما إذا كان العلاج الدبلوماسي الفرنسي ليس ناجعاً بما فيه الكفاية، إلا أنه حقق إنجاز رحلة نصف الطريق وهذا تم قبل أن يخط لودريان رسالته والشبيهة بمضمونها بمذكرة إحضار إلى حسم مسألة طال تغليب الهوية والمزاج لدى الأطراف اللبنانية على تأدية الواجب، فإن التمسك بها يبقى حاجة لبنانية رغم الظروف التي أصابت مهابة الدولة "الأم الحنون" بسبب مفاجأة الجنرال النيجري الذي وضع قاعدتها وجنود هذه القاعدة ومعهم السفير وطاقم السفارة ومبناها تحت رحمة القبضة الانقلابية إلى حين... أي إحتلال أملاك فرنسية قانوناً.

ما يقال عن الإستجواب المفترض من جانب لودريان للنواب اللبنانيين وقبّلها التخاطب التقريري من جانب السفارة الفرنسية حدثاً في غيبة عابرة للحكمة ومن أجل ذلك كان تحفّظ حتى بعض أقرب اللبنانيين لوداً بفرنسا. وهذه الغيبة تكررت مع الأستاذ نبيه بري برئاسته: رئاسة البرلمان ورئاسة "حركة أمل". وهو لو طرح مشروعه للحوار من خلال بيان صادر عنه كرئيس للبرلمان أو حتى من خلال تصريح له بالصفة المشار إليها، لكان المشروع سيلقى التأمّل والترحيب ويشجع بالتالي على الأخذ به. لكن المشروع فيه الثأر السياسي والتعاطف التشاكري، ومن أجل ذلك بدا وكما لو أنه الموقف البرلماني لـ "حركة أمل" بإفتراض في الوقت نفسه موقف "حزب الله" وبذلك فإن الأخذ به يعني التسليم بموقف طيف، أو فلنقل طائفة، وليس كما كان سيبدو لو أنه كما ذكرنا جاء من جانب نبيه بري كرئيس لمجلس النواب وليس كمّن يمسك برئاستين إلى جانب أنه أحد ثنائي الطائفة زعامة.

لكن كما حال مسعى الوسيط الفرنسي يحسب الحساب للحظة قد يجد نفسه مرتبكاً ومحرجاً في حال قرر رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي كتابة الحرف الأخير في مهمة التصريف وبذلك يصبح هنالك في لبنان رئيس رسمي ودستوري واحد هو رئيس مجلس النواب وتلك حالة لا يتمناها الرئيس بري والذي من الجائز الإفتراض أنه بالصيغة التي إقترحها في الخطاب الحزبي كان كثير القلق من حدوث ذلك وأن الحل في إستتفار برلماني لإنتخاب الرئيس الأول للبنان. وبالرئاسة هذه إلى جانب رئاسته البرلمان تكون الرئاسة الثالثة.. رئاسة الحكومة الكاملة الأوصاف وتمثل تطلعات الطائفة التي

لا حزب لها ولا مقاومة ولا وضوح رؤية. وأما جمهورها فكما سائر اللبنانيين يتكلمون على الله وبأنه لا بد بعد كل عسرة ميسرة وتلك حال الذين يصبرون وعلى ربهم يتوكلون.. ويأملون بما يُطمئن النفوس ويُفرح القلوب مع ولادة سعيدة وإن جاءت قيصرية للرئيس المعجزة في نهاية تاسع أشهر العام الأول للبنان الخالي دون غيره من دول العالم من رئيس له في قمة السلطة. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 6 سبتمبر (أيلول) 2023

تفعيل الوعظ بعدم إغفال الأسماء

رفعت المرجعيات الدينية النصح أعلى ودرجة التحذير بضع درجات، مع إنطلاقة أنشط للعد العكسي للأمال المعقودة على مسعى الدبلوماسية الفرنسي المتمرس جان إيف لودريان لجمع أنقاض المواقف بعدما بات واضحاً أن لا مكاسب ترجى من الحدة التي إتسمت بها مواقف كبار مؤزمي المواقف، أحياناً في تصريحات وأحياناً في إطلاقات عبر الشاشات يستحبون تكرارها، هذا إلى جانب إحتفالات تكريماً لذكرى لبنانيين من مختلف الأعمار والطوائف كان من نعمة الله عليهم أن يعيشوا وينالوا حقهم من الحياة السعيدة ويساهمون في بناء الوطن لا أن يقضوا في حالات من الإحتراب على أرض الوطن أو خارجه. ثم يتم في ذكرى تكريمهم كشهداء من مرجعياتهم توظيف هذه الأطياف، التي باتت في ذمة الخالق، كأوراق في صراعات سياسية، وذلك من خلال مهرجانات وإستعراضات تبعث مشاعر الخشية في النفوس من توظيف إستتسابي لما تعكسه الإستعراضات بألياتها الحربية والخطب التفجيرية من مشاعر حدوث ما هو أعظم.

ما قيل من المرجعيات الدينية يستوجب عميق التأمل من جانب رموز التعقيد غير الشعارين بضراوة العيش البائس لأكثرية الشعب اللبناني وبكل طوائفه. وهم لو خلدوا إلى التأمل قبل التعبير عن مواقفهم والإدلاء بتصريحاتهم وبالذات ما يتسم بالحدة وبقطيع الأواصر فيما الحاجة إلى ما يبقي لبنان الصيغة على خط الطمأنينة فلا تهزها أفكار من هنا ومناداة من بعض

هناك، لكانوا ربما إهتدوا ولو إلى بضع خطوات نحو سواء السبيل.

من بين ما يوجب التأمل فيه وصدر في مواقف أو عظات متفاوتة سبقت ترحيباً من حيث المبدأ بما طرحه رئيس مجلس النواب نبيه بري في شأن الحوار، قول البطريرك الماروني بشارة بطرس الراعي يوم الأحد 2023.8.13 "لا يمكن العيش على أرض واحدة فيها أكثر من دولة وجيش وسلطة لكن لن ننزل إلى العيش دون الدولة والإحتكام إلى غيرها..." وزاد النصح والتحذير (عظة الأحد 20. 8. 2023) قائلاً: "إلى متى يا معطلي إنتخاب رئيس للجمهورية تخالفون الدستور وتهدمون الجمهورية وتعطلون الحياة الاقتصادية والمالية وتبعثرون السلطة وتقرون الشعب وتهجرونه إلى أوطان غريبة؟ خافوا الله ولعنة التاريخ..." وقوله قبل ذلك (الأحد 26. 6. 2023) تكراراً وهو يتأس قداساً في إحدى كنائس العاصمة الثانية طرابلس "إن لبنان كدولة يتفكك بسبب عناد بعض السياسيين ومصالحهم الشخصية والقوية. إن لبنان ليس ملكاً لأحد ليتصرف به وبشعبه على هواه وبحسب مصالحه. لبنان ملك شعبه وتاريخه وثقافته وحضارته..." ثم صوّب (عظة الأحد 23. 7. 2023) على العلة نفسها طالباً من السياسيين "أن يترفعوا عن مصالحهم الشخصية، لأن هوية لبنان ورسالته مهددتان بالتشويه والإنهيار..."

ومفتي الجمهورية الشيخ عبداللطيف دريان نبّه وحذّر أكثر من مرة في خطب يوم جمعة وفي مناسبات دينية. وفي أحدث تنبيهاته (تعليقاً على مسعى لودريان) وتحذيراته قوله: "الدولة ومؤسساتها أكبر من أي أمر آخر، وإذا لم نساعد أنفسنا فكيف نرجو أن يساعدنا الآخرون. وبالنسبة إلى السُنّة فلا مشروع خاصاً لديهم بل يؤمنون بالدولة وهم مكوّن أساسي في بلد الطوائف التي نحترمها جميعاً ولا يشوبها شائبة في التعاطي مع بعضها بعضاً ولن نسمح لأي أحد أن يُشعل نار الفتنة بين أبناء الوطن الواحد. البعض من الساسة لا يزال يعيش حالة المكابرة والتصلب في مواقفه السياسية التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع الناس الذين يعانون من أزمة المياه والكهرباء والغلاء..."

والمرجعية الأرثوذكسية في شخص متروبوليت بيروت وتوابعها المطران الياس عودة لا يترك عظة أحد إلا وينبه هو الآخر ويحذر، ومن عظاته (الأحد 25. 6. 2023)

المسؤولين المعطّلين بأسمائهم خشية أن يسود الإنطباع بأن المرجعيات جزء وإن غير مشارك للسياسيين في المحنة اللبنانية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 12 سبتمبر (أيلول) 2023

يوم وطني جديد... وأكثر تجدداً

مع الذكرى الثالثة والتسعين لليوم الوطني السعودي التي تشكّل نسمة طمأنينة تخفف من وطأه بالغة القساوة على النفس العربية جرّاء كارثة زلزالية ضربت إحدى خاصرات الأطلس للمملكة المغربية، تلتها مثيلة لها مع إعصار بالغ الشدة عصف وأمعن تدميراً وتشريداً في الخاصرة الليبية الشرقية، ومخاوف من أن يأخذ الإعصار مداه في إتجاه الساحل المصري...

مع حلول هذه الذكرى يتطلع اللبناني الذي لم يبق سوى "إتفاق الطائف" من جهة وتماشك جيش الوطن من مؤشر إلى صمود صيغته، بأمل أن تبقى أحوال هذا الوطن الحائر في أمر مستقبله ضمن إهتمام المملكة العربية السعودية.

وكما في كل إضافة سنة إلى هذه المناسبة الوطنية العزيرة على النفس العربية عموماً، يكون هنالك في الحاضر الدولي _ العربي إنجاز جديد فاعله ولي أمر المملكة سلمان بن عبدالعزيز وساعده الذي يترجم رؤاه وإرواء تربة أشجار علاقات غرسها وسقاها وحبها إهتماماً إقليمياً ودولياً وهو في عز التألق وحيوية السن لكن العائد من ذلك هو للأمة، وتلك مهمة الإبن البار الذي شاءت الأقدار أن يحقق ما يرفع الشأن. وها نحن مع حلول الذكرى الثالثة والتسعين لليوم الوطني نعيش مرحلة نقلة نوعية ما يجوز إعتبارها أن المملكة العربية السعودية باتت هي المرجعية العربية والإسلامية في الإهتمامات الدولية، وأحدث الدلائل لها تأكيد اليابان لهذه المرجعية بتطوير متعدد المناحي للعلاقة التي هي نقلة نوعية وكذلك علاقة إستراتيجية مع الهند المتطلعة كما السعودية إلى أن تكون إحدهما سادس الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن.

وهذه النقطة النوعية للعلاقة السعودية _ اليابانية التي

قوله عن السياسيين المعطّلين إنتخاب رئيس للجمهورية من دون تمييز بين فريق وآخر "إن المسؤولين بسياساتهم الملتوية ووعودهم غير الصادقين دفعوا الشعب إلى الاهتمام بتأمين المأكّل والمشرب والألبسة والأدوية فقط ما حدّ من تطلعات الشعب وتقدّمه. ما الذي يمنع المسؤولين من الإقدام على إصلاح ما فسّد؟ ماذا يؤخر إنتخاب رئيس؟ ما الذي يمنع إنقاذ هذا البلد؟..."

وكما أقرانه من حيث المكانة المذهبية فإن شيخ العقل لطائفة الموحّدين الدروز الشيخ الدكتور سامي أبي المنى قال (الإثنين 4. 9. 2023) خلال جولة روحية "إن الأزمة المعقّدة لإنتخاب رئيس للجمهورية وفراغ المؤسسات من مسؤولين أصليين يساهمان في فقدان الثقة بالدولة..."

وأما المرجعيات الدينية الشيعية فإن مضامين خطب المناسبات الدينية التي ألقاها الشيخ علي الخطيب نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى والمفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان والعلامة السيد علي فضل الله، تتناغم مع التوجه السياسي لـ "حزب الله" و "حركة أمل" مع التركيز على ضرورة قيام السياسيين بواجب إنتخاب رئيس للجمهورية وعدم إنتظار قرار الطرف الخارجي.

من الطبيعي أن تكون تحذيرات البطريرك الراعي ونصائحه على الوتيرة نفسها ودون إنقطاع هي الغالبة ذلك أنه المرجعية الروحية للمنصب الذي كان ماضياً يسير الإنجاز، ثم بات بدءاً من الإستحقاق الرئاسي السادس مشروع أزمة زاد منسوب تعقيداتها إلى درجة أن لبنان عاش بضعة أشهر خالي الرئاسة الأولى.

لكن ما يفتقده اللبناني المغلوب على أمره من شدة الوطأة بكل مناحيها أن البطريرك الراعي لا يسمي المسؤولين عن الأزمة وإنما يكتفي بكلمة "السياسيين" ويحذو رموز المرجعيات الدينية حذوه في ذلك كما أوردنا على سبيل المثال فقرات من عظاتهم وخطبهم في صلاة يوم الجمعة أو لمناسبة تجوال روجي قاموا بها. وهؤلاء لو سموا المسؤولين عن التعطيل بأسمائهم لربما كان هؤلاء إرتدعوا أو في الحد الأدنى نصف إرتداع.

أما وأن الأمر سيتواصل كما حاله مقتضراً على الوعظ الذي هو عليه فإن كل سياسي مقترف ذنب التعطيل لن يفهم من الإشارة وسيقول إن ما يقوله علماء الطوائف ليس هو المعني بالذنوب التي يشيرون إليها.. وإنما هم سياسيون آخرون. ولن يحسم الأمر إلا بعد تسمية

عبر عنها وزير خارجية اليابان بوشيماسا هاياشي عشية الاجتماع الوزاري الياباني _ الخليجي الذي جاء إلى الرياض للمشاركة في إنعقاده (الأربعاء 5. 9. 2023) متحدثاً عن رؤية مشتركة في العمق مع السعودية ذات الإمكانيات الكبيرة على نحو ما ترى ذلك الحكومة اليابانية، تشكّل هي الأخرى أحد ملامح إكتساب المملكة صفة النجم العربي في الكوكب الأممي إذا جاز التعبير وهو دور كان في عهدة مصر في الستينات ثم أوجبت تداعيات حرب 5 يونيو 1967 إهتماماً في الشأن الداخلي وترميم ما نتج عن الحرب عسكرياً واجتماعياً.

وعندما نتأمل في الحرص الياباني على أن تكون العلاقة مع المملكة ذات أبعاد إستراتيجية كما علاقة المملكة مع دول كبرى وذات شأن في الكوكب الأممي، نجد ذاكرتنا تتشط ونستحضر حقبة مضت كان فيها خادم الحرمين الشريفين سلمان بن عبدالعزيز (زمن كان ولياً لعهد أخيه الملك عبدالله رحمة الله عليه) البادئ إذا جاز القول في وضع اللبنة الأولى لصرح العلاقة بين السعودية المملكة واليابان الأمبراطور، ثم تشاء التطورات أن يضيف الإبن ولي العهد الأمير محمد بن سلمان صاحب الرؤية التي تتجاوز العلاقات التقليدية وتأصيل الصداقة وتسريع الإنجاز، المزيد من التمكين لما بدأ الولد. ونشير في معرض هذا التنكير إلى تلك الزيارة التي قام بها الملك سلمان (كولي للعهد) في الأيام العشرة الأخيرة من فبراير/ شباط 2014 وكان ولي العهد الأمير محمد (رئيس ديوان الملك الولد ومستشاره الخاص زمناً) بصحبته. ومثل هكذا حالة في هكذا زيارة تشجع على الإقتباس والتأمل بعمق في أهمية العزيمة عندما تقرر القيادة الرشيدة البناء والتطوير وبسرعة قياسية على أساس أن الوقت لا يرحم المتباطئين. كما تجدر الإشارة إلى أن الحفاوة الكثيرة التميز بالزائر السعودي الكبير وإستقبال ولي العهد الأمبراطوري الأمير ناروهيتو لضيف اليابان ثم تسليمه شهادة الدكتوراه الفخرية من أعرق جامعاتها، أعادت إلى الأذهان بداية هذه العلاقات بين المملكة واليابان قبل 85 سنة، وكيف أنها دائماً في مسار الحرص والتطوير. ثم ها هي في عهدة الأب الملك ثم الإبن ولي العهد رئيس مجلس الوزراء تبلغ في الذكرى الثالثة والتسعين لليوم الوطني مكانة كثيرة الرقي في بند العلاقات المستقرة والدول الطامحة كما السعودية إلى أن تبقى نجمة ساطعة في الكوكب الأممي الذي يحاول مشعلو الحروب العبثية والإضطرابات كما الحال في بعض دول العالم بمن

في ذلك دول عربية وإسلامية إستبدال أمنيات الاستقرار بنيران الفتن. لا كتب الله لهؤلاء تحقيق مآربهم.

ما يقال حول هذا التطور على قاعدة النوايا الطيبة وإحترام الخصوصية بالنسبة إلى رفع مستوى العلاقة إلى المكانة الإستراتيجية مع اليابان يقال أيضاً حول مثلتها السعودية _ الهندية وكيف شاءت الظروف والمناسبات النوعية أن تكون بداية الخطوة النوعية هي أيضاً خلال زيارة الملك سلمان (ولي العهد آنذاك) إلى الهند للمرة الثانية بعد إنتهاء زيارة اليابان، وأما الزيارة الأولى له فكانت قبل ذلك بأربع سنوات (11. 4. 2010) وهو أمير الرياض وتشاء الصدف أيضاً أن الأمير محمد الذي هو في العام 2023 رمز وضّع العلاقة السعودية _ الهندية في أعلى درجات التنسيق والبعد الإستراتيجي، كان برفقة الولد زمناً إلى جانب أشقائه الأمراء فيصل وتركي ونايف وبندر. وهكذا يجوز القول إن الأمير محمد ولي العهد رئيس مجلس الوزراء شاهد ميداني على غرس شتلة العلاقة السعودية _ الهندية التي باتت في زمن رؤى الملك سلمان وتطلعات ولي العهد الأمير محمد بن سلمان ورئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي شجرة وارفة الظلال غنية بثمار للزمن الآتي والذي يبني عمدان هيكله رموز يريدون خيراً لأوطانهم ومواكبة متتقة للتطور ولتتمتين العلاقة مع دول خارج الروتين الذي كانت عليه العلاقات مع دول العالم، ذلك أن المستهان بها في بند الكبرى والصغرى من الدول باتت على غير ما كانت عليه وبالذات الصين واليابان والهند وهي دول أضافها الملك (الراحل) عبدالله بن عبدالعزيز من خلال زيارته لها عام 2006 إلى قائمة الدول الآتي دورها وعلو شأنها فلا يقتصر ذلك على الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا، وإنما هنالك الشرق متمثلاً باليابان والصين والهند. ثم يأتي الملك سلمان وولي عهده الأمير محمد يتبادلان مع هذه الدول الثقة والمكانة والتعامل وفق الأصول الإستراتيجية والثابتة. وأما عوائد هذه الخطوات فإنها تجسيد إلى أن العالم حسم الأمر من حيث أن المملكة العربية السعودية باتت النجم العربي الساطع في الكوكب الأممي. وتلك خير مآثرة من جانب الملك سلمان والأمير محمد للأمة التي تحتاج إلى من يصد عنها غوائل الزلازل والأعاصير وأحلام العابثين بأوطان الآخرين. والله الشاهد والرقيب والحكم.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ السبت 23 سبتمبر (أيلول) 2023

* * *

المحروسة... وموعد مع حارسها

يتأمل المواطن المصري ونعني هنا بالذات الذي من حقه أداء واجب الإقتراع في الإنتخابات الرئاسية التي تقرر إجراؤها من 10 إلى 12 ديسمبر/ كانون الأول 2023، في المشهد الإقليمي عموماً والأحوال المصرية الراهنة، فيخلص إلى أنه على رغم الضائقات المعيشية على أنواعها ينعم بالإستقرار في ظل إدارة حُكم جعلت المسألة الأمنية من الأولويات وبذلت من الجهد والمرونة لتصفير العلاقات التي إتسمت في مرحلة عابرة بنسب متفاوتة من التأزم. وحتى بعدما دخل الجار الليبي تلاه الجار السوداني في حالة من الفوضى التي قد تعكس متاعب لمصر فإن النظام تعامل مع الحالتين بمفهوم الجار للجار والأخ للأخ كلاهما في محنة والأخ المستقر والمقتدر من واجبه مساندة ونُصح الأخ المرتبك الحائر في أمر مصيره، ويكفي تدليلاً على ذلك ما نسمعه من إخواننا السودانيين والليبيين الذين عبروا الحدود إضطراباً ووجدوا في ديار المحروسة إستقراراً، هذا إلى تعامل نقيض الذي يلقاه السوريون الذين نزحوا إلى ربوع كثيرة بينها اللبناني والأردني والتركي والألماني. ونعني بالسوريين هنا أولئك الذين لا يلتزمون الأصول إقامة قانونية وسلوكاً.

ما جرى إعداده من ترتيبات للعملية الإنتخابية بعد شهرين تعكس إنطباعاً بأن الفرصة متاحة أمام البعض لخوض غمار الإستحقاق الرئاسي ومن دون التردد تهيئاً من أن الرئيس عبدالفتاح السيسي لديه من السلطات يمارسها ما يجعل الأمر محسوماً وأن فوزه مؤكد كما فوزه في الإستحقاق الرئاسي الثاني الذي نال فيه 97 بالمئة من الأصوات. هنا يجاز القول إن الذين سيخوضون السباق معه لم يقدّموا ما قدّمه النظام على مدى خمس سنوات الولاية الرئاسية الثانية وأن رصيدهم سيكون في وعود يتضمنها برنامج ترشيح الواحد منهم سواء كان هذا الترشيح شخصياً، أو من خلال الحزب الذي يترأسه هذا المرشح أو ينتمي إليه. وهذه في أي حال لا تشجع الجمهور الناخب على الإقتراع له.

لكن مجرد إتاحة المجال أمام أكثر من مرشح ووفّق معايير صاغتها الهيئة الوطنية للإنتخابات تترك إنطباعاً بأن المناخ الديمقراطي هو ما تتصف به إنتخابات

الولاية الرئاسية الثالثة، إنما لا يعني ذلك أن هذا المناخ ليس مسوراً بالحضور العسكري والأمني بمختلف فروعه. وعلى مدى سنوات الولاية الرئاسية الثانية بالذات كان لهذا الحضور شأنه على الصعيد الإجتماعي والمعيشي الأمر الذي أوجد حالة من الود العفوي بين الظاهرة العسكرية والأمنية والمجتمع المدني وبالذات مجتمع الأرياف حيث هنالك كان إهتمام ملحوظ بالوضع المعيشي للطيف المحتاج من المجتمع المصري.

المهم من أجل إزالة الإنطباع الموروث عن النسبة المئوية للفوز وهي نسبة إرتبطت بالولائتين الأولى (2014) والثانية (2018) للرئيس السيسي مع الأخذ في الإعتبار أن الهواجس الموروثة عن أجواء واكبت التجربة الإخوانية دفعت المصريين إلى التعبير عن رد الجمال لوزير الدفاع (عبدالفتاح السيسي) الذي حسم الأمر وبما يجمع بين التضحية والشجاعة والمغامرة وأنهى رئاسة محمد مرسي (رحمة الله عليه) و "إخوانه" المسكين بمفاصل الدولة المصرية على مدى سنة وبالذات المفاصل الإقتصادية والأمنية، وذلك من خلال الإقتراع لترؤسه بكنافة، وهو ما كان يحدث مع السابقين الرؤساء (الراحلون) جمال عبدالناصر وأنور السادات وحسني مبارك (رحمة الله عليهم). وفي سنواتهم المديدة لولايات رئاسية تجددت لكل منهم لإستحقاقات حدثت أو موعودة، لم يتح بشكل موضوعي للمرشح المنافس أن يخوض الغمار في منأى عن المناكفات كما الحال الآن في الإستحقاق الرئاسي للمرة الثالثة الذي يتطلع إلى نيله الرئيس عبدالفتاح السيسي أمام آخرين من بينهم "الإشتراكي" و "الدستوري" و "الديمقراطي".

وثمة حالات تأزم عالقة ورثها عهد الرئيس السيسي من عهد الرئيس حسني مبارك وهي أزمة "سد النهضة" التي تنقلها أثيوبياً من تعقيد إلى آخر ومن تأجيل في الحسم إلى تأجيل. كما هنالك خطوات متأنية على طريق تطبيع العلاقة مع إيران وبقية ثغرات في التوافق المصري _ التركي على التطبيع الثابت للعلاقات بدأ تطويرها بعدما أُستعيد تبادل السفراء. واللافت أنه بعد حدوث خطوات دبلوماسية على طريق إستقرار ثابت للعلاقة ناشئة عن تطلعات أردوغانية للحضور المؤثر في السياسة المصرية متكللاً بذلك على توظيف الورقة "الإخوانية" المستضافة بضع سنوات على الرحب والسعة والحرية الإعلامية في الرحاب التركية، يفاجئ الرئيس

رئاسة وطن.. الحلم والكابوس

قبل إقحام الرئيس إيمانويل ماكرون ساحة التآزم السياسي في لبنان مستبقاً الإقحام بتفقد حالات الدمار الناشئة عن التفجير المعروف المُجَهَّل فاعله في ميناء بيروت وبزيارة للمطربة فيروز في منزلها، وفي ضوء تلك الزيارة التقديرية أتبع الإقحام بتكليف وزير الخارجية السابق جان إيف لودريان (كان شغل أيضاً منصب وزير الدفاع) التعاطي كوسيط مع ملف أزمة رئاسة لبنان.. قبل ذلك الإقحام كانت للرئيس الفرنسي الأسبق فاليري جيسكار ديستان تجربة إقحام مماثلة تمثلت بتكليف جورج غورس بالملف اللبناني وتحديدًا بالخلافات التي تتزايد في شأن من يتراأس الجمهورية خلفاً للرئيس سليمان فرنجية (الجد) الذي إضطر مجبراً لا بطل على إختصار ولايته الرئيسية ليتم بعد ذلك إحلال الياس سركيس ضمن معادلة حدثت قبل سبع وأربعين سنة (أي في ربيع العام 1976) ولكم يحتاجها المأزق الرئيسي الراهن.

وللتذكير فإن رئيس الحكومة (الراحل) رشيد كرامي أحد كبار المقام السياسي زمذاك مارس الدور الذي يمارسه لاحقاً صاحب المقام الشيعي السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" والرئيسان نبيه بري (رئاسة مجلس النواب ورئاسة "حركة أمل") مع إختلاف في النوايا والقدرات. زمذاك تولى رشيد كرامي ترشيح الياس سركيس الشهابي الهوى المستقيم (في إدارة البنك المركزي العازب الساكن في فندق) لرئاسة الجمهورية، وعلى طريقة الثنائي الشيعي راهناً ترشيح سليمان فرنجية (الحفيد). لكن ثمة مرونة في الحثثات مفقودة من جانب الثنائي لجهة إختيار فرنجية ولا مجال لتسمية غيره، بينما كانت حثثات رشيد كرامي في إختياره الياس سركيس تتسم بحصافة القطب السياسي الذي يمتلك النظرة الواقعية للأمور وليس ورقة الإستقواء بالشأن السلاحي الذي هو القدرة الوزنة لدى الثنائي (حزب الله وحركة أمل). وتعكس عبارات رشيد كرامي في ترشيحه الياس سركيس ما نقوله في هذا الشأن، حيث سَجَّلها على الملأ بالقول: "في ضوء الموصفات التي نراها في رئيس الجمهورية العتيد، وعلى هدى المهمة التي تنتظره بعد هذه الآلام والمآسي التي حصلت، وتقديراً لكل هذا وما نرجوه من إصلاح يتلاءم مع التطور وتحقيقاً للبنان الغد، وبعد الإتصالات

رجب طيب أردوغان نده المصري الذي وجه إليه دعوة لزيارة مصر بأنه إشتراط أن يزور الرئيس السيسي تركيا أولاً، علماً بأن أصول التزاور تدحض مثل هذا الإشتراط وتوجب على المدعو تلبية دعوة الداعي. ولكن هذا طُبِعَ أردوغان الذي له تعابير كثيرة الحدة في لحظة الغضب أو التشاؤف خصوصاً بعد فوزه بالرئاسة الذي كان مفاجئاً.

ويبقى أن سمة التواضع في شخص الرئيس عبدالفتاح السيسي وحرصه على بناء العلاقة المستديمة والفتات الرئاسة من جانبه ومنها على سبيل المثال لا الحصر صعوده إلى الطائرة الملكية التي كانت تقل الملك عبدالله بن عبدالعزيز للسلام عليه رداً على لفظة الملك (رحمة الله عليه) الذي حرص على أن تشمل رحلة العودة من جولة طويلة مصر تعبيراً عن دعم سعودي متواصل لها ماضياً وحاضراً ودائماً. ونرى الرئيس السيسي لتوفير مشقة الترتيبات البروتوكولية يقرر تحية العاهل السعودي وشكره بأن يصعد إلى الطائرة ويسجل بهذه التحية بادرة غير مسبوقه تركت ولا بد أثرها في نفس الشعبين السعودي والمصري على حد سواء وعلى أهل القرار.

وهذه البادرة فضلاً عن حيوية تتمثل في طبيعة زيارته الخليجية والدولية في حالات الشدة تعكس أيضاً سمة التواضع في شخص الرئيس عبدالفتاح السيسي (بمعنى أنه مبادر) وتلقى الإرتياح لدى شعبه الذي يسجل له الإرتياح إلى أسلوب تخاطبه وإلى ترميم أمور كثيرة من بينها إبعاد التوغل العائلي والشخصي (تأثراً بما أخذ به عبدالناصر) الأسري الذي طالما كان حديث الناس على مدى رئاستين سابقتين (رئاسة السادات ورئاسة مبارك) من حيث تشجيع الأبناء على وراثة منصب الوالد الرئيس، وتعيين مقربين في مناصب ذات شأن. لكن التوغل الذي كان الأهم في عملية الترميم تمثل في عدم تمكين "إخوان مصر" في إبقاء النظام، بل ومستقبل مصر، في قبضتهم.

الله أعلم إذا كانت المحروسة (التسمية المستحبة لدى المصريين لدولتهم) على موعد مع عبدالفتاح السيسي رئيساً يحرسها في ولاية ثالثة. والله أعلم من هو في ضلال أو من أحسن قيادة لشعبه وأضاف رقياً إلى بلده.

كُتبت لـ صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 2 أكتوبر (ت) 2023

والدروس، قررنا تأييد الأستاذ الياس سركيس داعين إلى الله التوفيق بمؤازرة الجميع، ذلك لأن هذا المركز كغيره هو تكليف وليس بتشريف، على أن هذا لا يعني إنقاصاً من قدر الآخرين بل إننا نقدّر كل واحد يطمح إلى هذا المركز، لكن المطلوب واحد والمرشحين كثيرون، فإذا لم يحصل الإجماع عليه ننق بأن التنافس سيكون رياضياً آمليين الخير لهذا الشعب راجين أن يكون الاستقرار والأمن السبيل إلى عودة الحياة الطبيعية...".

من الجائز القول إن المداوي الفرنسي الحالي لودريان بتكليف ماكرون كما السابق غورس بتكليف جيسكار ديستان لن يشفيا الداء الرئاسي اللبناني في حين أن هذه الوصفة من جانب قامة سياسية لبنانية عريقة والأسلوب في التخاطب الحاوي من "الكلام الذي يحزن" وينأى عن "الكلام الذي يجنن" وهذا من الأمثلة الشعبية العريقة من زمن الأجداد والجذات، فعل فعله حتى لدى الأكثر تشدداً في الصف الماروني المتداول إسمه في بورصة الرئيس الوارث لرئاسة سليمان فرنجية المنقوصة بضعة أسابيع، ونعني بالذات رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميل رحمة الله عليه مع التمني بأن يعتمد الحفيد سامي الجميل خصوصاً بعد المصاهرة اللافتة، حصافة رشيد كرامي في تخاطبه الذي تعلق الحدة فيه بعد كل مرة يتحدث فيها شاهراً مفردات لا تحقق ما يأمله المتطلعون إلى سكب المزيد من الماء البارد على نار التباغض التي تزيد المفردات اشتعالاً وعناداً لدى الطرف المستهدف وتحديداً "حزب الله" و"حركة أمل" من دون الأخذ في الاعتبار أن هذا الثنائي مستحوذ على النسبة الأعلى من ولاء جمهوري الطائفة (حزب الله وحركة أمل) لهما. وكنموذج لمضمون التخاطب المأمول من جانب رئيس الكتائب سامي الجميل الأخذ به نستحضر إعلان جده الشيخ بيار الجميل عزوفه عن الترشح لرئاسة الجمهورية، وهو المتداول إسمه زمنذاك في أوساط طائفته أكثر من غيره، بعد الحثية التي أوردها رشيد كرامي يوم الجمعة 16. 4. 1976. فقد أعلن الشيخ بيار الجميل في اليوم التالي (السبت) ومن دون الإكثار من التشاور مع رموز الطيف السياسي الماروني أنه غير مرشح للرئاسة واضعاً في الوقت نفسه (كي لا يقال أنه مع رشيد كرامي في إختياره الياس سركيس بالذات) مواصفات الذي يفضلها رئيساً للجمهورية ومنها "أن يكون حائراً ثقة الأكثرية من اللبنانيين بعيداً عن أجواء التحدي وقريباً من الرضى العام وأن تتوافر له

طاقات العطاء والعمل المجدي في المرحلة المقبلة، هذا عدا ما يجب أن يتصف به من صدق وإخلاص وقدرة على بناء الدولة وإعلاء شأنها داخلياً وخارجياً...".

كان بمقدور الشيخ بيار أن يعتمد الحدة تعبيراً عن موقف لجهة الترشيح، ذلك أن شأنه الحزبي، إذا جاز القول، يمثل شأن "حزب الله" رهنأً وذلك لأن ابنه بشير متمكن إلى حد كبير سلاحاً وجماهيرية ولكنه أثر الموقف الهادئ والمتناغم مع موقف القطب السني، ربما لتمهيد الترشح مستقبلاً أمام ابنه بشير وهذا ما حدث بعد إنتهاء ولاية الياس سركيس، وربما لأنه يحرص على لبنان الباقي موحداً. وفي الرُبعين خيراً كان موقف الذي يُذكر له كمثّل ذكر مماثل للقطب السني رشيد كرامي رحمة الله على الإثنين.

ما يراد قوله من هذا الإستحضار والهوامش تفادياً لإحتمال المبعوض حدوثه كما الذي باتت عليه أحوال السودان، هو أن أهل العمل السياسي الحزبي القوي بسلاحه أو القوي بمعتقداته أو القوي بإستقلاليتهم، مطالبون بترتيب أمورهم من دون إضاعة وقت وطروحات تأتي حالياً من الوسيط الفرنسي لودريان وسبق أن أتت قبل حوالي نصف قرن من وسطاء آخرين، من بينهم على سبيل المثال دين براون الوسيط الذي إختاره الرئيس الأميركي جيرالد فورد مزكياً بتوجيهات وتخرجات كيسينجرية، وكوف دو مورفيل الذي إختاره الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان، والدكتور حسن صبري الخولي الذي إختاره الرئيس أنور السادات.

في زمن الوسطاء الذين أوردنا أسماءهم وكانت لهم مواقف متعاطفة مع الأحوال اللبنانية ورغبة حقيقية في أن يسلم الكيان والصيغة من خيارات غير محسوبة بدقة، كان الضيف الفلسطيني لاعباً من جملة اللاعبين في الساحة اللبنانية ثم بات في جزئية منه هذه الأيام متلاعباً وشريراً. وكان الشقيق السوري الأسد مصوباً على لبنان بأمل جعله إقليماً في صيغة إتحادية على نحو ما كانت عليه سوريا إقليماً في "الجمهورية العربية المتحدة". لا الحلم السوري تحقق وهذه سوريا مرشحة لأن تصبح أقاليم ولا الحلم الناصري صمد. وما نحن على مدى بضعة أيام من الذكرى الثالثة والستين لإنفصال سوريا عن مصر (28 سبتمبر/ أيلول 1960). ومن بعد تلك التجربة باتت أحلام بعض أوطان الأمة تنحصر في بقاء الكيان على حاله لا يصيبه ما أصاب سوريا واليمن والسودان وليبيا والعراق.. وما هو

لبنان برسم الإصابة لا قَدَّرَ الله، فيما اللبناني المغلوب على أمره والناجي من جانحة أحزاب وقوى وحركات التلاعب بالمصير الوطني يواصل التساؤل: لماذا عمى البصائر هذا؟ وإلى متى ستبقى رئاسة لبنان صناعة غير لبنانية يصار إلى تسويقها كسلعة نادرة غير خاضعة للمفاصلة؟ بل إلى متى ستبقى الرئاسة اللبنانية الأولى مثل كرة تتقاذفها أقدام فريقين يجاهد كل منهما للفوز بالمباراة الميلودرامية؟ أليس أكرم لأولئك اللاعبين المعطلين أن لا يكونوا متلاعبين بأقدار الوطن والشعب عموماً وجمهورهم من هذا الشعب؟ وفي ضوء ما هو حاصل ستصبح العبارة التقليدية للترويج "صُنِعَ في لبنان... عدا رئاسة الجمهورية". والله مع الصابر إذا صبر في إنتظار تحقيق حلم السيادة الحقيقية للوطن وإرتداد الكوابيس إلى ما وراء السياج.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الخميس 5 أكتوبر (ت) 2023

حوار روحاسي لا يشفي عبر المحيط

في السياق نفسه الذي تتسم به عذاته منذ أن بدأت أزمة رئاسة الجمهورية في لبنان قبل بضعة أسابيع قال البطيريك الماروني مار بشارة بطرس الراعي (الأحد 24 _ 9 _ 2023) في قداس وهو في زيارة تفقدية للبناني أستراليا المسيحي منهم والمسلم على حد سواء إذ هذا معتقه السياسي الوطني "القانون والدستور مستباحان في لبنان من قِبَل النافذين ومخالفات أي عضو في أي حزب يتم طمسها من قِبَل الحزب نفسه الذي يحمي المرتكب...". أضاف: "في لبنان لا تُستوفى الضرائب والرسوم من كل المواطنين بل من منطقة دون أخرى إما عمداً أو خوفاً من فائض القوة...". وزاد الإضافة إضافة بقوله "ولن نسكت عن تعمّد تغيب رئيس الجمهورية المسيحي الوحيد في كل أسرة جامعة الدول العربية...".

وحيث أنه يقصد في كلامه هذا من حيث الإتهامات التي أوردها "حزب الله" من دون أن يسميه، فإننا نرى المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان يرد في اليوم نفسه (أو ربما القول مجرد مصادفة) ببيان يبدو مضمونه وكأنما يريد الأمين العام لـ "حزب الله" والرئيسان نبيه بري (رئيس مجلس النواب اللبناني ورئيس "حركة أمل") هما من

يريدان قوله إنما حالهما في إبقاء التشخيص لواقع الحال الذي يريانه كما تشخيص البطيريك الراعي على نحو ما عبّر عنه في عظة قداس اليوبيل الذهبي للأبرشية المارونية في أستراليا وتضمّن ما أورده من فقرات لجهة الإكتفاء بقاعدة اللبيب الذي يفهم من الإشارة.

في بيانه قال المفتي الجعفري: "لأن حجم الهجمة الأميركية يهدد وجود لبنان، ولأن المسيح ومحمد يريدان الحق فقط، أقول لشريك الوطن غبطة البطيريك الراعي: القضية في لبنان أن بعض المسيحيين لا يريد رئيساً مسيحياً، وما نعيشه منذ تشرين 2019 عبارة عن غزو أميركي طاحن بواجهات مختلفة. اليوم البلد مستباح ممن يتنكر لحقيقة أن لبنان يعيش لحظة مواجهة عاصفة تقودها واشنطن ومجموعتها الدولية الإقليمية، والقانون والدستور يعانيان من عاصفة واشنطن وشراكة البعض معها لا مَن خاض أعتى الحروب الوطنية لاستعادة الدستور والبلد والمؤسسات، وينادي الآن بالتضامن الوطني والحوار الإنقاذي، والمشكلة ليست بظلم الأشرار بل بصمت الأخيار. والنافذ الذي يمارس الطغيان ويستبيح الدستور هو فقط يتخلف عن الإنقاذ الحواري رغم شراسة الحرب التي تطحن البلد. المطلوب أن نقول الحق ونصرخ به كما صرخ به المسيح ومحمد، وأن ننهض بالملزمة لنمارس عبادة مواجهة الطغاة، خاصة مقاولي الشر ومرترقة اللعبة الدولية. لذلك الحل بالحوار الإنقاذي لأن البلد يحترق واللعبة الدولية تريد رأس لبنان، والإستسلام السياسي يعني نهاية لبنان، وممارسة الفضيلة تبدأ من الكنيسة والمسجد، ولنصرخ معاً ولنسمي الظالم وما يتعرض له لبنان من واشنطن ومجموعتها، ودون ذلك ستحرق الطائفية وطن الآباء، ومن يغامر سيحرق البلد، ومن يطمع بما كان له زمن الغزو الصهيوني ينتحر...".

ما يخرج به المتابع لهذه العبارات التي تستوقف سامعها أو قارئها من الحوار الروحاني _ السياسي أو جمعاً للصفتين "حوار روحاسي" أن المنطلقات لكليهما تصب في بحر التخاطب العقيم الذي يبرع في مفرداته أولو الحزب والحركة والتيار والقوات ومن يخلق في أجواء الجناحين اللذين عوض مساعدة الطائر الحزين الذي هو لبنان على أن يخلق في فضاء من الصفاء والتسامح والنية الصادقة على ترميم الوطن بأمل إبرائه من ويلات بعض مواقف المشار إليهم، فإنهم يزيدونه أثقلاً ومن دون أن يرف جفن هذا وجفون ذلك الذين عن الواجب تجاه الوطن ساهون.

التصدي المهم.. والتوظيف الأهم

عادت بي الذاكرة نصف قرن إلى الماضي وأنا أتأمل عبْر الفضائية العربية يوم السبت 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 بالشبان الفلسطينيين واقفين على متن آلية عسكرية إسرائيلية كانت إحدى ثمار مغامرتهم الجهادية وإقتحامهم ببسالة مناطق إسرائيلية على الحدود مع قطاعهم الذي طالما قاسى ساكنوه من التجني الإسرائيلي بكافة أنواعه طوال عقود. كانوا فتية في غاية الفرح وهم يرفعون علم قضيتهم تغمرهم بهجة المفاجأة التي خطفت أبصار الملايين شرقاً وغرباً مشاهداً المتلاحقة على مدى ساعات من عمليات نفذها مقاومون ينتمون إلى حركة "حماس" وشملت إلى أسر مئات من الإسرائيليين المدنيين أعداداً من العسكريين بينهم ضباط رفيعو الرتبة نقلوهم إلى مخابىء وأنفاق في مناطق من غزة، وبحيث يكون هذا الصيد ثمن ورقة بعد أن تسكت صواريخ المدافع والمسيرات الفلسطينية في اتجاه مدن إسرائيلية من بينها تل أبيب نفسها وترد عليها بضربات صاروخية جوية متلاحقة إسرائيل الغارقة بكامل سياسيتها وعسكريتها في هول المفاجأة، التي ليس في حساباتهم حدوثها مع أن هول المفاجأة المصرية الساداتية يوم السبت 6 أكتوبر/ تشرين الأول 1973 أحدثت ما يشبه الفعل الصاعق في نفوس القيادتين العسكرية قبل السياسية في إسرائيل.

وتشاء الأقدار أن الفعل المفاجئ الفلسطيني الحمساوي يتزامن حدوثاً مع الفعل المفاجئ المصري الساداتي. كلاهما يوم السبت السادس من أكتوبر وبين الأول (1973) والثاني (2023) نصف قرن عربي كان عاصفاً بالإنقلابات والتقلبات وبالقمم التي أبقت على شعلة القضية عصرية على الإنطفاء والتي من أجلها كانت الإندفاع الحمساوية الشجاعة تبدأ في اليوبيل الذهبي للإندفاع الساداتية الشجاعة هدياً بها أو إقتباساً لروحيتها ولحسن التخطيط إل جانب التشوق القومي إلى نصر يثلج الصدر العربي المحتقن خيبات. وكأنما هذا السبت وبذلك التاريخ من الشهر سيذهب يوماً عربياً من حقبة إلى حقبة تنتهي بوضع الحق في مكانه والعدل في مجراه وعلى نحو ما توصي به الشرائع السماوية. وأجد الذهن يشحذ واضعاً أمامي كلاماً سمعته من المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرية (تم تعديل التسمية لاحقاً بحيث باتت

وهنا يجوز التساؤل، هل إن عدم تسمية الذين يقتفون الوزر ثم يتبعونه بالمزيد من الأوزار لهم دالة على المرجعيات الروحية ولذا نرى هذه المرجعيات في حيرة من ممارسة الواجب المطلوب؟ أما لماذا الحيرة ودواعيها لأن هذه المرجعية في خطبة قداس أو خطبة صلاة يوم جمعة معول عليها من جانب عموم الرأي العام إتخاذ مواقف نوعية كفيلة مع التكرار والتذكير بالواجب الوطني. وزيادة من أجل الحسم تسمية المرجعيات المعطلة بأسمائهم. عدا ذلك يصبح الكلام الذي يقال بمثابة مضمون موقف يتخذه المرجع الروحي ووفق هوى الطيف الحزبي أو السياسي الذي يحسم أموراً. هذا إذا لم نقل إنه يضيف المزيد من التعقيد إلى العقدة التي تحتاج إلى مَنْ يحلها وإلى مَنْ يزيدها ربطاً من خلال مضمون حوار كالذي إستوقف اللبناني المغلوب على أمره وهو يسمع البطريرك الراعي يقول وهو في أستراليا "لن نسكت عن تعمّد تغيب رئيس الجمهورية المسيحي الوحيد في كل أسرة جامعة الدول العربية...". ويرد عليه مَنْ يمثل "فائض القوة" التي أوردتها مثلاً على الإضافة المفتي الجعفري الشيخ أحمد قبالن بكلام أقرب إلى "الفتوى السياسية" منها إلى الفتوى الدينية التي يمثلها الشيخ أحمد، ويتمثل الكلام بعبارة "إن بعض المسيحيين لا يريد رئيساً مسيحياً. ومَنْ يغامر سيحرق البلد. ومَنْ يطمع بما كان له زمن الغزو الصهيوني ينتحر...".

خلاصة ما يمكن إستنتاجه هو أن هذا الحوار الروحاني يعزز إستشراء العناد الذي يقطع السبيل على الوفاق. والعناد هو لسان حال رموز المأزق اللبناني ولذا تتباطأ مساعي الحل. وعندما يصبح الحوار عكس ذلك تطمئن النفوس بالتدرج وتبدأ قيامة لبنان هدياً بالقول الطيب إن حسنات الوفاق تُبعد سيئات العناد.

وإلى أن يفاجأ اللبناني بهذا الوفاق الحزبي والحركي والقواتي ستبقى الدوامة على ما هي عليه وستبقى الملامة حاضرة عند كل حوار روحاني لا ينتج تفهماً ولا يفرز التفهم تفاهماً ولا ينتهي التفاهم إلى إستيلاء أعجوبة الرئيس الحادي عشر للبنان الذي خسر تسعين في المئة من رونقه الديمقراطي العريق. ولا حول ولا قوة للبناني المستقيم غير الحزبي أو المتحزب إلا بالله.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 6 أكتوبر (ت) 2023

وزارة الدفاع) في حوار مطول أجرته معه في مكتبه ليلة الخميس 3 أكتوبر 1974 (نُشر في صحيفة "النهار" في اليوم التالي) لمناسبة ذكرى السنة الأولى للحرب، وبحضور مساعده وقائد الجيش الثاني خلال الحرب اللواء سعد مأمون. وفي سياق الكثير من إجاباته ركز المشير على أهمية توظيف النصر سياسياً على عنصر المفاجأة التي يراها مفتاحاً لكسب الحرب وعلى أن المقاتل وطنية وسلوكاً وإيماناً أهم من السلاح. ولقد إنطلق في تحليله المطول للأمور الثلاثة على خلفية عدم ذهاب القوات المصرية إلى آخر المطاف بالنسبة إلى ثغرة الدفرسوار التي بدا إستحواذ الإسرائيليين عليها إنقاصاً من مهابة الإنتصار الكامل للجيش المصري في حرب 6 أكتوبر 1973. ومن جملة ما قاله في الأمر المحير لتلك الثغرة ولماذا لم يتم ضربها "أمس كنت أتحدث في الموضوع نفسه مع أحمد بهاء الدين ولقد أكدت له وأريد أن أكرر تأكيداً لك أن موضوع الثغرة لم يكن مسألة صعبة بالنسبة إلينا كعسكريين. وها هو اللواء سعد مأمون يجلس إلى جانبك لقد عيّنته ليصقّي أمر الثغرة...". وبتعليق من جانبي يأخذ في الإعتبار مكانة من إستقبلي ومكان إجراء الحوار قلْتُ لواء سعد مأمون: "ليتكَ أنهيت موضوع الثغرة فلو إنتهت ماذا كان سيبقى لإسرائيل".

لكن المشير إسماعيل قال إن الرئيس السادات "إرتأى أن يسحب العدو جنوده بعدما أدرك أن الوضع ليس لمصلحته أبداً...".

ما يراد قوله في ضوء هذا الإستحضار أن إستلهاً "حركة حماس" الرمز المعلن للجولة القتالية المبهرة يوم 6 أكتوبر 1973 لجهة المفاجأة والإصرار والثقة بالنفس وعدم إفطار المقاتل المصري مواصلاً صوم رمضان، يستوجب العمل على توظيف يعوض ما إقترفته إسرائيل ماضياً وحاضراً في حق الشعب الفلسطيني وبالذات مع فلسطين الغزاوية التي تغرد خارج سرب السلطة الوطنية التي تمارس دور "الدولة" المستعصى إستيلادها.. إلا إذا بادرت "حماس" المزودة ماضياً بإقتراح لمصلحتها في الانتخابات، إلى توظيف مفاجأتها الحربية المبهرة وعلى نحو ما فعلته مصر في موضوع الثغرة التي أفسح عدم تصفيتها في المجال أمام إمكانية التوجه نحو التسوية السلمية. وهذا كان وارداً وممكناً على نحو ما إستحضرناه من كلام قاله لنا المشير أحمد إسماعيل قبل 49 سنة. والتوظيف كما يمكن تصوره هو بعدم التقريط بحياة

الأسرى لديهم وتسليمهم إلى الدولتين (مصر والأردن) المتعاطيتين عملياً مع إسرائيل بموجب إتفاقيات سلام وإبداء الإستعداد من جانب كليهما لتبريد أزمات فلسطينية _ إسرائيلية تنشأ، فضلاً عن أن ورقة الأسرى هذه من شأنها في ضوء التناغم السياسي الإقليمي السعودي _ الإيراني _ التركي _ المصري _ الخليجي عموماً إخراج صيغة الحل وفق مبادرة السلام العربية من الصندوق المقفل عليه بمفاتيح التصلب الإسرائيلي الذي لم يعد مبرراً بعدما أذابت الهجمة الحمساوية الكثير من تمثال التشاؤف الإسرائيلي على العرب وعدم إلتقاط ملامح الإنفتاح على التعايش مع إسرائيل كدولة في المنطقة. وهي إذا كانت لن تعيد قراءة في العمق لمواقفها فإن ما هو آت قد يكون الأكثر حسماً ولو بعد نصف قرن آخر أعقب التسوية المصرية _ الإسرائيلية التي جاءت توظيفاً من جانب الرئيس (الراحل) أنور السادات لحربه (إتفاقية كامب ديفيد بتوقيع السادات ومناحيم بيغن والشاهد الأميركي الرئيس جيمي كارتر الذي أكمل العام المئة من العمر قبل أيام). وما نقصده بما هو آت قاله المشير إسماعيل في الحوار الذي أجرته معه وبصريح العبارة "إننا لا نتصرف على أساس أن المعركة إنتهت. إنها ستظل مستمرة ما دامت هناك أرض عربية يحتلها العدو الإسرائيلي...".

ويبقى القول في ضوء الهولوكوست التدميري الإنتقامي حجراً وبشراً رداً على الثأر الحمساوي الغزاوي، وقى المولى عز وجل تداعيات هذا الهولوكوست الذي لن يكون في أي حال العلاج الشافي للفعل الفلسطيني الذي تأخر حدوثه وعلى نحو مواصلة إسرائيل التأخير في الأخذ بصيغة الدولتين التي تنجيها من جولات لاحقة ربما تكون أكثر صعقاً من تلك التي أربكت صوابها يوم 6 أكتوبر الفلسطيني توأم 6 أكتوبر المصري. والله المعين.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 11 أكتوبر (ت1) 2023

هوامش حول نعمة التبصر وجنون العظمة

إختلط الحابل الغزّاوي الحمساوي بالنابل اللبناني الرئاسي فما عاد التركيز الإقليمي والدولي على المعضلة

البنانية بذات الأهمية على الحالة الإسرائيلية التي أحدثتها المbaughة الحمساوية في لحظة من الزمن أصيب فيها أهل السلطة في إسرائيل بما يشبه السكتة الدماغية لبعض الوقت أو سكتة عمى البصيرة، إغتممتها فرصة البصير الفلسطيني الحمساوي فأحدث بدءاً من يوم الأحد 7 أكتوبر 2023 أم الصدمات غير المسبوقة لإسرائيل في ثلاثة أرباع قرن زمن إغتصابها فلسطين بتخريجة بريطانية (وعد بلفور 1917).

وبعدما كان إنشغال البال اللبناني ينحصر في مسألة ملء الرئاسة الأولى الشاغرة وجعل الموقت للحكومة مجرد حالة إضطرابية من مصلحة الجميع ألا تنكرر وأما إذا حدث موجب للأخذ بها لا يطول البقاء إلى درجة أنها تصبح حالة أمر واقع، إذا بجولات التحدي الحمساوي لـ "إسرائيل نتتياهو" تبدأ الرد على التحدي الشجاع بضربات كتلك التي تتواصل دون أي موجب لمصلحة الوطن والشعب بين جنرالين خرجا على أهل السودان كمنقذين لهم من نظام أفقد الوطن خاصرته الجنوبية وأتاح المجال أمام تبعثر السودان ولاية تلو أخرى وإنفرد بأحادية حزبية إخوانية المشارب والتنظير تستأثر بالمقادير فيما شجرة التنوع والشغف بالممارسة الديمقراطية والموزاييك الحزبي ما زالت نشيطة على الإثمار، ثم بعد نزوعهما التطبيعي مع إسرائيل يختار الجنرالان الانفصال حرباً ما زالوا يواصلان خوض غمارها معنيين إيذاء الشعب السوداني تدميراً ونزوحاً وإزهاق أرواح وتعطيل مستشفيات وبذر شقاكات على أنواعها، وكأنما هذا الفعل المبعوض هو توأم الذي يتواصل حدوثاً في غزة بقرار من نتتياهو وكواسر في حكومته وبتنفيذ جيشه المجروح من خيبة أصابتهما بتوظيف الآلة العسكرية المقدمة كهبات من الإدارات الأميركية المتعاقبة وكهدايا نفاقية من دول أوروبية تتكاذب تصريحات ومواقف في ما يتعلق بحقوق الإنسان وبحيث أن صاحب الحق وهو هنا الطرف الفلسطيني يصبح المدان والمعتدي وتكون المعتدية تاريخياً منذ العام 1948 هي المعتدى عليها. لكم يتمنى المرء للجنرالين المتجول منهما في بعض الديار العربية والأفريقية دون أي جنى يعزز أمره، وذلك الصامد في ربوع الوطن المغلوب على أمره، حالة تيقظ مما إقتراه وما زالوا يواصلان فيه. والتمني موصول لكل من فلاديمير روسيا وفلاديمير أكرانيا اللذين إصطفا إلى يمين "برهان" السودان و"حميدته" ويستقبل الأربعة الذين حازوا ميدالية

التفوق سياسياً وعناداً وقيادة حرب عبثية أفرزت من التدمير ومن الترويع أعلى درجاته ومن القتل الذي لا يفرق ويشمل حتى الأطفال وإستهداف المستشفيات ومخازن الأدوية وتعطيل محطات المياه والكهرباء، منذ أسبوع ثالث المجليين (نتتياهو) في إعتقاد الأسلوب نفسه لجهة التدمير والتهجير من حي إلى أحياء أقل مخاطر تمهيداً لمخطط تهجير خارج الأرض يعتقد أن ذلك يشفي جراح أم الصدمات التي أمعنت وخزاً في كبريائه وأسطورية جيشه وقطعت الطريق على حلم تنويجه ثالث بناء الكيان، مفترضاً أن القادة العرب الذين أثبتوا للعالم بجناحيه الغربي والشرقي أنهم مع التسوية المتوازنة التي يتقاسم فيها اليهود والفلسطينيون مسلمين ومسيحيين نعيم العيش في دولتين متساومتين متعاونتين، إنما عبروا منذ طرح مبادرة السلام العربية عن رؤاهم الواعية خشية من قدرات الكيان المغتصب ونوويته وإعتباره الولاية الشرقية قلباً وقالباً للولايات المتحدة، وليس لأن قيادات شابة وضعتها المقادير في خضم مسؤولية القيادة التي ترى أن التنمية هي السلاح الأمضى وأن تركيز خططها ورؤاها إلى حين التنفيذ يتطلب بذل كل الجهود والمرونة في الخيارات ما دامت على مسار الصيغة الثابتة في الموضوع الفلسطيني، أي مبادرة السلام العربية، ودون تضيق الوقت في تفسير مضامينها وإيجابية الأخذ بها. وعندما تضع أطراف الأخذ بما نشير إليه حدوداً على طريق تنشيط الصيغة بالتنطيع المتدرج سقفاً لا مجال لإختراقه وإحدى تحفظات هذا السقف عدم الترحيب برغبة رئيس وزراء إسرائيل نتتياهو زيارة دولة خليجية فاعلة (الإمارات) قبل أن تتساوى النظرة الإسرائيلية مع النظرة العربية التنطيعية، فهذا أمر من شأن تأثير المفاجأة الحمساوية أن يأخذ به من سيلي نتتياهو في رئاسة الحكومة الإسرائيلية، بإعتبار أن الرجل أخفق ولن يبريء جراح مكانته والخدوش التي أصابت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هذا الموقف غير المحترم لفقدان الموضوعية فضلاً عن هاجس تجديد الرئاسة، ومن جانب رئيس الحكومة البريطانية ريتشي سوناك المتناسي وزير الأوزار من جانب عهد بريطاني سابق ويتمثل بـ "وعد بلفور" ووزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن الذي كادت عيناه تدمعان على إسرائيل والذو ساد الإنطباع بأنه في الجولة التي قام بها كان مأمولاً عربياً وأخلاقياً منه أن يرمي النار المشتعلة بما يخفف إشتعالها لا أن يقول من الكلام ما

حفظه الله على مدى عقود. حفظ الله أصحاب النوايا الطيبة والمواجهات الجسورة. ... ولهذه الهوامش بقية كلام عن حاضر مرتبط بالماضي ومتطلع إلى ما هو آت.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 17 أكتوبر (ت) 2023

مواقف ووقفات... لعلها تهدىء الرُوع

من قبل أن يسجل الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش موقفه المزدوج إزاء عدوان "إسرائيل نتتياهو" على غزة، كانت هنالك وقفات عربية حاسمة وعازمة على مستوى أهل القمة مثل قول ولي العهد السعودي رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان لرئيس الحكومة البريطانية ريشي سوناك الذي جاء إلى الرياض (يوم الخميس 19 أكتوبر/ تشرين الأول 2023) وفيما عمليات التدمير المنهج والمتقطع لمناطق في قطاع غزة لا تتوقف "إن المملكة العربية السعودية تعدّ إستهداف المدنيين في غزة جريمة شنيعة وإعتداءً وحشياً وهنالك ضرورة لتوفير الحماية لهم وإستعادة وتهيئة الظروف لعودة الاستقرار وإستعادة مسار السلام بما يكفل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة". ثم أعادت المملكة التذكير بأمل أن تتفع الذكرى، من خلال بيان عربي أكثر رحابة تعتبر المملكة وسبع دول عربية معها في مضمونه عملية التهجير من جانب إسرائيل للفلسطينيين بمثابة "جريمة حرب" مع المطالبة بوقف فوري ومستدام لإطلاق النار والتأكيد على "أن حق الدفاع عن النفس لا يبرر إنتهاك القانون وإغفال حقوق الفلسطينيين".

وأُتبع ولي العهد أمام أعلى سلطة قرار بريطانية الوقفة بمثيلة لها مرفقة بتأكيدات وتنبيهات (يوم الأحد 22 أكتوبر) أمام رموز يمثلون صياغة القرار السياسي والعسكري وطريقة تنفيذه في الولايات المتحدة (وفد ديمقراطي _ جمهوري مشترك). وعند التأمل في نوعية المسؤولين من الجانبين السعودي والأميركي الذين حضروا الاجتماع يخرج المتأمل والقارئ بين السطور بإستنتاج أن الحد الأدنى المقبول عربياً لحل ما بدأ يوم 7

يجعل البغضاء للدور الأميركي تزداد ثباتاً في النفوس العربية.. ويا ليتة كوزير للخارجية الأميركية وبما يمثله لبلده وللحليفة إسرائيل يتأمل في أهمية نعمة التبصر ونوائب جنون العظمة.

ولعل خير ختام لهذه الهوامش وبما يؤكد عوائد تلك النعمة ومفاعيل جنون العظمة العودة إلى أرشيف الأوائل الذين أسسوا الولايات المتحدة التي كانت بريطانيا العظمى فعلت بها طوال زمن سبق حرب الإستقلال، ما تقعله إسرائيل وإيرادات الأميركي _ الأوروبي _ الروسي في الدرجة الأساس وتحت سمعه وبصره وإستنفار لبعض أسطوله ليكون جاهزاً عند الطلب، بفلسطين وطناً وشعباً وحقاً وأقصى وكنيسة قيامة وقطاعاً يُجرّع كأس المهانة والإذلال وإلى درجة بات من الطبيعي أن ينتفض شجاعته ويسجلون في المشهد العربي _ الدولي ما سبق أن قاله الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه في مذكرة بعث بها إلى الرئيس الأميركي الثاني والثلاثين فرانكلين روزفلت (من 1933 إلى 1945) في السنة الأخيرة من ولايته الرئاسية وتحمل إلى جانب توقيعه تاريخ 26 ربيع الأول 1364 هـ الموافق 15 مارس 1945 م. وفي تلك المذكرة التي سبق إرسالها بداية عهد الرئيس هاري ترومان (العهد الذهبي الأميركي للكيان الصهيوني الذي على أهبة النشوء وتكريس الاعتراف السوفياتي قبل الأميركي به) قال الملك المؤسس مخاطباً الرئيس فرانكلين روزفلت وكانت نشأت بينهما صداقة تمثلت بدايتها بلقاء الزعيمين يوم 15 فبراير/ شباط 1945 على متن طراد في البحيرات المرة (قناة السويس) أي قبل أن تنتهي ولاية روزفلت الرئاسية "إن تكوين دولة يهودية في فلسطين ضربة قاضية على كيان العرب. إن مساعدة الصهيونية في فلسطين لا تعني خطراً يهدد فلسطين وحدها، إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية. إذا نفذ صبر العرب يوماً من الأيام ويأسوا من مستقبلهم فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة إزاء هذا العدوان. أعطوا اليهود وأحفادهم من بيوت الألمان الذين إضطهدهم...".

وإذا جاز لكاتب مثل حالي الإستنتاج فإن الموقف السعودي راهناً وبما يعكسه الحفيد ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الرمز المضيء الذي يبشر بالتقدم والتنمية عوض الغوص في متاهات الحروب هو من حيث روحيته إقتباس أمين لروحية الجد المؤسس طيّب الله ثراه وروحية ومشاعر ومواقف ولي الأمر الملك سلمان

أكتوبر وقد يؤسس في عدم التبصر بكنه الموقف إلى ما لا يعود علاجه متيسراً هو ما أكدته ولي العهد من خلال قوله للوفد الذي أوكل إليه الرئيس بايدن، بعدما وظفت إسرائيل زيارته التفقدية لها لمصلحة التصرف الهيجي البالغ الضراوة ضد الغزائين، أمر ترطيب الأجواء بما يبقي التقييم في دائرة الموضوعية "هنالك ضرورة لبذل جميع الجهود (جهود المجتمع بجناحيه الدولي والعربي) الممكنة لخفض وتيرة التصعيد وضمان عدم إتساع رقعة العنف لتلافي تداعياته الخطيرة على الأمن والسلام في المنطقة والعالم، وضرورة تهيئة الظروف لعودة الاستقرار وإستعادة مسار السلام بما يكفل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة..."

وأما الموقف المزدوج للأمين العام للأمم المتحدة غوتيريش فتمثل في قيامه بالتوجه إلى معبر "رفح" وإلقائه محاطاً بموظفين يؤدون الواجب الإنساني إغاثة وطبابة من الكلام الموضوعي الذي يوخز الضمير الدولي وبالذات بعض أهل القرار الأميركي والأوروبي الذين أفاضوا في الإصطفاف، البعض إلى يمين ننتياهو والبعض إلى يساره، وأما الرئيس جو بايدن ووزير خارجيته وبعض الذين لهم لمساتهم في صناعة القرار الأميركي فهؤلاء جميعاً كانوا مثل الطيور يرفرفون في الفضاء الإسرائيلي الممعن حكومة وجيشاً تدميرياً في مناطق من غزة غير عابئين بأطفال ونساء وكبار سن في البيوت التي إنتهت ركاماً. وبعد وقفة المعبر الذي يريده الجيش الإسرائيلي بوابة تهجير أهل القطاع ورميهم في الرحاب المصرية... هذا إذا كُتب للحرب المرجأة فرصة إتمام العملية، كانت للأمين العام الوقفة المنبرية حيث خاطب جلسة مجلس الأمن المنعقدة (يوم الثلاثاء 24 أكتوبر) بما يختزنه ضميره وفي ضوء ما سمعه وهو يزور معبر "رفح" قائلاً "إن الهجوم الذي شنته حركة "حماس" على مستوطنات وبلدات غلاف غزة في السابع من أكتوبر 2023 لم يأت من فراغ. هنالك إنتهاكات واضحة للقانون الإنساني الدولي إرتكبت في غزة وثمة ضرورة لإيصال المساعدات إلى القطاع دون قيود. ومن أجل التخفيف من هذه المعاناة الهائلة يجب تسهيل توزيع المساعدات بشكل مضمون وتسهيل الإفراج عن الرهائن. إن المساعدات التي دخلت إلى الآن مجرد قطرة في محيط الحاجات. وإضافة إلى ذلك إن مخزونات الأمم المتحدة من الوقود في غزة ستنفذ خلال أيام. هذا الأمر سيكون

كارثة أخرى..."

بدا الأمين العام في ما قاله وبالذات عبارة "إن الشعب الفلسطيني خضع على مدى 56 عاماً للإحتلال الخانق" كما لو أنه يقول ضمناً للدول التي عارضت مشروع قرار تمزج كلماته بين الحس الإنساني والنظرة الموضوعية إذا كنتم حتى لا تلتقون حول هذا النص الذي صاغته الحكومة البرازيلية بكثير من التوازن فهذا معناه أنكم تريدون للمأساة الحاصلة أن تنتهي إلى ما هو أكثر من كارثة.. هذا إذا لم تتشاكب الرؤى والمصالح الدولية وعندها تبدأ الحروب الأقاليمية الأولى إقليم ضد إقليم وليس الحرب العالمية الثالثة المرجأة بين القوى العظمى. ولقد أعذر الأمين العام للأمم المتحدة لأنه أُنذر بصفة ترؤسه المعنوي لكل رؤساء الدول الأعضاء في الأمم المتحدة عدا فلسطين غير المكتملة العضوية الكاملة في إنظار سلوك الوعي الدولي الشامل طريق الهداية إلى محطته الأخيرة، كما ترسمها "المبادرة العربية للسلام". ويأتي إلغاء إسرائيل ننتياهو عزم غوتيريش زيارة تل أبيب للإحياء بأن زيارته لن تكون كما زيارة عميد الزوار الدوليين الرئيس بايدن فالمستشار الألماني ثم رئيس الوزراء البريطاني تلاه الرئيس ماكرون الذي بذل من الجهد العاطفي الإنساني ما يجعل زيارته إلى تل أبيب لا تكتمل إلا بزيارة السلطة الوطنية الفلسطينية في مقر رئيسها محمود عباس في رام الله. وزيادة في التوضيح إنه لا يريد أن تشكل زيارته إستهانة بالواجب الأممي تؤديه المنظمة الدولية التي إسرائيل من بين أعضائها الذين إعتادوا على التصويت بما ترتاح له ما دام "الفيتو" الأميركي _ الأوروبي بالذات دائم التأهب لإسقاط مشاريع القرارات التي من شأن قبول إسرائيل بها ما يضمن على المدى غير البعيد كثيراً التسليم بوجودها واحدة من جملة كيانات مستقرة في الشرق الأوسط.

وتشاء المحنة الغزاوية أن يرتسم في مشهدها البانورامي الدموي التدميري الحربي، لمسة ضمير لافقة تتمثل بالرهينة الإسرائيلية يوحى ليفشستس التي أفرج حاجزها الحمساوي عنها وعن سيدة مسنة أخرى، التي قالت من الكلام ما ينصف الحاجزين لجهة التعامل مقابل كابوس التوصيف الإسرائيلي لها بعد فك الأسر ما جعل أجواء كابوس التوصيف من بعض بني قومها أشد ضراوة من أيام الأسر، علماً بأن السيدة قالت إنها عوملت بالكثير من الترفق بها لجهة الغذاء والدواء. وهي في

شهادتها هذه بدت مثل تلك الجدة الجزائرية _ الفرنسية التي طلبت عدم توظيف واقعة الإغتيال البشع من جانب شرطي فرنسي لحفيدها قبل بضعة أسابيع في تأجيل حالة الغضب الفرنسي ضد الحكومة من رئيسها إلى سائر الإدارات. وبتصريحها ذاك ساهمت في وضع حد لموجة الفوضى التي إنتشرت في مناطق من "جمهورية الحرية والمساواة والأخوة" وكان يمكن أن تجعل باريس وبعض المدن الفرنسية شبيهة ببعض ما تفعله إسرائيل ننتياهاو في غزة. وفي الحالتين حالة تعامل الأسر الحمساوي مع السيدة الإسرائيلية وحالة الجدة الجزائرية التي دخلت كمؤمنة بقضاء الله وقدره على خط مأساتها الشخصية، كانت الثقافة الدينية الإسلامية حاضرة. وهذه ما من مصلحة الغرب إستيعاب معانيها فلا ينظر إلى المحنة الغزاوية على نحو ما تريد إسرائيل وتحبذ دول الغرب الأمريكي والأوروبي. عسى ولعل أحدث المجازر الوحشية في مدينة إحدى الولايات الأمريكية (الخميس 26.10.2023) تجعل الرئيس بايدن الذي تأثر كثيراً وأمر بتتيسر الإعلام، يعيد تقييم مشاعره البالغة القساوة إزاء ضحايا التوحش الإسرائيلي فينصف القضية الفلسطينية التي شاخنت وتزايد التلاعب من دول الغرب الأمريكي _ الأوروبي بها.

ويا ليت القادة الحاليون لهذه الدول يتأملون بعقل مفتوح في بعض آيات سورة "الإسراء" ثم بعد ذلك يستعيدون الأسلوب الذي تناول فيه وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وليم روجرز من على منبر منظمة الأمم المتحدة (الثلاثاء 2 سبتمبر/ أيلول 1972) أهمية مواصلة التحرك نحو التسوية السلمية في الشرق الأوسط من دون أن تشكّل تعثراً لها العملية الفدائية الفلسطينية التي عُرفت بـ "مجزرة ميونيخ" ونفذتها مجموعة تابعة لحركة "فتح" تحمل اسم "أيلول الأسود" والشبيهة في بعض الدواعي بعملية المجموعة الحمساوية يوم 7 أكتوبر 2023. وكان الرئيس رجب طيب أردوغان خير من يفسر لـ ننتياهاو وجمعه المتعطش للتدمير الخطب عشوائي تلك الآيات القرآنية لو أنه لم يلغ غاضباً ومحتجاً وضاعطاً زيارة كان ينوي القيام بها إلى إسرائيل وفي برنامجها محاولة إقناع أهل القرار الإسرائيلي الراهن بأن معالجتهم للمباغعات من جانب الفلسطينيين وبالذات من جانب الحمساويين كونه أحد مساندي قضيتهم، ليس الحل وأن من مصلحة إستقرار إسرائيل الدولة أن تكون جارة للدولة

الفلسطينية التي تعتمد بطبيعة الحال عند الإقرار بذلك إحدى رؤى الرسول الذي أوصى أمته بسابع جار.. وأكثر.

ولهذه الهوامش مثيلات من شأن مضامينها تهدئة الرُوع المتبادل وإعتماد التبصر والتفكير بما يحقق الأمن ويرضي الضمير.. والله المعين والهادي إلى سواء السبيل والتوقف عن تدمير بيوت الأمنين وقتل أرواح حرم المولى قتلها.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» _ الجمعة 27 أكتوبر (ت) 2023

خير فرصة ضيّعوها

في سياق أسلوب التباكي الإسرائيلي الذي يستهدف إبقاء القلوب الأميركية والغربية والروسية ممثلة بنسب متفاوتة تعاطفاً مع حالة الاحتلال الفريدة من نوعها في القارات الخمس، يمسك بنيامين ننتياهاو أحدث رؤساء الحكومات الإسرائيلية المعتدين على الحق الفلسطيني ومنه على التعاطف العربي _ الإسلامي مع شعب يعيش أسوأ حالات الاحتلال وأكثرها غربة منذ ثلاثة أرباع قرن، "بوستر" من خطوط بداخله مساحة صغيرة ملونة يرفقها عند التخاطب بعبارة إن هذه المساحة الصغيرة جداً هي دولة إسرائيل بين مساحات مترامية الأطراف من دول عربية معادية لها.

ونحن عندما نقول أسوأ حالات الاحتلال وأكثرها غربة فلأن المحتل جزء من شراكة أشبه بشركة ذات مجلس إدارة، وليس وحده الإسرائيلي الموهوب وطن غيره من جانب الواهبة تلك الأمبراطورية التي كانت لا تغيب الشمس عنها وجزاها الله عقاب الإنحسار عقداً بعد عقد بحيث فقدت الشأن الأمبراطوري وإقتربت من الظلمة بمعنى أنها باتت في نظر الولايات المتحدة مجرد دولة أوروبية تدور في فلك سياستها بمن في ذلك إتخاذ القرارات التي تقتقد إلى الروية وأنها في نظر روسيا والصين دولة برسم الإستهداف، إذا تمادت في ربط مواقفها أحياناً بموقف الولايات من الأزمات الكبرى. ولنا على سبيل المثال لا الحصر كيف أن ديمتري ميدفيديف الحجر الأكثر صلابة في بنیان قرارات كرملين الرئيس

بوتين هدد بريطانيا غير مرة بعمليات حربية إذا هي تمادت في إنخراطها في قرار المواجهة الأميركية الأطلسية عموماً ضد الموقف الروسي في عراكه الحربي المتواصل مع أوكرانيا.

الآن وبعدما لامس الفأس الفلسطيني رأس التعاضم الإسرائيلي وأنتج هذا التلامس حالات متوحشة من الرد على النار التي أوقدتها "حركة حماس" وأثمرت جمرًا إسرائيليًا أظهرت التطورات عُسْرَ إطفائه، يتأمل المرء في ضحالة موقف دولي من حالة كان من شأن عدم الإستهانة بها توظيفها بغرض قطع الطريق على ما حدث وطي صفحات ملأى بالفواجع والمباشرة بكتابة صفحة مشرقة في تاريخ المنطقة. وما نعينه بالحالة هي أن ما بعد إطلاق "مبادرة السلام العربية" بات غير ما قبل الإطلاق، بل يجوز القول إنه بات عكس ما كان سائداً. فقد إعتدلت مواقف إتخذتها قيادات عربية بفعل الظروف من جهة والتطلعات المستقبلية من جهة أخرى. وسنة تلو سنة هنالك عالم عربي _ إسلامي _ أميركي _ صيني _ روسي _ أوروبي يُحسب له حساب. وما نقصده بذلك أن المصالح بين دول هذا العالم بات بمقدورها أن تضع على بساط البحث بغرض إعادة النظر في مواقف متحجرة إمكانية معالجة المعضلة الفلسطينية _ الإسرائيلية، خطة يتقبلها أطراف الصراع الذي طال إمعاناً في زعزعة الاستقرار. والذي يجعل مثل هذا الأمر ممكناً أن العلاقة المتجذرة من جانب الولايات المتحدة والدول الأوروبية مع الدول العربية ذات الفاعلية في التأثير من أجل تذليل المصاعب يصبح ممكناً وتحديداً بالنسبة إلى الحل المستعصي العربي _ الإسرائيلي ما دامت المملكة العربية السعودية ومصر ودول الخليج والأردن والمغرب والجزائر وتونس إضافة إلى دول إسلامية منخرطة في نواح من ذلك الصراع مثل تركيا وباكستان وأندونيسيا في أحسن العلاقة مع الجناح الغربي من الكوكب الدولي أي الولايات المتحدة ودول أوروبا، وبالقدر نفسه إلى حد ما مع الثنائي الصيني الروسي الفاعل والمتفهم وإن إختلفت من حيث طبيعة العلاقة ومقتضياتها علماً أنها وفق الإتفاقيات الحديثة الإبرام ذات آفاق إستراتيجية مثلثة الضرورات لمصالح الجميع: ثلث أفق سياسي وثلث أفق عسكري وثلث أفق تجاري وإقتصادي.

في مثل هذه الحال إن مبادرة للتسوية تصاغ وفق مضمون مبادرة السلام العربية أو تعتمد منطلقاتها يتم

طرحها من على منبر الأمم المتحدة بهدف إلتفاف الجمع الدولي بنسبة عالية حولها لن تصطدم بإعتراضات عربية فاعلة لها بإعتبار أن دول الجناح الأميركي _ الأوروبي تمون على الطيف العربي المسلم في حال كانت له تحفظات وتمون بالنسبة نفسها دول الجناح الشرقي على رموز قادة الحقبة المستجدة في العالم العربي. وفي حال إلتقى الجمعان فإن إسرائيل يمكنها التحفظ إنما ليس بالإعتراض.

لسوء حظ الاستقرار الثابت الذي تسمع به الدول المعنية بالصراع العربي _ الإسرائيلي ولا تراه وعلى نحو حالة الشاعر العراقي الراحل الجواهري الذي "أسمع عن بغداد ولا أراها" أن دول الجناح الأوروبي المستمتعة بإسطوانة صيغة الدولتين كلاً لا تنفذ أن يبقى الصراع على ما هو عليه منذ إفتعال إهداء فلسطين وطناً لليهود الشتات وتحويل أصحاب الوطن إلى جمعين واحد تحت الاحتلال وتحت القصف وفي قبضة سبائيه، وآخر موزع على بلاد الله الواسعة يحلم بإستعادة الوطن كاملاً أو يرتضي الوطن الذي رسمت معالمه مبادرة السلام العربية وليس كما خريطة ننتياهاو الذي يحاول من رُفْعها كأنها لوحة تزين مكاتب ودواوين إسرائيل إذابة غضب أي معترض على "سفاري" تدمير البيوت والأبراج على ساكنيها أهل غزة، كما رحلة الصيادين في الصحارى والأدغال، وعلى محرقة الغزوية المتواصلة تؤام المحرقة الهلترية، وغير عابىء بمن يدين سلوكه وأسلوب قيادته ربما لأنه حائز بقبضة شماله ممائلة القادة الأوروبيين في معظمهم وأكثرهم ممائلة مستشار المانيا وبقبضة يمينه هنالك تعاطف على وجه السرعة للرئيس بايدن معه لدواع إنتخابية من خلال العبارة المثيرة وليست الماثورة للرئيس الأميركي "ليس بالضرورة أن تكون يهودياً لكي تكون صهيونياً. أنا صهيوني". هكذا هو الرئيس "الديمقراطي" ومن لا يعجبه هذا الموقف المبدئي فليذهب إلى غزة في إنتظار صاروخ من تلك المئات من الصواريخ التي زلزلت أرض غزة زلزالها. غزة التي إفتتح يوم الإثنين 24 يناير/ كانون الثاني 2022 وزير السياحة والآثار التابعة لـ "حكومة حماس" في موقع كنسي في مدينة جباليا شمال قطاع غزة بعد إنتهاء أعمال الترميم فيها، أرضية فسيفسائية تُعتبر نادرة ومن الأكبر بين كنائس الشرق الأوسط. غزة التي سيكتب التاريخ ذات عصر ليس بالبعيد أن بعض بني قومها إستشهدوها وأن العم سام

وبني المجتمع الغربي الظالم تلذذوا بشواء لحوم أطفال ونساء وعواجز قضوا بفعل صواريخ وجّه بإطلاقها طيف غاب عن باله أنه يؤسس من هؤلاء الأطفال الذين قضى أبائهم وأمهاتهم وجدودهم أمام أعينهم أجيالاً من المقاتلين سيبدو تأثرهم الآتي هو الأعظم قياساً بالتأثر الراهن.

والله الناصر ومسدد الخطى. وكل ذلك لأن خير الفرص لإيجاد تسوية متوازنة للصراع العربي _ الإسرائيلي ضيعوها أو على طريق التضيق. فرصة تعطي للفلسطيني نصف حقه الذي هو دولته المستقلة وعاصمتها القدس، تعويضاً عن الدولة التي هي من البحر إلى النهر والتي رغم وجاهة هذا المطلب، إرتأت مبادرة السلام العربية الأخذ بما يمكن عوض الإسترداد بالقوة غير المتيسر ما أخذ بالقوة الإسرائيلية الدولية المخطط لها.

هذا الله بنيامين التائه إلى سواء السبيل وأزال الغشاوة عن بصائر وعقول أهل القرار الأمريكي والأوروبي الذين هم ساهون عن جوهر الحل الضميري للصراع العربي _ الإسرائيلي الذي تجسده مبادرة السلام العربية.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الإثنين 30 أكتوبر (ت) 2023

الدبلوماسية العلاج للمواقف المتعجلة

في مسلسل الصراع العربي _ الإسرائيلي وظاهرة العمليات الإنتقامية والإستشهادية التي حدثت من تنظيمات فلسطينية كانت هناك ملامح للأخذ بالدبلوماسية كعلاج قد لا يشفي إلا أنه يفسح في المجال للعقل إبتكار الحل غير المستقر في إنتظار ثبات هذا الحل، تجدر الإشارة إلى ما يُعرف بـ "مبادرة روجرز" تلك التي طرحها يوم الخامس من يونيو/ حزيران 1970 وزير الخارجية الأميركية وتقضي بوقف النار بين مصر وإسرائيل لمدة ثلاثة أشهر وفي ظل هذه التهدة تبدأ الدولتان مفاوضات جديدة لتنفيذ القرار 242. واللافت أن الطرفين إستجابا يوم 8 أغسطس/ آب للنصف الأول من القرار (أي وقف إطلاق النار) لكن إسرائيل لم تتجاوب مع النصف الثاني أي المفاوضات، ولذلك سقطت المبادرة لمجرد أن مصر أعلنت يوم 4 فبراير/ شباط 1971 رفضها تمديد وقف إطلاق النار، وبذلك إستوتفت حال اللاحرب واللاسلم التي كانت الإدارة الأميركية ترى من

خلال "مبادرة روجرز" في حال ثباتها إعتماها حلاً أولياً تتبعه حلول، مع ملاحظة أن الدوافع الأميركية للمبادرة هي أن إسرائيل في الأسابيع التي سبقت طرح روجرز للمبادرة منيت بخسائر في الأفراد وفي السلاح الجوي الذي طائرات هذا السلاح أميركية.

هذا التعامل الدبلوماسي الهادئ من جانب روجرز لاحظناه كمتابعين لتطورات حرب 5 يونيو 1967 والحرب التي خاضها الرئيس أنور السادات وإنتهت إنتصاراً نوعياً أثمر لاحقاً إتفاقية سلام مع إسرائيل لم يستكمل فصولاً ومن أجل ذلك عاد الصراع العربي _ الإسرائيلي إلى حلقات الهيب والإلهاب بين حقبة وأخرى.

ولقد كان لاقتاً في ما نعينه بـ "الدبلوماسية الهادئة" التعامل من جانب روجرز مع عملية فدائية فلسطينية في مدينة ميونيخ قلب أوروبا ومصادفة على أرض ألمانيا التي طالما وظفت عهود إسرائيلية محرقة النازية لتثبيت تعاطف الرأي العام العالمي معها. وها هي "إسرائيل نتتياهو" تطور في حربها على غزة مفاعيل تلك المحرقة من خلال تدمير البيوت على ساكنيها. وللتذكير فإن عملية ميونيخ 5 و6 سبتمبر/ أيلول 1972 التي نفذتها "منظمة أيلول الأسود" وإرتبط تخطيطها بإثنين من قادة حركة "فتح" هما محمد داوود عودة (أبو داوود) وصلاح خلف (أبو إباد)، تمثلت بتسلل خمسة مسلحين من أفراد المجموعة وعددهم ثمانية، جناح البعثة الإسرائيلية إلى "القرية الأولمبية" المنعقدة فعاليتها في ميونيخ وتمكنوا من إحتجاز 13 إسرائيلياً وسقوط قتيل واحد. وتحولت "القرية الأولمبية" من ساحة للرياضات الشبابة إلى ساحة مواجهة أمنية وتفاوضية قادها وزير داخلية ألمانيا لم يثمر فيها إستعداد ألمانيا لدفع فدية للفدائيين مقابل الإفراج عن الإسرائيليين ومبادلتهم بمسؤولين ألمان. دخلت إسرائيل على خط المواجهة وأرسلت مسؤولاً أمنياً أعد خطة كمينية قضت بتمركز 12 قناصاً ألمانياً في عدد من النقاط. لم تثمر كما خططت إسرائيل، ذلك أن القناصة قتلوا 11 رياضياً إسرائيلياً وخمسة من الفدائيين الفلسطينيين الثمانية بالإضافة إلى ضابط شرطة ألماني وطيار مروحية ألماني وتجنير المروحية. للعملية التي قبلت برود فعل ضد القضية الفلسطينية بقية حيث من أصل الثمانية فدائيين أطلقت ألمانيا سراح الثلاثة الباقين الذين نجوا يوم 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1972 إثر عملية خطف طائرة ركاب تابعة لشركة "لوفتهنزا" كانت تقوم برحلة من بيروت إلى ألمانيا جرت مساومة في شأنها أثمرت الإفراج عن الفدائيين

الثلاثة الناجين من عملية ليست بعيدة كثيراً في منطلقاتها وجرأة القيام بها عن عملية "حماس" يوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 على أرض فلسطينية تحتلها إسرائيل. في الأولى كانت العملية صناعة فتاوية لكن "فتح" إرتضت " السلطة الوطنية وعاصمتها مؤقتاً رام الله" على أمل أن تجني "حماس" من عملياتها حصّة وازنة في التسوية الآتية ولو بعد حين. هذا كله في علم الغيب.

"مجزرة ميونيخ" التي نقطة الضعف فيها أن ضحاياها رياضيون إسرائيليون شأنهم شأن أقران لهم من فلسطينيين وعرب ومسلمين وأجانب، لكنها الأقدار، جعلت روجرز يسجل خطوة لاقفة في الدبلوماسية الهادئة كعلاج. ونراه في خطابه يوم الثلاثاء 26 سبتمبر/ أيلول 1972 من على منبر الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها السنوية يقول "إن النتائج النفسية لمجزرة ميونيخ يجب ألا تعرقل التحرك نحو إيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط، بل يجب إستئناف هذا التحرك نحو التسوية السلمية. وفي هذا المجال علينا أن نسجل وجود عاملين إيجابيين: وقّف إطلاق النار وقد دخل شهره السادس والعشرين والمناخ الملائم للتسوية الذي بدأ يظهر هذا العام. ويجب أن نعترف بأن مجزرة ميونيخ تسببت في حلقة مؤسفة من الأعمال وردود الفعل وتركت ظلالاً قاتمة على إحتتمالات تحقيق تقدم نحو التسوية في المدى القصير. لكن لم يغلق أي من الأطراف في شكل نهائي الباب أمام جهود دبلوماسية تُبذل في المستقبل. نحن نعتقد أن القوى المؤيدة للتسوية السلمية لا تزال مسيطرة وعلينا أن ندعمها بكل الوسائل الممكنة. إن وضع اللاسلم واللاحرب الذي يسود في الشرق الأوسط لا يخدم ولن يخدم مصلحة أي واحد في المنطقة. إن إتفاق سلام مستقراً وعادلاً ودائماً يرتكز على قرار مجلس الأمن المؤرخ 22. 11. 1967 لا يزال هدف الولايات المتحدة، لكن هذا لا يمكن تحقيقه من دون البدء بطريقة تفاوض حقيقية بين الفرقاء المعنيين ولا يمكن أية تسوية مفروضة من الخارج أن تدوم طويلاً، والتفاوض لا يعني الإستسلام....".

كأنما روجرز يقول من العالم الآخر للدبلوماسية الأميركية الراهنة وللإسرائيليين وكذلك للرئيس بايدن في حال كُتب له الفوز بولاية رئاسية ثانية: لا تجعلوا "واقعة حماس" يوم الأحد 7 أكتوبر 2023 تلغي السعي الذي يجب أن يكون جدياً بعد الآن نحو التسوية السلمية وبحيث لا يعود كثير الكلام الأميركي عن "صيغة الدولتين" مجرد حلوة من

طرف لسان كثير المرارة.

عند التأمل بعمق في مفردات الكلام الهادئ لوزير خارجية أميركا الزمن الغابر، نلاحظ كم هي المسافة بعيدة بين التآني والحس المسؤول تجاه كارثة تدمي وبين الممالة في ما قاله الرئيس جو بايدن عندما هب مسرعاً إلى إسرائيليه ليشد وهو يعانق ويتأثر من عضد رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو ثم نستحضر أيضاً وزير الخارجية أنطوني بلينكن الذي سبقه إلى الإطمئنان على المصاب الإسرائيلي في مهابته وفي جبروته وفي شغفه بالتدمير وإشباع إنتقام لم يصل إلى منتهاه حتى إذا بات الأطفال والنساء جثثاً في الشوارع بالآلاف وباتت حتى الكنائس والمستشفيات وبيوت الله عرضة لصواريخ تم إطلاقها بأيد يحاسب الله مطلقها ولو بعد حين، ذلك أن "ما من يد إلا يد الله فوقها.. وما من ظالم إلا سيُلبى بأظلم".

كان الله في عون الأمة ورحمة الله على الذين أدوا الواجب السياسي وفق قاعدة الذين يعملون في دنياهم لأخرتهم. ومن هؤلاء وليم روجرز الذي رحل يوم 2 يناير/ كانون لثاني 2001 عن 88 عاماً.

ويبقى من الذي قد يثمر إيجاباً عملاً بالمثل الشائع "في الإعادة إفادة" إستحضار تقييم إيجابي من جانب محمود رياض الأمين العام للجامعة العربية (الراحل) أحد رموز الدبلوماسية العربية الهادئة والنائبة كما دبلوماسية الطيب الذكر سعود الفيصل ماضياً ودبلوماسية الوثائق الخطي حاضراً فيصل بن فرحان الأخذ بالدبلوماسية علاجاً للمواقف المتعجلة. ففي ضوء تعامل محمود رياض كوزير خارجية قبل تولّي المنصب العربي الأشمل (أميناً عاماً للجامعة) مع روجرز خلص إلى تقييم الرجل على النحو الآتي:

"كان وليم روجرز شخصية تدعو للإحترام. وبحكم رئاسته لوزارة تضم خبراء محترفين بشؤون الشرق الأوسط فقد كان ملماً بطبيعة وحجم المصالح الأميركية في المنطقة وتحكمه الرغبة في المحافظة على تلك المصالح وتنميتها ويتمنى التوفيق بين تلك المصالح وبين السلام العادل بين العرب وإسرائيل ويرى أن هذا ممكن فعلاً لو إستطاعت الولايات المتحدة كبح جماح رغبة إسرائيل في التوسع على حساب الآخرين....".

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 7 نوفمبر (ت) 2023

المعادلة التعجيزية في الجحيم الغزوي

ثمة معادلة بالغة الحساسية وتكاد تبدو تعجيزية في مسألة الجحيم الغزوي أو عاشوراء الغزوية أو الهولوكست الأكثر تطوراً من سلفه الهتلري على يدي "إسرائيل ننتياهو" وكل هذه التوصيفات تنطبق على ما يحدث في غزة ويستهدف شعبها وأطفالها ومدارسها وكنائسها ومستشفياتها، وهي أن الدول العربية والإسلامية والصديقة تأخذ في الاعتبار أن الطرف العربي المسلم - المسيحي الفلسطيني في مواجهة جنون العدوان الإسرائيلي ليس دولة لكي يكون التصرف من الدول العربية والإسلامية على غير ما هو الظاهر للعيان ومعلن عنه ومن معالمه الفاعلة على الصعيد الوطني الحملة الشعبية عبر منصة "ساهم" لإغاثة الشعب الفلسطيني في غزة التي وجّه بها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان ودشنها بمبلغ خمسين مليون ريال وأضفى مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ على الحملة بعداً روحياً من خلال قوله "إن هذا التوجيه من الأعمال الخيرة التي تؤكد حرص القيادة في هذا البلد على تلمس حاجات المنكوبين والمحتاجين للمساعدة وهي من محامد هذه الدولة التي قررت واجب المسلم تجاه أخيه المسلم من تفرغ للكرب وإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاجين...". وهذا القول يأتي تذكيراً وإسترشاداً بما جاء في وصية المؤسس الملك عبدالعزيز قبل 91 سنة للأبناء الملوك من بعده "عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة. إقض لوزمهم وأقل عثرتهم وإنصح لهم".

ما يمكن إستنتاجه هو أن الحملة التقليدية والإكتفاء بالإشارة إليها والتي أحصى الكاتب السعودي مشعل السديري في مقالته ("الشرق الأوسط". الأحد 11/5/2023) الأرقام المليارية لمناسباتها من عام النكبة عام 1948 والمستمرة إلى أن تقوم الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.. بل وإلى ما بعد القيامة هذه، على نحو ما هو الصراط الإغاثي السعودي الواجب إسترشاداً بوصية المؤسس الملك عبدالعزيز رحمة الله عليه.. إن ما يمكن إستنتاجه هو أن الحملة التقليدية ذات منطلق قومي وطابع أخوي وضرورة غوثية وليست نجدة لغرض سياسي. كما أن ما يمكن قوله إستناداً إلى حملات

الإغاثة التي تُوجّه بها المملكة أن هذه الحملة بالذات ستكون بفعل من رعى ودشن وتفاعل الناس بمختلف درجات الإمكانيات ما هو خير رد إنساني وكريم على ما أحدثه الإنتقام الإسرائيلي في الشعب الفلسطيني في غزة. وللمرء أن يتساءل: هل هنالك نجدة أخرى مختلفة كتلك التي بادرت إليها السعودية، فضلاً عن مساعدة إستشفائيه _ غذائية من مصر ومن الأردن ومساعدات جاهزة من معظم الدول العربية والإسلامية يتوقف تنفيذ إرسالها على وجه السرعة على وضع حد للعدوان الإسرائيلي المتواصل على مدار معظم ساعات الليل والنهار.

وما نقصده بالنجدة الأخرى المختلفة والفاعلة هي أن تتخذ دول أقامت مختارة أو مضطرة بدافع إجتهدات سياسية تحقق بالإلتزام والتدرج إستقراراً ثابتاً في المنطقة على المدى غير البعيد، خطوة إضطرارية لتلافي احتمالات الضرر، كتلك المألوف إتخاذها عند حدوث حروب أو أزمات على درجة من الإستعصاء بين دولتين فتلجأ الأكثر تضرراً إلى خطوة تمهيدية تتمثل في إستدعاء السفير وإبلاغه لوماً بمستوى الأذى الذي تسبب بها نظامه، تليها في حال إرتفع منسوب الضرر ومعه الغضب خطوة أكثر فعالية وتتمثل في تبادل إستدعاء كل دولة سفيرها حيث تبقى السفارة شاغرة منصب السفير إلى حين إنجلاء الأزمة تفهماً بعد إعتذار أو التعهد بما يُبقي العلاقة مستقرة نسبياً وبما يرفع مع الوقت مستوى هذا الإستقرار، وهذا ما فعله ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وكذلك الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي أرفق الخطوة لاحقاً بنفض اليد من رئيس حكومة الهولوكست الجديد بعبارة ما تتجاوز في مقصدها سحب سفير أو إستدعائه لكنها في الوقت نفسه بقوة قطع العلاقات إلى حين إستعادة الثقة بذلك "الرئيس الهولوكستي". والعبارة هي "إن المسؤول عن الهجمات ضد غزة هو رئيس الوزراء ننتياهو شخصياً الذي لم يعد ممكناً الحديث معه...". كما هذا ما فعله الملك عبدالله الثاني الذي لم يغضبه علو منسوب الإحتجاج الشعبي في المملكة الهاشمية ضد إسرائيل والسياسة الأميركية ثم يضيف لفظة غوث جوية للغزويين تتسم بالتحدي المدروس. ولولا المعاهدة التي أبرمها والده (الراحل) الملك حسين مع إسرائيل لكان من الطبيعي أن تكون نجدة المملكة الأردنية لفلسطيني قطاع غزة أكثر فعالية. ويقال

الأمر نفسه بالنسبة للرئيس عبدالفتاح السيسي الوارث كما الملك عبدالله الثاني عبء قيود معاهدة كامب ديفيد التي أبرمها الرئيس (الراحل) أنور السادات مع إسرائيل، وما زال عزابها الثنائي جيمي كارتر _ هنري كيسينجر على قيد الحياة مع بلوغ كل منهما مشارف قرن من العمر سيُصنّف في ضوء "هولوكست" ننتيا هو وزيره الداعي إلى قصف الغزاويين أرضاً وبشراً بقبلة ذرية من تلك القنابل التي ذات أفضال أميركية عليها على أنه قرن مثلث الشر المستطير نيرون _ هتلر _ ننتيا هو.

خلاصة القول إن ما يجعل النجدة الحاسمة إلى حد ما للغزاويين غير ممكنة التفعيل هي المعاهدة التي أبرمتها مصر الساداتية بأمل أن تكون أحد مفاتيح السلام المرجأ نشره في المنطقة، وحذا الأردن حذوها. ثم تتابعت بعد ذلك إتفاقات بعضها موقف وبعضها الآخر تبادل حُسن نوايا ورغبات لا يُحقق الحسم المأمول. وهكذا فإن العائق في أن لا يتواصل المشهد الغزاوي على هذه الأساوية التي هو عليها، يعود إلى أن إعادة النظر الجذرية من جانب طرفي المعاهدة ومن أولئك المتبادلين حُسن النوايا والرغبات في ضوء نتائج الإختبارات، معناها البدء بفتح بوابات الحرب باباً تلو آخر كما حال المنطقة قبل 1967، وهذا يعني الإفساح في المجال أمام رئيس الأركان الإسرائيلي تنفيذ تهديده بأن السلاح الجوي قادر على الوصول إلى أي مكان في منطقة الشرق الأوسط، بعد التهديد العدواني الآخر تلويحاً بضرب قطاع غزة بقبلة ذرية من جانب وزير في حكومة متهاونة ومستهيئة بمحاولة عربية جادة لنشر السلام في المنطقة مما يعني طي آمال التطوير والتنمية والتحديث وتعويض ما فات على مدى نصف قرن، والبدء من جديد بكتابة سطور الحرب التي ستكون في ضوء الأحوال الراهنة من القطب إلى القطب بعدما بات للعرب دول كبرى مساندة لرؤاهم ومتفهمة أكثر من الجمع الأطلسي بدرجات السيء والأكثر سوءاً في إحترام مقاصدهم، الحرب الكونية الأولى التي لا خيار أمام أكثر من دولة متمكنة من أن تكون شريكة فيها. وهذا لا يعني أن القمة العربية _ الإسلامية التي عقدت في الرياض (السبت والأحد 11 _ 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023) لا ترى أن جرعة موقف عربي _ إسلامي متوازن في بيانها الختامي تحاشى التسميات وركز على الجوهر من شأنها إبقاء القضية في مدار الإهتمام بأعلى مستوياته. وهذه الجرعة قد تبلسم الجراح

وتبعث في النفس بعض الطمأنينة في حال جاء نتاج القمة كما من نسيج اللات الثلاث للقمة العربية الإستثنائية في الخرطوم (سبتمبر 1967) التي إعتد قادة الأمة فيها "صيغة إزالة آثار العدوان" بحيث يلتقي المجتمع الدولي مع الرؤى الموضوعية للقمة العربية _ الإسلامية في وضع حد لما تقتضيه "إسرائيل ننتيا هو" وما زال الإقتراف على أشده في حق أنام من كل الأعمار حرّم الله قتلهم.. هذا إلى جانب تدمير ممنهج وموضع تشجيع أميركي _ أوروبي على مستوى الحكومات يقابله عدم رضى شعبي ملحوظ يرفض الظلم والإستهانة بحقوق الإنسان الفلسطيني في العيش الكريم في وطنه، وعلى نحو ما رسمت الحل المتوازن القمة العربية _ الإسلامية بما أثمرته الإستضافة مكاناً وإدارة وحرصاً ورعاية من عوائد.

والله يجزي فاعلي السعي إلى الإستقرار والأمان والإزدهار.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الأربعاء 15 نوفمبر (ت 2023

إيران أمتان وقمتان للأقصى وفلسطين (1)

كثيرة هي التأملات والإنطباعات التي في ضوئها يخرج بها المتابع مثل حالي كصحافي يغطي القمم العربية _ الإسلامية منذ أول قمة إسلامية إستضافها يومي 22 و 23 سبتمبر/ أيلول 1969 في الرباط الملك الحسن الثاني وكان إنعقادها زمنذاك بمثابة جمع شتات الصف الإسلامي إلى الصف العربي على نوع من التوافق في الحد الأدنى يرتقي إلى مرتبة الوفاق بعد أربع وخمسين سنة على نحو ما واكبنا أعمال القمة العربية _ الإسلامية التي إستضافها في الرياض يومي السبت والأحد 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وأخذ ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان على عاتقه أمر وضعها في المسار الذي يبقى موجب الإنعقاد وما أثمرته إجتماعات ولقاءات أهل القرار العربي والإسلامي موضع لفت إنتباه المجتمع الدولي وإيقاظ ضمائر كبار في هذا المجتمع الساهي عن خلل في الرؤى لما تقاسيه بعض

الشعوب من مظالم ومصادرة حقوق.

ونكاد نقول إن القراءة المتأنية في البيان الصادر عن قمة الرياض أخذ على الفور طريقه إلى ترجمات عدة لغات أجنبية، ذلك أن دولاً فاعلة في المجتمع السياسي الدولي من الولايات المتحدة إلى الصين وروسيا ودول الأطلسي عموماً كانت منذ أن إستقر الأمر على عقد هذه القمة الإستثنائية تسمية ومكاناً وموضوعاً ترنو وبكثير من الاهتمام إلى ما سيقدر فيها وهل ستكون تنبيهاً وتحذيراً للدول الساهية عن الإلتزام بالأصول والقوانين وإحترام حق الإنسان ونبد العدوان كما التطرف، أم أنها ستتخطى ذلك إلى ما يزيد النار إشتعلاً ويتخذ البعض من المشاركين ما يجعل الإنتحاء غير المدروس للمبتلين في قطاع غزة بالعدوان الإسرائيلي الذي باتت دواعيه تكتسب أموراً شخصية ضيقة ما من شأنه زيادة المحنة الفلسطينية الغزافية أكثر مأساوية، أي ما يجوز القول إن وقف هذا العدوان يعني مجازة فاعليه ولهذه المجازة إجراءات كفيلة تجعل بمن يتطلع إلى مكانة البطل الخارق، وهو تحديداً رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو، عرضة للمحاسبة الشعبية القاسية.

وإلى ذلك إن رموزاً كثيرين في دائرة القرار الدولي بغربه وشرقه كانوا حائرين في أمر تحديد أسماء الأطراف التي أشعلت قطاع غزة قصفاً ودماراً، بدءاً بالمسبب بحيث تنتصر القمة له وصولاً إلى المعتدي بحيث تفقد أفعاله التي تجاوزت كثيراً مسألة الضغط الصاروخي لتأمين الإفراج عن أسرى. ثم يصدر البيان الختامي للقمة يتقاضي في فقراته الأسماء أو التركيز على الأسباب التي أوجبت الفعل ورد الفعل. كما لا تتضمن فقرات هذا البيان أي تسمية لا لـ "حماس" ولا أي ذكر لرئيس حكومة العدوان على غزة بنيامين نتنياهو.

وأما القمة الإسلامية الأولى فإن الملك الحسن الثاني وبعدم إكتمل حضور وفود 25 دولة (12 على مستوى الرجل الأول. دولتان على مستوى الممثل الشخصي. دولتان على مستوى رئيس مجلس النواب. دولتان على مستوى وزير. دولة على مستوى سفيرها في الرباط)، إفتتح الجلسة بادئاً بالآية الكريمة "لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ". ثم أكمل "إن نصف مليار مسلم ينتظرون منا أن لا ننسى إخواننا الفلسطينيين الذين يعيشون في البؤس خارج بلادهم. يجب ألا تغيب عنا هذه القضية خلال

أعمالنا، وهي القضية التي لم تسمح قرارات الأمم المتحدة المختلفة بتسويتها". ووجه الشكر إلى الملك فيصل بن عبدالعزيز للمساعدة التي بذلها كي ينجح المؤتمر. وبعدما أنهى كلمته بالإعراب عن أمله في أن يتبنى المؤتمر قرارات "تتيح للعالم الإسلامي أن يرفع رأسه" أعطى الكلام للشاه محمد رضا بهلوي الذي قال "أنا مقتنع بأن المؤتمر سيكون مناسبة لإجراء إتصالات أخوية تتيح توحيد جميع المسلمين". وبناء على إقتراح الشاه تم إنتخاب الملك الحسن الثاني رئيساً للمؤتمر.

الأمر اللافتة كانت عدم مشاركة جمال عبدالناصر لدواع صحية وكلف ممثله الشخصي أنور السادات لتمثيل مصر مرفقاً دواعي عدم المشاركة شخصياً برسالة تلاها السادات وبدت كما لو أنها الكلمة التي كان سيلقيها في المؤتمر لو أنه شارك. وأبرز ما فيها قوله مخاطباً المشاركين: "إن جمعكم الكريم يعلم من حقائق قضية الأمة العربية ونضالها ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة من الإستعمار والمؤتمرة بأمره ما يغني عن إعادة شرحها لكم.. وإذا كان لي ما أضيفه فهو أن الحريق الذي أشعل عن عمد وبتدبير في المسجد الأقصى ليس إلا لمحة واحدة من صورة أكبر حافلة بالندر وبعلامات خطر داهم لا يستهدف الأمة العربية وحدها...". كما أن الرئيس اللبناني شارل حلو الذي إرتأى أن يمثل في المؤتمر رئيس مجلس النواب صبري حمادة (القطب الشيعي) وليس رئيس الحكومة (السني) أو وزير الخارجية (الماروني) فإنه شاء أن تكون كلمته وهو المسيحي الماروني إستثنائية وفي صيغة نداء كان النداء الوحيد الذي وجهه لبنان من خلال القمة الإسلامية الأولى وجاء فيه وبأسلوب بليغ الآتي: "لا بشأن المسجد الأقصى وحده وقد هالطنا الجريمة المقررة في محرابه، ولا بشأن الحرم الشريف ولا كنيسة القيامة المقدسة، ولا بشأن القدس بكاملها وبيت لحم وغيرها من الأماكن المقدسة، لا بشأن ذلك كله وحسب. بل بشأن ما يمثله كل ذلك من قيم إنسانية ينجلي في ضوئها الطابع الحقيقي للصراع الذي فرضته علينا الصهيونية. القدس جزء من فلسطين وقضية فلسطين هي في نظرنا قضية الحق والحق لا يتجزأ. علينا أن نعمل جميعاً بحيث يدرك العالم حقيقة ما أصابنا من إعتداء وضرورة إزالة هذا الإعتداء عن أرض فلسطين وعن كل أرض عربية وضرورة إيصال شعب فلسطين إلى حقوق كاملة فيعاد الحق إلى نصابه وتصلان العدالة

وتُحفظ الكرامة الإنسانية التي إنتمن الله عليها الإنسان...".

من الأمور اللافتة أيضاً دقة التنظيم الدقيق أمنياً وخلاف ذلك للمؤتمر من جانب الحكومة المغربية إذ لعله أعجوبة تنظيم مؤتمر لـ 26 دولة في خلال أسبوعين.

من الأمور اللافتة بشكل خاص أن عدم مشاركة فلسطين بوفد عاجها الملك الحسن الثاني بأن وجه دعوة إلى ياسر عرفات لزيارة المغرب وأن تتم الزيارة فيما القمة منعقدة وبذلك تكون هذه المشاركة لو أن عرفات حضر حاصلة وغير حاصلة في الوقت نفسه، ثم إنتهت تسوية الأمر إلى أن أحد قادة حركة "فتح" خالد الحسن الذي يشارك بصفة "وفد مراقب" وبعدها طلب منه الملك الجلوس إلى جانبه قال للمشاركين "تأمل من الإخوة رؤساء الوفود الذي قرروا أن نحضر معهم كمراقبين أن يعتبروننا وفداً رسمياً في المستقبل". تجدر الإشارة إلى أن صيغة "وفد مراقب" جاءت بناءً لمطالبة الرئيس هوري بومدين وكل من ممثلي السودان واليمن الجنوبي وليبيا التي تمثلت بسفيرها لدى الرباط رافعاً سقف المطالب إلى درجة دعوة الدول الإسلامية المعترفة بإسرائيل أو المتعاملة معها إلى قطع علاقاتها لكن الحسن الثاني قال إن هذا الأمر يحتاج إلى المزيد من التشاور. وأمكن ملك المغرب إقناع المندوب الليبي بالتراجع عن طلبه كي لا يتسبب ذلك بتحفظات دول مسلمة ذات علاقة بإسرائيل.

من الأمور اللافتة أيضاً إستحداث تعديل في فقرتين من بيان القمة بحيث إزاء تحفّظ لبنان على عبارة "حرية العمل الفدائي وتأيينه" جرى إستبدالها بعبارة ترضي الجميع بمن في ذلك الجانب الفلسطيني وهي "إعتبار المقاومة الفلسطينية حقاً مشروعاً للشعب الفلسطيني".

من الأمور اللافتة أيضاً أنه بعد إعتراض الرئيس الباكستاني يحي خان على إشراك الهند في المؤتمر فإن الكياسة وبُعد النظر في التوفيق بين الإعتراض والضرورة تمثلت بقول الملك الحسن الثاني إنه رغم إعتباره موريتانيا جزءاً من المملكة المغربية فإنه توجّه إلى المطار ليستقبل الرئيس الموريتاني مختار ولد داداه. وحرصاً منه على المواءمة بين إعتبار موريتانيا جزءاً من المغرب وبين الحرص على إشتراك رئيسها بحكم الإعتراف العربي والإسلامي والدولي به رئيساً شرعياً، وأيضاً من أجل أن ينتهي المؤتمر بأفضل التوافق وظهور القادة المسلمين عرباً وعجماً بأنهم بالفعل متحدين في ما يتعلق بالمسجد

الأقصى، فإنه قال عند الترحيب بـ ولد داداه "أهلاً بـ الأستاذ" وعلى مسمع الجميع ولم يقل "أهلاً بالسيد الرئيس" أو "بفخامة الرئيس". وسارت الأمور على خير هدوء وصولاً إلى النجاح المرجو. ولقد أراد الملك الحسن الثاني من سرد هذه الواقعة العابرة والتي زكّاه من جانبه الملك فيصل بن عبدالعزيز ثني الرئيس الباكستاني عن إعتراضه إشراك الهند. وقد تحقق القبول. وها هي الهند بعد أربعة عقود حاضرة الشأن والعلاقة الإستراتيجية مع دول عربية وبالذات المملكة العربية السعودية.

كثيرة هي الأمور اللافتة التي دونت على أوراق الكثير من الوقائع والإنطباعات على هامش أعمال القمة الإسلامية الأولى. لكن يبقى الأمر اللافت أكثر من سواها من الأمور هو المتعلق بالذي جرى بين شاه إيران محمد رضا بهلوي وأنور السادات الذي أسند عبدالناصر إليه ترؤس وفد مصر إلى المؤتمر.

ولهذا الإستحضار عن الواقعة البهلوية _ الساداتية خلال القمة الإسلامية الأولى ومستضيفها في الرباط الملك الحسن الثاني بقية إنطباعات أوجبت أعمال القمة الإسلامية _ العربية (11 _ 12 نوفمبر 2023) في الرياض التي مثلت المستضيف والمكان العامل الأساس في أنها حددت المعالم على طريق يحل فيه الحق الفلسطيني محل الباطل العدوان الإسرائيلي الإضاءة عليها في مقالة لاحقة.

رحمة الله على رموز القمة الإسلامية الأولى الذين باتوا في دنيا الآخرة. وكان الله في عون رموز القمة الثانية خادم الحرمين الشريفين الموعودين بالثالث الذي بإسمه كان الطوفان البطولي، الملك سلمان بن عبدالعزيز الذي دعا إلى القمة وولي العهد والأمير محمد الذي أثمر بُعد نظره قولاً وفعللاً في وضّع القمة في مدار التهييب الدولي منها، وقوّى سبحانه وتعالى من عضد الغزاويين شعباً صامداً ومقاومة حمساوية جسورة، وهدى أصحاب القرار في الدول الكبرى وبالذات الولايات المتحدة ودول أوروبا إلى سواء السبيل والإستعداد للتكفير هي وإسرائيل عن أوزار العدوان الهجري وذلك بإعادة تعمير كل بيت دمره الإسرائيلي والتعويض عن كل روح طمرها القصف تحت الأنقاض وعلاج كل من أصابه العدوان بتشوهات. وبذلك تستقيم الأمور ويرضى رب العالمين عن عباده ... وتبدأ عن كامل الإقتناع وصفاء البصيرة قيامة دولة فلسطين وعاصمتها القدس إلى جانب دولة إسرائيل التي تكون

إهتدت وتوارى عن مجتمع الحكم فيها الدراكوليون بشتى أنواعها. ... وللتأملات والانطباعات بقية عن القمة الإسلامية الأولى قبل 54 سنة.

كُتبت إلى صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الأربعاء 15 نوفمبر (ت) 2023

ذات الهويتين.. من الرباط إلى الرياض (2)

كانت أمراً لافتاً مشاركة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي في القمة العربية _ الإسلامية التي أوكل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان ترؤسها وضبط إيقاعات رؤى المشاركين فيها. ولقد أعادنا مشهدها إلى تلك القمة الإسلامية في الرباط التي هي فاتحة القمم التالية وكانت هي أيضاً من جانب الملك الحسن الثاني ملكية الإستضافة وحُسن الإدارة وموزون القرارات. هنا يستوقفنا عنفوان السن الشبابية لدى رمزي القمتين حيث كلاهما في سن متقاربة. كان الملك الحسن الثاني على مشارف العقد الخامس (49 سنة) عند إستضافته القمة الإسلامية الأولى، وأما الأمير محمد بن سلمان فإنه على مشارف العقد الرابع (38 سنة) عندما عاهد الذات أن تكون القمة الإسلامية _ العربية التي أوكل إليه الملك سلمان أمر ترؤسها بما يبقي القضية في صدارة الإهتمام والبذل والغوث وضمن الحد الأعلى من التوافق. والقصد من الإشارة إلى المقاربة العُمرية أن سن الشباب تشكّل إضافة نوعية إلى الشعور في أقصى مداه للخروج من الإجتماعات وقد بلغ القصد النجاح المرجو، أو مشارفه التي يمكن التأسيس عليها.

الأمر اللافت في مشاركة الرئيس الإيراني بعد صفاء نوعي في جو العلاقات السعودية _ الإيرانية أن خطاب الدولة الإيرانية بالنسبة إلى الإنعقاد الموجب للقمة العربية _ الإسلامية كان ضمن الحرص على نجاح تلك القمة، وإن كان الموقف إلى ما قبل الوفاق السعودي _ الإيراني هو ظاهرياً لا ينسجم مع رؤية أكثرية الدول المشاركة لدواعي عقد القمة، ذلك أن الجمهورية الإسلامية ترعى وتمول وتشارك في التطلعات نحو حيز لها في الحل الذي لا بد من إستيلاده وإن طال التعجيز للموضوع الفلسطيني

الشائك، فيما معظم الدول العربية _ الإسلامية التي شاركت في قمة الرياض وضعت مطلباً ثابتاً لها صيغة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وعلى نحو ما كان هنالك إنسجام بين الدول العربية حول إعتقاد هذه الصيغة. وعندما تكون القضية تخص أهلها العرب لجهة الشعب والأرض، فإن الدول الإسلامية غير العربية تصبح مالكة خياراتها لجهة إقامة العلاقات الطبيعية مع إسرائيل، وهذا ما فعلته تركيا وعدة دول إسلامية أسيوية وأفريقية وذلك من قبل أن يشكّل التعاهد بين إسرائيل وكل من مصر الساداتية وأردن الملك حسين محطة أتاحت المجال أمام تطبيع متدرج من جانب دول خليجية والسودان أرحى ظلالاً قاتمة عليه التعامل غير الإنساني في صيغة إعتداءات تنوعت وسائلها وضحاياها بشراً وحجراً من مدارس ومستشفيات بمن على الأسرة من مرضى وأطفال عدا البيوت وساكنيها. وما نقصده بظلال هي تلك الحرب الكاملة أوصاف الفعل الإجرامي من جانب حكومة بنيامين نتنياهو رداً على عملية جهادية من جانب تنظيم فلسطيني قرر بعدما حان القطف جني ثمار تدريباته وإمتلاك ناصية صواريخه، إذبال ذلك التطبيع خطوة خطوة من دون أن يتلاشى في إنتظار قيام سُلمة حُكم متقهما في إسرائيل وتريد لصيغة الدولتين وضع التوضيح والتنفيذ، أي بما معناه تتحدد تسمية الدولة وتحديد أرضها لأن الإكتفاء بعبارة "قيام الدولتين" يتسم بالمخادعة ولن يبدد هذا الإنطباع سوى الأخذ بالتحديد الحاسم والمنطقي والحقوقي الذي جاء في "مبادرة السلام العربية". عدا ذلك يصبح الإنطباع السائد عن حرب التدمير الإسرائيلية وعلى نحو تجاوز في لا إنسانيته حروباً مضت في كثير من دول القارات الخمس وأخرى قائمة مثل حرب روسيا على أوكرانيا أن في الغيب المعلوم _ المجهول ثمة عملية خداع ممنهج للأمميتين. وفي عدم التحديد الجغرافي للدولة الفلسطينية سيبقى الإنطباع، وبالذات بعد إصطفاف الإدارة الأميركية الحالية وحكومات أوروبية إلى جانب الحكومة الإسرائيلية واللامبالاة بما أصاب بالذات المستشفيات بمن فيها، بأن إدارة الرئيس بايدن وحكومات أوروبية تدور في الفلك الأميركي المحتضن إسرائيل، أن الحرب على غزة البشر والحجر إنما هي جزء من خطة تستهدف التهجير أولاً إلى مصر ثم إلحاقه بتهجير من هم في خارطة السُلطة الوطنية الفلسطينية إلى الأردن. وهنا يتضح لنا ما أعلنه الرئيس

عبدالفتاح السيسي على الملأ العربي والدولي برفض صيغة تهجير الغزيين إلى سيناء. كما هنا يتضح الخبز الدولي المتصل بصيغة الأردن مملكة للشعبيين (المملكة العربية المتحدة) وشراكة في الحكم وهي صيغة طالما رفضها الملك حسين رحمة الله عليه ويجدد الرفض الملك عبدالله الثاني ويزرع شتلة رُفُض ولي عهده الأمير الحسين بن عبدالله. والأمر اللافت في السياق نفسه هو أن رُفُض التهجير كان شاملاً ما يعني أن باب إختراق الصف في شأن المخطط الشريد سيبقى مغلقاً. وفي البيان الختامي للقمة العربية _ الإسلامية والذي كان إستثنائياً من حيث الحجم والمضمون وتقادي التسميات نجد الرئيس الإيراني لا يسجل أي تحفظات على بنوده مكتفياً بما أورده في كلمته لجهة الإقتراح بإنشاء صندوق لإعادة إعمار غزة وتشكيل محكمة دولية لمحاكمة ومعاقبة قادة إسرائيل، إلى جانب لُفت الإنتباه إلى "أن العالم الإسلامي يمكنه معالجة مشاكله بالوحدة والإعتماد على الله...".

ونحن عند المقارنة بين ما إرتبط بمشاركة إيران الثورية بالقمة العربية _ الإسلامية في الرياض (نوفمبر 2023) ومشاركة إيران الشاهانية قبل 54 سنة في القمة الإسلامية الأولى في الرباط (سبتمبر 1969) نرى كم هو أمر في منتهى الأهمية أن تكون إيران ضمن السرب العربي _ الإسلامي المرفرف في فضاء القضية الفلسطينية من جناحها الغزي حيث الذراع الحمساوية الإيرانية الإقتدار كما جناحها اللبناني على الحدود حيث الذراع الأخرى الأكثر إقتداراً ("حزب الله") وبحيث يتم توظيف هاتين الذراعين بما يقوي عظم القضية لا أن يتسبب بكسور في صمود شعبها المحتضن كما الذي أصاب وما زال يتواصل في شكل كوراث من كل نوع في جميع مناطق قطاع غزة. ويخشى المرء كثير الخشية أن تكون ثمة إجتهاادات إستهدف الطيف الحمساوي من تنفيذ فغله الجهادي المباغت إستباق تعديل جذري في موقف الطرف الحاضن والذي يمكن تلئس جوهره بين سطور كلام قاله الرئيس الإيراني في جلسة إفتتاح أعمال القمة العربية _ الإسلامية وكان غير الذي دأب الطيف العسكري المتشدد (قائد سرايا القدس وقائد الحرس الثوري) على ترادده.

ويبقى في معرض المقارنة بين مواقف إيران الثورية راهناً وموقف إيران بهويته الشاهانية قبل 54 سنة من الموضوع نفسه العودة إلى مفكرة دونث عليها وأنا أعطي

كصحافي أعمال القمة الإسلامية الأولى (الرباط، سبتمبر/ أيلول 1969) ومنها بضعة سطور حول واقعة طرفها أنور السادات يمثل مصر في المؤتمر بتكليف من الرئيس جمال عبدالناصر المتوعدك، والشاه محمد رضا بهلوي (رحمة الله على الثلاثة). فقد حدث عند صياغة قرارات القمة أن الجزائر (التي كان أمراً لافتاً أنها تمثلت في قمة الرياض بمندوبها لدى الجامعة العربية وعلى نحو ما فعلت ليبيا في قمة الرباط حيث تمثلت بسفيرها في العاصمة المغربية، مع أن القمتين من أجل الأقصى والقضية الفلسطينية والمشاركة على مستوى الرجل الأول تكون مطلوبة ومهمة بالنسبة إلى إتخاذ القرار من جانب الشمل المشارك) نجحت في إبدال عبارة "الحقوق المشروعة لشعب فلسطين" بعبارة "الحقوق المغتصبة". وحدث أيضاً أن تركيا وإيران والسنگال والنيجر إنتقت على القول إنها "مستعدة للموافقة على القرارات إذا كانت لا تتعارض وقرارات الأمم المتحدة". لكن الملك فيصل بن عبدالعزيز (رحمة الله عليه) وكأنما هو يقرأ مبكراً فعالية المنظمة الدولية في حال كانت هنالك قضايا تخص العرب (محنة غزة راهناً) قال لمن يجالسه من رؤساء الوفود بعد إنتهاء لجنة صياغة القرارات التي تشكلت من ممثلي 11 دولة "لكن قرارات الأمم المتحدة حبر على ورق". ونضيف إلى ذلك أن الكلام الموضوعي والحزن الذي يغلف عبارات تعليقات الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرش حول المأساة الغزاوية هي أيضاً مثل الحبر على الورق لا يؤخذ بمضمونها ولا إحترام لمشاعره. وتبقى لافتة بشكل خاص كما في أوراق مفكرتي إياها واقعة "الإشتباك الكلامي" بين أنور السادات وشاه إيران. مع الدعاء بأن تبقى الذاكرة على صفائها وأمانتها.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الجمعة 24 نوفمبر (ت) 2023

بعض ثمار أينعت وبدأ قطافها (3)

في القمة الإسلامية في الرباط (23 _ 25 سبتمبر/ أيلول 1969) التي أوجب إنعقادها وبما يشبه الفريضة حريق أحدثته جماعات صهيونية تحت سمع دولتهم وبصرها، حدثت بعض التحديات الكلامية لم تشهدها

القمة العربية _ الإسلامية في الرياض (السبت 11 سبتمبر 2023). وفي القمتين (المستضافتين ملكياً ومصادفة في الشهر التاسع من السنة) كان ضبط الإيقاع حاضراً لدى الملك (الراحل) الحسن الثاني (قبل 54 سنة) ولدى الأمير محمد بن سلمان ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وهو يتأسس قمته الجديدة في سلسلة من القمم غير المسبوقة إستضافها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ورعاها خير رعاية في الرياض وجدة والمنطقة الشرقية وإمتزج في جانب منها العربي مع الخليجي مع الإسلامي مع الدولي. وكانت خاتمتها عموماً هادئة وهادفة.. وهذا إلى جانب تصفير خلافات وتهذئة خواطر.

وبالنسبة إلى القمة الأحدث فإن شجرتها أثمرت وبدأ قطافها ضغطاً متأنياً الخطوات على الدول الكبرى وبالذات الولايات المتحدة وتلك المتعاطفة مع إسرائيل المعتدية. وكان من ثمار هذا الضغط المقرون منذ اللحظة الأولى للعدوان بإغاثة نوعية تدعيم دور خليجي فاعل قامت به قطر ورعاه أميرها الشيخ تميم بن حمد آل ثاني بمباركة عربية _ إيرانية _ أميركية ومن نتائجه الطيبة كان بدء خطوات تبادل الأسرى. كما أن من نتائجه أن بداية مواقف أوروبية أطلسية ضد العدوان الإسرائيلي حدثت ومنها على سبيل المثال الموقف اللافت لكل من رئيسي الوزراء (الإسباني والبلجيكي) إلى جانب مواقف أطراف دولية متعاطفة سابقاً ودائماً مع القضية الفلسطينية (فنزويلا وكوبا بتعاطف مميز). ثم هنالك التبدل المتدرج والذي يبقى لافتاً ويكتسب بعض الأهمية عند المقارنة بالموقف المخجل للرئيس جو بايدن وبعض طاقم إدارته والموقف غير المتحفز لإعلانه على الملأ من جانب روسيا بوتين وصين تشينغ، وإن كان القطبان قد يعوضا وأطراف عربية ودولية مقتدرة مالياً الوقفة السياسية الحاسمة بوقفة عند البدء بـ "حرب" إعادة بناء ما دمرته لوثة الطبعة الإسرائيلية لما سبق أن فعله الفوهرر سابقاً، فإنتهى مذموماً إلى يوم الدين. فما بعد طي ملف تبادل الأسرى الذي كان المجتمع الدولي يتمنى لو أن هذا التبادل كان برقي صفقة تبادل الأسرى بين إدارة بايدن وإيران (يوم الثلاثاء 20 سبتمبر/ أيلول 2023) هنالك الألوف من أطفال ونساء يحتاجون إلى العلاج الجسدي والنفسي والغذاء الصحي وتركيب أيادي وأرجل بترها العدوان الهمجى، كما هنالك ألوف العائلات التي دمر

الطيران الحربي الإسرائيلي بيوتها تنفيذاً لنزوة هتلرية _ نيرونية التفتيل إستتساحاً إستحكمت في نفس رئيس الحكومة ننتياهو ووزير الدفاع يوآف غالانت اللذين إفتقدت حربهما إلى فروسية المحارب الشجاع فمارسا العدوان في أفكك درجاته ودون أي رحمة بمرضى راقيين على أسيرة في مستشفيات ومواليد خدج. وما هو المأمول من أصحاب القرار في دول العالم ومن خلال الأمم المتحدة ومؤسساتها هو إخضاع إسرائيل بالقانون وفي الوقت نفسه بوقف أي تمويل لها، وإجبارها على إعادة ترميم وتأهيل كل مستشفى دمرته وكل برج سكني قصفته وكل حي أحالت منازلها إلى ركام، وكذلك التعويض عن كل روح أزقهها العدوان. وعند ذلك سترى أن طريق السلام معها تطبيعاً أو معاهدة تصبح سالكة، كما يصبح قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح على نحو ما أطلق الصيغة الرئيس عبدالفتاح السيسي يوم الجمعة (24 أكتوبر 2023) أمراً قابلاً لإعتماده.. هذا في حال كان هنالك في المقابل تعهد موثق من جانب إسرائيل وبضمانة أميركية _ دولية أن لا تمس الدولة الفلسطينية بسوء وأن تتعايش مع دول المنطقة بما لا يستوجب قيام منظمات جهادية مثل "حماس" وغيرها ولا عمليات قتل وتدمير للإنسان والبنيان. هنا في حال إهتدى الإسرائيلي إلى صواب العيش الآمن يبدأ الفلسطيني بتناسي ما حصل له على مدى أيام وليالي أكتوبر 2023 من إسرائيل ننتياهو وعلى نحو ما حصل للبريطاني والفرنسي وأوروبيين آخرين من الجموح الهتلري توأم جموح ننتياهو والذين حوله ومن أزروه على وجه السرعة أمثال رؤساء أميركا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا، لا غفر الفلسطيني وكل إنسان يخاف الله لهؤلاء هذا الفعل غير الإنساني وغير الكريم.

وباستحضار لما يحدث أحياناً في المؤتمرات من تحديات بين بعض المشاركين كان لافتاً أن الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي تصرف بحكمة ملحوظة بدافع الحرص على أن تبقى الأجواء على صفائها مع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بعد إنجاز التوافق بين الدولتين الأكثر تأثراً في المدار السياسي في الإقليم الذي باتت مسؤولياته متعاطمة دولياً وعلى مستوى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص. وكان من علامات حرص الرئيس الإيراني على أن تتعقد القمة العربية _ الإسلامية وتنتهي على النحو الهادئ والهادف في الوقت نفسه، أنه ترك التحفظ على ما ورد في البيان الختامي على أن

منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني إلى ما بعد العودة بساعات إلى طهران. وهي لفظة معنوية أكثر منها إستراتيجية من جانب إيران نحو ذراعها الفلسطينية (حركة حماس). كما أنها لم تأت منه وإنما من جانب المتحدث بإسم الخارجية الإيرانية.

مثل هذا التصرف لم نلمسه على سبيل المثال لا الحصر في القمة الإسلامية الأولى قبل 54 سنة. وفي تلك القمة حدثت مبارزة كلامية طرفها شاه إيران محمد رضا بهلوي وممثل الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبدالناصر في القمة أنور السادات. وهي مبارزة تستوجب التوثيق كونها إرتبطت بحالة نادرة الحدوث في العالم العربي _ الإسلامي وربما في العالم ونضيه عليها في مقالة لاحقة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 5 ديسمبر (ك) 2023

كيسينجر الخادع.. والعربي المخدوع

تستعيد ذاكرة المتابع مثل حالي للتطورات العربية من أحداث ومؤتمرات قبل وما بعد الحربين مع إسرائيل (الأولى 5 يونيو/ حزيران 1967) والثانية (6 أكتوبر/ تشرين الأول 1973) وها هو الجنوح التدميري من جانب "إسرائيل نتتياهو" يفرش أبسطه المغطاة بدماء الناس في غزة وبقايا أشلاء تحت أتربة منازلهم وحطام مستشفياتهم ومساجدهم وكنائسهم، أمام الحرب العربية _ الإسرائيلية الثالثة إضطراباً وليس إختياراً.. تستعيد الذاكرة كلاماً حول ظاهرة الدكتور هنري كيسينجر وسعيه على مدى سنوات تجوال في المنطقة بدا فيه وكما لو أنه يريد إقتباس شخصية وأسلوب "لورنس أوف ارابيا" بنكهة أميركية _ يهودية إذا لم نقل صهيونية. وذلك الكلام قاله لي محمود رياض وأحمد الشقيري في لقاءات في القاهرة ولندن بعدما بات الإثنان (رحمة الله عليهما) خارج العمل الرسمي: محمود رياض لم يعد الأمين العام للجامعة العربية وأحمد الشقيري أورث الزعامة الفلسطينية بعد الأولى في رحاب الحاج أمين الحسيني، إلى ياسر عرفات رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

كان الكلام الذي قاله محمود رياض وذلك الذي قاله الشقيري دونته على أوراق تُنشر في الوقت المناسب وعملاً بقاعدة المجالس بالأمانات حول الدور الذي قام به كيسينجر على مدى بضع سنوات من الصراع العربي _ الإسرائيلي وبالذات في تصميمه على أن تكون إسرائيل هي الأمانة والمستقرة ويكون الجانب العربي عموماً وبالذات مصر وسوريا والجهد السياسي الفلسطيني ودول الخليج التي تدعم الأحوال الفلسطينية أطرافاً غير مستقرة وفي دائرة القبول بما تعرضه الدبلوماسية الأميركية كمطالب أو حلول ومن خلال كيسينجر بدءاً بسنوات إدارة الرئيس نيكسون ثم إستمراراً بعد إسقاط الرئيس بفعل "فضيحة ووترغيت" وتولي جيرالد فورد الرئاسة التي أخذ فيها كيسينجر مداه الأبعد لمصلحة إسرائيل وذلك لأن الرئيس فورد غير ملم بأوضاع منطقة الشرق الأوسط على النحو الكافي وهذا جعل كيسينجر يحقق في الصف العربي إرتباكات من كل نوع.

وحيث إن كيسينجر بات بعدما أنهى المئوية الأولى من العمر ونال يوماً من المئوية الثانية (توفي يوم الثلاثاء 28 ديسمبر/ كانون الأول 2023) في ذمة الله، وكان سبقه أحمد الشقيري (توفي يوم 25 فبراير 1980) ثم محمود رياض (25 يناير 1992) فإن كلاماً حوله سبق أن قاله لي الإثنان يصبح مجازاً التذكير به.

من جملة ما قاله محمود رياض في لقاء في مكتبي في لندن حيث إحتفت مع زملاء بلغته كما بإفاضته في الحديث عن سنوات صعبة من تجربته وزيراً للخارجية ثم أميناً عاماً للجامعة العربية "إن سياسة كيسينجر مع الرئيس السادات وكذلك مع الرئيس حافظ الأسد كانت دائماً خداعية وكان يردد من العبارات التي يطيب للقائد العربي سماعها بأمل تنفيذها لكن ذلك لا يحدث مثل إن الإدارة الأميركية حريصة على تحقيق الحل الشامل، ثم يتبين أنه ضمناً ينسق في إتصالاته مع إسرائيل على الحلول المتفردة...".

يضيف محمود رياض "إن كيسينجر إنفرد بميدان العمل السياسي في المنطقة العربية نتيجة إرتباك نوعي في أسلوب تعامل الإتحاد السوفياتي مع مصر حرباً ثم سلماً...".

يضيف أيضاً إن تركيز كيسينجر كان بالنسبة إلى مؤتمر جنيف هو تسميته "مؤتمر السلام" ولقد روجت الوسائل الإعلامية الأميركية إلى ذلك بغرض أن يقال

عنها ومن خلال كيسينجر أنها صنعت السلام في الشرق الأوسط وبذلك تعطي إستنتاجات تقلل من شأن النصر الذي حققه الجيش المصري في حرب أكتوبر وبالذات قدراته في العبور الذي أزال من الأذهان مسألة إستحالة حدوثه".

يضيف محمود رياض أيضاً أن كيسينجر الدبلوماسي الدور اللافت ومن منطلق تعاطفه كيهودي مع أبناء ملته في إسرائيل الذين يحاربون العرب، في تدعيم الجيش الإسرائيلي بعد وقف حرب أكتوبر 1973 بأنواع من السلاح الأمريكي المتطور براً وجواً لم تحصل عليها إسرائيل من قبل وذلك من أجل رفع معنويات الحكم الإسرائيلي وجيش إسرائيل.

يضيف محمود رياض إن كيسينجر كان يملك مشاعر غير ودية تجاه دول النفط بالذات في العالم العربي وينطلق في ذلك من بدهية أنه عندما يتم تعطيل ورقة النفط لا تعود هنالك قدرات للعرب على الحرب وبذلك تستقر إسرائيل. ويستحضر وهو يقول ذلك تصريحاً أدلى به كيسينجر أواخر العام 1974 هدد فيه بما يوحى بإستخدام القوة ضد الدول النفطية (دول الخليج والعراق والجزائر). وتحضر محمود رياض في هذا الشأن إجابة كيسينجر رداً على سؤال وجهه صحفي إليه عما إذا كان الإستيلاء على الثروة الوطنية لشعب عملاً جائزاً أو إنه ليس أخلاقياً حيث رد بما معناه "إذا راجعنا تاريخ البشرية سنجد أن الحروب كانت تقع منذ القدم بشأن الموارد الطبيعية...".

يطول الكلام حول إنطباعات محمود رياض عن كيسينجر ومكانته الدبلوماسية التي كادت تؤدي إلى ما هو أكثر بعثرة للموقف العربي الموحد. وفي هذا المنحى كان الذي قاله لي أحمد الشقيري في لقائين معه وكان بات يتغيا في ظلال القضية قابلاً في شقته الكائنة في "عمارة ليبون" المطلّة على أحد فروع نيل القاهرة والمسكونة من بعض وجهاء السياسة والسينما والصحافة.

ففي قراءة لظاهرة كيسينجر قال الشقيري عنه إنه "الرئيس المتجول للولايات المتحدة" وأنه يتصرف في تجواله على أهل القرار العربي "وكما لو أنه موسى الجديد وريثاً لموسى القديم". وفي معرض حديثنا عن الفرق في السعي الدبلوماسي الأممي الأمريكي _ الأوروبي لإنهاء الإحتلالات الإسرائيلية رأى "إن مسعى يارينغ أخفق لأن الرجل مسيحي ومستقيم وترنو مشاعره نحو القدس وبيت

لحم فيما حقق كيسينجر لدى بعض القادة العرب المبتلاة أوطانهم بإحتلالات إسرائيلية نجاحاً نوعياً لأنه يهودي شاطر...".

كما مع محمود رياض فإن الكلام مع الشقيري يطول هو الآخر. وحيث أن متعة الإبادة الإسرائيلية تتكرر بين حين وآخر، وتلقى من غض النظر الأميركي والدولي عموماً وإلى درجة الموافقة ضمناً وتكثيف المساعدة لتحقيق المزيد ما يشجع ننتياهو وجنرالته على التقنن في وسائل الإبادة، فإن نعيم الإستشهاد الفلسطيني سيبقى سطوره مضيئة في كتاب الصراع الذي لن ينتهي بغير التكفير الدولي عن الهوى الإسرائيلي وإعتماد المبدئية والصديق في تحويل صيغة الدولتين وفق مبادرة السلام العربية إلى أمر واقع. وبذلك تصبح مقولة وداعاً للسلاح وأهلاً بالسلام حقيقة وليست من الأحلام التي حجبها الكوابيس منذ الأخذ بوعد بلفور الذي قال الشقيري "إنه صيغ في البيت الأبيض وأما اللورد بلفور فإنه وضع توقيعه عليه". ولا حول ولا قوة إلا بالله.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 19 ديسمبر (ك) 2023

أم الوقائع اللافتة على أرض المحروسة (4)

في كلمة ألقاها أنور السادات في جلسة عقدها مؤتمر القمة الإسلامية الأولى في الرباط (الخميس 25 سبتمبر 1969) وإستغرقت ثلاث ساعات بعدما كانت لجنة صياغة القرارات أنجزت مهمتها، قال حول تحفظات البعض ومن جانب شاه إيران محمد رضا بهلوي بالذات: "إننا جننا ولم نطلب شيئاً. جننا نطلب أن تشاركونا بمشاعركم وأحاسيسكم كأخوة لنا. كنا ننتظر من إيران وتركيا أكثر. إن والد شاه إيران بطل إسلامي ناضل من أجل بلاده وكنا ننتظر من الشاه أن تكون مشاركته لنا أكثر دون ربط قرارات هذا المؤتمر بقرارات الأمم المتحدة". وإنفعل الشاه من كلام السادات ورد عليه قائلاً: "لم نأت إلى هنا لنقول شعراً أو نتكلم بلغة العواطف. بل يجب أن نتكلم بكل تعقل وتفهم لأي أمر. ولو كنت أعرف أننا كنا

سنقول شعراً لأحضرته معي شعراء وعندنا منهم كثيرون...". ورد السادات الآتي من مصر التي ما زالت جراحها النفسية عميقة جراء هزيمة حرب 5 يونيو 1967 وتتشط في كل الإتجاهات وداخل المؤتمرات والقمم وأبرزها كانت القمة الإسلامية الأولى في الرباط، مخاطباً الشاه: "سأتكلم الآن بالفارسية التي أعرفها لأنها لغة إسلامية". وتلا بيتاً من الشعر بالفارسية ترجمته بالعربية "من يأكل خبزه بعرق جبينه لا يحتاج إلى منه أحد...".

نأتي الآن إلى إستحضار بعض ملامح الحالة النادرة الحدوث من بدايتها في القمة الإسلامية الأولى في الرباط إلى نهايتها في القاهرة. وبطلا الحالة النادرة هما محمد رضا بهلوي الذي هوى عرشه ومحمد أنور السادات الذي إرتقى سدة رئاسة مصر بعد رحيل مبكر ومفاجيء للرئيس جمال عبدالناصر يوم 28 سبتمبر/ أيلول 1970.

كانت الإدارة الأميركية رفضت ربما كورقة تقدمها سلفاً إلى النظام الثوري الخميني أن لا تعامل بكرامة الأباطور المسلم الرفيع الشأن الفاقد عرشه. فلا تجيز علاجه في الولايات المتحدة كما لا تريد لحكام أصدقاء إستضافته وكأنما إيران الأباطورية لم تتقلب جمهورية إسلامية ثورية. ولكن الرئيس السادات وبحكم صداقة ومعرفة بالرجل الذي هوى تاجه قرر رغم تحذير السفير الأمريكي في القاهرة من عواقب إستقبال متميز للشاه ضيفاً على مصر وهو الذي كان لبضع سنوات يرتبط بمصر الملكية مصاهراً شقيقه الملك فاروق (زوجته الأولى)، أن يكون شخصياً وبرفته زوجته جيهان في إستقبال الشاه والشهبانو في مطار القاهرة. وفي مذكراتها (نشرت في الإنكليزية والفرنسية والعربية عام 1987 بعد ستة أعوام على إغتيال زوجها) تصف لحظة وصول الشاه وكيف نزل بصعوبة درجات سلم الطائرة وكان نحيفاً إلى درجة أن بدلته كانت فضفاضة للغاية عليه كما أن وجهه كان في غاية الشحوب ذلك أن السلطات الأميركية رفضت إدخاله المستشفى للعلاج. وتضيف أنه قبل يومين من وفاته (26 يوليو/ تموز 1980) زارت العائلة الشاهانية وخرجت بإنطباع بعد رؤية الشاه والممدد على سرير المرض الخارج من عملية جراحية على أيدي جراحين مصريين ويتقدمهم الجراح الأمريكي اللبناني الأصل مايكل دبغي، إن السرطان إستحكم فيه لدرجة عدم القدرة على التنفس. وبعد وفاته قرر الرئيس السادات الذي إستمر غير عابىء بإعتراض أطياف مصرية متعاطفة

مع الخميني وثورته على أن تكون إقامة الشاه في قصر القبة الذي كان مقر رئاسة عبدالناصر، أن يتم تشييعه رسمياً وأشرف بنفسه على مراسم التشييع من تسيير عسكريين أمام الجنازة إلى وضع علم إيران الأباطورية ونياشين وأوسمة نالها الشاه على النعش. وأما العربية التي تحمل النعش فكانت تجرها ثمانية خيول عربية. ولقد سار في الموكب الجنائزي الرئيس الأمريكي السابق نيكسون وملك اليونان السابق قسطنطين وممثلون للولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا وإسرائيل. وتتهي هذا الجانب من ذكرياتها بالقول "كانت أعظم جنازة مهيبة شاهدها أي واحد منا في مصر". ومن اللافت في الأقدار أن دفن الشاه محمد رضا بهلوي تم في مسجد الرفاعي في القاهرة أي في المكان نفسه الذي دفن فيه والده الشاه قبل أن يستعيد الإبن رفاته إلى إيران. وأما أن تتكرر الإعادة ذات حقبة فإن ذلك في علم الغيب.

ربما لولا تلك القمة الإسلامية الأولى من أجل الأقصى ما كان للشاه محمد رضا بهلوي أن يشارك ولا للتلاسن يحدث مع أنور السادات الذي بات رئيساً بعد القمة تلك بسنتين. كما ما كان لمن عاش أباطوراً أن يلقي بعد إسقاط عرشه رئيس الدولة العربية الكبرى الذي كان فظاً بعض الشيء في التخاطب معه، على أساس أن الشاه أباطور والسادات (زمنذاك) مجرد مندوب. إنها أمثلة ينطبق عليها القول الشعبي: الدنيا يوم لك ويوم عليك... حتى إذا كان المرء أباطوراً.

كُتبت لصحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ الإثنين 27 نوفمبر (ت) 2023

التجني عام 2023..

والتجني في العام 2024

على مدى آخر عشرة أسابيع من العام 2023 إصطبغ المشهد الإقليمي باللونين الأحمر (دماً بريئاً أريق) والأخضر (تدميراً ممنهجاً من جانب إسرائيل لرموز الحياة والإيمان والإشفاء في معظم مناطق قطاع غزة العربي _ الفلسطيني _ المسلم _ المسيحي). ولقد سجلت إسرائيل الرقم الأسطوري من حيث القصف المتواصل للأبراج السكنية

غير عابئة بمن فيها من أطفال ونساء وكبار سن، ولبيوت الله وللمستشفيات والمدارس، وكل ذلك وبشكل خاص على سماع الإدارة الأميركية وأباطرة الإعلام الأميركي المتحيز المبتهج لآلة الإفناء حجراً وبشراً تعمل دون إستراحة وعلى أساس أن القاتل لا يرتاح وإنما الراحة هي للمحارب من أجل حق ضائع على نحو ما فعله وما هنالك إحتمال لتطويره من جانب أبناء قضية مهانة ومستهان بها على مدى ثلاثة أرباع قرن ظالم وبأشد ما يكون عليه الظلم. كما شمل تسجيل الرقم الأسطوري مواقف بين الخجولة والمخجلة من جانب دول أوروبية كان المجلون فيها رئيس الحكومة البريطانية ومستشار المانيا إلى جانب الرئاسة الفرنسية. مواقف تفوق بكثير التجني الإسرائيلي والتبني الأميركي حيث كانت لهفة الفعل الفاعل السريعة لجهة التبني من جانب الرئيس الأميركي جو بايدن مدعاة عدم إحترام لمهابة المكانة لرئيس الدولة المصنفة أولى بين الكبار، خصوصاً أن هذا التبني أتى رداً على الذي جرى من جانب طيف فلسطيني مسلوب الوطن والحقوق والحياة الكريمة من محتل إسرائيلي، وهو رد تجيزه الظروف البالغة القساوة والإهانة لمن يقاسي وطأة السلطة التي تحتل وطنه وتشرذ دونما رادع أصحاب هذا الوطن للعقد السابع على التوالي. فقد تصرف الرئيس بايدن وكأنما هو المصاب فبادر متحماً مشاق الرحلات الجوية الطويلة مسرعاً إلى إسرائيل يتبنى موقفها ويزيدها مالا وسلاحاً ويقرر إنخراط قوات من النخبة في جيش بلاده لكي يثبت أقدام الجيش الذي تخطط حكومته غير المكتملة ثقة الشعب لإقحامه في مغامرة إجتياح حربية غير محسوم أمر تحقيق مراميها التهجيرية إن هي حدثت، وتفرز نتائج تندرج في كتاب المفاجآت غير المتوقعة كتلك التي حدثت يوم السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 وكانت مع إختلاف الدوافع والمعوقات توأم تلك المفاجأة التي حققها مصر الساداتية يوم 6 أكتوبر/ تشرين الأول 1973. وكلتاها الأولى ثم الثانية أخذتا حيزاً لهما في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي.

ومع الأخذ في الإعتبار الدافع الإنتخابي للرئيس بايدن من نخوته قوياً وفِعلاً تجاه الحليف الإسرائيلي وكما لم تسجل النخوات من قبل مثل هذه اللهفة وهي قول رئيس الولايات المتحدة "ليس بالضرورة أن تكون يهودياً لكي تكون صهيونياً. أنا صهيوني"، فإن الذي فعله الرئيس

بايدن أكد من جديد أن الكلام الأميركي حول ضرورة الأخذ بـ "صيغة الدولتين" و"حق شعب فلسطين في أن تكون له دولة" إنما هو من نوع رفع العتب وإبقاء عقار التخدير على فعاليته لدى أصحاب الحق العرب والمسلمين الذين يفقدون على مدار الأربع والعشرين ساعة المسجد الأقصى ثالث الحرمين كما إفتقاد إخوانهم المسيحيين لكنيسة القيامة وسائر رموز مقدساتهم في القدس وبيت لحم وحيث هنالك تراثيات يغيبها الاحتلال ويغض الطرف عن ذلك مسيحيو الغرب من أميركا إلى دول أوروبا.

ولقد كان حرياً بالرئيس بايدن قبل إطلالته المنحازة بنسبة عالية للتضليل الإسرائيلي في شأن إقتراف إثم قصف الكنيسة المعمدانية على سبيل المثال أن يوكل مهمة تهذئة المشاعر إلى وزير الخارجية الذي سبق إطلالته بتصريحات مفعمة بالتعاطف مع إسرائيل ننتيا هو والتقل على عواصم عربية بأمل الإستحصال على مواقف لمصلحة الظالم الإسرائيلي ضد المظلوم الفلسطيني. كما كان مأمولاً منه أن يكون أكثر دراية بواقع الحال في العالم العربي سياسياً وعسكرياً وبذلك يوصي بضرورة إتاحة الفرصة أمام مشروع قرار في مجلس الأمن (روسي ثم برازيلي) من أجل وقف إطلاق النار وتأمين وصول المساعدات الإنسانية بدل تعطيلها من جانب أميركا وبريطانيا وفرنسا واليابان التي فاجأ موقفها الذين يسجلون لها حرصها على الخطوات الإنسانية خصوصاً أن رائحة قنبلة هيروشيما لا تزال تزكم الأنوف. وهذا التعطيل من جانب الدول المشار إليها جاء لمصلحة الصين وروسيا اللتين أيدتا المشروع فأخرجتا معطلي القرار فيما الرئيس الروسي يُجري في اليوم نفسه محادثات في بكين مع الرئيس تشي جينبينغ تشكل طبيعتها المزيد من القلق للإدارة الأميركية.

في ضوء ما لم يفعله الرئيس بايدن لجهة إتاحة المجال أمام القرار الأممي الذي طابعه إنساني وليس للمكيدة مستكماً بذلك مسلك التبني للتجني الإسرائيلي علاجاً غير ناجع للتحدي الحمساوي يوم 7 نوفمبر 2023، بات الأمل معقوداً على تطوير ما إنتهى إليه بيان الرئيس عبدالفتاح السيسي عن أعمال "قمة القاهرة للسلام" التي إستضافها يوم السبت 21 نوفمبر 2023 ولم تثمر، رغم المشاركة العربية والدولية بتمثيل متفاوت، ما كان مأمولاً منها وهو أن تتخذ موقفاً متوازناً ومعبراً عنه

الغزالية حدث العام 2024. أو فلنقل "رجل العام 2024".
ومن يتقاعل بالخير والهداية يجدهما. فهل نأمل خيراً من
أصحاب المساعي الطيبة الداعية إلى وضع خاتمة.

صحيفة «الشرق الأوسط» _ الثلاثاء 26 ديسمبر (ك) 2023

* * *

ببيان مشترك كما الحال مع القمم التي تتعقد، يتضمن توصيات قادرة على تفعيل الهدف من الإنعقاد. لكن القمة التي جاء إنعقادها مسايرة للطرف الداعي إليها أكثر منها قمة طارئة وفاعلة، إنتهت ببيان رئاسي مصري حافل بالتمنيات لـ وقف الحرب على غزة وتأمين وصول المساعدات إلى القطاع والتحذير من مخاطر إمتداد رقعة الصراع مع التأكيد على أن مصر "لن تقبل أبداً بدعاوى تصفية القضية الفلسطينية على حساب أي دولة بالمنطقة ولن تتهاون للحظة في الحفاظ على سيادتها وأمنها القومي في ظل ظروف وأوضاع متزايدة المخاطر والتهديدات...". ومع أن البيان لم يأت على ذكر "حماس" بالإسم ولا أيضاً على إشارة بالإسم إلى إسرائيل، والإكتفاء بعبارة "القضية الفلسطينية" و"الفلسطينيون" وربما كانت التسمية تختلف لو أن الطرف الثاني في المواجهة مع إسرائيل كانت "السلطة الوطنية الفلسطينية"... إلا أن روحية إنعقاد المؤتمر ربما بقي بالغرض، كما أن مجرد إنعقاده يؤسس لمزيد من الاجتماعات ثنائية أو على مستوى القمة، وتشمل من يمثل "حماس" ومن يمثل الجانب الإسرائيلي وبرعاية مصرية _ أمريكية _ أوروبية لا تلقى إعتراض روسيا والصين. وفي هذه الحال تكون قمة القاهرة بمثابة مفتاح إقتحام النزاع في أكثر محطاته تعقيداً وهذا ما يتمناه الجميع الذين لا يريدون تطور الوضع إلى نزاعات تنتهي حرباً عالمية ثالثة في الحد الأقصى وحرباً متعددة الجبهات في الإقليم المثخن بالصراعات التي تحدث على حساب التطلع نحو الاستقرار والتطوير بعد إستكمال تبرئة الجراح الجسدية والنفسية.

الآن وشمس العام المثخن بالدماء والخراب وبشر فاضت أرواحهم تحت أنقاض التدمير الممنهج من جانب "إسرائيل ننتياهو" فإن التمني بالصحة هو بداية العلاج لـ "أم المآسي" فيعيد الرئيس بايدن الواعد نفسه بولاية رئاسية جديدة تقطر إحدى صفحات رئاسته الراهنة دماً أريق بما هو محرم من جانب رب العالمين، وينشط الرئيس عبدالفتاح السيسي بعدما نال ولاية رئاسية ثالثة ضمن الأصول، بحيث يتم تفعيل قمة القاهرة للسلام، التي كان إستضافها ويوظف المجتمع الدولي في شخص دولتي مصر وقطر المؤهلتين وحدهما دون سائر الدول للإسماع وللإصغاء لدى "إسرائيل ننتياهو" و "غزة السنوار".

لقد كان يوم 7 نوفمبر هو "فتى العام 2023" لعل السعي الذي نشير إليه يجعل من خاتمة مقبولة وقنوعة للمأساة

[illegible][illegible]

جانبهم وما كانت العلاقة القائمة مع
الإدارة الأميركية تاليف نديم سراجيتشي.

وما يقال من هؤلاء الحولان ويُخفف من
موقف في شأن هذه الأرض العربية،
وذلك من المُنطبي من أرض اللبنانية
التي لا يسادة إسرائيل على أرض الحولان

وموضوعاً، وذلك التحدث على مستوى
مزارع شيعيا وتلال كوشويا، فإن قمتهم
بهذا القرار لا تسجل مجرد رد فعل على
الاميراني تفصله من ذاك الإرث، فإن الذي

نفسه السبعة، كما يتكرر من
لخصيمتها إعلان الفسخ، ولأنه
يحتاج إلى من يوافقه الخيار الذي
دخل

للكل دورة تعقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ الأولى عام 1946،

[illegible]

الرئيس عبد الفتاح السيسي على
الجمعية العامة للأمم المتحدة
من قبله الرئيس عبد الفتاح السيسي
على الجمعية العامة للأمم
محور

من ميثاق المنظمة الدولية ومزمعه على
مراي الرؤساء والوفود. تلاها ما قبل
يصلح الأول في موسكو الستينات أو
أي بلد في الإتحاد السوفياتي، ويصلح
تداع العالم العربي

للجمعية العامة للأمم المتحدة من واجب
مشارك فيها أن يفتح خطيباً وعرض
قضية تخص بلاده أو يقرع أمام أرونة
القرار لتخصيص مسار الجمعية العامة
الثنائية المتبادلة قليلة عموماً، وهي
تستفيد من هذه الأرونة، وهي
التي لا تملك إلا أن تكون
التي لا تملك إلا أن تكون
التي لا تملك إلا أن تكون

إن من يخطئ بعد بلطاني في البيت الأبيض وأنا من جانبي لن أرى بعده إمكانية شعبنا بأنهما فعلا من على

ناملات في المشهد السودانى

التي ساء المعاملة غير المتوافقة، ونعني بها تعاون الطيف المدني مع الطيف العسكري، واعتماد الصبر والأخذ بالبر. فإنا كنا المدينين له بالخير.

